

رَفَع

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس  
[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

# حِجَابُ الْمَرْءِ مِنْ عَصْرِ النَّبِيِّ

حَيَاتُهُمْ - أَعْمَالُهُمْ - مَنَاقِبُهُمْ

تَأَلَّفَ

الدكتور أحمد خليل جمعة

دار الزكوة

دمشق - سورية

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس

[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس  
www.moswarat.com

حياة من عصر النبوة

حياتهم - أعمالهم - مناقبهم

الموضوع: تراجم  
العنبران: رجال من عصر النبوة  
التأليف: الدكتور أحمد خليل جمعة

الورق: أبيض  
ألوان الطباعة: لون واحد  
عدد الصفحات: 672  
القياس: 24×17  
التجليد: فني  
الوزن: 1050 غ

التنفيذ الطباعي:  
دار الفن للطباعة - بيروت  
التجليد:  
مؤسسة فؤاد البعينو للتجليد - بيروت

ISBN: 978-9953-520-92-6



9 789953 520926

الطبعة الأولى  
1431 هـ - 2010 م

## حقوق الطبع محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع  
و التصوير و النقل و الترجمة و التسجيل المرئي  
و المسموع و الحاسوبي و غيرها من الحقوق  
إلا بإذن خطي من

دار ابن كثير

للطباعة و النشر و التوزيع

دمشق - سوريا - ص.ب: 311

حلبوني - جادة ابن سينا - بناء الجابي

طالة المبيعات تلفاكس: 2228450 - 2225877

الإدارة تلفاكس: 2458541 - 2243502

بيروت - لبنان - ص.ب: 113/6318

برج أبي حيدر - خلف ديبوس الأصلي - بناء الحديقة

تلفاكس: 01 817857 - جوال: 03 204459

[www.ibn-katheer.com](http://www.ibn-katheer.com)

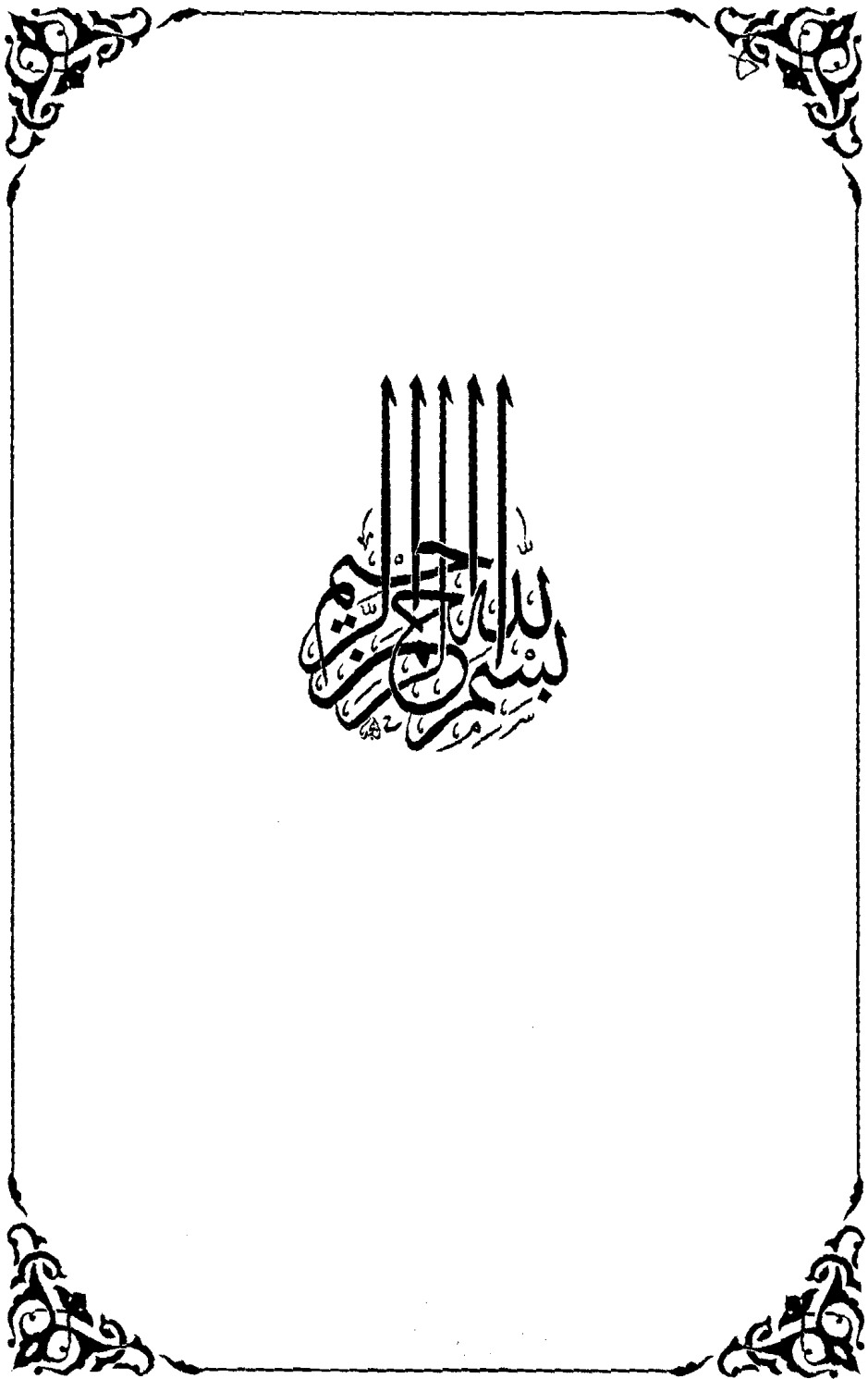
[info@ibn-katheer.com](mailto:info@ibn-katheer.com)

# حِجَابُ الْمَرْءِ مِنْ عَصْرِ النَّبِيِّ

حَيَاتِهِمْ - أَعْمَالِهِمْ - مَنَاقِبِهِمْ

تَأليف  
الدكتور أحمد خليل جمعة

دار البزكثير  
دمشق - بيروت



الإهداء

« إلى جبيننا رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
الذي ربى هؤلاء الرجال »

أحمد

رَفَع  
عبد الرحمن العنبري  
أسكنم الفردوس  
[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)





## المقدمة وعرض الكتاب

\* الحمد لله جامع الشتات ، ورافع من يشاء في الحياة وبعد الممات ، وجاعل لكل زمن رجالاً يرجع إليهم في التوازل والمهمات ، ومنهم رجال عَصُرَ الثبوة الذين نصرُوا رسولَ اللَّهِ ﷺ في جميع الأوقات والحالات .

\* والصلاة والسلام على حبيبنا محمد سيد السادات ، ومعدن السعادات ، النبي الأمي العربي الذي جاء بالآيات البيّنات ، المخصوص بأعلى المراتب والمقامات ، والمؤيد بأوضح البراهين والدلالات ، والمنصور بالرؤعب والمعجزات ، الثور الساطع ، والشفيع الشافع ، صاحب الحوض المورود ، والمقام المحمود .

\* وعلى أصحابه مطالع أنوار التنزيل ، ومغارب أسرار التأويل ، فهم التجوم المشرقة بنور الهدى ؛ والصواعق المحرقة لشياطين الردى ، أعلام الإسلام ، ومصايح الظلام ، آمنوا بالرسول وبابوعوه ، وساندوه وأتبعوه ، ونقلوا للأمة رسالته ، وبلغوها أمانته ، ونهضوا بنشر الدين في البلاد ، وبدلوا في سبيله المال والمهج مع الأولاد ، فحظوا بمرضاة ربّ الناس ، وكانوا بحق : ﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] ، فرضي الله عنهم وأرضاهم ، ووالى متبعيهم وأولاهم :

على أنه قد يعلم الله أنني أولئك ساداتي من الناس كلهم  
على حب أصحاب النبي انطوى قلبي  
فسلمهم سلمى وحرهم حربي

\* وبعْدُ : إن هؤلاء الرجال الأفذاذ هم الصّفوة الصّافية من النّاس ،  
اصطفاهم الله - عزّ وجلّ - وانتقاهم ؛ واختارهم لِنُصرة دينه ونبيّه ، فكانوا له  
وزراء ونُصراء ، وكانوا علماء أتقياء : ﴿ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ  
وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ [المجادلة : ٢٢] ؛ لا ينكر فضلهم إلا كلُّ معتدٍ أثيم ،  
وكلُّ عُتلٍّ زنيم ، وكلُّ مكابرٍ لئيم .

\* أوردَ أحد العلماء رَحِمَهُ اللهُ فَقَرَاتٍ كاشفات ؛ هادفات هاديات ؛ عن  
مكانة الصّحابة آساد الغابات ، وعن واجبنا نحوهم في جميع الأوقات ،  
فقال : « إنّما يعرف فضائل الصّحابة - رضي الله عنهم - مَنْ تدبّر أحوالهم ،  
وسيرهم ، وآثارهم في حياة رسول الله ﷺ ، وبعد موته من المسابقة إلى  
الإيمان والمجاهدة للكفّار ، ونشر الدّين ، وإظهار شعائر الإسلام ، وإعلاء  
كلمة الله ، وتعليم فرائضه ، ولولاهم ما وصل إلينا من الدّين أصلٌ ولا فرعٌ ،  
ولا علمنا من الفرائض والسّنن سنّة ولا فرضاً ، ولا علمنا من الأحاديث  
والأخبار شيئاً ، فَمَنْ طَعَنَ فيهم ، أو سبّهم ، فقد خرج من الدّين ، ومرقّ من  
ملّة المسلمين ؛ لأنّ الطّعن لا يكون إلا عن اعتقادٍ مساوئهم ، وإضرارٍ الحقد  
فيهم ، وإنكار ما ذكر الله تعالى في كتابه من ثنائِهِ عليهم ، وفضائلهم ،  
ومناقبتهم ، وحبّهم » . والله دُرٌّ ابن جابر الأندلسي إذ قال ؛ وأجاد في مديح  
هؤلاء الرّجال :

قومٌ وجوههم بِشَرٍّ وأنملهم  
وما مرادك من قومٍ مُحبّهم  
تضيء أحسابهم ليلاً وأوجههم  
وساعدتهم من الأنصار طائفة  
تبوّأ الدّار والإيمان واجتهدوا  
يمشون مشي الأسود الضّاريات إذا  
بذلّ وربّعهم بالعزّ مأهول  
ناج وشانهم في النّار مملول  
كأنما في الدّجى منهم قناديل  
بهم غدا الشّركُ قدماً وهو مخذول  
أن لا يكون لِدِينِ الله تبديل  
ما صاحت الحربُ في أبطالها جُولوا

هم بايعوا بيعة الرضوان وائعدوا لنصره موعداً ما فيه تأجيل

أ - من حقوق هؤلاء الرجال علينا :

\* إن علينا حقوقاً لهؤلاء الرجال ينبغي أن نعرفها ، وأن نحافظ عليها ونحفظها ، ونربي الناشئة على فحواها ومحتواها ، لنلقى الله - عز وجل - معهم تحت لواء سيّد السادات محمد ﷺ .

\* فمن حقوق الصحابة جميعهم على الأمة أمورٌ مهمّةٌ من أبرزها ما يأتي :

أولاً : الإقرار بفضلهم العظيم ، والاعتراف بسبقهم الجسيم ، ومسارعتهم للإيمان بالدين القويم ؛ والعلم اليقين بأنّ حُبهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ ، وبُغضهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيانٌ ، فهم خيرُ أمةٍ في خير القرون ، وأخشى الناس لله بعد نبيهم ﷺ ، أنفقوا أموالهم وما يحبون في سبيل الله ؛ لينالوا البرّ ، وجاهدوا في الله حقّ جهاده ، وبذلوا أنفسهم وباعوها له ليفوزوا ، فربح بيعهم ورضي عنهم ، والحديث عنهم نورٌ على نور ، وحُبهم تجارة لن تبور .

ثانياً : الدِّفاع عنهم بكلّ سبيل ممكن ، فينبغي أن نعرف مكانتهم ، ونتأدّب معهم ، فلا بدّ من الدّود عن حياضهم وأعراضهم ، وإجلال مواقفهم ومقامهم ، وإعلاء شأنهم وأمرهم ، فهم أوفى الأصحاب الأوفياء ، الذين دافعوا عن خير الأنبياء ، وأحسنوا البلاغ والبلاء ، وصانوا ما أمروا به صيانة الأقياء ، وحافظوا عليه حتّى وصل إلينا سالماً بعيداً عن عبث الخُلطاء .

ثالثاً : الابتعاد عمّا شجر بينهم ؛ لأنّ بعض الناس - ممّن استخفّ بهم الغرور - يوغلون في الحديث عمّا شجر بين الصحابة ، فيرفعون هذا - بزعمهم - ويخفضون هذا - كما يحلو لهم - ، بل نصادف أنّ أحلام كثيرين ، وأوهام مخذولين ، قد ضلّت ضلالاً بعيداً ، فعمدوا إلى سبّ كبراء الصحابة ، وانتقاصهم ، وشتيمهم ، وتناسوا قول الصادق المصدوق ﷺ في

النَّهْي عن سبِّهم : « لا تسبُّوا أصحابي ، فإنَّ أحدكم لو أنفقَ مثلَ أُحدٍ ذهباً ، ما أدركَ مدَّ أحدِهِم ولا نصيفه » (١) . ومتى كان السَّبُّ مِنْ سَمَاتِ السُّلُوكِ القويمِ ، أو مِنْ صِفَاتِ مَنْ يَحْمِلُ رَايَةَ العِلْمِ والتَّعْلِيمِ ، أو مَنْ يَدْعُو بالحكمةِ إلى السَّبِيلِ المستقيمِ ؟ ! لقد صرنا نرى مَنْ يتصدَّرُ المجالسَ فيجتهدُ ويسبُّ ويشتمُّ أعيانَ الصَّحابةِ (٢) ، ويزعمُ أنَّه أصابَ عَيْنَ الصَّوابِ بمثلِ هذه التَّفَاهَاتِ والآفَاتِ ! ! ولكنْ ؛ مهلاً ، إِنَّ الفَرَجَ يتولَّدُ مِنْ رَحِمِ الأَزْمَاتِ .

(١) أخرجه مسلم في فضائل الصَّحابة برقم : (٢٥٤١) ، وقرأ شرح الإمام التَّوويَّ بِحَمْدِ اللَّهِ لهذا الحديث الشَّريف .

(٢) ممَّا يلفتُ الأنظارَ في هذه الأيَّامِ ؛ أنْ ظهرَ عددٌ من تلامذةِ بعضِ المُسلسلاتِ والأفلامِ ، وصارَ معظمُهم من أهلِ الفتوى والاجتهادِ والأفهامِ . . . . . فهؤلاءِ ( المُفتونُ المجتهدونُ ! ! ) ينفقونَ السَّاعاتِ الكثيرةَ ، وهم جالسونَ أمامَ الشَّاشاتِ الصَّغيرةِ ، يشاهدونَ ما هبَّ ودبَّ من أفلامٍ ومُسلسلاتٍ دينيةٍ - مزعومةٍ - ؛ وأحدُهم لا يدري [ أيُّدوسُ أفعى أم يلامسُ عقرباً ] ، ثمَّ يأخذُ هؤلاءِ في إصدارِ أحكامٍ وفتاوى ، تضحكُ التُّكاليُّ والحيارىُّ ، ويزعمونَ أنَّهم استقوا ( أحكامهم المُوَحِّلة المُمحِّلة ) ممَّا شاهدوه هنا وهناك ، وإذا ما أردتَ أنْ تصحَّحَ لهم المفاهيمَ المغلوطةَ رأيتهم يصدِّونَ صدوداً عجيبياً ، ويقولونَ بلسانِ طويلٍ عريضٍ : « هل أنتَ تفهمُ أكثرَ من المُسلسلِ الفُلاني أو الفلمِ الفُلاني أو كذا وكذا . . . . . ! ؟ ! » .

ومن غرائبِ الأعاجيبِ العاجبةِ ، وعجائبِ الأمورِ الصَّاخبةِ ، أنَّ بعضَ مَنْ يعلنونَ التَّوبةَ مساءً على أوراقِ المجلَّاتِ ، أو وجوهِ الشَّاشاتِ ، يفتنونَ صباحَ اليومِ التَّاليَ بأعظمِ المعضلاتِ ؛ ويصبحونَ ركناً ركيناً في إصدارِ الأحكامِ والفتاوى وحلِّ المشكلاتِ ؛ وتنهالُ عليهم الاتِّصالاتُ ؛ من معجبينَ ومعجباتِ ، يسألونَ عن أمورٍ لا يقدرُ الإجابةَ عنها إلا الجهابذةُ في الفقهِ والفهمِ . . . . . وإلا الرَّاسخونَ في العلمِ ! ! !

نرجو اللهَ - عزَّ وجلَّ - أنْ يلهمنا الصَّوابَ ، وأنْ يتوبَ علينا جميعاً ، وأنْ يتقبَّلَ أعمالنا ، وأنْ يعفوَ عتاً ، وأنْ يعلمنا ما ينفعنا ، وأنْ يدخلنا برحمته في عباده الصَّالحينَ .

## ب - نقاط بارزة في منهج الكتاب :

\* لَمَّا شرعتُ في تصنيف هذه الرِّقائِق ؛ مزجتُ المعنى الفائق ، باللفظِ الرِّائق ، مع إيراد الحقائق ، والتزمتُ - بقدر الجهد - حدودَ المنهج العلميِّ ، فاتَّبعَت النَّقْاطَ الآتيةَ مستعيناً بالله العليِّ :

أولها : الجمعُ الوافي لمادَّة البحث في المصادر المتفرِّقة ، وأعتقدُ أنَّ ما جمعته من معارف ، يجعلني أرتاحُ إلى الجهد الذي بذلته ، وأنِّي أوضحتُ صورةَ كلِّ مَنْ ترجمتُ له ، وأبرزتُ الجوانبَ المهمَّةَ من حياته ، وجلوتُ الدُّروسَ المُستفادَةَ منها بشكلٍ يوافق منهج الحقِّ .

ثانيُّها : الحرصُ على انتقاء الأخبار الصَّحيحة ودقَّتْها ، فكنتُ أقابلُ هذه الأخبار في المصادر على اختلافِ مشاربيها ، وأختارُ منها ما وافق القرآن الكريم ، والسُّنَّةَ المطهَّرة :

وخيرُ أمورِ الدِّين ما كان سُنةً وشراً الأمورِ المحدثات البدائعُ  
ثالثُها : دراسةُ بعض الأخبار دراسةً تقومُ على التَّعليل والتفسير ، وإيضاح الإشكال ، وبيان حياة الصَّحابي وتبيينها على نحو قريب من صورته في عصر الرِّسالة .

رابعُها : نقدُ الأخبار التي تشيعُ الاضطراب في النفوس ، وتدعو إلى الشُّكِّ في شخصيات بعض الصَّحابة الذين ملؤوا الدُّنيا بأعمالهم العظيمة ، وأقوالهم القويمة ، والابتعاد عن العواطف التي تتضارب مع منهج العلم .

خامسُها : إغناءُ هوامشِ الكتاب بثمار الألباب ، وأزهار الآداب ، والتعليقات النَّفيسة ؛ والفوائد القيِّمة ؛ والشُّروح التي تزيلُ اللبس ، وتوضِّحُ المبهمات ، وتعمِّقُ الفكرة ، وتُثري القارئ ، وتغني الأحاب ؛ بما لُدُّ للأسماع وطاب .

سادسُها : الدَّعوةُ إلى الحقِّ ، فقد نعثرتُ في حياة رجال عصر التُّبوة على

بعض المواقف الحرجة ، فهؤلاء الرجال هم بشرٌ يُصيبون ويخطؤون ، يحبون ويكرهون ، ولكنهم إذا دعوا إلى الحق فإنهم يثوبون ويرجعون ، وبحبلِ الله يتمسكون ويعتصمون ، وعلى طريق الهدى يسرون ويثبتون - رضي الله عنهم وأرضاهم - .

### ج - منهجُ البحثِ وخطواته :

\* كانت خطةُ البحث واضحةً سهلةً ، تضمنت مقدمةً ، وأربعة أبواب ، وخاتمةً ، وفهارس .

المقدمةُ : بينتُ من خلالها المنهج الذي سلكتهُ في إنشاء الكتاب ، ونبّهتُ إلى كثيرٍ من الفوائد المنوعة ، والمعلومات المهمة ، والمفاهيم القيّمة التي تخصُّ رجال عصر النبوة ، وتذكرُ فضائلهم وحياتهم ، بالإضافة إلى واجباتنا نحوهم ، وكيف أثنى الله تعالى عليهم فكانوا خيرَ أمةٍ أخرجت للناس ، وكذلك كيف نالوا ثناء النبي ﷺ ؛ إذ تربوا في مدرسته المباركة ، فكانوا سادةُ الأمم .

### البابُ الأوّلُ

يحملُ عنوان

### « رجالٌ سابقون من المهاجرين »

\* جُبتُ مصادرٌ كثيرةٌ متفرقة ، وتأملتُ رياضها المونقة ؛ فوقع الاختيارُ على سنةٍ من كبار الصحابة السابقين إلى دوحَةِ الإسلام ؛ وهم : « أبو حذيفة بن عتبة ، وزيد بن الخطاب ، وعتبة بن غزوان ، وعثمان بن مظعون ، ومصعب بن عمير ، ونعيم بن عبد الله النخام » .

\* تحدّثتُ عن دور هؤلاء الرجال في نشرِ الدعوة إلى الله تعالى ، وكشفتُ النقاب عن فتوحاتهم وآثارهم ، وكيف أثروا التاريخَ بجلالِ الأعمال ، ولطائفِ الخصال ، ورفائقِ الأقوال ؛ فقد كانوا من كبار الصّالحاء

الأخيار ، وممن ينتشر المسك طيباً إذا ذكرت عنهم بعض الأخبار ، فقد تألَّق كلُّ واحدٍ منهم في جانبٍ كريم ، فمنهم مَنْ سما بالجهاد ، أو سعى في فتح البلاد ، ومنهم مَنْ أبدع في مضمار الدَّعوة إلى الله - عزَّ وجلَّ - ، أو عمل المبرَّات ، ومنهم من عُرِفَ بالعلم والمكارم والعبادات .

\* افتتحتُ هذا الباب بسيرة أبي حذيفة بن عتبة ، وهو رجلٌ من عليّة قريش أخلصَ بكيانه لله ورسوله ؛ كان من السَّابِقين الأوَّلِين من أصحابِ الهجرتين ، وممَّن صلَّى القبلتين ، وحضر المغازي جميعها بالمعيّة النَّبويّة ، وله من المواقفِ العليّة ، والمقاماتِ الجليّة ، ما جعلته من طبقة فضلاء الصَّحابة ؛ وله يومُ اليمامة أثرٌ محمود ، فقد صعدتُ روحه إلى بارئها تحملُ علامة الشَّهادة في سبيله ، ولقي الله وهو يهتفُ بالمجاهدين الأبطال : « يا أهلَ القرآن زيّنوا القرآن بالفعال » .

\* وتسكُبُ سيرة زيد بن الخطَّاب في الوجدان ؛ أجمل المواقف التي تمتعُ الأسماع وتروي الأبدان ؛ لما فيها من سواجع الألحان ، فهو من فرسانِ المدرسة النَّبويّة الشُّجعان ، وممَّن شهد بدرأً وأحداً والخندقَ وبيعة الرضوان ، ومات شهيداً وهو يقاتل المرتدِّين وأهل الطُّغيان ؛ وهو قاتلُ الرَّجَالِ بن عنفوة مستشار مسيلمة الكذَّاب الجبَّان ، وكان عمرُ بنُ الخطَّاب عليه سحائب الرضوان ، يقولُ عن أخيه زيدٍ مقالة رجلٍ لهان : « أسلمَ قبلي ، واستشهد قبلي ، وما هبَّتِ الصِّبا إلا وأنا أجِدُ منها ريحَ زيد » ، أسكنه اللهُ أعالي الجنان .

\* وتحدَّثتُ عن سيرة عتبة بنِ غزوان ، أحد السَّابِقين إلى نور الرِّحمن ، وأحد الرُّماة المذكورين ، وأحد أمراء الغزاة الفاتحين الرَّاهدين ، الذين تركوا في الدُّنيا دويماً ملاً سَمعَ المحبِّين ، فرضي اللهُ عنه وعن الصَّحابة أجمعين .

\* وتأتني سيرة الحبيِّ السِّتيرِ عثمان بن مظعون فتنعَّم منها الصَّبْرُ على البلاء ، ونستلهم منها جميع صور الوفاء ، فقد كان هذا الرَّجلُ من خيرة السَّلَفِ الصَّالح ، وهو أوَّلُ مَنْ دُفِنَ بالبقيع ، في حياة المشفِّع الشَّفيع ﷺ ،

وأخباره وأحواله تشهد له بالفضل والمكارم - رضي الله عنه وأرضاه - .

\* وَتَنَحْنِي الْهَامَاتُ أَمَامَ السَّيْرَةِ الْمُضْعَبِيَّةِ ، وَتَعْجُزُ الْأَقْلَامُ عَنِ الْإِحَاطَةِ بِسِيرَتِهِ النَّدِيَّةِ ، فَمُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ هُوَ الشَّابُّ الْجَمِيلُ الْعَاقِلُ الْحَصِيفُ ، وَهُوَ السَّفِيرُ النَّبَوِيُّ النَّاجِحُ الْأَلِيفُ ، عَلَّمَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ الْقُرْآنَ ، وَشَهِدَ بَدْرًا مَعَ جُنُودِ الرَّحْمَنِ ، وَحَظِيَ بِالشَّهَادَةِ يَوْمَ أَحَدٍ فَاصْطَفَاهُ الْمَنَّانُ ؛ لِيَكُونَ فِي الْجَنَّةِ ، وَسِيرَتُهُ مَزْدَانَةٌ بِالْمَوَاقِفِ التَّرْبَوِيَّةِ الْهَادِفَةِ ، وَأَخْبَارُهُ تَصْلُحُ أَنْ تَكُونَ زَادًا لِشَبَابِ الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ ، وَقَدْ ذَكَرْنَاهَا فِي تَضَاعِيفِ سِيرَتِهِ الْمُبَارَكَةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ - .

\* أَمَّا خَتَامُ الْبَابِ ؛ فَكَانَ عَنْ نُعَيْمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ النَّخَّامِ ، صَاحِبِ الشَّمَائِلِ اللَّطِيفَةِ ، وَالْخِصَالِ الْحَصِيفَةِ ، كَانَ بَارًّا بِأَيَّامِ قَوْمِهِ ، وَكَانَ مُوقِفَ سَيِّدِنَا عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ مِنْ عَفْوَتِهِ ، وَسَبَبِ دُخُولِهِ فِي الْإِسْلَامِ ، وَسِيرَةِ نُعَيْمِ مَمْتَعَةٍ مَمْرَعَةٍ ، نَفَعَنَا اللَّهُ بِهَا .

## الباب الثاني

يحمل عنوان

« رجال سابقون من الأنصار »

\* تَرَجَمْتُ خِلَالَهِ لثَلَاثَةَ مِنْ مَشَاهِيرِ السَّابِقِينَ مِنْ رِجَالِ الْأَنْصَارِ وَأَعْيَانِهِمْ وَخِيَارِهِمْ ، وَهُمْ : « أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ ، وَأُسَيْدُ بْنُ الْحَضِيرِ ، وَخُبَيْبُ بْنُ عَدِيِّ » ؛ وَكَانَتْ مَسَاحَةُ الْحَدِيثِ عَنْهُمْ ضَافِيَةً مَفِيدَةً ، فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ سَجَلٌ حَافِلٌ بِالْعَطَاءِ ؛ وَصَحَائِفٌ مَنْدَاةٌ بِالْفِدَاءِ .

\* بَدَأْتُ الْبَابَ فِي صَحْبَةِ أَسْعَدِ بْنِ زُرَّارَةَ أَحَدِ الثُّقَبَاءِ الْأَخْيَارِ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ ؛ وَاحِدٌ أَجْوَادِ الْأَنْصَارِ وَكِبْرَائِهِمْ ، فَاسْتَهْبْتُ فِي سِيرَتِهِ الْمَوْنَقَةَ ، وَنَوَّهْتُ إِلَى أَنَّ بَيْتَهُ كَانَ مَصْدَرَ إِشْعَاعٍ وَهَدَايَةٍ ، وَيَنْبُوعَ نُورٍ وَبَصِيرَةٍ ، فَمِنْهُ اسْتَهْلَّ مُصْعَبُ الْخَيْرِ دَعْوَتَهُ إِلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - ، وَكَانَ أَسْعَدُ الْخَيْرِ عَارِفًا بِأَحْوَالِ قَوْمِهِ ، فَيَدُلُّ مُصْعَبًا عَلَيْهِمْ ، فَكَانَتْ حِصَافَتُهُ وَخَبْرَتُهُ سَبَبًا فِي دُخُولِ سَادَةِ الْأَنْصَارِ فِي



دين الله ، كما كان لأسعد موقفٌ نبيلٌ ، ومقامٌ جليل ، في بيعة العقبة الكبرى ، وأخباره ترشد المحبِّين في مجال الدعوة إلى الله تعالى ، وتنفعهم في مجال الإيثار والصفاء .

\* وكان الكلامُ حُلواً عن أسيد بن الحضير ، فهو أحد السَّادات الكملة ، وأحد الرِّجال الفضلاء الذين عُرفوا بجودة الرأْي ، والفراسة ، وكان ميمون التَّقِيبة ، استطاع أن يجتذب سعدَ بن معاذ إلى دائرة الإسلام وحياضه ؛ ولأسيد كراماتٌ ثابتةٌ في الصَّحيحين وغيرهما ؛ وله أحوالٌ صافيةٌ مع العبقريِّ الصَّافي سيِّدنا عمر بن الخطَّاب ، وهذا كلُّه منشورٌ في رياض سيرته الجامعة ، ذات الدُّروس النَّافعة .

\* وتطلُّ السَّيرةُ الخبيبيَّةُ بأنسامها المنعشة ؛ لنستلهمَ منها روح محبَّته الصَّادقة للنَّبِيِّ ﷺ ، ووفائه له ، وذلك في موقفٍ خطير ، أدهشَ مَنْ حوله من المشركين ، وعلموا أنَّ الإسلامَ دينٌ حقٌّ ، فقد كان خبيب بنُ عديّ ينشدُ والموتُ قريبٌ منه قاب قوسين أو أدنى :

ولستُ أبالي حين أُقتلُ مسلماً على أي جنبٍ كان في اللهِ مصرعي

### البابُ الثالثُ

يحمل عنوان

### « رجالُ أسلموا عامَ الفتحِ »

\* تضمَّنَ هذا البابُ ترجمةَ خمسةَ رجالٍ من كبراء الصَّحابة وأغنيائهم ممَّن أسلمَ عامَ الفتحِ ، وهم : « أبو العاص بنُ الرِّبيع ، وجُبَيْرُ بنُ مُطْعِم ، وحكيمُ بنُ حزام ، وسُهَيْلُ بنُ عمرو ، وصفوانُ بنُ أميَّة » ، وقد أفضتُ في الحديثِ عمَّا قدَّم كلُّ واحدٍ من هؤلاء الرِّجال للإسلام حينما منَّ اللهُ عليه بالهداية ، وأوماتُ إلى أنَّهم كانوا ممَّن أسهمَ في كثيرٍ من الأعمال النَّاصعة التي جعلتهم خالدي الذِّكر على مرِّ الزَّمان ، كلُّ هذا بفضلِ اللهِ - عزَّ وجلَّ - ، ثمَّ بفضلِ رسوله ﷺ ؛ الذي ربَّى هؤلاء الآساد الأسياد الثُّبلاء ، الذين بلغوا بمجدهم متنَّ الجوزاء .

\* أوردتُ في البداية سيرةَ أبي العاصِ بنِ الرِّبيعِ ؛ صِهْرُ النَّبِيِّ المَشْفَعِ الشَّفيعِ ﷺ ، وهو رجلٌ عُرِفَ بالأمانةِ والصِّدقِ والوفاء ، وسردتُ قصَّةَ حياتِهِ من الجاهليَّةِ إلى أن شرحَ اللهُ صدره للإسلام ، وشرحتُ كيفَ عاش في المدينةِ تحوطُهُ الرِّعايةُ النَّبويَّةُ ، وكانت سيرتهُ مزدانةً بالعطاء ، وفيها كثيرٌ من الأحكامِ والحِكمِ المفيدةِ المعطاء .

\* ثمَّ تكلمتُ عن جُبَيْرِ بنِ مُطعمِ الرَّجُلِ الشَّهِمِ العالِمِ المُعَمَّرِ ، وعن انتقالِهِ من ظلماتِ الوهمِ ، إلى بركاتِ العِلْمِ ، وأشرتُ إلى حفاوةِ النَّبِيِّ ﷺ بجُبَيْرِ ، وأبرزتُ بعضَ الدروسِ الهادفةِ التي استخلصتها من سيرتهِ الخصبَةِ ؛ لتكونَ منارةً هدىً لمن يحبُّ إحقاقَ الحقِّ ، ووضعَ الأمورِ في نصابها .

\* وانتقلتُ إلى مضمَارِ الحكمةِ والمعرفةِ ، فعشتُ مع سيرةِ حَكِيمِ بنِ حِزَامِ الذي وُلِدَ في جوفِ الكعبةِ ، وتطرقتُ إلى أخباره التي تُعدُّ جزءاً مهمماً من أحداثِ السِّيرةِ النَّبويَّةِ ، وبالجملةِ ففي سيرتهِ كثيرٌ من المعارفِ التي تمدُّ محبَّ الصَّحابةِ بالفوائدِ والفوائدِ والقلائدِ .

\* وتزوَّدُ سيرةُ سُهيلِ بنِ عمروِ العامريِّ محبِّي الصَّحابةِ ، بشيءٍ من الإشراقاتِ اللطيفةِ ، فقد كان خطيبَ قريشِ السَّابِقِ ، ولسانها النَّاطِقِ ، وقصتهِ جميلةٌ مشهورةٌ يومَ الحديبيةِ ؛ أمَّا مواقفه بعد أن أسلمَ فتشهدُ له بالفضلِ والسِّيادةِ ؛ والنُّبلِ والرِّيادةِ .

\* ويأتي ختامُ البابِ موسى مصفى بسيرةِ صفوانِ بنِ أميةِ الذي فتحَ اللهُ عليه عامَ الفتحِ ، وذكرْتُ كيفَ سَعِدَ بالإسلامِ ، ولقيَ الإنعامَ ، من سيِّدِ الأنامِ محمَّدَ عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ .

## البابُ الرَّابِعُ

يحمل عنوان

« رجالٌ من قبائلِ شتَّى »

\* تمَّ الحديثُ من خلالِ هذا البابِ المونقِ عن ثمانية من الصَّحابةِ

البررة ، ممَّن كانت لهم كثيرٌ من الأخبار المشتهرة ، وأعمالٌ بارزة بالفضل  
مزهرة ، في بناء صرح حضارة الإسلام ، وهؤلاء الأعلام : « ثمامة بن أثال ،  
وجريز بن عبد الله ، وخبَّاب بن الأرت ، ودحية بن خليفة ، وسراقة بن  
مالك ، والطَّفيل بن عمرو ، وعمير بن وهب ، ونعيم بن مسعود » ، وقد  
ألقيت الضوء على جوانب حياتهم ؛ ليتعرَّف المحبُّون ما قدَّموه للإسلام على  
الرَّغم من المصائب والمصاعب التي اعترضت طريقهم ؛ فتخطَّوها وهم ثابتون  
على منهج الحق ؛ مهتدون بسنة خير الخلق ﷺ .

\* افتتحت الكلام عن ثمامة بن أثال الحنفي ، البطل الكمي ، والرجل  
الأبي ؛ الذي اجتذبتُه أنوار الإسلام ، ومعاملته سيِّد الأنام ، فغدا من أبطال  
المسلمين ، ومن جنوده الميامين ، وقد استوعبت كتب الحديث المعتمدة قصَّة  
ثمامة ، فساقته مفصَّلة مع الدُّروس المُستفادَة منها .

\* ودلَّفت إلى سيرة جريز بن عبد الله البجلي ، الرجل البهي ؛ الذي  
أسلم في عام الوفود ، وحظي بدعاء مبارك من صاحب الحوض المورود ، كان  
جريز مجاهداً مظفراً وفتح عدداً من البُلدان والأمصار ، وله روايةٌ أحاديث  
منثورة في كتب الحديث والآثار .

\* وتحدَّثت عن خبَّاب بن الأرت المُعلِّم الهمام ، وعن رحلته العظيمة  
مع أنوار الإسلام ، وأبرزت آثاره النبيلة ، وأخباره الجليلة ، كما رسمت صورة  
جهاده وثباته ، وسقت بعض مروياته ، ودللت على الاستفادة من مسيرة  
حياته .

\* وكان الحديث مفيداً عن دحية بن خليفة الكلبي ، فهذا الرجل كان  
يُشبهه بجبريل عليه السلام ، وسيرته غنيةٌ ببدايع الأخبار ، وطاقات الأزهار ، وفيها  
مواقف أرق من نسمات الأسفار .

\* صُعَّت سيرة سراقة بن مالك المدلجي بطريقة تربويَّة ؛ فبسَّطت الكلام  
عن موقفه يوم الهجرة النبويَّة ، وأوضحت جانباً من دلائل التبوَّة في سيرته ،

وكيف رافقته العناية الإلهية إلى آخر حياته ومسيرته .

\* ولم تخلُ قصّة الطفيل بن عمرو الدوسي من فوائد جامعة ؛ وحكم نافعة ، تفيّد كلّ محبّ للصّحابة ؛ ومنها اهتداؤه إلى الحقّ في قصّة إسلامه التي تكسوه ثوباً من المهابة .

\* وتكشّف سيرة عمير بن وهب الجُمحيّ كثيراً من الجوانب المشرقة في مسيرة السيرة النبويّة ، كما أنّها تكشف عن التّربية التّبويّة الهادية لمن جاء يريد الحقّ في أيّ ثوب كان ، فسيرة عمير بن وهب تثري النّفْس بالصفاء والنّقاء ، وفيها عظامٌ وعبرٌ تنفع المحبّين والأصفياء .

\* وختمت الرّحلة في الحديث عن نعيم بن مسعود الأشجعيّ ، وقصّة إسلامه ، وركوبه كلّ صعب في سبيل إعلاء كلمة الله - عزّ وجلّ - ، وبذر الشكّ بين صفوف الأحزاب في غزوة الخندق ، وكيف نتعلّم من سيرته جوانب ناجحة في نصرّة الإسلام ورسول الإسلام .

\* اللهمّ كما صلّيت على سيّد الأنام ، خاتم الأنبياء الكرام ، ألهمنا أن نصلّي عليه على الدّوام ، وارزقنا الاتّباع ، وجتّبنا الابتداع ، واصرف عنا سوء القضا ، وانظر إلينا بعين الرضا ، وانفعنا بسير الصّالحاء ممن مضى .

#### د - مصادِرُ الكتاب وتحليلها :

\* المصادِرُ والمراجِعُ التي استقيتُ منها الكتاب كثيرةُ المنابع ، لم أذكرُ منها في ثبوت المصادِرِ سوى شطرٍ يسيرٍ منها ، وقد أطلعتُ على عددٍ منها ، ثمّ طرحته دون أن أستقيّ منها فائدةً أروي بها الغلّة ، ثمّ أجوبّ واحاتٍ مصادِرٍ آخر ، وأخذُ في البحث والتّقيب حتّى أجد ما يروي الظّمأ ، ويشفي القلب ، ويريح الصّمير ؛ والله درٌّ من أشادَ بجمال الكتب وفائدتها فقال :

جزئ الله عنّا الكتبَ خيراً فإنّها تنمُّ أحاديثَ الحبيبِ بلفظه  
فموقعها أحلى من الماء للذي به ظمأٌ وقتَ الهجيرِ وقبظه  
\* ويحسنُ بنا أن نصنّف أنواع المصادِر التي عدنا إليها في هذا الكتاب ،

ونجدها مقسّمة على بضعة أنواع ؛ لكثرتها وتنوعها ؛ ومنها :

- ١ - القرآن الكريم وتفسيره .
- ٢ - الحديث النبويّ وعلومه .
- ٣ - كتب السيرة والمغازي .
- ٤ - كتب التراجم والطبقات .
- ٥ - كتب التواريخ والبلدان .
- ٦ - كتب الأدب واللغة .

\* وإليك تحليل هذه المصادر بشيء من الإيجاز :

## أولاً

### القرآن الكريم وتفسيره

\* كتابُ الله - عزَّ وجلَّ - هو المصدرُ الأوَّلُ في دنيا المصادر ، إنَّه كلامُ الله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُمْ لَكُنْتُ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فُصِّلَتْ : : ٤١ - ٤٢] .

\* إنَّ مَنْ يحفظُ هذا الكتابَ المبارك ، يجدُ فيه ثناءَ الله تعالى على رجالِ عَصْرِ التَّبَوَّةِ في مواضعٍ كثيرة ، ومن أدلَّة ذلك قولُ الله - عزَّ وجلَّ - : ﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [النور : ٣٧] ، وقوله : ﴿ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ... ﴾ [الأحزاب : ٢٣] ، وقوله : ﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ ... ﴾ [الفتح : ٢٥] ، وقوله : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ ... ﴾ [الفتح : ٢٩] ، وغيرها كثير كثير ... نلاحظُ أيضاً أنَّ القرآنَ العظيمَ أشارَ إلى إخلاص هؤلاء الرِّجال الأفضاد ، ونوّه إلى تمام ولائهم لله - عزَّ وجلَّ - ، ولرسوله ﷺ ، كما صرَّح بكمال إيمانهم ، فقال الله - عزَّ وجلَّ - : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَأُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال : ٧٤] ، وذكر أيضاً

كريمَ خصالهم ، ولطيفَ شمائلهم ، وعظيمَ جهادهم وصبرهم ، وغير ذلك من مكارم .

\* وتأتي كتبُ التفسيرِ الكثيرة ، فتمدنا بمعلوماتٍ ذات قيمة كبيرة عن هؤلاء الرجال الأخيار ، ونستجلي في مقدمة هذه التفسيرات : « تفسير الطبري » ، و« تفسير ابن عطية » ، و« تفسير القرطبي » ، و« زاد المسير » ، و« التفسير المنير » ، وغيرها ، وقد ساقنا هذه الكتب من فضائل الصحابة ما تكتحلُ بقراءته العيون ، ويُسرُّ به المعجبون ، ويستمتع به المستمتعون .

## ثانياً

### الحديث النبوي وعلومه

\* حفل الصَّحيحان وكتبُ الحديث الأخرى بأخبار عصر النبوة ، فاحتفت بشطرٍ من فضائلهم ومناقبهم وجهادهم ، وفصلت في كثير من الأحيان جوانبَ مهمّة من حياة بعضهم قد لا نراها في كتب التراجم والطبقات ؛ ثمّ جاءت شروحُ كتب الحديث ، ورفدت المتعلِّمين بمعينٍ غزيرٍ من المعارف النادرة الدقيقة التي غابت عن المصادر الأخرى .

\* يتصدّر هذه الشُّروح اليانعة الماتعة كتاب : « فتح الباري بشرح صحيح البخاري » لابن حجر العسقلاني ، فقد جوّد وتألّق وتألّق في هذا الشرح الوافي ، وفتح الله عليه فتوحات طيبة ، وأورد فوائد وإضافات قيمة ، جلّت كثيراً من المشكلات ، ودلّت على ينابيع الخيرات .

\* وكذلك جاب النوويّ سماء المعارف ؛ في شرحه المُحكّم الجميل « المنهاج » لصحيح مسلم بن الحجاج ، فقد وُشّي شرحه ببدايع الفوائد ، ومنتور القلائد ، ودلّ على كثير من المحاسن ، وظهرت محبته للصحابة الكرام - رضي الله عنهم أجمعين - .

\* أضف إلى ذلك ما جاء من تحفٍ مفيدةٍ تستخوذ على الإعجاب في « سنن الترمذي » ، كذلك ما جاد به المعبود من عونٍ في « شرح سنن

أبي داود» ، وغير ذلك من شروح في كتب السنن الأخرى ، بالإضافة إلى المعلومات المهمة التي تضمّنتها المسانيد ، وفي مقدمتها : « مسند الإمام أحمد » ، و« مسند أبي يعلى » ، و« مسند الشَّهاب » ، وغيرها ، وكذلك : « معجم الطَّبْرانيِّ الكبير » ، و« صحيح ابن حِبَّان » ، و« مجمع الزَّوائد » للهيتميِّ ، ثمَّ ما جاء من دراساتٍ قديمةٍ وحديثةٍ فيما يتعلَّق بالحديث النبويِّ وعلومه .

## ثالثاً

### كتب السيرة والمغازي

\* تُعدُّ مصادرُ السَّيرة النَّبويَّة ، وكتب المغازي والشَّمائل من الدَّعائم الأساسيّة الثَّابتة في إنشاء هذا البحث ؛ إذ نستخرجُ من كنوزها جواهرَ علميَّة لا يُستهان بها من المعارفِ والأخبارِ والأحداثِ والغزوات في عصر الرِّسالة ، فهي تكشفُ النَّقابَ عن محاسنِ وشمائلِ كثيرٍ من الرِّجال الذين أسلموا منذ مطلع فجرِ أنوار الإسلام ، إلى حين انتقال الصَّادق المصدوق عليه السلام إلى الرِّفيق الأعلى ، وشرحتْ أحوالَ هؤلاء الرِّجال ، وما قدَّموه من جلائل الأعمال ؛ لتكون كلمة الله هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، كما أنَّ هذه الكتب قد أسفرتْ عن كثيرٍ من جُمَان الأدبيَّات المفيدة التي توضَّحُ بعضَ الأحداثِ والأخبارِ ، ومنها ما وردَ عن غزوة بدر ، وأحد ، والخندق ، وحُنين وغيرها من غزوات وسرايا وفتوحات في الشَّرق والغرب .

\* ومن مصادر السَّيرة المهمَّة كتاب : « السَّير والمغازي » لابن إسحاق ، و« السَّيرة النَّبويَّة » لابن هشام ، و« الرِّوض الأُنْف » للشُّهيليِّ ، و« زاد المعاد » لابن قَيِّم الجوزيَّة ، و« سبل الهدى والرِّشاد » للصَّالحيِّ ، و« المغازي » للواقديِّ ، و« المغازي النَّبويَّة » لابن شهاب الرُّهريِّ ، وغيرها من كتب السَّيرة القديمة والمعاصرة ، مع دراساتٍ متنوِّعة عن فقه السَّيرة وصحيحها .

## رابعاً

### كتب التراجم والطبقات

\* ترسمُ هذه المصادرُ للباحث والكاتب صورةً مجلوةً عن الرَّجل الذي يترجم سيرته ، فتذكرُ اسمه ، ونسبه ، وقبيلته ، ثمَّ تتحدَّثُ عن إسلامه ، وتشيرُ إلى مكانته في عالم الرِّواية ، ومضمار العِلْم والفقهِ ، كما تسوقُ طاقةً من أبرز أعماله ؛ وأشهر أقواله ، وأجمل خصاله ، وأكرم خلاله .

\* من هذه المصادر الكثيرة ، كتاب : « الاستيعابُ في معرفة الأصحاب » لابن عبد البرِّ ، و« أسدُ الغابة في معرفة الصَّحابة » لابن الأثير ، و« الإصابةُ في تمييز الصَّحابة » لابن حجر ؛ ومن كُتب الطبقات : « الطبقاتُ الكبرى » لابن سعد ، و« سيرُ أعلام النبلاء » للذهبيِّ ، و« وفيات الأعيان » لابن خلكان ، وغير ذلك من مصادرٍ أخرى في هذا الشأن .

## خامساً

### كتب التواريخ والبلدان

\* اهتمَّت كتبُ التواريخ بتقديم مجموعة من المعلومات الموثَّقة عن الشَّخصية المُترجم لها ؛ وما أحاط بها من أخبار وأحداث ، ومن جوانب سياسيَّة وعسكريَّة وعلميَّة وأدبيَّة ، كما تحدَّدُ الأماكن التي قامت على أرضها المعارك والفتوحات ، وتضبطُها ضبطاً دقيقاً ، وتذكرُ كذلك منازل الصَّحابة في البلدان التي فتحوها ، وتعطي معلوماتٍ في غاية الأهميَّة تمدُّ الباحث بكنوز علميَّة ثري عملُه ، وتغنيه بالمفيد .

\* ومن الكتب المهمَّة في هذا المجال الرَّحب : « تاريخ الطُّبريِّ » ، و« كاملُ ابن الأثير » ، و« بدايةٌ ونهايةٌ ابن كثير » و« تاريخ الإسلام » للذهبيِّ ، و« معجم البلدان » لياقوت الحمويِّ ، وغيرها كثير جداً .



## سادساً

### كتب الأدب واللغة

\* هذه مصادرٌ لطيفةٌ مُغناجٌ غنيّةٌ ؛ فيها إضاءاتٌ تنيرُ طريقَ العملِ ، وتسهمُ في حلِّ بعضِ المفاهيمِ التي غابت عن المصادرِ الأخرى ، وتوشّي الكتابَ بحلّى الأدبِ وجواهره ولآلئه ، وتربّي الملكاتِ اللغويةِ وتصلّقُها ، وتساعدُ على تذوقِ الكلامِ الفصيحِ ، وتدُلُّ على جمالِ المعاني والألفاظِ .

\* وهذه المصادرُ كثيرةٌ جداً لا تُحصَرُ ، ومنها : كتابُ « عيون الأخبار » لابن قتيبة ، و« العقدُ الفريد » لابن عبد ربّه ، و« محاضرات الأدياء » للرّاعب الأصبهانيّ ، و« البيانُ والتبيين » للجاحظ ، و« بهجة المجالس » لابن عبد البرّ ؛ بالإضافة إلى دواوين كثيرة جداً لعدد من الشعراء القدماء والمعاصرين ، كما رجعت إلى مصادرٍ كثيرةٍ متنوعَةٍ أسهمت في تكوين الكتابِ وتوثيقه وتوشيحه وتشيدته .

\* وقبيلَ الختامِ أوّذُ أن أشيرَ إلى أنّي لم أتعاملْ مع المصادرِ حسبَ قدمها الأوّلَ فالأوّلَ ، وإنّما كنتُ آخذُ المصدرَ الذي اهتمّ بأخبارِ الصحابيِّ أكثرَ من مصدرٍ آخر . فمثلاً أجِدُ أنّ ابنَ الأثيرِ ( ت : ٦٣٠ هـ ) في « أسد الغابة » قد استوفى سيرةَ صحابيِّ ما ، أكثرَ من ابنِ سعدِ ( ت : ٢٣٠ هـ ) في « الطبقات الكبرى » ، علماً بأنّ ابنَ سعدٍ سبقُ من ابنِ الأثيرِ بمئاتِ السنينِ .

\* وكذلك كنتُ أتناولُ خبراً جاء في السيرة عند ابن سيّد الناس ( ت : ٧٣٤ هـ ) في كتابه « عيون الأثر » ، أو محمّد بن يوسف الصّالحيّ الشّاميّ ( ت : ٩٢٢ هـ ) في كتابه « سبل الهدى والرّشاد » ، ولا أخذه من ابن هشام الحِميريّ ( ت : ٢١٨ هـ ) في كتابه الشّهير « السيرة النبويّة » ، وهكذا دواليك .

\* ثمّ إنّي ضبطتُ بالشّكلِ : أسماءَ الأعلامِ بعامةٍ ، والبلدانِ ، والأماكنِ ، كذلك ضبطتُ الألفاظَ معظّمها ؛ لئلا يقعَ في الغلطِ مَنْ يريدُ

القراءة ، أو يتردّد في المطالعة متردّد ، لكي يستمرّ القارئ في القراءة دون أن يتعثّر في كلمة واحدة .

\* وتنبّهت إلى بعض الأوهام التي يقع فيها بعض النّاس ، كما تنبّهت إلى بعض الأغاليط التي عانقت قصص بعض الصّحابة ، وأصبح كثير من النّاس يعدّها حقيقة لا نقاش فيها ، ولا جدال في حثياتها ؛ فالإشارة إلى مثل هذه الأمور تفيّد محبّي صحابة رسول الله ﷺ ؛ الذين بذلوا الغالي والتّقيس في سبيل إحقاق الحقّ ، وإتحاف الخلق ، بما تواتر من صحيح عن رسول الله ﷺ .

\* وأحبّ أن أذكر وأذكر بأنّ للعلم حقّاً - على ناقله وكاتبه - أن يضبط ويتقن عند أدائه وتعليمه ونقله ، فنسأل الله - عزّ وجلّ - أن يوفّقنا إلى هذا الأمر المهمّ ، وأن يسدّد أقوالنا وأفعالنا لنكون من المفلحين .

\* وأرجو من القارئ الكريم - الذي أحبّه في الله - إن قرأ واستمتع وانتفع بما في هذا الكتاب ، أن يدعو لي دعوة صالحة بظهر الغيب تعودّ عليه وعليّ بالثّمن والخير الجزيل ، فالله عزّ وجلّ يقول في محكم التّنزيل : ﴿ ادْعُوهُ اسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [ غافر : ٦٠ ] ، فالله عزّ وجلّ يجيب دعوة الدّاعي إذا دعاه .

\* نرجو الله - عزّ وجلّ - أن يغفر لنا زلّاتنا ، ويستّر عوراتنا ، ويدخلنا برحمته في عباده الصّالحين ، فهو أرحم الرّاحمين .

\* ومع أنسام الختام ، أوّد أن أسجّل شكراً للأستاذ الهمام « علي ديب مستو » ( أبو مالك ) صاحب دار ابن كثير العامرة بدمشق الفيحاء ، الذي آلى عليّ نفسه أن ينشر كنوزاً نافعة من الثّراث الإسلامي ، وأن يسهم في رعاية أهل العلم ، وقد لمست من اهتمامه في هذا المضمار ، ما هو فوق الثّناء والامتداح ، فكأنّ بينه وبين العلم وشيعة قربي ، نسأل الله - عزّ وجلّ - أن يزيد من إنعامه عليه ، وأن يرحمه ويرحمنا يوم القدوم عليه .

\* وأشكر كذلك الأستاذ « محمود الجعبري » ( أبو حمزة ) الذي داعبت

أنامله حروف هذا الكتاب وهو ينضده ، حتّى خرج في هذه الحلة القشبية الجميلة اللاتقة ، فجزاه الله خيراً ، وأحسن إليه .

\* والشُّكْرُ ذاتهُ موصولٌ إلى ابني الحبيب « نور الدين جمعة » ( أبو أحمد ) ؛ الذي قرأ مجملَ الكتاب ، وأشار إلى بعض النَّصائِحِ ، وأرشدَ إلى الصَّوابِ ، فجزاهُ اللهُ خَيْرَ الجزاءِ ، وأجزلَ له الثَّوابِ ، وجعله ممَّن يعرفون حقَّ الأصحابِ ، الذين رضي اللهُ عنهم في مُحكم الكتاب .

\* يا ربِّ : ﴿ أَنْتَ وَلِيْنَا فَأَغْفِرْ لَنَا وَأَرْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَفِرِينَ ﴾ [ الأعراف : ١٥٥ ] .

\* اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لخير العملِ ، واعصم ألسنتنا من الزَّلَلِ .

\* اللَّهُمَّ أَنْتَ وَلِيْنَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، تَوْفَّقْنَا مُسْلِمِينَ ، وَالْحَقْنَا بِالصَّالِحِينَ .

\* اللَّهُمَّ اجْعَلْ آخِرَ كَلَامِنَا : « لا إله إلا اللهُ ، محمدٌ رسولُ اللهِ » .

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [ البقرة : ٢٨٦ ]

وكتب  
خادمُ الصَّحابةِ ومحِبُّهم  
أحمد خليل جمعة

دمشق - حرستا - حي الشيخ موسى  
١ محرم ١٤٢٩ هـ  
٩ كانون ثاني ٢٠٠٨ م



رقع  
عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس  
www.moswarat.com

## البَابُ الأوَّل

# رجالُ سابقون من المهاجرين

- \* أبو حذيفة بن عتبة رضي الله عنه .
- \* زيد بن الخطاب رضي الله عنه .
- \* عتبة بن غزوان رضي الله عنه .
- \* عثمان بن مظعون رضي الله عنه .
- \* مصعب بن عمير رضي الله عنه .
- \* نعيم بن عبد الله رضي الله عنه .

رَفَعُ  
عبد الرحمن البخاري  
أسكنم الله الفردوس  
[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

## أبو حذيفة بن عتبة

رضي الله عنه

- \* من السابقين الأولين ؛ ومن أصحاب الهجرتين ؛ وصلّى القبلتين .
- \* كان من فرسان الإسلام ؛ وله شأنٌ عظيمٌ في المنازي .
- \* استشهد باليمامة وهو ينادي : « يا أهل القرآن زينوا القرآن بالفعال » .

رَفَعُ  
عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس  
[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)



## أبو حذيفة بن عتبة رضي الله عنه

مع أنداء السابقين :

\* كان أبوه من سادات قريش وأشرافها ، وذوي أحكامها ، وكان يُقال له : « السَّيِّدُ الْمُمْلِقُ » ، وكان أُمِّيَّةً بنُ أَبِي الصَّلْتِ يتوهمُّ أَنَّهُ يكون نبيِّ هذه الأُمَّة ، فلمَّا جاء الإسلامُ أدبرَ رأيه هو وأخوه وابنه ، وكانوا أوَّلَ المقتولين من المشركين يومَ بدرِ على الرَّغمِ من أَنَّهُم ذُوو حَسَبٍ تليد ، وباع في المجد طويلٍ مديد .

\* إذن فمن الابنِ الكريمِ الذي نحفلُ به في هذه الطَّاقة المزهرة المعطار ؛ من رجالِ عَصْرِ التُّبُوَّةِ الأطهار ؟ ! ومَنْ هو هذا الابن الذي يُعدُّ من أبناء ذِرْوَةِ الشَّرْفِ والمكانة في المجتمعات القرشيَّة ، التي تألقت وبسقت في دنيا الجزيرة العربيَّة ؟ !

\* ناوي إلى ركنِ المعرفة عند « الدَّهَبِيِّ » في سِيرِ نُبُلَائِهِ ، لنجلو هُوِيَّةَ هذا الصَّحابي ونستجليها ، ثمَّ نقرأ في بدايتها : « السَّيِّدُ الكَبِيرُ ، الشَّهِيدُ أبو حذيفة ابنُ شيخِ الجاهليَّةِ عتبة بنِ ربيعة بنِ عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب القرشيِّ العَبْشَمِيِّ البدرِيِّ » (١) .

---

(١) « سير أعلام النبلاء » ( ١ / ١٦٤ - ١٦٧ ) ، وانظر ترجمة سيِّدنا أبي حذيفة في : « المعارف » ( ص : ٢٧٢ ) ، و « المغازي » الفهارس ( ٣ / ١١٥٧ ) ، و « التبيين » ( ص : ١٨٦ ) ، و « الإصابة » ( ٤ / ٤٣ ) ، و « الاستيعاب » =

\* اتَّفقتِ المصادرُ على اختلافِ مشاربها وينايعها بأنَّه من السَّابقين إلى دوحَةِ الإسلام ، ومن المهاجرين إلى الحبشة ، وإلى المدينة المنورة ، ونعتته كتبُ التَّراجم بقولها : « أسلم أبو حذيفة قبل دخول سيِّدنا رسول الله ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي يدعو فيها إلى الله - عزَّ وجلَّ - ، وهو من مهاجرة الحبشة في الهجرتين جميعاً ، ومع امرأته سهيلة بنتُ سهيل بن عمرو العامريَّة - رضي الله عنهم أجمعين - » (١) .

\* اختلفتِ المصادرُ فيما بينها على اسمه ، فقالت : « اسمه : هُشيم ، أو : مقسم ، أو : هاشم ، أو : مُهشَّم ، أو : قيس ، أو : حسل » (٢) .  
ولكنَّها أجمعتُ بأنَّ أبا حذيفة اشتهر بكنيته ، كما أجمعتُ بأنَّه كان من السُّبِق الأوائل إلى الإسلام ، وهاجر الهجرتين ، وصلى إلى القبليتين ، وأنَّه أسلم بعد ثلاثة وأربعين رجلاً .

\* أوجز ابنُ عبد البرِّ ما فضَّلنا القولَ فيه فقال : « أبو حذيفة بن عتبة العبشمي القرشي ، كان من فضلاء الصَّحابة ، من المهاجرين الأوَّلين ، جمع الله له الشرف والفضل ، صلى القبليتين ، وهاجر الهجرتين جميعاً ، وكان إسلامه قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم ، للدُّعاء فيها إلى الإسلام » (٣) .

(٤ / ٣٩ - ٤٠) ، و« الاشتقاق » (ص : ٨٢) ، و« أسد الغابة » =

(٥ / ٧٠ - ٧٢) ترجمة رقم : (٥٧٩٩) ، و« المستدرک » (٣ / ٢٤٧ - ٢٤٩) ،

و« تهذيب الأسماء واللغات » (٢ / ٢١٢) ، و« طبقات ابن سعد »

(٣ / ٨٤ - ٨٥) ، وغيرها كثير جداً ممَّا لا يحصى .

(١) « تهذيب الأسماء واللغات » (٢ / ٢١٢) ، و« أسد الغابة » (٥ / ٧٠ - ٧١) ،

و« طبقات ابن سعد » (٣ / ٨٤) ، وغيرها .

(٢) « الإصابة » (٤ / ٤٣) ، و« أسد الغابة » (٥ / ٧١) ، و« تهذيب الأسماء

واللغات » (٢ / ٢١٢) ، و« المستدرک » (٣ / ٢٤٨) .

(٣) « الاستيعاب » (٤ / ٣٩) ، وانظر : « التبيين » (ص : ١٨٦ - ١٨٧) ، =

\* وَسَبَقُ أَبِي حذيفة <sup>(١)</sup> ، وهجرته إلى الحبشة مرتين ، وإلى المدينة المنورة ، هاتان الصفتان تجعلانه من الخيار الأخيار ، أضف إلى ذلك أنه قرشي من أهل بَدْرِ المغفور لهم من العزيز الغفار ، يدلُّ عليه قولُ النَّبِيِّ المختار ﷺ : « ... لعلَّ اللهَ أَطَّلَعَ على أهلِ بَدْرِ فقال : اعملوا ما شئتم ، فقد غفرتُ لكم » <sup>(٢)</sup> . فأكرمَ بمن غفر الله لهم ! :

فَلْيُضَنِّعِ الرَّكْبُ مَا شَاؤُوا بِأَنْفُسِهِمْ      هم أهلُ بَدْرِ فلا يَخْشَوْنَ مِنْ حَرَجِ  
وَأُنشِدِ الرَّيَاشِي لِرَجُلٍ مِنْ قَرِيشٍ :

أَيَا سَائِلِي عَنْ خِيَارِ الْعِبَادِ      صَادَقْتَ ذَا الْعِلْمِ وَالْخُبْرَةِ  
خِيَارُ الْعِبَادِ جَمِيعاً قَرِيشٌ      وَخَيْرُ قَرِيشٍ ذُوو الْهَجْرَةِ  
مَكَانَةُ أَبِي حذيفة :

\* أسلم أبو حذيفة إسلامَ الأصفياء ؛ وكان في ريعان الشَّبابِ حولِ الثَّلاثين من عمره ، لم يدفعهُ إلى الإسلامِ رغبةٌ من رغائب الدُّنيا ، فهو واحدٌ من أبناء ذروة الشَّرَفِ والمكانة في قريش ، دلفَ إلى الإسلامِ في مشرقِ فجره ،

= « المستدرک » ( ٣ / ٢٤٧ ) .

- (١) كشف ابنُ دريدِ الحجاب في « الاشتقاق » عن شيءٍ من سيرة سيِّدنا أبي حذيفة واشتقاق اسمه ، فكان ممَّا قال : « أبو حذيفة بنُ عتبة ، شهد بدرًا مُسلمًا ، وقُتِلَ يومَ اليمامة . و« حذيفة » : تصغيرُ حَذْفَةٍ ، واشتقاقه من هذا ؛ والحذفُ : ضَرْبٌ من شَاءِ الحجازِ صِغارِ الجرومِ ، وفي الحديث : « تخلَّلكم الشَّيَاطِينُ كأنَّها بناتُ حذْفٍ » . أو يكون تصغيرُ حَذْفَةٍ من قولهم : حذفتُ لك حذفةً من لحم ؛ أي : حذَّةً وحرَّةً . وأعطيتُه حذفةً من أديم ؛ أي : بعض أطرافه . وكذلك الحُدَافَةُ أيضاً ، وهو اسم . وحذفت الأرنب بالعصا ، إذا رميتها بها ، ومن أمثالهم : « فلان بين حاذفٍ وقاذفٍ » إذا وقع بين أمرين مكروهين . « الاشتقاق » ( ص : ٨٢ ) بتصرُّفٍ يسير .
- (٢) قطعة من حديث أخرجه مسلم برقم : ( ٢٤٩٤ ) ؛ كما أخرجه البخاري في « صحيحه » ؛ وغيره من أئمة أهل الحديث والعلم .

لا يريدُ سوى وجهِ الله - عزَّ وجلَّ - ومرضاته ، ومرضاةِ رسوله ﷺ .

\* وعلى الرِّغم من سيادة أبيه عتبة ، ومكانته الكُبرى في قريش ، فإنَّ أبا حذيفةَ وأمثاله من السَّابقين كانوا يعيشون حياةَ البلاء والاضطهاد داخلَ بيوتهم وخارجها ، ويؤذون فوق أرضِ مكَّة وبطحائها ، يتجرَّعون مرارةَ الصَّبر ، ويتوقَّعون البلاء في كلِّ لحظة ، ويتدربون العذابَ يُصبُّ عليهم من كلِّ جانب ، وقد تفنَّن المشركون في إظهار الأذى لهؤلاء تفنُّناً عجيباً ، ثبتَ أمامه المسلمون ثبات الرِّواسي الأعلام .

\* كان أبو حذيفة ثابتَ الأساس في إيمانه ، أسلم قبل أن يدخلَ رسولُ الله ﷺ الدَّار الأرقميَّة مستسراً بدعوته ، متخفياً بأصحابه عن طواغيت الشُّرك وفجَّارهم الذين كان عتبةُ بنُ ربيعة في طليعتهم ، ويشدُّ أزره أخوه شيبَةُ بنُ ربيعة ، وابنه الوليدُ ، وعددٌ من كُبراء بني عبد شمس ممَّن لم تنفُذ أنوار الإسلام إلى قلوبهم القاسية ، وعقولهم المتحجَّرة .

\* ومن خلال قراءة السِّيرة النَّبويَّة ؛ عرفنا أنَّ عتبةَ بنَ ربيعة واحدٌ ممَّن عارض الدَّعوة النَّبويَّة ، وحاول أن يسدَّ منافذ الثُّور عن قلوب أولاده وأعينهم وبصائرهم ، بل كان يصدُّ عن سبيل الله - عزَّ وجلَّ - بكلِّ سبيل ، ولكن لم يصلُ في الصِّفاقة لدرجة أبي جهلٍ ، وعقبه بنِ أبي معيط ، وغيرهما من لئام المشركين وفجرتهم وأخابثهم ، وإنَّما كان يسلكُ طريقَ الحوار والمفاوضات وتبادل الآراء مع النَّبيِّ ﷺ ، لذلك رضيتُه قريشُ سفيرها النَّاطق بآرائها في محاوره النَّبيِّ ﷺ ليثنيه عن دعوته إلى الله - عزَّ وجلَّ - ، ويرعِّبه في المُلْك والجاه قائلاً له : « يا بن أخي . . . إنَّك قد أتيت قومك بأمرٍ عظيم ؛ فرَّقت جماعتهم ، وسفَّهت به أحلامهم ، وعبتَ به آلهتهم ودينهم ، وكفَّرت به من مضي من آبائهم ، فاسمع منِّي حتَّى أعرض عليك أموراً تنظرُ فيها ، لعلَّك تقبلُ منها بعضُها . فقال له الصَّادقُ المصدوقُ ﷺ : « يا أبا الوليد أسمع » . قال : يا بن أخي ، إن كنتَ إنَّما تريدُ بما جئتُ به من هذا الأمر مالا ، جمعنا لك من أموالنا حتَّى تكونَ أكثرنا مالا ، وإن كنتَ تريدُ به شرفاً سوَدناك علينا

حَتَّى لَا نَقْطَعُ أَمْرًا دُونَكَ ، وَإِنْ كُنْتَ تَرِيدُ بِهِ مُلْكًا مَلَكَكَ عَلَيْنَا ، وَإِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي يَأْتِيكَ رِيئًا تَرَاهُ ، لَا تَسْتَطِيعُ رَدَّهُ عَنْ نَفْسِكَ ، طَلَبْنَا لَكَ الطَّبَّ ، وَبَدَلْنَا فِيهِ أَمْوَالَنَا حَتَّى نَبْرُثَكَ مِنْهُ ، فَإِنَّهُ رَبَّمَا غَلَبَ التَّابِعَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يَتَدَاوَى مِنْهُ « (١) » .

\* سَمِعَ الْحَبِيبُ الْمُصْطَفَى ﷺ مِنْ عْتَبَةَ وَأَسْمَعَةَ ، ثُمَّ أَعَادَهُ إِلَى مَلَأِ قَرِيشٍ إِعَادَةً عَجِيبَةً وَصَحِيحَةً ، أَعَادَهُ بِوَجْهِ غَيْرِ وَجْهِهِ الَّذِي أَتَى بِهِ إِلَيْهِ مِنْ عِنْدِهِمْ بِاعْتِرَافِ الْمَلَأِ الْقُرَشِيِّ أَجْمَعِ ، فَهُوَ قَدْ ذَهَبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِوَجْهِ الْمَغْرُورِ ، الْمُتَعَالِمِ ، الْمُتَعَاوِلِ ، الَّذِي يَبْرُمُ وَيَقْتُلُ بِرِقَّةٍ مُصْطَنَعَةٍ ، وَعَرَضَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِمَاقَاتٍ يَحْبُبُهَا الْجَاهِلُونَ ، وَيَرْضَى بِهَا أَصْحَابُ الْعُقُولِ الْمَنْفُوشَةِ ؛ وَالْمَدَارِكِ الْخَاوِيَةِ ، بِيَدِ أَنْ رَدَّ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ ﷺ عَلَى عْتَبَةَ كَانَ رَدًّا جَمِيلًا أَخْرَجَهُ مِنْ غُرُورِهِ وَفَتُونِهِ وَطَغْيَانِهِ ، فَقَدْ قَرَأَ عَلَيْهِ آيَاتٍ مِنْ نُورِ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - عَلَيْهِ لِيُخْرِجَهُمْ وَيُخْرِجَ الْحَيَاةَ كُلَّهَا مَعَهُمْ مِنْ ظُلْمَاتٍ تَغْلَفُ الْعُقُولَ وَالْحَيَاةَ ؛ إِلَى نُورٍ يَكْتَسِحُ الظُّلْمَاتِ ، وَيَجْعَلُ الْحَيَاةَ فَاضِلَةً كَرِيمَةً لَهَا مَعْنَاهَا فِي ظِلَالِ الْهَدْيِ الْإِلَهِيِّ ، وَفِي فِيءِ عِبَادَتِهِ جَلٌّ وَعِلَاءٌ .

\* كَانَ أَبُو حَذِيفَةَ يَرَى هَذِهِ الْأُمُورَ كُلَّهَا ، وَيَدْرِكُ بِبَصِيرَتِهِ ظُلْمَ أَبِيهِ وَقَوْمِهِ لِمَرِيئِهِ وَمُعَلِّمِهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَرَأَى أذْيَةَ الْمُشْرِكِينَ لِلْمُؤْمِنِينَ ، وَمَا كَانُوا يَعَامِلُونَهُمْ مِنَ الضَّرْبِ الشَّدِيدِ ، وَالْإِهَانَةِ الْبَالِغَةِ ، حَتَّى بَرَقَتْ فُرْجَةٌ أَمَلٍ حِينَمَا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا يَصِيبُ أَصْحَابَهُ مِنَ الْبَلَاءِ ، فَقَالَ لَهُمْ : « لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ ، فَإِنَّ بِهَا مُلْكًا لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ ، وَهِيَ أَرْضٌ صَدَقَ ، حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فَرَجًا مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ » .

\* سَمِعَ أَبُو حَذِيفَةَ التَّوْجِيَةَ النَّبَوِيَّةَ بِالْهَجْرَةِ ، فَهَاجَرَ فِي الْهَجْرَةِ الْأُولَى إِلَى الْحَبَشَةِ وَمَعَهُ امْرَأَتُهُ سَهْلَةُ بِنْتُ سُهَيْلٍ ، ثُمَّ هَاجَرَ الْهَجْرَةَ الثَّانِيَةَ مَعَ زَمْرَةٍ

(١) انظر : « البداية والنهاية » ( ٣ / ٦٣ ) .

المهاجرين<sup>(١)</sup> ، ثم عاد إلى مكة ، ومن ثم هاجر إلى المدينة مع جميع المسلمين ؛ ونعم هناك بالمعينة النبوية ؛ والأنوار المحمدية .

### أبو حذيفة بين رجال الإسلام :

\* انطوت المرحلة المكيّة ، والهجرة الحبشيّة ، واستقرّ أبو حذيفة - رضي الله عنه - بمكة المكرمة ملازماً للنبي ﷺ على شظف العيش ، وقسوة الحياة ، وظلّ ثابت العقيدة على التوحيد وعلى الدعوة إلى الله - عزّ وجلّ - ، وخلع الشركاء والأنداد بشدائدها وأزماتها وقسوتها ، وثبت مع الصّابرين على اضطهاد قريش ، وفنون تعذيباتها وبلاياها التي تصبها على المؤمنين ، وعلى كلّ مؤمن أتبع الهدي النبويّ ، وإن كان من كبراء القوم ، وعُليا بيوتاتهم .

\* وعلى الرّغم من هذا الجو الممضّ الخانق ، فإنّ سيّدنا أبا حذيفة - رضي الله عنه - ظلّ راسخ الإيمان ، قويّ العزيمة ، نقّي السريرة ، حتّى هاجر إلى المدينة المنورة فيمن هاجر إليها من رجال عصر النّبوة ، ونزل هو ومولاه سالم على عبّاد بن بشر<sup>(٢)</sup> ، ولمّا كانت المؤاخاة ، آخى رسول الله ﷺ بين أبي حذيفة ، وبين عبّاد بن بشر - رضي الله عنهما وأرضاهما<sup>(٣)</sup> .

\* في المدينة المنورة تبوّأ سيّدنا أبو حذيفة منزلةً سامقةً بين الصّحابة

---

(١) انظر هذا في : « البداية والنهاية » ( ٣ / ٦٦ - ٦٨ ) وغير ذلك من مصادر السيرة النبوية العطرة .

(٢) اقرأ سيرة الصّحابي الجليل والبطل المتألّق عبّاد بن بشر الأنصاريّ في الباب الثّاني من موسوعتنا « فرسان من عصر النّبوة » ( ص : ٥٩٨ - ٦١٣ ) ، ففي سيرته أنس الرّوح ، وروح الأنس .

(٣) انظر في هذا الأمر : « طبقات ابن سعد » ( ٣ / ٨٥ ) .

الأعلام ، وكانت له مكانةٌ لائقةٌ عند الحبيب الأعظم ﷺ ، وكان محلَّ الثقة في كثيرٍ من المهام الحربية ، فقد كان أبو حذيفة - رضي الله عنه - أحدَ أفراد سرية حمزة بن عبد المطلب - رضي الله عنه - إلى سيف البحر<sup>(١)</sup> ، كما كان من أفراد سرية عبد الله بن جحش<sup>(٢)</sup> - رضي الله عنه - إلى نخلة<sup>(٣)</sup> ، وخرج بعد بدر مع سرية أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي<sup>(٤)</sup> - رضي الله عنه - إلى بني أسد<sup>(٥)</sup> .

\* وشهد سيّدنا أبو حذيفة - رضي الله عنه - المشاهد كُلِّها مع رسول الله ﷺ ، وكانت غزوة بدر أوّل مشاهده وأعظمها ، وكان فيها جندياً مخلصاً من جنود الرّحمن أهل الفضل ، وذوي السّابقة الذين رضوا بالإسلام ديناً ، ومزّقوا حُجَبَ الجاهليّة ، وموارثها العمياء ، وصبروا على لأواء المحن ، واعتصموا بحبل الله ، حتّى أدال الله - عزّ وجلّ - لهم طغاة الشّرك ، وطواغيت الكفر ، فنصرهم الله - عزّ وجلّ - في أوّل معركة بين أولياء الرّحمن ، وأتباع الشّيطان ، وقُتل فيها أشراف قريش وصناديدهم ، وأسِرَ فيها كبرائهم ، وأسلمَ الباقون أرجلهم إلى الفرار ونجوا بنفوسهم ؛ وقلوبهم تخفقُ وجلاً وخيفةً من الهزيمة ، وكان عتبة بن ربيعة والد أبي حذيفة من أوائل

(١) انظر تفصيل ذلك في : « المغازي » للواقدي ( ١ / ٩ ) .

(٢) اقرأ سيرة الصّحابي الجليل عبد الله بن جحش - رضي الله عنه - في كتابنا : « رجال مبشّرون بالجنّة » ( ص : ٢٦٢ - ٢٨٠ ) ؛ إذ إنّ سيرته تصقل النفوس وتهذبها ، والكتاب مطبوعٌ بدمشق - دار ابن كثير - ط : ٥ - ٢٠٠٣ م .

(٣) « المغازي » ( ١ / ١٩ ) ، و « رجال مبشّرون بالجنّة » ( ص : ٢٧٠ ) .

(٤) اقرأ سيرة الصّحابي البطل الشّجاع المقدم أبي سلمة المخزومي في الباب الأوّل من موسوعتنا « فرسان من عصر النّبوة » ( ص : ٤٣٥ - ٤٤٧ ) ، ففي سيرته زاد لمحبي الشّجاعة والإقدام ومحبي الوفاء .

(٥) « المغازي » ( ١ / ٣٤٥ ) .

المُجَنِّدِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، وَجُنْدِلَ إِلَى جَانِبِهِ أَخُوهُ شَيْبَةُ بْنُ عْتَبَةَ ، وَوَلَدَهُ الْوَلِيدُ فِي الْمُبَارِزَةِ الَّتِي حَصَدَهُمْ فِيهَا أَسَادُ اللَّهِ وَأَبْطَالُ الْمُسْلِمِينَ : حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ <sup>(١)</sup> ، وَعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ <sup>(٢)</sup> ، وَعَبِيدَةُ بْنُ الْحَارِثِ الْهَاشِمِيُّونَ الْأَبْرَارُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ - .

\* فِي بَدَايَةِ هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ الْفَاصِلَةِ كَانَ لِسَيِّدِنَا أَبِي حَذِيفَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مَوْقِفٌ يَقَطُرُ بِالْجَمَالِ وَالرَّوَاءِ وَالْإِخْلَاصِ الْكَامِلِ لِلَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَلِلرَّسُولِ ﷺ ، وَهَذَا الْمَوْقِفُ لَا يَثْبُتُ أَمَامَهُ إِلَّا الرَّجَالُ الْأَصْفِيَاءُ الْأَقْوِيَاءُ الَّذِينَ يَخْتَصُّهُمْ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - بِشَمَائِلَ كَرِيمَةٍ ، وَمَحَاسِنَ فَرِيدَةٍ ، لِيَكُونُوا قُدُورَةً لِمَنْ خَلَفَهُمْ مِنَ النَّاسِ فِي جَمِيعِ الْأَزْمَانِ وَالْأَعْصَارِ .

\* قَدَّمَ الْوَاقِدِيُّ فِي « مَغَازِيهِ » صُورَةً مُتَأَلِّقَةً لِلْمَوْقِفِ الْفَرِيدِ الَّذِي قَامَ بِهِ أَبُو حَذِيفَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَوْمَ بَدْرٍ فَقَالَ : « وَكَانَ عْتَبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ حِينَ دَعَا إِلَى الْبَرَازِ ، قَامَ إِلَيْهِ ابْنُهُ أَبُو حَذِيفَةَ يَبَارِزُهُ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « اجْلِسْ » . فَلَمَّا قَامَ إِلَيْهِ النَّفْرُ أَعَانَ أَبُو حَذِيفَةَ بْنُ عْتَبَةَ عَلَى أَبِيهِ بِضَرْبَةٍ » <sup>(٣)</sup> .

\* وَذَكَرَ ابْنُ الْأَثِيرِ ، وَابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ ، وَغَيْرُهُمَا : أَنَّ أَبَا حَذِيفَةَ قَدْ دُعِيَ إِلَى بَرَازِ أَبِيهِ يَوْمَ بَدْرٍ ، فَمَنْعَهُ الْحَبِيبُ الْمُسْتَفَى ﷺ ، فَبَلَغَ أُخْتَهُ هِنْدَ بِنْتَ عْتَبَةَ ذَلِكَ ، فَهَجَّتْهُ بَيْتَيْنِ مِنَ الشُّعْرِ لَمْ تَصُدُقْ فِيهِمَا الْوَصْفَ ، فَقَالَتْ :

فَمَا شَكَرْتَ أَبَا رَبِّكَ مِنْ صَغِيرٍ حَتَّى شَبِيتَ شَبَاباً غَيْرَ مُحْجُونَ

(١) اقرأ سيرة سيِّدنا حمزة بن عبد المطلب - رضي الله عنه - في الباب الأوَّل من موسوعتنا اللطيفة : « رجال أهل البيت في ضوء القرآن والحديث » ( ص : ٤٣ - ١٢١ ) فسيرته إمتاع للأسماع .

(٢) اقرأ سيرة سيِّدنا عليّ - رضي الله عنه - في الباب الثَّانِي من كتابنا : « رجال أهل البيت في ضوء القرآن والحديث » ( ص : ٢٧٩ - ٥٠٧ ) فسيرته تحفة علمية لمن يحبُّ أهل البيت أجمعين .

(٣) « المغازي » ( ١ / ٧٠ ) .



الأحول الأثعل المشؤوم طائرُهُ أبو حذيفة شَرُّ النَّاسِ فِي الدِّينِ (١)

\* وكتب ابن الأثير عقب هذين البيتين ما صورته : « كذبت ! بل كان من خير النَّاسِ في الدِّينِ - رضي الله عنه - » ، أمَّا ابنُ عبد البرِّ فأفادَ بهذه الكلمات : « بل كان من خير النَّاسِ في الدِّينِ ، وكانت هي إذ قالت هذا الشَّعر من شرِّ النَّاسِ في الدِّينِ » .

\* ونحنُ نقول : « لقد هدئ اللهُ - عزَّ وجلَّ - السيِّدةَ النَّجبيةَ هندَ بنتَ عتبة للإسلام ، وفتح على قلبها وبصيرتها يوم فتح مكَّة المكرَّمة ، فأسلمت وحسُنَ إسلامها ، وكانت من المبايعات المهديات اللواتي لهنَّ في تاريخ نساء الإسلام نصيبٌ ، وقصَّتها في بيعة النَّساء مشهورة متعالمة عند الخاص والعام ، وأخبارها مشهورةٌ ، وأحوالها مذكورةٌ - رضي الله عنها » (٢) .

\* لقد كان موقفُ سيِّدنا أبي حذيفة - رضي الله عنه - يُوزنُ بميزانِ الصِّدقِ والإخلاصِ ، وهو يرى أباهُ وأخاهُ وعمَّهُ صرعى كأنَّهم أعجاز نخلٍ خاوية ، رآهم فوقَّ صعيد بدرٍ مع أكابر المجرمين ، ورسول الله ﷺ يخاطبهم بعد أن عدَّد أسماءهم : « . . . هل وجدتم ما وعدكم ربُّكم حقاً ، فقد وجدت ما وعدني ربِّي حقاً ؟ » .

\* قال ابنُ إسحاق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « فبلغني أنَّ رسولَ الله ﷺ نظرَ عند مقالته هذه في وجه أبي حذيفة بن عتبة - رضي الله عنه - ، فرأه كئيباً قد تغيَّر ، فقال رسولُ الله ﷺ : « لعلَّكَ دخلَكَ من شأن أبيك شيءٌ ؟ » .

(١) « أسد الغابة » ( ٥ / ٧١ ) ، و« الاستيعاب » ( ٤ / ٤٠ ) ، و« طبقات ابن سعد »

( ٣ / ٨٥ ) ، و« المستدرک » ( ٣ / ٢٤٧ ) ، و« سير أعلام النبلاء »

( ١ / ١٦٦ ) . وقولها : « الأثعل » : مرادف الأسنان . و« محجون » : معوج .

(٢) للمزيد من أخبار السيِّدة الحصيِّفة هند بنت عتبة اقرأ كتابنا : « بيعة النَّساء في القرآن والسِّيرة » ترجمة هند ( ص : ٢٢٠ - ٢٣١ ) تجد فوائد حسان ، ومفاهيم ينبغي أن تصحَّح .

قال : لا ، والله ما شككتُ في أبي ولا مصرعه ، ولكنني كنتُ أعرفُ من أبي رأياً وحلماً وفضلاً ، فكنتُ أرجو أن يقربهُ ذلك إلى الإسلام ، فلمَّا رأيتُ ما أصابه ، ذكرتُ ما ماتَ عليه من الكفرِ بعد الذي كنتُ أرجو له ، أحزَنني ذلك . فدعا رسولُ الله ﷺ لأبي حذيفةَ بخير وقال له خيراً « (١) .

\* أزفَ الوقتُ الآنَ كي نستظلَّ تحت ظلالِ هذه الدَّوحة الأدبية الوارفة ، لنرى موقفَ هذا الصَّحابيِّ النَّبيلِ إزاء مقتل أبيه ، وكيف دَعَا له رسولُ الله ﷺ بالخير :

قد كان عُتبةُ أوَّلَ القَتلى من المتقدِّمين  
يومَ المبارزةِ الشَّهيرة من صُنوف الكافرين  
قد كان من خيرِ الرِّجالِ المشركين المصلحين  
وأبو حذيفةَ ابنُه في المسلمين السابقين  
لمَّا رأى لأبيه بين المُشركين الهالكين  
ورآه ألقى في القليبِ وجُرمَ مثلَ الآخرين  
علتِ الكآبةُ وجهَهُ حُزناً رأى ذاك الأيمن  
سألَ الرَّسولُ أبا حذيفةَ في هدوءِ المُستبين  
هل أنتَ في شكِّ لقتلِ أبيك بين المشركين  
فأجابَ كلاً يا رسولَ الله إنني في يقين  
لكِنَّه قد كان ذا عقلٍ وفضلٍ العارفين  
قد ساءني ما ناله إذ صار بينَ المُجرمين  
قد كنتُ أرجو أن ينالَ الفضلَ بين المسلمين  
لمَّا رأيتُ مماتَه في الكفرِ صرْتُ أنا الحزين

(١) « أسد الغابة » ( ٥ / ٧١ - ٧٢ ) ، وانظر : « السيرة النَّبوية الصَّحيحة » لإبراهيم العلي ( ص : ٢٥١ - ٢٥٢ ) ، والحديث أخرجه الحاكم في « المستدرک » ( ٣ / ٢٤٩ ) ، وقال : « صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه » .

## فدعاه الهادي بخير والهدى في المهتدين<sup>(١)</sup>

\* إِنَّ الإِيمَانَ فِي مَنَهِجِ الإِسْلَامِ لَا يَمِيتُ المَشَاعِرَ البَشَرِيَّةَ ، وَلِلكِنَّهَ يَجْعَلُهَا تَحَلَّقُ عَالِيًا فِي سَمَاءِ الفَضَائِلِ ، وَمَنْ سَنَا هَذِهِ المَشَاعِرَ ، نَقْتَسِبُ مِمَّا قَبَسَتْهُ الرِّيشَةُ العَرَجُونِيَّةُ المَتَأَلِّقَةُ البَارِعَةَ الَّتِي تَقُولُ : « هَذِهِ فَرِيدَةٌ مِنْ فَرَائِدِ بَدْرِ تَمَثَّلُ قُوَّةَ التَّجَادِبِ بَيْنَ الإِيمَانِ فِي ذِرْوَةِ اليَقِينِ ، وَالعَاطِفَةِ البَشَرِيَّةِ فِي قَمَّةِ الوَفَاءِ البَنَوِيِّ ، وَقَدْ ارْتَفَعَ فِيهَا الإِيمَانُ إِلَى مَجَالَاتِهِ مِنَ السُّمُوِّ وَالرُّسُوخِ ، فَكَانَ فِي يَقِينِهِ ظِلَّةٌ أَظَلَّتْ هَذَا المَوْمِنَ التَّقِيَّ فَحَمَتُهُ مِنْ هَرَاتِ المَشَاعِرِ العَاطِفِيَّةِ ، وَمَضَى مَعَ إِيْمَانِهِ إِلَى مَنَازِلِ الشُّهَدَاءِ ؛ لِأَنَّ الإِيمَانَ فِي مَنَهِجِ رِسَالَةِ الخُلُودِ لَا يَمِيتُ المَشَاعِرَ البَشَرِيَّةَ ، وَلِلكِنَّهَ يَهْدِبُهَا ، فَيَحْوِلُهَا مِنْ عَصَبِيَّةِ جَاهِلِيَّةٍ إِلَى وَفَاءٍ لَا يَنْكُرُهُ المَنَهِجُ فِي تَطْبِيقِهِ العَمَلِيِّ ، فَإِيمَانُ أَبِي حذِيفَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - إِيْمَانٌ لَا تَهْرُهُ زَلَزَلُ الأَحْدَاثِ ، فَهُوَ إِذْ يَرَى أبَاهُ يُقْتَلُ فِي أَشْرَافِ قَرِيشِ كَافِرًا ، وَيُلْقَى مَعَهُمْ فِي قَلْبِ بَدْرِ ، يَأْخُذُهُ أَسْفُ العَاطِفَةِ البَشَرِيَّةِ وَفَاءً لِهَذَا الأبِ ؛ وَيَظَلُّ أَبُو حذِيفَةَ مُزْمَلًا بِإِيْمَانِهِ الرَّاسِخِ رَسُوخَ الأَطْوَادِ الشَّامِخَاتِ ، فَلَا يَزِيدُ عَلَيَّ أَنْ يَعْرِوهَ الاكْتِتَابُ عَلَيَّ مَا فَاتَ أبَاهُ مِنْ خَيْرٍ كَانَ يَرْجُوهُ لَهُ بِالهِدَايَةِ إِلَى الإِسْلَامِ . هَذَا مَوْقِفٌ مِنَ المَوَاقِفِ الأَزْمَةِ الَّتِي يَعْتَلِي الإِيْمَانُ صِهْوَتَهَا ؛ لِتَكُونَ سَطْرًا مِنْ أَسْطَرِ مَنَهِجِ الرِّسَالَةِ فِي التَّطْبِيقِ الَّذِي لَا يَلْوِي عُنُقَ الطَّبِيعَةِ البَشَرِيَّةِ فِي عَاطِفَتِهَا وَحَنَانِهَا اللَّذِينَ عَبَّرَ عَنْهُمَا اكْتِتَابُ أَبِي حذِيفَةَ ، وَتَغَيَّرَ لَوْنُ وَجْهِهِ حِينَمَا رَأَى أبَاهُ يُسْحَبُ إِلَى القَلْبِ . وَالمَوَاقِفِ الَّذِي عَبَّرَتْ عَنْهُ الرِّوَايَةُ أَنَّ اكْتِتَابَ أَبِي حذِيفَةَ ؛ إِنَّمَا كَانَ أَثْرًا مِنْ آثَارِ إِيْمَانِهِ ، تَمَثَّلُ فِي تَطْبِيقِ مَنَهِجِ الرِّسَالَةِ فِي صُورَةٍ مَعْبُورَةٍ عَنْ حَبِّ أَبِي حذِيفَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - لِعَقِيدَتِهِ وَدِينِهِ ، وَرَغْبَتِهِ فِي أَنْ تَسْرِيَ رِسَالَةُ الهَدْيِ الَّتِي آمَنَ بِهَا إِلَى القُلُوبِ ؛ لِتَنْيرَهَا بِأَشْرَاقِهَا ، وَأَحَقَّ القُلُوبِ وَأَحَبَّهَا أَنْ تَتَبَوَّأَهُ رِسَالَةُ الإِيْمَانِ وَالهَدْيِ هُوَ قَلْبٌ وَالدِّ كَانُ لَهُ مِنْ فَضَائِلِ الإِنْسَانِيَّةِ قَسْطٌ جَعَلَ ابْنَهُ المَوْمِنَ الصَّادِقَ يَرْجُو لَهُ أَنْ يَكُونَ مَتَبَوًّا لَهَا ، وَلِلكِنَّ

(١) « تَغْرِيدَةُ السِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ » ( ٢ / ٢٤٤ ) .

سوابق الأقدار لا تخضع لرجاء الرّاجين ، وقد قال الله تعالى لنبّيه : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ [ القصص : ٥٦ ] « (١) .

\* كان موقفُ سيّدنا أبي حذيفة بن عتبة - رضي الله عنه - يوم بدر موقفاً محفوفاً بالأزمات النَّفسية الشّديدة العاتية ، وهذه المواقفُ الخاصة يمتحنُ اللهُ بها عباده المؤمنين من المسلمين السّابقين الأوّلين ؛ ليمحصّ بها إيمانهم ويصقلهم ويخلصّهم من شوائبِ الجاهليّة وموروثاتها الضّلالية التي كانت متمكّنةً من قلوب بعض العرب وعقولهم ، ولا سيما مجتمع مكّة الوثنيّ الجاهليّ الممزوج بأكدار الشّرك وظلماته .

\* استطاع سيّدنا أبو حذيفة أن ينجح ويفوزَ بشهادة الامتياز ، فتخطّى تلك المصاعب ، وحظي بالسّعادة ، وفاز بتقدير رائع يوم بدر ، وتغلّب على العاطفة الشّخصية عند مقتل أبيه ، غير أنّ له موقفاً آخرَ خاف منه في ذلك اليوم ، ترى ما الموقف ؟ وما التّعبير ؟

### كلمةٌ وكفّارتها :

\* مَنْ ينظرُ إلى حياة الصّحابة الكرام مع الحبيب المصطفى ﷺ يُلَقَّ أنهم خرجوا من الشّهوات النَّفسانيّة ، ومن الآباء والأقربين والعشائر والأموال ،

(١) « محمّد رسول الله » ( ٣ / ٤٤٧ ) . وهكذا عاد سيّدنا أبو حذيفة بعد حوارهِ مع النَّبيِّ ﷺ إلى إشراقَةِ الإيمان ، عاد وهو هادئٌ وادعٍ بعد الحديث الرّحيم الرّخيم مع النَّبيِّ الرّؤوف الرّحيم ﷺ ، وأجاب عن تساؤل النَّبيِّ ﷺ بأنّ ما ظهر عليه من الحزن والاكئاب ، لم يمسّ إيمانه ، ورسوخ يقينه من قريب أو بعيد ، ولكنّه كان حُزناً على فوات ما كان يرجوه لأبيه في شرفه بين قومه ، وفضله في عقله من الدّخول في الإسلام ، فلمّا رأى مصيره في نهايته التي لا سبيلَ إلى تلافيتها أحزنه ذلك ، وهلهنا دعا له سيّدنا وحبيبتنا رسول الله ﷺ بخير ، وقال له خيراً ، وطيبَ خاطره ، وآتسه بحسن الحديث وجميل الأحداث ، فصلّى اللهُ على معلّم النَّاس الخير ، وحشرنا تحت لوائه . وعفا عنّا بفضلهِ وكرمه ومَنه ولطفهِ .

وتعلّقوا بحبّ الله - عزّ وجلّ - ، وحبّ رسول الله ﷺ ، وشيّدوا محاسن المكارم ، وفتحوا البلاد ، وقادوا بحصافتهم العباد .

\* كان سيّدنا أبو حذيفة - رضي الله عنه - من هؤلاء الرّجال الأفذاذ الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، وبرّوا رسول الله ﷺ في جميع المواقف يُسرّها وعُسرّها ، وإذا ما بدرت من أحدهم هفوةٌ ، استدرّك ذلك ، وثاب إلى جادة الصّواب ، وآب إلى باب الكريم الوهّاب .

\* ففي غزاة بدر ، ألقى سيّدنا أبو حذيفة كلمةً في موقفٍ حرج ، ولكنّه عاد إلى المسار الصّحيح ، فقد سمع أبو حذيفة - بعد أن فرغ من محنة أبيه ومقتله - أنّ رسول الله ﷺ ينهى عن قتل أحدٍ من بني هاشم ؛ لأنّه ﷺ قد عرف بالقرائن والإمارات أنّهم قد أُخرجوا إلى بدرٍ كرهاً ، لا يريدون قتاله ، ولا حاجة لهم بقتال أحدٍ من رجاله وأصحابه من المهاجرين أو الأنصار ؛ ويؤكدُ رسولُ الله ﷺ نهيه العام لعدم قتل أحدٍ من بني هاشم بنهي خاص ، يخصُّ به عمّه العباس بن عبد المطلب - رضي الله عنه - ، وبعض رجالٍ من أشرف قريش كانوا مقاربين . فيقول ﷺ ، كما ذكر ابن إسحاق عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنّه ﷺ قال لأصحابه يومئذٍ : « إنّي قد عرفتُ أنّ رجالاً من بني هاشم ، وغيرهم قد أُخرجوا كرهاً ، لا حاجة لهم بقتالنا ؛ فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله ، ومن لقي أبا البختريّ بن هشام بن الحارث بن أسد فلا يقتله ، فإنّه إنّما خرج مستكرهاً » .

\* في هذه اللحظات تنبثقُ العاطفةُ البشريّةُ ، وتستحوذُ على مشاعر أبي حذيفة لِلحظّات ، فقد تصوّرَ أباهُ وأخاهُ وعمّه يُقتلون أنفأً في المبارزة العادلة بسيفٍ هاشميّةٍ منافيّةٍ ، ويتمثّلُ العباسُ يُجاري الملاء القرشيّ ، ثمّ يُطالبُ بالفداء . . . . . تمثّلُ سيّدنا أبو حذيفة هذا كلّهُ ، وهو إنسانٌ ذو مشاعرٍ وعواطفٍ كغيره من بني البشر ممّن يتأثّرون بالمواقف العاطفيّة التي تتعلّق بالأبوة والأخوة والعمومة والأمومة وما شابه ذلك ، فلم يملك نفسه أن قال : « أنقُتُ آباءنا ، وأبناءنا ، وإخواننا ؛ ونتركُ العباس ؟ والله ! لئن لقيته

لَأَلْحَمَنَّهُ - أو : لأَلْجَمَنَّهُ - بالسَّيْفِ » .

\* بلغت كلماتُ أبي حذيفة سمعَ الحبيبِ المصطفى ﷺ فلم يؤاخذهُ ، وخشي أن يولِّدَ ذلك في بعض قلوب النَّاسِ شيئاً من وساوس الشَّيطانِ وتسويلاته ، فيوقِعُهُم في مصايدِهِ وحبائلِهِ ، ويجعلُهُم يضطربون في الأوهامِ والضُّنونِ ، فالتفتَ ﷺ إلى سيِّدنا عمر بن الخطَّابِ - رضي اللهُ عنه - وقال في تساؤلٍ لطيفٍ : « يا أبا حفص ! أَيُضْرَبُ وجه عمِّ رسولِ اللهُ بالسَّيْفِ ؟ ! » . فنظر سيِّدنا عمرٌ إلى أبي حذيفةَ نظرةَ غَضَبٍ ، وقال للحبيبِ المصطفى ﷺ : « يا رسولَ اللهُ ! دعني فلاضرب عنقه بالسَّيْفِ ، فوالله لقد نافق » .

\* لكنَّ رسولَ اللهُ ﷺ كان مُدركاً لما قاله أبو حذيفة ؛ إذ إنَّ أبا حذيفة لم يَقُلْ ما قال إلا في لحظةٍ ضعفٍ عاطفيَّةٍ ، وثورةٍ نفسيَّةٍ تغلَّبت عليه ، ولم يقصدْ بقوله مخالفة الأوامر المحمَّديَّةِ ، ولا التَّواهي التَّبويَّةِ ، فتركه ﷺ حتَّى ثاب إلى جادَّةِ الحقِّ ، بعد أن هدأتْ عاطفته ، ومن ثمَّ ركنَ إلى محضنِ الإيمانِ ، وارتمى بين أحضانِ النَّدَمِ على ما أسلفَ من القولِ بحقِّ سيِّدنا العبَّاسِ - رضي اللهُ عنه - ، وأدرك أنَّ قوله هذا لا يكفِّرُهُ إلا أن يُكْتَبَ في عدادِ الشُّهداءِ ، وكان - رضي اللهُ عنه - يقول : « واللهِ ، ما أنا بآمنٍ من تلك الكلمة التي قُلْتُ يومئذٍ ، ولا أزال منها خائفاً ، إلا أن تكفِّرَها عني الشَّهادة » .

\* ظلَّ سيِّدنا أبو حذيفة كذلك حتَّى أناله اللهُ - عزَّ وجلَّ - كفَّارته التي تمنَّاهَا ، فقتلَ يومَ اليمامة شهيداً - رضي اللهُ عنه (١) - .

\* والآن يحلو لنا اللقاء مع النَّفحة المنعشة التي تستوعبُ عصارةَ ما فصلناه في السُّطور السَّابقة ، فترتوي من زلالٍ معينها ؛ وننعم في جمالِ معانيها ورقةَ مغانيها :

---

(١) انظر : « البداية والنَّهاية » ( ٣ / ٢٨٤ ) ، و « المستدرک » ( ٣ / ٢٤٧ - ٢٤٨ ) ، و « طبقات ابن سعد » ( ٤ / ١١ ) مع الجمع والتَّصريف .

هَذَا رَسُولُ اللَّهِ يُوصِي صَاحِبَهُ الْمُتَحَمِّسِينَ  
 فَيَقُولُ إِنَّ بَنِي هَاشِمٍ أُخْرِجُوا مُسْتَكْرَهِينَ  
 أَيْضاً رِجَالٌ غَيْرُهُمْ جَاءُوا لِحَرْبٍ كَارِهِينَ  
 لَا تَقْتُلُوهُمْ إِنْ لَقَوُوكُمْ وَأَتْرَكُوهُمْ سَالِمِينَ  
 لَا تَقْتُلُوا الْعَبَّاسَ أَيْضاً فِي عِدَادِ الْمُشْرِكِينَ  
 فِي السَّامِعِينَ أَبُو حذيفة في عِدَادِ الْمُسْلِمِينَ  
 فَيَقُولُ إِنَّا قَدْ قَتَلْنَا لِلْأَبْوَةِ وَالْبَيْنِ  
 أَفْتَرَكُ الْعَبَّاسَ يَحْيَا دُونَهُمْ هَذَا مُهَيَّنٌ  
 فَلِالْجَمَنِ السَّيْفِ لِلْعَبَّاسِ مِثْلَ الْمُجْمَعِينَ  
 هَذَا الْمَقَالَةُ بُلَّغَتْ لِلْمُصْطَفَى مِنْ صَادِقِينَ  
 الْمُصْطَفَى نَادَى أَبَا حَفْصٍ نِدَاءَ الْعَاتِبِينَ  
 فَيَقُولُ قَالَ أَبُو حذيفة مثل قول الرافضيين  
 هَلْ يُضْرَبُ الْعَبَّاسُ عَمُّ مُحَمَّدٍ كَالْمَجْرِمِينَ  
 عُمَرُ يَقُولُ إِلَى النَّبِيِّ فَذَلِكَ كُفْرٌ عَنْ يَقِينٍ  
 دَعْنِي لِأَضْرِبَ بِهِ سَيْفِي فَهُوَ حَدُّ الْكَافِرِينَ

\* تابع أبو حذيفة رحلته الإيمانية ، فشهد المشاهد جميعها بالمعيرة النبوية ، ويوم فتح مكة أتى بأخته فاطمة وهند بنتي عتبة ، وبايعتا الحبيب الأعظم ﷺ ، وكُتبتا من أهل السعادة ممن نلن الصُحبة النبوية ، وأكرم بها من صحبة !

\* أمّا أبو حذيفة فنال الرضا النبوي ؛ إذ توفي سيّدنا رسول الله ﷺ وهو راضٍ عن فتاه أبي حذيفة أحد المخلصين في عقد رجاله الميامين - رضي الله عنهم أجمعين - .

\* وفي عهد خليفة رسول الله ﷺ سيّدنا أبي بكر الصديق عليه سحائب الرضوان نجّم المرتدون ، فدعا الرجال الأبرار ، من المهاجرين والأنصار ، إلى رفع كلمة العزيز الجبار ، وقتال المرتدين الأشرار ، بزعامة مسيلمة

الكذاب الخثار ، فأسرَعَ سيّدنا أبو حذيفة في مقدمة المجاهدين المهاجرين  
والأنصار ، لعلّه ينال الشّهادة من الرّحيم الغفّار .

\* وتحت القيادة الخالديّة البارعة أخذ أبو حذيفة يحملُ على المرتدّين  
أمام المهاجرين ، فلمّا نال زيدُ بنُ الخطّاب - رضي الله عنه - الشّهادة ، حمل  
أبو حذيفة اللواء ، وصاح بأصحابِ رسول الله ﷺ يحمّسهم : « يا أهل  
القرآن ، زيّنوا القرآن بالفعال » ، وصاح وقتها سيّدنا خالدُ بنُ الوليد سيفُ الله  
صيحته المباركة : « وامحمّداه » ، فدكّ جموع المرتدّين بصيحته ، وصالت  
سيوفُ المسلمين في رؤوس بني حنيفة المرتدّين ، فما لبثوا أن ولّوا منهزمين ،  
ونصر الله المسلمين ، وحظي أبو حذيفة بالشّهادة ، وعمره ( ٥٣ عاماً ،  
أو ٥٤ عاماً ) ، وبلغ الرّجلُ مناه ، فعاش حميداً ، ومات شهيداً ، وزين القرآن  
بالفعال ، فرضي اللهُ عنه وأرضاه ، ونفعنا بسيرته وسيرة الصّحابة أجمعين .





## زيد بن الخطاب

رضي الله عنه

- \* أخو عمر وأكبر منه ؛ أسلم قبله واستشهد قبله .
- \* شهد بدرًا ، وأحدًا ، والخندق ، وبيعة الرضوان ، وسائر المشاهد .
- \* قال عنه عمر : « ما هبت الصبا إلا وأنا أجد منها ريح زيد » .

رفع  
عبد الرحمن البخاري  
أسكنه الله الفردوس  
[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

## زيد بن الخطاب

رضي الله عنه

من أعيان السابقين :

\* لما بزغت شمس الإسلام في العلاء ، أرسلت سناءها إلى بيت يطاول  
الجوزاء ؛ وهذا البيت رفيع العماد ؛ له شأن ومكانة في أم القرى ، إنه بيت  
آل الخطاب الذي أتحف الدنيا برجال زينوا جند الدنيا في عصر النبوة ،  
ولا يزال ألقتهم تفتح براعمه الجميلة إلى ما يشاء الله تعالى .

\* من هذا البيت المبارك نلتقي أول رجاله إسلاماً وإيماناً بدعوة  
الحبيب ﷺ ، إنه زيد بن الخطاب بن نفيل . . . السيد الشهيد ، المجاهد  
التقي ، والمحب الحفي ، والمخلص الوفي ، أبو عبد الرحمن القرشي  
العدوي<sup>(١)</sup> ، أخو سيدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لأبيه ، وأمه  
أسماء بنت وهب الأسديّة ، وأمّ عمر حنمة بنت هاشم المخزوميّة ، وكان  
أسن من عمر ، وأسلم قبله - رضي الله عنهما - .

\* كان لزيد من الولد عبد الرحمن ، وأمه لبابة بنت أبي لبابة بن

---

(١) « أسد الغابة » ( ٢ / ١٣٣ - ١٣٤ ) ترجمة رقم : ( ١٨٣٤ ) ، و « سير أعلام  
النبلاء » ( ١ / ٢٩٧ - ٢٩٩ ) ، و « طبقات ابن سعد » ( ٣ / ٣٧٦ - ٣٧٨ ) ،  
و « الاستيعاب » ( ١ / ٥٢٢ - ٥٢٥ ) ، و « الإصابة » ( ٢ / ٥٤٧ - ٥٤٨ ) ،  
و « التبيين في أنساب القرشيين » ( ص : ٣٧٤ - ٣٧٥ ) ومصادر لا تحصى .

عبد المنذر ، وأسماء بنتُ زيد ، وأمها جميلة بنتُ أبي عامر بن صيفي ؛ وقد وصف الرواة والمصنّفون سيّدنا زيداً فقالوا : « كان زيدُ بنُ الخطّاب رجلاً طويلاً ظاهر الطول أسمر » .

\* ظلَّ سيّدنا زيدٌ مقيماً في مكّة مع ثلّة السّابقين الأوّلين ، وثبتَ على إسلامه ثباتَ الرّواسي ، ولم تَلِن قناتهُ مرّةً واحدةً ، ولمّا أذن الله - عزّ وجلّ - بالهجرة إلى المدينة المنوّرة ، كان سيّدنا زيدٌ من المهاجرين الأوّلين إليها ؛ إذ خرجَ مع أخيه القوي الأمين ، وعزّ المسلمين عمر بن الخطّاب - رضي الله عنه - في عشرين راكباً ، وكان من هؤلاء الرّكب : عبدُ الله بن عمر ، وعيَّاشُ بن أبي ربيعة الملقّب بـ : « ذي الرّمحين » لشجاعته . وكانت هجرة هؤلاء هجرة قوّة وعزّ بصحبة فاروق الإسلام سيّدنا عمر ؛ لأنّه لمّا همّ بالهجرة تقلّد سيفه ، وتنكّب قوسه ، وحمل في يده أسهماً ، وتجهّز بكامل سلاحه ، ثمّ مضى وطاف بالكعبة ، وتحدّى أكابر مجرمي قريش وقال لهم : « شامت الوجوه ، لا يُرغمُ الله إلا هذه المعاطس ، مَنْ أراد أن يُنكّل أمّه ، أو يوتّم ولده ، أو يُرمل زوجته ، فليلقني وراء هذا الوادي » (١) .

\* ولمّا تكاملت هجرة الصّحابة وتوجّحت بهجرة الحبيب المصطفى ﷺ ، كانت المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، فأخى النّبِيُّ ﷺ بين سيّدنا زيد بن الخطّاب وبين معن بن عديّ العجلانيّ (٢) أحد رجال الأنصار الذين أحبّوا الله

(١) انظر : « سبل الهدى والرّشاد » ( ٣ / ٣١٦ ) .

(٢) معن بن عديّ بن الجدّ الأنصاريّ العجلانيّ البلويّ : من حلفاء بني مالك بن عوف من سادة الأنصار ، كان يكتبُ العربية قبل الإسلام ، والكتابون عصر ذلك كانوا معدودين . شهد معنُ العقبة وبدراً وسائر المشاهد بالمعية النّبويّة ، وخاض حرب المرتدّين يوم اليمامة ، وأبلى بلاءً حسناً في تلك المعركة ، واتّخذهُ الله شهيداً ، وأخى النّبِيُّ ﷺ بينه وبين زيد بن الخطّاب ، فقتلا يومئذ .

قال مجاعة بن الرّبير الحنفيّ يصفُ شجاعة سيّدنا معن لأبي بكر =

ورسولُهُ ، وأخلصوا للإسلام ، واستشهدوا من أجل إعلاء كلمة الله في أرجاء الأرض .

### حُضُورُهُ الْمَغَازِي النَّبَوِيَّةُ :

\* سيّدنا زيدُ بنُ الخطّاب - رضوان الله عليه - من رجال عصرِ النبوة الميامين الذين لم يغيّبوا عن مشهدٍ من المشاهد النبويّة ، وإنّما كُتِبَ له شرف الجهاد تحت راية رسولِ الله ﷺ ، فقد شهد بدرًا وأحدًا والخندق وما بعدها من المشاهد ، كما شهد بيعة الرضوان بالحديبية (١) ، وانضوى تحت قائمة المرضيين الذين رضي الله عنهم ؛ إذ بايعوا الحبيب المصطفى ﷺ تحت الشجرة .

\* وكان لسيدنا زيد شأنٌ عجيبٌ يوم غزوة أُحُد (٢) ؛ إذ تألّق بفروسيّته

---

الصّدّيق - رضي الله عنه - : « لقد رأيتُ معنَ بنَ عديّ يُعنق - يسرع - أمام القوم » فقال أبو بكر - رضي الله عنه - : « لقد ذكرتُ رجلاً صالحاً » ؛ وكان معنٌ ممّن استشهد يومَ الإمامة سنة ( ١٢ هـ ) .

وعن ابن عبّاس - رضي الله عنهما - أن معنَ بنَ عديّ أحدَ الرّجلين اللذين لقيّا أبا بكر وعمر - رضي الله عنهما - ، وهما يريدان سقيفة بني ساعدة ، فقالا لأبي بكر وعمر : « لا عليكم ألا تقرّبوهم ، واقضوا أمركم » .

ولمّا توفي رسولُ الله ﷺ بكى النّاس عليه وقالوا : « والله وددنا أنّا متنا قبله ، نخشى أن نفتن بعده » ، فقال معنُ بنُ عديّ - رضي الله عنه - : « لكنّي والله ما أحبُّ أنّي متّ قبله حتّى أصدّقه ميتاً كما صدّقه حيّاً » . رضي الله عن سيّدنا معن وحشرنا في معيته . « الاستبصار » ( ص : ٢٩٧ - ٢٩٨ ) ، و « سير أعلام النبلاء » ( ١ / ٣٢٠ - ٣٢١ ) مع الجمع بينهما .

(١) « الاستيعاب » ( ١ / ٥٢٣ ) بتصرّف يسير جداً .

(٢) « أُحُد » : سُمّي أحدٌ أحدًا لتوحّده بين تلك الجبال ، وفي الصّحيح قال الحبيب المصطفى ﷺ : « أحدٌ جبلٌ يحبُّنا ونحبه » .

ذلك اليوم تألقاً كريماً ، في قصّة جميلة أسرة للمشاعر ، ذكرها ابنُ سعد في « الطّبقات » بسنده عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : « قال عمر بن الخطّاب لأخيه زيد بن الخطّاب يوم أحد : أقسمتُ عليك إلا لبستَ درعي ، فلبسها ، ثمّ نزعها ، فقال له عمرٌ - رضي الله عنه - : مالك ؟ قال : إنّي أريدُ بنفسي ما تريدُ بنفسك » (١) .

\* في رواية الطبراني عن ابن عمر - رضي الله عنهما - : « أنّ عمرَ - رضي الله عنه - قال يوم أحدٍ لأخيه : خذْ درعي يا أخي ! قال : أريدُ من الشّهادة مثل الذي تريد . فتركاها جميعاً » (٢) .

\* قل لي برّبك : بأيّ الرّجلين تُعجب بزيد أم بعمر ؟ ! إنّ كلّ واحد منهما حريصٌ على الشّهادة ، وعلى أن يحظى بمرضاة الله - عزّ وجلّ - ، ويودُّ أن يتّخذهُ اللهُ شهيداً ، لذلك اندفع كلاهما اندفاعَ الفدائيين ، وظلّ يجاهدُ بسنانه وسيفه دون درع يقيه ضربات السيوف ، ولسعات الرّماح والحِراب ، وانحسرت المعركة عن استشهاد عددٍ كبير من الصّحابة ، إلا أن سيّدنا زيد بن الخطّاب كان من الذين أبلوا بلاءً حسناً ، ولم يصب في هذه المعركة التي حرص من خلالها على الشّهادة .

### حظُّهُ من رواية الحديث :

\* لعلّ اهتمام سيّدنا زيد بالجهاد والمغازي شغله عن رواية الحديث

قيل : معناه أهله ؛ وقيل : لأنّه كان يبشّره بقرب أهله إذا رجع من سفره ، كما يفعل المحبُّ . وبين أحدٍ وبين المدينة المنوّرة قرابة ميل من شمالها .

وذكر الزبير بن بكار أنّ قبر نبيّ الله هارون عليه السلام بأحد ، وأنّه قدم مع موسى عليه السلام في جماعة من بني إسرائيل حجّاجاً فمات هناك . وكانت غزوة أحد هذه في شهر شوال من السنّة الثّالثة للهجرة النبويّة .

(١) « طبقات ابن سعد » ( ٣ / ٣٧٨ ) .

(٢) انظر : « شرح حياة الصّحابة » ( ١ / ٧٩١ ) .

النَّبوي وحفظه ، لذلك لم يذكر أهل الحديث له إلا حديثاً . قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ : « له في الكتب حديثٌ واحدٌ في النهي عن قتل ذوات البيوت » (١) .

\* وقال الإمام الذهبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ : « حَدَّثَ عَنْهُ ابْنُ أُخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدٍ حَدِيثَيْنِ » (٢) .

\* وحديث قتل عوامر البيوت من الحيَّات وغيرها أخرجه شيخنا أهل الحديث في « صحيحيهما » من حديث ابنِ عمرَ عن النَّبِيِّ ﷺ قال : « اقتلوا الحيَّات ، وذا الطُّفَيْتَيْنِ ، والأبتر ، فَإِنَّهُمَا يَسْتَسْقِطَانِ الْحَبْلَ ، وَيَلْتَمِسَانِ الْبَصَرَ » .

قال : « فكان ابنُ عمرٍ يقتلُ كلَّ حَيَّةٍ وَجَدَهَا ، فأبصره أبو لبابة بنُ عبد المنذر ، أو زيدُ بنُ الخطَّاب ، وهو يطاردُ حَيَّةً ، فقال : إِنَّهُ قد نُهِيَ عَنْ ذَوَاتِ الْبَيْوتِ » (٣) .

---

(١) « تهذيب التهذيب » ( ٤١١ / ٣ ) ، و« الإصابة » ( ١ / ٥٤٨ ) .

(٢) « سير أعلام النبلاء » ( ١ / ٢٩٨ ) ، و« تاريخ الإسلام » عهد الخلفاء الراشدين ( ص : ٦٠ ) .

(٣) أخرجه مسلم بهذا اللفظ في السَّلام برقم : ( ٢٢٣٣ ) ، وعلَّقه البخاري في بدء الخلق برقم : ( ٣٢٩٩ ) ، وأبو داود برقم : ( ٥٢٥٢ ) ، والترمذي برقم : ( ١٤٨٣ ) .

ومعنى قوله ﷺ « ذَا الطُّفَيْتَيْنِ » : بضمَّ الطَّاء ، وإسكان الفاء . قال العلماء : هما الخَطَّانِ الأبيضان على ظهر الحَيَّة .

و« الأبتر » : قصير الذَّنْب ؛ وقال نصرُ بنُ شمیل رَحِمَهُ اللهُ : هو صنْفٌ من الحيَّات أزرق مقطوع الذَّنْب ، لا تنظر إليه حامل إلا أَلقت ما في بطنها .

و« يستسقطان الحبل » : معناه : أنَّ المرأةَ الحامل إذا نظرت إليهما وخافت

أسقطت الحمل غالباً .

\* وفي روايةٍ أخرى ؛ قال سالمُ بنُ عبدِ الله : قال عبدُ الله بنُ عمر - رضي الله عنهما - : « فلبثتُ لا أتركُ حيَّةً أراها إلا قتلْتُها ، فبينا أنا أطارِدُ حيَّةً يوماً من ذواتِ البيوت ، مرَّ بي زيدُ بنُ الخطَّاب ، أو أبو لبابة وأنا أطاردها ، فقال : مهلاً يا عبدَ الله .

فقلت : إنَّ رسولَ الله ﷺ أمرَ بقتلهنَّ .

قال : إنَّ رسولَ الله ﷺ قد نهى عن ذواتِ البيوت » .

\* وفي روايةٍ : « حتَّى رأني أبو لبابة بن عبد المنذر ، وزيد بن

---

= و« يلتمسان البصر » : معناه : يخطفان البصر ويطمسانه بمجرد نظرها إليه ،  
لخاصَّة جعلها الله تعالى في بصريهما إذا وقع على بصر الإنسان ؛ قال العلماء : وفي  
الحيَّات نوعٌ يُسمَّى : النَّاطِر ؛ إذ وقع نظره على عين إنسان مات من ساعته .

و« يطارد حيَّة » : يطلبها ويتبعها ليقتلها .

و« ذات البيوت » ؛ أي : اللاتي يوجدن في البيوت ، وقد تحدَّث العلماء  
والفقهاء في أمر قتلِ الحيَّات وغيرها من الهوام والعوامر ، وأفادوا إفاداتٍ نافعة تصلح  
للمتعلمين وتنفعهم لما فيها من أحكام .

قال المازري رحمه الله : « لا تُقتل حيَّاتُ مدينة النَّبي ﷺ إلا بإنذارها ، فإذا  
أنذرها ولم تنصرف قتلها » .

وأما حيَّات غير المدينة في جميع الأرض ، والبيوت ، والدُّور ، فيندب قتلها  
من غير إنذار ؛ لعموم الأحاديث الصَّحيحة في الأمر بقتلها .

أما صفةُ الإنذار ؛ فقال القاضي : روى ابنُ حبيب ، عن النَّبي ﷺ أنَّه  
يقول : « أنشدكنَّ بالعهدِ الذي أخذَ عليكنَّ سليمانُ بنُ داود ألا تؤذونا ولا تظهرن  
لنا » .

وقال مالك رحمه الله : يكفي أن يقول : « أخرج عليك بالله واليوم الآخر أن  
لا تبدولنا ولا تؤذينا » ، والله أعلم .



الخطاب ، فقالا : إِنَّهُ قد نَهَى عن ذوات البيوت .

\* قال ابن حجر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في « الفتح » « وليس لزيد بن الخطاب - أخي عمر - رواية في الصَّحِيح إلا في هذا الموضع » (١) .

\* بينما أخرج له ابنُ سعد بسندٍ رفعه إلى عبد الرَّحْمَنِ بن زيد (٢) بن الخطاب ، عن أبيه قال : قال رسولُ الله ﷺ في حَجَّةِ الوداع : « أَرْقَاءَكم أَرْقَاءَكم أطمعوهم ممَّا تأكلون ، وأبسوهم ممَّا تلبسون ، وإنْ جاؤوا بذنب

---

(١) انظر : « فتح الباري » ( ٦ / ٤٠٢ ) .

(٢) عبدُ الرَّحْمَنِ بنُ زيد بن الخطاب القرشي العدوي : ابنُ أخي سَيِّدنا عمر بن الخطاب - رضي اللهُ عنه - ، أمُّه لبابة بنتُ أبي لبابة بن عبد المنذر الأنصاري . أتى به أبو لبابة إلى النَّبِيِّ ﷺ فقال له : « ما هذا منك يا أبا لبابة ؟ » .

قال : ابنُ ابنتي يا رسولَ الله ، ما رأيتُ مولوداً أصغرَ خلقاً منه ! فحَنَكَهُ رسولُ الله ﷺ ، ومسحَ رأسه ، ودعاه بالبركة ، فما رُوي عبد الرَّحْمَنِ بن زيد مع قوم قَطَّ إلا فرعهم طولاً ، وكان أطولَ الرِّجال وأتمَّهم .

ولمَّا توفي رسولُ الله ﷺ كان عُمرُ عبد الرَّحْمَنِ بن زيد ستِّ سنين ، وكان عبد الرَّحْمَنِ شبيهاً بأبيه زيد ، وكان عمرُ بنُ الخطاب إذا رآه أو نظر إليه قال :

أخوكم غيرَ أشيبٍ قد أتاكم بِحَمْدِ اللهِ عَادَ لَهُ الشَّبَابُ  
وزَوَّجَه عمرُ بنُ الخطابِ بابنته فاطمة ، فولدت له عبد الله بن عبد الرَّحْمَنِ .

ومن ولده : عمرُ ، وعثمانُ ، وأبو بكر ، ومحمَّدُ ، وإبراهيمُ ، وزيدُ ، ومسكينُ ، وعبد الحميد ، بنو عبد الرَّحْمَنِ بن زيد . وكان ابنه عمر من أحسن النَّاسِ وجهاً ، وكان يُقال له المصوَّر من حسنِ وجهه . وأمَّا عبد الحميد فولِّي الكوفة لعمر بن عبد العزيز ، وروى عنه الحديث .

وهكذا بارك اللهُ - عزَّ وجلَّ - في ذريَّة سَيِّدنا زيد بن الخطاب فكان منهم العالم والورع والفقهاء والوالي . . . « الثَّيِّبِينَ » ( ص : ٣٧٥ - ٣٧٦ ) ، و« أسد الغابة » ( ٣ / ٣٤٦ - ٣٤٧ ) مع الجمع بينهما والتَّصَرَّف .

لا تريدون أن تغفروه فبيعوا عباد الله ولا تعدّبوهم» (١) .

## كيف حظي زيد بالشهادة ؟

\* بعد وفاة رسول الله ﷺ ، ظهرت ردّة بعض القبائل ، وكان من أخطرها وأشرسها ردّة بني حنيفة تحت قيادة نبيهم المزعوم مسيلمة بن ثمامة الحنفيّ الوائليّ أحد المعمرين ، فرماها خليفة رسول الله ﷺ سيّدنا أبو بكر الصّدّيق - رضي الله عنه - بأحد رجالات الإسلام عبقرّي الحرب وسيف الله خالد بن الوليد ، وبثلة من رجال عصر الثبوة الصادقين ، فأخمدوا نارها ، وأسكتوا أوارها ، وقلعوا أنيابها ، وأحرقوا إهابها ، وكان من بين ليوث الله هؤلاء سيّدنا زيد بن الخطّاب - رضي الله عنه - الذي كان له دورٌ متألّقٌ في هذه المعارك الفاصلة التي قضت على المرتدين ، وأقضت مضاجع المتنبّين .

\* ومن الجدير بالذكر أنّ أمر مسيلمة الكذاب قد استفحل باليمامة ؛ قال أهل السّير والتّواريخ ما ملخصه ومفاده : « ولد مسيلمة في القرية التي تسمّى اليوم في اليمامة ، بالجبيّلة بوادي حنيفة ، ونشأ مسيلمة هنالك ، وقد تلقّب هذا الكذاب في الجاهليّة برحمن اليمامة ، ممّا يدلّ على أنّه شديد الطّموح إلى السّيّطرة والحكم منذ نشأته ، وكان دميماً قبيحاً على حدّ تعبير مؤرّخي العرب ؛ إذ وصفوه بقولهم : « كان رويجلاً ، أصيفر ، أخينس » ، وقد تعلّم هذا الكذاب الحيل ، فغدا من فجرة المشعبدين ، وفئة المحتالين ، ولمّا جاء الله - عزّ وجلّ - بالإسلام ادّعى هذا الفاجر الثبوة ، ثمّ تجرّأ وكتب إلى رسول الله ﷺ كتاباً يخبره فيه بأنّه أشرك في الأمر معه ، فأجابه الحبيب المصطفى ﷺ بأنّ الأرض لله - عزّ وجلّ - يورثها من يشاء من عباده . . . . ومن العجيب أنّ أمر هذا المتنبّي قد فشا في أهل اليمامة ، واجتمع حوله من المفتونين أربعون ألفاً ، وممّا زاد من رصيد مسيلمة الإعلامي ، وافتتان العامة

(١) «طبقات ابن سعد» (٣ / ٣٧٧) .

به ، فتنه نهار الرّجال ، أو الرّجال بن عنقوة اليماميّ ، وكان هذا المجرم قد التحق بالنبيّ ﷺ ، وأسلم ، وقرأ القرآن ، وفقه الدين وأحكام الإسلام ، وكان ذكياً ذا بصيرة وحيلة ، فأرسله النبيّ ﷺ معلماً لأهل اليمامة ، ويردّ منهم من أتبع مسيلمة ، ويشدّ من عزائم المسلمين ، ويشغب معهم على المتنبّي الكاذب المزعوم . لكنّ نهاراً اليماميّ كان أشدّ فتنةً وفساداً على الحنفيّين اليماميّين من مسيلمة نفسه ، ذلك أنّ سواد أهل اليمامة يتبعه ، فأقرّ نبوة مسيلمة وزكّاه ، ودعا النّاس إليها ، وغرّر بأكثر بني حنيفة ، وأقسم لهم بأنّ رسول الله محمّداً ﷺ قد أشرك معه مسيلمة في الرّسالة ، فأقبل النّاس على مسيلمة أفواجاً يصدّقونه رسولاً إليهم ، وبذلك صار في متناول يده كلّ ما يشاء ويهوئ ، وغدا السّيد الذي لا يتنازع . ووضع مسيلمة ثقته كلّها في نهار الرّجال ، وألقى إليه مقاليد الأمور ، واتّخذ مؤذناً شهد في أذانه أنّ مسيلمة رسول الله ، وكان يسجّع لقومه سجعاً مضحكاً سخيفاً يضاهي به القرآن ، ويزعم أنّه وحيّ نزل عليه من السّماء « (١) .

\* وعن صفاة مسيلمة وإفكه يقول الطّبريّ رحمه الله في « تاريخه » : « وكان مسيلمة يصانع كلّ أحدٍ ويتألّفه ، ولا يبالي أن يطّلع النّاس منه على قبيح » (٢) .

\* أخذ مسيلمة يسجّع للنّاس السّجعات ، ويقول لهم فيما يقول مضاهاة للقرآن : « إنّ بني تميم قومٌ طهروا لقااح ، لا مكروه عليهم ولا إتاوة ، نجاورهم ما حيننا بإحسان ، نمنعهم من كلّ إنسان ، فإذا متنا فأمرهم إلى الرّحمن » .

\* وكان يهذي ويقول : « والشّاء وألوانها ، وأعجبها السّود وألبانها ؛

(١) انظر : « البداية والنهاية » ( ٥ / ٤٨ - ٥١ ) ، و« تاريخ الطّبريّ » ( ٢ / ٢٧٥ - ٢٧٧ ) ، و« حروب الرّدة » ( ص : ١٥٤ - ١٥٧ ) مع الجمع والتّصريف .

(٢) « تاريخ الطّبريّ » ( ٢ / ٢٧٦ ) .

والشاة السوداء واللبن الأبيض ، إنَّه لعجبٌ محضٌ ، وقد حرَّم المذق ، فما لكم لا تمجِّعون « !! ؟ !! . . . . . » .

\* كان قومه يطربون لهذه السَّجعات الصَّفيقة الهابطة ، ومن ثمَّ يقرؤونها في مجالسهم ، ومنها قوله المضحك : « والمبذرات زرعاً ، والحاصدات حصداً ، والدَّاريات قمحاً ، والطَّاحنات طحناً ، والخابزات خبزاً ، والثَّارذات ثرداً ، واللاقمات لقماً ، إهالة وسمناً ، لقد فُضِّلْتُم على أهل الوبر ، وما سبقكم أهل المدر ، ريفكم فامنعوه ، والمعترِّ فأووه ، والباغي فناوئوه ، والتَّاعي فواسوه » (١) .

\* ذكر ابنُ كثير والباقلاني أشياء عن سماجةِ كلام مسيلمة وسخفه ، فقالوا ما فيه اللُّباب ، وجزيل الخطَّاب : « لَمَّا قدمت وفود بني حنيفة على أبي بكر الصِّدِّيق - رضي الله عنه - ، قال لهم : أسمعونا شيئاً من قرآن مسيلمة .

فقالوا : أو تعفينا يا خليفة رسول الله ؟

قال - رضي الله عنه - : لا بدَّ من ذلك .

فقالوا : يا خليفة رسول الله كان يقول : يا ضفدعُ بنت الضفدعين ، نقِّي لكم تنقين ، لا الماء تكذِّرين ، ولا الشَّارب تمنعين ، رأسك في الماء ، وذنبك في الطَّين .

وكان يقول : والفيل وما أدراك ما الفيل ، له زلوم طويل .

وكان يقول : والليل الدَّامس ، والدَّئب الهامس ، ما قطعت أسد من رطب ولا يابس .

وذكروا أشياء من هذه الخرافات التي يأنفُ من قولها الصِّبيان وهم يلعبون ، وأشياء من هذا الكلام السَّخيف الرِّكيك البارد السَّميج ، فيقال : إنَّ

---

(١) « تاريخ الطَّبْرِيّ » ( ٢ / ٢٧٦ ) ، و« البداية والنهاية » ( ٥ / ٥٢ ) .

أبا بكر الصّدِّيق - رضي الله عنه - كان إذا قرعَ سمعه هذه الثّرهات قال لهم : ويحكم يا بني حنيفة ، أين كان يذهب بعقولكم ؟ أشهد أنّ هذا الكلام لم يخرج من إله « (١) .

\* وساق الثّعالبِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ طرفاً من قرآنِ مسيلمةَ وأسجاعِهِ ومخاريقِهِ وتمويهاته (٢) ، وكيف كان يعتضدُ برجالِ بنِ عنفوة (٣) ، ويقرأ أفاويله التي منها قوله : « والشَّمس وضحاها ، في ضوئها ومنجلاها ، والليل إذا عداها ، يطلُّها ليغشاها ، فأدرکہا حتّى أتاها ، وأطفأ نورها فمحاها » (٤) .

(١) « البداية والنهاية » ( ٦ / ٣٢٦ ) ، و« إعجاز القرآن » ( ص : ١٥٦ - ١٥٨ ) مع الجمع والتّصرّف .

(٢) كان مسيلمةُ أخزاهُ اللهُ يقول لقومه : « يا بني حنيفة ، ما جعلَ اللهُ قريشاً أحقّ بالنبوة منكم ، وبلادكم أوسع من بلادهم ، وسوادكم أكثر من سوادهم ، وجبريل ينزلُ على صاحبكم مثل ما ينزل على صاحبهم » .

(٣) كان هذا المجرمُ رجالِ بنِ عنفوة من أصحابِ مسيلمة ، ومن رائشي نبله ، والحاطبين في حبله ، والسّاعين في نصرته ، وقد ذكره رسولُ اللهِ ﷺ بأنّه من أهل النَّار .

(٤) « ثمار القلوب في المضاف والمنسوب » للثّعالبِيِّ ( ص : ١٤٧ ) . وأوردَ الثّعالبِيُّ أيضاً بعضَ ترّهاتِ مسيلمة وهذيانه فقال : « سيح اسم ربك الأعلى ، الذي يسر على الحبلئى ، فأخرج منها نسمة تسعى ، من بين أحشاء ومعى ، فمنهم من يموت ويدس في الثرى ، ومنهم من يعيش ويبقى إلى أجل ومنتهى ، والله يعلم السرّ وأخفى ، ولا تخفى عليه الآخرة والأولى » .

ومنها : « اذكروا نعمة الله عليكم واشكروها ؛ إذ جعل لكم الشمس سراجاً ، والغيث نجاجاً ، وجعل لكم كباشاً ونعاجاً ، وفضةً وزجاجاً ، وذهباً وديباجاً ، ومن نعمته عليكم أن أخرج لكم من الأرض رمّاناً وعنباً وريحاناً ، وحنطةً وزؤناً » . « ثمار القلوب » ( ص : ١٤٧ ) .

وأضاف ابنُ كثير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى رصيدِ مسيلمة هذه الأقصوصة الجميلة التي تشهد =

\* وهلكذا نفّسني خطر المرتدّين وتمشّني مرضهم في بني حنيفة ، فكان رجالُ الإسلام يتصدّون لهم ، وفيهم سيّدنا النّجيبُ الحسيبُ زيدُ بنُ الخطّاب - رضي الله عنه - الذي أسهم في بتر الخائن ابن عنفوة .

\* فلمّا اشتدّ لهيب المعركة واستعرت نيرانها ، اختلط المسلمون بالمرتدّين ، وأخذتهم الحميّة لدين الله - عزّ وجلّ - ، فأخذوا يحصدون رؤوس المرتدّين حصداً ؛ ويجعلونهم بإذن الله كهشيم المحتظر ، وكانت راية المهاجرين مع سيّدنا زيد بن الخطّاب الذي اندفع وسط المرتدّين اندفاع السّيل الهادر ، وعلى الرّغم من كثافة الأعداء إلا أنّ سيّدنا زيداً شتّت شملهم ، ولم يستطع أحدٌ أن يقفَ أمام حملاته القوية .

\* هبّت ريحُ أثناء المعركة ؛ فأثارت الرّمال في وجوه المسلمين ، فذهب قومٌ يتحدّثون إلى سيّدنا زيد بن الخطّاب ما يصنعون أمام الرّيح وإزاءها ؛ فما كان جوابه إلاّ قوله : « لا والله لا أتكلّم اليوم حتّى نهزمهم ، أو ألقى الله

---

= بإفكه وكذبه وسخرية النّاس منه فقال : « وقد عمرو بنُ العاص - رضي الله عنه - إلى مسيلمة في أيّام جاهليّته ، فقال له مسيلمة : ماذا أنزل على صاحبكم في هذا الحين ؟ فقال له عمرو : لقد أنزل عليه سورة وجيزة بليغة .

فقال : وما هي ؟

قال : أنزل عليه : ﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خَسِرًا ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴾ [ العصر : ١ - ٣ ] .

ففكّر مسيلمة ساعة ، ثمّ رفع رأسه فقال : ولقد أنزل عليّ مثلها .

فقال له عمرو : وما هي ؟

فقال مسيلمة : يا وريا وبر ، إنّما أنت إيراد وصدور ، وسائر كحفر نقر .

ثم قال : كيف ترى يا عمرو ؟

فقال له عمرو : والله إنّك لتعلمُ أنّي أعلمُ أنك تكذب . « البداية والنّهاية » ( ٦ / ٣٢٦ ) .

فأكلمه بحجّتي ، غَضُوا أَبْصَارَكُمْ ، وَعَضُوا عَلَيَّ أَضْرَاسَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ ،  
وَاضْرَبُوا فِي عَدُوِّكُمْ ، وَامضُوا قَدَمًا» (١) .

\* وبينما كان سيّدنا زيد يعضُّ على أضراسه ، ويمضي قدماً في قلب  
المرتدّين التقى عدوّ الله الخائن نهار الرّجال بن عنفوة اليماميّ الحنفيّ ، الذي  
كان أشدّ فتنةً على بني حنيفة من مسيلمة الكذاب نفسه ، فقال له سيّدنا  
زيد : « الله الله ! فوالله لقد تركت الدّين ، وإنّ الذي أدعوك إليه لأشرفُ لك ،  
وأكثرُ لديّك » . فأبى ابنُ عنفوة إلا الكفرَ والنّفاق والرّدة ، واجتلد زيدُ  
وابن عنفوة جلاداً شديداً ، واستطاع زيدُ أن يرديه ثمّ يقتله ، وكان هذا المرتدُّ  
الخائنُ يقودُ أحدَ فرق جيش مسيلمة الكذاب ، وكان مستشار مسيلمة الأوّل  
الذي لا يعصي له أمراً ، فكانت نهاية هذا الفاسد المفسد على يد سيّدنا زيد بن  
الخطّاب - رضي الله عنه - ، وخلّص المسلمين من شرّه وكيدِهِ وكفره ؛ ثمّ قاتل  
حتّى قُتِلَ شهيداً - رضي الله عنه - .

### ريح زيّد :

\* كانت معركة اليمامة من أعظم المعارك في حروب الرّدة ، قُضِيَ من  
خلالها قضاءً حاسماً على المتنبّئين في بلاد العرب ، ولكن استشهد من  
المسلمين يومئذٍ أكثر من ألف ومئتي رجل ، بينهم تسعة وثلاثون من كبار  
الصّحابة ومن حفاظ القرآن الكريم .

---

(١) انظر : « الصّدّيق أبو بكر » ( ص : ١٥٠ ) لمحمد حسين هيكل - دار المعارف -  
القاهرة - ط : ٨ - دون تاريخ . ورسم ابنُ سعد شجاعة سيّدنا زيد فقال : « كان  
زيد بن الخطّاب - رضي الله عنه - يحمل راية المسلمين يوم اليمامة ، ولقد انكشف  
المسلمون حتّى غلبت حنيفة على الرّجال ، فجعل زيد يقول : أمّا الرّجالُ  
فلا رحالَ ، وأمّا الرّجالُ فلا رجالَ ؛ ثمّ جعل يصيح بأعلى صوته : اللهم إنّي أعتذر  
إليك من فرار أصحابي ، وأبرأ إليك ممّا جاء به مسيلمة ومحكم بن الطّفيل ، وجعل  
يشتدُّ بالرّاية يتقدّم بها في نحر العدوِّ ، ثمّ ضارب بسيفه حتّى قُتِلَ شهيداً - رضي الله  
عنه - . » ( طبقات ابن سعد ) ( ٣ / ٣٧٧ ) بتصرّف يسير جداً .

\* وقد جزع أهل مكة والمدينة لمن استشهد من رجال الصحابة باليمامة ، واشتدَّ حزنهم على الشهداء الأبرار ، ولم يكن يعدل حزن المسلمين على هؤلاء الشهداء إلا فرحهم بما آتاهم الله من النَّصر .

\* كان من بين الشهداء سيِّدنا زيد بن الخطَّاب - رضي الله عنه - ، وكان معه في هذه المعركة الحاسمة ابن أخيه سيِّدنا عبد الله بن عمر بن الخطَّاب - رضي الله عنهما - ، بيد أنَّ ابن عمر عاد من اليمامة بعد أن أبلَى بلاءً حسناً ، فلمَّا لقيه أبوه سيِّدنا عمر قال له في حزم ممزوج بالإيمان : « ما جاء بك وقد هلك زيدٌ ؟ ! ألا وارىت وجهك عني ؟ ! » فأجاب عبدُ الله إجابةً قد ألبسها البدرُ رواءً ؛ وأوقد الإيمانُ فيها أضواءه : « والله يا أبتِ قد حرصتُ على ذلك أن يكون ، ولكنَّ نفسي تأخَّرت ، فأكرمه الله بالشَّهادة » .

\* وفي رواية : أنَّه قال لأبيه عمر : « سأل الله الشَّهادة فأعطيتها ، وجهدتُ أن تُساق إلي فلم أعطها » .

\* وكان سيِّدنا زيدُ بنُ الخطَّاب - رضي الله عنه - قد استشهد باليمامة سنة ( ١٢ هـ ) في خلافة سيِّدنا أبي بكر الصِّدِّيق - رضي الله عنه وأرضاه - .

\* وحزن سيِّدنا عمر على زيد حزنًا شديدًا ، وكان يقول : « أسلمَ قبلي ، واستشهد قبلي » <sup>(١)</sup> ، وكان يقول : « ما هبَّتِ الصِّبا إلا وأنا أجدُ منها ريحَ زيد » ، وفي لفظ : « إنَّ الصِّبا لتهبُّ فتأتيني بريح زيد بن الخطَّاب » .

\* وكان الذي قتل زيداً اسمه : أبو مريم الحنفي ، فقد أخرج ابنُ سعد

---

(١) « طبقات ابن سعد » ( ٣ / ٣٧٨ ) ، و« تاريخ الإسلام » للذهبي ( عهد الخلفاء الراشدين : ص : ٦٠ ) . وفي رواية أنَّ سيِّدنا عمر قال : « رحم الله زيداً ، سبقني أخي إلى الحسينين : أسلم قبلي ، واستشهد قبلي » . « أسد الغابة » ( ١ / ١٣٤ ) ترجمة رقم : ( ١٨٣٤ ) ، و« الاستيعاب » ( ١ / ٥٢٥ ) ، ومعنى « الصِّبا » : ريح معروفة .



عن كثير بن عبد الله المزني ، عن أبيه ، عن جده قال : « سمعتُ عمرَ بنَ الخطاب يقولُ لأبي مريم الحنفيّ : أقتلتَ زيدَ بنَ الخطّاب ؟

فقال : أكرمه اللهُ بيدي ، ولم يهني بيده .

فقال عمر : كم ترى المسلمين قتلوا منكم يومئذ ؟

قال : ألفاً وأربع مئة يزيدون قليلاً .

فقال عمر : بئس القتلَى !

قال أبو مريم : الحمدُ لله الذي أبقاني حتّى رجعتُ إلى الدّين الذي رضي لنبِيِّهِ ﷺ ، وللمسلمين .

قال : فسُرَّ عمر بقوله ، وكان أبو مريم قد قضى بعد ذلك على البصرة « (١) .

\* كان سيّدنا عمر يذكرُ أخاه زيداً دائماً ، فقد روي أنّ مُتمّمَ بنَ نُويرة دخل على عمر - رضي اللهُ عنه - فقال له سيّدنا عمر : « ما بلغَ من وجديك على أخيك مالك ؟ » - وكان متمّم أعور - قال : « بكيتهُ حولاً حتّى أسعدتُ عيني الذّاهبة عيني الصّحيحة ، وما رأيت ناراً إلا كدت أنقطع لها أسفاً عليه ؛ لأنّه كان يوقدُ ناره إلى الصّبح مخافة أن يأتيه فلا يعرفُ مكانه » .

---

(١) « طبقات ابن سعد » ( ٣ / ٣٧٧ - ٣٧٨ ) . وذكر البلاذري أنّ أبا مريم الحنفيّ اسمه : صبيح بن محرّش ؛ وقال بعضهم : اسمه إياس بن صبيح ، وهو أوّل من قضى بالبصرة زمن عمر - رضي اللهُ عنه - ، وتوفي بسبيل من الأهواز . « فتوح البلدان » ( ص : ١٠٩ ) بتصرف .

وقال ابن عبد البرّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « قتل زيد بن الخطّاب سلمة بن صبيح ابن عمّ أبي مريم » .

وقال ابن عبد البرّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « النَّفسُ أميل إلى هذا ؛ لأنّ أبا مريم لو كان قاتل زيد ما استقضاه عمر ، والله أعلم » . « الاستيعاب » ( ١ / ٥٢٤ - ٥٢٥ ) .

قال عمر : « فأنشدني بعض ما قلت فيه » .

فأنشده مرثيته التي يقول فيها :

وَكُنَّا كَنَدَمَانِي جَدِيمَةَ حَقْبَةً      من الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنْ يَتَصَدَّعَا  
وعشْنَا بخيرٍ في الحياةِ وقبلنا      أصابَ المنايا رَهْطَ كَسْرِي وَتُبَّعَا  
فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكًا      لَطُولِ اجْتِمَاعِ لَمْ نَبْتَ لَيْلَةً مَعَا

فقال عمر : « لو كنتُ أَحْسِنُ قولَ الشُّعر ، لرثيتُ أخي زيدا مثلما رثيتُ به أخاك مالكا » .

فقال : « يا أبا حفص ، والله لو علمتُ أنَّ أخي صار بحيثُ صار أخوك ما رثيته » .

فقال عمر : « ما عزَّاني أحدٌ بأحسن ممَّا عزيتني » (١) .

\* وروي « أنَّ مَتَمَّأ رثي زيدا أخوا عمر ؛ فلم يُجِدْ ، فقال له عمر : لم تَرثَ زيدا كما رثيت مالكا .

فقال : إنَّه والله ليحرِّكني لمالك ما لا يحركني لزيد » (٢) .

\* وأخرج الحاكمُ بسنده إلى عمرَ بن عبد الرَّحْمَنِ بن زيد بن الخطَّاب قال : « كان عمرُ - رضي اللهُ عنه - يُصابُ بالمصيبة فيقول : أصبتُ بزید بن الخطَّاب فصبرتُ . وأبصر عمر - رضي اللهُ عنه - قاتل أخيه زيد فقال له : ويحك ! لقد قتلت لي أخوا ما هبَّت الصِّبَا إلا ذكرتَه » (٣) .

---

(١) « فتوح البلدان » (ص : ١١٨) ، و« الاستيعاب » (١ / ٥٢٥) ، و« التَّذكرة الحمدونيَّة » (٤ / ٢٤٩ - ٢٥٠) مع الجمع والتصرّف .

(٢) « التَّذكرة الحمدونيَّة » (٤ / ٢٥٠) .

(٣) « المستدرک » (٣ / ٢٥٣) ترجمة رقم : (٥٠٠٨) . وعن عمر بن عبد الرَّحْمَنِ بن زيد بن الخطَّاب قال : « كان عمر - رضي اللهُ عنه - يُصابُ بالمصيبة=

\* وعن شدّة تأثر سيّدنا عمر وحزنه لاستشهاد أخيه زيد يقولُ سفيان بن عُيينة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « قُتِلَ زَيْدُ بْنُ الْخَطَّابِ بِالْيَمَامَةِ ، فَوَجَدَ عَلَيْهِ عَمْرٌ وَجَدًا شَدِيدًا » (١) .

\* ظلت ذكرى سيّدنا زيد بن الخطّاب تصحّبُ سيّدنا عمر في معظم

فيقول : أصبت بزید بن الخطّاب فصبرت .

وقال عمر بن عبد الرّحمن : « قال عمر لقاتل زيد : غيّب عني وجهك » .  
مختصر تاريخ دمشق « ( ١٩ / ٩٦ ) .

وأورد الإمام السيوطي رَضِيَ اللهُ فِيهِ « شرح شواهد المغني » أنّ « سيّدنا عمر بن الخطّاب - رضوان الله عليه - قال لمتّم بن نويرة : « ما أشدّ ما لقيت على أخيك من الحزن ؟

قال : كانت عيني هذه قد ذهبّت - وأشار إليها - فبكيت بالصحيحة ، وأكثرت البكاء حتّى أسعدتها العينُ الذّاهية ، وجرت بالدّمع .

فقال عمر : إنّ هذا الحزن شديدٌ ما يحزنُ هكذا أحدٌ على هالكه ، ثمّ قال عمر : يرحمُ الله زيد بن الخطّاب ، إنّي لأحسبُ أنّي لو كنتُ أقدرُ على أن أقولَ الشّعْر لبكيتُه كما بكيت أخاك .

فقال متّم : يا أمير المؤمنين ، لو قُتِلَ يوم اليمامة كما قُتِلَ أخوك ما بكيتُه أبداً . فأبصرَ عمرٌ وتعزّى عن أخيه ، وكان قد حزن عليه حزناً شديداً . وكان عمر يقول : إنّ الصّبا لتهبّ فتأتيني بريح زيد بن الخطّاب . قال ابنُ جعفر : فقلت لابن أبي عون : أمّا كان عمر يقول الشّعْر ؟ فقال : لا ، ولا بيتاً واحداً . « شرح شواهد المغني » ( ٢ / ٥٦٩ - ٥٧٠ ) .

وذكر الجاحظ أنّ سيّدنا عمر - رضي الله عنه - قال لأبي مريم الحنفيّ قاتل زيد بن الخطّاب : « لا يحبّك قلبي أبداً حتّى تحبّ الأرضُ الدم المسفوح » . « البيان والتبيين » ( ١ / ٣٧٦ ) .

(١) « الاستيعاب » ( ١ / ٥٢٣ ) .

الأحايين والأوقات ، وستظلُّ ذكرى زيد تصحبنا كلما هبت نسائم الصِّبا إلى  
ما يشاء الله ؛ فرضي الله عن زيد بن الخطَّاب ، وحشرنا وإيَّاه يوم الحساب ،  
وعفا عَنَّا بفضلِه إِنَّه الكريم الوهَّاب .



# عتبة بنُ غزوان

رضي الله عنه

- \* أسلم سابع سبعة ؛ وشهد بدرأً والمشاهدَ بالمعيَّةِ النَّبَوِيَّةِ .
- \* كان من الرُّماةِ المذكورين ؛ ومن أمراءِ الغُزاةِ واختطَّ البصرةَ .
- \* فتح كثيراً من البلدان ؛ وله كثيرٌ من الآثارِ الحِسانِ .

رفع  
عبد الرحمن المحمدي  
أسكنه الفردوس  
[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

## عتبة بن غزوان رضي الله عنه

من هذا العَلم ؟

\* آثارُ هذا الصَّحابي العَلم تشهدُ له ، وترسمُ سيادته ، وجهاده ، وفتوحاته ، وفراسته ، وتبصّره بمصالح المسلمين ، وهو مع هذه المحاسن لا يعرفه شطرٌ كبيرٌ من محبِّي الصَّحابة ، وممَّن يطلعون على تاريخ رجال عصر النُّبوَّة ، ويعكفون على دراسة حياتهم ، وعلى الرّغم من أنّ آثارَ هذا الرّجل باقيةٌ إلى الآن تشهدُ بِصدقه ، فإننا مُقصّرون في حقّه ، وحقّ كثيرين ممَّن لهم أنصعُ الأعمالِ في التّاريخ الإسلاميّ الرّاهر المُزهر بالعطاء والمحاسن .

\* مَن منّا لا يعرفُ مدينةَ البصرة ودورها في التّاريخ الإسلاميّ والأدبيّ والعلميّ والحضاريّ ؟

\* ومَن منّا لا يعرفُ أنّ البصرةَ هي إحدى روافد العِلم والعلماء منذ أن اختطّها هذا الرّجل في عصر النُّبوَّة وعصر الخلافة الرّاشدة وحتىّ الآن ؟

\* هذا العَلمُ الكبيرُ نقرأ اسمه في الورقة الأولى فيمن شهد شهادة النّجاة ، وآمنَ بِنبيّ النّجاة ﷺ ؛ إذ إنّ رقمه في سجلّ الإيمان هو السّابع ، فأكرمَ بهذا السّبُق ! وأعظمَ به !

\* وإذا أردنا أن نتعرّف أسماء المجاهدين الذين حضروا بدرأ والمشاهد جميعها بالمعيّة النُّبويّة ، ألفينا أنّ هذا العَلم كان من السّابقين في هذا المضمار سبقاً ؛ وممَّن فاحت أعمالهم كأزاهير الرّياض عباقاً .

\* وإذا أطلعنا على سجلِّ المهاجرين الهجرتين ، رأينا أنَّ صاحبنا قد حظي بالسَّبْقِ لِئَيْلِ هذا الشَّرْفِ الكَرِيمِ ، والخير العميم ، والأجر الجسيم .

\* ولهذا العَلَمِ الكَبِيرِ سَجَلٌ حافلٌ بألوانِ العِظائِمِ ، فتعالوا نقرأ ما جادت به قرائح أهل المكارم ؛ إذ قالوا : « عتَبَةُ بْنُ غَزْوَانَ بْنِ جَابِرِ بْنِ وَهَيْبٍ ؛ السَّيِّدُ الأَمِيرُ المِجَاهِدُ أبو غَزْوَانَ المَازِنِيُّ ، حَلِيفُ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ . أَسْلَمَ سَابِعَ سَبْعَةٍ فِي الإِسْلَامِ ، وَهَاجَرَ إِلَى الحَبَشَةِ ، ثُمَّ شَهِدَ بَدْرًا وَالمُشَاهِدَ ، وَكَانَ أَحَدَ الرُّمَاهِ المَذْكُورِينَ ، وَمِنْ أَمْرَاءِ الغُزَاةِ ، وَهُوَ الَّذِي اخْتَطَّ البَصْرَةَ وَأَنْشَأَهَا » (١) .

\* قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « عتَبَةُ بْنُ غَزْوَانَ ، افْتَتَحَ الأَبْلَةَ ، وَكَانَ مِنَ المِجَاهِرِينَ الأَوَّلِينَ ، وَمَصَّرَ البَصْرَةَ ، وَكَانَ مِنْ خِيَارِ المُسْلِمِينَ » (٢) .

\* نَسَمِعُ مِنْ حَلِيِّ « الحَلِيَّةِ » وَنَسَمِعُ إِلَى أَبِي نُعَيْمٍ وَنَسَمِعُ بِجَمَالِ كَلِمَاتِهِ الَّتِي افْتَتَحَ بِهَا تَرْجَمَةَ سَيِّدِنَا عتَبَةَ بْنِ غَزْوَانَ فَقَالَ : « وَمِنْهُمْ الزَّاهِدُ فِي الإِمْرَةِ وَالسُّلْطَانِ ، وَالتَّارِكُ لَوَالِيَةِ المَدَنِ وَالبُلْدَانِ ، سَابِعُ الإِسْلَامِ وَالإِيمَانِ ، أَبُو عَبْدِ اللهِ عتَبَةُ بْنُ غَزْوَانَ . . . لَهُ الخِطْبَةُ المَشْهُورَةُ فِي تَوَلِّي الدُّنْيَا وَتَصَرُّمِهَا ، وَفِي تَغْيِيرِ الأَيَّامِ وَتَلَوْنِهَا » (٣) .

\* إِذْنِ ، فَعتَبَةُ بْنُ غَزْوَانَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - مِنْ السَّابِقِينَ إِلَى مُطْلَعِ نَوْرِ

---

(١) « سِير أَعْلَام النُّبَلَاءِ » ( ١ / ٣٠٤ - ٣٠٦ ) . وَانظُرْ مَصَادِرَهُ فِي الحَاشِيَةِ .  
وَانظُرْ : « الرِّوَضُ المَعطَارُ فِي خَبَرِ الأَقطَارِ » ( ص : ٨ ، ٦٢ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ،  
٢٦٧ ، ٣٣١ ، ٣٨٣ ) ، وَ « البَدَايَةُ وَالنَّهَايَةُ » ( ٧ / ٤٩ ) ، وَ « المَعْجَمُ الكَبِيرُ »  
( ١٧ / ١١٢ - ١١٨ ) ، وَ « تَهْذِيبُ الأَسْمَاءِ وَاللُّغَاتِ » ( ١ / ٣١٩ ) ، وَ « طَبَقَاتُ  
ابْنِ سَعْدٍ » ( ٣ / ٩٨ - ٩٩ ) ، وَ « الأَسْتِيعَابُ » ( ٣ / ١١٣ - ١١٦ ) ، وَغَيْرِهَا  
كَثِيرٌ .

(٢) « الأَشْتِقَاقُ » ( ص : ٣١١ ) .

(٣) « حَلِيَّةُ الأَوَّلِيَاءِ » ( ١ / ١٧١ ) .



الإسلام ، وقد أبان هذا الأمر النَّفيس في خطبته المشهورة بالبصرة ، فقال : « لقد رأيتني سابعَ سبعةٍ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ؛ ما لنا طعامٌ إلا ورق الشَّجر ، حتَّى قرحت أشداقنا » .

\* وفي الوقت الذي أخذت قريشٌ تركبُ طريقَ الغيِّ والعناد ، وتكيلُ الضَّربات المؤلمة للمسلمين أهل السِّداد ، فُتِحَ لهم بابُ الأمل بالهجرةِ إلى الحبشةِ ، فهاجر عتبةٌ إليها مع مَنْ هاجر من المسلمين ، ونِعِمَ فيها مع إخوانه المهاجرين ، ولكنْ نُمي إلى المسلمين المهاجرين أنَّ قريشاً قد أسلمتْ وكفَّتْ أذاها عمَّن أسلم ، فانصرفَ عتبةٌ ومعه ثلَّةٌ وعادوا إلى مهوى الأفئدة مكَّةَ المكرمةِ ، بيدَ أنَّهم ألقوا الأمرَ على غير ما وصل إليهم ، فقريش لم تسلم ، بل إنَّ أذاها زاد ضراوةً وضراماً على من أسلم ، ومسَّ عتبة بن غزوان الأذى والضيق ، فصبرَ وصابرَ إلى أن فتحَ اللهُ - عزَّ وجلَّ - على المسلمين سبيلَ الهجرة إلى المدينة ، فترك عتبةٌ بيته وماله ، وهاجر إلى المدينة يصحبُ المقداد بن عمرو ، الصَّحابي الفارس ، حتَّى وصلا المدينة ، وهناك نزل سيِّدنا عتبةٌ على عبَّاد بن بشر الأنصاريِّ الخزرجيِّ في داره ، وقيل : نزل على عبد الله بن سلمة العجلانيِّ ؛ ولمَّا كانتِ المؤاخاةُ بين المهاجرين والأنصار ، كان نصيبُ سيِّدنا عتبة في المؤاخاة مع فارسٍ أنصاريِّ شجاع ، له المقاماتُ المحمودَةُ في المغازي النبويَّة ، وله مشيئةٌ مشهورةٌ ، وعصابةٌ حمراءٌ يعلمُ بها في الحرب ، هذا الفارسُ هو أبو دجانة سمَّاكُ بنُ خرشةَ الأنصاريِّ - رضي اللهُ عنه ، وحشرنا في معيته ، وعفا عنَّا بفضلِهِ ورحمته (١) - .

\* في رحاب الفضائل أبدعَ كلُّ واحدٍ منهما ، وعمل ما بوسعه أن يعملَ في سبيلِ نصرَةِ الإسلام ، وكان لسيِّدنا عتبةٌ بنُ غزوان المقاماتِ الرَّائدة ؛ في تواريخِ الفُتوحات في عهد الخلافة الرَّاشدة .

(١) « الاستبصار » (ص : ١٠٣) .

## عتبةٌ ورحلةُ الجهاد :

\* أسلم سيّدنا عتبةُ بنُ غزوان - رضي الله عنه - وهو في ريعان الشّباب وألقه وروضه ونضارته ، فقد دلفَ إلى الإسلام ولمّا يتجاوز الثّلاثين من العمر ، ولمّا هاجر إلى المدينة المنوّرة كان قد بلغ الأربعين ، وكان من المعدودين الذين يتقنون فنّ الرّمي ؛ إذ إنّ القوّة كلّ القوّة في الرّمي .

\* أطلّت السنّة الثّانية للهجرة على الدّنيا ، فبعث رسولُ الله ﷺ ثمانية رجال من أصحابه من المهاجرين إلى مكان يسمّى « نخلة » ؛ بقيادة عبد الله بن جحش الأسديّ ، وكان من أفراد السّريّة عتبةُ بنُ غزوان - رضي الله عنه - ، وكانت مهمّة هؤلاء مهمّة خطيرة تتطلّب الجرأة والشّجاعة وحسن الرّأي ، وكانوا كذلك ، فقاموا في تنفيذ مهمّتهم ، ونزل في حقّهم قرآنٌ يُتلى ، وقد فصّلتُ ذلك في كتابي « رجال مبشّرون بالجنّة » (١) .

\* انتظم سيّدنا عتبةُ في جنود الرّحمن مع كلّ غزوة غزاهَا رسولُ الله ﷺ ، فشهدَ بدرًا والمشاهد كلّها ، لم يتخلّف عن واحدة منها ، فكان من الأوائل والقلائل الذين شاركوا رسولَ الله ﷺ في جهاده ومشاهده ، وأعانوه على نشر دينِ الله - عزّ وجلّ - وإعلاء كلمته ، وتوفي رسولُ الله ﷺ وهو راضٍ عن عتبةِ بنِ غزوان ؛ وسائر الصّحابة عليهم من الله الرّضوان .

\* ولمّا كانت الخلافةُ الرّاشدةُ نجمتُ فتنّةُ المرتدين ، فكان سيّدنا عتبةُ - رضي الله عنه - ممّن أطفأ شرارها ، وحارب ديارها ، حتّى خبث نارها ، وانطفأ أوارها ، وعادت راياتُ المسلمين تخفقُ صافيةً على البلدان الإسلاميّة في عصر الصّديق - رضي الله عنه وأرضاه - .

\* تطلّعت بصيرةُ سيّدنا عمر - رضي الله عنه - لفتوح البُلدان ، فكان له

(١) « رجال مبشّرون بالجنّة » ( ص : ٢٧٠ - ٢٧٣ ) ، دار ابن كثير - دمشق - ط : ٥ -

ما أراد ، فانطلقت جيوشُ المسلمين نحو بلاد العراق لجهاد الفرس ، وإعلاء كلمة الله ، وكان سيّدنا عبتهُ من بين جنود الله الذين قاتلوا تحت لواء سيّدنا سعد بن أبي وقاص في القادسيّة (١) ، وفي سائر المعارك الأخرى التي قامت في هاتيك البقاع ، حتّى تمّ للمسلمين فتح المدائن وغيرها من الأصقاع .

## النّازي الفّاتحُ :

\* الصّحابيُّ الجليلُ عبتهُ بنُ غزوان - رضي الله عنه - أحد القادة الفاتحين ؛ الذين دوّخوا الفرسَ في العراق وفي كلّ الميادين ، وأحرزوا عليهم الانتصارات المشرّفة ، وكانت العَيْنُ العمريّةُ الفاروقيّةُ تفلّي رجال عصر الثّبوة الميامين ، وتختارُ الرّجلَ المناسب للمهمّات الخطيرة التي يعودُ نفعُها على الإسلام والمسلمين .

\* وحينما كان سيّدنا عبتهُ في صحبة سيّدنا سعد بن أبي وقاص في فتوحات العراق ، كتب سيّدنا عمر - رضي الله عنه - إلى سيّدنا سعد أن يضربَ قيروانه بالكوفة ، وأوعز إليه أن : « ابعثُ عبتهُ بنَ غزوان إلى أرضِ الهند - البصرة - فإنّ له من الإسلام مكاناً ، وقد شهد بدرًا ، وقد رجوتُ جزءه عن المسلمين - والبصرة تسمّى يومئذٍ أرضَ الهند - فينزلها ، ويتخذ بها للمسلمين قيرواناً ، ولا يجعلُ بيني وبينهم بحراً » (٢) .

\* قرأ سيّدنا سعدُ بنُ أبي وقاص - رضي الله عنه - كتابَ سيّدنا عمر - رضي الله عنه - ، فدعا عبتهُ بنَ غزوان - رضي الله عنه - ، وأطلعه على فحوى الكتاب العمريّ ، فاستجاب عبتهُ للرّغبة العمريّة الميمونة ، وانطلقَ من أرض الكوفة في ثمان مئة رجلٍ من المجاهدين ، فساروا حتّى نزلوا البصرة - وإثما سمّيت البصرةُ بصرّة ؛ لأنّها كانت فيها حجارة سود - فلمّا نزلها

(١) انظر في هذا : « طبقات ابن سعد » ( ٧ / ٥ ) .

(٢) « طبقات ابن سعد » ( ٧ / ٦ ) ، وانظر : معجم البلدان « ( ١ / ٤٣٢ ) .

عتبة - رضي الله عنه - ضرب قيروانه ، وضرب المسلمون أختيتهم وخيامهم ، وضرب عتبة خيمة له ، ثم بعث عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بالرجال ، فلما كثروا بنى رهط منهم فيها سبع دساكر من لبن ، ثم إن عتبة خرج إلى فرات البصرة ففتحه ، ورجع إلى البصرة ، وكان أهل البصرة يغزون جبال فارس ممّا يليها ، وجاء كتاب عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إلى عتبة بن غزوان أن انزلها بالمسلمين ، فيكونوا بها ، وليغزوا عدوهم من قريب .

\* وتذكرُ مصادرُ التاريخ والسيرة أنّ سيّدنا عتبة - رضي الله عنه - قد فتح الأبلّة حين وجّه سيّدنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إلى منطقة البصرة ، وكان عمر قد أوصاه فقال : « يا عتبة ! إنّي أريدُ أن أوجّهك لتقاتل بلد الحيرة ، لعلّ الله سبحانه يفتحها عليكم ، فسِرْ على بركة الله تعالى ويمنّه ، واتّق الله ما استطعت ، واعلم أنّك ستأتي حومة العدو ، وأرجو أن يعينك الله عليهم ويكفيكهم ، وقد كتبتُ إلى العلاء بن الحضرمي أن يمدك بعرفجة بن خزيمة ، وهو ذو مجاهدة للعدوّ ، وذو مكايدة شديدة ، فشاوِره وادعُ إلى الله - عزّ وجلّ - ، فمَنْ أجابك فاقبل منه ، ومَنْ أبى فالجزية عن يدٍ مذلة وصغارٍ ، وإلا فالسيف في غير هوادهٍ ، واستنفرْ مَنْ مررتَ به من العرب ، وحثّهم على الجهاد ، وكايد العدو ، واتّق الله ربّك » (١) .

(١) « الاستيعاب » ( ٣ / ١١٤ - ١١٥ ) ، وقد جاءت الوصيّة العمرية بشكل أوضح عند الطبري وابن كثير ؛ إذ قالوا : إنّ عمر قال لعتبة بن غزوان ؛ إذ وجّهه إلى البصرة : « يا عتبة ، إنّي قد استعملتُك على أرض الهند ، وهي حومة من حومة العدو ، وأرجو أن يكفيك الله ما حولها ، وأن يعينك عليها ، وقد كتبتُ إلى العلاء بن الحضرمي أن يمدك بعرفجة بن هرثمة ، وهو ذو مجاهدة للعدو ، ومكايدته ، فإذا قدم عليك فاستشره ، وقربه ، وادعُ إلى الله ، فمَنْ أجابك فاقبل منه ، ومَنْ أبى فالجزية عن صغارٍ وذلةٍ ، وإلا فالسيف في غير هوادهٍ ، واتّق الله فيما وُليت ، وإياك أن تنازعك نفسك إلى كبرٍ يفسد عليك آخرتك . وقد صحبت رسول الله ﷺ فعززت به بعد الدّلة ، وقويت به بعد الضّعف حتّى صرّت أميراً مسلطاً ، وملكاً مطاعاً ، تقول =

\* صدع سيّدنا عتبةٌ للأوامر العمريّة ، فافتتح الأبلّة ، والأبلّة : مدينةٌ قديمةٌ عامرةٌ ، فتحها عتبةٌ بنُ غزوان في زمنِ عمرَ - رضي الله عنه - ، ولمّا نزل عتبةُ الحُريّة ، وبالأبلّة خمس مئة من الأساورة ، وكانت مرفأ الصّين وما دونها ، خرج إليه أهلُ الأبلّة ، فناهضهم عتبةٌ ، وأمرَ رجلين من أصحابه فقال لهما : « كونا في عشرةِ فوارس في ظهورنا ، فتردّان المنهزم ، وتمنعان من أرادنا من ورائنا » (١) .

\* التقى عتبةٌ ومن معه من المجاهدين أهل الأبلّة ، فاقتتلوا مقدار ذبح جزور وقسمها ، ثمّ منح الله المسلمين أكتاف العدو ، فولّوا منهزمين ، وركنوا إلى الفرار ، حتّى دخلوا المدينة ، ثمّ رجع سيّدنا عتبةٌ بنُ غزوان إلى مكانٍ عسكريه ، فأقاموا أياماً ، وألقى الله - عزّ وجلّ - في قلوب العدو الرُعب الشّديد ، وزلزلوا زلزالاً شديداً ، ولشدة هلعهم واضطرابهم خرجوا عن المدينة ، وحملوا ما خفّ وزنه ، وارتفع ثمنه ، وعبروا الفرات ، وخلّوا المدينة وراءهم قاعاً صَفْصَفاً لا حركة فيها ، ولا أنس ، ولا أنيس ، وعندما دخلها المسلمون ؛ فأصابوا متاعاً ، وسلاحاً ، وسبيّاً ، وعيناً ، فاقتسموا العين والأموال ، وشهد فتح الأبلّة مئتان وسبعون مُقاتلاً من المجاهدين .

\* ومن الكراماتِ الجليّة التي حدثت في فتح الأبلّة ما ذكره الطبريّ وغيره قالوا : « لمّا خرج النَّاسُ لقتالِ أهلِ الأبلّة قالوا للعدو : نعبّرُ إليكم ، أو تعبرون إلينا ؟

= فيسمعُ منك ، وتأمّرُ فيطاعُ أمرك ، فيا لها نعمةٌ إن لم ترفعك فوقَ قدرِكَ وتبطركَ على من دونك ، احتفظْ من النّعمة احتفاظك من المعصية ، ولهيّ أخوفهما عندي عليك أن تستدرجك وتخدعك فتسقطُ سقطتُ تصيرُ بها إلى جهنّم ، أعيدك بالله ونفسي من ذلك . إنّ النَّاسَ أسرعوا إلى الله حين رُفعت لهم الدُّنيا ، فأرادوها ، فأرد الله ولا تُرد الدُّنيا ، واتق مصارع الظّالمين » . « تاريخ الطبريّ » ( ٤ / ١٥٠ ) ، و « البداية والنهاية » ( ٧ / ٤٨ ) .

(١) « الروض المعطار » ( ص : ٨ ) .

فقالوا : اعبروا إلينا .

فأخذوا خشب العُشْر ، وأوثقوه وعبروا ، فقال المشركون : لا نأخذُ أولهم حتَّى يعبرَ آخرهم .

فلمَّا صاروا على الأرض كَبَرُوا تكبيرة ، ثمَّ كَبَرُوا الثَّانية ، فقامت دوابُّهم على أرجلها ، ثمَّ كَبَرُوا الثَّالثة ، فجعلت الدَّابةُ تضربُ بصاحبها الأرضَ ، وجعلنا ننظرُ إلى رؤوسِ تندرُ ولا نرى مَنْ يضربها ، وفتح اللهُ على أيديهم المدينة . وقال سلمةُ بنُ فلانٍ شهدتُ فتحَ الأبلَّةِ ، فوقع في سهمي قدر نحاس ، فلمَّا نظرتُ إذا هي ذهب فيها ثمانون ألف مثقال ، وكتبَ في ذلك إلى عمر - رضي اللهُ عنه - ، فكتب عمرُ أن يحلفَ سلمةُ بالله لقد أخذتها يوم أخذتها وهي عنده نحاس ، فإن حلفَ سلَّمت إليه ، وإلا قسمت بين المسلمين ، فحلفتُ فسَلَّمت لي ، فأصولُ أموالنا اليومَ منها . وقال خالدُ بنُ عُمر : شهدتُ فتحَ الأبلَّةِ مع عتبةَ بنِ غزوان ، فأصبنا سفينةً مملوءةً جوزاً ، فقال رجلٌ منَّا : ما هذه الحجارة ؟ وكسرناها فأكلنا منها ، فقلنا هذا طعامٌ طيِّبٌ « (١) » .

(١) « الرِّوض المعطار » (ص : ٨) . وانظر خبر خالد بن عُمر في : « المعجم الكبير » للطبراني ( ١٧ / ١١٣ ) ، وعندما تحدَّث ياقوت الحموي عن « الأبلَّة » أعطانا معلوماتٍ مهمةً أيضاً ومفادها : « الأبلَّةُ بلدةٌ على شاطئِ دجلةِ البصرةِ العظمى في زاويةِ الخليجِ الذي يدخل إلى مدينةِ البصرة ، وهي أقدمُ من البصرة ؛ لأنَّ البصرةَ مُصرت أيامَ عمر بن الخطَّاب - رضي اللهُ عنه - ، وكانت الأبلَّةُ حينئذٍ مدينةً فيها مسالِحُ من قبل كسرى ، وقائدٌ ، وكان خالدُ بنُ صفوان يقول : ما رأيتُ أرضاً مثل الأبلَّةِ مسافةً ، ولا أغذى نطفةً ، ولا أوطأ مطيةً ، ولا أربح لتاجرٍ ، ولا أخفى لعائد .

وقال الأصمعيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : جَنَّانُ الدُّنيا ثلاث : غوطَةُ دمشق ، ونهرُ بلخ ، ونهرُ الأبلَّةِ . وقد نُسِبَ إلى الأبلَّةِ جماعةٌ من رواةِ العِلْمِ ، منهم : شيبانُ بنُ فروخِ الأبلِّي ، وحفصُ بنُ عمر بن إسماعيلِ الأبلِّي ، وابنهُ إسماعيلُ بنُ حفصِ أبو بكرِ الأبلِّي ، =

\* وحينما نذكرُ مدينةَ البصرة العِراقِيَّةَ ، نذكُرُ معها أوَّلَ مَنْ مَصَّرَها ، وهو سيِّدنا عتبهُ بنُ غزوان - رضي اللهُ عنه - ، وهذه المدينةُ مَنْ أَعْنَى مدِنِ العالمِ الإسلاميِّ بالفِكرِ والعُلَماءِ والأدباءِ والمجتهدِينَ والمجاهدِينَ .

\* ونجدُ صاحبَ « الرِّوضِ المعطارِ » يتحدَّثُ عن البصرة بشيءٍ من الإسهابِ والإعجابِ ، ويسوقُ معلوماً في غاية الأهميَّةِ ، ويشيرُ إلى دورِ سيِّدنا عتبهَ بنِ غزوان - رضي اللهُ عنه - في بنائها ، فكان ممَّا قال وأفاد : « البصرةُ بالعِراقِ ، وهي كانت قِبَةَ الإسلامِ ، ومقرُّ أهلِهِ ، بُنِيَتْ في خلافةِ عمر - رضي اللهُ عنه - في سنة أربع عشرة ، واختطَّتْ عتبهُ بنُ غزوان المنازلَ بها ، وبنى مسجداً من قصبٍ ، ويقالُ بل كان ذلك سنة سبع عشرة ، وعتبهُ - رضي اللهُ عنه - أوَّلُ مَنْ اختطَّها ونزلها في ثمان مئة رجلٍ ، وهو الذي فتح الأبلَّةَ ؛ وبالبصرة خطبَ عتبهُ بنُ غزوان خطبته المشهورة ، وهي ثابتةٌ في « صحيحِ مسلمٍ » ، أوَّلها : أمَّا بعد ، فإنَّ الدُّنيا آذنت بصِرمٍ ، وولَّتْ حذاءً . . . إلى آخرها . . . وسببُ بنائها أنَّ عمرَ - رضي اللهُ عنه - كتبَ إلى سعدِ بنِ أبي وقاصٍ - رضي اللهُ عنه - ، وهو على حربِ العِراقِ ، يستنبي ما الذي غيرَ ألوانِ العِربِ ولحومهم ، فكتبَ إليه أنَّ العِربَ غيرَ ألوانها ولحومها وخومة المدائن ودجلة . . . فكتبَ إلى سعدِ بأنَّ العِربَ لا يصلحها من البلدان إلا ما يصلح الشاةَ والبعيرَ ، ثمَّ أمره بنزول الكوفة ، فارتحل سعد - رضي اللهُ عنه - من المدائن بالنَّاسِ حتَّى عسكرَ في الكوفة سنة سبع عشرة ، واستقرَّ أيضاً بأهلِ البصرة منزلهم اليوم ، فاستقرا في قرارهما في شهر واحد . . . وبصَّرَ البصرة لعمرَ - رضي اللهُ عنه - عتبهُ بنُ غزوان - رضي اللهُ عنه - » (١) .

= وأبو هاشم كثيرٌ بنُ سليم الأبلِّي من أهلها ، وهو الذي يُقالُ له كثيرٌ بنُ عبدِ اللهِ ، يضعُ الحديثَ عن أنسٍ ، ويرويهِ عنه ، لا تحلُّ رواية حديثه . « معجم البلدان » ( ١ / ٧٦ - ٧٨ ) بتصرُّف .

(١) « الرِّوضِ المعطارِ » ( ص : ١٠٥ ) باختصارٍ وتصرُّفٍ .

\* كانت البصرة والكوفة مقراً للإسلام ، وقرارة للدين ، وهما محالّ الصّحابة الكرام ، والتّابعين الأعلام ، والصّالحين وجيوش المسلمين والمجاهدين ، ثمّ نشأت بين أهل المصريّين البصرة والكوفة مفاخرات ومفاضلات استوعبتها المصادر الأدبية والتّاريخية وأضرابهما وهي تنبئ عن علم وفنّ وأدب ومعرفة وفائدة كثيرة تشحذ الأذهان ، وتزيد من ثقافة محبّي العِلْم وفروعه .

\* ومن اللطائف التي نتجت عنها هذه المفاخرات والمحاورات بين البصرة والكوفة ما حصيلته ، أنّ محبّي البصرة قالوا : « الدّنيا والبصرة ، وقال الأحنف لأهل الكوفة : نحن أعدى منكم بريّة ، وأكثر منكم بحريّة ، وأبعد منكم قربة ، وأكثر منكم سرية . وزعم أهل الكوفة أنّ البصرة أسرع الأرض خراباً ، وأخبثها تراباً ، وأبعدها من السّماء ، وأسرعها غرقاً . . . وسئل بعض النّاس عن فقهاء الكوفة فقال : أبحث النّاس لصغير وأتركه لكبير ، يتكلّف أحدهم القول في الدّور والدين والعين . . . وعاب بعض الكوفيين فقهاء البصريين فقال : كان الحسنُ أزرق ، وقتادةُ أعمى ، وابنُ أبي عروبةُ أعرج ، وهشامُ أعمى ، وواصلُ أحدب ، وعبدُ الوارثُ أبرص ، ويحيى بنُ سعيدٍ أحوّل . فقال بعضُ البصريين : كان علقمةُ أعرج ، وإبراهيمُ أعور ، وسليمانُ أعمش ، ورشيدُ أعرج ، وأبو معاوية أعمى ، ومسروقٌ مفلوجاً ، وشريحٌ سناطاً » (١) .

\* ويمدّنا ياقوتُ الحمويّ بمعلومات مهمّة وطريفة عن سيّدنا عتبة بن غزوان - رضي الله عنه - ، وعن البصرة ، فيقول ما خلاصته : « البصرة وهما بصرتان : العظمى بالعراق ، وأخرى بالمغرب . . . وأمّا البصرتان : فالكوفة والبصرة . . . والبصرة في كلام العرب : الأرضُ الغليظةُ التي فيها حجارة

(١) « الرّوض المعطار » (ص : ١٠٦) بتصرّف واختصار .



تقلع ، وتقطع حوافر الدّواب . وسُمّيت البصرةُ بصرةً لغلظتها وشدّتها . . .  
وقيل : البصرة : الأرض الطّيّبة الحمراء . . . وقيل : البصرة : تعريب  
بسّ رآه ؛ لأنّها كانت ذات طُرُقٍ كثيرة انشعبت منها إلى أماكنٍ مختلفة .  
والنسب إليها بصريّ بكسر الباء لإسقاط الهاء . وأما فتحها وتمصيرها ، فكان  
في عهد عمر بن الخطّاب - رضي الله عنه وأرضاه - ، وولّاها عتبةُ بنُ  
غزوان - رضي الله عنه - ، وقال له عمرُ - رضي الله عنه - : إنّ الحيرة قد  
فتحت ، فأنت أنت ناحية البصرة ، وأشغل من هناك من أهل فارس والأهواز  
وميسان عن إمداد إخوانهم ، فأتاها عتبةُ ، وانضمَّ إليه سُويدُ بنُ قطبة فيمن معه  
من بكر بن وائل وتميم . قال نافعُ بنُ الحارث : فلمّا أبصرتنا الدّيابة خرجوا  
هُرّاباً ، وجئنا القصر ، فنزلناه ، فقال عتبةُ : ارتادوا لنا شيئاً نأكله ! فدخلنا  
الأجمة ، فإذا زنبيلان في أحدهما تمرٌ ، وفي الآخر أرزٌ بقشره ، فجدبناهما  
حتّى أدنيناهما من القصر ، وأخرجنا ما فيهما ، فقال عتبةُ : هذا سمٌّ أعدّه  
لكم العدو ، يعني الأرز ، فلا تقرّبته ، فأخرجنا التمر وجعلنا نأكل منه ، فإنّنا  
لكذلك إذا بفرس قد قطع قياده ، وأتى ذلك الأرز يأكل منه ، فأردنا أن نذبّه  
قبل أن يموت ، فقال صاحبهُ : اتركوه ، فأنا أحرصه الليلة ، فإذا أحسستُ  
بموته ذبحته ، فلمّا أصبحنا إذا الفرسُ صحيحٌ لا بأس عليه ، فقالت  
أختي : يا أخي ! إنّني سمعتُ أبي يقول : إنّ السمَّ لا يضرّ إذا نضج ، فأخذتُ  
من الأرز توقدُ تحته ، وما زالت تطبخه حتّى ذهب قشره عنه ، فألقيناه في  
الجفنة ، فقال عتبةُ : اذكروا اسمَ الله عليه وكُلّوه ؛ فأكلوا منه فإذا هو طيبٌ ،  
فجعلنا بعد ذلك نميّطُ عنه قشره ونطبخه ، فلقد رأيتني بعد ذلك وأنا أعدّه  
لولدي . . . وكانت مع عتبةَ بنِ غزوان - رضي الله عنه - لَمّا قدم البصرة زوجته  
أزدة بنتُ الحارث بن كلدّة ، فلمّا قاتلَ عتبةُ أهلَ مدينة الفُرات ، جعلت امرأتهُ  
تحرّضُ المؤمنين على القتال ، ففتح الله على المسلمين تلك المدينة ، وأصابوا  
غنائم كثيرة . . . ثمّ إنّ عتبةَ كتب إلى عمر يستأذنه في تمصير البصرة ،  
وقال : يا أمير المؤمنين ! إنّهُ لا بدّ للمسلمين من منزل إذا أشتى شتوا فيه ،

وإذا رجعوا من غزوهم لرجؤوا إليه ، فوافقه عمرُ - رضي الله عنه - ، ومَصَّرَ البصرة « (١) .

\* وكان سيِّدنا سعدُ بنُ أبي وقَّاص - رضي الله عنه - يكتابُ عتبةَ بأمره ونهيه ، فأنفَ عتبةُ من ذلك ، واستأذن عمر في الشُّخوص إليه ، فأذن له . . . ولمَّا أراد عتبةُ الانصراف إلى المدينة خطب النَّاس ، وقال كلاماً في آخره : « وستجرِّبون الأمراء من بعدي » قال الحسنُ « فلقد جرَّبناهم فوجدنا له الفضل عليهم » (٢) .

\* وكان عتبةُ - رضي الله عنه - لمَّا شخصَ إلى عمر - رضي الله عنه - استخلف مجاشع بن مسعود السُّلميَّ على جنده ، وكان عتبةُ قد سيَّره في جيش إلى فرات البصرة ليفتحها ، فأمر المغيرة بن شعبة أن يقومَ مقامه إلى أن يرجع . . . وفي المدينة المنورة شكَا عتبةُ إلى عمر تسلُّطَ سعدٍ عليه ، فقال له : « وما عليك إذا أقررت بالإمارة لرجلٍ من قريش له صحبة وشرف ؟ » .

قال عتبةُ : « أولسْتُ من قريش ؟ قال رسولُ الله ﷺ : « حليفُ القوم منهم » ، ولي صحبةٌ قديمةٌ مع رسولِ الله ﷺ لا تنكُرُ ولا تدفع » .  
فقال عمر « لا ننكُرُ ذلك من فضلك » .

قال عتبةُ : « أما إذا صار الأمر إلى هذا ، فوالله لا أرجعُ إلى البصرة أبداً » .

فأبى عمرُ - رضي الله عنه - إلا أن يردَّ عتبةَ إليها ، فردَّه ، فماتَ بالطَّرِيق ، أصابه بَطْنٌ فماتَ ، وكان عمله على البصرة ستَّة أشهر ، فقدم سُويد غلامه بمتاعه وتركتِهِ على عمرَ بن الخطَّاب ، وذلك سنة ( ١٧ هـ ) ، وكان

(١) « معجم البلدان » ( ١ / ٤٣٠ - ٤٣٢ ) باختصار وتصرف .

(٢) « معجم البلدان » ( ١ / ٤٣٣ ) .

عتبةُ بنُ غزوان يوم مات ابن ( ٥٧ سنة ) - رضي الله عنه (١) - .

### من رُواةِ الحديثِ النَّبويِّ :

\* هذا الصَّحابِيُّ السَّابِقُ البدرِيُّ راضِعُ لَبَنِ المعالي ؛ المتواضع العالي ، من أهل بيعة الرِّضوان ، ومن السَّابِقين إلى مرضاة الرَّحمن ، كان من المُقلِّين في رواية الحديث النَّبويِّ الشَّريف ، مع أنَّ له حديثاً منها في الصَّحيح ، فقد روي له عن رسولِ اللهِ ﷺ أربعة أحاديث ، روى مسلم أحدها ، وله في « مسند أحمد » ، و« معجم الطَّبْراني » بعضها .

\* روى عنه خالدُ بنُ عمير العدويِّ ، وقبيصةُ بنُ جابر ، وهارونُ بنُ رئاب ، وغنيمُ بنُ قيس المازنيِّ ، والحسنُ البصريِّ ، وغيرهم (٢) .

\* قال ابنُ حجر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في « الإصابة » : « روى له مسلمٌ ، وأصحابُ السُّننِ » (٣) .

\* وسوف نستجُمُّ في رحلتنا الحديثية مع سيِّدنا عتبة بصحبة « صحيح

---

(١) انظر : « طبقات ابن سعد » ( ٧ / ٧ - ٨ ) ، و« سير أعلام النبلاء » ( ١ / ٣٠٥ - ٣٠٦ ) ، و« معجم البلدان » ( ١ / ٤٣٣ ) مع الجمع بينهما ، ثم التصرّف اليسير .

وعن وفاة سيِّدنا عتبة يقول ابنُ كثير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ما خلاصته : « ولمَّا استكملَ عتبةُ فتح بلاد فارس ، استأذن عمر - رضي الله عنه - في الحج فأذن له ، فسار إلى الحجِّ ، واجتمع بعمر في الموسم ، وسأله أن يقيه فلم يفعل ، وأقسم عليه ليرجعنَّ إلى عمله ، فدعا عتبةُ الله - عزَّ وجلَّ - فمات ببطن نخلة ، وهو منصرفٌ من الحجِّ ، فتأثَّر عليه عمر ، وأثنى عليه خيراً » . « البداية والنهاية » ( ٧ / ٨٥ ) .

(٢) « تهذيب التهذيب » ( ٧ / ١٠٠ ) ، و« تهذيب الأسماء واللغات » ( ١ / ٣١٩ ) ، و« سير أعلام النبلاء » ( ١ / ٣٠٤ ) .

(٣) « الإصابة » ( ٢ / ٤٤٨ ) .

مسلم « رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، ونستمتع بشيء من الرُّهد والرَّقائق العُثْبِيَّة المباركة التي دَوَّنَهَا مسلمٌ في « صحيحه » ؛ إذ أخرج بسنده عن خالد بن عمير العدوي قال : « خَطَبَنَا عْتَبَةُ بْنُ غَزْوَانَ ، فَحَمِدَ اللهُ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنْتْ بِصُرْمٍ ، وَوَلَّتْ حَدَاءً ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبابَةٌ كَصُبابَةِ الإِنَاءِ يتصائبها صاحبها ، وإِنَّكُمْ مَنْتَقِلُونَ مِنْهَا إِلَى دَارٍ لَا زَوَالَ لَهَا ، فَانْتَقِلُوا بِخَيْرٍ مَا بَحَضَرْتُمْ ، فَإِنَّهُ قَدْ ذُكِرَ لَنَا : أَنَّ الحَجَرَ يُلقَى مِنْ شَفَةِ جَهَنَّمَ ، فيهوي فيها سبعين عاماً لَا يُدْرِكُ لَهَا قَعراً ، ووالله ! لَتَمْلَأَنَّ ، أفعجبْتُمْ ؟ ولقد ذُكِرَ لَنَا أَنَّ ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة ، وليأتينَّ عليها يوم وهو كَطَيْظٍ مِنَ الزَّحَامِ ، ولقد رَأَيْتُنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، ما لنا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الشَّجَرِ ، حَتَّى قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا ، فَالْتَقَطْتُ بُرْدَةً فَشَقَقْتُهَا بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ ، فَاتَّرَرْتُ بِنِصْفِهَا ، وَاتَّرَرَ سَعْدٌ بِنِصْفِهَا ، فَمَا أَصْبَحَ الْيَوْمَ مَنَّا أَحَدٌ إِلَّا أَصْبَحَ أَمِيراً عَلَى مِصرٍ مِنَ الْأَمْصارِ ، وَإِنِّي أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ فِي نَفْسِي عَظِيماً ، وَعِنْدَ اللهِ صَغيراً ، وَإِنَّهَا لَمْ تَكُنْ نَبْوَةً قَطُّ إِلَّا تَناسَخَتْ ، حَتَّى يَكُونَ آخِرَ عاقِبَتِها مُلْكَاً ، فَسَتَخْبِرُونَ وَتَجْرُبُونَ الْأَمْراءَ بَعْدَنَا » (١) .

(١) أخرجه مسلم في الرُّهد والرَّقائق برقم : ( ٢٩٦٧ ) . وانظر هذه الخطبة في « المستدرک » ( ٣ / ٣٩٢ - ٣٩٣ ) برقم : ( ٥١٣٩ ) ، وقال : « صحیح علی شرط مسلم ولم یخرجه » ، و« المعجم الكبير » ( ١٧ / ١١٤ - ١١٥ ) برقم : ( ٢٨٠ ) ، و« المسند » ( ٦ / ١٨١ ) برقم : ( ١٧٥٨٦ ) ، و« الاستيعاب » ( ٣ / ١١٦ ) ، و« العقد الفريد » ( ٤ / ١٣١ ) ، و« البيان والتبيين » ( ٢ / ٦٩ ) ، وغيرها من مصادر لا تُحصى .

ومعنى قوله « آذنت » : أعلمت . و« الصُّرم » : الانقطاع والذهاب . و« حَدَاءً » : مسرعة الانقطاع . و« الصُّبابة » : البقية اليسيرة من الشراب تبقى في أسفل الإناء . و« يتصائبها » : يشربها . و« قعراً » : قعر الشيء : أسفله . و« الكطيط » : الممتلئ . و« قرحت » صار فيها قروح وجراح . و« سعد بن مالك » : سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - .

\* ومن مرويات عتبة بن غزوان ما أخرجه الطبراني والحاكم بسندٍ عنه ،  
أن رسول الله ﷺ قال يوماً لقريش : « هل فيكم من ليس منكم ؟ » وفي  
رواية : « هل فيكم أحدٌ من غيركم ؟ » .

قالوا : ابن أختنا عتبة بن غزوان .

فقال : « إن ابن أخت القوم منهم ؛ وحليف القوم منهم » (١) .

\* ولسيدنا عتبة - رضي الله عنه - مرويات أخر تكفلت مصادر الحديث  
بذكرها .

\* بقي أن نعرف أن سيدنا عتبة بن غزوان - رضي الله عنه - كان حليفاً  
لبنى عبد شمس ، وله مآثرٌ عظيمةٌ في ميدان الفتوح ؛ وقد طلب من سيدنا عمر  
أن يعفيه من منصبه على البصرة ؛ فهو من أعلام الزاهدين ، وأعيان الورعين  
الذين يخشون من المناصب خشية الوقوع في الأخطاء ؛ وهذا يدل على تواضع  
سيدنا عتبة وزهده وخشيته من الله - عز وجل - ، فعندما اختط البصرة ، لم  
يختط لنفسه داراً ، فمات وهو فقيرٌ لا يملك درهماً ، ولا ديناراً ، ولا داراً ،  
وقد سخر كل ما يملك في سبيل الله - عز وجل - ، فقد كان رجلاً طويلاً جميلاً  
وسيماً ، وكان رامياً ماهراً من رماة (٢) الصحابة المعدودين الذين شهد لهم  
الرجال الأشداء في هذا المضمار . كما كان من أعلام القادة الموقفين في

---

(١) أخرجه الطبراني (١٧ / ١١٨) برقم : (٢٩١) ، والحاكم (٣ / ٢٩٣)  
برقم : (٥١٤٠) .

(٢) الرماة من أصحاب النبي ﷺ المذكورون جماعة منهم : سيدنا سعد بن أبي وقاص ،  
وعتبة بن غزوان ، والسائب بن عثمان بن مظعون ، والمقداد بن عمرو ، وزيد بن  
حارثة ، وحاطب بن أبي بلتعة ، وخراش بن الصمة ، وقطبة بن عامر بن حديدة ،  
وبشر بن البراء بن معرور ، وأبو نائلة سلكان بن سلامة ، وأبو طلحة ، وعاصم بن  
ثابت بن أبي الأفلح ، وفتادة بن الثعمان - رضي الله عنهم ، وحشرنا في حزبهم  
ومعيتهم - .

الفتوحات ، يعمل لإعلاء كلمة الله - عز وجل - ، ويحرص على سلامة رجاله من آفات الحروب ضمن ضوابط متقنة ، فقد كان يتمتع بشخصية قوية نبيلة ، وضحية نبوية طويلة ، وجهاد منذ فجر الإسلام في أم القرى إلى آخر حياته في بلاد العراق ، فهو الذي فتح العراق الجنوبي ، والأهواز ، فنشر فيها رايات الإسلام في عصر صدر الإسلام ، وستظل يا ذن الله خفاقة إلى ما شاء الله .

\* وبعد : فهل عرفنا من هو عتبة بن غزوان ؟ وهل نتغنى بسيرته أمام الشبان والعلمان ، وهل نربي الناشئة على محبة رجال النبي العدنان ﷺ ، وهل نسمي أبناءنا بأسماء هؤلاء الشجعان ؟ ! لهذا ما نرجوه يا ذن الله الكريم المثنان .

\* رضي الله عن سيدنا عتبة بن غزوان ، وجمعنا معه في أعالي الجنان ، وعفاننا بفضلته إنه رحيم رحمن .



# عثمانُ بنُ مظعون

رضي الله عنه

- \* من سادة المهاجرين ؛ ومن أعيان السابقين الأولين .
- \* أولُ مَنْ دُفِنَ بالبقيع من أصحاب النَّبِيِّ ﷺ .
- \* قال عنه ﷺ : « إِنَّ ابْنَ مَظْعُونٍ لَحَيٌّ سَتِيرٌ » .

رَفَعُ  
عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس  
[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)



## عثمانُ بنُ مظعونٍ رضي اللهُ عنه

منُ أولياءِ الله :

\* تنقَّسَ صَبْحُ الإسلامِ ؛ وأطلَّ لطيفاً كالزَّهرِ يطلُّ في الأكمامِ ، فأسرَعَ  
هذا الرَّجُلُ فكان من مشاهيرِ الأعلامِ ؛ كان إلى الاستجابةِ لله سابقاً ، وبمعالي  
الأحوالِ لاحقاً ، وفي العبادةِ ناسكاً ، وفي المحاربةِ فاتكاً ، بلغت همَّته  
السَّماءَ ، وجلَّت أخباره الظُّلماءَ ؛ له الرُّتْبُ المكيَّةُ ، وعليه الوقارُ والسَّكينةُ ،  
هذا الرَّجُلُ هو المُمتَحَنُ في عينهِ المطعونُ ، ذو الهجرتينِ عثمانُ بنُ  
مظعون بن حبيب الجُمَحِيِّ القُرَشِيِّ<sup>(١)</sup> ، السَّيِّدُ الفاضلُ ، من سادة  
المهاجرينِ ، ومن رعيِلِ السَّابقينِ ، ومن أولياءِ الله المتَّقينِ ، الذين فازوا  
بوفاتهم في حياةِ نبيِّهم ، فصلَّى عليهم ، وكان - رضي اللهُ عنه - أوَّلَ مَنْ دُفِنَ  
بالبقيعِ ، من صحابةِ النَّبِيِّ الشَّفيعِ ﷺ .

---

(١) « السِّيَرَةُ النَّبَوِيَّةُ » (الفهارس : ١ / ٧٧٦) ، و« الاشتقاق »  
(ص : ١١٧ و ١٣١) ، و« التَّبَيِّنُ » (ص : ٣٩٧ - ٣٩٨) ، و« صفة الصَّفوة »  
(١ / ٤٤٩ - ٤٥٤) ، و« المستدرِك » (٣ / ٢٠٩ - ٢١٠) ، و« حلية الأولياء »  
(١ / ١٠٢ - ١٠٦) ، و« سير أعلام النبلاء » (١ / ١٥٣ - ١٦٠) ،  
و« الاستيعاب » (٣ / ٨٥ - ٨٩) ، و« طبقات ابن سعد » (٣ / ٣٩٣ - ٤٠٠) ،  
و« أسد الغابة » (٣ / ٤٩٤ - ٤٩٧) ترجمة رقم : (٣٥٨٨) ، و« تهذيب الأسماء  
واللغات » (١ / ٣٢٥ - ٣٢٦) ، وغيرها كثير .

\* هذا الصَّحابي المفضَّل ؛ السَّابِق إلى كريم الخصال ، من أسرة زكِيَّة الفِعال ، قدَّمت للإسلام عدداً من أعيان الرِّجال ، الذين يسبحون ربَّهم بالعدوِّ والأصاال ، ويزيِّنون الأقوال بالأفعال .

\* ومن رجال بني مِظعون الأخيار : قدامةُ بنُ مِظعون أبو عمرو الجمحيِّ ، من السَّابقين البدرين من أخوال أمِّ المؤمنين حفصةَ ، وابنِ عمر ، وزوج عَمَّتِهما صفِيَّة بنت الخطَّاب ، إحدى المهاجرات الفاضلات ، توفي قدامةُ سنة ( ٣٦ هـ ) وعمره ( ٦٨ سنة ) وكان لا يغيِّرُ شيبه ، وكان طويلاً أسمرَ - رضي اللهُ عنه - .

\* وأخوه : عبدُ اللهِ بنُ مِظعون الجمحي أبو محمَّد ، من السَّابقين الأوَّلِين ، شهد بدرًا هو وإخوته : عثمان ، وقدامة ، والسَّائب ولد أخيه ، وهاجر عبدُ اللهِ إلى الحبشة الهجرة الثَّانية ، وشهد بدرًا ، وأُحدًا ، والخندق ، وأخى رسولُ اللهُ ﷺ بينه وبين سهل بن عُبيد بن المعلِّ الأنصاريِّ ، ومات عبدُ اللهِ في خلافة سيِّدنا عثمان سنة ( ٣٠ هـ ) ، وعمره ( ٦٠ سنة ) - رضي اللهُ عنه - .

\* وابنه : السَّائبُ بنُ عثمان بن مِظعون الجمحيِّ ، وأُمُّه : خولة بنتُ حكيم السُّلَمِيَّة ، هاجر إلى الحبشة ، وكان من الرُّماة المذكورين ، وأخى رسولُ اللهُ ﷺ بينه وبين حارثة بنِ سراقَة الأنصاريِّ ، المقتول ببدر ؛ الذي أصاب الفردوس الأعلى في جنان الجَنَّة ؛ وشهد السَّائب بدرًا ، وأصابه سهم يوم اليمامة سنة ( ١٢ هـ ) ومات منه - رضي اللهُ عنه - .

### صبرُهُ وتحمُّلُهُ الشَّدائد :

\* كان إسلامُ أبي السَّائب عثمانَ بنِ مِظعون مع ثلَّة المؤمنين الأوَّلِي ، ممَّن بكَروا إلى اعتناق دين الله في مرحلة برعمه المتفتح على أنفاس التَّوحيد والدُّكر ، ونبذ الشُّرك وعبادة الأوثان والأصنام . فقد أسلم سيِّدنا عثمانُ بنُ

مظعون قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي<sup>(١)</sup> ؛ قال ابن إسحاق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « أسلم عثمانُ بنُ مظعون بعد ثلاثة عشر رجلاً ، وهاجر الهجرتين ، وشهد بدرًا »<sup>(٢)</sup> ، وكان إسلامه على يد سيدنا أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - .

\* ومنذ أن نشأ سيدنا عثمان في مكة المكرمة كان من المشهورين بسعة الأفق والذكاء ، وكان حصيماً عاقلاً ، أنف من الخضوع للأصنام ، وسخر ممن يعبدونها ، ونفّر من كثير من عادات الجاهلية ، وحرّم الخمر على نفسه<sup>(٣)</sup> ؛ إذ رأى أن فيها خصالاً تفسد الرجل الحليم .

\* قال ابن سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وغيره : « زعموا أن عثمانَ بنَ مظعون حرّم الخمر في الجاهلية ، وقال : إنّي لا أشربُ شيئاً يُذهِبُ عقلي ، ويُضحك بي مَنْ هو أدنى منّي ، ويحملني على أن أنكحَ كريمتي مَنْ لا أريد »<sup>(٤)</sup> .

\* ولمّا رسخ سيدنا عثمان في الإسلام ، استغرق في العبادة ، واجتهد في الطاعة ، ونشط في العبادة نشاطاً ملحوظاً ، واخشوشن في ثيابه وطعامه وشرايه ؛ لأنّه رأى بعين اليقين وعين البصيرة ، أن الآخرة خيرٌ وأبقى ، وأنّ نعيم الدنيا لا شك زائل .

\* رأى سادة قريش ، وأكابر مجرميها هؤلاء الأصفياء قد فارقوا دين

(١) « صفة الصّفوة » ( ١ / ٤٥٠ ) .

(٢) « الثّيبين » ( ص : ٣٩٧ ) .

(٣) لم يكن سيدنا عثمان بن مظعون وحده ممن حرّم الخمر في الجاهلية ، وإنّما حرّمها كثيرون من مثل : أبو بكر الصديق ، وعثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعباس بن مرداس ، وقيس بن عاصم ، وقبل هؤلاء حرّمها : عبد المطّلب بن هاشم ، وعبد الله بن جدعان ، وورقة بن نوفل ، وغيرهم .

(٤) « طبقات ابن سعد » ( ٣ / ٣٩٣ - ٣٩٤ ) ، و« صفة الصّفوة » ( ١ / ٤٥٠ ) ، و« سير أعلام النبلاء » ( ١ / ١٥٥ ) .

الآباء والأجداد ، ونبذوا اللات والعزى وراء ظهورهم ، وكذلك مائة الثالثة الأخرى ، واحتقروا هبل وسائر الأصنام ، فأخذوا يكيّدون عثمان بن مظعون ومن آمن من رجال قريش ونسائهم وشبابهم ، وطفقوا يذيقونهم ألوان التعذيب من الحبس والضرب والجرح والكّي ، ومنع الطعام والشراب ، ووضع الأحجار الساخنة على الأجسام ، والتعريض لأشعة الشمس ولهيبها فوق رمال مكة وصخورها .

\* هذا كله لم يؤثّر في يقين سيّدنا عثمان وثباته ، بل كان يزداد إيماناً كلما نزل شيء من القرآن الكريم ، ويستقرّ الإيمان في قلبه ، ويحبّ النبيّ ﷺ أكثر وأكثر . ونستدلّ على هذا الأمر بما جاء عند (الواحديّ) في « أسباب النزول » ؛ إذ أخرج بسندٍ أوصله إلى سيّدنا العالم العيّلّم عبد الله بن عبّاس<sup>(١)</sup> - رضي الله عنهما وحشرنا في معيتهما - ، قال : « بينما رسول الله ﷺ بفناء بيته بمكة جالساً ؛ إذ مرّ به عثمان بن مظعون ، فكشّر إلى النبيّ ﷺ ، فقال له : « ألا تجلس ؟ » .

فقال : بلى ، فجلّس إليه مستقبله ، فبينما هو يحدثه ؛ إذ شخصَ بصره إلى السماء ، فنظر ساعةً ، وأخذ يضعُ بصره ، حتّى وضع على عتبة في الأرض ، ثمّ تحرفَ عن جليسه عثمان إلى حيث وضع بصره ، فأخذ ينغصُ رأسه كأنّه يستنقه ما يقال له ، ثمّ شخص بصره إلى السماء كما شخص أوّل مرّة ، فاتبعه بصره حتّى تواری في السماء ، وأقبل على عثمان كجلسته الأولى ، فقال : يا محمّد ، فيما كنتُ أجالسك وآتيك ما رأيتك تفعل فعلتك الغداة ؟

قال : « ما رأيتني فعلتُ ؟ » .

(١) اقرأ سيرة بحر الصحابة وحبهم سيّدنا عبد الله بن عبّاس في موسوعتنا المباركة : « علماء الصحابة - رضي الله عنهم - » في الباب الأوّل (ص : ٢١ - ٧٨) ففي سيرته غيث النفع بإذن الله عزّ وجلّ .

قال : رأيتك شخَصَ بصرِكَ إلى السَّماءِ ، ثمَّ وضعته حتَّى وضعته على يمينك ، فتحرّفت إليه وتركتني ، فأخذت تنغص رأسك كأنك تستنقه شيئاً يُقال لك !

قال : « أوفطنتَ إلى ذلك ؟ » .

قال عثمان : نعم .

قال : « أتاني رسولُ الله جبريلٌ عليه السلام ، وسلّمَ أنفاً ، وأنتَ جالسٌ » .

قال : فماذا قال لك ؟

قال : « قال لي : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ٩٠] فذاك حين استقرَّ الإيمان في قلبي ، وأحببت محمداً صلى الله عليه وآله » (١) .

\* ولما نزلت هذه الآية الكريمة من سورة النحل حملها سيّدنا عثمان بن مظعون ، وألقاها على سيّدنا عليّ بن أبي طالب ، فماذا كانت النتيجة ؟ ! حسناً ، لنقرأ ما رواه سيّدنا عثمان ؛ إذ يقول : « لما نزلت هذه الآية ، قرأتها على عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - ، فعجب وقال : يا آل غالب ! اتبعوه تفلحوا ، فوالله إنّ الله أرسله ليأمرَ بمكارم الأخلاق » (٢) .

\* وقال عثمان بن مظعون - رضي الله عنه - : « ما أسلمتُ ابتداءً إلا حياةً من رسولِ الله صلى الله عليه وآله حتَّى نزلت هذه الآية ، وأنا عنده ، فاستقرَّ الإيمانُ

---

(١) « أسبابُ النزول » للواحديّ (ص : ٢٣٦) ، وقوله « فكشر » : فضحك ، من الكشُر ، وهو ظهور الأسنان للضحك وغيره . و« شخَصَ بصره » : رفعه ينظر بجمود . و« يضع » : يخفضه . و« ينغص » يحركه ويميله . و« يستنقه » : يستفهم ويستفقه . و« الغداة » : أوّل النَّهار . و« فطنت » : انتبهت . و« أنفاً » : الآن ، وفي أي وقت يقرب منّي .

(٢) « تفسير ابن عطية » (ص : ١١١١) .

في قلبي ، فقرأتها على الوليد بن المغيرة ، فقال : يا بن أخي ! أعد ! فأعدتُ  
فقال : والله إنَّ له لحلاوة ، وإنَّ عليه لطلاوة ، وإنَّ أصله لمورق ، وأعلاه  
لمثمر ، وما هو بقول بشر « (١) .

\* وعلى الرغم من إعجاب الوليد بن المغيرة بحلاوة القرآن وطلاوته ،  
إلا أنه ظلَّ على شركه ، وظلَّ الشيطان يجزّره يميناً وشمالاً ، ويعبث به ،  
ويميته الأمانى ، وينفخ في عطفه ، فأخذ في الغيِّ ، ولم يسلم للباقي الحيِّ .

\* وفي المقابل ظلَّ سيّدنا عثمانُ بنُ مظعونٍ ومنَّ معه ثابتين على  
الإسلام ، محبّين لدينهم ، منافحين عن عقيدتهم ، وأخذ يتعرّض لألوان  
الاضطهاد والتعذيب ، والسُّخرية والإيذاء ، حتّى اضطر إلى أن يهاجر إلى  
أرض الحبشة مع الأسرة المظعونية المؤمنة ، هو ، وابنه السائب ،  
وأخواه : قدامة ، وعبدُ الله ، وعددٌ من بني جُمح (٢) ، وكان  
عثمانُ - رضي الله عنه - قد لقي الألاقي من قومه ، ومن أمية بن خلف الجمحيِّ  
أحد الفجرة المغرضين المبشرين بالنار ، ولهذا كان عثمانُ يعاتب أمية وهو  
ابن عمّه ، وكان يؤذيه في إسلامه ؛ وكان أمية شريفاً في قومه في زمانه ،  
ولكنَّ الكفرَ قد حطّه من عليّ ، وجعلّه في عداد الكافرين ؛ فقال عثمانُ يخاطبه  
معاتباً :

أَخْرَجْتَنِي مِنْ بَطْنِ مَكَّةَ آمِنًا	وَأَسْكَنْتَنِي فِي صَرْحِ بَيْضَاءَ تَفْدَعُ
تَرِيشُ نَبالًا لَا يُؤَاتِيكَ رِيشُهَا	وَتَبْرِي نَبالًا رِيشُهَا لَكَ أَجْمَعُ
وَحَارَبْتَ أَقْوَامًا كَرَامًا أَعَزَّةً	وَأَهْلَكْتَ أَقْوَامًا بِهِمْ كُنْتَ تَفْزَعُ
سَتَلَمُّ إِنْ نَابَتْكَ يَوْمًا مَلَمَّةً	وَأَسْلَمَكَ الْأَوْبَاشُ مَا كُنْتَ تَصْنَعُ (٣)

(١) « تفسير القرطبي » ( ١٠ / ١٦٥ ) .

(٢) انظر : « أسماء المهاجرين الجمحيين في السيرة النبوية » ( ١ / ٣٢٧ ) ، وقرأ أيضاً  
أحداث الهجرة الحبشية في السيرة النبوية ( ١ / ٣٢١ - ٣٤١ ) .

(٣) « السيرة النبوية » ( ١ / ٣٣٢ ) . وقوله « صرح بيضاء » : يريد مدينة الحبشة ، =

\* لقيَ عثمانُ بنُ مظعونٍ والمهاجرون معه الإنعام في ظلِّ عدلِ ملكِ الحبشة النَّجاشي ، بيد أنَّ حُبَّ الوطن ، وحبَّ مَكَّةَ أمِّ القرى يعتملُ في القلوب التي بين الصُّدور ، فكان المهاجرون يتسقطون الأخبارَ المكيَّةَ ، فإذا نغمَ سريِّ جميلٍ يَصِلُ إليهم ، ويصافحُ أسماعهم ؛ ويهمسُ في نفوسهم بأنَّ أهلَ مكة قد أسلموا ، واتبَعوا دينَ الله - عزَّ وجلَّ - الذي ارتضاه لعباده ، فكان هذا الخبرُ الأنيقُ اللطيفُ أجملَ لحنٍ سمعوه ؛ وهم في أرضِ الحبشة يتوقون إلى العودَةِ لمكَّةَ المكرمة أرضِ الوطن ، وأرضِ الذِّكريات ، ومهوى الأفتدة . . . .

\* ولملموا أنفسهم ومتاعهم ، وعادوا والآمالُ المَجَنَّةُ تحدو خطاهم ، وتداعبُ أفتدتهم ، وتسامرُ خيالهم ؛ لأنَّهم سوف يَحْيُونَ في ظلالِ الأمنِ والأمانِ والإيمانِ ، بيد أنَّهم لَمَّا أن وصلوا مشارفَ مَكَّةَ تلاشت آمالهم ، وتبدَّدت أحلامهم ، لقد علموا أنَّ الأخبارَ التي وصلت إليهم وهم في الحبشة عارية عن الصَّحَّةِ ، فمنعهم المشركون من دخولِ مَكَّةَ ، فلم يستطع أحدٌ منهم أن يدخلها إلا في جوار أحدِ زعماء المشركين ، فدخل بعضهم في جوار ، وبعضهم دخل بغيرِ جوار مستخفياً ، بينما عاد شطر منهم إلى الحبشة ، وحبَّ مَكَّةَ يملأ قلوبهم ، وبهذا العمل والكبرياء ، خالف المشركون الأخلاق النَّبيلةَ ، والمعاملة الحسنَةَ .

\* ويحقُّ لنا أن نسمرَ الآن مع هذه التَّغريدة اللطيفة التي تقصُّ علينا عودة مهاجري الحبشة لإشاعة كاذبة ، وأقوال خادعةٍ خلَّابة :

المُسلمون لدى النَّجاشي جاءهم خَبَرٌ جميل  
عن أهلِ مَكَّةَ أنَّهم قد أسلمُوا إلا القليل  
فرحُوا بهذا كلَّهم فوراً تَنادَوْا للرحيل

= وأصل الصَّرح : القصر . و« تَفذع » : تَكَره ؛ ويروى تَفدع : ومعناها : تدفع ، و« رَيْشها » : بفتح الرَّاء : إذا نفعه وجبره ؛ وبكسر الرَّاء : جمع ريشة . و« الأوباش » : الضَّعفاء الدَّاخِلون في القوم وليسوا منهم .

هَيَّا إِلَى مَهْدِ الطُّفُولَةِ ذَلِكَ الْبَلَدِ الْأَصِيلِ  
 فِيهِ الْأَبْوَةُ وَالْقَرَابَةُ وَالصَّدَاقَةُ وَالْقَبِيلُ  
 بَلْ فِيهِ خَيْرُ الْخَلْقِ طَرّاً صَفْوَةُ الْمَوْلَى الْجَلِيلِ  
 عَادُوا وَكَانُوا فِي حَيْنٍ لِلْحَبِيبِ وَاللَّخْلِيلِ  
 لَكِنَّهُمْ يَا حَسْرَةً قَدْ فُوجئُوا عِنْدَ الْوَصُولِ  
 مَا جَاءَهُمْ عَنِ أَهْلِ مَكَّةَ كُلِّهِ قَوْلٌ وَقِيلَ  
 مَا أَسْلَمُوا بَلْ إِنَّهُمْ زَادُوا مِنَ الْفَهْمِ الْعَلِيلِ  
 أَسْفَوْا لَقَدْ ضَاعَتْ عَلَيْهِمْ رِحْلَةُ السَّفَرِ الطَّوِيلِ  
 أَبْوَابُ مَكَّةَ أُغْلِقَتْ لَا يَدْخُلَنَّ سِوَى النَّزِيلِ  
 الْبَعْضُ قَدْ دَخَلُوا وَلَكِنْ فِي جَوَارِ كَالدَّخِيلِ  
 وَالْبَعْضُ عَادُوا لِلنَّجَاشِيِّ حَزَنَهُمْ فَاقِ الْمَثِيلِ  
 كَفَّارِ مَكَّةَ دُونَ شَكِّ خَالِفُوا الْخُلُقَ النَّبِيلِ

### أَرْضِي بِجَوَارِ اللَّهِ :

\* علمنا أَنَّ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ عَادُوا مِنْ أَرْضِ الْحَبِشَةِ ، دَخَلُوا مَكَّةَ فِي  
 جَوَارِ الْمَشْرِكِينَ الْأَقْوِيَاءِ ، وَعَاشُوا فِي حِمَايَتِهِمْ ، وَتَلَّكَ كَانَتْ عَادَةً الْعَرَبِ ؛  
 فَالَّذِي يَجِيرُ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ أَنْ يَقُومَ بِحِمَايَتِهِ مِنْ كُلِّ عَدُوَانِ عَلَيْهِ ، وَعَلَى  
 قَوْمِهِ أَنْ يَحْتَرِمُوا هَذَا الْجَوَارِ .

\* وَتَذَكَّرْ مَصَادِرُ السَّيْرَةِ وَغَيْرَهَا أَنَّ عَثْمَانَ بْنَ مَطْعُونَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ،  
 قَدْ دَخَلَ فِي جَوَارِ الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ الْمَخْزُومِيِّ ، فَكَانَ يَغْدُو وَيُرُوحُ آمِنًا ،  
 وَلَا يَجْرُو أَحَدٌ أَنْ يَنَالَ مِنْهُ ، وَلَكِنَّهُ وَجَدَ بَعْضَ أَصْحَابِهِ يَعْذَّبُونَ ، فَمَاذَا  
 فَعَلَ ؟ !

\* أوردَ ابْنُ إِسْحَاقَ ، وَغَيْرُهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ قِصَّةَ عَثْمَانَ بْنِ مَطْعُونَ فِي هَذَا  
 الْأَمْرِ ، وَكَيْفَ رَدَّ جَوَارِ الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ فَقَالُوا : « لَمَّا رَأَى عَثْمَانُ بْنُ مَطْعُونَ  
 مَا فِيهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْجَهْدِ وَالْعَذَابِ ، وَهُوَ يَغْدُو وَيُرُوحُ  
 فِي أَمَانٍ مِنَ الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ ، وَمِنْ دُونِ أَنْ يَلْقَى أَدِيًّا مِنْ أَحَدٍ مِنْ



المشركين ، ولكنَّ ضميره أخذ يؤثبه ، وانقلبت راحته إلى عناء ، وسلامته إلى شقاء ، فجعل يخاطبُ نفسه ويقول : والله ! إنَّ غدوي ورواحي آمنأ بجوار رجلٍ من أهل الشرك ، وأصحابي ، وأهل ديني يلقون من الأذى والبلاء ما لا يصيبني لنقصٍ كبير في نفسي .

وأسرع عثمانُ إلى الوليدِ بنِ المغيرة ، فقال له في أدبٍ جمٍّ : يا أبا عبد شمس ، وقتَ ذمتك ، قد رددتُ إليك جوارك ، وأنا أحبُّ أن أخرجَ منه إلى الصادق الأمين عليه السلام . فقال له الوليدُ في تعجبٍ : لِمَ يا بنَ أخي ؟ لعلةَ آذاك أحد من قومي ؟ قال عثمانُ : لا والله ، ولكنِّي أرضى بجوار الله - عزَّ وجلَّ - ، ولا أريد أن أستجيرَ بغيره .

قال الوليد : فارددْ عليَّ جوارِي علانيةً كما أجزتُك علانيةً ، وانطلقَ إلى المسجدِ وأعلن ذلك .

فانطلقا ، وخرجا حتَّى أتيا المسجد ، فقال الوليدُ للملأ القرشيِّ : هذا عثمانُ بنُ مظعونٍ قد جاء يردُّ عليَّ جوارِي .

قال عثمان : قد صدقَ ، وقد وجدته وقياً كريم الجوار ، ولكنِّي قد أحببتُ أن لا أستجيرَ بغير الله - عزَّ وجلَّ - ، فقد رددتُ عليه جواره . ثمَّ انصرف عثمانُ بنُ مظعونٍ ، وليدُ بنُ ربيعة في مجلس من مجالس قريش ينشدهم من شعره - وكان لبيدُ آنذاك مشركاً - فجلس معهم عثمان ، فقال لبيدُ وهو ينشدهم :

ألا كُلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلٌ  
قال عثمانُ : صدقت .

فقال لبيد :

وكلُّ نعيمٍ لا محالة زائلٌ  
فقال عثمان : كذبت ، نعيمُ الجنة لا يزول .

وثار حِقْدُ لبيد ، وغضبَ من هذا التَّعليقِ على شعره ، فقال : يا معشرَ قريش ، والله ! ما كان يُؤذِي جليسكم ، فمتى حدث فيكم هذا الحدث ؟  
فقال رجلٌ من القوم : إنَّ هذا سفیه في سفهاء معه ، قد فارقوا ديننا ، فلا تجدنَّ في نفسك من قوله .

فردَّ عليه عثمانٌ حتَّى عظم أمرهما وتفاقم ، فقام إليه ذلك الرَّجل ، فلطمَ عينه ، فخصَّصَها ، وآذاها إيذاءً كبيراً ، والوليد بن المغيرة قريبٌ يرى ما بلغَ من عثمان بنِ مظعون ، فقال : أما واللهِ يا بن أخي إن كانت عينك عمَّا أصابها لغنية ، لقد كنتَ في ذمَّةٍ منيعة .

فقال عثمانٌ في إباءٍ وعزَّةٍ : بل والله إن عيني الصَّحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها في الله - عزَّ وجلَّ - ، وإني لفي جوارٍ مَنْ هو أعزُّ منك وأقدرُ يا أبا عبد شمس .

فقال له الوليد : هلمَّ يا بن أخي إن شئت ، فعُدَّ إلى جوارك .

فقال عثمان : لا أَرَبَ لي في جوارٍ أحدٍ إلا في جوارِ الله « (١) » .

\* ونتوقَّف مع هذه التَّغريدة الجميلة التي توجزُ بين ثناياها قصَّة عثمان مع الوليد ، وردَّه جواره ، تقول التَّغريدة :

المُسلمون ذوو الجوارِ غَدَّوا بأمنٍ سالمين  
يلقون كُلاًّ حمايةً من أقوياء المشركين  
أمَّا الذين بلا جوارٍ لم يزالوا خائفين  
هَذَا ابنُ مظعونٍ يرى بعضَ الرِّجالِ المسلمين

---

(١) انظر : « السَّيرة النَّبويَّة » ( ١ / ٣٧٠ - ٣٧١ ) ، و « البداية والنهاية » ( ٣ / ٩٢ - ٩٣ ) ، و « صفة الصَّفوة » ( ١ / ٤٥٠ - ٤٥٢ ) ، و « أسد الغابة » ( ٣ / ٤٩٤ - ٤٩٥ ) مع الجمع والتَّصرُّف اليسير . وانظر : « حلية الأولياء » ( ١ / ١٠٣ - ١٠٤ ) .

يَلْقَوْنَ تَعْذِيباً رَهيباً مِنْ رِجَالٍ مَعْتَدِينَ  
 كَانَ ابْنُ مَظْعُونٍ مُجَاراً فِي عِدَادِ الْأَمِينِ  
 هُوَ فِي جَوَارِ ابْنِ الْمَغِيرَةِ لَا يَخَافُ الْبَاطِشِينَ  
 قَدْ حَدَّثَتْهُ النَّفْسُ فِي هَذَا حَدِيثِ الْعَاتِبِينَ  
 قَالَتْ أَتَرْضَى بِالْأَمَانِ وَقَدْ رَأَيْتَ الْمَرْهَقِينَ  
 أَرَدَدَ أَمَاناً كُلَّهُ ذُلٌّ كَذَلِّ الْخَانَعِيْنَ  
 لَقَدْ اسْتَجَابَ إِلَى حَدِيثِ النَّفْسِ ذِي الثُّورِ الْمِيْنِ  
 سَرَعَانَ مَا رَفَضَ الْجَوَارَ وَرَدَّهُ لِلْمَجْرَمِينَ  
 رَدَّ الْجَوَارَ عَلَى الْوَلِيدِ تَحْدِيماً لِلْكَافِرِينَ  
 رَضِيَ الْبِقَاءَ بِمَا جَوَارَ فِي صَفُوفِ الْمُؤْمِنِينَ  
 قَدْ عَذَّبُوهُ وَعَيْئُهُ قُلِعَتْ بِأَيْدِي الْغَادِرِينَ  
 تَلَكُمُ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِهَا سَمَوْا فِي الْخَالِدِينَ <sup>(١)</sup>

\* وظلت عينُ سيدنا عثمان بن مظعون - رضي الله عنه - تشهدُ له بثباته  
 على الحقِّ ، وتشهدُ له برضا الرَّحْمَنِ عنه ، وبمحبَّته الصَّادِقةَ لِلنَّبِيِّ  
 الْمُصْطَفَى ﷺ ؛ كما أَنَّنَا نَجِدُ سَيِّدَنَا عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ يَرْسُمُ بِكَلِمَاتِهِ مَا أَصَابَ  
 عَيْنَ عُثْمَانَ ؛ وَيَصَوِّرُ تِلْكَ الْحَادِثَةَ بِهَذِهِ الْآيَاتِ :

أَصْبَحْتَ مُكْتَتِباً تَبْكِي كَمَحْزُونٍ	أَمِنْ تَذْكَرُ دَهْرٍ غَيْرِ مَأْمُونٍ
يَغْشَوْنَ بِالظُّلْمِ مَنْ يَدْعُو إِلَى الدِّينِ	أَمِنْ تَذْكَرُ أَقْوَامٍ ذَوِي سَفْهِ
وَالغَدْرُ فِيهِمْ سَبِيلٌ غَيْرِ مَأْمُونٍ	لَا يَنْتَهَوْنَ عَنِ الْفَحْشَاءِ مَا سَلِمُوا
أَنَا غَضِبْنَا لِعُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ	أَلَا تَرَوْنَ أَقَلَّ اللَّهِ خَيْرَهُمْ
طَعْناً دَرَاكاً وَضَرْباً غَيْرَ مَأْفُونٍ	إِذْ يَلْطَمُونَ وَلَا يَخْشَوْنَ مَقْلَتَهُ
كَيْلًا بِكَيْلٍ جِزَاءً غَيْرِ مَغْبُونٍ <sup>(٢)</sup>	فَسَوْفَ يَجْزِيهِمْ إِنْ لَمْ يَمُتْ عَجْلاً

(١) « تغريدة السيرة النبوية » ( ١ / ٢٣٠ ) .

(٢) « حلية الأولياء » ( ١ / ١٠٤ ) ، و « شرح حياة الصَّحابة » ( ١ / ٤٩٠ ) !!!

\* أمّا سيّدنا عثمانُ بنُ مظعون - رضي الله عنه - ، فقد رضي بثواب الله - عزّ وجلّ - فيما أصابه ، ولم يقلّ إلا ما يرضي الله - عزّ وجلّ - ، وسالت على لسانه هذه الأبياتُ الجميلةُ التي تدلُّ على نيّته الصّادقة ، وثباته على الحقّ ، وابتغائه بذاك وجه الله - عزّ وجلّ - ، ودين الرّسولِ محمّدٍ ﷺ ، فلنقرأ معاً ما يقول :

فإنّ تكُ عيني في رضا الرّبِّ نالها      يَدَا مُلْحِدٍ فِي الدِّينِ لَيْسَ بِمَهْتَدٍ  
فقد عوضَ الرَّحْمَلُنُ منها ثوابه      وَمَنْ يُرْضِهِ الرَّحْمَلُنُ يَا قَوْمِ يَسْعِدِ  
فإنّي وإنّ قُلتُم غويّ مُضَلَّلٌ      سفيةٌ على دينِ الرّسولِ محمّدٍ  
أريدُ بذاك اللهَ والحقّ ديننا      على رغم مَنْ يبغِي علينا وبعثدي <sup>(١)</sup>

\* لقد ضربَ سيّدنا عثمانُ بنُ مظعون - رضي الله عنه - أجملَ الأمثلة في الصّبر والثّبات أمام عتوّ مشركي قريش حتّى أذن الله - عزّ وجلّ - للمسلمين بالهجرة إلى المدينة المنوّرة حيث بدأ حياة أخرى .

### عثمانُ في ديار الهجرة :

\* أخذ المسلمون يتركون بيوتهم في مكّة المكرمة ، ويهاجرون إلى المدينة المنوّرة ، وكانت كثيرٌ من الأسر تترك ديارها ، ومن ثمّ تنطلق مهاجرةً إلى الله ورسوله ، وكان آل مظعون ممّن أوعب في الخروج إلى الهجرة رجالهم ونساؤهم ، ولم يبقَ منهم بمكّة أحد ، حتّى غلقت بيوتهم ، وغدت خاليةً من أهلها .

\* روت عائشة بنتُ قدامة بن مظعون قصّة هجرة أبيها وهجرة أعمامها وسائر آل مظعون فقالت : « نزل عثمانُ ، وقدامةُ ، وعبدُ الله بنو مظعون ، والسائبُ بنُ عثمان بن مظعون ، ومعمّرُ بنُ الحارث ، حين هاجروا من مكّة

(١) « حلية الأولياء » ( ١ / ١٠٤ ) ، و« شرح حياة الصّحابة » ( ١ / ٤٩٠ ) .

إلى المدينة على عبد الله بن سلمة العجلاني» (١) .

\* وقد آخى الحبيب المصطفى ﷺ بين سيدنا عثمان بن مظعون وأبي الهيثم بن التيهان الأنصاري ، ومن الموافقات اللطيفة أنّ أبا الهيثم كان قديماً للإسلام ، وفيه قال ابن سعد رَحِمَهُ اللهُ فِي « طبقاته » : « وكان أبو الهيثم يكره الأصنام في الجاهلية ، ويؤفّفُ بها ، ويقولُ بالتوحيد هو وأسدُ بنُ زرارة ، وكانا أوّل مَنْ أسلم من الأنصار بمكة ، ويُجعلُ في الثمانية النّفَر الذين آمنوا برسول الله ﷺ ، فأسلموا قبل قومهم ، وقدموا المدينة بذلك وأفشوا بها الإسلام » (٢) .

\* في المدينة المنورة خطّ رسولُ الله ﷺ لعثمانَ بنِ مظعون ، وإخوته موضعَ دارهم ، وظلّ هذا الموضعُ معروفاً لآلِ مظعون في صدر الإسلام .

\* وبدأت رحلةٌ جديدةٌ في الحياة ، رحلةٌ مفعمةٌ بألوان الفضائل المقتبسة من معين الثبوة ، فقد طفق سيدنا عثمانُ بنُ مظعون - رضي الله عنه - يعيش حياةَ الزّاهدين ؛ ليصل إلى دار الخلد فيكون مع الخالدين ؛ وهذا ما أورده أبو نُعيم في « الحلية » عن ابن شهاب : « أنّ عثمانَ بنَ مظعون - رضي الله عنه - دخل المسجد يوماً وعليه نَمِرَةٌ قد تخلّلت فرقعها بقطعة من فروة ، فرقّ رسولُ الله ﷺ عليه ، ورقّ أصحابه لرفقته ، فقال : « كيف أنتم يوم يغدو أحدكم في حلّة ويروح في أخرى ، وتوضع بين يديه قصعة ؛ وترفع أخرى ، وسترّتم البيوت كما تُستر الكعبة ؟ » .

قالوا : ودنا أنّ ذلك قد كان يا رسول الله ! فأصبنا الرّخاء والعيش .

قال : « فإنّ ذلك لكائن ، وأنتم اليوم خيرٌ من أولئك » (٣) .

(١) « طبقات ابن سعد » (٣ / ٣٩٦) ، و« سير أعلام النبلاء » (١ / ١٥٨) .

(٢) « طبقات ابن سعد » (٣ / ٤٤٨) .

(٣) « حلية الأولياء » (١ / ١٠٥) ، وقوله « نمرّة » : شملة فيها خطوط بيض وسود . =

## حياؤه وعبادته :

\* وصف الحبيب المصطفى ﷺ سيدنا عثمان بن مظعون - رضي الله عنه - بأنه « حَيِّي سَتِير » ، ونحن نعلم من الهدي النبويّ بأنّ الحياء شعبة من الإيمان ، ومَنْ لا حياءَ فيه لا خَيْرَ فيه ؛ كما أنّ « الحياء لا يأتي إلا بخير » (١) .

\* وأخرج البخاريّ في « صحيحه » عن أبي مسعود الأنصاريّ - رضي الله عنه - قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إنّ ممّا أدرك النَّاس من كلامِ التَّبَوَّةِ الأولى : إذالم تستحي فاصنع ما شئت » (٢) .

\* ولحياء عثمان بن مظعون - رضي الله عنه - طعمٌ خاص في هذا المجال ، فقد أورد ابنُ سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن سعد بن مسعود ، وعمارة بن غراب اليحصبيّ : « أنّ عثمان بن مظعون - رضي الله عنه - أتى النَّبِيَّ ﷺ ، فقال : يا رسولَ الله ! إنِّي لا أحبُّ أن تری امرأتي عورتي .

قال رسولُ الله ﷺ : « ولمَ ؟ » .

قال : أستحيي من ذلك وأكرهه .

قال : « إنّ اللهَ جَعَلَهَا لك لباساً ، وجَعَلَكَ لها لباساً ، وأهلي يَرَوْنَ عورتي ، وأنا أرى ذلك منهم » .

---

= « تخللت » : بليت ، وصارت فيها ثقوب . و« فروة » : جلدة ، و« الرِّحاء » : سعة العيش .

(١) أخرجه البخاريّ في الأدب برقم : ( ٦١١٧ ) .

(٢) أخرجه البخاريّ في الأدب برقم : ( ٦١٢٠ ) ، وأبو داود برقم : ( ٤٧٩٧ ) ، وابن ماجه برقم : ( ٤١٨٣ ) ، وقوله « كلام التَّبَوَّةِ الأولى » ؛ أي : ممّا اتَّفَق عليه الأنبياء ، ولم ينسخ فيما نسخ من شرائعهم ؛ لأنّه أمر متَّفَق عليه . و« فاصنع ما شئت » : معناه الخير ؛ إذ إنّ الحياء يمنعه من أن يرتكبَ أمراً يخلُّ بالمروءة والشرف عادة .

قال : أنت تفعل ذلك يا رسول الله ؟ !

قال : « نعم » .

قال : فَمَنْ بعدك .

فلَمَّا أدبرَ قال رسولُ الله ﷺ : « إِنَّ ابنَ مَظعونَ لَحَيٌّ سَتِيرٌ » (١) .

\* وممَّا يضاف إلى مزايا سيّدنا عثمان بن مظعون - رضي الله عنه - مزيّة العبادة ، وأكرمُ بها من مزيّة ! فقد كان هذا الصّحابي الزّاهد من أكابر العبّاد الزّاهدين الذين يتقرّبون إلى الله - عزّ وجلّ - في أعمالهم ، ويعملون ما بوسعهم على مرضاته ، وإذا ما شردوا عن الدّرب الواضح في العبادة ، ردّهم المربّي الكريم رسول الله ﷺ إلى النّهج الرّبّاني ، والسّبيل الصّحيح الذي يلائم الفطرة التي فطر الله النّاسَ عليها في جميع مراحل الحياة وأنواعها وأشكالها . فالإسلامُ دين بناء وعمل ، ودينُ عبادة ؛ إذ إنّ كلّ عمل يقومُ به الإنسان يبتغي به وجهَ الله - عزّ وجلّ - فهو عبادة يتقرّب بها إلى الله عزّ وجلّ .

\* أوردَ ابنُ سعد عن أبي إسحاق السّبيعي ، عن أبي بردة ، قال : « دخلت امرأةُ عثمان بن مظعون - رضي الله عنه - على نساء النّبِيِّ ﷺ ، فرأيتها سيئة الهيئة فقلن لها : مالك ؟ فما في قريش أغنى من بعلك !

قالت : ما لنا منه شيء ، أمّا ليله فقائم ، وأمّا نهاره فصائم .

---

(١) « طبقات ابن سعد » ( ٣ / ٢٨٧ ) ، وقوله « جعلها لك لباسا » : إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ هُنَّ لِيَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ لَهُنَّ ﴾ [ البقرة : ١٨٧ ] ؛ لأنّ اللباسَ كما يستر صاحبه كذلك يكون كلّ واحد منهما لصاحبه ستراً عمّا لا يحلّ ، قال رسول الله ﷺ : « مَنْ تزوّج فقد أحرز ثلثي دينه » . وقوله « وأهلي يرون عورتِي » : لعلّ ذلك كان أحياناً لبعض أزواجه ﷺ ، وأمّا عادته العامة فهو المعروف عنه ، أو المراد منه غير السّواتين ، والله أعلم . و« ستير » : كثير السّتر .

فدخل النَّبِيُّ ﷺ ، فذكرنَ ذلكَ له ، فلقيه ، فقال : « يا عثمانُ بنُ مظعون ! أما لك بي أسوة ؟ » .

فقال : يا أبَي وأُمَي ، وما ذاك ؟

قال : « تصوُّمُ النَّهَارِ ، وتقومُ اللَّيْلِ » .

قال : إنِّي لأفعل .

قال : « لا تفعلْ إنَّ لعينيك عليك حقاً ، وإنَّ لجسدك حقاً ، وإنَّ لأهلك حقاً ، فصَلِّ ، ونَمْ ، وصُمْ ، وأفطرْ » .

قال : فأتتهنَّ بعد ذلكَ عَطِرَةٌ كأنَّها عروسٌ ، فقلنَ لها : مه ؟ !

قالت : أصابنا ما أصاب النَّاسَ » (١) .

---

(١) « طبقات ابن سعد » ( ٣ / ٣٩٥ ) . ومن مستطرفات ابن وكيع في « أخبار القضاة » ما يشبه قصة عثمان بن مظعون وزوجته خولة بنت حكيم ! ! فقد جاءت امرأة في عهد سيِّدنا عمر تشكو إلى عمر انصراف زوجها عنها للعبادة ، وعزوفه عن أمر النساء ، فقضيَ بينهما كعب بن سُور الأسدي ، وكان قضاء كعب بن سور لا يُختلفُ فيه ، فما قصة المرأة وزوجها ؟ ! ! !

ذكر وكيع عن الشَّعْبِيِّ قال : « إنَّ كعبَ بنَ سُور كان جالساً عند عمرَ بنِ الخطَّاب - رضي اللهُ عنه - ، فجاءت امرأةٌ ، فقالت : يا أميرَ المؤمنين ! ما رأيتُ رجلاً قطُّ أفضلَ من زوجي ، إنَّه ليبيتُ ليله قائماً ، ويظلُّ نهاره صائماً في اليوم الحارِّ ، ما يُفطر ؛ فاستغفر لها ، وأثنى عليها ، وقال : مثلك أنثى الخيرِ وقاله ، واستحيتِ المرأةُ ، فقامت راجعةً .

فقال كعب : يا أميرَ المؤمنين ، هلاً أعديتِ المرأةَ على زوجها ؛ إذ جاءتك

تستعديك ؟ ! !

قال : أو ذاكَ أرادت ؟ ! !

قال : نعم . فَرَدَّدْتُ ، فقال : لا بأسَ بالحقِّ أن تقوليه ؛ إنَّ هذا زعمُ أنَّك جئتِ =



تشتكين زوجك ، أنه يجتنب فراشك .

قالت : أجل ، إنِّي امرأةٌ شَابَةٌ ، وإنِّي أتَبَعُ ما يَتَّبَعُ النِّسَاءُ .

فأرسلَ إلى زوجها فجاءه ، فقال لكعب : اقضِ بينهما ، فإنَّك فهمت من أمرها ما لم أفهمه !!!

فقال كعب : أميرُ المؤمنين ! أحقُّ أن يقضِيَ بينهما .

فقال : عزمْتُ عليك لتقضينَ بينهما .

قال : فإنِّي أرى كأنَّها امرأةٌ عليها ثلاث نِسوة هي رابعتهنَّ ، فأقضي لها بثلاثة أيَّام ولياليهنَّ ، يتعبد فيهنَّ ، ولها يوم وليلة .

فقال عمر : والله ما رأيك الأوَّل بأعجب من الآخر ، اذهب فأنت قاضٍ على أهل البصرة « ؟ ! ! ! . . . »

☆ وزاد بعضهم في القصة فقال : « إنَّ المرأةَ التي أتت عمر بن

الخطَّاب - رضي الله عنه - تشني على زوجها ، فقال له كعب بن سور : إنَّها تشكوه .

فقال عمر : اقضِ بينهما .

فتكلَّمت المرأةُ ، فقالت :

ألهي خليلي عن فراشي مسجده

نهاره وليله ما يرقده

فاقض القضاء يا كعب لا تردده

يا أيها القاضي الحكيم رَشده

زَهدهُ في مضجعي تعبُده

ولستُ في أمر النساءِ أحمدده

فقال الرَّوَج :

في سورة الثُّور وفي السَّبْع الطُّول

وفي كتابِ اللهِ تخويفٌ جليل

فحثها في ذا على حسنِ العمل

إنِّي امرؤٌ أذهلني ما قد نزل

زهدني في فرشها وفي الحَجَل

فقال كعب :

ثمَّ قضى بالحق جهداً وقَضَل

نصيهاً من أربع لمن عدل

فأعطيها ذاك ودغ عنك العليل

إنَّ أحقَّ القاضيين مَنْ عقل

إنَّ لها حقاً عليك يا بعل

\* وعن ابن شهاب رضي الله عنه : « أَنَّ عَثْمَانَ بْنَ مِظْعُونَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَرَادَ أَنْ يَخْتَصِي ، وَيَسِيحَ فِي الْأَرْضِ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَلَيْسَ لَكَ فِيَّ أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ ؟ فَأَنَا آتِي النَّسَاءِ ، وَأَكُلُ اللَّحْمَ ، وَأَصُومُ ، وَأَفْطِرُ ، إِنَّ خِصَاءَ أُمَّتِي الصَّيَامِ ، وَلَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ خَصِيَ أَوْ اخْتَصِي » (١) .

\* ولشدة محبة سيدنا عثمان بالعبادة والزهد ، ظنَّ أنه يجوز له أن يتفرغ للعبادة بكلِّ وسيلة ممكنة ، فاتَّخَذَ بَيْتًا ، فَقَعَدَ يَتَعَبَّدُ فِيهِ ؛ فَبَلَغَ ذَلِكَ الْحَبِيبَ الْمُعَلِّمَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَأَتَاهُ ، فَأَخَذَ بَعْضَادَتِي بَابِ الْبَيْتِ الَّذِي هُوَ فِيهِ ، فَقَالَ : « يَا عَثْمَانُ ! إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْنِي بِالرَّهْبَانِيَّةِ ، مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ، وَإِنَّ خَيْرَ الدِّينِ عِنْدَ اللَّهِ الْحَنِيفِيَّةَ السَّمْحَةَ » (٢) .

---

= فبعثه عمر - رضي الله عنه - على البصرة . « أخبار القضاة » ( ١ / ٢٧٥ - ٢٧٧ ) .

أقول : « فِي النَّفْسِ شَيْءٌ بَلْ أَشْيَاءُ مِنْ هَذِهِ الْأَشْعَارِ الْمَصْنُوعَةِ لِتَوَافُقِ وَاقِعَةِ الْحَالِ ، وَمِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ الْمَنْسُوجَةِ الْمَحْبُوكَةِ الَّتِي تَظْهَرُ سَيِّدُنَا عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ غَيْرَ فُطِنَ ، وَهُوَ الْعَبْقَرِيُّ الذَّكِيُّ الْمَشْهُودُ لَهُ بِالنَّبَاهَةِ وَالْحِصَافَةِ وَسُرْعَةِ الْفَهْمِ وَشِدَّةِ الْمَلَاظَمَةِ ؛ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْأَهْوَاءِ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِمَّنْ يَهْرَفُونَ بِمَا لَا يَعْرِفُونَ ، وَنَسْأَلُ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - الْعَافِيَةَ » .

وذكر الأستاذ ( محمد شراب ) ما يشبه هذا الأمر فقال : « وهناك قصص تُنسبُ إلى عمر - رضي الله عنه - ، ولا يصحُّ لها سندٌ ، منها قصة عمر مع كعب بن سور القاضي ، عندما جاءت عمر امرأة تشكو زوجها أنه لا يأتيها ، فلم يفهم عمر مرادها ، وفهمه كعب ، مع قرب الكناية التي كتبت بها المرأة ، وفي القصة شعر أيضاً ، وهي تقدر في ذكاء عمر وفطنته وقدرته على القضاء بين الخصوم » . « المدينة النبوية » ( فجر الإسلام والعصر الراشدي : ٢ / ١٦١ ) .

(١) انظر : « طبقات ابن سعد » ( ٣ / ٣٩٤ ) ، وانظر أمر النبي عن التَّبَثُلِ فِي « تفسير القرطبي » ( ٦ / ٢٦٠ - ٢٦٢ ) .

(٢) انظر : « طبقات ابن سعد » ( ٣ / ٣٩٥ ) ، وانظر : « سير أعلام النبلاء » =

\* جاء في « الصَّحِيح » بسند عن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - قال : « رَدَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ على عثمان بن مظعون التَّبْتُل ، ولو أُذِنَ له لاختصينا » (١) .

## « ذَاكَ عَمَلُهُ » :

\* لم يكن سيِّدنا عثمانُ بنُ مظعون - رضي الله عنه - بقعدد عن الجهاد ، فإنَّه لَمَّا كانت غزوةُ بدر الكبرى ، سارع إليها ، وخرج مع المجاهدين لإعلاء كلمة الله - عزَّ وجلَّ - ، فهو معدودٌ في البدرين المغفور لهم بإذن الله ، وعاد من غزوة بدر سالماً سعيداً بنصر الله للمسلمين ، فكان عثمانُ أحدَ أصحاب النَّبِيِّ ﷺ من الفرسان ، وأحد الأعيان الشَّجعان .

( ١ / ١٥٨ ) وتخریج الحديث فيه .

(١) أخرجه مسلم في النَّكاح برقم : ( ١٤٠٢ ) . وقوله « التَّبْتُل » : هو الانقطاع عن النِّسَاء وترك النَّكاح انقطاعاً إلى عبادة الله - عزَّ وجلَّ - . وأصل التَّبْتُل القطع ، ومنه : مريم البتول ، وفاطمة البتول ، لانقطاعهما عن نساء زمانهما ديناً وفضلاً ورغبة في الآخرة .

قال الطَّبْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ : « التَّبْتُل » : هو ترك لذات الدُّنيا وشهواتها ، والانقطاع إلى الله تعالى بالتَّفَرُّغ لعبادته . و« رَدَّ عليه التَّبْتُل » : معناه : نهاه عنه . و« لو أُذِنَ له لاختصينا » : معناه : لو أُذِنَ له في الانقطاع عن النِّسَاء وغيرهنَّ من ملاذ الدُّنيا لاختصينا لدفع شهوة النِّسَاء ، ليمكثنا التَّبْتُل . وهذا محمول على أَنهم كانوا يظنون جواز الاختصاص باجتهداهم ، ولم يكن ظنُّهم هذا موافقاً ، فإنَّ الاختصاص في الآدمي حرام ، صغيراً كان أم كبيراً ، والله أعلم .

وانظر : « سير أعلام النبلاء » ( ١ / ١٥٤ - ١٥٥ ) ، وتخریج الحديث فيه . وقال الذهبي رَحِمَهُ اللهُ عن عثمان بن مظعون نقلاً عن ابن عبد البرِّ رَحِمَهُ اللهُ : « وكان عابداً مجتهداً ، وكان هو ، وعليّ ، وأبو ذرٍّ هموا أن يَخْتَصُّوا » . « سير أعلام النبلاء » ( ١ / ١٥٥ ) .

\* وبعد غزاة بدر بقليل مرضَ سيّدنا عثمان بن مظعون - رضي الله عنه - ، ثمَّ أسلم روحه إلى الله - عزَّ وجلَّ - ، فكان أوَّل مَنْ مات من المهاجرين بالمدينة بعد رجوع المسلمين من بدر (١) .

\* علم رسولُ الله ﷺ بوفاة صاحبه العابد المجاهد عثمان بن مظعون ، فأسرع إلى منزله . قالت أمُّنا عائشة - رضوان الله عليها - : « إنَّ رسولَ الله ﷺ قبَّل عثمانَ بنَ مظعون وهو ميّت ، ودموعه تسيلُ على خدِّ عثمان بن مظعون » (٢) .

\* ولمَّا مرَّ بجنّازة عثمان بن مظعون قال رسول الله ﷺ : « ذهبَتْ ، ولم تلبسْ منها بشيء » (٣) يعني : الدُّنيا ؛ وخرجَ رسولُ الله ﷺ ، فكبَّرَ على عثمان أربع تكبيرات (٤) ، وكان أوَّل مَنْ دُفِنَ بالبقيع من المسلمين عثمان بن مظعون - رضي الله عنه - ، وكان رسول الله ﷺ هو الذي اختار البقيع مقبرة للمسلمين ؛ فقد كان ﷺ يرتاد لأصحابه مقبرة يُدفنون فيها ، فجاء نواحي المدينة وأطرافها ، ثمَّ قال : « أمرت بهذا الموضع » يعني : البقيع ، وكان أكثر نباته الغرقد ، فكان أوَّل مَنْ قُبِرَ هناك سيّدنا عثمان بن مظعون ، فوضع رسولُ الله ﷺ حجراً عند رأسه : وقال : « هذا قَرَطْنَا » فكان إذا مات الميّت بعده قيل : يا رسول الله ! أينَ ندفنه ؟

---

(١) قال ابن سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « شهد عثمان بن مظعون - رضي الله عنه - بدرًا ، ومات في شعبان على رأس ثلاثين شهرًا من الهجرة » . « طبقات ابن سعد » (٣ / ٣٩٦) .

(٢) « طبقات ابن سعد » (٣ / ٣٩٦) ، وأخرجه الترمذي في الجناز برقم : (٩٨٩) ، وأبو داود في الجناز برقم : (٣١٦٣) ، وابن ماجه في الجناز برقم : (١٤٥٦) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١ / ١٠٦) .

(٣) « طبقات ابن سعد » (٣ / ٣٩٧) .

(٤) المصدر السابق نفسه .

فيقول رسول الله ﷺ : « عند فرطنا عثمان بن مظعون » (١) .

\* وعن زيد بن أسلم قال : « توفي عثمان بن مظعون ، فسمع رسول الله ﷺ عجوزاً تقول وراء جنازته : هنيئاً لك أبا السائب الجثة . فقال لها رسول الله ﷺ : « وما يدريك ؟ » .

فقلت : يا رسول الله ! أبو السائب .

قال : « والله ما نعلم إلا خيراً » . ثم قال : « بحسبك أن تقولي : كان يحبُّ الله ورسوله » .

\* بينما أخرج البخاريُّ بسنده عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أمِّ العلاء الأنصاريَّة قالت : « طارَ لنا عثمان بن مظعون في السكْنى حين اقترعت الأنصار على سكْنى المهاجرين ، فاشتكى ، فمرَّضناه حتَّى توفي ، ثمَّ جعلناه في أثوابه ، فدخل علينا رسولُ الله ﷺ ، فقلتُ : رحمةُ الله عليك أبا السائب ، فشهادتي عليك ، لقد أكرمك الله .

قال : « وما يدريك ؟ » .

قلت : لا أدري والله .

قال : « أما هو فقد جاءه اليقين ، إنِّي لأرجو له الخير من الله ، والله ما أدري - وأنا رسولُ الله - ما يفعل بي ولا بكم » .

قالت أمُّ العلاء : فوالله لا أزكي أحداً بعده .

قلت : ورأيت لعثمان في النَّوم عيناً تجري ، فجئتُ رسولَ الله ﷺ ، فذكرت ذلك له ، فقال : « ذاك عمله يجري له » (٢) .

---

(١) المصدر السابق نفسه .

(٢) أخرجه البخاريُّ بهذا اللفظ في التَّعبير برقم : (٧٠١٨) ، وأخرجه في الجناز برقم : (٢٦٨٧) ، وفي مناقب الأنصار برقم : (١٢٤٣) ، وفي التَّعبير أيضاً =

\* قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ : « واختلف النَّاسُ في المرأةِ التي قال لها رسولُ اللهِ ﷺ هذا ، فقيل : كانت أمَّ السَّائبِ زوجته . وقيل : أمَّ العلاء الأنصاريَّة ، وكان نزل عليها . وقيل : كانت أمَّ خارجة بن زيد » (١) .

\* ونجدُ لزوجة عثمان وفاءً له ، يتمثل هذا الوفاء في مريَّة رقيقة رثته بها ، وهذه المريَّة تسيلُ أسى وحنناً ، وتتفجَّرُ عاطفة ولوعة ، فكلَّ بيت من أبياتها يقطرُ إخلاصاً واستسلاماً وتسليماً لله - عزَّ وجلَّ - ، وإن كان الحزنُ يجري في فؤادها وجوارحها ، ويتمثل في حركاتها وسكناتها ، ولكنها لا تخرج عن النهج الصَّحيح في الرِّثاء لزوجها عثمان بن مظعون ، فهي تبدو باكية ، فائضة الدَّمع ، ومن المؤكد أنَّ فيضانات الدُّموع هي التَّعبيرُ الحقيقيُّ عن شدَّة الحزن ، ونقرأ في السُّطور الآتية الهمسات الحرِّى من امرأة عثمان بن مظعون ، وهي ترثيه فتقول :

يا عينُ جُودي بدمعٍ غيرِ ممنون	على رزيَّةِ عثمانِ بنِ مظعون
على امرئٍ باتٍ في رضوانِ خالِقِه	طوبى له من فقيدِ الشَّخصِ مدفون
طابَ البقيعُ له سكنى وغرقده	وأشرقَتْ أرضُه من بعدِ تفتين
وأورثَ القلبَ حزنًا لا انقطاع له	حتَّى المماتِ فما ترقى له شوني (٢)

= برقم : ( ٧٠٠٣ و ٧٠٠٤ ) ، وأخرجه عبد الرزَّاق في « المصنَّف »  
برقم : ( ٢٠٤٢٢ ) ، وابن سعد ( ٣ / ٣٩٨ ) ، وانظر : « مجمع الزوائد »  
( ٩ / ٣٠٢ ) ، و« أسد الغابة » ( ٣ / ٤٩٦ - ٤٩٧ ) .

(١) « أسد الغابة » ( ٣ / ٤٩٦ ) ، وقد فضَّل في هذا الأمر وأجمل ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ في شرحه للحديث رقم : ( ٧٠١٨ ) . انظر : « فتح الباري » ( ١٢ / ٤٢٨ ) .

(٢) « حلية الأولياء » ( ١ / ١٠٤ ) ، و« أسد الغابة » ( ص : ٤٩٦ ) ، و« نساء من عصر النبوة » ( ص : ١٦٩ - ١٧٠ ) ، وغيرها .

وقولها « غير ممنون » : معناه : غير مقطوع . و« الغرقد » : هو نوع من شجر العِصاة ، وقد قيل لمدافن المدينة : بقيع الغرقد ؛ لأنَّ فيه شجر الغرقد . =

\* وبعد : فهذه أقباسٌ لطيفةٌ من سيرة السلف الصالح عثمان بن مظعون ، الذي خرج من الدنيا ولم يتلبس منها بشيء .

\* نرجو الله - عزَّ وجلَّ - أن يلحقنا بالسلف الصالح عثمان بن مظعون ، وأن يدخلنا الجنة برحمته ، وأن يحشرنا مع الصحابة الكرام ، فنحنُ والله نحُبُّهم أجمعين ، فهم الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه ، اللهم اجعلنا فيمن رضيت عنهم ، ووقفنا لعمل الخير ، والسير على طريق أهل الخير ، من رجال عصر النبوة أهل الخير ، وصلى الله وسلم على معلم الناس الخير .



---

= « شوني » : جمع شأن ، وهو العرق الذي تجري منه الدُموع . والله أعلم .

رَفَعُ  
عبد الرحمن المحمدي  
أسكنه الله الفردوس  
[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)



# مصعبُ بنُ عمير

رضي اللهُ عنه

- \* سابقٌ تقيٌ نقيٌ ؛ محبُّ اللهِ ورسوله من أهلِ بَدْر .
- \* السَّفِيرُ النَّبَوِيُّ المَوْفَّق ؛ ومقرئُ أهلِ المدينة ومعلِّمُهُم .
- \* أسلَمَ على يديه سادةُ الأنصار ، واستشهد بأحد .

رَفَعُ  
عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس  
[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

## مصعبُ بنُ عمير رضي الله عنه

### مصعبُ الخير :

\* كان أوَّلَ الدُّعاة ، ومن أعلام الثُّقاة ، نظر إليه الصَّادقُ المصدوقُ ﷺ نظرة إكبارٍ وإشفاقٍ ؛ حينما رآه مقبلاً ذات يوم وهو راضٍ بمشيئة الخلاق ، وعليه إهابٌ - جلد - كبشٍ قد تنطَّقَ به ، فقال ﷺ منوهاً إلى مكانته وخيريته : « انظروا إلى هذا الرَّجُلِ الذي قد نوَّرَ اللهُ قلبه ، لقد رأيتُه بين أبوين يغذوانه بأطيب الطَّعام والشَّراب ، فدعاه حبُّ اللهِ ورسوله إلى ما ترون » (١) .

\* كما أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كان يذكرُ جماله ونعمته فيقول : « ما رأيتُ بمكَّةَ أحسنَ لمةً ، ولا أنعمَ نعمةً منه » (٢) .

\* هذا الرَّجُلُ كان من المؤمنين الذين صدَّقوا ما عاهدوا اللهُ عليه ، وهو من السَّابِقين الأوَّلِين إلى الإسلام ، إنَّه مصعبُ بنُ عمير بن هاشم ، السَّيِّدُ الشَّهيدُ السَّابِقُ البدرِيُّ القرشيُّ العبدريُّ (٣) .

(١) « حلية الأولياء » ( ١ / ١٠٨ ) .

(٢) « أسد الغابة » ( ٤ / ٤٠٦ ) ، ترجمة رقم : ( ٤٩٢٩ ) .

(٣) المصادر التي ترجمت لسيدنا مصعب لا تُحصر ولا تُحصى ، ومنها على سبيل المثال : « حلية الأولياء » ( ١ / ١٠٦ - ١٠٨ ) ، و « سير أعلام النبلاء » ( ١ / ١٤٥ - ١٤٨ ) ، و « البداية والنهاية » ( ٤ / ١٥ ، ٢٠ ، و ٣٣ ) ، و « نسب =

\* إذن فمصعبٌ أحدُ السَّابِقِينَ الأوَّلِينَ من رجالات الرِّعِيلِ الأوَّلِ في مَكَّةِ المَكْرَمَةِ ، وكان لعظيم فضله ، وجليلِ خلائقه ، وكريمِ أخلاقه يُلقَّبُ بين المسلمين بـ : « مصعب الخير » وحقاً لقد جمع الخير من أطرافه ، فهو هاشميٌّ ، منافيٌّ ، عبدريٌّ ، في عُليا بيوتات قريش ، وذِزْوَةَ أرومتها ، وسنام شرفها .

\* وفي هذه التَّرْجَمَةِ المزهرة الرَّاهِرةِ سنعيشُ أوقاتاً سعيدةً ننعَمُ بما نَعِمَ به هذا الرَّجُلُ من إيمانٍ ذاقَ حلاوته ، فرفضَ نعيمِ الدُّنْيَا ، وفارقَ زخرفها ؛ ليغدوَ من طالبي طريقِ اللَّهِ - عزَّ وجلَّ - الذي يُوَدِّي إلى جنانٍ كثيرة ، إلى جنَّاتٍ ونَهَرٍ ، في مقعدِ صدقٍ عندَ ملكٍ مقدر .

\* كان هذا الرَّجُلُ لا يزالُ ينعَمُ في مِيعَةِ الصِّبَا ؛ ويرفُلُ في إهابِ الجمالِ والشَّبَابِ ، حينما داعبتُ أنسامُ الهدايةِ لُبَّهُ ، ولامست رُوحَ الدعوةِ إلى اللَّهِ قلبَهُ ، وتسرَّبتْ أنوارُ الحقِّ إلى أعماقِ نفسه .

\* كان يتقلَّبُ من نعمةٍ إلى نعمةٍ ، ويتلذَّذُ بمعينِ الثَّراءِ الذي يتدقَّقُ عليه من أبويه اللذَّيْنِ أغدقا على فتاهما الجميلِ كلَّ ألوانِ التَّرفِ ، والمالِ ، والتَّعْماءِ ، فهو صاحبُ اللباسِ الأنيقِ ، والتَّعالِ الحضرميَّةِ الفاخرةِ ، والعطرِ الفوَّاحِ ، والشَّعْرِ الجميلِ ، وهو كذلكُ صاحبُ الحَسَبِ والنَّسَبِ الرَّفيعِ في مَكَّةِ ، فلا عجب أن يكونَ من فتيانها المتصدِّرينِ مجالسها ، والمرتادينِ أُنديتها ، لا يفكِّرُ إلا في معالي الأمور ، ولا يخشى فقراً ولا ذلَّةً .

\* في الجوِ الممتلئِ نضرةً ورياً ولهواً نُميَّ إلى مصعبِ الخير - وهو في مِيعَةِ الصِّبَا والشَّبَابِ النَّضِيرِ - أنَّ الأَمِينَ الصَّادِقَ المصدوقَ ﷺ يدعو إلى

= قريش» (ص : ٢٤٥) ، و«أسد الغابة» (٤ / ٤٠٥ - ٤٠٨) ، ترجمة رقم : (٤٩٢٩) ، و«الاستيعاب» (٣ / ٤٤٧ - ٤٥١) ، و«الإصابة» (٣ / ٤٠١ - ٤٠٢) ، و«طبقات الصَّوفيَّة» للمناوي (١ / ١٨٧ - ١٨٨) ، وغيرها ممَّا لا يستقصى .

الإسلام بقرب الصِّفا ، في دار الأرقم بن أبي الأرقم ؛ فأحسَّ بطمأنينة تتفشى في نفسه ، ودلفَ إلى الدَّار الأرقميَّة المباركة متخفياً من أبويه ومن قومه ، وألقى بنفسه وقلبه وعقله وروحه بين يدي النَّبيِّ ﷺ ، فأسلمَ إسلامَ الأصفياء ، وشهد شهادة النَّجاة ، ومفتاح الجنَّة ، وكرمَ إسلامه عمَّن حوله من الأهل والعشيرة .

\* أحبَّ سيِّدنا مصعب الخير دينَ الله حباً خالطَ روحه ومشاعره ، ولامس كلَّ ذرَّةٍ من كيانه ، فأخذ يختلفُ إلى سيِّدنا رسول الله ﷺ فيمن آمنَ معه ، متسللاً تحت أجنحة الخفاء ، وأستار الظَّلام ، مستهدياً بآياتِ الله تُتلى ، وبالأحاديث النَّبويَّة تُجلى ، فأشربَ قلبه حبَّ الإيمان ، وحلَّت الهداية قلبه الرِّيان ، فعكف على العبادة ساهراً ، وقطف من العلم أزهراً .

### مصعبٌ وأُمَّهُ :

\* كانت أمُّ مصعب بن عمير تدعى : خنَّاس بنت مالك المطرَف . وقد عُرِفَتْ بمكانتها بين أفراد أسرتها ، وقوَّة تأثيرها عليهم ، وكانت تحبُّ مصعباً حباً متميِّزاً ، وتغدقُ عليه بما تشتهيهِ نفسه ، ويلدِّ قلبه ، فكانت تكسوه أجملَ اللباس ، وأحسنها ليناً وقيمةً بين النَّاس .

\* وأحيطَ هذا الفتى الجميلُ برعايتها وعنايتها ، فهو ذو شبابٍ نضِر ، وطلعةٍ محبَّبةٍ ، ووجهٍ جميل ، كان رقيقَ البشرة ، معتدلَ القوام ليس بالطَّويل ولا بالقصير ، حتَّى اشتُهرَ بأنَّه فتى مَكَّة الذي يجرُّ أذيالَ الجمال والشَّباب والجدَّة .

\* قال عنه ابنُ سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في « الطَّبقات » ؛ عمَّا بلغه عنه من ثقاة الرُّواة : « كان مصعبُ بنُ عمير - رضي الله عنه - فتى مَكَّة شاباً وجمالاً وسببياً ، وكان أبواه يحبَّانه ، وكانت أُمَّهُ مليئةً كثيرةَ المال ، تكسوه أحسنَ ما يكون من الثَّياب وأرقه ، وكان أعطر أهل مَكَّة ، يلبس الحضرميَّ من النَّعال ، فكان رسول الله ﷺ يذكره ويقول : « ما رأيتُ بمَكَّة أحداً أحسنَ

لَمَّةً ، ولا أرقّ حلةً ، ولا أنعم نعمة من مصعب بن عمير « (١) .

\* وفي حديث عروة بن الزبير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن سيّدنا مصعب بياناً وتوضيحاً لِرَفَاهِ مصعب وحياته ، ثمّ زهدهُ لَمَّا آمَنَ بِاللَّهِ رَبًّا ، وبمحمّدٍ ﷺ رسولاً ، ورغبتهُ في الخير . . . يقول عروة : « بينا أنا جالسٌ مع عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وهو يبني المسجد ، فقال : أقبلَ مصعبُ بنُ عمير - رضي الله عنه - ، والنبيُّ ﷺ جالسٌ في أصحابه ، عليه قطعة نَمْرَةٍ ، قد وصلها بإهابٍ قد رَدَدَنهُ ، ثمّ وصله إليها ؛ فلَمَّا رآهُ أصحابُ النَّبِيِّ ﷺ ، نكسوا رؤوسهم رحمةً له ، ليس عندهم ما يغيّرون عنه ، فسلمَ فردّ عليه النَّبِيُّ ﷺ ، وأحسن عليه الثّناء ، وقال : « الحمدُ لله ، ليقلب الدُّنيا بأهلها ، لقد رأيتُ هذا - يعني مصعباً - وما بمكّة فتى من قريش أنعمُ عند أبويه نعيماً منه ، ثمّ أخرجه من ذلك الرّغبة في الخير ، في حبِّ الله ورسوله » (٢) .

\* إِنَّ سَيِّدَنَا مُصْعَباً - رضي الله عنه - قد ودّع الجاهليّة وداعاً أبدياً ، وطلّقها طلاقاً لا رجعة بعده ، وها هو ذا يخطو خطى صحيحةً في ظلال الإيمان الذي ملأ روحه وقلبه ، وانسكب بأنواره على وجهه الجميل ، فهل يمكن له أن يخفي الأنوار الرّبانيّة التي تشعّ من وجهه الأبيض الوسيم المشرق ؟ وهل يستطيع أن يضبط مشاعره وحبّه للرّسولِ ﷺ الذي أخرجه من الظّلمات إلى النّور ؟ ! وهل يطيق أن يعود إلى أباطيل الجاهليّة ومجونها وسخفها وما فيها من الغرور ؟ !

\* لا ريب في أنّ الإيمانَ طلاعٌ لا يُحجب ، وله أنوارٌ لا تخفي ، فهو يعلنُ عن نفسه مهما اجتهد صاحبه في كتمانها وإخفائها ، لقد ظلّ مصعبُ ردحاً

---

(١) « طبقات ابن سعد » ( ١ / ١١٦ ) ، وقوله « سيبياً » : السّيب كأمير شعر النَّاصية والخصلة من الشّعر . و« الحضرمي من النّعال » : نعل منسوب إلى حضرموت وهو من أحسن النّعال في ذلك الزّمن .

(٢) « طبقات ابن سعد » ( ٣ / ١١٦ - ١١٧ ) .

من الزّمن يكتُم إيمانه ويُخفيه ، ويسرّه عن أمّه وأبيه ؛ وعشيرته التي تُؤيه ، وأبّت عليه الإشرافاتُ الثُّورانيّة أن تظلّ حبيسة الخوف والخفاء والتّخفي ، وأسيرة الكتمان والتّوقّي ، فأعلن عن نفسه في وقفة خاشعة بين يدي الله - عزّ وجلّ - وهو يصليّ ، وإذ ذاك بصر به عثمانُ بنُ طلحة العبدريّ عن جنبٍ وهو لا يشعرُ ، فأسرع عثمانُ - وكان أحد رجالات قومه ، ومنّ الله عليه بالإسلام في هدنة الحديبية - وأفشى خبرَ إسلامه بين يدي أمّه حُنّاس ، وهلهنا بدأت محنة مصعب الشّديدة حينما علمت أمّه وقومه بإسلامه .

\* كانت المصيبةُ كبيرةً ، والخطبُ جَلَلٌ ، والموقفُ عسيرٌ مع هذه الأمّ الرّؤوم الحازمة القاسية بأن واحد ، لقد صدع قلبها إسلامُ ابنها ، وكادت تتلفُ مهجتها ، فقد حسبت أنّه خرج إلى ما لا يُحمد عقباه ، ولم تعلم أنّه خرج إلى النّعيم المقيم ؛ والخير العميم ؛ كانت هذه الأمّ تحنو عليه حنو المرضعات على الفطيم ، وتوفّر له سُبُل الرّاحة وأسباب النّعيم ، وهي كما وصفها الشّهيليُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في « الرّوض الأنف » : « كان قبل إسلامه من أنعم قريش عيشاً ، وكانت أمّه شديدة الكلف به ، وكان بيتُ وقَعْبُ الحيس عند رأسه ، يستيقظُ فيأكلُ . . . » (١) .

\* ويقدمُ الإمام النّوويُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ صورةً وافيةً عن أمّ مصعب وشدة حفاوتها واهتمامها بابنها فيقول : « وكانت أمّه تكسوه أحسن ما يكون من الثّياب بمكّة ؛ وكان أعطر أهل مكّة ، ثمّ انتهى به الحال في الإسلام إلى أن كان عليه بُردة مرقوعة بفروة » (٢) .

\* ومعظم الذين ترجموا لسيدنا مصعب - رضي الله عنه - أجمعوا على

(١) « الرّوض الأنف بهامش السّيرة النّبويّة » (٢ / ١٩٥) ، وقوله « قعب » : القعب : قذح من خشب مقعر . و« الحيس » : تمر يخلط بسمن وأقط .

(٢) « تهذيب الأسماء واللغات » (٢ / ٩٦) .

أنه كان من الرفاه والتنعّم والمال والتّعيم الدنيويّ وما شابه ذلك في الذروة ، بالإضافة إلى ما حباه الله - عزّ وجلّ - من جمال الطلعة ، وجيل الصفات ، وكريم السجايا ، ولطيف المحتد . ومعظم هذه الأشياء فقدّها بظلم أمّه ، وحقّد مجتمعه ؛ وإساءة الذين أشركوا ، فقد نقموا عليه ؛ لأنه آمن بالعزیز الحميد ، ولأنّه ارتقى بإيمانه عالياً ، وترك بطر الجاهليّة وأشرها ، فأصابه من الشدّة ما غير لونه ، وأذهب لحمه ، وأنهك جسمه ، حتّى كان الحبيب المصطفى ﷺ ينظرُ إليه ، وعليه فروة قد رقعها ، فيبكي لما كان يعرف من نعمته وطيباته وراحته ، واعتناء أبيه به .

\* وممّا زاد الطين بلةً ، والأمر علةً ، موقف أم مصعب من إيمان ابنها ، وقد نقل لنا الشهيبيّ رحمه الله مشهداً صعباً لها اتخذته حجّة لها ؛ ليرجع ولدها عن إيمانه ، فقال : « وحلفت أمّه حين أسلم وهاجر ألا تأكل ولا تشرب ، ولا تستظلّ بظلّ حتّى يرجع إليها ، فكانت تقف للشمس حتّى تسقط مغشياً عليها ، وكان بنوها يحشون فاها بشجار - عود - فيصبّون فيه الحساء لئلا تموت » (١) .

\* هذا كلّهُ لم يثن عزم مصعب ولم يوهن قوّته ، ولم يثلم إيمانه ، فهو يرى أنوار اليقين بعين الحقّ والرّضا ، بينما لا ترى أمّه هذا كلّهُ ، وإنما لعبت بها أمشاج الجاهليّة من أحقاد ، وعادات ، وقيم باطليّة ، وأوثان ، وخرافات ، وأصاحيك الأقرباء وسخريتهم من ابنها وممن آمن بدعوة الإسلام ، ومن ثمّ تخلّت عن عواطفها الجياشة وأحاسيسها الملتهبة نحو مصعب ، عندما أخذه أهله وقومه ، فحبسوه ، وضيّقوا عليه أشدّ الضيق ، وعدّبوه بالجوع ، وروّعوه بالظّم في الهواجر ، فثبت - رضي الله عنه - ثبات الرّواصي الأعلام ، وصبر على ضيق الحبس صبر الكرام ، وصبر على قسوة التّجويع والإعطاش ولم يركن إلى الاستسلام ، وظلّ صابراً لم يستنم ولم يغف عن الإسلام ، ولم

(١) « الرّوض الأنف » (٢ / ١٩٥) .



يستسلم لهزات اللثام ، حتّى أُتيحت له فرصة الإفلات من سجنه ، فخرج - رضي الله عنه - مهاجراً إلى الله - عزّ وجلّ - ، وإلى رسوله ﷺ ، هاجر مصعبٌ إلى حيث يأمن على دينه ، وعلى نفسه ، فقد أخبر الحبيب المصطفى ﷺ أصحابه أنّ بأرض الحبشة ملكاً عادلاً لا يُظلم أحدٌ عنده .

\* استقرّ المقام بمصعب في الحبشة مع ثلّة من أصحابه من أعيان السّابقين الأوّلين وممن هاجروا هجرته تاركين مكّة أحبّ البلاد إلى الله ، وألصقها إلى قلوبهم ، تركوا الأهل والوطن ، وتحملوا آلام الغربة وإيلامها ، وشدائد البأساء في سبيل أن تطمئنّ قلوبهم بذكر الله ، وبإيمانهم الصّافي .

\* ترك مصعبٌ أمّه بمكّة تلعبُ بها الأهواء والأمانى ، لم يفكّر إلا في مرضاة الله - عزّ وجلّ - ، أرادت أمّه وجاهدت ما بوسعها على أن تردّ مصعباً إلى الشّرك ، فلم يطعها في هذا الأمر ، وظلّ ثابتاً على إسلامه ينعم في ظلاله في ظلّ عدل النّجاشي ملك الحبشة .

\* مرّت أيّامٌ وأيّامٌ فإذا بمهاجري الحبشة يسمعون أخباراً متناثرة تزعم أنّ قريشاً قد أسلمت ، وهدأ لهيبُ حقدِها ، وهادنت المسلمين ، وتلاشتِ العدواة والبغضاء فيما بينها وبين المسلمين ، وما كاد مصعب يسمع بهذه الأنباء حتّى هفا قلبه نحو مكّة المكرمة ، وسرعان ما عاد إليها مع من عاد من إخوانه المهاجرين ، لكنّه حينما وصل مكّة ألقى أنّ إسلام قريش كان أكذوبة من السّاخرين ، ووجد قريشاً تسرّح وتمرّح في الكفر والجحود ، وتصبّ أذاها أكثر من ذي قبل على المؤمنين الرُّكع للملك المعبود ؛ فعادوا من حيث أتوا ، وعاد مصعبٌ معهم ، وظلّ في الحبشة حيناً من الدّهر ، وهو يصبرٌ ويصابرٌ ، ويستعين بالله على المشركين ، ويحتمل الأذى مؤتسباً بأمير الأنبياء سيّدنا وحبیبنا رسول الله ﷺ ، وصالح المؤمنين وخاصّتهم ممن ضربوا أعلى الأمثلة في الصّبر على المصائب ، واستسلموا لله العزيز الحميد الفعّال لما يريد .

\* وأفادت المصادر التي رسمت أخبار سيّدنا مصعب بأنّ أمّ مصعب لمّا رآته إثر عودته من الحبشة - وكان سمّته قد تغیّر ، وتبدّل حاله ، وشطّف

عيشه - رَقَّتْ له ، وكَفَّتْ عن لومه وعذله ، بيد أنَّها قبضت يدها عنه ، فلم تُعُدْ تغدُقْ عليه كما كانت تفعل قبل إسلامه ، وما كان مصعبٌ مَمَّنٌ يُلْهِهِ المال ، أو تغريه الأَعْطِيَات ، فقد اتَّخَذَ إلى رَبِّهِ سَبِيلاً واضحاً ، وديناً قيماً ، ورضي بالله ربّاً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمَّدٍ ﷺ نبياً ورسولاً ، فربحَ بيعه ، وظفر بالحسنَى .

\* وكان لمصعب - رضي الله عنه - موقفٌ يتجلَّى بالحسن مع أمه ، لهذا الموقفُ يستحقُّ أن يتعلَّمه مَنْ أراد أن يتعامل مع الله - عزَّ وجلَّ - على أساسٍ صحيح ، فقد أرسلَ الحبيبُ المصطفى ﷺ مُصْعَباً إلى المدينة ليعلمَ الأنصارَ بعد بيعة العقبة الأولى ، فعاد مصعبٌ من المدينة إلى مكَّة ومعه سبعون من المدينة ليوافوا رسولَ الله ﷺ في موسم الحجِّ ؛ ولَمَّا دخل مصعبٌ مكَّة لم يذهب إلى أمه ، ولا إلى بيته أو محضنه الذي ترعرع فيه ، وإنَّما كان أوَّلَ منزلٍ قصده هو منزلُ المربِّي المنقذ من الضلال ، منزل رسول الله ﷺ ، وجعل يبشِّرُ الحبيبَ المصطفى ﷺ بنجاح مهمته ، وإقبال الأنصار على الإسلام ، ودخولهم زرافاتٍ ووحداناً في دين الله - عزَّ وجلَّ - ، وانتظارهم رسولَ الله ﷺ كما يهاجر إليهم ، ويحلُّ بدارهم ويباركها . فسرَّ الحبيبُ المصطفى ﷺ بما أخبره تلميذه النَّجيبُ الحصيفُ الجميلُ مصعبُ الخير - رضي الله عنه - .

\* وفي هذه الأثناء بلغ خُناساً أمَّ مصعبٍ قدومَ ابنها إلى مكَّة بعد غياب دام قرابة سنة ، فأرسلت إليه عاتبةً تقول له : « يا عاقُ ! أتقدمُ بلداً أنا فيه لا تبدأ بي ؟ » . فقال مصعبٌ ملفتاً نظرها إلى حقيقة ناصعة غابت عنها وعن أمثالها : « ما كنتُ لأبدأ بأحدٍ قبل رسول الله ﷺ » .

\* الله أكبرُ ، ما أجملَ تربيةَ النَّبِيِّ ﷺ لهؤلاء الشَّباب المخلصين ! فأكرمهم بهم ! وأعظمَ بإيمانهم !

\* لقد سلَّم مصعبُ الخير على معلِّم النَّاس الخير ، رسول الله ﷺ ، وقصَّ عليه قصصَ الأنصار ، ثمَّ ذَهَبَ إلى أمه وسلَّم عليها ، فقالت له : « إِنَّكَ لَعَلَى ما أنتَ عليه من الصِّبَاة بعد ! » .

فقال مصعب في هدوء اليقين وأدب المختبين : « أنا على دين رسول الله ﷺ ، وهو الإسلام الذي رضيَهُ اللهُ لِنَفْسِهِ ولِرَسُولِهِ » .

قالت : « ما شكرت ما رثيتك مرّة بأرض الحبشة ، ومرّةً بيثرب » .

فقال - رضي اللهُ عنه - : « أفرُّ بديني أن تقتلونني » . فأرادت حبسه ، فقال : « لئن أنتِ حبستني لأحرصنَّ على قتل مَنْ يتعرض لي » .

قالت : « فاذهبْ لسانك » وجعلت تبكي .

فقال مصعب ناصحاً إيَّها نصيحة التَّجاة : « يا أمّه ! إنِّي لك ناصحٌ ، عليك شفيقٌ ، فاشهدي أن لا إله إلا اللهُ وأنَّ محمّداً عبده ورسوله » .

فقالت أمّه مستنكرةً : « والثَّواقب لا أدخلُ في دينك ، فيُزري برأيي ، ويضعّف عقلي ، ولكن أدعُكَ وما أنتَ عليه ، وأقيمُ على ديني » (١) .

\* وبهذا الكلام ينتهي ما بين مصعب وأمّه من حوار وجدال ، ويسدل الستار بينهما ، فقد خرج مصعبٌ - رضي اللهُ عنه - إلى المدينة المنورة مهاجراً قبيل مقدم رسول الله ﷺ ، ولم يلتقِ أمّه ، وظلَّ بالمدينة إلى أن لقيَ اللهُ شهيداً في غزوة أحد .

### الفقيه المقرئ :

\* لَمَّا ساق الإمامان النَّوويُّ وابنُ الأثير ترجمة سيّدنا مصعب قالوا : « أبو عبد الله مصعب بن عمير القرشيّ العبدريّ ، كان من فضلاء الصّحابة وخيارهم ، ومن السّابقين إلى الإسلام ، أسلم ورسول الله ﷺ في دار الأرقم . . . وكان يختلف إلى رسول الله ﷺ سرّاً . . . » (٢) .

(١) انظر : « طبقات ابن سعد » ( ٣ / ١١٩ ) .

(٢) « تهذيب الأسماء واللغات » ( ٢ / ٩٦ ) ، و« أسد الغابة » ( ٤ / ٤٠٥ ) .

\* ونعته ابن الأثير رَضِيَ اللهُ بِقَوْلِهِ : « . . . ثُمَّ هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ بَعْدَ الْعُقْبَةِ الْأُولَى ؛ لِيَعْلَمَ النَّاسُ الْقُرْآنَ ، وَيُصَلِّيَ بِهِمْ » (١) .

\* فَلَمَّا تَمَّتْ بَيْعَةُ الْأَنْصَارِ الْأُولَى ، وَفُشِيَ الْإِسْلَامُ فِي الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ ، أُرْسِلَتْ الْأَنْصَارُ رِجَالًا مِنْهُمْ إِلَى الصَّادِقِ الْمُصَدِّقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وَكُتِبَتْ إِلَيْهِ كِتَابًا : « ابْعَثْ إِلَيْنَا رِجَالًا يَفْقَهُنَا فِي الدِّينِ ، وَيَقْرَأُوا الْقُرْآنَ » ؛ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُصْعَبَ بْنَ عَمِيرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - .

\* وَنَقَلَ ابْنُ الْأَثِيرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَوْلَهُ : « بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُصْعَبَ بْنَ عَمِيرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مَعَ النَّفَرِ الْإِثْنِي عَشَرَ الَّذِينَ بَايَعُوهُ فِي الْعُقْبَةِ الْأُولَى ، يَفْقَهُ أَهْلُهَا ، وَيَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ ، فَكَانَ مَنْزِلُهُ عَلَى أَسْعَدِ بْنِ زُرَّارَةَ ، وَكَانَ إِثْمًا يُسَمَّى بِالْمَدِينَةِ : الْمَقْرِيُّ ، يُقَالُ : إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ جَمَعَ الْجُمُعَةَ بِالْمَدِينَةِ ، وَأَسْلَمَ عَلَيْهِ يَدَهُ أُسَيْدُ بْنُ الْحَضِيرِ ، وَسَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ ، وَكَفَى بِذَلِكَ فَخْرًا وَأَثْرًا فِي الْإِسْلَامِ » (٢) .

\* قَالَ الْبِرَاءُ بْنُ عَازِبٍ (٣) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ - : « أَوَّلُ مَنْ قَدَّمَ عَلَيْنَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ : مُصْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ أَخُو بَنِي عَبْدِ الدَّارِ ، ثُمَّ أَنَا بَعْدَهُ عَمْرُو بْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ ، ثُمَّ أَنَا بَعْدَهُ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ، وَبِلَالٌ ، ثُمَّ أَنَا بَعْدَ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ » (٤) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ وَحَشَرْنَا فِي مَعِيَتِهِمْ ، وَعَفَا عَنَّا بِفَضْلِهِ .

(١) « أسد الغابة » ( ٤ / ٤٠٥ ) .

(٢) « أسد الغابة » ( ٤ / ٤٠٥ - ٤٠٦ ) .

(٣) اقرأ سيرة سيّدنا البراء بن عازب في الباب الثالث من موسوعتنا « علماء الصحابة - رضي الله عنهم - » ( ص : ٧٤١ - ٧٦٦ ) ففي سيرته زاد وفير لمن أراد أن يتزوّد من علوم الصحابة ومحبتهم للمعرفة .

(٤) « أسد الغابة » ( ٤ / ٤٠٦ ) ، وانظر : « صفة الصّفوة » ( ١ / ٣٩١ ) .

\* وفي المدينة المنورة نزل سيّدنا مصعب على أسعد بن زرارة - رضي الله عنه - ، وشمر مصعب الخير تسمير المجدين ليقوم بأعباء الدعوة إلى الله - عزّ وجلّ - ، فقد كان زأء مصعب وقرأء القرآن الكريم ؛ إذ حباه الله - عزّ وجلّ - صوتاً ندياً وفهماً وعلماً وحكماً ، بالإضافة إلى شخصيته المحببة الأليفة القريبة من القلوب والنفوس ، كما كان زأءه مباركاً ممّا وعاه من الحبيب المصطفى ﷺ من حديث ، ومن تشبّه به في الدعوة إلى الله .

\* أخذ الفتى الداعية المزوء بأنداء الإيمان ، والمضمخ بطيوب العلم ، والمنعم بعبير الفقه يدعو إلى الله - عزّ وجلّ - على بصيرة ، يفقه المؤمنون المحبين في دين الله الواحد القهار ، مكور الليل على النهار ، ويعلمهم معالم الإسلام دين العليم الغفار ، ويقرئهم القرآن العظيم ، وكان يسمّى : المقرئ ، وأكرم بها من تسمية ! ويدعو من لم يكن قد آمن إلى الإيمان بالله واحد لا شريك له ، ولا يشرك في حكمه أحداً .

\* أحسن مصعب - رضي الله عنه - غاية الإحسان في أسلوب دعوته إلى الله - عزّ وجلّ - ، وكان يلجأ إلى الحكمة والهدوء في هذا الأمر السهل الممتنع الذي لا يستطيع سلوكه إلا من آتاهم الله الحكمة فإله - عزّ وجلّ - يقول : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [ البقرة : ٢٦٩ ] .

\* كان - رضي الله عنه وأرضاه - يأتي الأنصار في منازلهم ، وفي قبائلهم ، فيدعوهم برفق رقيق إلى الإسلام ، يدعوهم بالحكمة الهادفة ، والموعظة الحسنة ، فيتلو عليهم القرآن الكريم - وفي القرآن كل شيء - فيسلم الرجل والرجلان ، ومصعب - رضي الله عنه - لا ينتابه السأم ، بل هو صابرٌ مصابر ، متابعٌ مثابر ، حتّى فشا الإسلام في طيبة الطيبة ، وظهر في أرجائها وضواحيها من العوالي وغيرها ، ولكنّ صاحبه ومضيفه سيّدنا أسعد بن زرارة أبا أمانة النجاري الأنصاري - رضي الله عنه - كان حصيفاً طموحاً ، فقد رأى أنّ دعوة الإسلام في بلده تمشي حبواً ، فأراد أن يفسو الإسلام بسرعة ، وتقفز

دعوته إلى مَنْ هم عليه القوم وأكابرهم وأعيانهم ، فأشار على صاحبه مصعب الخير أن يذهب إلى دار بني عبد الأشهل لعلَّ الله - عزَّ وجلَّ - يفتح على قلوبهم ويدخلوا فيما دخل فيه هو وأهله ، وينعموا بما أنعم الله عليهم من نعمة الإسلام .

\* كان أسعدُ - رضي الله عنه - ذا نظرة بعيدة ، وفكرٍ ثاقبٍ وقَاد ، فهو يعلمُ علمَ اليقين أنَّ مصعب الخير يمتلكُ من نواصي الكلام ، ما يجتذبُ إليه قلوبَ الكرام ، فمصعب - رضوان الله عليه - داعيةٌ موفِّقٌ ، ميمونُ التَّقيَّة ، ذو أدب جم في اقتناص القلوب ، واجتذاب النفوس ، واقتناع العقول ، وحرِي بني عبد الأشهل أن يستجيبوا له ، ولأسلوبه الحكيم الذي يحبُّ من خلاله الإسلام إلى قلوبهم وعقولهم دون مواربة ، أو تلاعب بالألفاظ والكلمات .

\* ودلف مصعبٌ وأسعدُ - رضي الله عنهما - إلى بستانٍ من بساتين بني ظفر ، فاجتمع إليهما رجالٌ ممَّن أسلموا وصدقوا ما عاهدوا الله عليه ، وكان يومها سعد بن معاذ ، وأسيد بن حضير سيِّدا قومهما بني عبد الأشهل ، وكلاهما مشركٌ على دين قومه ، فسمعا بمصعب ودعوته ، فأرسل سعدُ بن معاذ أسيداً لينهاه وأسعدَ عن دعوتهما . فجاء أسيدٌ وسمع القرآن ، وفتح على قلبه الرَّحْمَنُ ، فشهد شهادةَ الإيمان ، ثمَّ رجع واستطاع أن يبعث سعدَ بن معاذ إلى مصعب الخير ، فلم يلبث أن جاء فسمع كلام العليم الخبير ، فانسكبت الهدايةُ في قلبه ، وأعلن إسلامه ، ثمَّ رجع إلى قومه ، فعرض عليهم الإسلام فأسلموا لله الواحد القهَّار . وقد فصلتُ هذا الأمر في الباب الثاني من سيرة سيِّدنا أُسيدٍ في هذا السَّفَر المبارك فلترجع .

\* كان سيِّدنا مصعبٌ - رضي الله عنه - الدَّاعية الحصيف ، الدَّاعية الخبير بمكونات الطَّبائع ، بصيراً عارفاً بطبائع النفوس في المدينة ، فنَجَحَ بامتياز ، واستجابت له المدينةُ بأوسها وخزرجها ، رجالها ونسائها ، شبيها وشبابها .

\* وما أجمل أن نسلِّط الضَّوء الآن على هذه التَّغريدة التي تروي لنا الدَّعوة المصعبيَّة في المدينة النَّبويَّة :

الوفد عادَ إلى المدينة بعد أن تمَّ اللقاء  
لقد التقوا بالمصطفى هو خيرٌ كُـلُّ الأنبياء  
قد صدَّقوا لمقاله بل قد أجابوا للنداء  
هم أسلموا طوعاً وأيضاً بايعوه على الوفاء  
قد سميت بالبيعة الأولى فكانت في الخفاء  
عادوا وكلُّ الخير معهم قد أصابوا الاهتداء  
عادوا ومعهم مُصعبٌ خير الدعاة الأتقياء  
قد أرسل الهادي به يدعو إلى دين السماء  
يدعو رجالاً في المدينة بالموودة والإخاء  
في بيتٍ أسعد صار ضيفاً ما يشاء من البقاء  
قد صار مصعبٌ داعياً في يثرب لاقى العناء  
في كلِّ نادٍ صار يأتي لا يكفُّ عن الدُّعاء  
هو يقرأ القرآن في صوتٍ رخيمٍ في صفاء  
كي يفقهوا الإسلام كانوا بالجهالة والجفاء  
منهم كثير أسلموا كانوا بحق أذكياء (١)

### نجاحُ المهمة المصعبية :

\* سيرة سيّدنا مصعب الخير سيرة ماعةٌ بالخير ؛ تحملُ بين جوانحها  
الخير لمن يبتغي الخير ، وحياته - رضي الله عنه - حياةٌ تحفلُ بألوانٍ من  
العجب فهو في جاهليته فريداً في حياته : « ثراءٌ عريض ، وترفٌ مريض ، ونعمٌ  
من حوله تغمره ، وهو منغمسٌ في لجتها لا يفيق ؛ وإذا هو في إسلامه آيةٌ من  
آياتِ الله في رجالات الإسلام وشبابه ، أسوةٌ الدعاة إلى الله تعالى ، وأسوةٌ  
البطولة في ميادين الجهاد في سبيل الله ، وأسوةٌ الرضا عن الله تعالى في أقداره

(١) « تغريدة السيرة النبوية » ( ١ / ٣٦٨ ) .

وحكمته ، أحبَّ الإسلامَ حباً غمر مشاعره ، وأحبَّ اللهَ ورسوله حباً ملاً عليه قلبه « (١) .

\* سعى سيّدنا مصعب الخير سعي المجدين في مهمّته العظيمة ، ونجح نجاحاً باهراً ، فقد رأى أنّ الإسلام قد فشا في دور الأنصار ، وغمر أحياءهم بأنواره ، وأصبح ذكرُ رسولِ الله ﷺ في كلِّ بيت ، وكلّهم يتشوقُّ إلى هجرته ؛ ليكون فيما بينهم ، يعلمهم ويزكّيهم .

\* رأى سيّدنا مصعب - رضي الله عنه - أن يجتمعَ بمسلمي المدينة في أحد أيام الأسبوع ؛ لأنّه رأى اليهود يسيّئون في سبتهم بتجمّعات يتحدّثون فيها ، فكتب إلى رسولِ الله ﷺ يستأذنه أن يجتمعَ بهم ، فأذن له الصّادقُ المصدوقُ ﷺ ، وكتب إليه : « انظر من اليوم الذي يجهرُ فيه اليهود لسبتهم ، فإذا زالت الشّمس ، فازدلف إلى الله فيه بركعتين ، واخطب فيهم » (٢) .

\* فجمع بهم مصعب بن عمير - رضي الله عنه - في دار سعد بن خيثمة ، وهم اثنا عشر رجلاً ، وما ذبحَ لهم يومئذ إلا شاة ، فهو أوّلُ من جمّع في الإسلام جمعة (٣) .

\* ودارت الأيامُ تعلنُ إسلامَ الأنصار ، وتباركُ تجمّعهم في جمعة بدأها مصعب ، فهو أوّلُ من جمّع في الإسلام (٤) ، ولَمَّا أظلَّ النَّاسَ موسمُ الحجِّ ، استعدَّ مصعب ومعه سبعون من رجال الإسلام ، وخرجوا ليوافوا الحبيبَ المصطفى ﷺ ، عاد مصعب إلى مكّة بعد أن أدّى مهمته بنجاح وتوفيقٍ ، فقد

(١) « حياة رجالات الإسلام » لمحمّد عرجون (ص : ٩٦) .

(٢) « طبقات ابن سعد » (٣ / ١١٨) .

(٣) المصدر السابق عينه ، وانظر : « صفة الصّفوة » (١ / ٣٩٠) .

(٤) « محاسن الوسائل في معرفة الأوائل » (ص : ٢٠٨) ، و« تفسير القرطبي » (١٨ / ٩٨) .



كان سفيراً ناجحاً ، وفطناً راجح العقل ، عاد ومعه ثلثة مؤمنة ملأت قلوبهم محبة الله ورسوله ، والتقوا رسول الله ﷺ ، وسمعوا بيانه المشرق ، وتلا عليهم القرآن الكريم ، فأسلموا وبايعوا ، وقد حققتهم الملائكة مباركة إسلامهم وبيعتهم .

\* ومن خلال هذه التغريدة الجميلة ، نلتقي وفد الأنصار وهم في لقائهم الميمون مع رسول الله ﷺ :

قد عاد مصعبُ بعد أن أدّى الأمانةَ واستبان  
قد كان من خير الرّجال سفارةً عبر الزّمان  
بل كان ميمونَ النّقيبةِ فيه عقلٌ مع لسان  
كلّ المدينةِ أصبحَتْ تشدو بلحنِ الامتنان  
قد أسلموا لله طوعاً دون حربٍ أو طعان  
قد أشرق الإسلامُ فيهم لم يخافوا الافتتان  
والشّوقُ فاضَ بهم لرؤيةِ أحمدِ رؤيا عيان  
شدّوا الرّحالَ لأرضِ مكّةَ أنّ للحجّ الأوان  
لقد التقوا بالمصطفى فيها وقد نالوا الأمان  
سمعوه يتلو من كتاب الله في أسمى بيان  
وسكينةً من ربنا قد ظلّلت ذاك المكان  
إذ فيه خيرُ الخلق مع خيرِ الرّجال ذوي الجنان  
قد أسلموا بعد السّماع بلا تردّد أو توان

### هجرةٌ وجهادٌ :

\* كانت هجرة المسلمين إلى المدينة المنورة بإذن نبيي ميمون ، فكان سيّدنا مصعب الخير - رضي الله عنه - طليعة المهاجرين وأولهم يرافقه عمرو بن أم مكتوم - رضي الله عنهما - ، وكانت للمهاجرين منازل بالمدينة المنورة عند إخوانهم من الأنصار ، فقد نزل سيّدنا مصعب الخيرات ؛ ومصعب الدعاة

الثقة على سعد بن معاذ بن الثعمان الأشهلي في دار بني عبد الأشهل .

\* وحينما بدأ الاستقرار يلف بالمهاجرين بدأت تباشير المؤاخاة تلوح بين المهاجرين والأنصار ، فقد عقد الحبيب الأعظم ﷺ بين المهاجرين والأنصار أخوة يتعاونون بها ، ويترافقون ، ويتناصرون ، ويتواسون ، وكان نصيب مصعب من المؤاخاة مع أبي أيوب الأنصاري<sup>(١)</sup> الصحابي النبيل ، والمضيف الكريم ، والمجاهد النشط الذي كان في شغل الجهاد في حياته كلها حتى لاقى وجه ربه على أبواب القسطنطينية في رحلة جهاد مائة بالموافق العطرة الأنيقة .

\* كان لهذه الأخوة الإيمانية الفريدة في تاريخ البشرية آثارها الموقفة المجدية والجدية في المحبة الصادقة الخالصة والتعاون والتناصر ، وقاموا بواجباتها وحقوقها خير قيام وأكملة ، وصدق الأنصار في أخوتهم ، وضربوا مثلاً عالياً في هذا المضمار ؛ سجلها لهم تاريخ العظام بأحرف ممزوجة بالأنوار ؛ والإعجاب والتقدير والإكبار ، ولم ينس الحبيب المصطفى ﷺ إيثارهم ، فكان ثناؤه عليهم يملأ رحب المصادر ، ناهيك بالثناء الرباني عليهم في محكم التنزيل ؛ في مواطن متعددة وسور متفرقة من كلام العزيز الجليل .

\* وبعد أن استقر المقام برسول الله ﷺ وأصحابه ، واستوى المجتمع الإسلامي على سوقه ، واشتد عوده ، شرق المشركون وتميزوا من الغيظ لهذه القوة الصادقة ، وبدأت المناوشات فيما بينهم بالسنان واللسان ، ثم نشبت المعارك ، وكانت وقعة بدر الكبرى مفتاحها وصباحها ، وهي من أعظم معارك الإسلام انتصاراً ، وأبعدها أثراً .

\* فقد خرج إليها حبيبنا رسول الله ﷺ في ثلاث مئة وبضعة عشر رجلاً

---

(١) اقرأ سيرة أبي أيوب الأنصاري في الباب الثاني من موسوعتنا : « فرسان من عصر النبوة » ( ص : ٦٣٩ - ٦٥٧ ) ، ففي سيرته فوائد حسان ، ووقفات كريمة ، ودروس تربوية قيومة .

لإعلاء كلمة الله ، خرجوا في سلاح بسيط ، وإيمان قوي راسخ ، يحمل اللواء الأبيض والأعظم مقرئاً الأنصار ومعلمهم سيّدنا مصعب الخير - رضي الله عنه - ، ومن المؤكّد أنّ الذي يحمل اللواء يكون من أشدّ الأبطال ؛ وأشجعهم وأفرسهم في ميادين القتال ، لذلك حمل سيّدنا مصعب اللواء ، وشدّ يده عليه بعزم وإيمان ، ولمّا التقى الجمعان ؛ هزّ مصعب لواء الإسلام الأبيض هزّة الشجعان ، وتنادى تحت ظلّاله رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه من الإيمان ، وما هي إلاّ جولة وبعض جولة حتّى انحسرت المعركة عن هزيمة ساحقة لأهل الطغيان ؛ إذ جندل الرّجال المؤمنون رؤوس الكُفّر وصناديد الشّرك ، وأسروا سبعين من أعيانهم وأثريائهم ، ولاذ مَنْ لاذ منهم بالفرار ؛ يدعو بالويل والتّبور والبور .

\* روت المصادر أنّ مصعباً - رضي الله عنه - قد دافع يوم بدر عن النّبىّ ﷺ دفاعاً شديداً ، فقد ذكروا أنّه قتل أخاه عبيد بن عمير شرّاً قتلة ، قتله أمام رسول الله ﷺ ، وكان قد لقي رسول الله ﷺ فريداً ، فهجم عليه أخوه مصعبٌ - رضي الله عنه - حتّى جعله قطعاً قطعاً (١) .

\* وكان لسيّدنا مصعب الخير - رضوان الله عليه - أكثر من قصّة مشرقة يوم بدر ، قصصٌ تشير إلى مصعب بحروف الإخلاص والوفاء لدين الله ، ومن أبرز ما وعته المصادر قصّته مع أخيه الذي أسر يوم بدر .

\* فقد جاء أنّ الصّادق المصدوق ﷺ حين أقبل بالأسارى ، فرّقهم بين أصحابه ، وقال : « استوصوا بهم خيراً » ، وكان أبو عزيز بن عمير بن هاشم - أخو مصعب بن عمير - رضي الله عنه - لأبيه وأمه - في الأسارى ، أسره رجلٌ من الأنصار اسمه : أبو اليسر كعب بن عمرو السّلميّ .

\* لتترك الحديث للأسير أبي عزيز ليقصّ قصّته العجيبة مع أخيه مصعب

(١) انظر : « تفسير القرطبي » ( ١٧ / ٣٠٧ ) ، و « الطبقات الكبرى » للمناوي ( ١ / ١٨٨ ) ، و « السيرة النّبويّة » لأبي شهبه ( ٢ / ١٤٨ ) .

ومع أسره ، وفدائه ، فيقول : « مرَّ بي أخي مصعبُ بنُ عمير ، ورجلٌ من الأنصار يأسرني ، فقال : شدَّ يدك به ، فإنَّ أمَّهُ ذاتُ متاع ، لعلَّها تفديه منك .

يقول أبو عزيز : فكنتُ في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر ، فكانوا إذا قدّموا غدَاءهم وعشاءهم ، خصّوني بالخبز ، وأكلوا التَّمْرَ لوصية رسول الله ﷺ إيّاهم بنا ، ما تقع في يد رجلٍ منهم كسرة خبز إلا نفحني بها ، فأستحيي ، فأرُدّها ؛ فيردّها عليّ ما يمَسُّها .

قال : ولَمّا قال مصعب لأبي اليسر ما قال ، قال أبو عزيز : يا أخي ! هذه وصاتك بي ؟

فقال مصعب : إنّه أخي دونك .

وسألت أمّه عن أغلى ما فدي به قرشيّ ، فقيل لها : أربعة آلاف درهم ، فبعثت بأربعة آلاف درهم ففدته بها <sup>(١)</sup> .

---

(١) « البدايةُ والتهايةُ » ( ٣ / ٣٠٦ - ٣٠٧ ) بتصرف يسير جداً . وانظر : « تفسير القرطبي » ( ٨ / ٤٨ ) ، وغيرهما .

وقوله « شدَّ يدك به » : أي : قوّ وأحكّم . و« ذات متاع » : موسرةٌ غنيّةٌ . و« تفديه منك » : تعطي فداءه وتنقذه من الأسر . و« نفحني بها » : رمانى بها . و« وصاتك » : الوصاة ، والوصية بمعنى : أي ما تأمره به ، وتعهد إليه . و« إنّه أخي دونك » : المعنى إنّ قرابتك يا أبا عزيز من جانب الأب والأم ، أمّا قرابة أبي اليسر من جانب الخالق البارئ .

\* وللشيخ محمّد عرجون رَحِمَهُ اللهُ تَعْلِيْقٌ نَفِيْسٌ مَفِيْدٌ عَلَيَّ هَذِهِ الْقِصَّةِ الْجَمِيْلَةِ ، فيقول : « وفي هذه القصة إشراقة من مطالع نور الإيمان ، فمصعب - رضي الله عنه - ، كان حاملاً في هذه المعركة التي أسر فيها أخوه وشقيقه أوّل لواء في أوّل معركة بين الإسلام والكفر ، وهي أعظم معركة في تاريخ الإسلام ، قد حشد لها المشركون قسّهم وقضيضهم ، فلم يتركوا فارساً من أبطالهم إلا جاؤوا به إلى حتفه ، =

\* ويحلو الحديث إذا حُلِّي بزهر الآداب ، ونُفِحَ بروض الرِّياحين ، فمع هذه الحلية الأدبية المزهرة التي تجمل قصّة مصعب وأخيه وأمّهما :

قد وُزِّعَ الأسرى على بعض البيوت المسلمين  
المصطفى أوصى بهم خيراً فصاروا آمينين  
وأبو عزيز كان أيضاً في الأسارى المشركين  
يروى لقصّة أشهره في دهشة المتعجبين  
قد مرّ مصعبُ يوم بدرٍ بي وكنتُ المستكين  
ولقد رأيتُ يومها مُستسلماً للأسرى  
ما أن رأيتُ أخي الشقيق فرحتُ فرح الخائفين  
ظناً بأنّي سوف أحظى منه بالعطف الأمين  
لكنّه قد خابَ ظنّي كان خصماً لا يلين  
قد قال يُوصي أسري اشدُّ وثاق الكافرين  
تألّه إنَّ لأمه مالا وضمّن الموسرين

والنَّبِيُّ ﷺ كان على علمٍ بصرارة المعركة وعدم التّكافؤ فيها .

وكان ﷺ قد تعرّف على قوة العدو عدداً وعدّة ، فكان على بصيرة من أمرها ، ومع ذلك كلّه دفع اللواء الأعظم إلى البطل المُعلّم القارئ المقرئ مصعب الخير ، واللواء لا يحمله في ميادين الوغى ، ولا سيما في المعارك الكبرى إلا بطلٌ ، تعرف شجاعته وبصره بالحرب ، وقوّة إيمانه ، وصرامة عزمته ، وكان مصعبُ بنُ عمير كلّ أولئك في إهابٍ رجلي عليه من إيمانه بدينه مشاعره . ويتسامى إيمانُ مصعب - رضي الله عنه - عن تأثره للعواطف والقراية ، فهو يرى أخاه شقيقه لأبيه وأمّه أسيراً في يد الأنصاريّ ، فيغريه به ، ويحرّضه على شدّة الاستمساك به ، فيقول له : شدّ يدك عليه ، فإنّ أمّه ثريّة ، ذات متاع كثير ، ستفديه منك بأعلى فداء ، وقد صدق الخبر ، وفُدي أبو عزيز أخو مصعب بأربعة آلاف درهم ، وكان هذا القدرُ فيما تعورف ، أعلى فداء فُدي به أسير . « حياة رجالات الإسلام » ( ص : ٩٩ - ١٠٠ ) .

ولسوف تدفعُ فديعة كبرى تُفوقُ الآخرين  
 فهتفتُ هل هُذا الوصيّة بي وأنتَ أخي المعين  
 فأجابني هُذا أخي في الدّين دونك عن يقين  
 الأُمّ كانت بالفداء سخية في الباذلين

\* ومن قصص مصعب الخير مع الأسرى عقب بدرٍ قصّته مع النّصر بن الحارث بن علقمة العبديّ<sup>(١)</sup> ، أحد شياطين الفجور والأذى والفساد ، فقد وقف سيّدنا مصعب - رضي الله عنه - موقفَ الوفاء والصّفاء من دينه ، فلم يركنْ إلى العواطف الخلابيّة ، ولا إلى الصّداقات والقرايب ، بل نظر بمنظار الإسلام دين الواحد القهّار ، وبمنظار القرآن الكريم الذي كان يقرئه للأَنْصار .

\* كان سيّدنا المقداد بن الأسود<sup>(٢)</sup> - رضي الله عنه - قد أسرَ هُذا الخبيث الضّال المُضلل المضلال ، وحيء بالنّصر أسيراً يرسفُ بالأغلال ، فقال لرجلٍ إلى جنبه لَمّا رأى النَّبيَّ ﷺ ينظرُ إليه وإلى الأسارى : « محمّدٌ والله قاتلي ، لقد نظرَ إليّ بعينين فيهما الموت » . وكان الرُّعبُ قد ملأ قلبَ النّصر كما كان يملأ قلوب قومه ضلالاً وكفراً وعناداً ضد المسلمين ، وعداوةً وسخريةً برسولِ الله ﷺ<sup>(٣)</sup> .

(١) اقرأ سيرة هُذا الفاجر والعدوّ اللدود في موسوعتنا : « المبشرون بالنّار » ( ص : ٣٣٢ - ٣٤٩ ) ، ولاحظ كم صَبَرَ عليهم الصّادق المصدوق ﷺ حتّى وقعوا في شركِ أعمالهم وسوء نياتهم .

(٢) اقرأ سيرة سيّدنا المقداد بن عمرو المشهور بـ « المقداد بن الأسود » في الباب الأوّل من موسوعتنا : « فرسان من عصر النّبوة » ( ص : ٣٠٠ - ٣١٥ ) ففي سيرته مواقف لا تنسى .

(٣) كان النّصرُ قاتله الله خطيب الكافرين المعاندين ، وكان يقولُ لرسولِ الله ﷺ : « إن كان قرآنك من عند الله ، فأخي لنا آباءنا ، وأوسع لنا بلدنا بأن سيّر هُذه الجبال عنا ، فقد ضيّقت مكة علينا ، أو اجعلْ لنا الصّفا ذهباً نستغني عن الرّحلة ، فإن فعلت ذلك أمّا بك » . « أنساب الأشراف » ( ١ / ١٤٢ ) .

\* أدار اللعينُ عينيه الغادرتين فيمن حوله من المسلمين ، فرأى سيّدنا مصعباً - رضي الله عنه - على مقربةٍ منه ، فتوسّل إليه في خضوعٍ وذلّ طالباً من مصعب أن يبقي عليه رسولُ الله ﷺ ولا يقتله ، فقال : « يا مصعب ! أنت أقربُ مَنْ ههنا إليّ ، وأمّسهم رحماً بي ، فكلم صاحبك - أي : النّبِيَّ ﷺ - في أن يجعلني كرجل من أصحابي » .

فقال له سيّدنا مصعب مذكراً إيّاه بسخريته وعناده : « يا نضرُ ، إنك كنت تقولُ كذا ، وتفعلُ كذا ، وتصنعُ كذا وكذا و . . . » .

فقال النّضرُ وقد كُسِرَت شوكتُهُ ثانيةً : « يا مصعبُ ! ليس هذا الحينُ عتاب ، فسألُهُ أن يجعلني كرجلٍ من أصحابي ، فلو أنّ قريشاً أسرتك لدافعتُ عنك ، وسألتهم فيك » .

فقال سيّدنا مصعب - رضي الله عنه - بلسان الحقِّ واليقين : « أنت صادقٌ ، ولستُ مثلك ، إنّ الإسلام ، قد قطعَ العهودَ بيننا وبينكم » <sup>(١)</sup> .

\* وحالت بين مصعب والنّضرُ بركةُ سيفٍ من سيّدنا علي بن أبي طالب ، فأطارت رأسَ النّضر ، وألحقته بمن سبقه من جهاذة الكفر ، وجعلته كأمس الدّابر ، وسيق إلى النّار كالذليل الصّاغر .

﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ ﴾ :

\* ودّع سيّدنا مصعبُ دنيا النّاس هاتفاً بأعلى صوته مترنماً قارئاً تالياً ، وهو في أوار المعركة : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ [آل عمران : ١٤٤] ، وودّعه رسولُ الله ﷺ لَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِ وهو شهيدٌ مصروعٌ على الأرض وقرأ : ﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ [الأحزاب : ٢٣] .

\* كان هذا الوداعُ المشهودُ الميمون يوم أحد ، يوم أن تكالب

(١) « أنساب الأشراف » ( ١ / ١٤٣ ) بشيء من التّصريف .

المشركون للثأر من هزيمتهم يوم بدر ، فقد كانت قلوبهم تغلي كالمراجل حقدًا على المسلمين الذين أذاقوهم مرارة الهزيمة بكأس الدلِّ والصَّغَار ؛ فخرج المؤمنون بقيادة رسول الله ﷺ إلى أحد ، واختار ﷺ حاملَ اللواء وبطله في بدر ، ليحملَ اللواء في هذه الغزوة التي أعدَّ لها المجرمون من المشركين والمنافقين واليهود ما يملكون من خبثٍ وحقدٍ وشراسةٍ وفجور ، ليثأروا لأكابر مجرميهم وقتلاهم في بدر من العام المنصرم .

\* سار سيّدنا مصعبٌ - رضوان الله عليه - يحملُ اللواء النَّبويَّ قُدماً ؛ يساعِدُ مُلَيَّ مشاشُهُ إيماناً وحزماً وعزماً ، وقلبٍ مُلَيَّ بآياتِ الله ، ولسانٍ ذاكرٍ لا يفتُرُ عن ذكْرِ الله ، فلم يسلم اللواء ؛ ولم يسقطه من يده ، وظلَّ يدافعُ عنه حتَّى سقطَ شهيداً ولسانه رطبٌ بذكرِ الله ؛ ومحبةً رسول الله ﷺ .

\* رسم ابنُ سعد رَضِيَ اللهُ فِي « الطَّبَقَات » كيفيةَ حَمَلِ مصعبِ لواءِ رسول الله ﷺ يومَ أحد ، ومن ثمَّ كيف اتَّخذه اللهُ - عزَّ وجلَّ - شهيداً ، فقال : « كان لواءُ رسولِ الله ﷺ الأَظْم ؛ لواءِ المهاجرين يوم بدر مع مصعب بن عمير » (١) .

\* وقال أيضاً : « حملَ مصعبُ بنُ عمير - رضي اللهُ عنه - اللواءَ يومَ أحد ، فلَمَّا جالَ المسلمون ثبتَ به مصعب ، فأقبل ابنُ قميَّة ، وهو فارسٌ ، فضربَ يده اليمنى ، فقطعها ، ومصعبٌ يقول : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ [ آل عمران : ١٤٤ ] ، وأخذ اللواء بيده اليسرى ، وحنا عليه ، فضربَ يده اليسرى فقطعها ، فحنا على اللواء وضمَّه بعضُدَيْهِ إلى صدره وهو يقولُ : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ ، ثمَّ حملَ عليه الثالثة بالرَّمح ، فأنفذهُ واندقَّ الرَّمح ، ووقع مصعبٌ - رضي اللهُ عنه - وسقطَ اللواء ، وابتدره رجلان من بني عبد الدَّار : سُوَيْبَطُ بنُ سعد بن حرملة ، وأبو الرُّوم بنُ

(١) « طبقات ابن سعد » (٣ / ١٢٠) .



عمير ، فأخذه أبو الزّوم بن عمير ، فلم يزل في يده حتّى دخل به المدينة حين انصرف المسلمون « (١) .

\* وينقلُ لنا شاهد عيان كيف ثبت مصعبٌ - رضي الله عنه - ثبات الرّواصي وهو يدافع عن النّبِيِّ ﷺ ، وهذا الشّاهد ليس رجلاً ، وإنّما امرأةٌ جاهدت يوم أحد ، وفعلت الأعاجيب يومئذ ، حتّى ضربها ابنُ قمئة ضربةً أثّرت في عاتقها ، وأحدثت فيه جرحاً أجوف له غور ، هذه الشّاهدة المجاهدة أمّ عمارة نسيبة بنتُ كعب الأنصاريّة (٢) - رضي الله عنها - التي تقول : « أقبل ابنُ قمئة - أقمأه الله - وقد ولّى النّاسُ عن رسول الله ﷺ ، وهو يصيحُ : دلوني على محمّد ، فلا نجوتُ إن نجا ، فاعترضتُ له أنا ومصعبُ بنُ عمير - رضي الله عنه - ، وأناسٌ ممّن ثبت مع رسول الله ﷺ فضربني هذه الضّربة ، ولقد ضربته على ذلك ضربات ، ولكنّ عدوّ الله كانت عليه درعان » (٣) .

(١) « طبقات ابن سعد » ( ٣ / ١٢٠ - ١٢١ ) ، ومن الجدير بالذّكر أنّ استشهاده مصعب بن عمير في غزوة أحد شبيهة باستشهاد جعفر بن أبي طالب في معركة مؤتة ، فرضي الله عن مصعب وجعفر ، وحشرنا معهما في جنّات ونهر .

(٢) اقرأ سيرة الصّحابيّة المجاهدة المجدة أمّ عمارة نسيبة بنت كعب في كتابنا : « نساء مبشّرات بالجنّة » ( ص : ٦٠ - ٨١ ) ، دار ابن كثير - ط : ٥ - ٢٠٠٣ م ؛ فسيرتها قدوة صالحة لكلّ امرأة تؤمن بالله - عزّ وجلّ - .

(٣) « طبقات ابن سعد » ( ٨ / ٤١٣ ) ، و« الإصابة » ( ٤ / ٤٥٧ ) مع الجمع والتّصريف اليسير .

قال ابن إسحاق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « وقاتل مصعبُ بنُ عمير - رضي الله عنه - ، دون رسول الله ﷺ حتّى قُتل ، قتله ابن قمئة الليثي ، وهو يظنّه رسول الله ﷺ ، فرجع إلى قريش ، فقال : قتلْتُ محمّداً ، فلمّا قُتل مصعبٌ - رضي الله عنه - ، أعطى رسول الله ﷺ اللوَاءَ عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - ، ورجالاً من المسلمين » .

\* وقف الحبيب الأعظم ﷺ على المقرئ القارئ رجل بني عبد الدار وفتاهم سيّدنا مصعب بن عمير - رضي الله عنه - وهو مُنْجَعَفٌ - مصروعٌ - على وجهه يوم أحدٍ شهيداً ، وكان صاحب لواء رسول الله ﷺ ، فقال الصادق المصدوق ﷺ : « ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب : ٢٣] ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ يَشْهَدُ لَكُمْ أَنَّكُمْ شُهَدَاءُ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . ثمَّ أقبل على النَّاسِ فقال : « أَيُّهَا النَّاسُ ! اتَّوَهُم فزوروهم ، وسلّموا عليهم ، فوالذي نفسي بيده ! لا يسلم عليهم أحدٌ إلى يوم القيامة إلا ردّوا عليه السّلام » (١) .

\* وأورد ابنُ سعد رَحِمَهُ اللهُ فِي « الطَّبَقَاتِ » عن إبراهيم بن محمّد بن شرحبيل العبدريّ عن أبيه قال : « كان مصعبُ بنُ عمير - رضي الله عنه - رقيقَ البشرة ، حسنَ اللَّمَّةِ ، ليس بالقصير ولا بالطّويل ، قُتِلَ يومَ أُحُدٍ على رأس اثنين وثلاثين شهراً من الهجرة ، وهو ابن أربعين سنة ، أو يزيد شيئاً ، فوقف عليه رسولُ الله ﷺ ، وهو في بُرْدَةٍ مقتول ، فقال : « لقد رأيتك بمكّة وما بها أحدٌ أرقّ حلّة ، ولا أحسن لمةً منك ، ثمَّ أنتَ شَعِثُ الرَّأْسِ في بردة » ، ثمَّ أمر به يُقَبَّر ، فنزلَ في قبره أخوه أبو الرّوم بن عمير ، وعامر بن ربيعة ، وسُوَيْبِط بن سعد بن حرملّة » (٢) .

\* وفي حديث خَبَابِ بن الأرت - رضي الله عنه - صلّةٌ وتوضيحٌ لما ساقه ابنُ سعد رَحِمَهُ اللهُ وغيره عن مناقب سيّدنا مصعب - رضي الله عنه وأرضاه - ،

= « سير أعلام النبلاء » ( ١ / ١٤٨ ) نقلاً عن السّيرة النّبويّة .

(١) انظر في هذا : « أسد الغابة » ( ٤ / ٤٠٧ - ٤٠٨ ) بشيء من التّصرّف اليسير .

وانظر : « صحيح السّيرة النّبويّة » لإبراهيم العليّ ( ص : ٢٩٧ - ٢٩٨ ) ، و« دلائل النّبوة » للبيهقيّ ( ٣ / ٢٨٤ ) ، و« حلية الأولياء » ( ١ / ١٠٨ ) .

(٢) « طبقات ابن سعد » ( ٣ / ١٢٢ ) .

فقد أخرج الترمذي بسنده عن الأعمش ، عن أبي وائل شقيق بن سلمة ، عن خبّاب - رضي الله عنه - قال : « هاجرنا مع النبي ﷺ نبتغي وجهه الله ، فوقع أجرنا على الله ، فمننا من مات لم يأكل من أجره شيئاً ، ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها - يقطعها ويجتنيها - ، وإن مصعب بن عمير مات ولم يترك إلا ثوباً ، كانوا إذا غطوا به رأسه خرجت رجلاه ، وإذا غطوا به رجله خرج رأسه ، فقال رسول الله ﷺ : « غطوا رأسه ، واجعلوا على رجله الإذخر » (١) .

\* وأخرج البخاري وغيره بسندٍ عن سعد بن إبراهيم ، عن أبيه إبراهيم : « أن عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه - ، أتني بطعام - وكان صائماً - فقال : قُتِلَ مصعبُ بنُ عمير - وهو خيرٌ مني - كُفِنَ في بردة ، إن غُطِّيَ رأسه بدت رجلاه ، وإن غُطِّيَ رجلاه بدا رأسه . وأراه قال : وقُتِلَ حمزة - وهو خيرٌ مني - ثمَّ بُسِطَ لنا من الدنيا ما بُسِطَ - أو قال : أُعطينا من الدنيا ما أُعطينا - وقد خشينا أن تكونَ حسناؤنا عجّلت لنا ،

(١) أخرجه الترمذي . انظر : « تحفة الأحوذى » ( ١٠ / ٣٥٣ - ٣٥٥ ) ، حديث رقم : ( ٣٩٤٣ ) ، وقال : « هذا حديث حسن صحيح » . وأخرجه البخاري في مواضع برقم : ( ١٢٧٦ ) ، و ٣٨٩٧ ، و ٣٩١٣ ، و ٣٩١٤ ، و ٦٤٣٢ ، و ٦٤٤٨ ) ، ومسلم برقم : ( ٩٤٠ ) ، وأبو داود برقم : ( ٣١٥٥ ) ، والنسائي ( ٤ / ٢٨ ) . و« الإذخر » : نبت معروف طيب الريح .

أقول : « شهد شاهدٌ من قدماء الصحابة بزهد سيدنا مصعب وحسن أخلاقه ، وهذا الشاهد هو عامر بن ربيعة - رضي الله عنه - الذي قال : كان مصعب بن عمير - رضي الله عنه - لي خذناً - صديق السرّ - وصاحباً منذ يوم أسلم ، إلى أن قُتِلَ ﷺ بأحد ، خرج معنا إلى الهجرتين جميعاً بأرض الحبشة ، وكان رفيقي من بين القوم ، فلم أر رجلاً قط كان أحسن خلقاً ، ولا أقلّ خلافاً منه » . « شرح حياة الصحابة » ( ٣ / ٢١ ) .

ثُمَّ جَعَلَ يَبْكِي حَتَّى تَرَكَ الطَّعَامَ « (١) .

\* وَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَحْبُهُ مِنْ دَفْنِ شَهِدَاءِ أَحَدٍ فِي مِيدَانِ اسْتِشْهَادِهِمْ ، رَكِبَ فَرَسَهُ ، وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ يَأْخُذُوا طَرِيقَ الْعُودَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَمَا أَنْ اقْتَرَبَ مِنْ مَدِينَتِهِ الطَّيِّبَةَ حَتَّى لَقِيَتْهُ حَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - ، فَنَعَى النَّاسَ لَهَا أَخَاهَا فَاسْتَرْجَعَتْ ، وَاسْتَغْفَرَتْ لَهُ ، ثُمَّ نَعَا لَهَا خَالَهَا فَاسْتَرْجَعَتْ وَاسْتَغْفَرَتْ لَهُ ، ثُمَّ نَعَا لَهَا زَوْجَهَا مِصْعَبَ بْنِ عَمِيرٍ فَصَاحَتْ وَوَلَوْلَتْ . وَهَذَا مَا ذَكَرَهُ ابْنُ هِشَامٍ رَضِيَ اللَّهُ فِي « السِّيَرَةِ » ، فَإِلَى رِيَاضِ السِّيَرَةِ ، نَسْتَضِلُّ بِأَخْبَارِهَا الظَّلِيلَةَ ، وَنَسْتُرُوحُ بِالْأَخْبَارِ الْمِصْعَبِيَّةِ النَّبِيلَةَ .

\* قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ رَضِيَ اللَّهُ مُسْنَدًا حَدِيثَهُ إِلَى أَشْيَاحٍ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ : « ثُمَّ انصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَلَقِيَتْهُ حَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ ، كَمَا ذَكَرَ لِي ، فَلَمَّا لَقِيَتْ النَّاسَ ، نَعَى إِلَيْهَا أَخُوهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ ، فَاسْتَرْجَعَتْ وَاسْتَغْفَرَتْ لَهُ ، ثُمَّ نَعَى لَهَا خَالَهَا حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ ، فَاسْتَرْجَعَتْ وَاسْتَغْفَرَتْ لَهُ ، ثُمَّ نَعَى لَهَا زَوْجَهَا مِصْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ ، فَصَاحَتْ وَوَلَوْلَتْ !

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْجَنَائِزِ بِرَقْمٍ : ( ١٢٧٤ ، وَ ١٢٧٥ ) ، وَفِي الْمَغَازِي بِرَقْمٍ : ( ٤٠٤٥ ) ، وَقَوْلُهُ « بَطْعَامٌ » : كَانَ الطَّعَامُ خَبْزًا وَلِحْمًا . وَقَوْلُهُ « وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي » : لَعَلَّهُ قَالَ ذَلِكَ تَوَاضِعًا ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَا اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ الْأَمْرُ مِنْ تَفْضِيلِ الْعَشْرَةِ عَلَى غَيْرِهِمْ بِالنَّظَرِ إِلَى مَنْ لَمْ يَقْتُلْ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَقَدْ وَقَعَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - نَظِيرُ ذَلِكَ ، فَذَكَرَ ابْنُ هِشَامٍ رَضِيَ اللَّهُ : أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَعِنْدَهُ بِنْتُ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَهِيَ صَغِيرَةٌ ، فَقَالَ : « مَنْ هَذِهِ ؟ » قَالَ : « هَذِهِ بِنْتُ رَجُلٍ خَيْرٌ مِنِّي ، سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ » ، وَكَانَ سَعْدٌ مِنْ نَقَبَاءِ الْعَقَبَةِ شَهِيدَ بَدْرًا ، وَاسْتَشْهَدَ يَوْمَ أَحَدٍ . وَ« بَسَطَ لَنَا مِنَ الدُّنْيَا » : يَسِيرَ إِلَى مَا فَتَحَ لَهُمْ مِنَ الْفَتْوحِ وَالْغَنَائِمِ وَحَصَلَ لَهُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ ، وَكَانَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ مِنْ ذَلِكَ الْحِظِّ الْوَافِرِ ، وَأَلَّهُ أَعْلَمُ .

فقال رسول الله ﷺ : « إِنَّ زَوْجَ الْمَرْأَةِ مِنْهَا لِمَكَانٍ لِمَا رَأَى مِنْ تَثْبُتِهَا عِنْدَ أُخِيهَا وَخَالِهَا ، وَصِيَّاحِهَا عَلَى زَوْجِهَا » (١) .

\* وبعد : فالرَّحْلَةُ جَمِيلَةٌ ثَرِيَّةٌ وَمُفِيدَةٌ مَعَ مِصْعَبِ الْخَيْرِ (٢) ،

(١) « السَّيْرَةُ النَّبَوِيَّةُ » ( ٢ / ٩٨ ) ، وانظر : « سنن ابن ماجه » ( ١ / ٥٠٧ ) برقم : ( ١٥٩٠ ) .

(٢) وما أجمل الرَّحْلَةَ مَعَ الْأَدَبِ وَأَزَاهِيرِهِ الْجَمِيلَةِ ، وَخُصُوصاً إِذَا كَانَتِ الْأَدَبِيَّاتُ تَتَحَدَّثُ عَنِ سِيرَةِ عِلْمٍ مِنْ أَعْلَامِ الصَّحَابَةِ الْكِبَارِ ؛ كَمِصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ، فَتَعَالَوْا تَتَذَوَّقُوا هَذِهِ الْأَبْيَاتَ الْمَاتِعَةَ الَّتِي تَرَسُّمُ جَوَانِبِ عَدِيدَةٍ مِنْ حَيَاةِ سَيِّدِنَا مِصْعَبِ الْخَيْرِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ - :

يا مصعبَ بنَ عُمَيْرٍ طُبَّتْ مِنْ دَاعٍ هاجرتَ قِدمًا إِلَى الْأَحْبَاشِ دَاعِيَةً بَلَّغْتَ بِالْحِلْمِ فِيهِ مِبلغًا حَسَنًا رَسُولُ خَيْرِ رَسُولٍ حَيْثَمَا اتَّجَهْتَ هَذَا أُسَيْدٌ أَتَى وَالشَّرُّ يَمْلؤُهُ يَعُودُ لِابْنِ مَعَاذٍ لَا لِخَيْرِهِ لَكِنْ لِيُغْلَنَ إِسْلَامًا تَعَلَّمَهُ مَا جَاءَهُ ذُو جِجَى إِلَّا وَبَاعَدَهُ وَأَعْلَنَ ابْنُ مَعَاذٍ فِي عَشِيرَتِهِ وَفَاءَتِ الْأَوْسُ لِلْإِسْلَامِ رَاشِدَةً وَذَاكَ فَضْلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ يَسَّرَهُ وَعِيظٌ مِنْ كَثْرَةِ الْأَنْصَارِ ذُو حَسَدٍ لَكِنَّ هِجْرَةَ خَيْرِ الرُّسُلِ خَاتِمِهِمْ ضَاقُوا بِمِصْعَبٍ مُصْبَاحًا فَكَيْفَ بِهِمْ تَبَارَكَ اللَّهُ يُعْطِي الْحَقَّ قُوَّتَهُ وَيَرْفَعُ اللَّهُ بِالْقُرْآنِ مَنْ خَمَلُوا	فِي الْأَوْسِ فِي خَزْرَجٍ نَعْمَ الْفَتَى الرَّاعِي فَكُنْتَ خَيْرَ سَفِيرٍ رَاشِدٍ وَاعٍ حَتَّى اسْتَمَلْتَ قُلُوبًا بَعْدَ إِقْنَاعٍ بِهِ الرِّكَائِبُ فَهُوَ الْوَاعِظُ السَّاعِي وَالغَيْظُ يَدْفَعُ مَوْتورًا لِإِسْرَاعٍ بِقَتْلِ مِصْعَبٍ فَعَلَّ الْفَاتِكِ النَّاعِي مِنْ مِصْعَبِ بْنِ عُمَيْرِ خَيْرِ صَدَاقٍ عَنْ شَرِكِهِ وَالْهَدْيِ مُصْبَاحِ رَجَاعٍ إِسْلَامِهِ وَتَحَدَّى كُلَّ أَشْيَاعٍ فَكَانَ ذَلِكَ مِنْهَا خَيْرَ إِجْمَاعٍ عَلَى يَدِ ابْنِ عُمَيْرِ صَاحِبِ الْبَاعِ مِنَ الْيَهُودِ وَمِنْ أَصْحَابِ أَطْمَاعٍ أُورِثَ بِهِمْ نَارَ أَحْقَادٍ وَأَوْجَاعٍ وَذَاكَ مُشْكَاةٌ أَنْوَارٍ وَإِشْعَاعٍ فَيَسْتَنْقِطُ الْبَاطِلُ الْمَغْرورُ لِلْقَاعِ وَيَخْفِضُ اللَّهُ ذَا بَغْيٍ وَإِيقَاعٍ
---	---

نرجو الله - عزَّ وجلَّ - أن يجمعنا وإياه تحت راية معلِّم النَّاسِ الخَيْرِ ، سيِّدنا  
وحبيبنا مُحَمَّدٍ ﷺ .

\* فرضي الله عن مصعب ، الرَّجُلِ الدَّاعِيَةِ الشَّهِيدِ المحبِّ ، وورزقنا  
حسن الختام ، وأدخلنا الجنَّةَ في رحمته بسلام .



---

يزولُ ذكْرُ ذوي جَاهِ وسلْطَنَةِ =  
معلِّمُ الخَيْرِ لا تَفْنَى مكَاسِبُهُ  
وذكْرُ مصعبَ باقٍ ملءَ أَسْمَاعِ  
إيناعها خيرُ إيناعِ وإيناعِ

# نُعَيْمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ

رضي الله عنه

- \* أسلمَ قبلَ عمرَ ، وكانَ سَبَبَ إسلامِ عمرَ رضيَ اللهُ عنه .
- \* كانَ باراً بأيتامِ قومِهِ ، وهاجرَ عامَ الحديبية .
- \* أخبارُهُ جميلةٌ ؛ وقُتِلَ يومَ اليرموكَ شهيداً رضيَ اللهُ عنه .

رَفَعُ  
عبد الرَّحْمَنِ النَّجْدِيُّ  
أَسْكَنْهُ رَبِّيَ الْفِرْدَوْسَ  
[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)



## نُعَيْمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه

هديةٌ عظيمةٌ للإسلام :

\* أهدى هذا الرجلُ هديةً نادرةً للإسلام ؛ إذ كان السَّببُ في اجتذاب الشَّخصيةِ الثانيةِ والوزيرِ الثانيِ إلى شاطئِ السَّلامِ ، ذلكم هو عمرُ بنُ الخطَّابِ - رضي اللهُ عنه - ؛ الرَّجُلُ الثَّانِي في الإسلامِ .

\* فمن هذا الرَّجُلِ الكَريمِ الذي جَذَبَ سَيِّدنا عمرَ بنَ الخطَّابِ - رضي اللهُ عنه - إلى سبيلِ المؤمنين ، وثلةِ السَّابقين ، وسبيلِ النَّاجين ؟ !

\* إنَّه نُعَيْمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّخَّامِ القَريشيِّ العَدويِّ (١) ، والنَّخَّامُ وصفٌ لِنُعَيْمِ ، وقيل له النَّخَّامُ للحديث المشهور أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال : « دخلتُ الجَنَّةَ فسمعتُ نَحْمَةً من نُعَيْمِ فيها » (٢) .

---

(١) « التَّيْبِين » (ص : ٣٨٦ - ٣٨٧) ، و« مختصر تاريخ دمشق » (٢٦ / ١٧٥ - ١٧٧) ، و« طبقات ابن سعد » (٤ / ١٣٨ - ١٣٩) ، و« نسب قريش » (ص : ٣٨٠ - ٣٨١) ، و« المستفاد من مبهمات المتن والإسناد » (٢ / ١٢٠٨ - ١٢١٠) ، و« أسد الغابة » (٤ / ٥٧٠) ترجمة رقم : (٥٢٦٩) ، و« الإصابة » (٣ / ٥٣٧ - ٥٣٨) ، و« البداية والنهاية » (٣٤ / ٧) .

(٢) « تهذيب الأسماء واللغات » (٢ / ١٣٠) ، و« طبقات ابن سعد » (٤ / ١٣٨) ، =

\* والتَّحْمَةُ : السَّعْلَةُ ، وقيل : النَّحْنَحَةُ الممدودُ آخرها . وعندما تحدّث ابن دريد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في « الاشتقاق » عن رجال بني عدي بن كعب قال ما مفاده : « ومنهم : النَّحَام ، واسمه نُعَيْمُ بنُ عبد الله بن أسيد . . . . وإنما سَمِّي النَّحَام ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال : « دخلتُ الجنَّةَ ، فرأيتُ فيها أبا بكر وعمر - رضي الله عنهما - ، وسمعتُ فيها نَحْمَةً من نُعَيْمِ » . والتَّحْمَةُ : شبيهة بالكلمة يسمُّعُها الإنسان فيعرف صاحبها ، ولا يعرف الكلمة بعينها . والتَّحَام : فَرَسٌ سُلَيْكُ بنِ السَّلَكَةِ السَّعْدِيّ ، وهو فارسٌ من فرسان الجاهليَّة المشهورين . . . . ونُعَيْم : تصغيرُ أَنْعَمَ ، أو تصغيرُ نُعْمَ ، وأصله من النَّعْمَةِ ، وقد سمَّت العرب النَّعْمَانَ . . . . والتَّعِيم : ضدُّ البؤس ؛ والنَّعْمَةُ : ما تنعَّم به الإنسان من مأكَل أو مشرب . والنَّعْمَةُ : ما أنعم اللهُ - عزَّ وجلَّ - على الإنسان في معيشته وبدنه . . . . » (١) .

\* وسيّدنا نُعَيْمُ بنُ عبد الله النَّحَام من ثلَّة السَّابِقِينَ الأوَّلِينَ إلى دوحَةِ الإسلام ورياضه ، يُقال : إنَّه أسلم بعد عشرة أنفس (٢) . قال الإمامُ النَّوَوِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « أسلم نُعَيْمٌ قديمًا في أوَّل الإسلام ، قيل : أسلم بعد عشرة أنفس ، وقيل : بعد ثمانية وثلاثين قبل إسلام عمر بن الخطَّاب ، وكان يكتب إسلامه . . . . » (٣) .

= و« نسب قريش » (ص : ٣٨٠) .

(١) « الاشتقاق » (ص : ١٣٦ - ١٣٧) بشيء من التَّصْرُفِ والاختصار . وجاء في كتاب « نزهة الألباب في الألقاب » لابن حجر : أنَّ النَّحَامَ ضبطه الأكبر بفتح الثُّون وتشديد الحاء ، وضبطه ابن الكلبي بضم الثُّون وتخفيف الحاء .

(٢) « التَّبْيِين » (ص : ٣٨٧) .

(٣) « تهذيب الأسماء واللغات » (٢ / ١٣٠ - ١٣١) . وقال ابن عساكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن نُعَيْم : « له صحبة من سيّدنا رسول الله ﷺ ، وهو قديم الإسلام » . « مختصر تاريخ دمشق » (٢٦ / ١٧٥) .

## برّه بالأرامل والأيتام :

\* تأثر سيّدنا نعيمٌ بتعاليم الإسلام وهديهِ ونُبِّله ، فكان من أبرّ النَّاسِ وأوصلهم لأهله ؛ وكان يتفقّد أيتام بني عدي ، كما يتفقّد الأرامل ويصلّهم ويحسن إليهم ؛ وقد امتدح سيّدنا الرُّبَيْر بنُ العوّام - رضي الله عنه - عمل نعيم وبرّه بقومه فقال : « كان نعيمٌ بنُ عبد الله النَّحَّام يقوتُ بني عدي بن كعب شهراً شهراً لفقرائهم » (١) .

\* ولهذا السَّبب النَّبيل ؛ أقام سيّدنا نعيمٌ - رضي الله عنه - مع قومه ؛ فلم يهاجر في البداية مع المسلمين إلى المدينة المنورة ، ومكث في أمّ القرى حتّى قبيل الفتح ؛ لأنّه كان ينفق على أرامل بني عدي وأيتامهم في الجاهليّة ، ولم يزل بمكّة يحوطه قومه لشرفه فيهم .

\* ولما شرع المسلمون بالهجرة إلى المدينة المنورة ؛ أراد سيّدنا نعيم أن يهاجر في صحبتهم ، فتعلّق به قومه وتشبّثوا به ، ورجّوه قائلين : « دُنْ بآي دَيْنِ شَتَّ ، وأقم عندنا » ، فأقام في مكّة حتّى كانت سنة ستّ ، فقدم مهاجراً إلى المدينة المنورة ، ومعه أربعون نفرأ من أهله ، فأتى رسولَ الله ﷺ مسلماً ، فاعتنقه وقبّله . وزعموا أنّ الحبيب المصطفى ﷺ قال له حين قدموا عليه : « قومك ، يا نعيم كانوا خيراً لك من قومي لي » .

فقال نعيم في أدبٍ جمٍّ : « بل قومك خيرٌ من قومي يا رسولَ الله ! » .

قال رسول الله ﷺ : « قومي أخرجوني ، وأقرك قومك » .

فقال نعيم - رضي الله عنه - : « يا رسولَ الله ! قومك أخرجوك إلى الهجرة ، وقومي حبسوني عنها » (٢) .

(١) « طبقات ابن سعد » ( ٤ / ١٣٩ ) ، و« مختصر تاريخ دمشق » ( ٢٦ / ١٧٧ ) .

(٢) انظر : « نسب قريش » ( ص : ٣٨٠ ) ، و« طبقات ابن سعد » ( ٤ / ١٣٨ ) ، =

\* وكان نُعَيْمُ النَّحَّامِ - رضي الله عنه - ، وأبوه عبد الله من قبله يحملون يتامى بني عدي ويؤمنونهم .

\* ساق ابنُ عساكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ طاقاتِ مِزْهَرَاتِ ، ومعلوماتِ نافعَاتِ عن سَيِّدِنَا نُعَيْمٍ فَقَالَ : « لهُ صَحْبَةٌ مِنْ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَهُوَ قَدِيمُ الْإِسْلَامِ . . . . . أَسْلَمَ قَبْلَ هِجْرَةِ الْحَبْشَةِ ، وَكَانَ يَكْتُمُ إِسْلَامَهُ ، وَأَقَامَ بِمَكَّةَ ، وَقَدِمَ مَهَاجِرًا سَنَةَ سِتٍّ ، وَمَعَهُ أَرْبَعُونَ مِنْ أَهْلِهِ ، فَاعْتَنَقَهُ النَّبِيُّ ﷺ وَقَبْلَهُ ، وَكَانَ هَاجِرًا عَامَ الْحُدَيْبِيَّةِ ، وَشَهِدَ مَا بَعْدَهَا مِنَ الْمَشَاهِدِ . . . . . وَسَمَّاهُ النَّبِيُّ ﷺ صَالِحًا » (١) .

\* قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ : « اخْطَبَ عَلِيٌّ ابْنَةَ صَالِحٍ ، قَالَ : إِنَّ لَهُ يَتَامَى ، وَلَمْ يَكُنْ لِيُؤْثِرْنَا عَلَيْهِمْ .

فَانْطَلَقَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ إِلَى عَمِّهِ زَيْدِ بْنِ الْخَطَّابِ لِيَخْطُبَ عَلَيْهِ ، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى صَالِحٍ ، فَقَالَ إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ يَخْطُبُ ابْنَتَكَ .

---

= و « مختصر تاريخ دمشق » ( ٢٦ / ١٧٦ ) مع الجمع والتصرف .

وجاءت هذه القصة بشكل آخر عند ابن عبد البر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في « استيعابه » فقال : « . . . ومنعه قومه لشرفه فيهم من الهجرة ؛ لأنه كان ينفق على أرامل بني عدي وأيتامهم ، ويؤمنهم ، فقالوا : أقم عندنا على أي دين شئت ، وأقم في ربك ، واكفنا ما أنت كافٍ من أمر أراملنا ، فوالله لا يتعرض لك أحدٌ إلا ذهبنا أنفسنا جميعاً دونك . وزعموا أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال له حين قدم عليه : « قومك يا نُعَيْم كانوا خيراً من قومي لي » . قال : بل قومك خير يا رسول الله !

قال رسول الله ﷺ : « قومي أخرجوني وأقرَّك قومك » . فقال نُعَيْمٌ : يا رسول الله ! قومك أخرجوك إلى الهجرة ، وقومي حبسوني عنها . وكانت هجرة نُعَيْمٍ عام خيبر ، وقيل : هاجر في أيام الحديبية . « الاستيعاب » ( ٣ / ٥٢٧ - ٥٢٨ ) .

(١) « مختصر تاريخ دمشق » ( ٢٦ / ١٧٥ - ١٧٧ ) بتصرف واختصار .

فقال : لي يتامى ، ولم أكن لأترب لحمي ، وأرفع لحكمكم ، فإنّي أشهدك أنّي قد أنكحتها فلاناً . وكان هوى أمها إلى عبد الله بن عمر ، فأنت رسول الله ﷺ فقالت : يا نبيّ الله خطب عبد الله ابنتي ، فأنكحها أبوها يتيماً في حجره ، ولم يؤامرها . فأرسل رسول الله ﷺ إلى صالح ، فقال : « أنكحت ابنتك ولم تؤامرها ؟ » .

قال : نعم .

فقال رسول الله ﷺ : « أشيروا على النساء في أنفسهنّ ، أشيروا على النساء ، وهي بكر » .

فقال صالح : إنّما فعلتُ هذا لمّا أصدقها ابن عمر ، فإنّ لها في مالي مثلما أعطها » (١) .

### نُعِيمٌ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا :

\* كلنا يعرف أنّ السيرة العمرية سيرة غنيّة بالدروس والعظات ، كما أنّنا نعرف أنّ سيّدنا عمر - رضي الله عنه - كان - قبل إسلامه - من أشدّ الناس قسوة على المسلمين ، ولكنّه عندما منّ الله عليه بالإسلام غدا فاروق الأمة ، وكان سبب انقلابه المفاجئ ، التقاؤه سيّدنا نعيم بن عبد الله النخام وهو ذاهب ليقتل رسول الله ﷺ ؛ فكيف كان ذلك ؟

\* تذكر روايات السيرة النبوية وأحداثها أنّ عمر بن الخطّاب - رضي الله عنه - كان شاباً مفتوناً بشبابه ، لا يعرف عن محمد رسول الله ﷺ إلا أنّه الصّابئ الذي فرق قريشاً ، وها هي ذي قريشٌ تمورٌ موراً ، وتتميزُ غيظاً من دعوة الإسلام ، وقد جعلت الأموال السخية والعطايا المُجزية لمن يقتل محمداً ﷺ .

---

(١) « مختصر تاريخ دمشق » ( ٢٦ / ١٧٧ ) ، ومعنى قوله « لأترب لحمي » : أجعل عليه الثراب . و« أصدقها » : سمّي لها صداقاً ، والصّدّاق : مهر المرأة .

\* ظنَّ عمرُ يومها ظنَّ الواهمين أنه يستطيع أن يحبسَ أنداءَ الخيرِ وعطره وهو في براعمه يتفتح جميلًا لطيفاً ناعساً ، أو يستطيع أن يبدلَ نهارَ الحياة المشرق ليلاً دامساً ؛ ومضى عمرُ في وجهه متسربلاً بالغضب ، تاركاً مَنْ وعدهم بقتل محمدٍ ﷺ وهم ينتظرون النَّبأَ العظيم ، وبينما هو في سيره المضطربِ تتناوشه الأوهام ، بَصُرَ به أحدُ أبناءِ قومه وهو نُعَيْمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّحَّامِ ، فاستوقفه لَمَّا رآه في حالةِ القَلَقِ والغَضَبِ وسأله في هدوءٍ : « أين تريدُ يا عمر ؟ » .

فقال عمر - ولعلَّه لم يعلمَ بسبقِ نُعَيْمِ إلى الإسلامِ - : « أريدُ محمداً هذا الصَّابِيُّ فأقتله » .

\* « ضحكتِ الآفاقُ تهزأُ بعمرَ وعزمتِه وسيفِه ، وكأثما سمعَ نُعَيْمُ صدى سخريةِ الآفاقِ وهزئها بعمرَ في ممشاه وهو متقلدٌ سيفه ليقتلَ محمداً ﷺ ، وكان نُعَيْمٌ يخفي إسلامه من قومه عامة ، وفرقاً من عمرَ بخاصة ، ولكنَّ صولة الإيمان ، وجسامَةَ الخطبِ في ممشىِ عمر ، جَعَلَا من نُعَيْمِ أسداً من أسدِ الله ، وضعَ حياته فداءً لرسولِ الله ﷺ ، فلم يَأْبَهُ لسيفِ عمر ، ولم يبالِ بتجهُّمه وعزمتِه الخائرة ، فوقف في وجهه يجبههُ ويزجرُهُ بما لم يكن في حسابان عمر » (١) .

\* وقف سيدنا نُعَيْمٌ ساعتئذٍ موقفَ الأذكياء ، وموقفَ المخلصين لرَبِّهِ ورسوله ودينه ، وقفَ موقفَ الحزمِ والحصافةِ والنَّباهة ، فقد كان نُعَيْمٌ دَمِيئاً من غيرِ خَفَرٍ ، وليِّنَ جانبٍ من غيرِ خورٍ ؛ استطاع أن يثيرَ عمرَ لأمرٍ مهم ، وربما تنقشعُ غلظته التي تكمنُ وراءها يَنابِيعُ من الرِّقَّةِ والخيراتِ والموذَّاتِ ، وصدقتِ الفِراسَةُ النُّعَيْمِيَّةُ النَّحَّامِيَّةُ فقال لعمر : « لقد وألَّهُ غرَّتكَ نفسُك من نفسك يا عمر ! ففرَّطت ، وأردتَ هلكةَ بني عدي ، أترى بني عبد مناف

(١) « محمَّد رسول الله » (١ / ٦٥٠) .

تاركك تمشي على الأرض ، وقد قتلت محمداً ؟ أفلا ترجع إلى بيتك فتقيم أمرهم ؟ » .

فقال عمر - وقد اهتزَّ فزعاً لمقولة نعيم - : « وأي أهل بيتي ؟ » .

قال نعيم في هدوء : « ختنك وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو ، وأختك فاطمة بنت الخطاب ، فقد والله أسلما ، وتابعا محمداً على دينه ، فعليك بهما » .

\* « سبحان الله ! ماذا صنع الإيمان بهذه النفوس الحبيسة في أرضها ، بين شواهِقِ الجبالِ المخيفة ، والوديانِ القاحلةِ المقفرةِ من كلِّ عيش وأمل . . . . نعيم بن عبد الله التَّحَامِ العدويّ - رضي الله عنه - يقفُ في وجهِ عمر ؛ إذ يراه متوشحاً سيفه ، يمشي في عزيمة متجهّمة ، يطوي جوانحه على مُستكنّة من الكوارثِ قاصمة ، وقارعة من القواصمِ مبيدة مدمّرة ، لا يبالي جبريّة عمر وبطشه ، ولا يقيم وزناً لقسوته وغلظته ، موقفاً يجبهه فيه ، ويحقّره أمام نفسه ، بكلِّ ما تعرف كلمة من تقريع وتحقير ، ويريه في صراحةٍ صارمة أنّه في ممشاه هذا مغرور ، مفتون ، لا يعرف قدرَ نفسه . فما هذا الذي أحال نعيماً الرّجل المسلم الذي ظلَّ مستخفياً بإسلامه رهبة ورعباً من عمر وقومه ، حتّى يقف من هذا العاتي الجبّار ، المغرور بنفسه هذا الموقف الذي يعنون شجاعة الأبطال في مواقف النّضال ؟ ! إنّه الإيمان ، والإيمانُ فحسب ، والإيمانُ ليس غير ، الإيمان الذي بلغ من نعيم المسلم في لحظة لا تكاد تُعدُّ شيئاً في حساب الزّمن ، وسير الفلك ، مبلغاً جعله يتصوّر في لمحة خيال طائر مفرع مرعب ، أنّ عمر حقّق عزمته السّوداء ، وتصوّر نعيم مع خياله المزعج أنّ الحياة كلّها أظلمت فغارت نجومها ، وأقلّ إلى غير عودة قمرها ، وغابت إلى الأبد شمسها . . . . وتجمّعت عزائمُ الإيمان في قوتها فملأت جوانب نفس نعيم الرّجل المسلم فحسب ، فكانت فداءً للنّور والهدى ، فداءً لشمس الحياة محمّد رسول الله ﷺ ، واستحال نعيم المسلم المستخفي بإسلامه ، الضّعيف المستضعف قوّة قاهرة ، وشجاعة مزمجرة ، أخذت بمجامع الجبريّة الجاهليّة

في عمر بن الخطّاب ، ونترتها نترّة جثا منها هذا العاتي المغرور ، بين يدي نعيم المسلم الذي كان يُرهبُهُ عمرٌ في جاهليّته . . . . . » (١) .

\* نعم ؛ أفلح نعيمٌ - رضي الله عنه - في مجابهة عمر - رضي الله عنه - في قوله بصراحة تامّة كانت خيراً لعمر ؛ إذ كان الإيمانُ أقوى من عتوّ الجاهليّة ، ولَمّا عملَ الإيمانُ عمله في داخل ضمير عمر ، ذهب إلى رسولِ الله ﷺ وآمن به وصدّقَ دعوته ، وصار الرّجل الثّاني في جميع أصحاب رسولِ الله ﷺ ، وقصّة سماع الفاروق عمر للقرآن الكريم في بيت أخته فاطمة ، ثمّ ذهابه إلى دار الأرقم من مشاهير القصص التي يعرفها معظم النّاس لشهرتها وسلاستها وأثرها وتأثيرها في النّفوس والقلوب (٢) .

\* وممّن أسهمَ في انتشار قصّة إسلام سيّدنا عمر الشّعراء المبدعون ، فسلاسة شعرهم المرسوم بالأحاسيس والكلمات ساعدَ على سيرورة القصّة العُمريّة . وقد تألّق شعراء كُثُر في رسمِ إسلام سيّدنا عمر ، وممّن برعَ في هذا المضمار من الشّعراء المعاصرين شاعر النّيل (حافظ إبراهيم) الذي أنشأ عام (١٩١٨ م) قصيدةً سمّاها : « عمر بن الخطّاب » تعرّض خلالها لحياته

---

(١) « محمّد رسول الله » (١ / ٦٥١ - ٦٥٢) .

(٢) أفاد الدّكتور أكرم ضياء العمريّ في كلام له معلقاً على قصّة إسلام سيّدنا عمر - رضي الله عنه - فقال : « أمّا قصّة استماعه القرآن يتلو الرّسول ﷺ في صلاته قرب الكعبة ، وعمر مستخفٍ بأستارها ، وكذلك قصّته مع أخته فاطمة حين لطمها لإسلامها ، وضرب زوجها سعيد بن زيد ، ثمّ اطلاع على صحيفة فيها آيات وإسلامه ، فلم يثبت شيء من هذه القصص من طرق صحيحة ، ولكنّ الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ ذَكَرَ بأنّ الباعث له على دخوله في الإسلام ما سمع في بيت أخته فاطمة من القرآن . ولا شك أنّ القرآن بيانه السّاحر ، وروعة تصويره لمشاهد القيامة ، وصفة الجنّة والنّار ، كان له تأثيرٌ كبيرٌ في اجتذاب عمر إلى صفّ المسلمين ؛ لأنّ عمر كان يتذوّقُ الكلام البليغ ويعجبُ به ، وعدم ثبوت الرّوايات حديثاً لا يعني حتميّة عدم وقوعها تاريخياً . » « السّيرة النّبويّة الصّحيحة » (١ / ١٨٠ - ١٨١) .



الكريمة ، وقد لاقتِ القبولَ في العالمِ الأدبيِّ ، وافتتحها بقوله :  
حَسْبُ القَوَافِي وَحَسْبِي حِينَ أُلْقِيهَا أَنِّي إِلَى سَاحَةِ الفَارُوقِ أَهْدِيهَا  
\* وخلالها تحدّث عن إسلام عمر فقال :

رَأَيْتَ فِي الدِّينِ آرَاءَ مَوْفِقَةً وَأَنْزَلَ اللهُ قِرْآنًا يُزَكِّيهِهَا  
وَكُنْتَ أَوَّلَ مَنْ قَرَّرْتُ بِصَحْبَتِهِ عَيْنُ الحَنِيفَةِ وَاجْتَازْتُ أَمَانِيهَا  
قَدْ كُنْتُ أَعْدِي أَعَادِيهَا فَصَرَّتْ لَهَا بِنِعْمَةِ اللهِ حِصْنًا مِنْ أَعَادِيهَا  
خَرَجْتَ تَبْغِي أَذَاهَا فِي مُحَمَّدِهَا وَلِلْحَنِيفَةِ جَبَّارٌ يُوَالِيهَا  
فَلَمْ تَكْذُ تَسْمَعُ الآيَاتِ بِالْغَةِ حَتَّى انْكَفَأَتْ تَنَاوِي مَنْ يَنَاوِيهَا  
سَمِعْتَ سُورَةَ طه مِنْ مَرَّتِلِهَا فَرَلَزْتُ نِيَّةً قَدْ كُنْتُ تَنْوِيهَا  
وَقُلْتُ فِيهَا مَقَالًا لَا يُطَاوُلُهُ قَوْلُ المَحَبِّ الَّذِي قَد بَاتَ يَطْرِيهَا  
وَيَوْمَ أَسْلَمْتَ عَزَّ الحَقُّ وَارْتَفَعْتُ عَنِ كَاهِلِ الدِّينِ أَثْقَالُ يَعَانِيهَا (١)

« أَنَا صِهْرُهُ » :

\* كَانَ لِسَيِّدِنَا نُعَيْمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ النَّحَّامِ مَنْزِلَةٌ كَبْرَى عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ،  
وَذَاتَ مَرَّةٍ أَشَارَ عَلَيْهِ أَنْ يَتَزَوَّجَ امْرَأَةً وَضِيئَةً جَمِيلَةً ، وَخَصَّه بِهَا قَائِلًا : « مَنْ  
أَدْلَهُ عَلَى الوَضِيئَةِ القَّتِينِ - الجَمِيلَةِ - وَأَنَا صِهْرُهُ ؟ » .

\* ذَكَرَ ابْنُ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هَذَا الأَمْرَ فِي « طَبَقَاتِهِ » قَالَ : « كَانَ  
رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحِبُّ أَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - ، فَلَمَّا بَلَغَ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِ  
عَشْرَةَ سَنَةً تَزَوَّجَ امْرَأَةً يُقَالُ لَهَا : زَيْنَبُ بِنْتُ حَنْظَلَةَ بْنِ قَسَامَةَ (٢) ، فَطَلَّقَهَا

(١) « ديوان حافظ إبراهيم » ( ١ / ٧٩ - ٨٠ ) . وقرأ القصيدة كاملة في ديوانه

( ١ / ٧٧ - ٩٧ ) ، طبعة دار الكتب المصرية عام ( ١٩٣٧ م ) .

(٢) « زينب بنت حنظلة بن قسامة بن قيس بن عبيد بن طريف بن مالك الطائفة ، وفي  
طريف بن مالك يقول امرؤ القيس الشاعر المشهور ، وقد نزل به :

لَعَمْرِي لَنِعْمَ المَرءُ يَعِشُو لِضَوِّهِ طَرِيفُ بْنُ مَالِكِ لَيْلَةَ الرِّيحِ وَالْحَصْرُ =

أسامةُ ، فجعل رسولُ الله ﷺ يقول : « مَنْ أدلَّهُ على الوضيئةِ القَتِينِ وأنا صهرُهُ ؟ » .

فجعل رسولُ الله ﷺ ينظرُ إلى نعيمِ بنِ عبدِ الله النَّحَّامِ ، فقال نعيمُ : كأنَّكَ تريدني يا رسولَ الله ؟ قال : « أَجَلٌ » .

فتزوَّجها فولدت له إبراهيمَ بنَ نعيمِ ، فقتل يومَ الحرَّةِ « (١) » .

\* وكان إبراهيمُ بنُ نعيمِ أحدَ الرُّؤوسِ يومَ الحرَّةِ ، وقتل يومئذ في ذي الحِجَّةِ سنة ( ٦٣ هـ ) (٢) . وكان إبراهيمُ متزوَّجاً من رقيةِ بنتِ عمرِ بنِ الخطَّابِ ، وأمها أم كلثوم بنت عليِّ بن أبي طالب (٣) ، وأمها فاطمة بنت رسول الله ﷺ (٤) .

\* ولما تعرَّض الإمامُ الذهبيُّ رَحِمَهُ اللهُ في « تاريخه » للحديث عن يوم

كانت زينب بنت حنظلة تحت أسامة بن زيد بن حارثة ، فطلقها ، فلما حلَّت قال رسول الله ﷺ : « من يتزوَّج زينب بنت حنظلة وأنا صهره » ، وفي رواية : « وأنا أمهره » ، فتزوَّجها نعيم بن عبد الله النَّحَّامِ ، وكانت زينب قدمت هي وأبوها وعمتها الجرباء بنت قسامة على النَّبِيِّ ﷺ . « أسد الغابة » ( ٦ / ١٢٨ ) ، و « الاستيعاب » ( ٤ / ٣١٤ ) ، و « الإصابة » ( ٤ / ٣٠٩ ) ، مع الجمع والتَّصْرُفِ .

(١) « طبقات ابن سعد » ( ٤ / ٧٢ ) ؛ وأيضاً ( ٥ / ١٧٠ - ١٧١ ) .

(٢) « طبقات ابن سعد » ( ٥ / ١٧١ ) .

(٣) اقرأ سيرةَ الحفيدة الميمونة أم كلثوم بنت علي - رضي الله عنهما - في الباب الرَّابِعِ من موسوعتنا : « نساء أهل البيت في ضوء القرآن والحديث » ( ص : ٦٨١ - ٧١٢ ) ففي سيرتها فوائد تهتمَّ العالم والمتعلِّم . طبعة دار اليمامة السَّادسة بدمشق ، عام ( ٢٠٠٥ م ) .

(٤) اقرأ سيرة سيِّدتنا فاطمة الزَّهراء - رضي الله عنها وأرضاها - في الباب الثَّالِثِ من موسوعتنا : « نساء أهل البيت في ضوء القرآن والحديث » ( ص : ٥٤٧ - ٦٢٩ ) فسيرتها إمتاع للأسماع ، وإرواء للقلوب ، وشفاء لغيل مجيِّب أهل البيت .

الحرّة ، ذكرَ عدداً من أبناء الصّحابة الذين قُتِلوا يومها ، فقال : « وممّن قُتِلَ يوم الحرّة : إبراهيمُ بنُ نعيم النّخّام بن عبد الله بن أسيد القرشيّ العدويّ . كان ابنُ النّخّام أحدَ الرّؤوس يوم الحرّة ، وقُتِلَ يؤمئذ ، وكان زوج رقيّة ابنة عمر بن الخطّاب » (١) .

﴿ بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ :

\* كانت هجرة سيّدنا نعيم بن عبد الله النّخّام أيّام الحديبية ؛ إذ استقبله الحبيبُ المصطفى ﷺ بالترحاب ، وأكرمه واعتنقه ، وقبّله ؛ وتابع سيّدنا نعيم - رضي الله عنه - حياته مع الصّحابة الكرام بالمعيّة النّبويّة .

\* ولسيّدنا نعيم روايةٌ ، وأرسل عنه نافعٌ ، ومحمّد بن إبراهيم التّميميّ (٢) ؛ وممّا أخرجه له الحاكم رَحِمَهُ اللهُ فِي « المستدرک » بسنده عن نافع ، عن عبد الله بن عمر ، عن نعيم النّخّام قال : « أذن مؤذنُ النَّبِيِّ ﷺ ليلاً فيها برد ، وأنا تحت لحافي ، فتمنيتُ أن يلقيَ اللهُ تعالى عليّ لسانه : ولا حرج ، فلما فرغ قال : ولا حرج » (٣) .

- (١) « تاريخ الإسلام » للدّهبيّ ( حوادث ووفيات : ٦١ - ٨٠ ) ( ص : ٢٨ - ٢٩ ) .
- (٢) « تاريخ الإسلام » للدّهبيّ ( عهد الخلفاء الرّاشدين ، ص : ١٠٢ ) ، و « الاستيعاب » ( ٣ / ٥٢٨ ) ، و « تهذيب الأسماء واللغات » ( ٢ / ١٣١ ) ، و « أسد الغابة » ( ٤ / ٥٧٠ ) .
- (٣) « المستدرک » ( ٣ / ٢٩٠ ) برقم : ( ٥١٣٠ ) ، وقال الحاكم : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ، وقال الدّهبيّ رَحِمَهُ اللهُ فِي « التّليخيص » : « صحيح » . وانظر : « الإصابة » ( ٣ / ٥٣٨ ) ، وأخرجه الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ فِي « مسنده » بسنده عن نعيم - رضي الله عنه - قال : « نودي بالصّبح في يوم بارد ، وأنا في مرطٍ امرأتي ، فقلتُ : ليت المنادي قال : مَنْ قَعَدَ فلا حرجَ عليه . فتنادى مُنادي النَّبِيِّ ﷺ في آخر آذانه : « وَمَنْ قَعَدَ فلا حرجَ عليه » . « المسند » ( ٦ / ٢٧٦ ) برقم : ( ١٧٩٥٦ ) .

\* وأخرج هذه الرواية الإمام أحمد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في « مسنده » أن نعيمًا بن عبد الله النَّحَّام قال : « سمعتُ مؤدَّن النَّبِيِّ ﷺ في ليلة باردة ، وأنا في لحافي ، فتمنيتُ أن يقولَ صلُّوا في رحالكُم ، فلمَّا بلغ « حيَّ على الفلاح » قال : صلُّوا في رحالكُم ، ثمَّ سألتُ عنها ، فإذا النَّبِيُّ ﷺ قد أمره بذلك » (١) .

\* ويُصنَّف سيِّدنا نعيمٌ - رضي اللهُ عنه - من المجاهدين ، فقد شهد المشاهد بعد الحديبية ، وتوفي رسولُ الله ﷺ وهو راضٍ عنه .

\* ذكر ابنُ عساكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن سيِّدنا نعيمًا - رضي اللهُ عنه - : « قدم دمشق قبل فتحها مع النَّفر الذين أرسلهم أبو بكر الصِّدِّيق - رضي اللهُ عنه - إلى ملك الرُّوم ، وخرجَ بعد ذلك مجاهدًا ، فقتلَ يومَ أجنادين ، ويقال : اليرموك » (٢) .

\* وعن استشهاده قال ابنُ سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « وقُتِلَ يومَ اليرموك شهيدًا في رجب سنة خمس عشرة » (٣) .

\* هكذا خُتِمت حياة سيِّدنا نعيمٍ بهذه النَّهاية السَّعيدة ، وبهذا الشَّرَف الوافي ، ليكونَ حيًّا عند الله - عزَّ وجلَّ - ، وليكونَ ممَّن اتَّخذهم اللهُ شهداء لينعموا بالنَّعيم المقيم الذي ينتظرهم ؛ فرضي اللهُ عن سيِّدنا نعيم بن عبد الله النَّحَّام ، وأدخلنا بمعيتِهِ الجَنَّةَ بسلام ، وجعلنا من الذين سعدوا ونالوا الإنعام .



(١) « المسند » ( ٦ / ٢٧٥ - ٢٧٦ ) برقم : ( ١٧٩٥٥ ) ، وانظر : « مختصر تاريخ دمشق » ( ٢٦ / ١٧٥ - ١٧٦ ) .

(٢) « مختصر تاريخ دمشق » ( ٢٦ / ١٧٥ ) .

(٣) « طبقات ابن سعد » ( ٤ / ١٣٩ ) ، وانظر : « المستدرک » ( ٣ / ٢٩٠ ) .

## البابُ الثاني

# رجال سابقون من الأنصار

- \* أسعدُ بنُ زرارَةَ رضي اللهُ عنه .
- \* أسيد بن الحضير رضي اللهُ عنه .
- \* خبيب بن عدي رضي اللهُ عنه .

رقع  
عبد الرحمن العجدي  
أسكنم الله الفردوس  
[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

# أسعدُ بنُ زرارَة

رضي الله عنه

- \* من كبراء الصَّحابةِ الأنصار ، وأحدُ الثُّبَاءِ ليلةِ العقبة .
- \* كانت دارهُ مركزَ دعوةِ مصعبِ بنِ عميرِ رضي اللهُ عنه .
- \* ماتَ في حياةِ النَّبيِّ ﷺ ؛ ودُفِنَ في البقيع .

رَفَعُ  
عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس  
[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)



## أسعد بن زُرارة رضي الله عنه

أَمَلٌ بِاسْمٍ :

\* لهذا الصَّحَابِيِّ الذي غاب عن أذهان كثيرين فضلٌ عميمٌ ؛ وخيرٌ جسيمٌ ؛ في مراحل سَيْرِ الدَّعوة الإسلاميَّة ؛ في المدينة النَّبويَّة ، فهو بدرٌ لآخ في سماء المناقب ، وسَمًا شرفاً على زُهْرِ الكواكب .

\* وعلى الرُّغم من أنَّه أحدُ السَّابِقين الأوَّلِين من رجال عصر النَّبوة ، ومشرق الدَّعوة ، إلا أنَّ شطراً من النَّاس لا يعرفون عنه إلا شذرات لا تُسمنُ ، ولا تغني من جوع الثَّقافة ؛ وعطش المعرفة .

\* فهذا الصَّحَابِيُّ ذو خبرٍ كريمٍ ؛ وخلقٍ قويمٍ ، ورأيٍ حصيفٍ ، وظلٍّ لطيفٍ ، ومكانةٍ مرموقةٍ في بني النَّجَار الأَخيار الأبطال ، وقد استمدَّ هذه المكانة من حبيبتنا رسولِ الله ﷺ ، فلولا رسولُ الله ﷺ ما عرفنا هؤلاء الرِّجال :

وانسُب إلى ذاته ما شئت من شرفٍ وانسُب إلى قدره ما شئت من عِظَم  
فإنَّ فضلَ رسولِ الله ليس له حدٌّ فيعربُ عنه ناطقٌ بفم<sup>(١)</sup>

(١) « ديوان البوصيري » (ص : ٢٤١) ، تحقيق : محمَّد سيّد كيلاني - مطبعة البابي الحلبي - القاهرة - ط : ٢ - ١٩٧٣ م .

وهذا الرَّجُلُ الْمُفْضَلُ قِيلَ : « إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنَ الْخَزْرَجِ » .

\* بَلْ إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ الْكَرِيمَ شَهِدَ الْعَقَبَاتِ الثَّلَاثَ ، وَهُوَ أَحَدُ الثُّقَبَاءِ ، وَكَانُوا فِي الْعَقَبَةِ الْأُولَى سِتَّةً أَوْ سَبْعَةً أَوْ ثَمَانِيَةً مِنَ الْفُضَلَاءِ ، وَفِي الثَّانِيَةِ اثْنِي عَشَرَ رَجُلًا ، وَفِي الثَّلَاثَةِ سَبْعِينَ رَجُلًا ، وَقَدْ جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْهُمْ الثُّقَبَاءَ ، وَكَانُوا اثْنِي عَشَرَ نَقِيبًا<sup>(١)</sup> ، مِنْهُمْ السَّيِّدُ الْحَسِيبُ الثَّقِيبُ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ بْنِ عَدَسَ أَبُو أَمَامَةَ الْأَنْصَارِيِّ النَّجَّارِيِّ<sup>(٢)</sup> ، مِنْ كِبْرَاءِ الصَّحَابَةِ وَخِيَارِهِمْ .

\* اسْتَهْلَّ ابْنُ الْأَثِيرِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَرْجُمَةً أَسْعَدَ الْخَيْرِ بِقَوْلِهِ : « أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ بْنِ عَدَسَ . . . . الْأَنْصَارِيِّ الْخَزْرَجِيِّ النَّجَّارِيِّ ، وَيُقَالُ لَهُ : أَسْعَدُ الْخَيْرِ ، وَكُنْيَتُهُ : أَبُو أَمَامَةَ ، وَهُوَ مِنْ أَوَّلِ الْأَنْصَارِ إِسْلَامًا ، وَكَانَ سَبَبَ إِسْلَامِهِ أَنَّهُ خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ هُوَ وَذُكْوَانُ بْنُ عَبْدِ قَيْسٍ يَتَنَافِرَانِ إِلَى عَتَبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ، فَسَمِعَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَتِيَاهُ ، فَعَرَضَ عَلَيْهِمَا الْإِسْلَامَ ، وَقَرَأَ عَلَيْهِمَا الْقُرْآنَ فَأَسْلَمَا ، وَلَمْ يَقْرَبَا عَتَبَةَ ، وَرَجَعَا إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَكَانَا أَوَّلَ مَنْ قَدَّمَ بِالْإِسْلَامِ إِلَى الْمَدِينَةِ »<sup>(٣)</sup> .

(١) « الاستبصار » (ص : ٥٦) .

(٢) « الاستيعاب » (١ / ٥٧ - ٥٩) ، و« الإصابة » (١ / ٥٠) ، و« أسد الغابة » (١ / ٨٦ - ٨٧) ترجمته رقم : (٩٨) ، و« السيرة النبوية » (الفهارس : ١ / ٧٥٥) ، و« البداية والنهاية » (٣ / ٢٢٩) ، و« الاستبصار » (ص : ٥٦ - ٥٨) ، و« سير أعلام النبلاء » (١ / ٢٩٩ - ٣٠٤) ، و« شرح حياة الصحابة » (الفهارس : ٤ / ٧٣٧) ، و« دلائل النبوة » للبيهقي (الفهارس : ٧ / ١٣٧) ، و« طبقات ابن سعد » (٣ / ٦٠٨ - ٦١٢) ، وغيرها مما لا يستقصى .

(٣) « أسد الغابة » (١ / ٨٦) بتصرف يسير . قال ابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ : « وقيل : إنَّ أَسْعَدَ بْنَ زُرَّارَةَ أَوَّلَ مَنْ مَشَى بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ وَبَيْنَ الْأَنْصَارِ » . « الاستبصار » (ص : ٥٧) .

\* ومضى ابن الأثير في ترجمته قائلاً : « وكان - أسعدُ بنُ زرارة - عقبياً شهد العقبة الأولى والثانية والثالثة ، وباع فيها ، وكانت البيعة الأولى ، وهم ستَّة نفر ، أو سبعة ، والثانية وهم اثنا عشر رجلاً ، والثالثة وهم سبعون رجلاً ، وبعضهم لا يسمي بيعة الستَّة عقبة ، وإنما يجعل عقبتين لا غير ، وكان أبو أمامة أصغرهم ، إلا جابر بن عبد الله ، وكان نقيب بني النَّجَّار » (١) .

\* ومن الجدير بالذكر أنَّ الصَّوتَ المحمَّديَّ والدَّعوة النَّبويَّة ؛ قد صافحت أسمعَ أسعدِ بنِ زرارة ؛ وأهل المدينة من خلال متابعة رسول الله ﷺ دعوته رغم المحن والآلام ، فلم يترك ﷺ ؛ أي فرصة تفتوئه للقاء النَّاس ، ودعوتهم وتبليغهم ، وخاصَّةً في موسم الحجِّ حيث يجتمع النَّاس من القبائل كلِّها ، والبطون في مكَّة ، فدعا ﷺ فزاره ، وغسَّان ، ومرة ، وسليم ، وعَبَس ، وكندة ، وكلب ، وبني عامر ؛ لقد كان يكثفُ دعوته ما استطاع قبل حلول الهجرة إلى المدينة .

### من نَفَحَاتِ الإسلامِ :

\* من المُتعالَم في أحداث السَّيرة النَّبويَّة ووقائعها أنَّ وفدَ الأنصار قد قدموا مكَّة المكرَّمة في السَّنة الحادية عشرة من النَّبوَّة ، حيث بيعة العقبة الأولى ، ثمَّ في العام الثَّاني عشر حيث بيعة العقبة الثَّانية .

\* ونحنُ نعلمُ أنَّ المدينةَ كان يسكنها الأوسُ والخزرجُ ، وبجوارهم اليهود الذين كانوا حلفاءهم ، وكان الأوسُ والخزرجُ أخوين لأبٍ وأمِّ ،

= كما أنَّ هذا الصَّحابيَّ المفضلَ لمَّا أسلم كان يكسِّرُ أصنام بني النَّجَّار ، ويجعلها جذاذاً ، وكان يساعدهُ في ذلك فتية من قومه آمنوا بالله ، ورضوا الإسلام ديناً .  
« طبقات ابن سعد » ( ٣ / ٦٠٩ - ٦١٠ ) بتصرُّف .

(١) « أسد الغابة » ( ١ / ٨٧ ) .

وأصلُهُم من اليمن من سبأ ، وأُمَّهم تُدعى : قَيْلَة بنت كاهل من قضاة ،  
ولهذا يُقال لهم : أبناء قَيْلَة .

\* وتحتفظ كُتُبُ التَّوَارِيخ ومصادر السَّيْرَة بين ثناياها وطَيَّاتِها بأنَّه قد  
وقعت بين الحَيِّينِ العداوةُ بسبب قَتيل ، واشتعلت نيرانُ الحروبِ بينهم قرابة  
قرنٍ وربعٍ من الزَّمان ، إلى أن أطفأ اللهُ أوارَها بنور الإسلام وبركاته ، وألَّفَ  
بينهم برسولِ اللهِ ﷺ ، قال - عزَّ وجلَّ - : ﴿ وَادْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ إِذْ كُنْتُمْ  
أَعْدَاءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] .

\* قال الإمامُ الطَّبْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي « تفسیره » : هذه الآية  
الكريمة : « واذكروا أيُّها المؤمنون نعمةَ اللهِ عليكم التي أنعمَ بها عليكم حين  
كنتم أعداءً : أي : بِشِرْكِكُمْ يقتلُ بعضُكم بعضاً ، عصبيةً في غير طاعةِ اللهِ ،  
ولا طاعةِ رسوله ، فألَّفَ اللهُ بالإسلام بين قلوبكم ، فجعل بعضكم لبعض  
إخواناً ، بعد إذ كنتم أعداءً تتواصلون بألفةِ الإسلام ، واجتماعِ كلمتكم  
عليه » (١) .

\* وأضاف الطَّبْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ أيضاً في تأويل الآية : « ... النِّعْمَةُ التي  
أنعمَ اللهُ على الأنصار هي ألفةُ الإسلام ، واجتماعِ كلمتهم عليها ...  
والعداوة التي كانت بينهم عداوة الحروب بين الحيين من الأوس والخزرج في  
الجاهلية قبل الإسلام ، يزعمُ العلماءُ بأيام العرب ، أنَّها تناولت بينهم عشرين  
ومئة سنة » (٢) .

\* وذكر ابنُ جريرِ الطَّبْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ بسنده عن ابنِ إسحاق رَحِمَهُ اللهُ  
قال : « كانتِ الحربُ بين الأوسِ والخزرجِ عشرين ومئة سنة ، حتَّى قام  
الإسلامُ وهم على ذلك ، فكانتِ حربُهم بينهم وهم أخوان لأب وأم ، فلم

(١) « تفسير الطَّبْرِيِّ » ( ٤ / ٣٣ ) ، دار الفكر - طبعة مصورة - بيروت - ١٩٨٤ م .

(٢) « تفسير الطَّبْرِيِّ » ( ٤ / ٣٣ ) باختصار يسير مع التَّصْرُفِ اليسير أيضاً .

يسمَعُ بقوم كان بينهم من العداوة والحرب ما كان بينهم ، ثمَّ  
 إِنَّ اللهَ - عَزَّ وَجَلَّ - أطفأ ذلك بالإسلام ، وألَّفَ بينهم برسوله مُحَمَّدٍ ﷺ ،  
 فذكَّرهم جَلَّ ثَنَاؤُهُ ؛ إذ وعظَّمهم عظيمَ ما كانوا فيه في جاهليَّتِهِم من البلاء  
 والشَّقَاء ، بمعاداة بعضهم بعضاً ، وخوف بعضهم من بعض ، وما صاروا إليه  
 بالإسلام ، وأتباع الرِّسُولِ ﷺ والإيمان به ، وبما جاء به من الائتلاف  
 والاجتماع ، وأمن بعضهم من بعض ، ومصير بعضهم لبعض إخواناً» (١) .

\* وأسهم ابنُ عطيَّة رَحِمَهُ اللهُ في تفسير هذه الآية ، فكان مفاد  
 ما قاله : « هذه الآية تدلُّ على أَنَّ الخِطَابَ بها إِنَّمَا هو للأوس  
 والخزرج . . . . كانت بينهم عداوةٌ وحروب ، منها يوم بُعَاث وغيره ، وكانت  
 تلك الحروبُ والعداوةُ قد دامت بين الحَيِّين مئةً وعشرين سنة ، حتَّى رفعها اللهُ  
 بالإسلام ، فجاء النَّفْرُ السَّنَةُ من الأنصار إلى مَكَّة حَجَّاجاً ، فعرض  
 رسولُ اللهِ ﷺ نفسه عليهم ، وتلا عليهم القرآن . . . . فأمنوا به . . . .  
 ويسرَّ اللهُ تعالى الأنصار للإسلام بوجهين :

أحدهما : أَنَّ بني إسرائيل كانوا مجاورين لهم ، وكانوا يقولون لمن  
 يتوعَّدونه من العرب : يُبْعَثُ لنا نبيُّي الآن نقتلُكم معه قتلَ عادٍ وإرم ، فلمَّا رأى  
 النَّفْرُ من الأنصار مُحَمَّدًا ﷺ قال بعضهم لبعض : هذا واللهُ النَّبيُّ الذي تذكُّرُهُ  
 بنو إسرائيل فلا تُسَبِّقَنَّ إليه .

والوجه الآخر : الحربُ التي كانت ضَرَسَتْهم ، وأفنَتْ سَرَاتهم ، فرجوا  
 أَنْ يجمعَ اللهُ به كلمتهم كالذي كان ، فعَدَّد اللهُ تعالى عليهم نعمته في تأليفهم  
 بعد العداوة ، وذكَّرهم بها » (٢) .

(١) « تفسير الطَّبْرِيِّ » ( ٤ / ٣٣ - ٣٤ ) .

(٢) « تفسير ابن عطيَّة » ( ص : ٣٣٨ ) باختصار . ولعلنا نمتع الأسماع بقراءة هذه  
 التغريدة الجميلة التي تصوِّر الوفد الخزرجي ، ومشاورتهم فيما سمعوه من الآيات  
 والذِّكر الحكيم :

\* وآتت اللقاءات النبوية بالوفود ثمارها ؛ إذ حدث لقاء بين الأنصار ورسول الله ﷺ ، وكان مع وفد من الخزرج في موسم الحج ، ومعهم سيدنا الحصيف النبيل أسعد بن زرارة الخزرجي ، وتم اللقاء عند عقبة منى ، وكان هذا اللقاء المبارك مفتاحاً لبيعة العقبة الأولى ، وقد حظي هذا اللقاء بشهرة كبيرة ، وعُرف أكثر من غيره من اللقاءات ، وقد سجّله أهل السير والطبقات لخطورته وأهميته .

\* وممن استوعب هذا اللقاء ، وقيدته في سجلاته الناصعة ابن إسحاق رحمه الله في « سيرته » ؛ إذ أورد بإسناد حسن قال : « فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن أشياخ من قومه قالوا : لما لقيهم رسول الله ﷺ

عرض النبي عليهم الإسلام في ذاك المقام  
 قد كان قولاً مشرقاً يعلو على كل الكلام  
 سمع الرجال لقوله كالتور في جنح الظلام  
 القوم كانوا مشركين توارثوا هذا النظام  
 كان اليهود مجاورين لهم وكانوا في وئام  
 هم في الحقيقة لم يكونوا أهل علم بل عوام  
 كانوا ذوي بأس شديد في الوغى عند الحسام  
 قهروا اليهود وأرغموهم فاستكانوا للسلام  
 أما اليهود فهم ذوو علم وفخر في الأنعام  
 قد أخبروا أعراب يشرب في مجال الاختصام  
 قالوا نبي سوف يظهر فيه رمز الاحترام  
 وسوف تتبعضه فنغلبكم فذوقوا الانهزام  
 هنذي المعاني بادرت أفكارهم بالاهتمام  
 بسماعهم للمصطفى عرفوه من غير انقسام  
 قالوا لبعض أدركوا هذا النبي للاعتصام  
 هذا الذي ذكر اليهود ظهوره للاتصام

قال لهم : « مَنْ أَنْتُمْ ؟ » .

قالوا : نَفَرٌ مِنَ الْخَزْرَجِ .

قال : « أَمِنْ مَوَالِي يَهُودٍ ؟ » .

قالوا : نَعَمْ .

قال : « أَفَلَا تَجْلِسُونَ حَتَّىٰ أَكَلِمَكُمْ ؟ » .

قالوا : بَلَىٰ !

فجلسوا معه ، فدعاهم إلى الله ، وعرضَ عليهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن ؛ وكان ممَّا صنع الله لهم في الإسلام ، أنَّ يهودَ كانوا معهم في بلادهم ، وكانوا أهلَ كتابٍ وعلمٍ ، وكانوا هم أهلُ شِرْكَ وأصحابِ أوثانٍ . . . . فلَمَّا كَلَّمَهُم ﷺ ، ودعاهم إلى الله - عزَّ وجلَّ - ، قال بعضهم لبعض : يا قوم ، تعلمون والله إنَّه للنبِيِّ الذي توعدكم به يهود ، فلا تسبقنكم إليه .

فأجابوه فيما دعاهم إليه ، بأن صدَّقوه ، وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام ، وقالوا له : إنَّا قد تركنا قومنا ، ولا قوم بينهم من العداوة والشَّرِّ ما بينهم ، فعسى أن يجمعهم اللهُ بك ، فسنقدم عليهم ، فدعوهم إلى أمرِك ، ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدِّين ، فإنَّ يجمعهم اللهُ عليك فلا رجل أعزَّ منك .

ثمَّ انصرفوا عن رسولِ الله ﷺ راجعين إلى بلادهم ، وقد آمنوا وصدَّقوا ، وهم ستَّةُ نفرٍ : أسعدُ بنُ زرارة ، وعوفُ بنُ الحارث ، ورافعُ بنُ مالك ، وقطبةُ بنُ عامر ، وعقبةُ بنُ عامر ، وجابرُ بنُ عبد الله . . . . فلَمَّا قدموا المدينة إلى قومهم ، ذكروا لهم رسولَ الله ﷺ ، ودعوهم إلى الإسلام حتَّى فشا فيهم ، فلم يبقَ دارٌ من دور الأنصار إلا وفيها ذكرٌ من رسولِ الله ﷺ « (١) » .

(١) « السِّيرة النَّبَوِيَّة » ( ١ / ٤٢٨ - ٤٣٠ ) بتصرُّفٍ وتنسيق . وانظر : « دلائل النَّبُوَّة » =

\* ونقضي الآن وقتاً لطيفاً في روض الأدب ، ورياض الشعر ، نقرأ ونتأمل هذه الطاقة المزهرة ؛ التي تجمل ما ذكرناه آنفاً في السطور السابقة ، فمع هذه الثغريدة اللطيفة الماتعة الناعمة :

الوفدُ قد عادوا ليثربَ معهم العِلمُ الأكيد  
كانوا رجالاً سِنَّةً هم من ذوي البأس الشديد  
هم من قبيلة خزرجِ هم في الوغى أهل الوعيد  
عادوا إلى أقوامهم بالعلم والرأي السديد  
قد أخبروهم أنّ ديناً صادقاً وهو الوحيد  
ظهرت بشائره بمكّة موطن البيت العتيد  
ذاكم هو الدّينُ الذي يدعو لتحرير العبيد  
كلّ المدينة أصبحت فرحى من الخبر السعيد

اشترط لِرَبِّكَ :

\* أسفر لقاء الحبيب المصطفى ﷺ مع أسعد بن زرارة وصحبهِ عن فائدة قيّمة أظهرت معادن هؤلاء الأخيار الأكابر ، وكانت كلمة أسعد ومقالته وحديثه في تلك الليلة علامة وفاءٍ وصدق للإسلام ؛ ونبيّ الإسلام محمّد ﷺ .

\* وقد استوفى أبو نعيم الأصبهاني رَحِمَهُ اللهُ فِي « دلائله » حديث أسعد بن زرارة ومقالته في العقبة من حديث طويل أخرجه عن عقيل بن أبي طالب <sup>(١)</sup> - رضي الله عنه - ، والزهرّي قال : « ... فمرّ العباس بنُ

= ( ٢ / ٤٣٣ - ٤٣٥ ) .

(١) اقرأ سيرة عقيل بن أبي طالب في الباب الثاني من كتابنا : « رجال أهل البيت في ضوء القرآن والحديث » . ( ص : ٥٠٩ - ٥٦٣ ) ، دار اليمامة ، دمشق ، ط : ١ ، ٢٠٠٧ . ففي سيرة سيّدنا عقيل ؛ إرواء للغيل ؛ وشفاء للعليل ؛ بإذن الملك الجليل .



عبد المطلب وهو يكلمهم ويكلمونه ، فعزف صوت النَّبِيِّ ﷺ ،  
فقال : ابن أخي ! مَنْ هؤلاء الذين عندك ؟

قال : « يا عمّ ! سَكَّان يثرب : الأوس والخزرج ، فدعوتهم إلى  
ما دعوتُ إليه مَنْ قبلهم من الأحياء ، فأجابوني ، وصدَّقوني ، وذكروا أنَّهم  
يخرجونني إلى بلادهم » .

فنزل العباسُ بنُ عبد المطلب وعقلَ راحلته ، ثمَّ قال لهم : يا معشرَ  
الأوس والخزرج ! هذا ابنُ أخي ، وهو أحبُّ النَّاسِ إليَّ ، فإن كنتم  
صدَّقتموه ، وآمنتم به ، وأردتم إخراجَه معكم فإنِّي أريدُ أن آخذ عليكم موثقاً  
تطمئنُّ به نفسي ، ولا تخذلوهُ ، ولا تغرّوه ، فإنَّ جيرانكم اليهود ، واليهودُ له  
عدوٌّ ، ولا آمن مكرهم عليه .

فقال أسعدُ بنُ زرارة - وشقَّ عليه قول العباس حين اتَّهم عليه سعداً  
وأصحابه - قال : يا رسولَ الله ! ائذن لنا فلنجبه غير مخشَّنين بصدرك  
ولا متعرِّضين لشيءٍ ممَّا تكره إلا تصديقاً لإجابتنا إياك ، وإيماناً بك .

فقال رسولُ الله ﷺ : « أجيئوه غير متَّهمين » .

فقال أسعدُ بنُ زرارة ، وأقبل على رسولِ الله ﷺ بوجهه ،  
فقال : يا رسولَ الله ! إنَّ لكلِّ دعوة سبيلاً إنَّ لينٌ وإنَّ شدةً ، وقد دعوتَ اليوم  
إلى دعوة متَّهمة للنَّاس ، متوعرة عليهم ، دعوتنا إلى ترك ديننا واتِّباعك على  
دينك ، وتلك رتبةٌ صعبةٌ ، فأجبتناك إلى ذلك ، ودعوتنا إلى قطع ما بيننا وبين  
النَّاس من الجوار والأرحام القريب والبعيد ، وتلك رتبةٌ صعبةٌ ، فأجبتناك إلى  
ذلك ، ودعوتنا ونحن جماعة في دار عزٍّ ومنعةٍ لا يطمع فيها أحدٌ أن يراسَ علينا  
رجلٌ من غيرنا ، قد أفردهُ قومُه وأسلمه أعمامه ، وتلك رتبةٌ صعبةٌ فأجبتناك إلى  
ذلك ، وكلَّ هؤلاء الرِّتب مكرهة عند النَّاس ، إلا مَنْ عزم اللهُ على رشده ،  
والتمس الخيرَ في عواقبها ، وقد أجبتناك إلى ذلك بألستنا وصدورنا وأيدينا  
إيماناً بما جئتُ به ، وتصديقاً بمعرفةٍ ثبتت في قلوبنا ، نبايعك على ذلك ،

ونبايع ربنا وربك ، يد الله فوق أيدينا ، ودماؤنا دون دمك ، وأيدينا دون يدك ، نمنعك ممّا تمنعُ منه أنفسنا وأبناءنا ونساءنا ، فإن نَفِ بذلك فله نفي ، وإن نغدر فبالله نغدر ، ونحنُ به أشقياء ، هذا الصّدق منا يا رسولَ الله ! والله المستعان .

ثمّ أقبلَ على العباسِ بنِ عبد المطلب بوجهه فقال : وأما أنتِ أيّها المعترض لنا بالقول دون النبيِّ ﷺ ، والله أعلم ما أردتَ بذلك ، ذكرتَ أنّه ابن أخيك وأحبّ النَّاسِ إليك ، فنحنُ قد قطعنا القريبَ والبعيدَ وذا الرّحم ، ونشهد أنّه رسولُ الله ، أرسله من عنده ، ليس بكذاب ، وأنّ ما جاء به لا يشبه كلام البشر ، وأما ما ذكرتَ أنّك لا تطمئنّ إلينا في أمره حتّى تأخذَ موثيقنا ، فهذه خصلةٌ لا نردّها على أحدٍ أرادها لرسولِ الله ﷺ ، فخذُ ما شئت ، واشترطْ لربّك ما شئت .

فقال النبيُّ ﷺ : « اشترطْ لربّي - عزّ وجلّ - أن تعبدوه ، ولا تشركوا به شيئاً ، ولنفسِي أن تمنعوني ممّا تمنعون منه أنفسكم وأبناءكم ونساءكم » .  
قالوا : فذلك لك يا رسولَ الله <sup>(١)</sup> .

(١) « دلائل الثبوت » للأصبهاني ( ١ / ٤٠٠ - ٤٠٢ ) . ومعنى قوله « موثقاً » : عهداً . و« تخذلوهُ » : لا تتركوا نصرته . و« تغرّوه » : لا تخذلوهُ . و« مخشّنين » : موغرين أو مغيظين . و« متجهّمة » : من تجهمه : إذا استقبله بوجهٍ كريه . و« متوعّرة » : متعسّرة . و« يرأس علينا » : يصيرُ علينا رئيساً . و« أسلمه أعمامه » : خذلوهُ وتركوه لعدوّ وغيره . و« المعترض لنا » : المانع والحائل بيننا وبين النبيِّ ﷺ من المضي في مطلوبنا من هذه البيعة .

ومن الجدير بالذّكر : أنّ أبا نعيم الأصبهانيّ رحمه الله قد ساق في نهاية الحديث صيغةً بيعةً أسعد بن زرارة ، وعدد من الأنصار يوم العقبة ، وها نحنُ أولاء نورّدُ صيغةً بعض تلكم البيعات .

قال أسعدُ بنُ زرارة : « أبايعُ الله ، وأبايعُ رسولَ الله ﷺ على أن أتمّ عهدي =

\* قال ابن قدامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « وزعم بنو النَّجَّار أنَّ أبا أمانة هذا ، أول مَنْ بايع النَّبِيَّ ﷺ ليلة العقبة » .

قال الشَّعْبِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : قال النَّبِيُّ ﷺ ليلة العقبة : « يا معشرَ الأنصار ، تكلموا وأوجزوا ، فإنَّ علينا عيوناً » .

قال الشَّعْبِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : فخطب أبو أمانة أسعدُ بنُ زرارَةَ خطبةً ما خطبَ المُرْدُ ولا الشَّيبَ مثلها قطَّ ، فقال : يا رسولَ الله ! اشترطَ لربِّك ، واشترطَ لنفسك ، واشترطَ لأصحابك .

قال ﷺ : « اشترطُ لربي أن تعبدوه ، ولا تشركوا به شيئاً ، واشترطُ لنفسي أن تمنعوني ممَّا تمنعون منه أنفسكم وأهلكم ، واشترطُ لأصحابي المواساة من ذات أيديكم » .

---

= بوفائي ، وأصدق قولِي بفعلي ونصرتك » .

وقال عبدُ الله بنُ رواحة : « أبايعك يا رسولَ الله علي ما بايع عليه الاثنا عشر من الحواريين عيسى ابن مريم » .

وقال أبو الهيثم بن التَّيْهَان : « أبايعك يا رسولَ الله علي ما بايع الاثنا عشر نقيباً من بني إسرائيل موسى بن عمران » .

وقال الثُّعْمَانُ بنُ حارثة : « أبايعُ الله يا رسولَ الله ، وأبايعك علي الإقدام في أمر الله ، لا أراقب فيه القريب والبعيد ، فإن شئتَ وألَّه يا رسولَ الله ملنا بأسيافنا هذه علي أهل منى ، فقال النَّبِيُّ ﷺ : « لم أومرُ بذلك » .

وقال عبادةُ بنُ الصَّامِت : « أبايعك يا رسولَ الله علي أن لا تأخذني في الله لومة لائم » .

وقال سعدُ بنُ الرَّبِيع : « أبايع الله يا رسولَ الله ، وأبايعك علي أن لا أعصيكما ، ولا أكذبكما حديثاً » . « دلائلُ البُيُوتَةِ » للأصبهاني ( ٤٠٤ / ١ - ٤٠٥ ) بتصرف يسير .

قالوا : هَذَا لِكَ ، فَمَا لَنَا ؟

قَالَ ﷺ : « الْجَنَّةُ » .

قالوا : ابْسُطْ يَدَكَ « (١) » .

أَسْعَدُ بِبَايَعِ بَيْعَةِ النِّسَاءِ :

\* فِي الْبَدَايَةِ سَنَقْرَأُ هَذِهِ الْهَمْسَةَ الْخَفِيفَةَ ، ثُمَّ نَجْمُلُ حَدِيثَ بَيْعَةِ

النِّسَاءِ :

فِي الْمَوْسِمِ الثَّانِي أَتَى لِلْمُصْطَفَى وَفَدُّ جَدِيدٍ  
جَاءُوا إِلَيْهِ مِنَ الْمَدِينَةِ ذَلِكَ الْبَلَدِ الْفَرِيدِ  
كِي يَلْتَقُوا بِالْمُصْطَفَى وَيَسْمَعُوا مِنْهُ الْمَزِيدِ

\* دَارَ عَامٍّ بَعْدَ عَوْدَةِ هَؤُلَاءِ الرِّجَالِ الْأَخْيَارِ ، نَشَرُوا خِلَالَهِ ذَكَرَ الْحَبِيبِ

الْمُصْطَفَى ﷺ فِي بِلَدِهِمْ ، وَبَيْنَ أَهْلِيهِمْ وَذَوِيهِمْ ، حَتَّى إِذَا حَانَ مَوْعِدُ الْحَجِّ ،  
خَرَجَ مِنْهُمْ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا مِنْ قَبِيلَتِي الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ ، وَكَانَ سَيِّدُنَا أَسْعَدُ  
الْخَيْرِ مِنْ بَيْنِهِمْ ، وَكَانُوا مُتْلَهِّفِينَ لِذَلِكَ الْلِقَاءِ الْخَالِدِ مَعَ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ الْخَاتَمِ  
مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَبَرَدَتْ لَهْفَتُهُمْ فِي لِقَائِهِ بِالْعَقْبَةِ ، وَهِيَ الْعَقْبَةُ الْأُولَى ، فَجَلَسُوا  
بِحَضْرَتِهِ الشَّرِيفَةِ ، وَاسْتَمَعُوا إِلَى كَلِمَاتِهِ الْأَلِيفَةِ ، وَتَلَا عَلَيْهِمْ شَيْئًا مِنْ آيَاتِ اللَّهِ  
اللَّطِيفَةِ ، فَأَدْرَكُوا مَعَانِيهَا الْمُنِيفَةَ ، وَفَهَمُوا مَرَامِيهَا الظَّرِيفَةَ ، فَازْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ  
إِيمَانِهِمْ ، وَبَايَعُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى بَيْعَةِ النِّسَاءِ ، وَسُمِّيَتْ بَيْعَةُ النِّسَاءِ ؛ لِأَنَّهَا  
خَلَّتْ مِنْ ذِكْرِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - ، وَعَادُوا إِلَى الْمَدِينَةِ غَانِمِينَ  
أَعْظَمَ غَنِيمَةً ؛ إِذْ إِنَّهُمْ فَازُوا بِمَرْضَاةِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - ، وَبِمَرْضَاةِ رَسُولِهِ ﷺ ؛  
فَهَنِيئًا لَهُمْ بِهَذِهِ الْغَنِيمَةِ الْعَظِيمَةِ .

(١) « الاستبصار » (ص : ٥٦ - ٥٧) . ومعنى قوله « عيوناً » : للعين معان كثيرة ،

والمعنى ههنا : مَنْ يَتَجَسَّسُ الْأَخْبَارَ . و« المواساةُ من ذات أَيْدِيكُمْ » : المساواة

فِي الْمَعَامَلَةِ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ - .

\* ولنقرأ هذه الأنفاسَ العطرة ؛ التي تصوّرُ بيعةَ العقبة الأولى في مكة المكرمة ، ونرتوي من رياها الفراتية الثرة :

الوفدُ قد وصلوا لمكةَ للقاء مع الرّسول  
الشّوقُ يحدوهم لقد جاؤوا سِراعاً للمثول  
قد أشرقَ الإيمانُ في أعماقهم قبلَ التّزول  
في أرضِ مكةَ قد أناخوا إيلهم عند الوصول  
يتشوّقون لرؤية الهادي فما فيهم جهول  
المصطفى قد جاءهم في السّرّ عن عينِ الفُضول  
جلسوا إليه وكلّهم سَمِعُ وفهّم للأصول  
سمعوا كلاماً مُشْرِقاً إذ تستنيرُ به العقول  
قد آمنوا بالله ربّاً واحداً لا لن يزول  
قد بايعوا الهادي فكانت بيعة فيها الشّهول  
هي بيعةُ النّسوان لا تدعو إلى دقّ الطبول  
صاروا هم الثّقباء في الأنصار هم أهلُ الحلول  
قد فضّلوا في قومهم بالسّبق للدين العدول  
عادوا ليثربَ غانمين لقد أصابوا في الميول

مصعبُ الخير في رحاب أسعدِ الخير :

\* كانت بيعةُ النّساء <sup>(١)</sup> للأنصار اللبنة الأولى في مسير الرّسالة المحمّديّة إلى المدينة المنوّرة ، فقد كان لقاءُ رسول الله ﷺ مع الأنصار لقاءً مثمراً ، حيث استعدّ هؤلاء الأخييار أن يؤوّه ويحموه حتّى يبلغَ رسالة ربّه التي منعتهم جبابرة الكفرة من قريش من تبليغها للنّاس .

(١) اقرأ كتابنا « بيعة النّساء في القرآن والسّيرة » طبعة دار اليمامة ، ففيه فوائد قيّمة ، وإشارات مهمّة في هذا المجال الكريم .

\* استبشر الحبيب المصطفى ﷺ ببيعة النساء ، ولقاء الأنصار ، واستيقن أن الله - عز وجل - ناصره ، ومنجز له وعده ؛ لأنه جل شأنه جعل له أنصاراً مخلصين أشداء حينما يحمزُّ البأسُ ، وتشتجرُ الرماحُ ، وتشتبك السيوفُ .

\* ولما انصرف القوم من العقبة ، بعث معهم الحبيب المصطفى ﷺ مصعب بن عمير العبدري ، وأمره أن يقرئهم القرآن ، ويعلمهم الإسلام ، ويفقههم في الدين .

\* ذكر البيهقي رحمه الله في « دلائله » هذا الأمر فقال : « بعث رسول الله ﷺ مصعب بن عمير مع الثغر الاثني عشر الذين بايعوه في العقبة الأولى إلى المدينة يفقه أهلها ، وقرئهم القرآن » (١) .

\* كان سيدنا مصعب الخير ينزل في المدينة المنورة على أسعد الخير أبي أمامة ، وكان مصعب - رضي الله عنه - يسمي بالمدينة المقرئ ، وكان أبو أمامة يذهب بمصعب إلى دور الأنصار ، يدعوهم إلى الإسلام ، وتفقيه من أسلم منهم .

\* لزم مصعب أسعد بن زرارة يقيم معه في منزله ، ويتساند معه في الدعوة إلى الله - عز وجل - ، يدخل به أسعد بن زرارة دور الأنصار الذين آمنوا بالله رباً ، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً ، ويذهب به إلى مجتمعاتهم يصلِّي بهم إماماً ، ويعلمهم شرائع الإسلام ، ويتلو عليهم القرآن ، ويدعو من لم يكن قد أسلم وغدا من عباد الرحمن .

\* كان الخيران أسعد ومصعب - رضي الله عنهما - يخطان مداد الإيمان والثقة في صحائف نفوس الأنصار ، ويعملان ما بوسعهما على توسيع دائرة الدعوة إلى الله - عز وجل - في محيط المدينة المنورة وأرجائها .

(١) « دلائل النبوة » ( ٢ / ٤٣٨ ) .

\* إِنَّ أَسْعَدَ وَمُصْعَبًا رَوْضًا فَضْلًا وَبَيَّانًا ، فِيهِمَا مِنَ الْفَضْلِ عَيْنَانِ  
تَجْرِيَانِ ، وَبَحْرًا مَجْدٍ يَحْفَهُمَا مَرْجَانٌ ، وَيَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ، سُقِيَا  
بِمَاءِ الْمَكَارِمِ ، وَشِيْبَا بِرَحِيقِ الْعِظَائِمِ ، فَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَأَرْضَاهُمَا .

\* وَكَانَ لِأَبِي أَمَامَةَ أَسْعَدِ الْخَيْرِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - نَظْرَةٌ وَدِرَايَةٌ فِي قَوْمِهِ ،  
فَكَانَ يَأْخُذُ بِيَدِ مُصْعَبٍ إِلَى نَوَادِي الْأَنْصَارِ ؛ لِيَدْعُوهُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ، وَيَتْلُو  
عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ ؛ بِصَوْتِهِ النَّدِيِّ الرَّخِيمِ ، وَيَجِيبُهُمْ عَنْ تَسْأَلَاتِهِمْ حَوْلَ  
الْإِسْلَامِ وَالَّذِينَ الْقَوِيمِ ، وَيَأْخُذُ بِأَيْدِيهِمْ إِلَى يَتْبُوعِ الْخَيْرِ الْعَمِيمِ ، وَمَفَازَةِ  
النَّجَاةِ وَدَرْبِ التَّعِيمِ . وَكَانَ أَسْعَدٌ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - لَا يَتَوَقَّفُ عَنِ الدَّعْوَةِ  
إِلَى اللَّهِ أَيْضًا ، فَقَدْ أُشْرِبَتْ رَوْحُهُ وَمَشَاعِرُهُ مَحَبَّةَ الْإِسْلَامِ ، وَنَبِيَّ الْإِسْلَامِ ،  
وَأَحَبَّ مُصْعَبًا حَبًّا شَدِيدًا لِحِصَافَتِهِ وَصَبْرِهِ عَلَى الْأَنْصَارِ ، وَتَأْتِيهِ الْمُتَّزِنُ فِي  
الدَّعْوَةِ الْمَمْزُوجَةِ بِالْحَبِّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، فَمُصْعَبُ الْخَيْرِ مِنْ أَفْرَادِ الدَّعَاةِ  
الْمُهْدِيِّينَ الَّذِينَ رَضِعُوا لَبَانَ التَّهْذِيبِ ، وَشَرِبُوا رِيَّ التَّرْبِيَةِ الْمَحْمَدِيَّةِ ، فَجَحُوا  
فِي سَعِيهِمْ ، وَكَانَ مُصْعَبٌ مَعْلَمًا مَقْرَأًا لَطِيفَ الْمَعْرِشِ ، دَاعِيًا إِلَى الْخَيْرِ  
بِأَسْلُوبِ الْخَيْرِ ، فَدَخَلَ عَلَى يَدَيْهِ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ أَعْدَادٌ مُشْرِفَةٌ ، وَأَفْوَاجٌ  
كَرِيمَةٌ ، وَجَدَتْ فِيْمَا يَدْعُو إِلَيْهِ مُصْعَبٌ مَتْعَةً وَلَذَّةً وَحَيَاةً جَدِيدَةً جَمِيلَةً ، فَقَدْ  
اكتَشَفَ الْأَنْصَارُ حَيَاتَهُمْ مِنْ جَدِيدٍ ، رَأَوْهَا تَبَدَّلَ ، وَرَأَوْا أَفَاقَهُمْ تَتَسَّعُ ،  
وَأُمُورَهُمْ تَسْتَقِيمُ ، وَنَفُوسُهُمْ تَتَغَيَّرُ ، وَأَعْمَالُهُمْ تَتَحَوَّلُ إِلَى أَعْمَالٍ هَادِفَةٍ  
مُفِيدَةٍ .

\* وَمَعَ هَذِهِ الْإِشْرَاقَاتِ الْمُنِيفَةِ ، كَانَ سَيِّدُنَا أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ - رَضِيَ اللَّهُ  
عَنْهُ - قَدْ جَعَلَ مِنْ دَارِهِ مَرْكَزًا لِلدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - ، فَهِيَ الدَّارُ الْمُبَارَكَةُ  
الْأُولَى الَّتِي سَرَتْ مِنْهَا هَمَسَاتُ الْإِسْلَامِ ، حَتَّى صَارَتْ نَعْمًا سَرِيًّا يَلَامَسُ  
أَسْمَاعَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَيَصَافِحُ أَفئِدَتَهُمْ . كَمَا أَنَّ سَيِّدَنَا أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ - رَضِيَ اللَّهُ  
عَنْهُ - قَدْ جَعَلَ بَيْتَهُ مَقْرَأً لِسَيِّدِنَا مُصْعَبِ ، يَاوِي إِلَيْهِ ، وَيَأْكُلُ عِنْدَهُ ، وَيَسْمُرُ فِي  
الليَالِي مَعَهُ دَالًا إِيَّاهُ عَلَى مَفَاتِيحِ الرُّجَالِ ، وَسِرَاةِ الْأَنْصَارِ ، وَبِهَذَا التَّصَرُّفِ  
الْعَمَلِيِّ يَضْرِبُ سَيِّدُنَا أَسْعَدٌ مَثَلًا كَرِيمًا فِي التَّضْحِيَةِ ، وَتَحَمُّلِ الْمَسْئُولِيَّةِ ،

وصورة عملية لصدق إيمانه ، وترجمة واضحة لوفاء بيعته لرسول الله ﷺ ،  
وبذلك قدم لهذا المحب ما يقدر عليه من أشياء معنوية ومادية لنجاح الدعوة ،  
وتسهيل مهمة مصعب في المدينة المنورة .

\* كان سيدنا أسعد بن زرارة - رضي الله عنه - مثلاً يُحتذى لصدق عهده  
وبيعته الوفيّة ، وصدق عطائه في سبيل الدعوة إلى الحيّ القيوم ، وخلاصة  
لهذا الجهد من الدّاعيتين الخيّرتين أسعد الخير ، ومصعب الخير ، ونتيجة  
لإخلاصهما وطوافهما وهما يسعيان في سبيل الله من بيت إلى بيت ، ومن محلّة  
إلى أخرى ، ومن عشيرة إلى عشيرة ، ومن قبيلة لقبيلة ، بلغت الدّعوة  
الأسعدية المصعبية إلى الله جميع أهل المدينة ، وفشا الإسلام ، وانتشر رذاذه  
في نفوس الناس ، وبدأت ثمار أعمال أسعد ومصعب تُؤتي أكلها ، فقد أقام  
مصعب بمعونة أسعد أوّل صلاة جمعة في المدينة ، وكان قوامها أربعين  
رجلاً ، وظلّ طيف هذه الصّلاة يراود مخيلة كثيرين ممّن صلّوها من رجال  
الصّحابة من الأنصار الخزرجيين .

\* أخرج البيهقي رحمه الله بسنده عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك  
قال : « كنت قائداً أبي حين كفّ بصره ، فإذا خرجت به إلى الجمعة ، فسمع  
الأذان بها ، استغفر لأبي أمامة أسعد بن زرارة ، فمكثت حيناً أسمع ذلك منه  
فذكرت ذلك له ، فقال : أي بُنيّ ! كان أسعد أوّل من جمّع بنا بالمدينة ، قبل  
مقدم النبي ﷺ في هزم من حرة بني بياضة في نقيع الخضيمات .

قلتُ : وكم أنتم يومئذ ؟

قال : أربعون رجلاً « (١) .

(١) « دلائل النبوة » للبيهقي (٢ / ٤٤١) ، وانظر : « السيرة النبوية » (١ / ٤٣٥) ،  
و« البداية والنهاية » (٣ / ١٥١) ، و« الاستيعاب » (١ / ٥٩) ، وغيرها .  
و« هزم » : الهزم : ما اطمأن من الأرض وانخفض ، وهذا الموضع في المدينة لبني  
النبيت من حرة بني بياضة . و« نقيع الخضيمات » : الخضيمة : التّبات الناعم =



## أُصْدِقَ اللهُ فِيهِ :

\* كلمةٌ حقٌّ وصدقٍ وفراسةٍ قالها سيّدنا أسعدُ بنُ زُرارةٍ لسيّدنا مصعب - رضي الله عنهما - ، هذه الكلمة كانت فتحاً مبيناً أعزَّ اللهُ من خلالها الأنصار ؛ إذ أسلم سيّدنا الأوس : أسيدُ بنُ الحضير ، وسعدُ بن معاذ - رضي الله عنهما - .

\* كان ذلك عندما خرج سيّدنا أبو أمامة من بيته ذات يوم ضحكت فيه الأزهار ، وغرّدت فيه الأطيّار ؛ وصحب ضيفه الحضيفَ النَّبيلَ مصعب بن عمير ، ودخل الخيّران أسعد ومصعب بستاناً من بساتين بني عبد الأشهل من قبيلة الأوس ، وكان زعيم الأوس يومذاك : سعد بن معاذ ، وأسيد بن الحضير - وكلاهما مشرك على دين قومه - .

\* جلس أسيدٌ ومصعبٌ عند بئر داخل البستان ، فاجتمع حولهما بعض الرّجال ، وأخذ سيّدنا مصعب - رضي الله عنه - يتحدّث عن دين الإسلام ، وسماحته ، وسموه ، ومن ثمّ شرع يتلو على سمع الرّجال المتحلّقين بجواره آيات من القرآن الحكيم والذّكر المبين ؛ وعرف السيّدان الكريمان سعد بن معاذ ، وأسيد بن الحضير أنّ أبا أمامة وضيفه يتحدّثان مع الرّجال عن شيء مهمّ ، وقد اجتذبا إليهما القلوب والأسماع ، وقد رجح لديهما أنّه بعضُ الحديث عن الدّين الجديد الذي ملأت أصداءه المدينة ومنّ حولها من البقاع .

\* ومن الجدير بالذّكر أنّ أبا أمامة أسعد بن زرارة كان ابن خالة سعد بن معاذ ، لذلك طلب سعد من أسيد بن الحضير أن يذهب إلى أسعد ومصعب

---

= الأخضر . والخزيمة أيضاً : الأرض النَّاعمة النَّبات ، جمعوها على خضمات ؛ كأنهم أسقطوا الياء تخفيفاً ؛ لكثرة الاستعمال . قال النَّوويّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « نقيع الخضمات » : قرية بقرب المدينة على ميل من منازل بني سلمة . وقال السّمهودي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « ورأيتُ في منازلهم بالحرة أماكن منخفضة يستنقع فيها ماء السّيل » . والله أعلم بالصّواب .

ليزجرهما عمًا هما فيه وقال له : « انطلق إلى هذَيْن الرَّجُلَيْنِ اللذين قد أتيا دارينا ليسقها ضعفاءنا ، فازجرهما ، وانهما من أن يأتيا دارينا ، فإنه لولا أن أسعد بن زُرارة مني حيث قد علمت كفيئتكَ ذلك ، هو ابنُ خالتي ولا أجدُ عليه مقدماً » .

\* استجاب أُسيدُ بنُ الحضيرِ للرَّغبة السَّعدِيَّة ، فاشتمل على حربته ، ثمَّ أقبل يمشي نحوهما ، وهو يفكر كيف يصرفهما عن الرَّجال ، ويضعض هذا التَّجمُّع الذي لم يرغب به سعد بن معاذ ، كان أُسيد يمشي وعلامات الغضب ترتسم على وجهه ، وترجم شيئاً من حركاته وخطواته ، وبصر به أسعدُ بنُ زُرارة على تلك الهيئة ، لكنَّه سبر أغواره ، وعرف من أين تؤكل الكتف ، ورأى أن أُسيداً هو صيدٌ ثمين ، وكنزٌ عظيم إن استطاع مصعب أن يستميله ، ويستخرج درر أعماقه ، فإنه سيكون مفتاح كنوز لا نهاية لها . والتفت سيِّدنا أسعد إلى سيِّدنا مصعب - رضي الله عنهما - ، وهمس في أذنه همسةً دافئةً كانت بداية خير للبشريَّة في مجتمع المدينة المنورة ، قال لمصعب : « يا صاحبي ! هذا سيِّد قوميه ، وقد جاءك فاصدق الله - عزَّ وجلَّ - فيه » . فأجابه مصعبٌ في هدوءٍ وصفاء : « يا أبا أمامة إن يجلسن أكلنهُ » .

\* ترى ماذا صنع أُسيد بن الحضير ؟ وعمَّ أسفر هذا اللقاء الأُسعديّ المصعبيّ الأُسيديّ ؟ هذا ما سنعرفه بعد أن نقتطف ثماراً يانعة من هذه الثَّغريدة الدَّانية التي تحدَّثت عن أسعد ومصعب وجلوسهما في البستان ، ومجيء أُسيد إليهما :

خرجَ المُضيفُ بضيفه يدعو إلى دينِ الكمال  
جاء لبستانٍ تلاقوا فيه مع بعضِ الرَّجال  
فوراً دعاهم مصعب أن يسمعه بلا قتال  
فقال عليهم من كلامِ الله يسمو بالجمال  
سعدٌ ومعه أُسيد كانا جالسَيْن وفي جلال

قد كان سعدٌ سيِّداً للأوس أبطالِ النَّضالِ  
 وابنِ الحُضَيْرِ صديقه بل صنوه في كلِّ حال  
 لهذا أُسيد جاء يمشي نحو مصعبٍ باختيال  
 قد كان يحملُ رُمحه من خيرِ أنواعِ النَّضالِ  
 فرآه أسعدٌ مقبلاً في وجهه قَوْلٌ يُقال  
 همسَ المضيفُ لضيفه هيا تهياً للمقالِ  
 ها قد أتانا سيِّدٌ في قومهِ يبغِي السُّؤالِ  
 فاصدقْ إلهك فيه تَلقَ الاستجابة لا جدالِ

\* وصدق سيدنا مصعب الله - عزَّ وجلَّ - في أُسيد ، فأعلن إسلامه ، ثمَّ أسلم من ورائه سعد بن معاذ (١) ، ومن ورائهما أسلم الأشهلِيُّونَ عن بكرِة

(١) أخرج البيهقي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في « دلائله » من رواية موسى بن عقبة قال : « ... فينما مصعبُ بنُ عميرٍ يحدثُهم ، ويقصُّ عليهم القرآن ، أخبر بهم سعد بن معاذ ، فاتاهم في لأمتهِ معه الرَّمح ، حتَّى وقف عليهم ، فقال لأبي أمامة : عَلَام تَأْتِينَا فِي دُورِنَا بِهِذَا الْوَحِيدِ الْغَرِيبِ الطَّرِيدِ ، يُسَقِّه ضِعْفَانَا بِالْبَاطِلِ ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ، لَا أَرَاكَ بَعْدَهَا تَسِيءُ مِنْ جِوَارِنَا ، فقاموا ورجعوا ، ثمَّ إِنَّهُمْ عَادُوا مَرَّةً أُخْرَى لِبِئْرِ بَنِي مَرْقٍ أَوْ قَرِيباً مِنْهَا ، فذكروا لسعد بن معاذ الثَّانِيَةَ ، فجاءهم فتواعدهم وعيداً دون وعيده الأوَّل ، فلمَّا رَأَى أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ مِنْهُ لِيناً قَالَ لَهُ : يَا بَنِ خَالَةَ ! اسْتَمِعْ مِنْ قَوْلِهِ ، فَإِنْ سَمِعْتَ مِنْكَ أَوَّارِدُهُ بِأَهْدَى مِنْهُ ، وَإِنْ سَمِعْتَهُ حَقًّا ، فَأَجِبْ إِلَيْهِ .

فقال سعدُ بنُ معاذ : ما أسمع إلا ما أعرف ، فرجع سعد بن معاذ وقد هداه اللهُ ، ولم يظهر لهما إسلامه ، حتَّى رجع إلى قومه ، فدعا بني عبد الأشهل إلى الإسلام ، وأظهر لهم إسلامه وقال : مَنْ شَكَّ مِنْكُمْ فِيهِ فَلْيَأْتِ بِأَهْدَى مِنْهُ ، فوالله لقد جاء أمرٌ لَتُحَرَّزَنَّ فِيهِ الرُّقَابُ ، فأسلمت بنو عبد الأشهل عند إسلام سعد بن معاذ ودعائه ، إلا من لا يذكر ، فكانت أوَّل دار من دور الأنصار أسلمت بأسرها .

ثمَّ إِنَّ بَنِي النَّجَّارِ أَخْرَجُوا مِصْعَبَ بْنَ عَمِيرٍ ، وَاشْتَدُّوا عَلَى أَسْعَدِ بْنِ زُرَّارَةَ ، فَانْتَقَلَ مِصْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ إِلَى سَعْدِ بْنِ مِعَاذٍ ، فَلَمْ يَزَلْ عِنْدَهُ يَدْعُو آمَنًا ، وَيَهْدِي اللهُ عَلَى =

أبيهم ، ببركة صدقِ الخيرين أسعد ومصعب - رضي الله عنهما ، وحشرنا في معيتهما - .

## أسعدُ في بيعة العقبة الكبرى :

\* عمل سيّدنا أسعدُ وضيّفه مصعب - رضي الله عنهما - على نشرِ الإسلام في ربوع المدينة المنورة ، وشدّ من أزرهما في هذا العمل الميمون بقية النّفر الذين بايعوا النّبِيَّ ﷺ على أن يمنعوه إذا قدم عليهم المدينة ، وكان أبو أمامة أسعدُ بنُ زُرارة أصغرهم سنّاً ، وكان أسعدُ العضدَ القويّ لمصعب ، فقد اختاره مصعبٌ ونزلَ عليه ، فأحسنَ نزلَه وأكرمه إكراماً عظيماً ، ونصره نصراً مؤزّراً ، فكان يتنقّل به بين دور الأنصار ، ويلفتُ نظره إلى كُبراء القوم ، ومن لهم الحلّ والعقد ، وكان السّبب المباشر في إسلام بني عبد الأشهل جميعهم ؛ إذ أسلم رئيسهم سعدُ بنُ معاذ ودعاهم إلى الإسلام والنّجاة فاستجابوا له وأطاعوه ، ونعموا بالإسلام وغدوا من جنّدِ الله - عزّ وجلّ - ؛ وأنصار رسوله ﷺ .

\* « وأدرك مصعبٌ - رضي الله عنه - ومنّ معه من المؤمنين أنّ أفق الحياة في يثرب قد عمّه نورُ الهداية ، وأشرقت في مطالعه شمسُ الرّسالة الخالدة ، وأنّ الأرضَ التي يقفون فوقها وهم يحملون ألوية النّصر قوية صلبة ، لا تسيخُ فيها قدم مؤمنة ، وأنّ نسائم الأمل تسري من يثرب لتنعشَ الثّقوس التي أضناها الألم ، وأنّ يثربَ تفتحُ ذراعيها مرحّبةً بهجرة أولئك الذين يتقلّبون على جمرِ المِحن ، ويكتوون بسعير فادح البلاء ، وهم صابرون محتسبون ، يرجون رحمة الله وفرّجه ، ويتطلّعون إلى يثرب بعد بيعتيها اللتين مهّدتا لدعوة الإسلام

= يديه ، حتّى قلّ دأرٌ من دورِ الأنصار إلا قد أسلم أشرافُها ، وأسلم عمرو بنُ الجموح وكسرت أصنامهم ، وكان المسلمون أعزّ أهل المدينة ، ورجع مصعبٌ إلى رسولِ الله ﷺ ، وكان يُدعى المُقرئ » . « دلائل الثبوة » ( ٢ / ٤٣١ - ٤٣٣ ) .

أرضاً خصبةً تنبت فيها الهداية ، ويشمر فيها الإيمان » (١) .

\* جاء موسم الحج ، فقدم مصعبٌ إلى مكة ، وخرج معه من أسلم من الأنصار ، وواعدوا رسولَ الله ﷺ العقبه من أواسط أيام التشريق ، وكانوا بضعةً وسبعين رجلاً ، ومعهم امرأتان هما : نسيبة بنت كعب ، وأسما بنت عمرو ، وكان مع حبيبننا المصطفى ﷺ عمُّه العباسُ بن عبد المطلب (٢) - رضي الله عنه وأرضاه - ، وهو يومئذ لا يزال على دين قومه ، إلا أنه أحبُّ أن يحضرَ أمرَ ابن أخيه رسول الله ﷺ ويتوثق له ، فلما جلس الحبيبُ المصطفى الصادقُ المصدوقُ ﷺ مع الأنصار كان أولَ متكلّم من الجَمع المتحلّق حوله العباسُ بن عبد المطلب - رضوان الله عليه - فقال يخاطبُ الأنصار : « يا معشرَ الخزرج ! إنَّ محمّداً منّا حيثُ علمتم ، وقد منعناه من قومنا ممَّن هو على مثلِ رأينا فيه ، فهو في عزّة من قومه ، ومنعة في بلده ، وإنّه قد أبى إلا الانحياز إليكم ، واللحوق بكم ، فإن كنتم ترون أنّكم وافون له بما دعوتموه إليه ، ومانعوه ممَّن خالفه ، فأنتم وما تحمّلتم من ذلك ، وإن كنتم ترون أنّكم مُسلموه وخاذلوه بعد الخروج إليكم فمن الآن فدعوه ، فإنّه في عزّة ومنعة من قومه وبلده » (٣) .

\* فقام الأنصارُ أجمعون بعزائم تدكُّ لقوتها الشَّم الرّواسي وبايعوا الحبيبَ الأعظم ﷺ ، وأخذ بيده أسعدُ بنُ زُرارة - وهو أصغرُ السبعين (٤)

(١) « محمّد رسول الله » (٢ / ٣٩١) .

(٢) اقرأ سيرته مفصلة موسّعة في الباب الأول من موسوعتنا : « رجال أهل البيت في ضوء القرآن والحديث » (ص : ١٢٣ - ٢١٠) فسيرته تمتعُ الأسماع .

(٣) « السيرة النبوية » (١ / ٤٤١ - ٤٤٢) .

(٤) لاحظ سيّدنا العباس بن عبد المطلب - رضي الله عنه - أنّ شطراً من رجال البيعة كانوا شباباً ، لذلك لم يعرف بعضهم ممّا جعله يؤكّد ويشدّد في البيعة ، ومن الواضح أنّ الشّباب مصدرُ قوّة الأُمَّة ، ويُنْبِغُ طاقتها الكامنة ، فإن صلح أمر الشّباب ، فإنّ ذلك =

إلا جابر بن عبد الله - ومن ثمّ التفت إلى الأنصار وخاطبهم معلماً ومنبهاً وموثقاً ومفهماً فقال : « رويداً يا أهل يثرب ! إننا لم نضرب إليه أكباد المطي إلا ونحن نعلم أنّه رسول الله ، إنّ إخراجَه اليوم - أي : من بلده مكّة المكرّمة وقومه ، إلى بلدنا يثرب - وانحيازه إلينا مفارقةٌ للعرب كافةً ، وقتلُ خياركم ، وأنّ تعضّكم السيوف ، فإنّما أنتم قومٌ تصبرون علىّ عضّ السيوف إذا مسّتكم ، وعلىّ قتل خياركم ، وعلىّ مفارقة العرب كافةً ، فخذوه ، وأجركم علىّ الله ، وإنّما أنتم تخافون من أنفسكم خيفةً فذروه ، فهو أعذرٌ لكم عند الله عزّ وجلّ » .

فقال القومُ : « أمط يدك يا أسعدُ بنُ زرارة ، فوالله لا نذرُ هذه البيعة ، ولا نسلبها أبداً » .

قال سيّدنا جابرُ بنُ عبد الله - رضي الله عنهما - : « فقمنا إليه ﷺ نبايعه رجلاً رجلاً ، يأخذُ علينا شرطه ويعطينا علىّ ذلك الجئةً » (١) .

= يبشّرُ بأمةٍ قويّةٍ تريدُ أن تُؤدّي رسالتها الصّحيحة في هذه الحياة ، وإن فسَدَ الشّباب ، وتعلّقت نفوسُهُم بالآثام والخطايا ، والإمعيّة ، كان ذلك مصدر تهديد للأمة التي تستوعبُ هذه الشّريحة الفاعلة العاملة .

ولهذا حرص الإسلامُ حرصاً شديداً متميّزاً علىّ تربية الشّباب تربيةً قويمّةً علىّ روح التّضحية في سبيل الله - عزّ وجلّ - ، فإنّ في ذلك العزّ والرّفعة ، وإذا ما ارتبطت قلوب الشّباب بمحبّة الله - عزّ وجلّ - ونصرة دينه ، كان ذلك فوزاً عظيماً في الدّنيا والآخرة ، وسيكون الشّاب الذي ينشأ في طاعة الله تعالى تحت ظلّه يوم لا ظلّ إلا ظلّه ، وهذا هو الرّبح الذي لا يدانيه شيءٌ ، نسألُ الله - عزّ وجلّ - أن يجعلَ شبابنا من النَّاشئين في ظلالِ طاعته ، وأن يوفّقنا لعمل الخيرات .

وللمزيد من الإشرافات الباسمة ، والقبسات المفيدة ، اقرأ كتابنا : « الشّباب مشكلاتٌ وحلول » طبعة دار اليمامة ، تجد فائدة كبرى بإذن الله .

(١) انظر : « سبل الهدى والرّشاد في سيرة خير العباد » للصّالحيّ ( ٣ / ٢٧٧ - ٢٧٨ ) بتصرّف يسير جداً .

\* وساق ابنُ إسحاق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من حديثِ كعبِ بنِ مالك الأنصاريِّ الشَّاعر قوله : « وقد كان قالَ رسولُ الله ﷺ : « أخرجوا إليَّ منكم اثني عشرَ نقيباً ، ليكونوا على قومهم بما فيهم » فأخرجوا منهم اثني عشرَ نقيباً ، تسعة من الخزرج ، وثلاثة من الأوس » (١) .

\* وخرج من الأنصار الخزرجيين الأختيار كما يذكر ابن هشام التسعة التُّقباء وهم : أبو أمامة أسعدُ بنُ زُرارة ، وسعدُ بن الرِّبيع ، وعبدُ الله بن رواحة ، ورافعُ بنُ مالك ، والبراءُ بنُ معرور ، وعبدُ الله بنُ عمرو بن حرام ، وعبادةُ بنُ الصَّامت ، وسعدُ بنُ عبادة ، والمنذرُ بنُ عمرو - رضي اللهُ عنهم أجمعين - .

\* كما خرج من الأوسيين الكرام : أسيدُ بنُ حضير ، وسعدُ بنُ خيثمة ، ورفاعةُ بنُ عبد المنذر - رضي اللهُ عنهم أجمعين (٢) - .

\* قال ابنُ إسحاق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « فحدَّثني عبدُ الله بنُ أبي بكر : أنَّ رسولَ الله ﷺ قال للتُّقباء : « أنتم على قومكم بما فيهم كُفلاء ككفالة الحواريين لعيسى ابنِ مريم ، وأنا كفيْلُ على قومي - يعني : المسلمين - » ، قالوا : نعم » (٣) .

\* وبهذه البيعة المباركة صار للنَّبِيِّ ﷺ في الأنصار بيعتان مهمتان ، الأولى كانت تسمَّى : « بيعة النِّساء » (٤) ، والأخرى تُدعى : « بيعة العقبة الكبرى » .

(١) « السِّيرة النَّبَوِيَّة » ( ١ / ٤٤٣ ) .

(٢) انظر : « سير أعلام التُّقباء » ( ١ / ٣٠٠ - ٣٠١ ) بشيء من التَّصَرُّف .

(٣) « السِّيرة النَّبَوِيَّة » ( ١ / ٤٤٦ ) .

(٤) فضَّلنا القول في بنود هذه البيعة في كتابنا : « بيعة النِّساء في القرآن والسِّيرة » ( ص : ١١٥ - ٢٤٨ ) .

\* وما أجمل أن نميل قليلاً إلى هذه الدوحة الأدبية نستجم من خلالها أحداث بيعة العقبة الكبرى التي تحتويها هذه الطاقات المزهرة المنداة بالحب :

لقد انتهى العباس من تحذيره عند اللقاء فلقد أراد من الرجال بأن يكونوا أوفياء يخشون على خير البرية أن يصاب وأن يساء قالوا سمعنا ما تقول وسوف نعطيه الفداء هيا تكلم يا رسول الله واطلب ما تشاء خذ ما تشاء من العهود فإننا أهل الوفاء بدأ النبي يرتل القرآن في صوت الصفاء ودعا الرجال مرغباً في الدين والدنيا سواء بعد التلاوة قال في صدق أريد الاحتماء أرجو الحماية كيفما تحموا الدراري من عداة قالوا فإننا أهل حرب حين يشتد البلاء ولسوف نوفيك العهود وسوف نعطيك الولاء لما اطمأن إلى المقالة قال أين الكفلاء قد أخرجوا عشراً واثنى عشر اصطفوهم نقباء وهناك تمت بيعة كبرى تباركها السماء قد صار فيهم بيعتان فنعم قوماً أتقياء هي هذه والبيعة الأولى فكانت للنساء<sup>(١)</sup>

\* كانت ليلة البيعة في العقبة ليلة ميمونة ، وكان القمر يبعث أشعته

(١) « تغريدة السيرة النبوية » ( ١ / ٣٩٠ ) ، و« معنى قوله : « وسوف نعطيه الفداء » : نحميه ونفديه . و« الدراري » : الأولاد والنساء والأموال . و« أين الكفلاء » : الكفيل هو المسؤول عن كفله ، والمقصود بهم هنا النقباء .



الفضيَّة على منى وجبالها فيكسوها بأثوابٍ من لجينٍ إلهي ، وكانت العقبةُ حينذاك غارقةً في الضوء ، ولكنَّ الثور الذي انسحق من قلوب الأنصار ومن صدورهم كان يهزُّ كلَّ ضياء ، ولا ريب ، فقد كانوا على نورٍ من ربِّهم ، قد دنوا من السَّماء ، وإن كانت أقدامهم ثابتةً في الأرض .

\* كان هؤلاء المبايعون في العقبة على علمٍ بأنَّ ساعةَ بيعتهم للحبيب المصطفى ﷺ هي أجملُ ساعات حياتهم وأخطرُها ، ولكن لم يخطرُ لأحدٍ منهم على قلب أن تلك اللحظة كانت أخطر لحظةٍ في تاريخ البشرية ، إنَّها طلائعُ الثور الذي سيبددُ ظلمات الصُّدور ، إنَّها ينبوعُ الاستنارة الذي سيتدفَّقُ بالخير ليغسلَ أدران التُّموس ، إنَّها كنوزُ الرَّحمة والصِّلاح ، إنَّها خزائنُ الملكوت قد فُتحت للنَّاس ، إنَّها الحرية المتعالية ، إنَّها إشراقُ الوجود ، وبدايةُ طريقِ كرامةِ الإنسان ، والصِّراط المستقيم للعالمين .

\* تألَّهُ لقد ربحَ بيعُ أسعد بن زُرارة ، وربحَ مبايعو العقبة ، فنالوا منازل السُّعداء ؛ عند خالق الأرض والسَّماء .

### حفاوتهُ بالنَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وسلم :

\* تلقت المدينة المنورة هجرةَ الصادقِ المصدوقِ ﷺ بحفاوةٍ منقطعة النَّظير ، فقد ازدانت وأضاء منها كلُّ شيء ، حتَّى إنَّ الخدم والصِّبيان قد اجتمعوا أمامه ﷺ يرفعون أصواتهم بالتكبير والتبشير بمقدمه الشريف ، وأمره المنيف ، وهم يقولون : « اللهُ أكبر ، جاء رسولُ اللهُ ، جاء محمَّد » والحبشةُ تسيرُ أمامه تلعبُ بحرابها .

\* ولما نزلَ ﷺ في محلٍّ من محلات بني النَّجَّار ، قال : « ربِّ أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خيرُ المنزلين » قالها أربع مرَّات ، وقال : « هذا إن شاء اللهُ يكون المنزل » ، فتقدَّم إليه أبو أيوب الأنصاري الخزرجي ، وقال له : « ائذن لي أن أنقل رحلك » ، فأذن له ﷺ ، فحمل أبو أيوب رحله ، فوضعه في بيته .

\* وجاء الصَّحابيُّ النَّبيلُ الشُّجاع أسعدُ بنُ زُرارة ، فأخذ بزمام راحلة النَّبِيِّ ﷺ ، فكانت عنده .

\* وجعل بنو النَّجَّار يتحفون الحبيب المصطفى ﷺ بالطَّعام ، ويتناوبون في حمل الطَّعام إليه ، وهو مقيمٌ في منزل أبي أيوب الأنصاريّ - رضي الله عنه - . وأوّل طعام جيءَ به إليه : قصعة أمّ زيد بن ثابت - رضي الله عنها - . واسمها : النّوّار بنت مالك الأنصاريّة (١) .

\* روى زيدُ بنُ ثابت - رضي الله عنه - هذا الخبر الذي يسفر عن جُودِ الأنصار وسخائهم وحفاوتهم بالنَّبِيِّ ﷺ ، ومنهم : أمُّه النّوّارُ بنتُ مالك ، وسعدُ بنُ عبادة ، وأسعدُ بنُ زرارة ، فيقول : « أوّلُ هديّةٍ دخلتْ عليّ رسولِ الله ﷺ في بيت أبي أيوب ، قصعة أرسلتني بها أمّي ، فيها ثريدٌ خبز ، برّ بسمنٍ ولبن ، فوضعتها بين يديه ، وقلتُ : يا رسولَ الله ! أرسلت بهذه القصعة أمّي .

فقال : « بارك الله فيك ، وفي أمك » .

ودعا أصحابه فأكلوا ، فلمْ أُرْمِ البابَ حتّى جاءت قصعةُ سعدِ بنِ عبادة ، ثريدٌ وعراق لحم - عظم عليه لحم - وصارت تأتي إليه كلّ ليلة جفتان : جفنةُ سعد بن عبادة ، وجفنةُ أسعد بن زُرارة . . . . » (٢) .

\* وبعد أن استقرَّ الحبيبُ المصطفى ﷺ في المدينة المنوّرة ، أمر بالمسجد أن يُبنى في المكان الذي بركت فيه نافثته ، وكان لغلامين يتيمين في المدينة في حجرِ أبي أمامة أسعد بن زرارة - رضي الله عنه - ، وكان أسعدٌ قد اتخذ مسجداً يُصَلِّي فيه بأصحابه ، ويُجمَعُ بِمَنْ حضره من المسلمين الجمعة

(١) اقرأ سيرة الصّحابة السّخية المضيف النّوّار بنت مالك الأنصاريّة في موسوعتنا : « نساء من عصر النّبوة » ( ص : ١٩٧ - ٢٠١ ) طبعة دار ابن كثير الثالثة بدمشق عام ( ٢٠٠٣ م ) ، فسيرتها تحمل كثيراً من عبقات الأنوار التي تشبه نسمات الأسحار ، في يوم ربيعي معطار .

(٢) « الرّسالة المحمّديّة » ( ص : ١٣٢ ) بشيء من التّصريف .

قبل مقدم الصادق المصدوق عليه السلام ، ويدلُّ على هذا الأمر المهمّ حديث النّوّار بنت مالك أم زيد بن ثابت حيث أخبرت : « أنّها رأت أسعد بن زُرارة قبل أن يقدم رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة ، يصلّي بالنّاس الصّلوات الخمس ، ويجمّع بهم في مسجدٍ بناه في مِرْبَدٍ سهل وسهيل ابني رافع النّجاريّين ، قالت : فأنظرُ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وآله لمّا قدم صلّى في ذلك المسجد ، وبناه ، فهو مسجدهُ اليوم » (١) .

\* وإذا صحَّ حديثُ النّوّارِ بنتِ مالك - رضي الله عنها - ، فكأنّه صلى الله عليه وآله ، قد غيرَ مسجد أسعد بن زُرارة ، وهدمَ بناءه ، وزاد فيه ، أو لعلّه زاد فيه من دون أن يهدمَ شيئاً لضيقه عن المسلمين ، وهذا لا ينافي ما ثبت في الصّحيح عن بناء المسجد النّبويّ الشّريف .

\* أخرج الإمام البخاريّ في « صحيحه » عن عروة بن الزبير من حديث طويلٍ جاء منه قوله : « . . . فلبث رسولُ الله صلى الله عليه وآله في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة ، وأسسَ المسجد الذي أُسسَ على التّقوى ، وصلّى فيه رسولُ الله صلى الله عليه وآله ، ثمّ ركب راحلته ، فسار يمشي معه النّاس ، حتّى بركت عند مسجد الرّسول صلى الله عليه وآله بالمدينة ، وهو يصلّي فيه يومئذٍ رجال من المسلمين ، وكان مربداً للثمر لسهيل وسهل غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زُرارة ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وآله حين بركت به راحلته : « هذا إن شاء الله المنزل » ، ثمّ دعا رسولُ الله صلى الله عليه وآله الغلامين ، فساومهما بالمربد ليأخذاه مسجداً ، فقالا : لا ، بل نهبُ لك يا رسولُ الله ! فأبى رسولُ الله صلى الله عليه وآله أن يقبله منهما هبةً ، حتّى ابتاعه منهما ، ثمّ بناه مسجداً ، وطفق رسولُ الله صلى الله عليه وآله ينقلُ معهم اللبن في بنيانه ويقول - وهو ينقلُ اللبن - :

هَذَا الْحِمَالُ لَا حِمَالَ خَيْرٍ هَذَا أَبْرُرُ رَبَّنَا وَأَطْهَرُ

(١) « طبقات ابن سعد » (٣ / ٦٠٩) ، وانظر : « سير أعلام النبلاء » (١ / ٣٠٢) .

ويقولُ :

اللهمَّ إِنَّ الأَجْرَ أَجْرُ الآخِرَةِ فَارْحَمِ الأَنْصَارَ وَالمُهَاجِرَةَ « (١)

(١) أخرجه البخاريُّ في مناقب الأنصار برقم : ( ٣٩٠٦ ) . ونلاحظُ من خلالِ ثنايا هذا الحديث : أنَّ الحبيبَ المصطفى ﷺ كان يشارك أصحابه في إنشادهم الأراجيز ، ويرفعُ صوتهَ ببعضِ مقاطعها وهزجها شحذاً لهممهم ، وإذهابِ الملالةِ والسَّأمِ عنهم ، وتحبيبِ العملِ إلى نفوسهم ، وترغيباً لهم في أفضلِ الأعمالِ ، وأشرفِ منازلِ الخيرِ والهدايةِ والنورِ ، وتشجيعاً لهم على مواصلةِ العملِ في تأسيسِ وإنجازِ ما يجمعُ كلمتهم ، ويؤكِّدُ وحدتهم ، وتقويةِ عزائمهم على المضيِ قدماً في إقامةِ منابعِ نشرِ الدَّعوةِ ، ولفتِ أنظارهم إلى ما يجبُ أن تكونَ له الصِّدْارةُ من الأعمالِ في حياتهم ، أُمَّةٌ تدعوُ إلى الخيرِ وتأمُرُ بالمعروفِ ، وتنهى عن المنكرِ ، هاديةٌ رائدةٌ وقائدةٌ للإنسانيةِ في مستقبلها ، وتعيدُ لهم على تحمُّلِ المشاقِ ، وخوضِ غمراتِ الصَّعابِ في سبيلِ إقامةِ عظامِ الأعمالِ ؛ لتكونَ هذه العظامُ هداياهم إلى الحياةِ ، بعدَ أن أراهم ﷺ ذلك كلِّه رأياً أعينهم في مشاركتهم جميع ما يتطلَّبُ البناءَ من عملٍ وجهدٍ .

أمَّا ما تمثَّلَ به النَّبِيُّ ﷺ من الرَّجْزِ ، فإنَّ ابنَ شهابِ الرُّهْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أفاد ما ملخصه : « ولم يبلغنا أنَّ النَّبِيَّ ﷺ تمثَّلَ بشعر تام غير هذا البيت » . وهذا صريحٌ في استجازةِ الرُّهْرِيِّ أنَّ النَّبِيَّ ﷺ يتمثَّلُ ببيت من الشعر كامل الوزن ، ولا يكون في ذلك معارضةٌ لنفي الشعر عنه .

ومن الجدير بالذكر أنَّ إنشاد بيت من شعر شاعرٍ على الوجه الذي قاله الشَّاعر من تمام الوزن لا يدخلُ تحت المنفي في قوله تعالى : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ﴾ [ يس : ٦٩ ] ؛ لأنَّ المنفيَّ بها هو إنشاءُ الشعر لا إنشاده والتَّمثُّلُ به ، وفي ظلِّ هذا الأمرِ نعلمُ أنَّ الآيةَ الكريمةَ إنَّما جاءت لتنفِي أن يكونَ النَّبِيُّ ﷺ شاعراً ، جاء شعرُ أنشأه كما ينشئُ الشعراءُ قصائدهم وشعرهم ومقطوعاتهم ، ثمَّ هل إنشاد بيت من الشعر والتَّمثُّلُ به ، يجعل من المنشد والمتمثَّلُ شاعراً ؟ هذا ما لا يتوهمه من له أدنى إلمامٍ ومعرفةٍ بالشَّعر وقوانينه ، والأدب وفنونه .

وقد أفاض كثيرٌ من العلماء والمحدِّثين في هذا الأمرِ وتحدَّثوا عنه في =

## رحلة الخلود :

\* لا ريب في أنّ الموتَ هو نهاية كلِّ حيٍّ في هذه الحياة الدنيا ، ولا مفراً منه ، ولا بدءاً أنْ يذوقه كلٌّ مَنْ عليها مهما كان أمره وشأنه ؛ وكان أوّل مَنْ ذاق كأس الموت بعد وصول رسولِ الله ﷺ إلى المدينة أسعدُ بنُ زُرارة - رضي الله عنه - ، أثناء بناء المسجد النبوي الشريف ، وقد تألم رسولُ الله ﷺ لموته كثيراً ، بل إنّ الحبيبَ الأعظمَ ﷺ كرهَ موت صاحبه أبي أمامة في ذلك الوقت ؛ لأنّ اليهودَ الأخابثَ سوف يطلقون الشائعاتِ المُغرِضةَ ؛ والأفاويلَ الممرضةَ ويزعمون بأنَّ محمداً ﷺ شوّمَ على أصحابه ، وسوف يساعدهم على ترديد شائعاتهم أخابثُ المنافقين لذرّ الرماد في العيون ، وتقويض ما بينه المسلمون من مجدٍ مؤثّل كان غصّة في حلاقيم اليهود والمنافقين ، لذلك قال الحبيبُ الأعظمُ ﷺ : « قاتلَ اللهُ يهود ، يقولون : لولا دفعَ عنه ، ولا أملكُ له ولا لنفسي شيئاً ، لا يلوموني في أبي أمامة » (١) .

= مصنّفاتهم ، ومنهم ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ في « الفتح » فليراجعه مَنْ أراد الاستزادة من هذا الأمر .

(١) ذكره ابن سعد رَحِمَهُ اللهُ في « الطبقات » ( ٣ / ٦١٠ ) . وأخرج ابن ماجه في الطَّبِّ هذا الحديث بسند عن محمّد بن عبد الرَّحْمَنِ أنّ جده أسعد بن زرارة : « أخذه وجعٌ في حلقه يُقال له الذُّبْحَة ، فقال النَّبِيُّ ﷺ : « لأبلغنَّ ، أو لأبليّنَ في أبي أمامة عذراً » فكواه بيده فمات . فقال النَّبِيُّ ﷺ : « ميتةٌ سوء لليهود ، يقولون : أفلا دفعَ عن صاحبه ؟ ! وما أملكُ له ، ولا لنفسي شيئاً » . « سنن ابن ماجه » برقم : ( ٣٤٩٢ ) .

وقوله « الذُّبْحَة » : وجعٌ يعرض في الحلق من الدم . وقيل : هي قرحة تظهرُ فيه فينسد معها ، وينقطع النَّفسُ ، فتقتلُ . و« لأبلغنَّ أو لأبليّنَ » : أي : والله لأبالغنَّ في علاجه أقصى درجات العلاج ، أو اختبرن حاله في العلاج . =

\* وجاء في السيرة النبوية أنه ﷺ قال : « ليهودُ ومنافقو العرب يقولون : لو كان نبياً لم يمت صاحبه ، ولا أملك لنفسي ولا لصاحبي من الله شيئاً » (١) .

\* وتطرق ابن سعد رَحِمَهُ اللهُ لوفاة أسعد فقال : « مات أسعدُ بنُ زُرارة في سؤالِ عليّ رأسِ تسعة أشهر من الهجرة ، ومسجد رسول الله ﷺ يومئذٍ يُبنى ، وذلك قبل بدر ، فجاءت بنو النَّجَّارِ إلى رسول الله ﷺ فقالوا : قد مات نقيبنا ، فنقَّب علينا ، فقال رسولُ الله ﷺ : « أنا نقيبكم » (٢) .

\* ونحا ابنُ الأثير رَحِمَهُ اللهُ نَحْوَ ابنِ سعد فقال : « لَمَّا مات جاء بنو النَّجَّارِ إلى النَّبِيِّ ﷺ ، فقالوا : يا رسولَ الله ! إنَّ أسعدَ قد مات وكان نقيباً ، فلو جعلتَ لنا نقيباً .

فقال : « أنتم أحوالي ، وأنا نقيبكم » .  
فكانت هذه فضيلة لبني النَّجَّارِ » (٣) .

\* وقد كَرِهَ ﷺ أَنْ يَخْصَّ بِهَا بَعْضُهُمْ دُونَ بَعْضٍ ، فَكَانَ مِنْ فَضْلِ بَنِي النَّجَّارِ الَّذِي يَعْتَدُونَ بِهِ عَلَى قَوْمِهِمْ أَنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَقِيبَهُمْ .

\* وَقَبِيلُ نَهَايَةِ رِحْلَةِ الْأَنْسِ النَّاطِقَةِ بِالْمَحَاسِنِ مَعَ أَسْعَدِ بْنِ زُرَّارَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - نَأْنَسُ بِهَذِهِ الْأَدْبِيَّاتِ الَّتِي تَتَحَدَّثُ عَنْ مَوْتِهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - :

= وحاصله : أبا لُغٍ فِي عِلاجِهِ حَتَّى أَبْلُغَ عِذْرًا مِنْ جَانِبِي بِحَيْثُ لَا يَبْقَى لِأَحَدٍ فِي ذَلِكَ مَوْقِعَ كِلامٍ وَمِقالٍ . و« مِيتةٌ سِوَهُ لِلْيَهُودِ » : دِعاءُ عِلىِّ الْيَهُودِ أَنْ يَمُوتُوا مِيتَةَ السُّوءِ هِذِهِ ؛ لِأَنَّهُمْ سِيقُولُونَ : أَفَلَا دَفَعَ عَنِ صَاحِبِهِ . . . . .

(١) « السيرة النبوية » ( ١ / ٥٠٧ ) .

(٢) « طبقات ابن سعد » ( ٣ / ٦٦١ ) .

(٣) « أسد الغابة » ( ١ / ٨٧ ) .

مِنْ أَوْلِ الْأُمَمَاتِ بَعْدَ وَصُولِ خَيْرِ الْمُرْسَلِينَ  
 قَدْ كَانَ ذَاكَ أَبَا أَمَامَةَ مِنْ خِيَارِ الْمُسْلِمِينَ  
 قَدْ مَاتَ أَثْنَاءَ الْبِنَاءِ لِمَسْجِدِ الْهَادِي الْأَمِينِ  
 كَرِهَ النَّبِيُّ مَمَاتِهِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ الثَّمِينِ  
 سَيَكُونُ هَذَا قَالَةً عِنْدَ الْيَهُودِ الْمَفْسُودِينَ  
 وَمِنَافِقِي الْعَرَبِ الَّذِينَ يَسُودُهُمْ حَقْدٌ دَفِينٌ  
 سَيَكُونُ قَوْلُ الْكُلِّ مِنْهُمْ شَامِتِينَ وَسَاخِرِينَ  
 لَوْ كَانَ صَاحِبُهُ نَبِيًّا لَمْ يَمُتْ فِي الْمَيِّتِينَ  
 لَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ يَبْرَأُ مِنْ مَقَالِ الْمَفْتَرِينَ  
 وَيَقُولُ إِنِّي دُونَ شَيْءٍ خَاتَمٌ لِلْمُرْسَلِينَ  
 لَكِنِّي بِشَرِّ أَمَامٍ مَشِيئَةِ الْقَدْرِ الْمَبِينِ  
 قَدْ قَالَ قَوْمٌ أَبِي أَمَامَةَ لِلنَّبِيِّ مُطَالِبِينَ  
 اجْعَلْ نَقِيبًا غَيْرَهُ مَنَّا نَكُنْ كَالْآخِرِينَ  
 قَالَ الرَّسُولُ فَإِنَّكُمْ أَخْوَالُنَا فِي السَّابِقِينَ  
 أَفَلَا أَكُونُ نَقِيبَكُمْ قَالُوا قَبْلُنَا مُرْتَضِينَ

\* توفي أبو أمامة أسعد بن زرارة بالمدينة المنورة ، وكان له من  
 الولد : حبيبة ، وكبشة ، والفريعة ، وأمهن عميرة بنت سهل النجارية ،  
 وجميعهن من المبايعات ، وكان أبو أمامة - رضي الله عنه - قد أوصى ببناته إلى  
 رسول الله ﷺ ، وكنن ثلاثاً ، فكنن في عيال رسول الله ﷺ ، يدون معه في  
 بيوت نسائه ، وقدم مرة على الحبيب المصطفى ﷺ حلي فيه ذهب ولؤلؤ يقال  
 له : الرعاع ، فحلاه رسول الله ﷺ من تلك الرعاع ، وورثته أولادهن  
 فيما بعد (١) .

(١) « طبقات ابن سعد » ( ٣ / ٦٠٨ - ٦١١ ) ، و « سير أعلام النبلاء » ( ١ / ٣٠٣ ) مع  
 الجمع والتصرف .

\* ولَمَّا مات أسعدُ بنُ زُرارة - رضي اللهُ عنه - حضر رسولُ اللهُ ﷺ غسله ، وكفَّنه في ثلاثةِ أثوابٍ منها بُردٌ ، وصلَّى عليه ، ورُئي ﷺ يمشي أمامَ الجنازةِ ، ودفنَه بالبقيع ، وكان أوَّلَ مَنْ دُفِنَ من الأنصارِ بالبقيع ، ومن المهاجرينِ عثمانُ بنُ مظعونٍ - رضي اللهُ عنه (١) - .

\* رضي اللهُ عن أسعدِ بنِ زُرارة أبي أمانة ، وأسكنه الجنةَ دارَ المقامةِ .



---

(١) « طبقات ابن سعد » (٣ / ٦١١ - ٦١٢) بشيءٍ من التَّصَرُّفِ .



# أُسَيْدُ بِنِ الْحُضَيْرِ

رضي الله عنه

- \* هو أحدُ السَّاداتِ الكَمَلَةِ ؛ ومن أصحابِ الرَّأْيِ والفِرَاسَةِ .
- \* لإسلامِهِ قِصَّةً شائِقَةً ؛ وكان سَبَبَ إسلامِ سَعَدِ بِنِ مَعَاذِ .
- \* روى أَحاديثَ ؛ وله كراماتٌ جليَّةٌ ؛ وأخبارٌ معِ عَمْرِ بِنِ الخَطَّابِ .

رقع  
عبد الرحمن المحمدي  
أسكنه الله الفردوس  
www.moswarat.com

## أُسَيْدُ بِنُ الحُضَيْرِ رضي الله عنه

### السَّيِّدُ الشَّرِيفُ :

\* كان للإسلام ذِكْرٌ هامسٌ بين أهل المدينة ، ولرسول الله ﷺ متحدثٌ أشبه بالرمز والإشارة ، يتحدث عنه مَنْ سمع به ولم يره ، فهو مشوق لرؤيته وسماع حديثه ، ويتحدث عنه مَنْ رآه ولم يسمع منه فهو رِيَانُ الرَّغْبَةِ في سماعه .

\* أخذ الهمسُ يرتفعُ شيئاً فشيئاً ، فكان بين القوم نغماً ندياً ، وصوتاً سرياً ، وكان ممّن ارتوى بهذا الهمس سيّدُ شريفٌ ، وعاقِلٌ حصيفٌ ، هو أُسَيْدُ بِنُ الحُضَيْرِ بنِ سماك ، أبو يحيى الأنصاريّ الأوسيّ الأشهليّ<sup>(١)</sup> ، أحدُ التُّبَاءِ الاثني عشر ليلة العقبة . كان أبوه شريفاً مُطاعاً يُدعى : حُضَيْرِ الكتائب ، وكان رئيس الأوس في يوم بُعَاث<sup>(٢)</sup> . وهي آخر وقعة بين الأوس

---

(١) انظر : « طبقات ابن سعد » ( ٣ / ٦٠٣ - ٦٠٧ ) ، و« أسد الغابة » ( ١ / ١١١ - ١١٣ ) ترجمة رقم : ( ١٧٠ ) ، و« مختصر تاريخ دمشق » ( ٤ / ٣٩١ - ٣٩٨ ) ، و« الاستيعاب » ( ١ / ٣١ - ٣٣ ) ، و« الإصابة » ( ١ / ٦٤ ) ، وغيرها كثير لا يُحصى .

(٢) « بُعَاث » : موضعٌ في نواحي المدينة المنورة ، كانت به وقائعٌ مذكورةٌ بين قبيلتي الأوس والخزرج في الجاهليّة ، وكان آخر أيامهم ، وقد لعبَ فيه حُضَيْرِ الكتائب دوراً مهماً فعلاً ، أكسب قومه المعركة ، ثم قُتِلَ يومئذ . وقد قيل في يوم بعث شعراً كثيراً =

والخزرج في الحروب التي كانت بينهم ، وكان حُضَيْرٌ قد ركَّزَ الرَّمحَ في قدمه وقال لأصحابه : « أَتَرُونَ أَنِّي أَفْرٌ ؟ » وَقُتِلَ يَوْمَئِذٍ ، وكان لمقتله صدَى واسعاً في نفوس الفرسان ، فقال خُفَافُ بْنُ نُدْبَةَ السُّلَمِيِّ يرثي حُضَيْراً ، وكان قد مات من جراحه :

لو انَّ المنايا حُدْنَ عن ذي مهابةً      لهَبْنَ حُضَيْراً يومَ غَلَقَ واقما  
يطوفُ به حَتَّى إذا الليل جَنَّهُ      تبوُّاً منه مقَعداً مَتَّاعِماً<sup>(١)</sup>

\* كانت هذه الوقعة الأوسية الخزرجية « بُعاث » آخرَ وقعةٍ بين هذين الحَيِّينَ ، وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ بمكة قد نزلَ عليه الوحي ، ودعا إلى الإسلام ، ثمَّ هاجرَ بعدها بستِّ سنين إلى المدينة المنورة .

\* كان أسيدُ بنُ الحضير بعد أبيه عزيزَ الجانب ؛ شريفاً في قومه في الجاهلية ، وفي الإسلام يُعدُّ من عقلائهم ؛ وذوي رأيهم ومشورتهم . وكان يكتبُ بالعربية في الجاهلية - وكانت الكتابةُ في العرب قليلاً - ويحسنُ العومَ والرَّميَ ، وكان يُسمَّى مَنْ كانت هذه الخصالُ فيه في الجاهلية : « الكامل » ؛ وكانت قد اجتمعت في أسيد ، وكان أبوه حُضَيْرُ الكتائب يُعرفُ بذلك أيضاً ، ويسمَّى به<sup>(٢)</sup> .

\* وبالجملة كان أسيدُ بنُ الحضير أحدَ السَّاداتِ العقلاء الكَملة ، أصحابَ الرَّأي والفِراسة والحِصافة ، وقد اجتمع فيه من الكمال ، ما تضرب به

=      المذكورُ في المصادر المتنوعة ، وقضى الإسلام على البغضاء بين القبيلتين . « معجم البلدان » ( ١ / ٤٥١ - ٤٥٢ ) بتصرّف .

(١) « طبقات ابن سعد » ( ٣ / ٦٠٤ ) ، و« مختصر تاريخ دمشق » ( ٤ / ٣٩٤ ) ، و« معجم البلدان » ( ١ / ٤٥١ ) ، و« الاشتقاق » ( ص : ٤٤٤ ) ، وغيرها من مصادر متنوعة . و« واقم » : حصن حُضَيْرُ الكتائب . وكان في بني عبد الأشهل بالمدينة .

(٢) « طبقات ابن سعد » ( ٣ / ٦٠٤ ) بتصرّف يسير .

لطائف الأمثال ، وتقال فيه رقائق الأقوال ؛ وله مواقف كريمة متألقة منها ما ذكره الأصمعي رحمه الله قال : « جاء عامر بن الطفيل وأربد بن قيس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه أن يجعلَ لهما نصيباً من تمر المدينة المنورة ، فأخذ أسيد بن الحضير الرّمح ، فجعل يقرع رؤوسهما ويقول : اخرجا أيها الهجرسان .

فقال عامر بن الطفيل : مَنْ أنت ؟

قال : أسيد بن الحضير الأشهلي الأوسي .

فقال : حضير الكتائب ؟

قال : نعم .

فقال : كان أبوك خيراً منك .

قال : بل أنا خيرٌ منك ومن أبي ، مات أبي وهو كافر <sup>(١)</sup> .

---

(١) انظر : « الاستيعاب » ( ١ / ٣٢ ) ، و« الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار » ( ص : ٢١٥ ) مع الجمع بينهما . وقيل للأصمعي : ما الهجرس ؟ قال : « الثعلب » . وقيل : هو القرد .

ومن الجدير بالذكر أن يوم بُعث كان قبل الهجرة النبوية بخمس سنين ، وليس بسنّ سنين ، كما ذكرت بعض المصادر . وفي هذا اليوم المشهور قُتل فيه كُبراء الأوس والخزرج الذين يأنفون أن يتبعوا غيرهم ، والذين تمرغوا في الكفر وعسوا فيه على عادات الجاهلية وموروثاتها مستكبرين في الأرض ، فأفناهم الله - عزّ وجلّ - في وقائعهم المتكررة والعديدة التي كان آخرها وأفظعها يوم بعث ، ولم يبق إلا مَنْ لا يدفع عن نفسه ، ولا يُسمع قوله ، ولا يُستضاء في المدلهمات برأيه .

وبهذا خلا جوّ المدينة من الإغراء والتّحريض على الحروب ، وفلّ عزم اليهود ، وانكشفت خبيثة دسائسهم ، وظهرت حقيقة مكرهم ، وخاصةً عندما أسرع الأوسيون والخزرجيون إلى الإسلام يدينون به ، وهم مبتهجون بما منّ الله به عليهم من نعمة الهداية والتّوفيق ، وحلّت الإلفة والإخاء محلّ التّباعد والشحناء ، فكانوا حملة=

\* هذه بعض أخبار سيّدنا أسيد بن الحضير الأنصاريّ التي تُعدُّ مفتاحاً من مفاتيح شخصيته الثريّة بأنواع الفضائل كلّها ، كما تدلّنا على شمائل هذا الرّجل الذي أسهم بذكائه وسعة أفقه على دخول قومه في دين الله أفواجاً لم يتخلّف منهم أحد ، وهذا ما سنلمسه في السّطور والفقرات الآتية .

### قصة إسلامه :

\* بعد أن فشّا الإسلام في المدينة المنوّرة ، وعرف أهلها محاسنه ، وأدركوا فضله وطيب نّشره ، واستنشقوا طيب عرّفه ، طلب أهلها من رسول الله ﷺ أن يبعث إليهم رجلاً من أصحابه يقرئهم القرآن ، ويفقههم في الإسلام ، ويعلمهم من شرائعه ، ويؤمّمهم في الصّلاة ، فبعث إليهم ﷺ قارئاً مقرئاً حصيفاً جميلاً نبيلاً عاقلاً جليلاً هو مصعب بن عمير العبديّ - رضي الله عنه - ، فنزل على أبي أمامة أسعد بن زرارة الأنصاريّ الخزرجيّ ، فكان سيّدنا مصعب يسمّى بالمدينة « المقرئ » ؛ وكان أبو أمامة يذهب بمصعب إلى دور الأنصار ، يدعوهم إلى الإسلام ، ويعلم من أسلم منهم ويفقهه ، فدخل الإسلام على يديه عددٌ لا يُحصى من أهل المدينة أوسها وخزرجها ، ودوى صوت الإسلام في أرجائها قوياً ببركة إخلاصه وصفاته ، وقوّة إيمانه ، وحبّه لله - عزّ وجلّ - ، ولرسوله ﷺ ، وهو أوّل من صلّى الجمعة في الإسلام بمن آمن من أهل المدينة ، بإذن رسول الله ﷺ ، كتب إليه ﷺ يأمره بذلك .

\* ومن أجلّ مواقف مصعب بن عمير وأبرعها وأشجعها التي فتح بها الطّريق أمام الدّعوة إلى الله - عزّ وجلّ - فتحاً تسامت به ، حتّى دخلت القلوب ، وحرّرت العقول ، وأشرقت بنورها الأرواح ما حدّث به الثّقات من رواة السّيرة النّبويّة ، والمتتبّعون لسير الرّسالة في مراحلها ومنهجها ، فقالوا

= لواء الدّعوة إلى الله الذين أعزّ الله بهم دينه ونيّبه ، وسارت بهم سفينة الهداية في بحار العرّة لله ورسوله والمؤمنين .

ما نتيجته وصفوته : « خرج أسعدُ بنُ زُرارة بمصعب بن عمير يوماً إلى دار بني عبد الأشهل ، فدخل به حائطاً - بستاناً - من حوائط بني ظفر ، واجتمع إليهما رجالٌ ممن أسلم ؛ وسعد بن معاذ ؛ وأسيد بن الحضير يومئذ سيّدا قومهما ، وكلاهما مشرّكٌ على دينِ قومه ، لم ينعما بالإسلام بعد ، فلمّا سمعا بهما ، قال سعدُ بنُ معاذٍ لأسيدي بنِ حُضير : لا أبالك !! انطلقْ إلى هذَين الرَّجلَين اللذَين قد أتيا دارَينا ، ليسفّها ضعفاءنا فازجرهما ، وانهُهُما من أن يأتيا دارَينا ، فإنّه لولا أنّ أسعدَ بن زُرارة منّي حيث علمت كفيّتك ذلك ، هو ابنُ خالتي ولا أجد عليه مقدّماً .

هَبَّ أسيدي ممتثلاً رغبة سعد بن معاذ ، فأخذ حربته ثمّ أقبل إليهما ، فلمّا بصر أسعد بن زُرارة أسيدياً مقبلاً إليهما قال لصاحبه مصعب : هذا سيّدُ قومه ، قد جاءك فاضدقِ الله - عزّ وجلّ - فيه ، فإنّ وراءه خيراً وبركةً وغنماً .

فقال مصعب في ثقة الإخلاص ، وصفاء اليقين : إن يجلسن هذا أكلّمه إن شاء الله .

اقتربَ أسيدي حتّى وقفَ عليهما مُتَشَتِّماً ، فقال : ما جاء بكما إلينا تُسَقِّهان ضعفاءنا ؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة ؛ واخولق يقول مثل هذه الكلمات وأشباهها .

وهلّ هنا صوّبَ سيّدنا مصعبٌ إليه النّظَرَ ، وخلالَ لحظاتٍ درسَ نفسيّته من ألفها إلى يائها ، ثمّ قال له في نقاء الإلهام وصفاء الصّدق : يا سيّدَ قومه ، أو تجلسَ فتسمعَ مقالنا ، فإن رضيتَ أمراً قبلته ، وإن كرهته كُفِّ عنك ما تكره ؟

قال أسيدي متعقلاً وقد أعجبه منطقُ مصعب وكلامه : أنصفت ؛ ثمّ ركزَ حربته ، وجلسَ إليهما ، فكلمه مصعب بالإسلام ، وقرأ عليه آياتٍ من القرآن الكريم بصوتٍ شجيٍّ نديٍّ ممزوج بالصّدق والإلهام ؛ فقالا - أي : مصعب وأسعد - : والله لقد عرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلّم في إشراقه وتسهّله ،

ثُمَّ تَكَلَّمَ أُسَيْدٌ فَقَالَ : مَا أَحْسَنَ هَذَا الْكَلَامَ وَأَجْمَلَهُ ! كَيْفَ يَصْنَعُ مَنْ أَرَادَ الدُّخُولَ فِي هَذَا الدِّينِ ؟

قَالَ لَهُ : تَغْتَسِلُ فَتُطَهَّرُ ، وَتُطَهَّرُ ثَوْبَيْكَ ، ثُمَّ تَشْهَدُ شَهَادَةَ الْحَقِّ ، ثُمَّ تَصَلِّيُ ، فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ الْحَضِيرِ ، فَاغْتَسَلَ وَطَهَّرَ ثَوْبِيهِ ، وَتَشْهَدُ شَهَادَةَ الْحَقِّ ، ثُمَّ قَامَ فَرَكَحَ رَكَعَتَيْنِ ، وَشَعَرَ بِالطَّمَأِينَةِ تَخَالَطُ رُوحَهُ ، وَقَلْبُهُ ، وَصَدْرُهُ ، وَمَشَاشُهُ ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَيْهِمَا وَقَالَ لَهُمَا : إِنَّ وَرَائِي رَجُلًا إِنْ اتَّبَعَكُمَا لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهُ أَحَدٌ مِنْ قَوْمِهِ ، وَسَأَرْسَلُهُ إِلَيْكُمَا الْآنَ ، وَهُوَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ، ثُمَّ إِنَّ أُسَيْدًا تَنَاوَلَ حَرْبَتَهُ ، وَكَرَّرَ رَاجِعًا إِلَى سَعْدٍ وَقَوْمِهِ ، وَهُمْ جُلُوسٌ فِي نَادِيهِمْ يَتَحَدَّثُونَ ، فَلَمَّا نَظَرَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ إِلَى أُسَيْدٍ مُقْبِلًا مُطْمَئِنًّا قَالَ : أَحْلَفُ بِاللَّهِ ، لَقَدْ جَاءَكُمْ أُسَيْدُ بْنُ الْحَضِيرِ بِوَجْهِ غَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ مِنْ عِنْدِكُمْ ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَى النَّادِي ، قَالَ لَهُ سَعْدٌ : مَا فَعَلْتَ ؟

قَالَ أُسَيْدٌ فِي هَدْوَى الْأَصْفِيَاءِ : كَلَّمْتُ الرَّجُلَيْنِ ، فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ بِهِمَا بَأْسًا ، وَقَدْ نَهَيْتُهُمَا ، فَقَالَا نَفْعَلُ مَا أَحْبَبْنَا ، وَقَدْ حُدِّثْتُ أَنَّ بَنِي حَارِثَةَ قَدْ خَرَجُوا إِلَى أَسْعَدِ بْنِ زُرَّارَةَ لِيَقْتُلُوهُ ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ عَرَفُوا أَنَّهُ ابْنُ خَالَتِكَ ، لِيَخْفِرُوكَ ، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ مَغْضِبًا مُتَنْفِضًا كَالْأَسَدِ الْهَيَّجِ ؛ مُبَادِرًا مُتَخَوِّفًا لِلَّذِي ذَكَرَ لَهُ مِنْ أَمْرِ بَنِي حَارِثَةَ ، فَأَخَذَ الْحَرْبَةَ مِنْ يَدِهِ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ يَا أُسَيْدُ مَا أَرَاكَ أَغْنَيْتَ عَنَّا شَيْئًا .

ثُمَّ خَرَجَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ إِلَى مُصْعَبٍ وَأَسْعَدٍ ، فَلَمَّا رَأَاهُمَا مُطْمَئِنِّينَ آمِنَيْنِ ، أَدْرَكَ بِحَصَافَتِهِ وَزَكَانَتِهِ أَنَّ أُسَيْدًا إِثْمًا أَرَادَ مِنْهُ أَنْ يَسْمَعَ مِنْهُمَا ؛ لَعَلَّ قَطْرَاتِ الْغَيْثِ الْإِلَهِيِّ تَلَامَسُ قَلْبَهُ ، فَيَخْشَعُ وَيَسْلَمُ لِلَّهِ الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ .

وَقَفَ سَعْدُ عَلَيْهِمَا مُتَشَتِّمًا ، ثُمَّ قَالَ لِأَسْعَدِ بْنِ زُرَّارَةَ فِي شَيْءٍ مِنْ الْغَضَبِ : يَا أَبَا أَمَامَةَ أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنَ الْقَرَابَةِ مَا رُمْتُ مَتِي هَذَا ، أَتَغْشَانَا فِي دَارِنَا بِمَا نَكْرَهُ ؟

وَكَانَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ قَدْ قَالَ لِمُصْعَبِ بْنِ عَمِيرٍ : أَيُّ مُصْعَبٍ جَاءَكَ وَاللَّهِ



سَيِّدٌ مَنْ وِرَاءَهُ مِنْ قَوْمِهِ ، إِنْ يَتَّبِعُكَ لَا يَتَخَلَّفُ عَنْكَ مِنْهُمْ اثْنَانِ .

فَقَالَ مِصْعَبٌ لِسَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ : أَوْتَقِعْدُ فَتَسْمَعُ ؟ فَإِنْ رَضِيتَ أَمْرًا وَرَغِبْتَ فِيهِ قَبْلَتَهُ ، وَإِنْ كَرِهْتَهُ وَرَغِبْتَ عَنْهُ عَزَلْنَا عَنْكَ مَا تَكْرَهُ ؟

قَالَ سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ : أَنْصَفْتَ ، ثُمَّ رَكَزَ الْحَرْبَةَ وَجَلَسَ ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ مِصْعَبُ بْنُ عَمِيرِ الْإِسْلَامِ ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ ، قَالَا : فَعَرَفْنَا وَاللَّهِ فِي وَجْهِهِ الْإِسْلَامَ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ ، ثُمَّ قَالَ لِهَمَا : كَيْفَ تَصْنَعُونَ إِذَا أَنْتُمْ أَسْلَمْتُمْ وَدَخَلْتُمْ فِي هَذَا الدِّينِ ؟

قَالَا تَغْتَسِلُ ، فَتَطَهَّرُ وَتَطَهَّرَ ثَوْبَيْكَ ، ثُمَّ تَشْهَدُ شَهَادَةَ الْحَقِّ ، ثُمَّ تَرْكَعُ رَكَعَتَيْنِ ؛ فَفَعَلَ ، ثُمَّ أَخَذَ حَرْبَتَهُ وَأَقْبَلَ عَامِدًا إِلَى نَادِي قَوْمِهِ ، وَمَعَهُمْ أَسِيدُ بْنُ الْحَضِيرِ ، فَلَمَّا رَأَى قَوْمَهُ مَقْبَلًا ، قَالُوا : نَحْلِفُ بِاللَّهِ ، لَقَدْ رَجَعَ إِلَيْكُمْ سَعْدٌ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ مِنْ عِنْدِكُمْ ؛ فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِمْ قَالَ يَا بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ ! كَيْفَ تَعْلَمُونَ أَمْرِي فِيكُمْ ؟

قَالُوا : سَيِّدْنَا ، وَأَفْضَلُنَا رَأْيًا ، وَأَيْمِنُنَا نَقِيْبَةً .

قَالَ : فَإِنَّ كَلَامَ رِجَالِكُمْ وَنِسَائِكُمْ عَلَيَّ حَرَامٌ حَتَّى تَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ .

قَالَا : فَوَاللَّهِ مَا أَمْسَى فِي دَارِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ رَجُلٌ وَلَا امْرَأَةٌ إِلَّا مُسْلِمًا أَوْ مُسْلِمَةً <sup>(١)</sup> .

---

(١) « البداية والنهاية » ( ١ / ١٥٢ - ١٥٣ ) ، و« مختصر تاريخ دمشق » ( ٤ / ٣٩٤ - ٣٩٦ ) مع الجمع والتصرف بينهما . والحديث حسن بمجموع طرقه ، وذكره ابن هشام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي « السِّيَرَةِ » ( ١ / ٤٣٥ - ٤٣٧ ) بسند حسن ، ويمكن أن نستخلص من قصة سيدنا أسيد وسعد بعض الفوائد والعبر الآتية :

١ - رقة قلوب الأنصار وليئها ، واتباعهم للحق .

٢ - معرفة الأنصار بأمر الرّسالات السّماوية بسبب مجاورتهم لليهود ، فقد كان اليهود يهدّدون الأوس والخزرج بنبّي قد أظّل زمانه . . .

\* هكذا كان إسلام سيدنا أسيد بن الحضير ، أسلمَ إسلام العارفين ، وكان إسلامه بركةً على قومه أجمعين ، قال ابن الأثير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « أسلم أسيدٌ قبل سعد بن معاذ على يد مصعب بن عمير بالمدينة ، وكان إسلامه بعد العقبة الأولى ، وكان أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - يكرمه ولا يقدم عليه واحداً ، ويقول : إنَّه لا خلاف عنده » (١) .

\* ذكر ابنُ سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ خبراً مفيداً رفعه إلى عمر بن سعد بن معاذ قال : « كان إسلام أسيد بن الحضير وسعد بن معاذ على يدي مصعب بن عمير العبدري في يومٍ واحدٍ ، فتقدّم أسيد سعداً في الإسلام بساعة . . . وشهد أسيد العقبة مع السبعين من الأنصار . . . وكان أحد الثقباء الاثني عشر ، وأخى رسولُ الله ﷺ بين أسيد بن الحضير ؛ وزيد بن حارثة . . . » (٢) .

\* وما أجمل أن نحلّي الآن جيّد هذه الفقرة بهذه الأقباسِ النَّاعمةِ المتناغمةِ التي تشدو بإسلام أسيد وسعد - رضي الله عنهما - :

أَمَا أَسِيدُ بَنُ الْحَضِيرِ فَقَدْ غَدَا فِي الْمُهْتَدِينَ  
 قَدْ أَشْرَقَ الْإِيمَانُ فِي أَعْمَاقِهِ فِي الطَّائِعِينَ  
 فَوْرًا تَوْضَاءً نَمَّ صَلَّى وَاغْتَدَى فِي السَّاجِدِينَ  
 بَعْدَ الصَّلَاةِ أَرَادَ هَدِيًّا لِلصَّديقِ مَدَى السِّنِينَ  
 ذَاكَ الصَّديقُ هُوَ الرَّعِيمُ لِقَوْمِهِ فِي التَّابِهِينَ  
 سَعْدُ زَعِيمُ الْأَوْسِ خَيْرٌ فِي الرَّجَالِ السَّابِقِينَ

٣ - استطاع سيدنا مصعب بن عمير السفير النبوي الناجح أن يعلم أسيداً والأنصار القرآن العظيم ، وأن يبائعوا رسول الله ﷺ في العقبة ، وكان أسيد أحد الثقباء يوم العقبة .

(١) « أسد الغابة » ( ١ / ١٧٢ ) ترجمة رقم : ( ١٧٠ ) .

(٢) « طبقات ابن سعد » ( ٣ / ٦٠٤ - ٦٠٥ ) باختصار ريسير .

ابن الحضير أتى لسعد وهو راءٍ لليقين  
لكنه أخفى الحقيقة عنه حتى يستبين  
سعدُ تساءل ما وراءك قال في صدق أمين  
يا سعدُ فاذهب فانظر الرجلين نظرة مستبين  
سعدُ توجه نحو مُضَعَب والمضيف الجالسين  
ولقد ترامي سمعه شيء من الذكر المبين  
فوراً بدا في وجهه إشراق نور المتقين  
سعدُ يقول فما السبيل لأتتمي للمسلمين  
قالا له فلتغتسل واسجد لرَب العالمين  
إذ ما فعلت فسوف تصبح في عداد المكرمين

### في رحاب البيعة الخالدة :

\* ها هي ذي المدينة تصبح وتمسي وذكر رسول الله ﷺ يشرف أرجاءها  
ويعطره ، فليس بين بيوتها بيت إلا وفيه مسلمون ومسلمات ، كلهم يحبون  
الإسلام ونبي الإسلام ؛ وقد آن الأوان أن يضعوا بين يدي رسول الله ﷺ صورة  
صادقة واضحة المعالم للإسلام الذي أحبوه ، ويرى مدى قوته في نفوسهم  
وقلوبهم ، وبات من واجبه أن يلقوا الحبيب المصطفى ﷺ في جمع من صفوة  
مؤمنيهم وأكابرهم ، ليدخل عليهم ديارهم هادياً ، داعياً إلى الله ، معلماً رائداً  
إلى الخير والنور والفلاح ، مطمئناً مكفول المنعة ، عزيز الجانب ، مسموع  
الكلمة الهادية .

\* إذاً ، فليجمعوا أمرهم ، وليرهفوا عزائمهم ، وليلتقوا رسول الله ﷺ  
بمكة ، ومعهم أستاذهم ومعلمهم القارئ المعلم الفقيه مصعب بن  
عُمير - رضي الله عنه - ، وكان لهم ما أحبوا ، فخرج إليه سبعون رجلاً  
وامراتان ، وقدموا على رسول الله ﷺ ووافوه - على موعد منه - في منى بأسفل  
العقبة ، وبايعوه بيعتهم المشهورة ، وكان سيدنا أسيد بن الحضير من أوائل  
المبايعين بيعة الإيمان بالحق ونصرته ، وكان أحد الثُّبَاء على قومه ، ومنذ

ذلك اليوم الأغرّ طفق اسمُ سيّدنا أُسيد يلمعُ بين الأسماء التي لها نصيبٌ موفورٌ في تاريخ المشاهير والعظماء ، فقد غدا ببركة الإسلام من الأسياد الذين نتشرفُ بسماع سيرتهم ، ونحذو حذوهم ، بل ونسمّي أبناءنا بأسمائهم ؛ لتظلّ مناقبُهُ وأعمالُهُ ماثلةً في القلوب والضمائر .

\* عاد سيّدنا أُسيد إلى المدينة وهو مسرورٌ الفؤاد برؤية الحبيب المصطفى ﷺ ، فقد تبدّلت حياته كلّها ، وغدا ممّن أنعم الله - عزّ وجلّ - عليه بنعمة الإسلام ، وأصبح في المدينة يؤدّي عبادته مع قومه بعد أن دخل الإسلام أسماهم وقلوبهم وبيوتهم .

\* ولما كانت الهجرة النبوية الشريفة إلى المدينة المنورة ، كان سيّدنا أُسيد ممّن ينتظرها بفارغ الصبر ، وكم ودّ أن يشرفه رسولُ الله ﷺ بالتزول عنده ، بيد أنّ رسولَ الله ﷺ ردّه ردّاً جميلاً لطيفاً ، وقال لأُسيد وقومه : « خلّوا سبيلها فإنّها مأمورة » .

\* وفي رمضان من السنة الثانية من الهجرة الميمونة ، كانت معركة بدر ، وعاد رسولُ الله ﷺ منها مؤيداً منصوراً من ربّه ، ولم يشهد سيّدنا أُسيد هذه الغزوة الفاصلة ؛ لأنّه ظنّ أنّ المسلمين خرجوا إلى لقاء العير ، ولكنّه لما سمع البشير ينادي بين دور الأنصار بنصر المسلمين خرج سيّدنا أُسيد إلى الرّوحاء<sup>(١)</sup> مع رؤوس النّاس وأعيانهم يهتّون رسولَ الله ﷺ ، فتلقاه أُسيد وهنأه بفتح الله ونصره وقال له : « يا رسولَ الله ! الحمدُ لله الذي أظفرك ، وأقرّ عينك ، وألله يا رسولَ الله ! ما كان تخلفني عن بدر وأنا أظنّ أنّك تلقى عدوّاً ، ولكن ظننت أنّها العير ، ولو ظننت أنّه عدوّ ما تخلفت » .

(١) « الرّوحاء » : موضعٌ ومحطّةٌ على الطّريق بين المدينة المنورة وبدر ، على مسافة ( ٧٤ كيلاً ) من المدينة ، وقد نزلها رسولُ الله ﷺ في طريقه إلى المدينة عائداً من بدر . ولهذا الموضع ذكرٌ في ثنايا السّيرة النبوية والأحاديث الشريفة .

فقال له رسول الله ﷺ : « صدقت » (١) .

## مواقف متألفة :

\* لهذا الرجل المخلص لدينه ولسوله مواقف متألفة في سماء المكارم ، فقد كان له آثارٌ حسانٌ في مغازي رسول الله ﷺ ، وكان ممن ثبت يوم أُحُدٍ مع النبي ﷺ ، وجرح يومئذ سبع جراحات ، وهذا كله لم يثن عزمه حين انكشف بعض الناس ، فكان نعم البطل الفدائي ، وكان نعم الصاحب .

\* قال ابنُ سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « شهد أسيدٌ أحداً ، والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، وكان من عليه أصحابه » (٢) .

\* ولما انصرف رسول الله ﷺ من أُحُدٍ إلى المدينة ، مرَّ بدار بني عبد الأشهل ، فسمع البكاء والنوائح على شهدائهم ، فذرفت عيناه الشريفتان على عمه أسدِ الله حمزة بن عبد المطلب (٣) - رضي الله عنه - ، ثم قال : « لكن حمزة لا بواكي له » ، فلامست هذه الكلمة سمع أسيد بن الحضير ، وسعد بن معاذ ، فلمَّا رجعا إلى داريهما أمرا نساء قومهما أن يتحزمن ، ثم يذهبن فيبكين على عم رسول الله ﷺ ، ففعلن ؛ ولما سمع ﷺ

---

(١) « طبقات ابن سعد » (٣ / ٦٠٥) ، و« البداية والنهاية » (٣ / ٣٠٥) ، أقول : « تخلف عددٌ من كبراء الصحابة وأعيانهم عن غزاة بدر وهم يظنون ألا تحدث معركة ، ولم ينكر رسول الله ﷺ على أحد من المتخلفين ، وترك الأمر للرغبة الخاصة والاختيار الشخصي . ومن المؤكد أن الذين لم يخرجوا لملاقاة العير ، لو كانوا يعرفون أن رسول الله ﷺ سيلقى حرباً مع العدو لما تخلف أحدٌ منهم قاذراً على حمل السلاح ، غير أنهم اعتقدوا جازمين أن الأمر إنما هو التصدي للقافلة ، لذلك تخلف من تخلف ، وعذرهم رسول الله ﷺ ، وصدقهم ، ودعاهم » .

(٢) « طبقات ابن سعد » (٣ / ٦٠٥) باختصار .

(٣) اقرأ سيرة حمزة بن عبد المطلب في الباب الأول من موسوعتنا : « رجال أهل البيت في ضوء القرآن والحديث » ، ( ص : ٤٧ - ١٢١ ) ، ففي سيرته مواقف لا تُنسى .

بكاءهنَّ على حمزة ، خرج عليهنَّ وهنَّ في باب المسجد يبكين فقال  
لهنَّ : « ارجعنَ يرحمكَن اللهُ فقد آسيتنَّ بأنفسكنَّ » ، ونهى الحبيبُ  
المصطفى ﷺ يومئذ عن التَّوح (١) .

\* ومن المواقف السَّريَّة الثَّرة التي تنطقُ مُعربةً عن محبة  
أسيِّد - رضي اللهُ عنه - لرسولِ اللهِ ﷺ ؛ أنَّه كَشَفَ مؤامرةَ أعرابيٍّ أرادَ أنْ يغدرَ  
برسولِ اللهِ ﷺ ويغتاله بخنجرٍ مسمومٍ ، فعرفه أسيِّدٌ وقبضَ عليه ، فكيف كان  
ذلك ؟

\* أوردت المصادِرُ ما مجموعُه ومفاده : أنَّ أبا سفيان بن حرب قال لِنَفَرٍ  
من قريش بمكَّةَ : « ويحكُم ! ما أحدٌ منكم يغدرُ محمَّداً ويغتاله ؟ فإنَّه يمشي  
في الأسواق ، فندركُ ثأرنا » .

فأتاه رجلٌ من الأعراب فدخل عليه منزله وقال له : « يا هذا ! إن أنت  
وفيتني خرجتُ إليه حتَّى أغتاله ، فإنِّي هادٍ بالطَّريق ، ماهرٌ بمعرفة الصَّحراء ،  
معي خنجرٌ مثل خافية النَّسر قد هيأتُه لمثل هذه المهمَّات . . . » .

فقال له أبو سفيان : « أنت صاحبنا » .

وأعطاه بغيراً ونفقةً وقال له : « اطوِ أمرَكَ ، فإنِّي لا آمنُ أن يسمعَ هذا  
أحدٌ فينميه إلى محمَّد » .

فخرج الأعرابيُّ على راحلته ، وسار حتَّى دخل المدينة المنورة ، ثمَّ طفق  
يسألُ عن رسولِ اللهِ ﷺ . فقبل له : إنَّه في بني عبد الأشهل ، فأقبل  
فوجده ﷺ في جماعةٍ من أصحابه ، فلمَّا دخل الأعرابيُّ وراه رسولُ اللهِ ﷺ قال  
لأصحابه : « إنَّ هذا الرَّجل يريدُ غدراً واللهُ حائلٌ بينه وبين ما يريدُه » .

وكان سيِّدنا أسيِّد - رضي اللهُ عنه - في ذلك المجلس النَّبويِّ الميمون ،  
فتوجَّسَ خيفةً من الأعرابيِّ ، وأخذ يرقبُه ويلاحظُ كلَّ حركةٍ من حركاته ،

(١) « البداية والنهاية » ( ٤ / ٤٧ - ٤٨ ) بشيء من التَّصرُّف .

ولمَّا اقترب من رسولِ الله ﷺ أخذَ ينحني على رسولِ الله ﷺ كأنَّه يفضي إليه سرًّا ، فجذبهُ سيِّدنا أسيدُ بنُ الحضيرِ جذبَةً شديدةً وقال له : « تنحَّ عن رسولِ الله ﷺ » ، وجذب بداخل إزاره ، فإذا الخنجر ، فقال أسيدُ : « يا رسولَ الله ! هذا رجل غادرٌ » ، فأسقط في يدِ الأعرابي وقال : « يا محمَّد دمي ، دمي » .

وأخذ سيِّدنا أسيد يلبُّهُ ويخنقهُ بملابسه أشدَّ الخنق ، فقال له ﷺ : « اصدقني ما أنت ، وما أقدمك ؟ فإن صدقتني نفعتك الصَّدقُ ، وإن كذبتني فقد اطلعتُ على ما هممت به » .

قال الأعرابي : « فأنا آمنٌ » .

قال ﷺ : « أنت آمنٌ » .

فأخبره القصة كاملةً ، فأمر به ، فحس عند أسيد بن الحضير ، ثم دعا به من الغد ، فقال : « قد أمنتك ، فاذهب حيث شئت ، أوخير لك من ذلك ؟ » .

قال : « وما هو ؟ » .

فقال : « أن تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسولُ الله » .

فقال الأعرابي : « أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنت رسولُ الله ، والله يا محمَّد ما كنتُ أفرق - أخاف - من الرجال قط ، فما هو إلا أن رأيتك ، فذهب عقلي وضعفتُ ، ثم اطلعتُ على ما هممتُ به ، فما سبقته به الزكبان ، ولم يطلع عليه أحدٌ ، فعرفتُ أنك ممنوعٌ ، وأنت على حق ، وأنَّ حزبَ أبي سفيان حزب الشيطان » .

فجعل رسول الله ﷺ يتسَّم ، وأقام الأعرابي أياماً ، ثم استأذن رسول الله ﷺ في الخروج ، فأذن له ، فخرج من عنده ، ولم يُسمَع له بذكر ، ولم يعرف اسمه أحدٌ من الرُّواة ، أو مصنِّفي السِّيرة <sup>(١)</sup> .

(١) « البداية والنهاية » ( ٤ / ٦٩ - ٧٠ ) ، و « الرِّسالة المحمَّديَّة » =

\* ولهذا المخلص الصّافي الوفيّ سيّدنا أسيد - رضي الله عنه - موقفٌ يشعُّ بالإخلاص ، ويرشحُ بالندى والوفاء في غزوة بني المصطلق ؛ إذ عرّف الحبيب المصطفى ﷺ بمحبته المتجدّرة في القلوب ، وذلك لما صرّح بالعداوة زعيمُ المنافقين ابن سلول (١) ، وكاد يبعثُ الفتنة ويؤجّجها بين المهاجرين الأخيار ، والأنصار الأبرار .

\* لقد برزتِ الشّخصيّةُ الأسيديّةُ المتألّقة بالإيمان ، السّامية بالصّفاء لنبيّ الإسلام ﷺ ، فعندما حسَمَ رسولُ الله ﷺ أمرَ المصطلقيين ، وفرغ من غزاتهم ، تزاحم النَّاسُ على الماء ، واقتتل رجلٌ من المهاجرين ، وآخرٌ من الأنصار ، فصرخ كلُّ واحدٍ منهما وراح يستنجدُ بمعشره وأهله ؛ وهلهنا لاحت لزعيم المنافقين فرصةُ التّشويش ، ودّر الرّماد في العيون ، كما وجد فسحةً ينفسُ فيها عن غيظه وخبيئة نفسه ، وأخذ يُعرّضُ بالمهاجرين ويقول : « أوقد فعلوها ؟ » ثمّ تنفّس الضّعفاء ، وكادت روحه أن تزهقَ حسرةً وحسداً وتابع قائلاً : « قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا ، والله ما أعدّنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال الأوّلُ : سَمَنْ كَلَبَكَ يَأْكَلُكَ ، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنَّ الأعرضُ منها الأذلّ » . ولم يكتفِ هذا الحاقدُ الحاسدُ بهذه المقالة الرديئة ، وإنّما أقبل على مَنْ حضره من قومه فقال لهم بشيءٍ من التّأنيب والتّوبيخ والتّقرّيع وهو يظنُّ أنّه سيصيبُ مقتلاً : « هذا ما فعلتُم بأنفسكم ، أحللتُموهم بلادكم ، وقاسمتُموهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتُم عنهم ما بأيديكم ، لتحوّلوا إلى غيرِ داركم » .

\* وأخبرَ رسولُ الله ﷺ بما قال ابنُ سلول ، فأمر بالرحيل في ساعةٍ لم يكن يرتحلُ فيها ، فلمّا سار الجيشُ ، ومعهم رسولُ الله ﷺ لقيه أسيدُ بنُ

= (ص : ٣٨٣ - ٣٨٤) مع الجمع والتّصريف .

(١) اقرأ سيرة هذا الفاجر عبد الله بن أبي ابن سلول في كتابنا : « المبشرون بالنّار » (ص : ٣٠٤ - ٣٣١) ، طبعة دار ابن كثير الثانية عام (٢٠٠١ م) .



الحضير ، فحيّاهُ بتحيّة النّبوة ، وسلّمَ عليه ، وقال : « يا رسولَ الله ! والله لقد رُحّت في ساعةٍ منكراً ما كنت تروحُ في مثلها ! » .

فقال له رسولُ الله ﷺ : « أو ما بلغَكَ ما قال صاحبكم ؟ » .

قال : « أيّ صاحب يا رسولَ الله ؟ » .

قال ﷺ : « عبدُ الله بنُ أبي » .

قال : « وما قال يا رسولَ الله ؟ ! » .

قال : « زعمُ أنّه إن رجعَ إلى المدينة أخرج الأعرُ منها الأذلَّ » .

قال أُسيدٌ : « فأنتَ واللهِ يا رسولَ الله تخرجه إن شئت ، هو واللهِ

الذليل ، وأنت العزيز » .

\* ثمَّ إنَّ سيّدنا أُسيداً تابعَ حديثه مع رسولِ الله ﷺ وهو يرنو إليه في حبٍّ

صاديق وقال : « يا رسولَ الله ! ارفقْ ، فوالله لقد جاءنا الله بك ، وإنَّ قومه

ليُنظّمون له الخرزَ ليتوجوه ، فإنّه ليرى أنّك قد استلبتَهُ مُلكاً » .

\* بهذه الحكمة الهادئة ، والفكرة الوقّادة ، أحاطَ سيّدنا أُسيدٌ بالأمر ،

ولم يسمعْ لدائرة الشقاق أن تتسع ، وعرف أنّ ابنَ سلول باغ حاسدٌ قد حرّكته

دواعي الغيرة والحسد لأن قال ما قال ؛ لعلَّ ملكه المزعوم يعودُ إليه ، ونسيَ

الخبثُ وتناسى أنّها النّبوة ؛ وكاد أن يشعلَ فتيلَ فتنةٍ لا تُطفأ ، وبالتالي أساء

إلى حبيبنا رسولِ الله ﷺ ، وإلى المسلمين من المهاجرين والأنصار ؛ إذ إنّهُ

أظهرَ نفاقه بصورةٍ قميئةٍ ، وكان يهدفُ من وراء ذلك إلى تشتيت المسلمين

وطردهم من المدينة ، وأن تشبَّ فيما بينهم معركةٌ تقطرُ منها الدماءُ ، فقوّت

عليه رسولُ الله ﷺ غرضه ، وأبطلَ كيدَهُ وحسدَهُ وفجوره ، وكذلك استطاع

سيّدنا أُسيدٌ أن يبرزَ صورةَ هذا المنافق الحقيقِيّة ، ممّا ساعد على بترِ الموضوع

واجثثائه من جذوره <sup>(١)</sup> ؛ بل إنّ ابنَ هذا المنافق عبدَ الله بن عبد الله بن أبي ،

(١) انظر : « البداية والنهاية » ( ٤ / ١٥٧ ) بشيء من التصرّف . وممّا يدلُّ على إخلاص =

وقفَ ضد أبيه طاعةً لأمر رسول الله ﷺ (١) ، وكان حبيبتنا ورسولنا محمد ﷺ قد ترك معاينة ابن أبي سلول وأعوانه المنافقين حرصاً على سمعة المسلمين ووحدهم ، وأشغَلهم ﷺ عن الباطل لئلا يخوضوا

أسيد - رضي الله عنه - عندما سمع بالقصة ، وعرف نفاق ابن أبي سلول ، ما جاء في خبر آخر ، من أنه أقبل حتى أتى رسول الله ﷺ فقال له : « يا رسول الله ! ائذن لي في هذا الرجل الذي قد أفتن الناس أضرب عنقه » .

فقال رسول الله ﷺ : « أوقاتله أنت إن أمرتك بقتله ؟ » .

قال أسيد - رضي الله عنه - : « نعم ، والله ! لئن أمرتني بقتله لأضربن بالسيف تحت قرط أذنيه » .

فقال رسول الله ﷺ : « اجلس » .

ثم أمر ﷺ بالرحيل ، ونزلت سورة « المنافقون » . « شرح حياة الصحابة ( ١ / ٧٢٨ - ٧٢٩ ) باختصار .

ومن صور شجاعة سيدنا أسيد وإخلاصه ووفائه للإسلام ونبى الإسلام ﷺ موقفه الجريء من يهود بني قريظة ؛ إذ تقدم صفوف المسلمين بأمر نبوي ميمون ، ونادى القرظيين قائلاً وهم محاصرون : « ويلكم يا أعداء الله ! لا نبرح حصنكم حتى تموتوا جوعاً ، إنما أنتم بمنزلة ثعلب في حجر » .

قالوا : يا بن الحضير ! نحن مواليك دون الخزرج ؛ وخاروا - خافوا - فقال أسيد - رضي الله عنه - : « لا عهد بيني وبينكم ولا إل - حلف - » . « مختصر تاريخ دمشق » ( ٤ / ٣٩٨ ) بتصرف .

(١) روي أن عبد الله بن عبد الله بن أبي - وكان رجلاً صالحاً - لما سمع الخبر جاء إلى أبيه وقال له : « أنت والله يا أبت الدليل ، ورسول الله ﷺ العزيز » ، فلما وصل إلى المدينة وقف عبد الله بن عبد الله على باب السكة التي يسلكها أبوه ، وجرد السيف ومنعه الوصول ، وقال : والله لا دخلت إلى منزلك إلا أن يأذن لك في ذلك رسول الله ﷺ ، وعبد الله بن أبي في أذل حال ، وبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فبعث إليه أن خله يمضي إلى منزله ، فقال : « أمّا الآن فنعم » . « تفسير ابن عطية » ( ص : ١٨٦١ ) .

فيه <sup>(١)</sup> ، فنجوا وسعدوا وفازوا وأفلحوا .

(١) لقد تجاوزَ سيّدنا وحبينا رسولُ الله ﷺ عن رأس التّفاق ، ومن حاول مشاركته في إشاعة الفتنة والتّفرقة بين المسلمين في ساعات حرجة ، مع أنّ كلمات الله - عزّ وجلّ - نزلت تُعزّيهم وتفضّحهم ، وكان ذلك حرصاً منه ﷺ على سمعة الإسلام والمسلمين .

فقد جاء عند الإمامين الجليلين في « صححيهما » عن سيّدنا جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال : « ... فقام عمرُ فقال : يا رسولَ الله ! دعني أضرب عنقَ هذا المنافق . فقال النَّبِيُّ ﷺ : « دعه ، لا يتحدثُ النَّاسُ أنّ محمداً يقتلُ أصحابه ... » . ( البخاريّ برقم : ٤٩٠٥ ، ومسلم برقم : ٢٥٨٤ ) .

ثمَّ إنّ الحبيبَ الأعظمَ ﷺ يُعلّمُ أصحابه ومن بعده من جميع طبقات النَّاسِ ، كيف يشغلون النَّاسَ عن الخوض في الباطل والسُّقوط في الفتنة بأن ينهضوا إلى أمرٍ يقطعُ عليهم محاولات الشَّيطان وأعوانه للمكرِّ بهم ، والكيدِ بأعمالهم ، واستقامتهم .

وفي رواية ابن إسحاق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في « السَّيرة » : « فقال عمر : مُرِّبه عبّاد بن بشر فليقتله ، فقال له رسولُ الله ﷺ : فكيف يا عمرُ إذا تحدّث النَّاسُ أنّ محمداً يقتلُ أصحابه ؟ ! لا ، ولكن أذن بالرحيل ، وذلك في ساعة لم يكن رسولُ الله ﷺ يرتحلُ فيها ، فارتحلَ النَّاسُ . « السَّيرة النَّبويّة » ( ٢ / ٢٩١ ) .

وما زال ﷺ يمشي بهم يومهم حتّى أمسى ؛ وليلتهم حتّى أصبح ، وصدرو يومهم ذلك حتّى آذتهم الشَّمس ، ثمَّ نزل بهم ، فلم يلبثوا أن وجدوا مسَّ الأرض حتّى وقعوا نياماً ، فأجهز بذلك على محاولة الشَّيطان ليقوع بينهم ، وطمس الفتنة ودفنها .

يقول الدكتور أكرم العمري في تحليل هذا الأمر : « ويلاحظ اهتمامه ﷺ بسُمعةِ المسلمين في أوساط القبائل بترك معاقبة المنافق عبد الله بن أبي لِمَا في ذلك من مصلحة تأليف القبائل ، ومنع الدّعاية التي قد تنفّر من الإسلام . ولم يقتصر الرّسولُ ﷺ على معالجة الموقف بالبيان ، وإنّما أمر الجيش بالرحيل طيلة اليوم حتّى أمسى ، وليلتهم حتّى أصبح ، وصدرو يومهم حتّى آذتهم الشَّمس ، ثمَّ نزل بالنّاس فلم =

\* ومن مواقف سيّدنا أُسيد التي تُحْتَسَبُ له ؛ موقفه الجميل من الأسرة البكريّة المتّصلة بأسبابها من الأسرة المحمّديّة ، وذلك عندما نزلت آية التيمّم : ﴿ فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ [النساء : ٤٣ ، والمائدة : ٦] ، وعلم المسلمون بركة أمنا أم المؤمنين عائشة - رضوان الله عليها - ، تقدّم منها أبوها أبو بكر - عليه سحائب الرضوان - وقال : « والله يا بنية إنك لمباركة » .

\* بينما جاء رجلُ المواقف سيّدنا أُسيد بنُ الحضير - رضي الله عنه - وقال : « ما هذا بأول بركتكم يا آل أبي بكر ، لقد بارك الله للناس فيكم يا آل أبي بكر ، ما أنتم إلا بركة لهم » ثمّ قال لأمتنا عائشة : « جزاك الله خيراً ، فما نزل بك أمرٌ تكرهينه ، إلا جعل الله منه مخرجاً للمسلمين » (١) .

\* وهذا مشهدٌ يرشح بالإيمان وصدق اليقين يسجّله سيّدنا أُسيد في رصيده المبارك ، فعندما خان يهود بني قريظة ، ونقضوا العهد ، حُكِمَ عليهم بالقتل ، وكانوا حلفاء الأنصار ، قام سيّدنا أُسيد بنُ الحضير بين المسلمين قيام الأوفياء الأصفياء ، وكلم النبيّ الكريم ﷺ بصراحة ووضوح وقال : « يا رسول الله ! لا تبقى داراً من دور الأوس إلا فرقت فيها من بقي من اليهود يقتلونهم » ؛ ففعل ، فقتلوا من بعث بهم إلى دورهم ، وقُضي على الخائنين القرظيين .

= يلبثوا أن وجدوا مسّ الأرض فوقعوا نياماً ، ليشغل الناس عن الحديث في الفتنة . . . .  
وقد علّل الرسول ﷺ منعه لعبد الله من قتل أبيه بالحرص على سمعة الإسلام فقال : « لا يتحدث الناس أن محمّداً قتل أصحابه » . « السيرة النبويّة الصحيحة » (٢ / ٤٠٩ - ٤١٠) باختصار .

لقد احترق عملُ زعيم النفاق ، وضاعت جهوده العدوانيّة سُدى ، ولم يتحقق حلمه الحاقداً ، وارتدّ كيده إلى نحره ، وخاب سعيه وباء بالخسران في الدارين .

(١) « نساء أهل البيت » (ص : ١٦٧) ط : ٦ - ٢٠٠٥ م ، و « الرسالة المحمّديّة » (ص : ٣٢٥) ، ط : ١ - ١٩٩٧ م مع الجمع والتّصريف اليسير بينهما .

\* وأما رأي أُسيد في المنافقين إبان أحداث غزوة تبوك فإنه لا يُنسى ، وذلك عندما أجمع المنافقون على الإيقاع برسول الله ﷺ في العقبة التي بين تبوك والمدينة المنورة ، فقالوا : إذا أخذ في العقبة دفعناه عن راحلته في الوادي . فعلم رسول الله ﷺ بما عزموا عليه ، فقال أُسيد : « يا رسول الله ! هؤلاء ليسوا بأصحابك » .

فقال ﷺ : « أليسوا يظهرون الشهادة ؟ » .

ثم جمعهم ﷺ وأخبرهم بما قالوه ، وما أجمعوا عليه ، فحلفوا بالله ما قالوا ، ولا أرادوا الذي يذكره عنهم ، فنزلت الآية الآتية في تكذيبهم وبيان فجورهم وتآمرهم : ﴿ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ يَوْمًا لَيَتَأَلَوْنَ ﴾ [ التوبة : ٧٤ ] (١) .

أُسيد وأقباس نبوية :

\* يُصَنَّفُ سَيِّدنا أُسيد بن الحُضير - رضي الله عنه - مع الصحابة الأكابر المقربين من الحضرة النبوية ، وكان معدوداً من عقلاء الأشراف وذوي الرأي من الصحابة الأنصار .

\* وهذا الصحابيُّ الحصيفُ مَمَّنْ وعى الحديث النبوي الشريف ، ونقله عن الحبيب المصطفى ﷺ ، ومروياته موجودة في الصحيحين وكتب الحديث المعتمدة المعتبرة .

\* قال الإمام الذهبي رحمه الله : « له روايةٌ أحاديث ، روت عنه عائشة ، وكعب بن مالك ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى ، ولم يلحقه » (٢) .

(١) انظر : « تفسير ابن عطية » ( ص : ٨٦٥ - ٨٦٦ ) ، و « الرسالة المحمدية » ( ص : ٥٥٢ - ٥٥٦ ) مع الجمع والتصرف .

(٢) « سير أعلام النبلاء » ( ١ / ٣٤١ ) ، و « تاريخ الإسلام » ( عهد الخلفاء الراشدين ، ص : ٢٠٧ ) .

\* وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ : « روى عن النَّبِيِّ ﷺ ، وعنه أبو سعيد الخُدريّ ، وأنسٌ ، وأبو ليلى الأنصاريّ ، وكعبُ بنُ مالك ، وعبد الرَّحمن بنُ أبي ليلى ، ومحمَّد بنُ إبراهيم التَّميميّ ، وحُصين بنُ عبد الرَّحمن ولم يدركاه » <sup>(١)</sup> .

\* وسيّدنا أُسيد بنُ الحُضير الأنصاريّ - رضي الله عنه - أحدُ الرّجال المباركين المؤيدين بالتأييدات الغيبيّة ، وممّن نزلت الملائكة لقرآنهم ، وشهد لهم الحبيبُ المصطفى ﷺ بالصّلاح والصّفاء ، وهذا ما جاء في الصّححيّين من نزول السّكينة والملائكة عند قراءة القرآن العظيم .

\* جاء في « الصّححيّين » : البخاري ومسلم - واللفظ لمسلم - بسند عن أبي سعيد الخُدريّ - رضي الله عنه - ، عن أُسيد بن الحُضير - رضي الله عنه - : « بينما هو ليلة يقرأ في مِرْبِدِهِ ؛ إذ جالت فرسه ، فقرأ ، ثمّ جالت أخرى ، فقرأ ، ثمّ جالت أيضاً ؟ قال أُسيد : فخشيتُ أن تطأ يحيى ، فقمْتُ إليها ، فإذا مثلُ الظّلّة فوق رأسي ، فيها أمثال السُّرُج ، عرّجت في الجو حتّى ما أراها .

قال : فغدوتُ على رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله ! بينما أنا البارحة من جوف الليل أقرأ في مِرْبِدِي ؛ إذ جالت فرسي .

فقال رسول الله ﷺ : « اقرأ ابن حضير . »

قال : فقرأتُ ، ثمّ جالتُ أيضاً .

فقال رسول الله ﷺ : « اقرأ ابن حضير . »

قال : فقرأتُ ، ثمّ جالتُ أيضاً .

---

(١) « تهذيب التّهذيب » ( ١ / ٣٤٧ ) ، وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ : « وله أحاديث في الصّححيّين وغيرها » « الإصابة » ( ١ / ٦٤ ) .

فقال رسولُ الله ﷺ : « اقرأ ، ابنِ حضير » .

قال : فانصرفْتُ ، وكان يحيى قريباً منها ، خشيتُ أن تطأهُ ، فرأيتُ مثل الظلَّةِ فيها أمثال السَّرج ، عرجت في الجو حتَّى ما أراها .

فقال رسولُ الله ﷺ : « تلك الملائكةُ كانت تستمعُ لك ، ولو قرأت لأصاحتُ يراها النَّاسُ ، ما تستترُ منهم » <sup>(١)</sup> .

(١) أخرجه البخاريُّ في فضائل القرآن برقم : ( ٥٠١٨ ) ، ومسلم في فضائل القرآن وما يتعلَّق به برقم : ( ٧٩٦ ) ، واللفظ له . ومعنى قوله : « بينما هو » معناه : بين أوقاته . و« مِرْبَدَه » : بكسر الميم وفتح الباء ، وهو الموضعُ الذي يبس فيه التَّمْر ، كالبيدر للحنطة ، ونحوها . و« جالت فرسه » : أي : وثبت ؛ وجالت : من الجَوْلان : وهو الاضطرابُ الشَّدِيد ، وكان في ذلك الوقت الفرس قريباً منه ؛ أي : فرسه مربوطٌ إلى جانبه ، والفرس يقعُ على الذَّكر والأنثى . و« يحيى » : ابنُ سيِّدنا أسيد بن الحضير ، والمعنى : أنَّ ابنه يحيى كان قريباً من الفرس فخشي إن استمرَّ على القراءة أن تدوسَ الفرس ولده فتؤذيه . و« الظلَّة » : بضمِّ الطَّاء وتشديد اللام : هي الغاشية ، وقيل : السَّحابة . و« السَّرج » : جمعُ سراج ، والمعنى : أنَّها أجسامٌ لطيفةٌ نورانيةٌ مضيئةٌ أمثال المصابيح . و« عرجت في الجو حتَّى ما أراها » : أي : صعدت الملائكةُ وارتفعت فيه ؛ لكونه قطع القراءة حتَّى غابت عن بصره . و« اقرأ ابن حضير » : قال الحافظُ ابن حجر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « أي : كان ينبغي أن تستمرَّ على قراءتك ، وليس أمرأله بالقراءة في حالة التَّحديث ، وكأنَّه استحضر صورةَ الحال ، فصار كأنَّه حاضرٌ عنده لمَّا رأى ما رأى ، فكأنَّه يقول : « استمرَّ على قراءتك لتستمرَّ لك البركة بنزول الملائكة ، واستماعها لقراءتك ، وفهم أسيد ذلك ، فأجاب بعذره في قطع القراءة ، وهو قوله : « خفتُ أن تطأ يحيى » : أي : خشيتُ إن استمريتُ على القراءة أن تطأ الفرس ولدي ، ودلَّ سياق الحديث على محافظة أسيد على خشوعه في صلاته ؛ لأنَّه كان يمكنه أوَّل ما جالت الفرس أن يرفع رأسه ، وكأنَّه كان بلغه حديث النَّهي عن رفع المصلِّي رأسه إلى السَّماء ، فلم يرفعه حتَّى اشتدَّ به الخطب ، ويحتمل أن يكون رفع =

\* ومن مرويات سيّدنا أسيد - رضي الله عنه - في مجال الأمر بالصبر عند ظلم الولاة واستثثارهم ما جاء في الصّحيحين عنه : « أنّ رجلاً من الأنصار قال : يا رسول الله ! ألا تستعملني كما استعملت فلاناً ؟

قال : « ستلقون بعدي أثرة ، فاصبروا حتّى تلقوني على الحوض » (١) .

\* وفي بيان بعض الأحكام الشرعية ذكر سيّدنا أنس بن مالك - رضي الله عنه - : « أنّ اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوها في

---

= رأسه بعد انقضاء صلاته ، فلهذا تمادى به الحال ثلاث مرّات » . « فتح الباري » ( ٦٨١ / ٨ ) .

وقال السندي رحمه الله في قوله : « اقرأ ابن حضير » : « علم من أول الأمر أنّ ما حصل لفرسه من علامات أنّ قراءته مقبولة محضورة ، فأمره بالقراءة في ما بعد ، لِمَا ظهر فيها من البركات ، أو لهذا الأمر منه لبيان أنّك لا تجعل مثله مانعاً من القراءة فيما بعد ، بل امض على قراءتك فيما بعد ، والله أعلم . و« ما تستر منهم » : فيه إشارة إلى أنّ الملائكة الكرام لاستغراقهم في الاستماع كانوا يستمرون على عدم الاختفاء الذي هو من شأنهم ، وفي الحديث منقبة لأسيد بن الحضير - رضي الله عنه - ، وفضل قراءة سورة البقرة في صلاة الليل ، وفضل الخشوع في الصلاة ، وأنّ التّشاغل بشيء من أمور الدنيا ولو كان من المباح قد يفوت الخير الكثير ، فكيف لو كان بغير الأمر المباح .

وقال النووي رحمه الله : « وفي هذا الحديث جواز رؤية آحاد الأمة الملائكة ، وفيه فضيلة القراءة ، وأنّها سبب نزول الرّحمة وحضور الملائكة ، وفيه فضيلة استماع القرآن » . « المنهاج » ( ص : ٦٥٣ ) .

وذكر مصنفو السيرة والتّراجم أنّ سيّدنا أسيداً - رضي الله عنه - قد حباه الله صوتاً جميلاً ، مؤثراً ، فكان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن . « مختصر تاريخ دمشق » ( ٣٩٧ / ٤ ) .

(١) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار برقم : ( ٣٧٩٢ ) واللفظ له . ومسلم في الإمارة برقم : ( ١٨٤٥ ) .



البيوت ، فسأل أصحابُ النَّبِيِّ ﷺ النَّبِيَّ ﷺ ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَاسْتَأْذِنُوا بِيوتِهِمْ مِنَ اللَّيْلِ ﴾ [ البقرة : ٢٢٢ ] إِلَى آخِرِ الآيَةِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « اصنعوا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا النَّكَاحَ » ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الْيَهُودَ ، فَقَالُوا : مَا يَرِيدُ هَذَا الرَّجُلُ أَنْ يَدَعَ مِنْ أَمْرِنَا شَيْئاً إِلَّا خَالَفْنَا فِيهِ ؛ فَجَاءَ أَسِيدُ بْنُ حُضَيْرٍ ، وَعَبَادُ بْنُ بَشْرٍ فَقَالَا : يَا رَسُولَ اللهِ ! إِنَّ الْيَهُودَ قَالَتْ كَذَا وَكَذَا ، أَفَلَا يَجَامِعُوهُنَّ ، فَتَغَيَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنْ قَدْ وَجَدَ عَلَيْهِمَا ، فَخَرَجَا ، فَاسْتَقْبَلْتُهُمَا هَدِيَّةً مِنْ لَبَنٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَأَرْسَلَ فِي آثَارِهِمَا فَسَقَاهُمَا ، فَعَرَفَا أَنْ لَمْ يَجِدْ عَلَيْهِمَا » (١) .

### أَسِيدٌ وَنَفَحَاتٌ أُنْسِيَّةٌ :

\* اشْتَهَرَ سَيِّدُنَا أَسِيدُ بْنُ الْحُضَيْرِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - بِمَحَبَّتِهِ الشَّدِيدَةِ لِلنَّبِيِّ ﷺ ، فَكَانَ يُوَفِّرُ النَّبِيَّ ﷺ وَيَجَلِّهَ وَيَحْرِصُ عَلَى قَرْبِهِ ، وَالتَّبَرُّكُ بِهِ .

\* أَخْرَجَ الْحَاكِمُ رَحِمَهُ اللهُ فِي « مُسْتَدْرَكِهِ » بِسَنَدِهِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : « كَانَ أَسِيدُ بْنُ حُضَيْرٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - رَجُلًا صَالِحًا ضَاحِكًا مَلِيحًا . فَبَيْنَمَا هُوَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَحَدِّثُ الْقَوْمَ ، وَيُضْحِكُهُمْ ، فَطَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي خَاصِرَتِهِ . فَقَالَ : أَوْجَعْتَنِي ! قَالَ : « اقْتَصَرَ » .

(١) « مختصر تاريخ دمشق » ( ٤ / ٣٩٧ ) . ومعنى « وجد » : غضب ، والمضارع : يجِدُ : يغضب .

أقول : « لسيدنا أسيد - رضي الله عنه - بضعة أحاديث في « مسند الإمام أحمد » ، ومنها ما أخرجه بسنده عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أبيه ، عن أسيد بن حضير قال : « إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « تَوْضُّؤُوا مِنْ لَحُومِ الْإِبِلِ ، وَلَا تَوْضُّؤُوا مِنْ لَحُومِ الْغَنَمِ ، وَصَلُّوا فِي مَرَابِضِ الْغَنَمِ ، وَلَا تَصَلُّوا فِي مَبَارِكِ الْإِبِلِ » . « المسند » ( ٦ / ٤٥ ) ، حديث رقم : ( ١٩١١٨ ) .

قال : يا رسولَ الله ! إنَّ عليك قميصاً ولم يكن عليَّ قميص ،  
قال : فرفع رسولُ الله ﷺ قميصه ، فاحتضنه ، ثمَّ جعل يقبلُ كشحه ،  
فقال : بأبي أنت وأمي يا رسولَ الله ! « (١) .

\* ومن التَّفَحَاتِ السَّنِيَّةِ التي خُصَّ بها سيِّدنا أُسيد إضاءة العِصَا له ،  
وهذا ما ثبتَ في الصَّحيح وغيره ، فقد عقد البخاريُّ في المناقب فصلاً  
عنوانه : « باب منقبة أُسيد بن حضير وعبَّاد بن بشر - رضي الله عنهما - ، ثمَّ  
أخرج بسنده عن أنس - رضي الله عنه - : « إنَّ رجلين خرجا من عند النَّبيِّ ﷺ  
في ليلة مظلمة ، وإذا نورٌ بين أيديهما حتَّى تفرَّقا ، فتفرَّق الثُّور معهما » . وقال  
معمر ، عن ثابت ، عن أنس : « إنَّ أُسيد بن حضير ورجلاً من الأنصار » (٢) .

\* وفي روايةٍ أكثر سهولة عند عبد الرَّزَّاق ، عن أنس : « أنَّ أُسيد بن  
حُضير الأنصاري - رضي الله عنه - ، ورجلاً آخر من الأنصار تحدَّثا عند  
النَّبِيِّ ﷺ في حاجةٍ لهما ، حتَّى ذهب من الليل ساعة ، وهي ليلة شديدة  
الظُّلمة ، حتَّى خرجا من عند رسولِ الله ﷺ ينقلبان ، ويبد كلُّ واحد منهما  
عُصِيَّةً ، فأضاءت عصا أحدهما لهما حتَّى مشيا في ضوئها ، حتَّى إذا افتردت  
بهما الطَّرِيق أضاءت للآخر عصاه ، حتَّى مشى في ضوئها ، حتَّى أتى كلُّ واحد

(١) أخرجه الحاكم (٣ / ٣٢٧) برقم : (٥٢٦٢) . وقوله « خاصرته » : أي : جنبه  
فوق رأس الورك . وفي « الكنز » : « قطعَ رسولُ الله ﷺ بأصبعه في خاصرته » .  
و« اقتصرَ » : أي : أخذ منِّي القصاص . و« كشحه » : الموضع الذي بين الإبط  
والخاصرة . و« بأبي أنت وأمي » : فيه تفديةُ الشَّارع بالآباء والأمهات ، وهل يجوزُ  
تفدية غير رسولِ الله ﷺ من المؤمنين ؛ وفي هذا الأمر مذاهبُ : أصحُّها نعمُ  
بلا كراهة ، وثانيها : المنعُ ، وذلك خاصٌّ به ، وثالثها : يجوزُ تفدية العلماء  
الصَّالحين الأخير دون غيرهم . ونقل الدَّهبيُّ عن ابن إسحاق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : « كان في  
أسيد مزاحٌ وطيبٌ أخلاق » . « سير أعلام النبلاء » (١ / ٣٤٢) .

(٢) أخرجه البخاريُّ في مناقب الأنصار برقم : (٣٨٠٥) .

منهما في ضوء عصاه حتى بلغ أهله « (١) .

\* كان رسولُ الله ﷺ يكرمُ الأنصارَ بعامَّة ، وكان سيِّدنا أسيدٌ - رضي الله عنه - يطلبُ من الحبيبِ الأعظمِ ﷺ أن يكرمَ قومَه الأنصارَ ويكثرَ لهم من العطاء ، فيجيبُهُ ﷺ ، ويشهدُ له ولقومه بالعقَّة والصَّبْر .

\* روى سيِّدنا أنسُ بنُ مالك - رضي الله عنه - إكرامَ النَّبِيِّ ﷺ للأنصار ، وقصَّة أسيد بن الحضير معه فقال : « جاء أسيدُ بنُ حُضير إلى النَّبِيِّ ﷺ وقد كان قسمَ طعاماً ، فذكر له أهل بيتٍ من الأنصار من بني ظَفَر ، فيهم حاجة ، وجُلُّ أهل ذلك البيت نسوة . فقال له النَّبِيُّ ﷺ : « تركتنا - يا أسيد - حتى ذهب ما في أيدينا ، فإذا سمعتَ بشيءٍ قد جاءنا ، فاذكُر لي أهل ذلك البيت » . فجاءه بعد ذلك طعامٌ من خيبرٍ شعيراً وتمراً ؛ فقسم رسولُ الله ﷺ في النَّاس ، وقسم في الأنصار وأجزل ، وقسم في أهل ذلك البيت فأجزل ، فقال أسيدُ بنُ حُضير متشكراً : جزاك اللهُ - أي : نبيَّ الله - أطيبَ الجزاء . أو قال : خيراً . فقال النَّبِيُّ ﷺ : « وأنتم معشر الأنصار ، فجزاكم اللهُ أطيبَ الجزاء ؛ أو قال : خيراً ، فإنكم ما علمتُ أعفَّة صُبر ، وستروُن بعدي أثره في الأمر والقسم ، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض » (٢) .

\* وبأسلوبه الشائق يسوقُ أسيد هذه القصَّة التَّربويَّة فيقول : « أتاني أهلُ بيتين من قومي : أهلُ بيت من ظَفَر ، وأهل بيت من بني معاوية ، فقالوا : كلِّم لنا رسولَ الله ﷺ يقسم لنا ، أو يعطينا ، أو نحو هذا ؛ فكلَّمته ، فقال : « نعم ، أقسمُ لكلِّ أهل بيت منهم شطراً ، فإن عادَ اللهُ علينا عدنا

(١) انظر في هذا : « مختصر تاريخ دمشق » ( ٤ / ٣٩٦ ) ، و « شرح حياة الصَّحابة » ( ٤ / ٤٤٣ - ٤٤٤ ) .

(٢) « شرح حياة الصَّحابة » ( ١ / ٦٣٢ ) . و « بني ظَفَر » : بطن من الأنصار . و « جُلُّ » : مُعظمٌ وأكثرُ . و « أجزل » : أوسعٌ وأكثرُ . و « أثره » : يستأثرون بالأموال والفِيء وغيره .

عليهم ». قال : فقلت : جزاك الله خيراً يا رسول الله ! قال : « وأنتم فجزاكم الله خيراً ، فإنَّكم ما علمتكم أَعْفَى صُبْرٌ ، إنَّكم ستلقون أثره بعدي » . فلمَّا كان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قسم حُللاً بين النَّاس ، فبعث إليَّ منها بحلَّة ، فاستصغرتُها ، فأعطيتها ابني . فبينما أنا أصلي ؛ إذ مرَّ بي شاب من شباب قريش ، عليه حلَّة من تلك الحُلل يجرُّها ، فذكرتُ قولَ رسولِ الله ﷺ : « إنَّكم ستلقون أثره بعدي » ، فقلتُ : صدق الله ورسولُهُ ، فانطلق رجلٌ إلى عمر - رضي الله عنه - فأخبره ، فجاء وأنا أصلي فقال : صلِّ يا أسيد ، فلمَّا قضيتُ صلاتي قال : كيف قلتُ ؟ فأخبرته ، فقال : تلك حلَّة بعثت بها إلى فلان وهو بدري أُحدي عقبي ، فأتاه هذا الفتى فابتاعها منه ، فلبسها ، فظننتُ أنَّ ذلك يكون زماني ! قلت : قد - والله يا أمير المؤمنين - ظننتُ أنَّ ذلك لا يكون في زمانك « (١) .

\* وكان سيِّدنا أُسيدٌ - رضي الله عنه - يجلُّ سيِّدنا عمرَ - رضي الله عنه - ، ويعرفُ قدرَهُ ومقداره بين أَجَلَّة الصَّحابة وأعلامهم وأسيادهم ، وأُسيدٌ نفسه قال عن سيِّدنا عمر يوم تولَّى الخلافة : « اللهم أعلِّمهُ الخَيْرَةَ بعدك يرضى للرِّضا ، ويسخط للسخط ، الذي يُسرُّ خير من الذي يُعلن ، ولم يل هذا الأمر أحد أقوى عليه منه » (٢) .

\* ومن اللطائفِ الأُنسيَّة التي ترشح من سيرة سيِّدنا أُسيد - رضي الله عنه - أمنيته أن يكونَ من أهلِ الجَنَّة ، وقد شهدت له بهذه النَّفحة أمتنا

(١) « مجمع الزوائد » ( ١٠ / ٣٣ ) ، و« مختصر تاريخ دمشق » ( ٤ / ٣٩٢ ) . وقوله « بدري أُحدي عقبي » : أي : حضر غزوة بدر وأحد ، كما حضر بيعة العقبة ، وحظي بالمعيَّة النَّبويَّة ، وهذا ذروة الشرف والخير .

(٢) انظر : « طبقات ابن سعد » ( ٣ / ١٩٩ ) ، وقوله « الخيرة » : هو من اختاره الله - عزَّ وجلَّ - . و« للرِّضا » : أي : لأجل رضا الله تعالى ، ومثل هذا يفسَّر في قوله : للسخط .

الصَّديقةُ بنتُ الصَّديقِ عائشةُ بنتُ سيِّدنا أبي بكرٍ - رضي اللهُ عنهما - ؛ إذ قالت : « كان أسيدُ بنُ حُضيرٍ - رضي اللهُ عنه - من أفاضلِ النَّاسِ ، فكان يقولُ : لو أنِّي أكونُ كما أكونُ في حالٍ من أحوالِ ثلاثةٍ لكنتُ من أهلِ الجنَّةِ ، وما شككتُ في ذلك : حينَ أقرأ القرآنَ ، وحينَ أسمعُه ، وإذا سمعتُ خطبةَ رسولِ اللهِ ﷺ ؛ وإذا شهدتُ جنازةً ، فما شهدتُ جنازةً قط فحدَّثتُ نفسي بسوى ما هو مفعولٌ بها ، وما هي صائرةٌ إليه » (١) .

\* وهذه قبسةٌ منيفةٌ ؛ تدلُّ على أخلاقِ أسيدِ اللطيفةِ ، وتجلو طبيعتهِ الوفيَّةِ ، نتعلَّم من خلالها فنونَ الصَّبرِ والنَّقاءِ ، وهذه القبساتُ الجميلةُ تدلُّ عليها أطهرُ الطَّاهراتِ أمنا الصَّديقةُ بنتُ الصَّديقِ عائشةُ - رضي اللهُ عنها وعن أبيها ، وحشرنا في معيتهما تحتِ لواءِ سيِّدنا وحبينا محمَّد رسولِ اللهِ ﷺ - . تقولُ أمنا عائشةُ : « قدمنا من حجِّ أو عمرة ، فتلقَّينا بذي الحليفةِ ، وكان غلمانُ الأنصارِ يتلقَّونَ أهلِيهم ، فلقوا أسيدَ بنَ الحُضيرِ - رضي اللهُ عنه - ، فنعوا له امرأتهُ ، فتقنَّعَ وجعل يبكي ، فقلت : غفرَ اللهُ لك ، أنتَ صاحبُ رسولِ اللهِ ﷺ ، ولك من السَّابِقةِ والقدَمِ مالكُ ، وأنتَ تبكي على امرأةٍ ؟ ! قالت : فكشفتُ رأسه ، وقال صدقتِ لعمري حقِّي أن لا أبكي على أحدٍ بعد سعد بن معاذ ، وقد قال له رسولُ اللهِ ﷺ ما قال !! !

قالت : قلتُ له : وما قال له رسولُ اللهِ ﷺ ؟

قال : « لقد اهتزَّ العرشُ لوفاةِ سعدِ بنِ معاذٍ » .

قالت : وهو يسيرُ بيني وبين رسولِ اللهِ ﷺ » (٢) .

(١) « مختصر تاريخ دمشق » ( ٤ / ٣٩٧ ) ، و« شرح حياة الصَّحابة » ( ٣ / ٣٦٣ ) ، والحديث أخرجه الإمام أحمد في « المسند » ( ٧ / ٤٤ ) برقم : ( ١٩١١٥ ) .

(٢) أخرجه الإمام أحمد ( ٧ / ٤٤ ) برقم : ( ١٩١١٧ ) ، وانظر : « مختصر تاريخ دمشق » ( ٤ / ٣٩٢ - ٣٩٣ ) ، و« شرح حياة الصَّحابة » ( ٣ / ١٠٧ ) ، وغيرها . وقولها « الحليفة » : بالتَّصغيرِ على وزن جُهينة ، ويقال : ذو الحليفة : قرية بظاهر =

## وفاته ووصيته :

\* مضت الحياة بسيدنا أسيد - رضي الله عنه - وهي غنية بالعباء والفاء ، والإخلاص للإسلام ، ونبي الإسلام ، حتى حظي بشهادة تقدير ومرتبة الشرف النبوية من الدرجة الأولى ، حيث أثنى عليه رسول الله ﷺ بقوله : « نِعَمَ الرَّجُلِ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ » (١) .

\* وتوفي رسول الله ﷺ وهو راضٍ عن أسيد بن حضير ، وأثبت سيدنا أسيد يوم بيعة أبي بكر الصديق بأنه « نِعَمَ الرَّجُلِ » ، فقد وقف موقفاً كريماً دلّ على حصافته من خلاله ، وحسم الأمر فقال مخاطباً الأنصار من قومه : « تعلمون أنّ رسولَ الله ﷺ كان من المهاجرين ، فخليفته إذن ينبغي أن يكون من المهاجرين ، ولقد كُنّا أنصارَ رسولِ الله ﷺ ، وعلينا أن نكون أنصار خليفته » وتمت بيعة الصديق بعد هذه الكلمات الصافية التي تعبر عن الحق والصدق ، وصدق الحبيب المصطفى ﷺ عندما قال : « نعم الرجل أسيد بن حضير » .

= المدينة المنورة على طريق مكة المكرمة ، بينها وبين المدينة تسعة أكيال ، تقع بوادي العقيق عند سفح جبل « عَيْر » الغربي ، ومنها تخرج في البداء تجاه مكة ، وتعرف اليوم باسم « أبار علي » وهي ميقات أهل المدينة ، ومن مرّ بها حاجاً أو معتمراً ، وبها مسجد الشجرة . و« تقنّع » : تغشّى بثوب . و« السابقة » : الخصلة المفضلة إما السعادة وإما البشري بالثواب من الله - عز وجل - ، وإما التوفيق للطاعة . والجمع : سوابق . و« القدم » : أي : سابقة خير ومنزلة رفيعة . و« اهترّ » : تحرك فاستعمله بمعنى الارتياح : أي : ارتاح لعوده حين سعد به ، واستبشر لكرامته على ربّه ؛ وقيل : أراد فرح أهل العرش بموته ، وقيل : هو كناية عن تعظيم شأن وفاته نحو : أظلمت الأرض لموت فلان ، والله تعالى أعلم .

(١) « تحفة الأحوذني بشرح جامع الترمذي » ( ١٠ / ٢٩٦ ) ، حديث رقم : ( ٣٨٨٢ ) . وانظر : « طبقات ابن سعد » ( ٣ / ٦٠٥ ) ، و« الإصابة » ( ١ / ٦٤ ) .

\* كان أسيدٌ - رضي الله عنه - محبوباً في قومه بني عبد الأشهل ، فكان إمامهم ، وقد آتاه الله - عزَّ وجلَّ - صوتاً جميلاً في القرآن ، وصادفَ ذات مرَّة أن ألمَّ به مرضٌ ، واشتكى منه ، ثمَّ خرجَ إلى قومه ، فأمرَّوه أن يتقدَّم فيصليَ بهم ، فقال : « إنِّي لا أستطيعُ أن أقومَ » .

قالوا : « لا يصليَ لنا غيرك ما كنتَ فينا » .

قال : « فإنِّي لا أستطيعُ أن أصليَ قائماً ، فاقعدوا » .

فصليَ بهم قاعداً ، فصلَّوا وراءه قعوداً (١) .

\* ولَمَّا قدمَ سيِّدنا عمرُ بنُ الخطَّاب - رضي الله عنه - الشَّامَ ، قدمَ معه سيِّدنا أسيد ، وشهدَ معه الجابية ، وكان مقدِّماً على رُبع الأنصار ، وشهدَ معه فتَحَ بيت المقدس (٢) .

\* وكانت أمنا عائشةُ - رضوان الله عليها - تكثُرُ من الثَّناء على هذا الصَّحابي الفاضلِ العالِم بقولها : « ثلاثةٌ من الأنصار من بني عبد الأشهل لم يكن أحدٌ يعتدُّ عليهم فضلاً بعد رسولِ الله ﷺ : سعدُ بنُ معاذ ، وأسيدُ بنُ حُضير ، وعبدُ بنُ بشر - رضي الله عنهم - » (٣) .

\* ظلَّ سيِّدنا أسيدٌ مرعيَ الجانبِ في عهدِ الخلافةِ الرَّاشدة ، وكان سيِّدنا عمر - رضي الله عنه - يحبُّه ويجلُّه وينزله من نفسه منزلةَ الأخِ الشَّقِيق ، وأثبت سيِّدنا عمر ذلك عندما توفي أسيدٌ - رضي الله عنه - .

---

(١) « الاستبصار » ( ص : ٢١٦ ) ، و« مختصر تاريخ دمشق » ( ٤ / ٣٩٨ ) مع الجمع والتصرّف .

(٢) « مختصر تاريخ دمشق » ( ٤ / ٣٩١ - ٣٩٢ ) ، و« سير أعلام النبلاء » ( ١ / ٣٤١ ) مع الجمع بينهما .

(٣) « سير أعلام النبلاء » ( ١ / ٣٣٨ - ٣٤٢ ) ، و« الاستبصار » ( ص : ٢١٢ ) ، و« مختصر تاريخ دمشق » ( ٤ / ٣٩٤ ) .

\* أورد ابنُ سعد وغيره لهذا فقالوا ما مفاده : « مات أُسيدُ بنُ حُضَيْرٍ - رضي اللهُ عنه - ، وترك عليه أربعة آلاف درهم ديناً ، فبيعت أرضه ، فقال عمرُ - رضي اللهُ عنه - : أتركُ بني أخي عالةً ؟ ! فردَّ الأرضَ ، وبعثَ إلى غرمائه فقال لهم : هل لكم أنْ تقبضوا كلَّ عام ألفاً ؟ - وكان أُسيدُ قد أوصى إلى سيِّدنا عمر ، فنظرَ في وصيَّته فوجد عليه أربعة آلاف - .

قالوا : نعم يا أميرَ المؤمنين .

فأخروا ذلك ، فكانوا يقبضون في كلِّ عام ألف درهم ؛ إذ باع عمر - رضي اللهُ عنه - ثمرَ نخله أربع سنين بأربعة آلاف ، وقضى دينه « (١) .

\* كانت وفاةُ سيِّدنا أُسيدِ إِبَّانِ الخلافةِ العمريةِ ، قال محمودُ بنُ لبيد : « توفي أُسيدُ بنُ الحُضَيْرِ في شعبانَ سنة عشرين ، فحمله عمرُ بنُ الخطَّابِ بين العمودَيْنِ من بني عبد الأشهل ، حتَّى وضعه في البقيع ، وصلَّى عليه بالبقيع » (٢) .

\* وقيل : « إنَّ سيِّدنا عمرَ - رضي اللهُ عنه - حملَ نعشه بنفسه بين الأربعةِ الأعمدة ، وصلَّى عليه ، وأوصى أُسيدُ إلى عمر » (٣) .

\* رضي اللهُ عن سيِّدنا أُسيدِ ، ذي الرَّأيِ السَّديدِ ، والأمرِ الرَّشيدِ ، وحشرنا في معيَّته إنَّه حميدٌ مجيدٌ .



- 
- (١) « طبقات ابن سعد » ( ٣ / ٦٠٦ ) ، و« أسد الغابة » ( ١ / ١١٣ ) ترجمة رقم : ( ١٧٠ ) ، و« مختصر تاريخ دمشق » ( ٤ / ٣٩٨ ) ، و« سير أعلام النبلاء » ( ١ / ٣٤٢ - ٣٤٣ ) مع الجمع بينها .
- (٢) « طبقات ابن سعد » ( ٣ / ٦٠٦ ) .
- (٣) « الاستبصار » ( ص : ٢١٦ ) ، و« الاستيعاب » ( ١ / ٣٣ ) .



# خَيْبُ بْنُ عَدِيٍّ

رضي الله عنه

- \* محبٌ ودودٌ لسيّد الأنبياء محمّد رسول الله ﷺ .
- \* من خيار الصّحابة القرّاء الفقهاء المخلصين .
- \* قُتِلَ شهيداً بأيدي المشركين ؛ وضرب مثلاً عظيماً في الوفاء .

رَفَعُ  
عبد الرحمن النجدي  
السنة النبوية الفروسية  
www.moswarat.com

## خُبَيْبُ بْنُ عَدِيٍّ رضي الله عنه

### الرَّجُلُ الْمَحَبُّ :

\* انطوى هذا الرجل على الإسلام ؛ لأنه رأى في كنهه حقيقة ذاته ، ولقي في سماحته عناصرَ فطرته ، ووجدَ مع نبيِّه ﷺ النِّجَاةَ ، فتلاشى في محبَّته ، وأخلصَ لدينه إخلاصَ الأصفياء ، فكان من السُّعْدَاءِ ، وكان من القوم الذين هم في طُرُقِ الخيراتِ ساعون ، ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ [ المؤمنون : ٨ ، المعارج : ٣٢ ] .

\* أسلمَ هذا الصَّحَابِيُّ مع غيره من رجال الأنصار الذين يُؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ويؤوون وينصرون بكلِّ تَفَانٍ وجُودٍ وشجاعة ؛ ولا نعلمُ كيف أسلم في البداية ؛ إذ لا تسعُفنا المصادر بمعلومات تَبْلُ الصَّدَى وتروي العُلَّةَ في هذا المضمار .

\* هذا الصَّحَابِيُّ المحبُّ المخلصُ للحبيب المصطفى ﷺ هو خُبَيْبُ بْنُ عَدِيٍّ بن عامر الأنصاريِّ الشَّهِيد<sup>(١)</sup> ، أحد الصَّحَابَةِ الأخيار الأجلَاءِ ، الذين

(١) « الاستبصار » ( ص : ٣٠٥ - ٣٠٧ ) ، و« سير أعلام النبلاء » ( ١ / ٢٤٦ - ٢٤٩ ) ، و« حلية الأولياء » ( ١ / ١١٢ - ١١٤ ) ، و« أسد الغابة » ( ١ / ٥٩٧ - ٥٩٩ ) ترجمة رقم : ( ١٤١٧ ) ، و« الإصابة » ( ١ / ٤١٨ ) ، و« الاستيعاب » ( ١ / ٤٣٠ - ٤٣٤ ) ، و« البداية والنهاية » ( ٤ / ٦٢ - ٦٩ ) ، و« تفسير القرطبي » ( ١١ / ٣٠ - ٣٢ ) ، وغيرها مما لا يحصى .

رسموا أجملَ صور الحبِّ والوفاء ، في تاريخ سيّد الأنبياء ، على صحائف السّيرة الغرّاء .

\* وسيدنا خبيبُ بنُ عديّ - رضي الله عنه - من عليا قبائل الأنصار ، من بني جَحْجَبِيّ ، وهم بطون الأنصار .

\* قال ابن دريد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في « الاشتقاق » : « واشتقاقُ جَحْجَبِيّ من الجحجبة ، وهو التّرْدُد في الشّيء ، والمجيءُ والذهابُ . جَحَجَبَ يَجْحَجِبُ جَحْجَبَةً ؛ ومنهم : خُيبُ بنُ عديّ ، أُسِرَ وقتلته قريش بمكّة وصلبوه . . . . » (١) .

\* قال الفيروزآبادي : « جحجب العدوُّ : أهلكه . وفي الشّيء : تردّد ، وجاء ، وذهب . وجَحَجَبَ : اسم . وجَحْجَبِيّ : حيٌّ من الأنصار » (٢) .

\* وافتتح ابنُ عبد البرِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ترجمته في « الاستيعابِ » بقوله : « خبيبُ بنُ عدي الأنصاريّ الأوسيّ من بني جحجبيّ . . . شهد بدرًا ، وأُسِرَ يوم الرّجيع مع زيد بن الدثنة ، فانطلق المشركون بهما إلى مكّة فباعوهما . . . . » (٣) .

\* من خلال هذه المعلومات ندرك أنّ سيدنا خبيباً كان من مشاهير الصّحابة ، وأعيان الأنصار الأخيار ، وقد سجّل سبقاً ميموناً في ديوان المكارم ، وسماء العظائم .

\* وسيدنا خبيبُ بنُ عديّ - رضي الله عنه - من أهل بدرٍ الذين نالوا السّعادة في الدّارين بإذن الله عزّ وجلّ .

---

(١) « الاشتقاق » (ص : ٤٤١ - ٤٤٢) باختصار .

(٢) « القاموس المحيط » (ص : ٨٤) مادة : « جحجب » .

(٣) « الاستيعاب » (١ / ٤٣٠) بتصرّف يسير .

\* وعن شهوده بدرأ بمعيرة رسول الله ﷺ يقول  
ابن الأثير رحمه الله : « خبيب بن عدي بن مالك . . . الأنصاري الأوسي ، شهد  
بدرأ مع رسول الله ﷺ » (١) .

\* ويوم بدر قاتل سيدنا خبيب - رضي الله عنه - قتالاً شديداً ، حتى  
أصيب بضربة قوية في شقه ، فعالجه رسول الله ﷺ فعوفي بإذن الله تعالى .

\* أخرج هذا الخبر الإمام البيهقي رحمه الله في « دلائل النبوة » بسند رفعه  
إلى ابن إسحاق رحمه الله قال : « أخبرني خبيب بن عبد الرحمن ،  
قال : « ضرب خبيب ؛ يعني ابن عدي يوم بدر ، فمال شقه ، فتفل عليه  
رسول الله ﷺ ولأمه ، وردّه ، فانطبق » (٢) .

### خبيب في بعثة نبوية :

\* كان سيدنا خبيب - رضي الله عنه - أحد رجال الصحابة الأخيار الذين  
نعموا بالإسلام ، فأقبل على المجالس النبوية ينهل من العلوم كل فنّ ونوع ،  
حتى غدا من الصحابة الفقهاء المعلمين ، ولهذا اختاره النبي ﷺ في بعثة  
علمية لإقراء القرآن الكريم ، والتفقه في الدين ، ضمن ثلثة من كبراء المهاجرين  
والأنصار .

(١) « أسد الغابة » ( ١ / ٥٩٧ ) .

(٢) « دلائل النبوة » للبيهقي ( ٣ / ٩٧ - ٩٨ ) ، وهذا الأمر من دلائل النبوة الظاهرة  
للعيان أمام الصحابة الكرام . ومن الكرامات النبوية والدلائل العظيمة التي حدثت يوم  
بدر أنّ سيدنا قتادة بن النعمان الأنصاري - رضي الله عنه - قد أصيبت عينه يوم بدر ،  
فسالت حدقته على وجنته ، فأرادوا أن يقطعوها ، فسألوا رسول الله ﷺ ،  
فقال : « لا » فدعا به فغمز حدقته براحته ، فكان لا يدري أي عينه أصيبت .  
« دلائل النبوة » للبيهقي ( ٣ / ١٠٠ ) ، وكان ابن قتادة ينشد :

أنا ابن الذي سالت على الخد عينه فردت بكف المصطفى أيمارداً

\* ومن العجيب أن سيدنا خبيباً - رضي الله عنه - قد امْتَحِنَ امتحاناً عجيباً في دينه ، فثبت على الحق ثباتاً أدهش قاتليه ، حتّى أسلم معظمهم فيما بعد ، ونعموا بالإسلام كما نِعِمَ هو والصّحابة الكرام من قبلُ ورشدوا .

\* كانت محنة سيدنا خبيب - رضي الله عنه - في بَعث الرّجيع عقب غزوة أحد ، وكان فيه بطولاتٌ فدائيّةٌ باهرة كشفت عنها الشّدائدُ والمحنُ ، وللكّنهَا أقامت بهذه الفدائيّة منائر اليقين والثّبات والارتقاء ، وجعلت كلمة الكفر في عهدِهِ هي السّفلى ، وداست عليه بأقدامها ، ولم تعطها شيئاً من الثّقّة بها ، وهي ترى الموت يحقّها من جميع جوانبها .

\* وقد ظهر في رجال هذا البعث - بعث الرّجيع - من قوّة الحبّ الإيماني لرسول الله ﷺ ، عند أصحابه الذين كانت رقابهم تحت مرهفات السيوف ، وهم ينظرون إلى الموت يسرع نحوهم ليتخطّفهم ، فلا يرضى أيّ واحدٍ منهم أن يُصاب رسولُ الله ﷺ بشوكةٍ يُشَاكها ، وهو ﷺ في مكانه بين أصحابه آمناً مطمئناً ، وَيَنْجُونَ بأنفسهم من الموت المحقّق .

\* والرّجيع <sup>(١)</sup> الذي سُمّي به هذا البعث موضعٌ لهذيل بين مكّة وعسفان بناحية الحجاز ، كانت الوقعة بالقرب منه ، فسُميت به . قال الواقديّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « والرّجيع على ثمانية أميال من عسفان ، وكانت وقعته سنة أربع للهجرة ، على رأس سنّةٍ وثلاثين شهراً منها » . وهذه الوقعة المروعة جاءت من قِبَل القبائل الحجازيّة ، ومن جيران الحرم بالذّات أهل مكّة ، وكان ضحاياها نفرٌ يعدّون عشرة من خيار رجال الصّحابة ، وقد مثل الغادرون بالرّجيع أحطّ ألوان الغدر والخيانة والفجور ، فإلى تفصيل ذلك وبيانه .

### كيف غدرَ المشركون بخبيب ؟

\* قدّم على النّبِيِّ ﷺ رهطٌ من عضلٍ والقارة من الهون بن خزيمة بن

---

(١) « الرّجيع » : هو في الأصل اسمٌ للثّروث ، سُمّي بذلك لاستحالاته . والمراد هنا اسم موضع من بلاد هذيل ، كانت الوقعة بقرب منه ، فسُميت بذلك .

مدركة في شهر صَفَرَ من السَّنَةِ الرَّابِعَةِ من الهجرة ، وتظاهروا أمامه ﷺ بأنهم رضوا بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبه رسولاً ونبيّاً ، ثمّ طلبوا منه ﷺ أن يوفد معهم ثلثة من أصحابه من أهل العلم والفقهِ ، حتّى يعلموهم دين الإسلام ، وقالوا : « يا رسولَ الله ! إن فينا إسلاماً ، فابعث معنا نفرأ من أصحابك يفقهوننا في الدين ، ويقرئونا القرآن ، ويعلموننا شرائع الإسلام » .

\* استجاب الحبيب المصطفى الصادق المصدوق ﷺ لرجبتهم ، وبعث معهم عشرة من خيار صحبه وكانوا سِتَّة من المهاجرين ، وأربعة من الأنصار فيهم سيّدنا خبيب بن عدي - رضي الله عنهم أجمعين - ، وجعل عليهم رئيساً وأميراً سيّدنا عاصم بن ثابت أحد الرّجال الأبطال الرّماة المشهورين في عالم الفروسية والقوّة والرّمي ، وقد صرّع عاصم بنبالة اثنين من حملة لواء قريش في غزوة أحد .

\* غادر خبيب وصحبته الفقهاء القرّاء المدينة مؤدّعين من حبيبه رسول الله ﷺ ، وأنّجّهم جنوباً نحو مكة المكرمة ، وهم يصحبون الخائنين الخصماء الذين وفدوا إلى المدينة التّبويّة متظاهرين بالإسلام وحُسن الأحدوثة ، ولَمّا وصلوا إلى الرّجيع غدر بهم الخائنون الذين تظاهروا بالإسلام ، وطلبوا ابتعائهم من رسول الله ﷺ إلى قومهم ليعلموهم الإسلام .

\* وفي الرّجيع مثلّت قبائل تلك المنطقة من هذيل أسوأ أنواع الغدر ، وأبشع أساليب اللؤم ، وأحقر ألوان الخسة والدّناءة . فبينما كان خبيب وثلثة الصّحابة آمنين مطمئنّين في رحالهم حول الماء ، ومعهم رجالُ الوفد الغادر ، إذا بهلّولاء الرّجال الغادرون يتسلّلون واحداً تلو الآخر من بين خبيب وصحبه ، ثمّ يتّجهون نحو قبيلة هذيل ، فيستصرخونها على رجال المسلمين الآمنين ، طالبين منها أن تشاركها في الغدر بهذا الوفد العلمي والرّجال الفقهاء المسالمين ؛ الذين لم يفكروا مُطلقاً في الحرب أو العدوان على أحد مهما كان شأنه .

\* وممّا يدعو إلى التأمّل أنّ قبيلة هذيل استجابت لداعي الخسة والغدر

المبيّت ؛ إذ لم يرُع خبيب بن عدي ومَن معه من رجالِ البعثة التَّفقيهيّة التي لا يتجاوز عددها العشرة ، إلا الرّجال الغادرون بأيديهم سيوف اللّوم تقطر بالتّدالة ، وقد أحاطوا بالمسلمين من كلّ جانب وقد ارتسمت على وجوههم إمارات الغدر والحقد .

\* ولمّا رأى المؤمنون الفُقهاء ذلك هبّوا مسرعين إلى أسيافهم ليقاتلوهم ويدافعوا عن أنفسهم ، ولكنّ الجبناء الغادرين خافوهم لمّا رأوا شدّة المقاومة ، وضراوة القتال ، وثوران الدّماء في عروق المسلمين ، وطلبوا منهم أن يكفّوا عن القتال ، وعرضوا عليهم الأمان وقالوا : « إنّنا والله لا نريدُ قتلكم ، ولكنّا نريدُ أن نصيبَ بكم شيئاً من أهل مكّة ، ولكم العهدُ والميثاقُ ألا نقتلكم » .

\* نظر خبيبٌ وصحبُه فيما بينهم ، وتدارسوا هذا العرض من المشركين ، فقرّر سبعةٌ منهم أن يقاتلوا المشركين ، وشدّ هؤلاء على الغادرين ، وقاتلوهم قتالَ الأسد الضّواري ، بيد أنّ كثرة الهدليين تغلّبت على هؤلاء الأصفياء ، فكانوا جميعاً في عداد الشّهداء .

\* أمّا الثلاثة الآخرون وهم : خبيبُ بنُ عديّ ، وزيد بن الدّثنة ، وعبد الله بن طارق ، فقد رأوا ألاّ فائدة من مناوشة الغادرين ومقاومتهم ، ووثقوا بالأمان الذي عرضه عليهم الهدليّون ؛ فاستسلموا ، فأسرهم هؤلاء الأفاكون ، وأوثقوهم كتافاً ، ولم يرعوا لهم حرمةً .

\* وبعد أن تمّ للمشركين ما أرادوا من أسرِ خبيب وصاحبيه ، أسرع بهم الهدليّون إلى مكّة لبيعوهم فيها لمشركي قريش ، الذين تعلم هذيل أنّه يسرهم جدّاً أن يقع في أيديهم أمثال هؤلاء الرّجال من أصحاب رسولِ الله ﷺ ، ممّن كان لهم أيادٍ بيضٌ ، وآثارٌ حسّان في غزوتي بدرٍ وأحد .

\* غير أنّ واحداً من هؤلاء الثلاثة ، وهو عبد الله بن طارق البلويّ حليف بني ظفّر ، ندّم لاستسلامه ، فلمّا كانوا بالظّهان انتزعَ يده من القيد ،



وأبى أن يصحبهم ، واختطف سيفاً فقاتل القوم وقال : « إن لي بهؤلاء أسوة » ؛ يعني : الذين قُتِلُوا من أصحابه ، فتكاثر الجبناء حتى قتلوه ولحق بركب أصحابه الشهداء - رضي الله عنهم أجمعين - .

\* وما أجمل أن نأخذَ قسطاً من الأدب ، نشحذُ من خلاله الهمم ، ثم نتابع الرحلة مع سيدنا خبيب - رضي الله عنه - ؛ فلنقرأ التغريدة الآتية :

رَهْطٌ مِنَ الْأَعْرَابِ جَاءُوا لِلْمَدِينَةِ وَافِدِينَ  
لَاقُوا رَسُولَ اللَّهِ قَالُوا قَدْ أَتَيْنَا رَاغِبِينَ  
وَوَرَاءَنَا أَقْوَامُنَا قَدْ أَسْلَمُوا فِي الْمُسْلِمِينَ  
فَابْعَثْ لَنَا نَفَرًا يَكُونُوا لِلْجَمِيعِ مُعَلِّمِينَ  
فَاخْتَارَ خَيْرُ الْخَلْقِ عَشْرًا مِنْ خِيَارِ الْمُؤْمِنِينَ  
كِي يَذْهَبُوا وَيُعَلِّمُوا أَهْلَ الضَّلَالِ الْمَجْرِمِينَ  
وَصَلُّوا إِلَى مَاءِ الرَّجِيعِ عَلَى طَرِيقِ الذَّاهِبِينَ  
الْمُسْلِمُونَ يُرَافِقُونَ لِمَادِرِيهِمْ آمِنِينَ  
وَصَلُّوا هُنَاكَ لِيَسْتَرِيحُوا مِنْ عَنَاءٍ مُتَعِينٍ  
وَإِذَا بَرَفَتْهُمْ تَنَادَوْا فِي هُذَيْلٍ صَارِخِينَ  
فَوَرَأَ أَحَاطُوا بِالرِّجَالِ الْمُسْلِمِينَ النَّائِمِينَ  
قَالُوا لَهُمْ لَا لَا تَخَافُوا وَلِتَكُونُوا آمِنِينَ  
لَسْنَا نَرِيدُ قِتَالَكُمْ نَعْطِيكُمْ الْعَهْدَ الْمَتِينِ  
لَكِنْ نَرِيدُ نَصِيبَ شَيْءٍ مِنْ قَرِيشٍ بَائِعِينَ<sup>(١)</sup>

أَتَحِبُّ مُحَمَّدًا؟

\* كانت رحلة الهذليين إلى مكة رحلة نكدة مليئة بشتى أنواع المتاعب ؛ إذ لم يدخل القوم مكة إلا بأسيرين اثنين هما : خبيب بن عدي ، وزيد بن

(١) « تغريدة السيرة النبوية » ( ٣ / ٩٨ - ١٠٠ ) بتصريف واختصار .

الدثنة ، ولمّا كانت الحالة يوم ذاك بين المدينة ومكّة هي حالة أخذٍ وردّ ، وحربٍ ومناوشة ؛ فقد دلف السُرور إلى زعماء مكّة وأكابر مجرمي المشركين ، وفرحوا بأسر هذين الرّجلين ، وأخذوا في مساومة هذيل لابتياعهما بغية الانتقام من المسلمين بالمدينة بقتلها .

\* ذكر ابنُ سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في « الطَّبقات الكبرى » : بأنَّ صفوانَ بنَ أميّة الجُمحيّ قد اشترى زيدَ بنَ الدثنة ، ثمّ قتله بأبيه أميّة بن خلف الذي قتله المسلمون في غزوة بدر الكبرى ، وأنَّ حجيرَ بنَ أبي إهاب التميمي اشترى خبيبَ بنَ عديّ ، وسلّمه لعقبة بن الحارث بن عامر ليقته بأبيه الذي لقي مصرعه على أيدي المسلمين .

\* فكيف قتل المشركون الأسيرين ؟ وما الخطوات الأخيرة في حياة سيّدنا خبيب بن عديّ ؟ ! حسناً فلنشهد ذلك المشهد النديّ .

\* كانت هذه الأحداث قد تمّت في الأشهر الحُرْم ، وكان مشركو مكّة لا يقتلون أحداً ، ولا يقاتلون أحداً فيها حتّى تنقضي ، لذلك لم يستطيعوا أن ينقذوا حكم القتل في الأسيرين الكريمين خبيب وزيد ، حتّى تنقضي هذه الأشهر التي لا يحلّون فيها سفك الدّماء ولو بأسراهم !!!

\* لهذه الظروف الطّارئة ، ولهذه العقائد الجاهليّة المضطربة المتناقضة ، أودع الأسيران السّجن ، وأخذت قريش تنتظرُ مرور الأشهر الحرم بفارغ الصّبر ، حتّى تثار بزعمها من رجلين أخذاً غدرًا وخيانة من قبائل مناوئة للإسلام ، ونبيّ الإسلام ، ولم تأخذهُما في ساحة الشّرف والجلاد والصّدام .

\* ولمّا انقضت أيام هذه الأشهر قتل مجرمو المشركين أسيريها بطريقة وحشية خسيّة ، في حين أنّ الأسيرين استخفّوا بهم ، وسخروا منهم أشدّ السُّخرية ، وسجّلوا في ديوان الخالدين أوفى آيات الحبّ والفداء للخبيب المحبّ محمّد رسول الله ﷺ .

\* بدأت ساعات الشّهادة تقترب من خبيب وزيد لتنقلهما العناية الإلهيّة

إلى الحياة الحقيقية ، حتّى يُرزقان عند ربّهم في جنّة عرضها السّموات والأرض أعدت للمتّقين ، وكذلك جزاء من عمل بالتّقوى وحظي بالشّهادة في سبيل الله ، ومحبة خالقه - عزّ وجلّ - ، ومحبة رسوله الأمين الحبيب المصطفى ﷺ .

\* ومن عجيب أمر المشركين في أمّ القرى وصفاقة معتقدهم ؛ أنّهم كانوا وقت ذلك لا يستبيحون سفك الدّم داخل حدود الحرم المكيّ ، ولمّا كان أمرهم هذا ، فقد خرجوا بخبيب وزيد إلى ما وراء حدود الحرم في مكان يسمّى « التّنعيم » <sup>(١)</sup> ؛ حيث قُتل الصّحابيّان في سبيل الله عزّ وجلّ .

\* أمّا زيد بن الدثنة ، فقد سلّمه صفوان بن أميّة إلى مملوك له يسمّى : « نسطاس » وأمره بقتله فععل ، وكان ذلك أمام جمع من النّساء والصّبيان والعبيد وبعض كبراء القوم كأبي سفيان بن حرب ، وابنه معاوية ، وسعيد بن عامر الجمحي وغيرهم .

\* أظهر هذان الرّجلان المتألّقان القويّان بالإسلام : حُبيبٌ وزيدٌ - رضي الله عنهما - أشكالاً وسماتٍ من الثّبات على العقيدة لا يقوى عليها إلا الأتقياء المخلصون ، وإلا الأصفياء المحبّون ، وهذا الثّبات الشّجاع جعلهما في أرفع مستويات الصّديقين الصّابرين ، والشّهداء الصّالحين .

\* وإليكم هذه الصّورة المتألّقة والقبسة الإيمانية من زيد بن الدثنة ، فحينما قُدّم للقتل اجتمع رهطٌ من قريش فيهم أبو سفيان ، فقال له ممتحناً وهازئاً بأن واحد : « أنشدك الله يا زيد ، أتحبّ أنّ محمّداً عندنا الآن مكانك تُضربُ عنقه ، وأنت في أهلك ؟ ! » .

---

(١) « التّنعيم » : مكانٌ يقع بين مكّة وسرف ، ومنه عمرة التّنعيم . قالوا : سُمّي بذلك باسم شجر معروف في البادية . وقيل : سُمّي بذلك لأنّ جبلاً عن يمينه يُقال له : نعيم ، وآخر من شماله يقال له : ناعم ؛ والوادي : نَعْمَان . ومنه يحرم المكيّون بالعمرة . وفيه الآن مسجد كبير يسمّى : « مسجد عائشة » وهو من أحياء مكّة القريبة من الحرم .

\* بسرعة البرق الخاطف ؛ والرَّعد القاصف ؛ أجابَ زيدٌ دون تردُّد  
إجابة المؤمن الوفي الصادق : « لا والله ما أحبُّ أنَّ محمَّداً ﷺ الآن في مكانه  
الذي هو فيه تصيبه شوكةٌ تؤذيه ، وأني جالسٌ في أهلي » .

\* كاد أبو سفيان أن يذوبَ أسفاً وغيظاً من هذا الفداء ، وهذه المحبة  
من الأنصار هؤلاء ، وراح يلتفتُ إلى من حوله في دهشٍ وذهول ، ثمَّ  
انبجست شفاته عن كلمة حقٍّ في حقِّ الرِّسول ﷺ فقال : « والله ! ما رأيتُ من  
النَّاس أحداً يحبُّ أحداً ، كحبِّ أصحابِ محمَّدٍ محمَّداً » . وصدق أبو سفيان  
فيما عبَّر عنه بهذه الكلمات الموحيات الموقظات ، فما عرفت البشرية في  
تاريخها الطويل العريض رجالاً يحبُّون أحداً حبَّ الصَّحابة الأبرار ، النَّبيِّ  
المختار ﷺ ؛ إذ إنَّهم بهذه المحبة الصادقة لله - عزَّ وجلَّ - ، ولرسوله ﷺ  
بلغوا السُّها ، ومعارج الكمال ، فكانوا بحقِّ سادة الرِّجال ، وعنوان الجلال ،  
وزينة الأجيال .

\* وبعد ذلك استيقظ أبو سفيان من دهشه وذهوله ، وتقدَّم نسطاس من  
سيِّدنا زيد بن الدثنة - رضي الله عنه - ، واستعدَّ لقتله ، وقبل أن يقتله ، قام  
المشركون بتعذيب سيِّدنا زيد - رضي الله عنه - ؛ إذ أحكموا وثاقه ، واخلولقوا  
يرمونه بالثِّبال ذات اليمين وذات الشمال ، وفي أماكن غير قاتلة ، لعلَّه يثوبُ  
إليهم ، ويُفتنُّ ويرجع عن دينه ، ولكنَّ أنَّى لهم ذلك ، بل ازداد ثباتاً ومضاءً  
عزيمةً ، فقتله نسطاس وهو يهللُ ويكبرُ ويشهدُ أن لا إله إلا الله وأنَّ محمَّداً  
رسولُ الله ، ولم تَلِنْ قناته ، لم ينحرف لسانه بحرفٍ واحد عن الدُّكر  
والحمْد ، ممَّا جعل الكفَّار يشعرون بالكبت ، وتعكَّر عليهم صفو سرورهم  
بالانتقام من زيد - رضي الله عنه - .

### ولستُ أبالي حين أُقتلُ مسلماً :

\* هذه الكلمة التي ملأت سمع الدُّنيا نطق بها خبيبٌ - رضي الله عنه - ،  
وهو في اللحظات الأخيرة من حياته ، فكانت نبزاً لكلِّ محبِّ للخبيب  
المصطفى ﷺ على مدى الأزمان والأعصار .

\* مكث سيّدنا خبيّبٌ أسيراً عند بني الحارث بن عامر بن نوفل ، حتّى إذا أجمعوا على قتله ، استعار موسى من بعض بنات الحارث ليستحدّها بها ، فأعارته ، قالت : « فغفلتُ عن صبيّ لي ، فدرجَ إليه حتّى أتاه ، فوضعه على فخذهِ ، فلمّا رأيتهُ فزعتُ فزعةً عرفَ ذاك منّي ، وفي يده الموسى ، فقال : أتخشين أن أقتله ؟ ما كنتُ لأفعلَ ذاك إن شاء الله » . وكانت تقولُ : « ما رأيتُ أسيراً قط خيراً من خبيّب ، لقد رأيته يأكلُ من قطفِ عنب ، وما بمكّة يومئذ ثمره<sup>(١)</sup> ، وإنّه لموثقٌ في الحديد ، وما كان إلا رزقٌ رزقه الله » .

\* ثمّ خرجوا به من الحرم إلى التّنعيم ليقتلوه ، ويصلبوه ، واحتفل المشركون احتفالاً مشهوداً ، واجتمع عنده نفرٌ من سادات قريش فيهم أبو سفيان بن حرب ، وابنه معاوية وغيرهم ، حضروا لينظروا قتله ، فقبّل أن يقتلوه ، وبعد أن صلبوه على الخشبة استعداداً لطعنه برماح الغدر ، أخذوا يساومونه في دينه ، ويحاولون جاهدين زعزعته عن إيمانه ، فعرضوا عليه أن يُعفوه من القتل إن هو رجع عن دينه ، وإن هو تبرأ من محمّد ﷺ ، وقالوا له : « ارجع عن دينك يا خبيّب ، نُخلّ سبيلك ، وإن لم ترجع قتلناك ، وأذقناك طعم الموت . . . » ، فكان جوابه جواب الصّادقين الصّابرين الذين يستعذبون الموت في سبيل الله - عزّ وجلّ - ، وأفهمهم بشدّة وحزم أنّ قتله في سبيل الله قليلٌ ، وأخذ يكثر من شهادة النّجاة والتّوحيد ، ثمّ رفض هذه المساومة الرّخيصة بعين الازدراء ؛ فثارت ثائرتهم ، وانبعثت أحقادهم ، وأزمعوا قتله .

(١) وإلى هذه الكرامة أشار الشّيبكي رَحِمَهُ اللهُ فِي تَائِيْتِهِ الشّهيرة فقال :

وكم معجزاً أعطى لك الله كأنّما  
كأكل خبيّبٍ موثقاً عبأ ولم  
على يد أصحاب كرام العشيّة  
تكونن أرض الله جاءت بحبّة  
« المجموعة النّهائيّة » ( ١ / ٤٢٩ ) .

\* وقبل أن يقتلوه طلب خبيب من جموع المشركين أن يمهلوه قليلاً وقال : « دعوني أصلي لله - عز وجل - ركعتين » فاستجابوا لرغبته هذه ، وتركوه ، فصلاًهما وأحسنهما وهو غير مبالي بمن حوله من كبراء المجرمين ، ثم أقبل عليهم وقال لهم في هدوء الأصفياء المخلصين : « أما والله لولا أن تظنوا أنني إنما طوّلت جزعاً من القتل ، لاستكثرتُ من الصلوة ، ولزدت . »

\* قال ابن إسحاق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « فكان خبيب بن عدي أول من سنَّ هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين . »

\* بعد أن صلب مجرمو قريش وكفارها خبيباً على الخشبة دعا وهو مصلوبٌ مظلومٌ فقال : « اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك ؛ اللهم إنه ليس أحد هنا يبلغ رسولك عني السلام ، فبلغه أنت عني السلام ، وبلغه ما يُصنع بنا . »

\* نظر المجرمون وأكابر قريش إلى خبيب في شماتة وتشفّ ، فتوجّه خبيب بوجهه إلى السماء وقال : « اللهم أحصهم عدداً ، واقتلهم بديداً ، ولا تغادر منهم أحداً . »

\* ذكر ابن إسحاق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن معاوية بن أبي سفيان أنه كان مع أبيه فيمن حضر مقتل خبيب ؛ قال معاوية : « فلقد رأيتُ أبي - عندما دعا عليهم خبيب - يُلقيني إلى الأرض خوفاً من دعوة خبيب ، وكانوا يعتقدون أنّ الرّجل إذا دُعي عليه ، فاضطجع لجنبه ، زالت عنه . »

\* ثم إن قريشاً دعت أربعين فتى ممن قتل المسلمون آباءهم يوم بدر ، فأعطت كل واحد منهم رمحاً ، وقالت : هذا الذي قتل آباءكم ، فطعنوه بتلك الرّماح حتّى مرّ قوه - رضي الله عنه - ، وكان يقول :

ولستُ أبالي حين أقتل مسلماً      على أيّ شقّ كان في الله مصرعي  
وذلك في ذات الإله وإن يشأ      يُبارك على أوصال شلو مُمزّع

\* ويُقال : إنّ الذي قتل خبيباً هو عقبة بن الحارث ، وكان غلاماً صغيراً ، ولكنّ أبا ميسرة العبدري أخذ الحربة فجعلها في يد عقبة ، ثم أخذ

بيده وبالحرية ، ثم طعنَ خبيباً بها حتى قتله - رضي الله عنه (١) - .

\* وفي السيرة النبوية أخباراً متفرقة مفيدة توضح مقتل سيدنا خبيب واستشهاده ، ومنها ما ذكره ابن إسحاق رحمته الله أن خبيباً قال حين بلغه أن القوم قد أجمعوا لصلبه :

لقد جمَعَ الأحزابُ حولي وألبوا  
وكلُّهم مُبدي العداوةَ جاهدُ  
وقد قرَّبوا أبناءهم ونساءهم  
إلى الله أشكو غرْبتي بعد كُرْبتي  
فذا العرشُ صبرني على ما يُرادُ بي  
وقد خيروني الكفرَ والموتُ دونَه  
وما بي حذارِ الموتِ إنِّي لميِّتُ  
ولستُ أبالي حين أقتل مسلماً  
وذلك في ذاتِ الإلهِ وإنْ يشأُ  
فلسْتُ بمبيدٍ للعدو تخشعاً

قبائلهم واستجمعوا كلَّ مجمع  
عليّ لأنِّي في وثاقٍ بمضيق  
وقرَّبتُ من جذعٍ طويلٍ ممنع  
وما أُرصدُ الأحزابُ لي عند مصرعي  
فقد بضَعُوا لحمي وقد يأسَ مطمعي  
فقد ذرَفْتُ عيناي من غيرِ مجزع  
ولكن حذارِ جحَمِ نارٍ ملقَّع  
على أيِّ شقٍ كان في الله مصرعي  
يُباركُ على أوصالٍ شلوٍ ممزَع  
ولا جزعاً إنِّي إلى الله مرجعي (٢)

(١) انظر : « فتح الباري » ( ٧ / ٤٣٧ - ٤٤٥ ) ، و « الاستبصار » ( ص : ٣٠٥ - ٣٠٧ ) ، و « حلية الأولياء » ( ١ / ١١٢ - ١١٤ ) ، و « الاستيعاب » ( ١ / ٤٣٠ - ٤٣٤ ) مع الجمع والتصرف فيما بينها . وانظر : « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ١٦٩ - ١٧٧ ) .

(٢) « السيرة النبوية » ( ٢ / ١٧٦ ) ، و « دلائل النبوة » للبيهقي ( ٣ / ٣٢٨ - ٣٢٩ ) ، وقال ابن هشام رحمته الله : « وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها له » . وهو كما قال إذ إنَّ الصنعة بادية على معظم الأبيات ، وهناك بعض الأبيات قوية جزلة ، بينما نجد بعضها الآخر يعترها الضعف والركاكة . وقوله « جمَّع » : مثل جمَّع ، والتشديد للمبالغة . و « ألبوا » جمعوا . و « استجمعوا » : تجمَّعوا من كل صوب . و « أُرصد » : أعد . و « بضَعُوا » : قطعوا . و « يأس » : لغة في يشس ؛ والمعنى : انقطع أملِي . و « ذرَفْتُ » : سألت . و « مجزع » : خوف وحزن . و « ملقَّع » : مشتمل عام ، =

\* وجاء عند المقرئزي رَضِيَ اللهُ فِي « إِمْتَاعِ الْأَسْمَاعِ » بَعْضَ التَّفَاصِيلِ  
وَالْأَحْدَاثِ الْمَفِيدَةِ عَنْ اسْتِشْهَادِ سَيِّدِنَا حُبَيْبٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - ، فَكَانَ مِمَّا  
أَمْتَعْنَا بِهِ قَوْلُهُ : « . . . ثُمَّ أَوْثَقُوهُ رِبَاطًا ، وَقَالُوا : ارْجِعْ عَنِ الْإِسْلَامِ وَنَخْلِي  
سَبِيلَكَ .

فَقَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاللَّهُ مَا أَحْبُّهُ أَتَيْتُ رَجَعْتُ عَنِ الْإِسْلَامِ ، وَإِنَّ لِي  
مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا !

قَالُوا : فَتَحَبَّبَ أَنْ مُحَمَّدًا فِي مَكَانِكَ ، وَأَنْتَ جَالِسٌ فِي بَيْتِكَ ؟  
فَقَالَ : وَاللَّهِ ! مَا أَحْبُّ أَنْ يُشَاكَ مُحَمَّدٌ شَوْكَةً ، وَإِنِّي جَالِسٌ فِي بَيْتِي .  
فَجَعَلُوا يَقُولُونَ : يَا حُبَيْبُ ! ارْجِعْ .

قَالَ : لَا أَرْجِعُ أَبَدًا .

قَالُوا : أَمَا وَاللَّاتِ وَالْعَزَّى ، لئن لم تفعل لنقتلنك !  
قَالَ : إِنَّ قَتْلِي فِي اللَّهِ لَقَلِيلٌ .

فَجَعَلُوا وَجْهَهُ مِنْ حَيْثُ جَاءَ . فَقَالَ : مَا صَرَفُكُمْ وَجْهِي عَنِ الْقِبْلَةِ ؟

ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ ! إِنِّي لَا أَرَى إِلَّا وَجْهَ عَدُوِّ ، اللَّهُمَّ ! لَيْسَ هُنَا أَحَدٌ يَبْلُغُ  
رَسُولِكَ عَنِّي السَّلَامَ ، فَبَلِّغْهُ أَنْتَ عَنِّي السَّلَامَ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ جَالِسٌ مَعَ أَصْحَابِهِ ، وَقَدْ أَخَذَتْهُ  
غَمِيَّةٌ - غَشِيَّةٌ - : « وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ » .

ثُمَّ قَالَ : « هَذَا جَبْرِيلُ يُقَرِّئُنِي مِنْ حُبَيْبِ السَّلَامِ » .

ثُمَّ أَحْضَرُوا أَبْنَاءَ مَنْ قُتِلَ بِبَدْرٍ - وَهُمْ أَرْبَعُونَ غَلَامًا - فَأَعْطَوْا كُلَّ غَلَامٍ  
رِمْحًا ، فَطَعَنُوهُ بِرِمَاحِهِمْ ، فَاضْطَرَبَ عَلَى الْخَشْبَةِ ، وَقَدْ رَفَعُوهُ عَلَيْهَا ،

---

= مَأْخُودٌ مِنْ لَفْعَتِكَ النَّارِ ؛ أَي : شَمَلْتِكَ مِنْ نَوَاحِيكَ وَأَصَابَكَ لَهْبُهَا .  
و« تَخْشَعًا » : تَذَلُّلًا .



وانفلت ، فصار وجهه إلى الكعبة (١) ، فقال : الحمد لله ، قطعنه أبو سروعة - واسمه : عقبة بن الحارث بن عامر بن عبد مناف بن قصي - بحربة حتى أخرجها من ظهره ، فمكث ساعةً يوحد ويشهد أن محمداً رسولُ الله ، ثم مات - رضي الله عنه « (٢) - .

\* استشهد سيدنا خبيب - رضي الله عنه - بعد أن ترك آثاراً وضيئاً في جبين الأيام ، مات خبيب مية الشهداء ، ومما لفت انتباهي في سيرة خبيب - رضي الله عنه - أن قاتليه وساجنيه قد أسلموا ونعموا بدين الله كما كان ينعم هو في نعيم الإسلام . فقد أسلم أبو سفيان ، ومعاوية ، وعقبة بن الحارث ، وماوية (٣) التي سُجن في بيتها ، وسعيد بن عامر الجمحي ،

(١) ذكر القيرواني رَضِيَ اللهُ فِي « حَلِي الْعَلِي » : أَنَّ خَبِيباً - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - لَمَّا قُتِلَ جَعَلُوا وَجْهَهُ إِلَى غَيْرِ الْقِبْلَةِ ، فَوَجَدُوهُ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ ، فَأَدَارُوهُ مَرَاراً ، ثُمَّ عَجَزُوا فَتْرَكُوهُ . « الإصابة » ( ١ / ٤١٨ ) .

(٢) « إمتاع الأسماع » ( ١ / ١٧٧ ) .

(٣) قال الواقدي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ مَآوِيَةَ : « وَكَانَتْ مَآوِيَةَ قَدْ أَسْلَمَتْ بَعْدُ فَحَسَنَ إِسْلَامُهَا ، وَكَانَتْ تَقُولُ : وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا خَيْرًا مِنْ خَبِيبٍ ، وَاللَّهِ لَقَدْ أَطْلَعْتُ عَلَيْهِ مِنْ صَيْرٍ - شَقٍ - الْبَابِ وَإِنَّهُ لَفِي الْحَدِيدِ ، مَا أَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ حَبَّةَ عَنَبٍ تُؤْكَلُ ، وَإِنَّ فِي يَدِهِ لِقُطْفَ عَنَبٍ مِثْلَ رَأْسِ الرَّجُلِ يَأْكُلُ مِنْهُ ، وَمَا هُوَ إِلَّا رِزْقُ رِزْقِهِ اللَّهُ ، وَكَانَ خَبِيبٌ يَتَهَجَّدُ بِالْقُرْآنِ ، وَكَانَ يَسْمَعُهُ النِّسَاءُ فَيَبْكِينَ ، وَيَرْفِقْنَ عَلَيْهِ . فَقُلْتُ لَهُ : يَا خَبِيبُ هَلْ لَكَ مِنْ حَاجَةٍ ؟

قال : لا ، إلا أن تسقيني العذب ، ولا تطعميني ما ذبح على الثُّصْبِ ، وتخبريني إذا أرادوا قتلي .

فلما انسلخت الأشهر الحرم ، وأجمعوا على قتله ، أتيتُه فأخبرته ، فوالله ما رأيته أكثر لذلك ، وقال : ابعتي لي بحديدة أستصلح بها . فبعثت إليه موسى مع ابني أبي حسين ، فلما ولي الغلام قلت : أدرك والله الرجل ثأره ؛ أي شيء صنعتُ ؟ بعثت هذا الغلام بهذه الحديدية ، فيقتله ويقول : رجلٌ =

وغيرهم ممَّن شهد مقتله - رضي الله عنه - ؛ ولعلَّ في الأمر سرّاً لم ندرك حقيقته ، فقد أسلمَ قاتلوه<sup>(١)</sup> ، وتركوا آثاراً طيبةً في تاريخ رجالات الإسلام ، وفتحوا الدُّنيا بعلمهم وشجاعتهم ، وصاروا من خيار الصَّحابة ، ومن قادة الأمم ، ومن أمراء المؤمنين ، ومن أئمة الزَّاهدين ، وربُّك يخلق ما يشاء ويختار ، بيده كلُّ شيء ؛ ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [البروج : ١٤ - ١٦] .

\* وقبل أن نودِّعَ هذه الفقرة ، ما أجمل أن نعيش في أجواء هذه الهمسات التي تداعبُ الوجدان ، وهي تتحدَّثُ عن مقتل سيِّدنا خبيب شهيداً :

هَذَا خَبِيبٌ آخِرُ الْقَتْلَى بِأَيْدِي الْمَشْرِكِينَ  
 مَاوِيَّةُ تَرْوِي لِقِصَّةَ قَتْلِهِ لِلْسَّائِلِينَ  
 تَرْوِي الرِّوَايَةَ بَعْدَ أَنْ دَانَتْ بِيَدَيْنِ الْمُسْلِمِينَ  
 قَالَتْ خَبِيبٌ كَانَ عِنْدِي إِنَّهُ نِعْمَ السَّجِينِ  
 أَبْصَرْتُ عِنَباً عِنْدَهُ فِي غَيْرِ وَقْتِ الْقَاطِفِينَ  
 قَالَتْ لَقَدْ عَلِمَ السَّجِينُ بِقَرَبِ غَدْرِ الْغَادِرِينَ

برجل ، فلمَّا أتاه ابني بالحديده ، تناولها منه ، ثمَّ قال مازحاً له : وأبيك إنَّك لجريءٌ ! أما خشيتُ أمَّك غدري حين بعثت معك بحديده وأنتم تريدون قتلي ؟ قالت ماوية : وأنا أسمعُ ذلك فقلتُ : يا خُبيبُ ! إنَّما أمنتُك بأمان الله ، وأعطيتُك بالهك ، ولم أعطك لتقتل ابني .

فقال خبيبٌ : ما كنتُ لأقتله ، وما نستحلُّ في ديننا الغدر . . . » .  
 « المغازي » ( ١ / ٣٥٧ - ٣٥٨ ) .

(١) من الجدير بالذكر أنَّ قاتلي سيِّدنا حمزة بن عبد المطلب - رضي الله عنه - ، أو ممَّن شهد مقتله قد أسلموا أيضاً ومنهم : جبير بن مطعم ، وحشي بن حرب ، هند بنت عتبة وغيرهم . والله في خلقه شؤون يخلق ما يشاء ويختار .

قد قال هاتي شفرة إن شئت خيراً تفعلين  
 كي أستحدّ إلى الممات وألتقي بالخالدين  
 أعطيته ما قد أرادَ وكنتُ في ألمٍ دفين  
 وبحثّ عن ولدي الصّغير وكان طفلاً لا يبين  
 فوجدته في حجره فشقتُ شهقة خائفين  
 لمّا رأني قد جزعتُ فقال قول المتّقين  
 ما كنتُ أفعلُ ما ظننتُ فذاكم الفعل المشين  
 لمّا أرادوا قتله صلّى صلاةً موذّعين  
 بعد الصّلاة إذا به نادى إله العالمين  
 يا ربّ بلّغ للنّبيّ بأنّنا في الصّادقين  
 وامحُق بسيف الحقّ كلّ الحاضرين الظّالمين<sup>(١)</sup>

### من فوائد السّيرة الخبيّية :

\* في سيرة سيّدنا خبيب - رضي الله عنه - فوائد ومواقف وعظائم ينتفع  
 بها المحبّون السّائرون على طريق الصّحابة الكرام من المهاجرين  
 والأنصار - رضي الله عنهم - .

\* من الأمور المهمّة والفوائد المجموعة التي نستفيد منها من خلال  
 السّيرة الخبيّية المباركة :

أولاً : استحباب الاستعداد قبيل الموت ، ووجوب المحافظة على هذه  
 السّنة النبويّة ، والنّظافة أثناء الحياة ؛ إذ إنّ سيّدنا خبيباً - رضي الله عنه - حين  
 علِمَ دنوّ الأجل ، وعزّم القوم على قتله ، حرص على الاستعداد

(١) « تغريدة السّيرة النبويّة » ( ٣ / ١٠٦ ) . و « ماويّة » : اسم المرأة التي سُجِنَ سيّدنا  
 خبيب في بيتها . و « في غير وقت القاطنين » : في غير موعد فاكهة العنب .  
 و « بقرب غدر الغادرين » : علم بموعد قتلهم له . و « كي أستحد » : يحلق عاتته .  
 و « صلاة المودعين » : استأذنتهم في أن يصلي ركعتين لله فأذنوا له .

ليلقى الله - عزَّ وجلَّ - على السُّنَّة ؛ إذ إنَّ الاستحدادَ من سنن الفطرة الخمس التي ينبغي على المسلم ألا يتركها أكثر من أربعين يوماً ، وهي كما قال الصادق المصدوق عليه السلام : « خمسٌ من الفطرة : الختان ، والاستحداد ، وتقليم الأظافر ، ونتف الإبط ، وقصَّ الشَّارب » <sup>(١)</sup> . ففي « صحيح مسلم » عن سيِّدنا أنس - رضي الله عنه - قال : « وُقِّتَ لنا في قصِّ الشَّارب ، وتقليم الأظافر ، ونتف الإبط ، وحلق العانة ألا نترك أكثر من أربعين ليلة » <sup>(٢)</sup> . وفي هذا تذكير لمن لا يلتفت إلى السنن المهمَّة ، التي هي من خصال الفطرة .

ثانياً : إنَّ المسلم لا يغدر بأحد ، وإن قدرَ على ذلك ، بل لا يقتل طفلاً ، ولا امرأة ، ولا أعزل لم يقاتل ، وهذا ما صنعه سيِّدنا خبيب مع الصَّبي ؛ فلما استعار موسى لحي يستحذَّ خافت أم الصبي أن يذبحه خبيبٌ بالموسى ، فطمأنها بأن لن يفعلَ ذلك إن شاء الله ؛ لأنَّ من شيمته الوفاء لا الغدر ، مع علمها علمَ اليقين أنَّ خبيباً قادمٌ على الموت ، وبوسعه أن يترك في حياة القوم نكبةً وجراحةً مؤلمة قبل أن يفارق الحياة الدُّنيا ، وقد كان امثالُ أمرِ الله - عزَّ وجلَّ - ، وامثالُ أمرِ رسولِ الله صلى الله عليه وآله عنده أجلٌّ وأعلى من مغنم الدُّنيا كلها ، ومن حبِّ النَّفسِ للتَّشْفِي من الظُّلم والثَّار منه ، فهو يدرك معنى قوله - عزَّ وجلَّ - : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْدُوا إِلَيْكُمْ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة : ١٩٠] . لا ريب في أنَّ موقفَ سيِّدنا خبيب - عليه سحابات الرُّضوان - موقفٌ نبيلٌ يدلُّ على سمو الرُّوح ورفيها ، وصفاء النَّفسِ وسموها ، كما يدلُّ على التزامه بمنهج الإسلام وتعاليمه ، فالصَّبيُّ لا ذنبَ له ، ولا يُؤخذ بجريرة أهله ، قال ربُّنا - عزَّ وجلَّ - : ﴿ وَلَا نُزِرْ وَأَرْزُ وَرَزَّ آخَرَى ﴾ [الإسراء : ١٥] . إنَّه ينبوعُ الوفاء الحُبِّيِّ يتشربه النَّاسُ ممَّن غدرَ بهم ، فالاستقامةُ والوفاءُ طبيعةُ سلوكِ المسلم في الشِّدة والرِّخاء .

(١) « صحيح الجامع » برقم : ( ٣٢٤٥ ) نقلاً عن « صحيح مسلم » برقم : ( ٢٥٧ ) .

(٢) « صحيح مسلم » برقم : ( ٢٥٨ ) .

ثالثاً : إنّ حبّ رجال عصر النُّبوة للنَّبِيِّ ﷺ حبٌّ متميّز ، وحبٌّ صافٍ جعلهم يضحّون بأنفسهم وألا يُصاب ﷺ بشوكة يُشاكها ، ولم تكن محبّتهم لمصلحةٍ شخصيّةٍ ، وإنّما كانت لإعزاز دين الله ، وحراسته ، وإعلاء كلمته في جميع المواقف والأحوال ؛ وهذا الحبُّ الصادق انتزع إعجاب أبي سفيان يوم أن كان مشركاً فقال قولة حقّ ووضوح ظاهرين : « والله ! ما رأيتُ من النَّاسِ أحداً يحبُّ أحداً كحبِّ أصحابِ محمَّدٍ محمّداً » .

رابعاً : من الفوائد القيّمة المجموعة التي وافتنا بها السيرة الخبيبيّة الأنيقة الميمونة : استحبابُ صلاة ركعتين لله - عزّ وجلّ - قبل الموت عند القتل ، وهذا ما قام به سيّدنا خبيب وصنّعه أمامَ الجمهور الوثنيّ المتحلّق حول مصرعه ، وكان خبيبٌ أوّلَ من سنَّ الرّكعتين عند القتل .

خامساً : إنّ سيّدنا وحبیبنا رسول الله ﷺ أرسله الله - عزّ وجلّ - رحمةً للعالمين ، وهو يُوحى إليه ، ولا يعلمُ الغيبَ إلا ما أذن الله له به ، فلو كان ﷺ يعلمُ الغيب لما أرسل خبيباً وصحبه إلى الرّجيع ليلقوا مصرعهم .

سادساً : كان لسيّدنا خبيب مكانةٌ كبرى في نفس رسول الله ﷺ ، ونفوس أصحابه الكرام - رضي الله عنهم - ، على أن حادثة الرّجيع جعلت من المسلمين رجالاً لا يفتُّ في عضدهم غدر الهذليين ، ولا خيانة المشركين ، بل واصلوا المسير في الدّعوة إلى الله - عزّ وجلّ - ، وخدمة دينه الحنيف ؛ إذ إنّ الدّعواتِ دون تضحيات لا تؤدّي الغرض .

\* إنّ حادثة الرّجيع تضعُ نُصبُ أعيننا نماذج من التّضحيات المتألّقة التي قدّمها خبيب وزيد وعاصم وصحبهم ، من أجل مرضاة ربّهم ورضوانه ، فالسّعادةُ الحقيقيّة لها ثمنٌ ، وثمنها دمٌ طاهرٌ يُراق في سبيلِ الله ، من أجل تحقيق شرعه ومنهاجه ، وتثبيت معالم دينه على الأرض لصالح العباد .

خبيبٌ في ضمائر المؤمنين :

\* حفظ الله - عزّ وجلّ - سيّدنا خبيباً حياً وميتاً ، وحفظ جسمه من عبث

المشركين ، وأبقى ذكره خالداً في قلوب المؤمنين المحييين .

\* وذكر أبو يوسف رحمته الله في كتاب « اللطائف » ، عن الضحاک : أنَّ النَّبِيَّ صلوات الله عليه أرسل المقداد والرُّبَيْر في إنزال خبيب عن خشبته ، فوصلا إلى التَّنْعِيم ، فوجدا حوله أربعين رجلاً نشاوى - سُكَارَى - فأنزلاه ، فحمله الرُّبَيْر على فرسه وهو رطبٌ لم يتغيَّر منه شيء ؛ فنَدِرَ بهم المشركون ، فلمَّا لحقوهم قذفه الرُّبَيْر ، فابتلعتة الأرض ، فسَمِّي بليع الأرض <sup>(١)</sup> .

\* وروي عن عمرو بن أمية الضمري - رضي الله عنه - قال : « بعثني رسولُ الله صلوات الله عليه إلى خبيب بن عدي لأنزله من الخشبة ، فصعدت خشبته ليلاً ، فقطعتُ عنه ، وألقيته ، فسمعتُ وجبةً خلفي ، فالتفتُ فلم أر شيئاً <sup>(٢)</sup> .

\* ولم تخلُ ضمائر شعراء الرسول صلوات الله عليه من ومضاتٍ ولمحاتٍ في تصوير مكانة خبيب - رضي الله عنه - ، فهذا سيّدنا حسان بن ثابت الأنصاري - رضي الله عنه - يرثي خبيباً وأصحاب الرجيع بعدة قصائد من وجدانه ، ولنستمع إلى هذه الأثبات الموجهة التي تأسّف من خلالها على الشهيد خبيب :

ما بال عينك لا ترقاً مدامعها      سحاً على الصدر مثل اللؤلؤ القلق  
على خبيب وفي الرحمن مصرعه      لا فشل حين تلقاه ولا نرزق  
فاذهب خبيب جزاك الله طيبةً      وجنة الخلد عند الحور في الرفق  
ماذا تقولون إن قال النبي لكم      حين الملائكة الأبرار في الأفق

(١) « الإصابة » ( ١ / ٤١٨ ) .

(٢) « الاستيعاب » ( ١ / ٤٣٤ ) ، و « الاستبصار » ( ص : ٣٠٧ ) ، وروى عمرو بن أمية الضمري أيضاً : أنَّ النَّبِيَّ صلوات الله عليه بعثه عيناً وحده إلى قريش ، وقال : « فجئت إلى خشبة خبيب - رضي الله عنه - وأنا أتخوف العيون ، فرقيتُ فيها ، فحللتُ خبيباً ، فوقع إلى الأرض ، فانتبذتُ - اعتزلتُ - ثم التفتُ ، فلم أر خبيباً ، ولكأنما ابتلعتة الأرض ، فلم يُر لخبيب أثر حتى الساعة » .

فيمَ قتلتم شهيدَ الله في رجلٍ      طاغٍ قد اوعث في البلدان والطرق<sup>(١)</sup>  
\* وقال يرثي خبيباً أيضاً ويصورُ مصرعه ، ويذكر مآله :

لو كان في الدار قومٌ ذو محافظة      حامي الحقيقة ماصٍ حاله أنسُ  
إذا حلت خيبٌ منزلاً فُسحاً      ولم يُشدَّ عليك الكبلُ والحرسُ  
ولم يسُقك إلى التنعيم زغنفةً      من المعاشر ممَّن قد نَفَتْ عُدُسُ  
صبراً خيبٌ فإنَّ القتلَ مكرمةً      إلى جنانِ نعيمٍ يرجعُ النَّفسُ  
دَلوكُ غدرأ وهم فيها ألو خُلفِ      وأنتَ ضيمٌ لها في الدارِ مُحْتَبَسُ<sup>(٢)</sup>

\* وفي مرثية تفيضُ بالصدق ، يذكرُ سيّدنا حسنَ صفات سيّدنا خيب  
ومكانه فيقول من أبياتٍ منها :

يا عينُ جودي بدمعٍ منكٍ منسكبٍ      وابكي خبيباً مع الغادين لم يَؤبِ  
صقراً توسّط في الأنصار منصبه      حلو السّجّية محضاً غير مؤتشب<sup>(٣)</sup>

\* وهناك مراتٍ كثيرة لسيّدنا حسنَ ملأَتْ ثنايا ديوانه ، وأردان كتب  
السّيرة النبويّة ، وكتب التّراجم والطّبقات ، وقد ألمنا بشيءٍ منها يبرزُ مكانة  
سيّدنا خيب في نفوس محبيه من معاصريه .

\* وقد سرّت هذه المكانةُ إلى نفوس المحبّين في عصرنا الحاضر ، فقد  
صاغ ( أحمد محرّم ) في ديوان « مجد الإسلام » قصّة سيّدنا خيب ، ونمّقها  
بطريقة جميلة ؛ في قصيدة طويلةٍ نقتطفُ منها هذه الأبيات التي تصوّرُ مراحلَ  
أسره ومقتله مع زيد :

خيبٌ في يَدَي جافٍ شديدٍ      يُعدّبُ في أداهمه الثّقالِ  
وزيدٌ عند جبارٍ عنيدٍ      يَضُوبُ عليه مُختلفَ النّكالِ

(١) « ديوان حسن بن ثابت » ( ١ / ٢١٣ ) طبعة دار صادر - بيروت .

(٢) « ديوان حسن » ( ١ / ٢٢٧ ) .

(٣) « ديوان حسن بن ثابت » ( ١ / ٣٧٠ ) .

بأنَّ الحادِثاتِ إلى زوالِ  
يَكشُرُ عن نواجِذِ الطَّوالِ  
من العَبَقِ المُقدِّسِ ما يُوالي  
رفيعَ الشَّانِ ممتنعِ المنالِ  
أناكَ بغيرِ كَدٍّ أو سؤالِ  
عميمِ الجودِ فياضِ النَّوالِ  
على حَمْدِ يدومِ مدى الليالي  
أفِي سِحْرِ تَقَلُّبِ أم خيالِ  
بمكَّةَ يا لها عِظَّةَ ويا لي  
له بين الأسارى من مثالِ  
سيوفِ القومِ مُحدَثةِ الصِّقالِ  
وإنَّ الرُّكْبَ أَدَنَ بارتحالِ  
لمثلِكَ عنده حُسنُ المآلِ  
مكائنِكَ ساءَ ذلكِ مِنْ مقالِ  
تشكُّ صميمِها صُمُّ العوالي  
به وبك الضُّعافِ من الموالي  
وخذنِكَ في التَّقَدُّمِ والصِّيالِ  
فَمَنْ أُولَى بخوفِ وابتِهالِ  
وإنَّ المجرمينَ لَفِي وَبَالِ  
وماذا بعدَ مرتبةِ الكَمالِ<sup>(١)</sup>

يزيدُهُما البلاءُ هَدَى وعلماً  
يروحُ الموتُ حولَهُما ويغدو  
وذكُرُ اللهُ مَتَّصِلٌ يُوالي  
هنيئاً يا خبيبُ بلغتَ شأواً  
ملأتَ يديكَ من رزقِ كريمِ  
تنزَّلَ من لدنِ ربِّ رحيمِ  
كُلِّ العنَبِ الجَنِيِّ وزدُهُ حمداً  
تقولُ الحارثيَّةُ ما لِعيني  
أرى عنباً وما من ذاكِ شيءٍ  
ويا لكِ من أسيرٍ ما علمنا  
أتى الأجلُ الذي انتظروا وهذي  
ألا إنَّ الصَّلاةَ لَحَيَّرُ زادِ  
تزوَّدُ يا خبيبُ وثقُ بربِّ  
أترضى أن ترى خيرَ البرايا  
تبيعُ بشوكةٍ تُؤذيه نفساً  
همو قتلوكِ مصلوباً وأغرَّوا  
رفيقك في التَّجلُّدِ والتَّأسي  
أنعتزلانِ دينِ اللهِ خوفاً  
معاًذُ اللهُ إنَّ اللهُ حَقُّ  
كمالِ النَّفسِ إيمانٌ وتقوى

\* وهناك أدبياتٌ كثيرةٌ منشورةٌ في المصادرِ المتخصِّصة ، تسردُ للأجيالِ  
قصةَ سيِّدنا خبيب - رضي اللهُ عنه - .

(١) « ديوان مجد الإسلام » (ص : ٢٥٥ - ٢٥٨) بانتقاء . وقوله  
« أداهمه » : الأدهم : القيود ، و« صمّ العوالي » : الرِّمَّاح الصَّلبة المتينة .  
و« الصِّيال » : التَّجلُّد والتَّأسي والصَّلاة والصَّبْر . و« الوبال » : سوء العاقبة .



\* وستبقى مكانة سيدنا خبيب هي هي أو قريبة من هي ، ستبقى محبته ماثلة في النفوس إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ولعلّ القراء الأعزّاء يحبّون سيرة هذا الصّحابي المحبّ للنبي ﷺ ، فيسمّون أبناءهم وأحبّابهم باسمه ، ويكثّون أطفالهم به .

\* إنّ الكتابة عن سيدنا خبيب بن عديّ خصبة ممرعة ، نوذ أن نعيش معها وقتاً أكثر ، ولكنّ شوقنا لقراءة قصّة صحابي آخر ، ينتظرنا في الصّفحات الآتية ، في الباب الثالث ؛ فرضي الله عن خبيب بن عديّ المصلوب ، الثّابت الصّابر في ذات الله المحبوب (١) . فاجمعنا اللهم به في مستقرّ رحمتك يا علامّ الغيوب ، وألهمنا الاستغفار والذكر قبل طلوع الشّمس وقبل الغروب .



---

(١) « حلية الأولياء » ( ١ / ١١٢ ) .

رَفَعُ  
عبد الرحمن النجدي  
أسكنها الفردوس  
[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

## البَابُ الثَّالِثُ

# رجالُ أسلموا عامَ الفتح

- \* أبو العاص بن الربيع رضي الله عنه .
- \* جُبَيْر بن مطعم رضي الله عنه .
- \* حكيم بن حزام رضي الله عنه .
- \* سُهيل بن عمرو رضي الله عنه .
- \* صفوان بن أمية رضي الله عنه .

رَفَعُ  
عبد الرحمن البجاري  
أسكنم الله الفردوس  
[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

## أبو العاص بن الربيع

رضي الله عنه

- \* صَهْرُ النَّبِيِّ ﷺ ؛ وَزَوْجُ ابْنَتِهِ زَيْنَبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .
- \* قَالَ عَنْهُ ﷺ : « حَدَّثَنِي فَصَدَّقَنِي وَوَعَدَنِي فَوَفَّى لِي » .
- \* لَهُ أَخْبَارٌ تَدُلُّ عَلَى شَهَامَتِهِ ؛ وَتُوفِيَ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ .

رَفَعُ  
عبد الرحمن البخاري  
أسكنه الله الفردوس  
[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

## أبو العاص بن الربيع

رضي الله عنه

الصَّهْرُ الْأَمِينُ :

\* يَتَّصِلُ هَذَا الرَّجُلُ بِسَبَبٍ وَنَسَبٍ مَعَ الْبَيْتِ النَّبَوِيِّ الطَّاهِرِ ، فَهُوَ ابْنُ أُخْتِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أُمَّنَا خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ؛ زَوْجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأُمِّ أَوْلَادِهِ .

\* وَهَذَا الرَّجُلُ هُوَ زَوْجُ ابْنَةِ الصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، السَّيِّدَةِ زَيْنَبَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا - ، فَكَانَ مِنْ أَكْرَمِ النَّاسِ وَفَاءً فِي عَشْرَةِ الزَّوْجِيَّةِ ، فَهَلْ عَرَفْتُمْ مَنْ هُوَ ؟ !

\* إِنَّهُ أَبُو الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ بْنِ عَبْدِ الْعَزْزِيِّ الْقُرَشِيِّ الْعَبْشَمِيِّ <sup>(١)</sup> ، صَهْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَزَوْجُ بِنْتِهِ زَيْنَبَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - ، وَهُوَ وَالِدُ أَمَامَةِ الَّتِي كَانَ يَحْمِلُهَا النَّبِيُّ ﷺ فِي صَلَاتِهِ . وَاسْمُ أَبِي الْعَاصِ : لَقِيْطُ ، وَقِيلَ : الْقَاسِمُ ، وَقِيلَ : مِهْشَمٌ ، بِيَدِ أَنْتَهَ اشْتَهَرَ بِكُنْيَتِهِ .

---

(١) « مختصر تاريخ دمشق » ( ٢٩ / ٤٢ - ٤٨ ) ، و« سير أعلام النبلاء » ( ١ / ٣٣٠ - ٣٣٤ ) ، و« نسب قریش » ( ص : ٢٣٠ - ٢٣١ ) ، و« الاستيعاب » ( ٣ / ١٢٥ - ١٢٩ ) ، و« الإصابة » ( ٣ / ١٢١ - ١٢٢ ) ، و« أسد الغابة » ( ٥ / ١٨٥ - ١٨٦ ) رقم : ( ٦٠٣٥ ) ، و« البداية والنهاية » ( ٦ / ٣٥٤ ) ، و« السيرة النبوية » انظر : ( الفهارس ) ، وغيرها كثير .

\* وُلِدَ أبو العاص في مَكَّةَ المَكْرَمَةِ ، ونشأ في بيئَةٍ كريمة الأعراف من عُلَيَّا بيئات قريش حسباً ونسباً ومكانةً ، ولعلَّه كان يتردّد إلى بيتِ خالته خديجةَ - رضي اللهُ عنها - ، فعرفَ من خلال ذلك أخبار البيت النَّبَوِيِّ ، وعرفَ محمّداً ﷺ ، فكان يكرُّ له كلَّ احترام وودِّ وتقدير .

\* كانت السَّعادة تخفقُ في جنّات البيت المحمّديّ ، فخديجةُ - رضي اللهُ عنها - تحيطُ بناتها بعطفها ، وتنظرُ نظرةً إكبار إلى زوجها محمّدٍ ﷺ الذي أفاضَ على بيته كنوز حنانه ، وينابيع رفقته ، كان الرّوجان ينظران إلى ابنتهما زينبَ نظرةً حبِّ ورعايةٍ ، فقد بلغت مبلغ النِّساء ، فكانت أعرق بنات قريش وعبد المطلب حسباً ونسباً ، وأكرمهنَّ أمّاً وأباً ، وأزكاهنَّ خُلُقاً وأدباً .

\* في هذه الأثناء كان ابنُ خالتها أبو العاص قد فاقَ شبابَ قريش جمالاً وكمالاً ومكانةً ، فقد تلقّف عن قومه التّجارةَ ، وغدا من أكابر التّجار المعروفين الذين يأتئمُّهم النَّاس على أموالهم حتّى لقبوه « الأمين » ؛ فكانت أمواله تغدو وتروح في الشّتاء والصّيف إلى بلاد اليمن ، وبلاد الشّام .

\* ومن خلال الأسفار والمعاملات التّجاريّة ، أمسى أبو العاص ذا خصالٍ محمودة ، وشمائل كريمةٍ ، من مروءةٍ ووفاءٍ وأمانةٍ ، بالإضافة إلى حسبه الموروث ، وراثته المبتوث .

\* لم يغب عن بالِ سيّدتنا خديجةَ - رضي اللهُ عنها - أنّ أبا العاص له منزلةٌ كبرى في نفسها ، بل إنّها كانت تنزلهُ منزلةً الولد من أمّه ، وتفسحُ له من قلبها مكاناً رحباً ينزلُ فيه على السَّعة والودِّ ؛ وكذلك كان الحبيب المصطفى ﷺ يحبُّ أبا العاص ، وينزلهُ من نفسه منزلةً كريمةً ، ويضمُرُّ له الاحترامَ ، ويكرُّ له الوداد .

\* وذات يوم من أيّام مَكَّةَ الهادئةِ ، كان الكونُ قد كساها هدوءاً جميلاً لفَّ سماءها ، وغازل بطحاءها ، وكانت الشَّمسُ باعثةً أشعتها الذهبيةً تداعبُ



أجواءها ، وكانت الأنسامُ تنسابُ بلطفٍ قرب البيتِ العتيق ، فتجعلُ النفوسَ تتفتحُ تفتحُ الزَّهر الغافي بين أوراقِ الوزدِ المنديِّ بالرَّحيق ؛ في هذا الجوِّ الجميل الذي يتضوَّع بالعطر ، ويتثنى بالسَّحر ، ويختالُ بالجمال ، ويخطرُ بالدَّلال ؛ أقبلت هالةُ بنتُ خويلدِ على دارِ أختها خديجةَ - رضي اللهُ عنها - ، فلمَّا رأت زينبَ ضمَّتْها إلى صدرها في حبٍّ وشوق ، وقبَّلَتْها في ودٍّ وحنان ، وسرَّتْ في قلبِ هالةِ مشاعرُ الأنسِ وهي تحوي بنتَ أختها في أحضانها ، ثمَّ التقتْ أختها خديجةَ فهشَّتْ لها ، وخلَّتْ بها ، فأفضتْ إليها بما جاءَتْ من أجله ، وقالت لها : « إنَّ ابني أبا العاصِ يرغبُ في زواجِ ابنتك زينب » .

\* ظهرت علاماتُ الشُّرورِ على وجهِ خديجةَ ، وأقبلت على أختها في ودٍّ وألفة ، وسرعان ما طافت قسماً وجهِ أبي العاصِ في ذاكرتها ، ولاحَتْ شخصيَّتهُ الأنيقةُ أمامها ، فابنُ أختها أبو العاصِ بن الرِّبيعِ كان يغشى بيتها ؛ إذا ما هفتُ روحُه إلى لقاءِ خالته ، وكانت تحنو عليه وترعاه ، وإنَّها لأُمينةٌ ميمونةٌ أن تزوجَ زينبَ ابنِ خالتها ، وأن تنتقلَ إلى رحابِ بيته ، غيرَ أنَّ خديجةَ - رضوانُ اللهُ عليها - على الرِّغمِ من حبِّها لأختها وابنِ أختها ، وموافقتها وترحيبها بهذه المصاهرةِ الودودِ ، التمسَتْ من أختها أن تنتظرها أن تفسحَ لها في المدَّةِ قليلاً ، حتَّى تستأذِنَ زوجها محمَّداً ﷺ ، وتشاوره في أمرِ هذه المصاهرةِ النبيلةِ .

\* قامت خديجةُ - رضي اللهُ عنها - ، ثمَّ جاءت محمَّداً ﷺ تمشي على استحياءٍ ممزوجٍ بالأدبِ والوقارِ والاحترام ، كانت أساريها تنبئُ بخبرِ سارٍّ ، فعرفَ ﷺ البشْرَ في وجهها ، ولمسَ الصِّفاءَ في أعماقها ، فهشَّ في وجهها بابتسامَةٍ لطيفةٍ تنطقُ بالوفاء ، فحيَّتهُ وقالت له : « إنَّ أختي هالةُ جاءت تخطبُ ابنتنا زينبَ لابنها أبي العاصِ » ، فأكثرَ ﷺ الثناءَ على أبي العاصِ ، ورَحَّبَ به صهراً كريماً للأسرةِ المحمَّديَّةِ ، ثمَّ توجَّهَ إلى حيث كانت ابنته زينبَ وأخبرها في عطفِ أبويٍّ ؛ وحنانِ محمَّديٍّ ؛ بأنَّ ابنَ خالتها أبا العاصِ بن الرِّبيعِ العبشميِّ قد جاءَ يخطبُها . فأغضت زينبَ حياءً ومهابةً - وإنَّ تلالاً البشْرِ في

وجهها وأشرقت عيناها قبل أن تسبلَ عليهما جفونها - والتفتَ ﷺ إلى زوجها خديجةَ وأبأها بموافقته ؛ إذ إنَّ سكوتَ ابنته زينب إشارةً رضاها عن زواجها من أبي العاص .

\* أقبل أبو العاص بن الربيع في سادات قومه ، وسادات آخرين من عبد شمس ، وهاشم ، وأسَد ، وأشرفِ قريش ، وغصَّ البيتُ المحمديُّ بهؤلاء ، وساد الفرخُ والشُرور جميع الحاضرين ، وباركوا الزَّواجَ الميمون ، والصَّهر الطَّيِّب ، ثمَّ انصرفوا إلى شئونهم وقد مضتْ سحابةُ النَّهار .

\* لملَمَ النَّهارُ أطرافَه وودَّعَ الكونَ وهو يمشي الهوينى ، وغابت الشَّمسُ وراء الأفق تاركةً حنانها على أمِّ القرى ، فأقبل الليلُ ييسطُ سدوله ويُرخيها على الدُّنيا ، وإذ ذاك حملَ أبو العاص بنُ الرَّبيعِ زينبَ - رضي اللهُ عنها - إلى داره ، وأبوها يرقبُها ويُرْجي إليها النَّصائحَ ، وأمُّها ترنو إليها وتوصيها ، وفي عينيها دموعُ الحبِّ ، وفي قلبها خفقاتُ الفرخ ، وفي ضميرها دعواتُ التَّوفيق ، كان الأبوان الكريمان بجوارحهما كلِّها ، وعواطفهما كاملة يرجوان أن تكونَ المودَّةُ حليفَ هذا الزَّواج .

\* كانت الأسرةُ المحمَّديَّةُ الطَّاهرةُ تحيا حياةً ناعمةً بعيدةً كلَّ البعد عمَّا يثيرُ القلقَ والاضطرابَ ، وكان سيِّدنا محمَّدٌ رسولُ اللهِ ﷺ - قبل نزول الوحي - ؛ يبغي وجهَ اللهِ - عزَّ وجلَّ - ، ويحسُّ في أعماقه بسعادةٍ تغمرُ كيانه ، سعادةً روحيةً تتلاشى جيالها لذاتِ الدُّنيا كلِّها ؛ وكانت السيِّدةُ الحصيْفَةُ اللَّمَّاحَةُ الذَّكِيَّةُ خديجةُ - رضوان اللهُ عليها - ترقبُه عن كُتُبٍ في سرورٍ غامر ، فجميعُ أحواله ﷺ تؤكِّدُ لها أنَّه الموعودُ بالنبوةِ التي تسري أنسامها ، وتغرَّدُ همساتها في هاتيك البقاع الطَّاهرة ؛ لذلك كانت متلهِّفةً لذلك الحَدَثِ الكبيرِ الجليلِ ، فأفعالُ زوجها تدلُّ على أنَّه الهادي البشير ، وإنَّ ثقتها بذلك ليست مستمَّدةً من أحلامها ومشاعرها وفرادتها فَحَسْبُ ، بل إنَّ مكارمَ أخلاقِ زوجها ، وانقطاعه لمناجاةِ اللهِ - عزَّ وجلَّ - في الغدو والآصال ، لا يمكنُ أن تكونَ وليدةَ المصادفةِ والهواية ، وإنَّما هي إلهامٌ إلهيٌّ ، وكشفٌ ربَّانيٌّ .

\* كان قلبه الشريف ﷺ متعرّضاً لنفحاتِ رحمةِ الله - عزَّ وجلَّ - ، فاستقرَّ فيه العلمُ والحكمة ، والرَّهْدُ والورع ، والتَّقْوَى والحياء ، والشَّجَاعَةُ والسَّخَاءُ ، والصَّبْرُ والحلمُ ، والاحتمالُ والعفو ، والثَّبَاتُ والثُّبُل ، والشَّهَامَةُ والوقار ، وكانت مرأةً نفسِه تزدادُ كلَّ يومٍ جلاءً وإشراقاً ، وتفيضُ نوراً وضياءً ، حتَّى يتلألأ في قلبه جلية الحقِّ ، وينكشفَ فيه حقيقة الأمر . فقد كان ﷺ يتلقَى علمَه من ربِّه بالإلهام ، والتَّنْقِثِ في الرُّوع ، وكان كلما أشرق قلبه بالتُّور اجتهد أكثر وأكثر ليورثه علم ما لم يعلم ، إلى أن اختصَّه الله بالنبوة ، وأنزل عليه الوحي ، فأمن به من آمن ، وأعرض عنه من أعرض ، وبدأت مرحلة الإنذار والتبليغ .

### أبو العاص ومطلعُ التُّور :

\* أشرقت مكةٌ والدُّنيا بالتُّور الإلهيِّ الأسنى ، وبعث اللهُ - عزَّ وجلَّ - نبيَّه محمّداً ﷺ بالهدى والدين الأسمى ، وأمره أن يندَر عشيرته الأقربين ، فكان أوَّل مَنْ آمَن به واستجابَ لدعوته زوجةُ الطَّاهرة خديجة بنتُ خويلد - رضي اللهُ عنها - ، وبناتُ الطَّاهرات : زينبُ ، ورقيةُ ، وأمُّ كلثوم ، وفاطمة - رضي اللهُ عنهنَّ - ، فقد كانت بناتُه في قرنٍ واحدٍ مع أمهنَّ - رضي اللهُ عنهنَّ أجمعين - .

\* أسلمت زينبُ وآمنت بالله ربّاً واحداً لا شريك له ، وبمحمّدٍ ﷺ نبياً ورسولاً ، وعلمَ زوجها أبو العاص بذلك ، فلم يظهر شيئاً ، ولم تدر منه بادرةٌ سوءٍ نحو إسلامها ، غير أنَّه لم يستجب للإسلام في أوَّل الأمر ، ولم يكن من السَّابِقين إلى ظلالِ دوحته كغيره من العبشميين . وظلَّ أبو العاص يخصُّ زوجته زينبَ بصافي الوداد ، ويحترمها ويحترمُ أباهَا رسولَ الله ﷺ ، وأمَّها خديجة - رضي اللهُ عنها - ، ولم يتغيَّر قلبُه على أحدٍ من البيت المحمّديِّ الطَّاهر .

\* أفاد ابنُ عساکر رَحِمَهُ اللهُ : بأنَّ أبا العاص لم يفارق يثوبَ الصَّفَاءِ

المحمّديّ فقال : « كان أبو العاص بن الربيع أخاً لرسولِ الله ﷺ ، مُصافياً له . وكان يُقال لأبي العاص : الأمين ، وكان رسولُ الله ﷺ يكثرُ غُشيان أبي العاص في منزلِ أمّه هالة بنتِ خُوَيْلد » (١) .

\* كان رسولُ الله ﷺ يحمدهُ ويقولُ عنه : « ما ذمنا صهراً أبي العاص » (٢) ، وأثنى عليه ، وقال عنه : « حدّثني فصدقني ، ووعدني فوفى لي » (٣) .

\* كان أبو العاص يعرفُ معرفةَ الموقنين ، ما اشتَهَرَ به رسولُ الله ﷺ ؛ من مكارم الأخلاق ، معرفةَ مخالطةٍ لم يصلُ إليها أحدٌ غيرهُ من غيرِ أفرادِ أسرة رسولِ الله ﷺ الخاصّة التي تعيشُ في كنفه ورعايته .

\* ولَمَّا بُعِثَ رسولُ الله ﷺ ؛ عرفَ أبو العاص ما كان يدعو إليه ﷺ من الهدى والخير والتّوحيد والصّفاء ، وطرح الشّرك والوثنيّة وخلع الأنداد والشركاء ، بيّد أنّه كان في شُغْلٍ عن الاستجابة إلى الإيمان بما يدعو إليه الصّادق المصدوق ﷺ ، وآمنت زوجته السيّدة زينبُ مع أمّها وأخواتها في أوّل مَنْ آمَنَ بدعوة الإسلام ، ولم يسبقهنَّ أحدٌ إلى الإيمان بالله - عزَّ وجلَّ - ، وبمحمّدٍ ﷺ ، فكنَّ طليعةَ السّابقات إلى مطلع الثّور ، وينبوع الرّسالة ، وغيثِ الهداية ، ومعدن الثّرور .

\* رأى أبو العاص بن الربيع أنّ الدّعوة إلى الله - عزَّ وجلَّ - قد اشتدّت ساعدُها ، وازدادَ مَنْ يلبّي نداءها ، ويستعذبُ أنداءها ، ويستنشقُ هواءها ، وشهدَ مع ذلك عداوةَ قريش ، وإمعانها في مقاومة الدّعوة بكلِّ ما تملكُ من

(١) « مختصر تاريخ دمشق » ( ٢٩ / ٤٣ ) .

(٢) المصدر السّابق ( ٢٩ / ٤٤ ) .

(٣) المصدر السّابق عينه . والحديث أخرجه البخاريُّ برقم : ( ٣٧٢٩ ) ، ومسلم برقم : ( ٢٤٤٩ ) .

طغيان وقوّة وإيذاء للحبيب المصطفى ﷺ ، ولأصحابه الذين سارعوا إلى الإيمان به ، وبدعوته هداية ونوراً ونجاحاً ، وبطريقته فوزاً ونجاةً وفلاحاً .

\* كان أبو العاص يرى هذا كله ، فلم يقاوم الدّعوة قطّ ، بل إنّ تاريخ مقاومة الدّعوة الإسلاميّة لم يسجل لأبي العاص موقفاً ، أو إشارةً ، أو همساً ، أو حرفاً شارك فيه قومه في هذه المقاومة بأي لون من ألوانها ، وقد كفّ يده ولسانه عن أصحاب الصّادق الأمين ﷺ ، بل إنهم لم يروا منه إلا كل خير وودّ ومحبةً ، وشغلة ماله وتجارته وحيأؤه من رسول الله ﷺ عن مواقف المعارضة والشّراسة القرشيّة في مقاومة الدّعوة إلى الله - عزّ وجلّ - ، واكتفى شطر رجال قريش من أبي العاص أن يكون المضارب لهم في تجارتهم ؛ إذ إنّه يحمل إليهم في رحلاته الموسميّة أرباحاً طائلةً ، وأمواً كثيرةً ، يقول ابن الأثير رحمه الله : « وكان أبو العاص مصاحباً لرسول الله ﷺ مُصافياً ، وكان قد أبى أن يطلق زينب بنت رسول الله ﷺ لَمَّا أمره المشركون أن يطلقها ، فشكر له رسول الله ﷺ ذلك » (١) .

(١) « أسد الغابة » ( ٥ / ١٨٥ ) ترجمة رقم : ( ٦٠٣٥ ) . ونقل ابن عساكر رحمه الله عن ابن إسحاق رحمه الله قوله فيما يخصُّ أبا العاص بن الرّبيع - رضي الله عنه - فقال : « وكان أبو العاص من رجال مكة المعدودين مالاً وأمانةً وتجارةً ؛ وكانت خديجة - رضي الله عنها - خالته ، فقالت خديجة لرسول الله ﷺ : زوّجهُ . وكان رسول الله ﷺ لا يُخالفها ، وذلك قبل أن ينزل عليه الوحي ، فزوّجه . فلمّا أكرم الله رسوله ﷺ بنبوته ، آمنت به خديجة وبناته - رضي الله عنهنّ - ، وكان رسول الله ﷺ قد زوّج عتبة بن أبي لهب رقيّة أو أمّ كلثوم ، فلمّا بادى قريشاً بأمر الله ، قالوا : إنكم قد فرغتم محمّداً من بناته ، فردوهنّ عليه ، فأشغلوه بهنّ ؛ فمشوا إلى أبي العاص فقالوا : فارق صاحبتك ، ونحن نزوّجك أيّ امرأةٍ من قريش .

فقال : لا ، ها الله ، لا أفارق صاحبتني ، وما أحبُّ أن لي بامرأتي امرأةٍ من قريش . ثمّ مشوا إلى الفاسق عتبة بن أبي لهب ، فقالوا : طلق ابنة محمّد ، ونحن نزوّجك أيّ امرأةٍ شئت من قريش .

\* ولكنَّ الأحداثَ الجسيمةَ التي تعصفُ بالمجتمعِ القرشيِّ لم تتركْ أبا العاصِ بنَ الرِّبيعِ بعيداً عن ثورانِها وضغطِها واحتوائِها ، فقد شَبَّتْ نارُ العداوةِ واشتدَّتْ ما بين رسولِ الله ﷺ وأصحابه وبين قريش ، وهاجر رجالٌ كثيرون ونساءٌ مؤمناتٌ كثيراتٌ إلى أرضِ الحبشة ، وتوالى الأزماتُ والمِحْنُ على الحبيبِ المصطفى ﷺ وعلى الذين بقوا معه من أصحابه ، وظلُّوا معتصمين بالصَّبرِ والرِّضا بما ينالهم من العذابِ والبلاءِ في سبيلِ الحرصِ على دينهم ، وعلى عقيدتهم حتَّى أذنَ اللهُ - عزَّ وجلَّ - بالفرجِ المنتظرِ ، حيث قدمت وفودُ الأنصارِ إلى أمِّ القرى ، ومن ثمَّ أسلمُوا وبايعُوا رسولَ الله ﷺ على أن يمنعوه وأصحابه إذا ما هاجرَ إليهم .

\* جاء الإذنُ الإلهيُّ بالهجرةِ إلى المدينةِ المنورةِ ، فانطلقَ إليها الصَّحابةُ الكرامُ ، ثمَّ لحقَ بهم مرَّيِّبهم سيِّدنا رسولُ الله ﷺ ، وامتزجَ المهاجرون بالأنصارِ في مؤاخاةٍ فريدةٍ في دنيا التَّكافلِ ، وجعلتِ المجتمعَ المسلمَ قوَّةً أربعَتْ قريشاً ، وأخذتْ عليهم ما قُرِبَ وبعُدَ ، وجعلتهم في غيِّهم يتردَّدون .

### الأسيرُ المُسالَمُ :

\* أصبح رجالُ الصَّحابةِ - رضي اللهُ عنهم - في المدينةِ النَّبويَّةِ آمنين من الظُّلمِ الذي كان يمسُّهم في مكَّةَ من فجرةِ أهلِ الشُّركِ والكُفْرِ . وقد غدا المسلمون : مهاجروهم وأنصارهم شجَّاً في حلاقيمِ المشركين ، فأصبحوا يقفون لهم رصداً ، يصدِّون عيراتهم وهي تحملُ أموالهم غاديةً رائحةً ، إلى أن

فقال : إن زوّجتموني بنتَ أبان بن سعيد بن العاص ، أو بنتَ سعيد بن العاص فارتقتها ، فزوّجوه بنتَ سعيد بن العاص ، ففارقها ، ولم يكن دخلَ بها ، وأخرجها اللهُ من يديه كرامةً لها ، وهواناً عليه ، وخلفَ عليها عثمانُ بنُ عفَّان - رضي اللهُ عنه - . « مختصر تاريخ دمشق » ( ٢٩ / ٤٥ ) .

خرج الحبيب المصطفى ﷺ وأصحابه لملاقاة عيرات قريش ، وأعظمها أموالاً<sup>(١)</sup> ، يقودها أبو سفيان بن حرب من الشام ، ولكنَّ أبا سفيان نجا بالغير ، وأخبر المشركين بالخطر الذي كاد يحدقُ بهم وبتجارتهم وأموالهم لولا أنَّه أحسَّ بالخطر ، فأحسن التدبير ونجا ؛ فتعبأت قريشُ لقتال المسلمين بعددها وعدتها ، وجمعت قواها الماديَّة ، واستوعبت كلَّ ما تقدَّر عليه من عدَّة قتالية .

\* اجتمع الفريقان عند ماء بدرٍ ، وراح المؤمنون والمشركون يقتتلون ، وفي هذه الأثناء العصبية واللحظات الخطرة كان أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله ﷺ في الجيش القرشيِّ الباغي ، إنَّه لم يخرج بمحض إرادته ، بل خرج كارهاً القتال ، كارهاً عناد المسلمين ومخاصمتهم ، ولكنَّ فرعون الأمة أبا جهل أخذ يزخرف لقريش الخروج ، ويوسوس في صدورهم ، ويغريهم بقتال المسلمين ، وأخذ يدفعهم دفعا إلى خوض غمار المعركة ، فسأل أبو العاص حسامه وهو يودُّ ألا يلتقي مصافيه وحبيبه رسول الله ﷺ ، فكم مرَّة زاره في بيت خالته خديجة قبل أن يتزوَّج زينب ، وكم مرَّة ألقى إليه سمعه ولبَّه وأعجب بمنطقه وحسن خلقه ؛ وما أكثر ما اجتمع به بعد زواج ابنته زينب ، وكان له خير أسوة لولا ذلك الدِّين الذي لم يألفه من قبل ، ولكنَّه لم يحاربه .

\* التقى الجمعان ، ودارت رحى الحرب في شراسة فاجرة ، وأحقاد دفينه تعبأت لها حشود الكفر والغرور الأحمق ، وفي فدائية إيمانية تعبأت لها

(١) تذكر المصادر المتنوعة بأنَّ هذه القافلة قد استوعبت أموالاً كثيرة ، فقد كانت العيرُ ألفَ بعير ، وكان فيها أموالٌ عظامٌ ، لم يبقَ بمكَّة قرشيٌّ ولا قرشيَّة له مثقالُ فضاعداً إلاَّ بعثَ به في العير ، حتَّى إنَّ المرأة لتبعثُ بالشَّيء الثَّافه ، وإنَّ أكثر ما فيها من المالِ لآلِ سعيد بن العاص لأبي أحيحة ، إمَّا مالٌ لهم ، أو مالٌ مع قومٍ قراض على النَّصف . وكان لبني مخزوم فيها مئتا بعير وخمسة آلاف مثقال ذهباً ، وللحارث بن نوفل فيها ألفا مثقال ، وإنَّ في القافلة لخمسين ألف دينار ؛ والله تعالى أعلم .

القلّة المؤمنة من جند المجتمع المسلم مستهدفة إعلاء كلمة الله - عزّ وجلّ - التي أرسل بها رسوله محمّداً ﷺ ، ليخرج النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ، واشتدَّ وجيبُ القتال ، وما هي إلا جولة حقّ من رجالِ النَّبِيِّ ﷺ ، حتّى خفقت ألوِيَةُ النَّصْرِ وراياتُهُ على رؤوس المؤمنين الصّابرين ، ورفرفت أعلامُ الظّفر فوق هامات المجتمع المسلم المتحلّق حول الحبيب المصطفى ﷺ يفديه بكلّ شيء . وحلّت الهزيمة المنكرة بطغاة الكفر من أعيان المشركين وكُبارهم ، فقتلَ اللهُ - عزّ وجلّ - صناديدهم بأيدي مَنْ كانوا بالأمس القريب الذّاهب من المستضعفين ، وألقى أشرافهم بأيديهم في صغار وذلة أسرى يقودهم مولى من موالى الصّادق المصدوق ﷺ ، ويسوقهم الرّعب من ورائه ، ليسمعوا قضاء النَّبِيِّ ﷺ بهم .

\* كان سيّدنا أبو العاص بن الرّبيع صهر رسول الله ﷺ من بين الأسرى الذين لم يُسمع لهم في المعركة صوتٌ ، ولم يعرف لهم رأيٌ ، ولا شوهدت لهم في القتال جولة .

\* سار النَّبِيُّ ﷺ وأصحابه متّجهين نحو المدينة ليدخلوها ومعهم الأسرى مقرّنين في الجبال ، وكان أبو العاص بن الرّبيع مُستأسراً مع رهط من الأنصار الأخيار ، أسرهُ عبد الله بن جبير الأنصاري ؛ فكانوا إذا أكلوا آثروه بالخبز ، وتناولوا التّمر ، حتّى إنّ الرّجل لَتَقَعُ في يده الكسرة فيدفعها إليه ، وإذا ما ساروا كانوا يحملونه ويمشون ، وكانوا يكرمونه بكلّ سبيل يقدرون عليه ، ويستطيعون عمله .

\* أخذ أبو العاص يتأمّل في هذه المعاملة المونقة اللطيفة ، ويفكّر في كنه هذا الدّين الذي جاء به من عند الله ؛ رسول الله ﷺ ، فهو لا ريب دينٌ قويمٌ قيّم ، إنّه قد خبر الأوس والخزرج وعرفهم قبل أن يعتنقوا هذا الدّين ، إنهم لم يكونوا على مثل هذه الأخلاق الفاضلة والمعاملة النّبيّة ؛ إنّ الذي لقنهم معجزة الإسلام لهو رجلٌ عظيمُ القدر ، جليلُ المكانة ، إنّه رسولُ الله ﷺ الذي ربّاهم وأصفاهم الودّ والعلم ، فأتت ثماره أكلها في



سنواتٍ معدوداتٍ لا تتجاوز عدَّ أصابع كَفِّ اليد . وجعل أبو العاص مستمراً في مثل هذه الأفكار النَّيرة ، وينقاد إلى عقله السَّليم المبرراً عن الأهواء ، فإذا بفؤاده يميلُ إلى الدِّين الحنيف القِيَم الذي يدعو إلى مكارم الأخلاق ومحاسنها .

\* شرد بأبي العاص تفكيره إلى الأمس القريب ، وقاده خياله إلى تلك الأيام الصَّافية التي كان رسولُ الله ﷺ يدعو خلالها في مَكَّة إلى الله - عزَّ وجلَّ - ، وإلى عبادته ووجدانيته ، وتذكَّر أنَّ ساداتٍ من قريش أتوا يُهرعون إليه ويقولون : « ويحك أبا العاص ! فارق صاحبك بنتَ محمَّد ، ونحن نزوجك أيَّ امرأةٍ تشاء من بناتِ قريش » . فكان يقولُ بأنفاسٍ صادقة ، ونبراتٍ حازمة ، وكلماتٍ وفيَّة ، « لاها الله ! لا أفارقُ صاحبتي ، وما أحبُّ أن لي امرأةً من قريش » .

\* أبى هذا الوفيُّ أن يفارقَ بنتَ الحبيب ﷺ زينب - رضي الله عنها - ، أبى أشدَّ ما يكون الإباء ، أن يطلقها وإن كانت على غير دينه ، وها هو ذا الآن سعيدٌ حتَّى وإن كان أسيراً بين يدي رسولِ الله ﷺ ، سعيدٌ ؛ لأنَّه لم يطلقها ، فهي لم تجنِ ذنباً ، ولم تفسد حياته الرُّوجيَّة بقولٍ أو فعلٍ أو حتَّى إشارة ؛ إنَّه يحبُّ زينب ويجلُّ أباه ، وإنَّ أباه رسولُ الله ﷺ إذا ذكر أبا العاص فإنَّه يشني عليه خيراً ؛ وإنَّ حقيقة ما يدعو إليه ﷺ بدأت تتجلَّى لبصيرته وبصره ، ولولا خشيتُه من أن يُقالَ في مَكَّة : إنَّ أبا العاص لم يسلم إلا خوف القتل أو خيفة الأسر ؛ لأعلنَ على ملئهم شهادة التَّوحيد وكلمة النِّجاة : أشهدُ أن لا إله إلا الله وأنَّ محمَّداً رسولُ الله .

\* إنَّ خيالَ أبي العاص ينتقلُ من صورةٍ إلى صورة ، ومن مكانٍ إلى آخر ، ومن شخصيَّةٍ إلى أخرى ، وها هو ذا خياله الآن يقفزُ به قفزةً فريدةً إلى مَكَّة المكرمة ، إلى الرُّحاب الطَّاهرة والبيتِ العتيق ، إلى حيثُ غادر أليفته زينب - رضي الله عنها - ليقاتلَ الحبيبَ الأليفَ رسولَ الله ﷺ ، ويقاتلَ أصحابه المسالمين ، وكان هو مع سفهاء قومه الذين لا يكادون يفقهون الحقَّ ، وإنَّهم عنه لمعرضون .

\* إنَّه لم يفكّر في مشاعر زوجته زينب وهو في غمرة الأحداث ، وطيش الحماس ، أما الآن فهو أسيرٌ منطلقٌ مع الأسرى السبعين إلى المدينة النبويّة الأمنة ، فهو يحسُّ الآن حقيقة عواطفها ، وكيفيّة مشاعرها ، إنَّها مشتتة الميول بينها وبين أبيها رسول الله ﷺ ، ولعلَّه قد استولى عليها خوفٌ واضطرابٌ أن تُصاب في أحدهما ، فهو على ثقة تامّة من أنّها توّده وتحبّه ، ولا شك في عظم محبتها وإكبارها وإجلالها لأبيها ﷺ ، لكنَّه حمّد الله على الحالة التي بات عليها الآن ، ولسان حاله يقول : « لك الله يا زينب الوفاء والصّفاء والتّقاء ، ليت أحداً يحملُ إليك أبا العاص زوجك بين يدي أبي رقيق ورسول رؤوف رحيم ، ليسكنَ قلق نفسك ، وينجلي خوف قلبك ، وينزل بك أمنٌ وسكينةٌ إلى حين » .

\* وصل الأسرى إلى المدينة المنورة ، وقضى فيهم رسول الله ﷺ بقضائه الذي أنزل الله عليه وحياً يتلى في قوله - عزّ وجلّ - : ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَتَخْتَمُوا فَشُدُّوا الْوَتَاكَ فَمَا مَبْدُ وَإِمَّا فِدَاءٌ ﴾ [ محمد : ٤ ] ، ولم يكن القتلُ لمن أسر مشروعاٌ إلا لمن عظم كفره وطغيانه ، وعتا في فجوره عتواً حجب عنه التّوبة بالإيمان ، كالذي كان من النّضر بن الحارث (١) ، وعقبة بن أبي معيط (٢) اللذين أمر رسول الله ﷺ بقتلهما صبراً فقيلاً .

### الفداء العجيبُ :

\* كان القضاء النبويُّ في الأسرى قضاءً ذا حكمة بالغة ؛ إذ إنَّ في هذا

(١) اقرأ سيرة هذا الفاجر أحد شياطين الفجور في كتابنا : « المبشرون بالنار » ( ص : ٣٣٢ - ٣٤٩ ) تجد كثيراً من الفوائد والأمور المهمّة التي تتعلق بالسيرة النبويّة .

(٢) اقرأ سيرة عقبة بن أبي معيط في كتابنا : « المبشرون بالنار » ( ص : ١٤٠ - ١٥٩ ) ، ولاحظ مدى الإيذاء الذي قام به هذا الخبيث ، ولاحظ سوء طويّته وعناده وكفره حتّى استحقَّ النَّار .

القضاء الرباني في أمر الأسرى وشأنهم جانب مهم من أهم جوانب منهج الرسالة المحمدية الهادية العادلة ، ذلك أنه كان ممن شملهم الأسر فلا يفلتوا إلا بفداء ، أو من : أبو العاص بن الربيع صهر رسول الله ﷺ وزوج ابنته زينب - رضي الله عنها وأرضاها - ، فقد أرسلت زينب في فداء أبي العاص بمال فيه قلادة زواجها به .

\* كانت زينب - رضي الله عنها - تحب أن تبعث إلى أبيها ﷺ من يفتدي منه الزوج أبا العاص - وذلك لما بدأت قريش من تفادي أسراها - فهي وإن كانت قد تسربت بأثواب السُرور لما جاءت الأخبار بنصر الله لرسوله والمؤمنين ، إلا أنه عكر سرورها وكدره وقوع زوجها أبي العاص أسيراً في أيدي الأنصار ، وما كان يخفف من لوعتها إلا معرفتها بكمال أخلاق أبيها ﷺ الذي سيقدّر زوجها ، فهو ﷺ يعرف أمانته ووفاءه وأحواله ، وكم ودت زينب لو تستطيع أن تخرج لتفدي زوجها ، ولكنها كانت غير قادرة على الخروج وحدها ، فهي تقيم بين ثلة من الكفار قد ملئت قلوبهم حسداً وغيظاً على أبيها رسول الله ﷺ ، لذلك فإنه قدم بالفداء عمرو بن الربيع أخو أبي العاص ، ولما وصل المدينة قدم ذلك لرسول الله ﷺ فأطلقه دون فداء ، ومن الأنصار على أبي العاص لمكانته من النبي ﷺ ولرغبته ﷺ بذلك .

\* لقد بعث السيدة الطاهرة زينب بنت سيدنا رسول الله ﷺ ، وزوجة أبي العاص بن الربيع بمال تفديه به ، وأرسلت مع المال قلادة مباركة كانت أمها السيدة خديجة - رضي الله عنها - أهدتها إليها ، فأدخلتها بها على زوجها لتتحلى بها ، فلما رأى الحبيب المصطفى ﷺ قلادة ابنته تترقق الدمع في عينيه الشريفتين ، ورق لها رقّة شديدة ، فهذه القلادة الكريمة كانت مبعث ذكريات أبوية عنده ﷺ ، وذكريات زوجية ، وأسرية ، وعاطفية قبل أن تأتيه رسالة الله بمنهجها القويم .

\* إن الحبيب المصطفى ﷺ أب كريم ، له من عواطف الأبوة أعلى المنازل في صحائف المكارم الإنسانية ، وأفضلها وأشرفها في مسيرة الحياة ،

فقد تذكّر حبيبتنا المصطفى ﷺ برؤيته هذه القلادة الكريمة أشياء سارّة ، تذكّر برؤيته القلادة - وهي أعزّ شيء وأغلاه في حياة ابنته وذكريات مناسبتها ، وذكريات من أهدتها إليها - تذكّر ﷺ هذا كله ، ولعلّ زينب - رضي الله عنها - لم تبعث بها مع مال الفداء إلا لتحرك في نفس أبيها أنبل عواطف الأبوة الرّحيمة وألطفها وأرشفها ، ولتثير في نفسه الشريفة ﷺ أسمى مشاعر الحبّ الأبويّ الشّفوق ، ولتضع في بناء الوفاء الزوجي لبنّة ربما لم يكن عندها ما يفي بقدرها ، والحبيب المصطفى ﷺ أوفى البرية بمكارم الأخلاق ومحاسن الشّيم ، فهو ﷺ زوج لأوفى زوجة وهبه الله - عزّ وجلّ - منها الدّريّة ، وحرمه إيّاها من غيرها توكيداً لأشرف روابط الحياة بين البشر . وها هي ذي ابنته الكبرى تبقى في مكّة وحيدة مع زوجها مسلمة ، وهو على كُفْره ، لم تفكّر قطّ في مفارقتها ؛ لأنّه كان بها حفيماً ، وفي معاشرتها وقيماً ، وفي محبّتها سرياً ، كما كان معتزاً بها ، وها هو ذا يؤسّر في أشرف قومه ، ويتطلّب الموقف فداءه ، فتبعث فداءً عجيباً له ، ترسل قلادتها الأثيرة ، ذات الذّكريات المثيرة .

\* رأى الحبيب الأعظم رسول الله ﷺ القلادة الغالية ، فتداعت في نفسه الذّكريات ، وتضوّعت منها ذكريات السيّدة خديجة - رضي الله عنها - ، وسرورها وهي تزفّ ابنتها على ابن أختها ، وتحلّيها بأحسن ما عندها من الحلّي ، وتزينها بقلادة تهديها إليها في فرحة العمر ، فتقدّمها زينب - رضي الله عنها - في فداء زوجها طيبة بها نفسها ، وفاء لحياتها الزوجيّة مع أبي العاص ابن خالتها هالة بنت خويلد ، فيعظم ذلك في نظر الأب الوفي سيّدنا رسول الله ﷺ ويكبره (١) .

\* وهو ﷺ أبّ ، وكافلٌ لأسرة قاعدتها العريضة أولاده ، وقمتها زوجته وزيرة الصّدق ، ومأنس القلب ، ومفرّجة الأزّمام والشّدائد عنه بما أنعم الله

(١) « محمّد رسول الله » لمحمد عرجون (٣ / ٤٨٣) بشيء من التّصريف اليسير .

عليها من عقل رشيد ، ورأي سديد ، وحب لم تعرف الحياة له مثيلاً في صفائه وطهره وتضحياته . فإذا ما رأى النَّبِيَّ ﷺ القلادة الخديجية الزينية الكريمة - بعد أن توارث عن نظره ردحاً من الزمن تخللته أحداث جسام - ذكّرت بالود الهامس مع أسرته ، وذكّرت بالحب الشفيق ، والمشاركة لها في حياتها الهادئة ، وعيشتها الوداعة المبتسمة للحياة . فإذا ما رأى ﷺ قلادة الفرحة الزينية بين مال الفداء لزوجها الوفي أبي العاص ، انجذبت إلى حنايا نفسه الكريمة المكرمة أسمى مشاعر الرحمة ، وتنزلت على قلبه الرحيم قطرات غيث الرأفة في أظهر سابغات الحنان الأبوي ، وتواكفت على إحساساته نسائم الإشفاق الأكرم ، وتزاحمت على فؤاده الأظهر عواطف الحنين والحنان ، وتتابعت على وجدانه ذكريات حب الولد من البنات والولدان .

\* وبعد هذا كله توجه ﷺ إلى أصحابه الكرام - رضوان الله عليهم - متلطفاً ، يطلب إليهم في ود رقيق رقيق كريم ، ود يدفعهم إلى ذروة العطاء ، ولا يسلبهم حقهم من لذة الفداء ، لو أنهم أرادوا الاحتفاظ بهذا الحق ، وهو في أيديهم يملكون التصرف فيه ، فقال لهم : « إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها ، وتردوا عليها الذي لها فافعلوا » <sup>(١)</sup> . وجاء رد الصحابة دون تردّد أو

(١) أخرجه أبو داود برقم : ( ٢٦٩٢ ) ، والبيهقي في « دلائل النبوة » ( ٣ / ١٥٤ ) ، والطبراني في « الكبير » ( ٢٢ / ٤٢٨ ) ، و« الهيثمي في « مجمع الزوائد » ( ٩ / ٢١٤ ) ، وانظر : « صحيح السيرة النبوية » ( ص : ٢٦١ ) .

وقد علّق المرحوم محمد عرجون رَحِمَهُ اللهُ عَلَى هذا الحديث وهذه الحادثة تعليقاً نفيساً مفيداً يرشح بقلائد الفوائد ، فقال : « وهذا أسلوب من أبلغ وألطف ما يسري في حنايا القوس الكريمة ، فيطوّعها إلى الاستجابة الراغبة الراضية رضاً ينم عن الغبطة والبهجة . فالأساس في الطلب المتلطف ؛ إطلاق الأسير الذي هو أسيرها ، بهذه الإضافة التي تكاد تجعل من التلطف استعطافاً شفيفاً ؛ لأنها إضافة خاصة ، رفعت من شأن هذا الأسير ، وأدخلته في إطار المخصوصين بالرعاية ، وأكد هذا المعنى أن هذا الإطلاق « لها » ، وهذه حفاوة في التعبير تزيد في إبراز الرغبة في =

توقّف قائلين : « نعم ، يا رسولَ الله ! » فأطلقوه ، وردّوا عليها مالها ،  
وقلادتها الأثيرة الغالية .

\* وما أجمل أن نفيء إلى هذه التّعريفة الهامسة نستروح من خلالها قصّة  
العفو عن أبي العاص ، وقصّة القلادة الزّينية :

هذا هو ابنُ العاص ظلّ لزوجهِ نِعَمَ القرين  
ظلّت على إسلامها في صحبة الزوجِ الفطين  
لم ينزل التّحريمُ بعدُ بانفصال العاقلين  
قد هاجر الهادي وتمّت غزوةُ النّصر المبين  
وابنُ الرّبيع أتى أسيراً في الأسارى المشركين  
هذي فريشُ أرسلتُ تفدي الأسارى الموسرين

إطلاق أسيرها المشعرة بالاستعطاف ممّن له حقّ الأمر التّأفد ، لإيحائها بأنّ صاحبة  
هذه القلادة ابنته ﷺ التي أفردت عن إخوتها وسائر أسرتها بالبقاء وحيدة بمكة ،  
تعاني مرارة الوحدة ، والبعد عن حنان الأبوة الرّحيمة .

وإذا تحقّق هذا الأساسُ جاء التّرجيبُ في استكمال نعمة الامتنان في إطلاق  
أسيرها ، فقال ﷺ : « وتردّوا عليها الذي لها » ، والذي لها هو محور العطف  
والذكريات المتواليّة من الماضي البعيد القريب ، هو قلادةُ فرحةِ العمر التي أهدتها  
إليها أمّها في أعزّ مناسبة ، وهذه القلادة هي التي أثارت في نفسه ﷺ الرّقة الشّديدة  
لابنته ، ولهذا لم يقلّ ﷺ لأصحابه : وتردّوا عليها ما بعثت به من مالٍ لفداء  
زوجها ؛ لأنّ المالَ لم يبلغ في هذه المناسبة المليئة بالذكريات من المكانة ما يستدعي  
كلّ هذا التّلطف والاستعطاف في طلب ردّه عليها ، ولعلّ المالَ مالُ زوجها أرسلته  
لتفديه به ، ولكن القلادة « لها » وضعاً وطبعاً وملكاً وذكرياً ، ولن تبلغ فجيعتها في  
المال شيئاً من فجيعتها في قلادتها ، هدية أمّها لها في بناء زوجها بها . ولهذا جاءت  
إجابة الصّحابة - رضي الله عنهم - عن تساؤل رسول الله ﷺ سريعة محقّقة لكلّ  
ما بيتغي منها ، فقالوا : نعم ، يا رسول الله ! ، فأطلقوه ، وردّوا عليها مالها  
وقلادتها . « محمّد رسول الله » ( ٣ / ٤٨٤ - ٤٨٥ ) .

أَمَا عن الفُقراء لم يأتوا إليهم طالبين  
وابنُ الرَّبيع فقد أتى لفدائه شيءٌ ثمين  
كان الفداءُ قلادةً من زوجه بنتِ الأمين  
كانت هديةً أمَّها عند الرِّفَّافِ على اليقين  
لَمَّا رآها المصطفى طافَتْ به ذكرى الحنين  
أوحى إلى أصحابه قولاً وكانوا سامعين  
رُذُوا القلادة إن تشاؤوا والأسير المستعين  
قالوا سمعنا واستجابوا للنَّصيحة طائعين  
قد صار صهرُ المصطفى حرّاً بعفو المؤمنين<sup>(١)</sup>

### الوفىُّ الكريمُ :

\* كان رسولُ الله ﷺ قد أخذَ على أبي العاص حين أطلقه من الأسر ، أن  
يخلي سبيلَ زينب لتلحقَ به ، وتكونَ مع أخواتها في رعاية أبنيةٍ حانيةٍ تعوضها  
عن مرارةِ الفِرقةِ والبعدِ فيما مضى من الزَّمان .

\* عاد أبو العاص بن الربيع إلى مكَّة المكرمة ، ففرح النَّاسُ بعوده من  
كان من الرِّجال المعدودين مالاً وأمانةً وتجارةً . وكان أبو العاص على سجيته  
وفياً كريماً ، فإنَّه لم يكذُ يصلُ مكَّةَ المكرمة ، ويرى زوجته حتى شكرها على  
موقف الثُّبل منه في أسره وفدائه بأعزِّ وأعلى ما تملك ، ثمَّ أسرع إلى تنفيذ  
ما عاهد عليه الصَّادق المصدوق ﷺ من إخلاء سبيل زينب ، لتلحقَ به ﷺ ،

(١) انظر : « تغريدة السيرة النبوية » ( ٢ / ٢٧٢ ) ، وقوله « نعم القرين » : نعم الزَّوج  
وفاءً لزوجته . و« بانفصال العاقدين » : بتفريق المتزوجين مختلفي الديانة .  
و« غزوة النَّصر المبين » : غزوة بدر الكبرى . و« الموسرين » : الأغنياء . و« بنت  
الأمين » : زينب - رضي الله عنها - زوجة أبي العاص . و« هدية أمها » : هدية أمها  
خديجة - رضي الله عنها - . و« ذكرى الحنين » : ذكرى خديجة - رضي الله  
عنها - . و« الأسير المستعين » : أبو العاص .

وتعيش مع إختوتها في كنفه مغمورةً بحبه الأبوي .

\* إِنَّ أبا العاص سينفذ ما وعد به رسول الله ﷺ ، فهو لا يستطيع أن ينكث وعده ، وإلا لَطَخَ أمانته القويمة التي اشتهر بها بين قومه بالأووال . إنه وعد أليمٌ موجعٌ لقلبه ، إنه سيقوض البيتَ الرّينبي الهانئ الذي عجزت عواصفُ الأحداث من قبل أن تززع أركانه ، ولكنه تماسك وقال لها : « إلحقي بأبيك وتأهبي يا زينبُ للسفر ، فقد فرّق بيني وبينك الإسلامُ » .

\* إِنَّ أبا العاص وعد رسول الله ﷺ ابتداءً بأن يحمل زينب إليه في المدينة ، وكان يعلمُ قسوة ذلك الوعد على قلبه ، لكنّه وهو يفضي إلى زينب الحبيبة بما شرط عليه أبوها ، يحسُّ أنّ قلبه يتمزّق ، وأنّه يتناثر أشلاء .

\* وأخذت زينبُ تتجاهدُ عواطفها المتموجة بين الفرح والترح ، ولكنّها قالت صادقةً بلسانها ووجدانها : « سمعاً وطاعةً لله ولرسولِ الله » . وخرجت تجهّزُ لسفراها ، وتعدُّ لهذه الرحلة الطويلة عدتها بما يرفقُ بها ، ويسهلُ عليها وعثاء الطريق .

\* وهنكذا وفّى أبو العاص وعده ، وصدق عهده ، وقد أثنى عليه رسول الله ﷺ لوفائه فقال : « حدّثني فصدقني ، ووعدني فوفى لي » .

\* وبينما كانت السيّدة زينبُ تتجهّزُ لتلحق بأبيها ، حدث موقفٌ كريمٌ من هند بنتِ عتبة تجاه زينب التي تروي لنا خبر هذا الموقف العظيم فتقول : « لقيتني هندُ بنتُ عتبة ، فقالت لي : يا بنة محمّد ! ألمّ يلغني أنّك تريدن اللحوق بأبيك ؟ فقلتُ في شيء من الحذر : ما أردتُ ذلك يا بنة عتبة .

فقلت هند - وقد فهمت ما في ردّ زينب من الحذر والتّخفي - : أي ابنة عمّ ! لا تفعلني - أي : لا تخافي مني ، وتكتمي عليّ أمرِك لِمَا بين قومنا من ضغائن - إن كان لك حاجةٌ بمتاعٍ ممّا يرفقُ بك في سفرك ، أو مالٌ تتبّلغين به إلى أبيك فعندي حاجتُك ، فلا تُسْترِي أمرِك عني ، فإنّه لا يدخلُ بين النساء ما بين الرجال ، وإنّ أولى الناس بإسعادك ابنة عمّك .



قالت زينب - رضي الله عنها ، وقد أحسَّتْ صدق هند - : « فوالله ما أراها قالت ذلك إلا لتفعل ، ولكني خفتها ، فأنكرت أن أكون أريد ذلك » (١) .

\* ولمَّا فرغت زينب - رضي الله عنها - من جهازها ، ودَّعها زوجها أبو العاص ، وخرجت مع أخيه كنانة بن الربيع حيث زيد بن حارثة في انتظارها خارج مكة المكرمة ، فساء قريشاً أن تخرج زينب في هودجها ، فخرجوا سراعاً حتَّى أدركوها بذي طوى ، ورَوَّعها هبَّار بن الأسود ، فغدت تنزفُ دماً ، فبرك حموها كنانة بن الربيع ، ونثَلَ كنانته بين يديه ، ووضع فيها قوساً ، فخافوه ، وجاء أبو سفيان بن حرب ، وكان له دورُ الوساطة بعد أن خاطبَ كنانة فقال : « إنك لم تصب ، خرجتَ بالمرأة على رؤوس النَّاس علانية ، وقد عرفتَ مصيبتنا ونكبتنا ، وما دخلَ علينا من محمَّد ، فيظنُّ النَّاسُ أنَّ ذلك عن ذلِّ أصابنا ، ولعمري ما بنا بحبسها عن أبيها من حاجة ، ارجع بها ، حتَّى إذا هدأت الأصواتُ ، وتحدَّث النَّاسُ أنَّا ردَدناها ، فسألها سرّاً ، وألحقها بأبيها » (٢) .

(١) « نساء أهل البيت في ضوء القرآن والحديث » ( ص : ٤٩٣ ) بتصرُّف . وهذه شهادة لا تُردُّ ؛ لأنها شهادةٌ عليمٍ شهيد ، وهي شهادةٌ إذا وضعت في ميزانِ مكارم الأخلاق والاعتراف بالفضل لأهله ، مع شدة شوكة العداوة المضطغنة ، فإنها لا تعجزُ أن توزنَ مكرمة الثُّبُل في موقف هند بنت عتبة - رضي الله عنها - . فقد كانت السيِّدة هند صادقةً مع نفسها ، وموروثة بيتها وقومها ، وزينب كانت صادقةً مع طبيعتها ومرباها .

إنَّ لهذا الموقفَ الثُّبُلَ الذي وقفته هند بنت عتبة من زينب بنت رسول الله ﷺ من أعجب العجب ، ولكِنَّه في ذرا الشرف لا يُستغرب من أعلیاء بيوتات العرب ، وهو سننٌ مسلوک في مكارم أخلاقهم . مُستعذب جميل أخاذ . « محمَّد رسول الله » ( ٣ / ٤٨٥ - ٤٨٦ ) بتصرُّف .

(٢) « سير أعلام النبلاء » ( ١ / ٣٣٣ ) .

\* ولقيت السيِّدة الحصيْفَةُ هندُ بنتُ عتبةَ الذين خرجوا إلى السيِّدة الطَّاهرة زينب - رضي الله عنها - ، وكانوا راجعين من ترويعها فقالت تخاطبهم وتسخرُ منهم أشدَّ السُّخرية وأكثرها لذعاً ؛ إذ تشبَّههم بحمرِ الوحش وبالعيَّارين الذين يخلُّون أنفسهم وهوأها في حالة السُّلم ، أمَّا في الحرب فأشباهُ النِّساء اللاتي في المحيض ، تقول هند :

أفي السُّلمِ أعيارُ جفأءِ وغلظةٍ وفي الحربِ أشباهُ النِّساءِ العواركِ  
\* ولَمَّا استردَّت السيِّدةُ زينبُ بعضَ قواها ، وهدأتِ الأصواتُ عنها ، ولملم النَّاسُ حديثَ هجرتها ، أخرجها حموها ليلاً ، حتَّى وصل إلى بطن يأجج - موضعٌ على ثمانية أميالٍ من مكَّة المكرمة - وكان زيدُ بنُ حارثة بانتظارها ، فأقبل كنانةً حتَّى أسلمها إلى سيِّدنا زيد وهو ينشدُ قائلاً :

عجبتُ لهبَّارٍ وأوباشٍ قومه يريدون إخْفاري بنتِ محمَّدٍ  
ولستُ أبالي ما حييتُ عديدهم إذا اجتمعت يوماً يدي بمهندٍ<sup>(١)</sup>

\* حمل زيدُ بنُ حارثةُ زينبُ - رضي الله عنها - وراءه ، وسارَ بها يطوي الليلَ والنَّهار ، ويقطعُ الفيافي والقفار ، حتَّى أقدمها على أبيها النَّبيِّ المختارِ ﷺ في المدينة المنورة عرين الأنصار ، ومثوى الأبرار ؛ وبقيت مع أُختيها مستظلةً بظلال الحنان المحمَّديّ ؛ والأنس النَّبويّ ؛ في عاطفة متدفقة ؛ ورعاية مشفقة ، وعناية موقنة<sup>(٢)</sup> .

- (١) انظر : « منح المدح » لابن سيِّد النَّاس ( ص : ٢١٢ - ٢١٣ ) بشيء من التصرّف .  
(٢) « مختصر تاريخ دمشق » ( ٢٩ / ٤٥ ) بتصرّف . أقول : « في هذه الحادثة دروس وأحكام مهمّة ينبغي أن نستحضرها في حياتنا في كلِّ زمانٍ ومكان ، ومنها : أنّ النَّبيَّ ﷺ أمرَ سيِّدنا زيدَ بنَ حارثة - رضي الله عنه - أن يحضرَ زينبَ من بطن يأجج الذي يبعدُ بضعة أكيالٍ عن مكَّة المكرمة . وسيِّدنا زيدُ كان لزينب كالرَّحم ، كما في « الصَّحيح » عن عبد الله بنِ عمر - رضي الله عنهما - : « أنّ زيدَ بنَ حارثة مولى رسولِ الله ﷺ ما كنَّا ندعوه إلا زيدَ بنِ محمَّد ، حتَّى أنزل اللهُ : ﴿ ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ =

\* وإليكم هذه التغريدة الجميلة التي تصوّر مجريات الأمور والهجرة  
الزينية إلى المدينة المنورة :

نادى أبو سفيان صاحب زينب كُفَّ النَّبَالَ  
حَتَّى نَجِيئَكَ لَا نُرِيدُ سِوَى التَّفَاهِمِ بِاعْتِدَالِ  
وَأَتَى أَبُو سَفِيَانَ نَحْوَ حَمِيٍّ زَيْنَبَ حَيْثُ قَالَ  
يَا صَاحِ إِنَّكَ قَدْ أَسَأْتَ بِمَا صَنَعْتَ بِلَا جِدَالِ  
إِنَّا نُرِيدُكَ أَنْ تَعُودَ بِهَا نَهَاراً بِأَمْتِثَالِ  
حَتَّى إِذَا هَدَأَ الْحَدِيثُ خَرَجْتَ لَيْلاً بِأَنْسِلَالِ  
لَسْنَا نُرِيدُ بِمَنْعِهَا ثَأْراً فَلَسْنَا فِي خَبَالِ  
لَكِنْ أَصَابَتْهَا الْمَصِيبَةُ مِنْ مُحَمَّدٍ فِي الْقِتَالِ  
فَإِذَا خَرَجْتَ بِهَا نَهَاراً سَوْفَ يَتَّسِعُ الْمَقَالِ  
وَلَسَوْفَ يُحْكِي أَنَّهَا خَرَجَتْ عَلَيَّ ذُلَّ الرَّجَالِ

---

هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ﴿ [ الأحزاب : ٥ ] .

ثمَّ جاء التَّشْرِيعُ الإلهيُّ بعد ذلك ، فَمَنَعَ الْمَرْأَةَ أَنْ تَخْرُجَ مَسِيرَةً يَوْمَيْنِ إِلَّا وَمَعَهَا  
زَوْجُهَا أَوْ ذُو مَحْرَمٍ مَعَهَا . ففي « الصَّحِيح » عن ابن عَبَّاسٍ - رضي اللهُ عنهما - ، عن  
النَّبِيِّ ﷺ قال : « لَا تُسَافِرُ الْمَرْأَةُ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ ، وَلَا يَدْخُلُ عَلَيْهَا رَجُلٌ إِلَّا وَمَعَهَا  
مَحْرَمٌ » . ( البخاريّ برقم : ١٨٦٢ ) .

وفي « الصَّحِيح » أيضاً عن ابن عمر - رضي اللهُ عنهما - قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لَا تُسَافِرُ الْمَرْأَةُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ » . ( البخاريّ  
برقم : ١٠٨٦ ) .

ومن الدُّرُوسِ والأحكامِ المستفادَةِ أيضاً : أَنَّهُ لَا عِذْرَ لِأَحَدٍ فِي الْبَقَاءِ فِي دَارِ  
الْحَرْبِ ، وَتَكْثِيرِ سِوَادِ الْمُشْرِكِينَ إِلَّا الْإِكْرَاهَ ، فَإِنَّ الْبَقَاءَ مَعَ الْكُفَّارِ فِي دِيَارِهِمْ يَهْدِدُ  
الْمُسْلِمَ فِي دِينِهِ ، وَيَسْخَطُ بِذَلِكَ رَبَّهُ ؛ لِذَا فَالْهَجْرَةُ وَاجِبَةٌ بَعْدَ أَنْ هَيَّأَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -  
لِلْمُؤْمِنِينَ دَارَ الْإِسْلَامِ .

لقد استجابَ حَمِيُّ زَيْنَبَ لِلرَّجَاءِ بِلَا نِزَالِ  
حَتَّى إِذَا هَدَأَ الْحَدِيثُ وَصَارَ كُلُّ فِي انْشِغَالِ  
خَرَجْتُ وَيَصْحَبُهَا كِنَانَةٌ دُونَ حَرْبٍ بِالتَّصَالِ  
وَصَلَا لَزِيدٍ فِي الْمَكَانِ وَمِنْهُ كَانَ الْارْتِحَالِ  
وَصَلُّوا الْمَدِينَةَ سَالِمِينَ وَقَدْ أُصِيبُوا بِالْكَلالِ (١)

### أَجَرْتُ أَبَا الْعَاصِ :

\* أقام أبو العاص بمكة المكرمة على دين قومه بضع سنين ، فلم يشهد مشاهدتهم ، ولم يخرج معهم لحل ولا عقد ، حتى إذا كان قبيل الفتح بقليل ، خرج في تجارة قريش إلى الشام ، فلقيته سرية من أصحاب الحبيب المصطفى ﷺ بقيادة زيد بن حارثة ، فأحاطت رجال السرية بعير قريش ، فلم ير القرشيون إلا أن يسلموا أنفسهم وتجارتهم لأصحاب النبي ﷺ ، وكان فيها فضة كثيرة لصفوان بن أمية ، ورغبوا في أن يحقنوا دماءهم أمام هؤلاء الرجال الذي تربوا في المدرسة المحمدية ، بيد أن أبا العاص استطاع أن يفلت من رجال زيد ، وأعجزهم هرباً ، حتى دلف تحت جناح الليل إلى السيدة النجبية الحصيصة زينب - رضي الله عنها - ، فاستجار بها ، فأجارته دون علم من أيها سيدنا وحبينا رسول الله ﷺ ، فلما خرج الحبيب الأمين ﷺ لصلاة الصبح وكبر ، وكبر الناس خلفه ، إذا بصوت زينب من صفة النساء يدوي في المسجد ويمزق سكون الليل ، وتقول : « أيتها الناس ! إنني قد أجزت أبا العاص بن الربيع » .

(١) « تغريدة السيرة النبوية » ( ٢ / ٢٧٦ ) . وقوله « كف التبال » : ابعذ عنا نبالك ولا ترمننا بها . و« وحيمي » : كنانة بن الربيع أخو زوجها أبي العاص . و« هدا الحديث » : نسي الناس هذا الأمر . « ويتسع المقال » : يكثر القول والتكهنات . و« المكان » : بطن يأجج المكان المتفق عليه . و« الكلال » : التعب والجهد .

\* ترى ماذا حدث بعد ذلك ؟ ! حسناً لِنَسْتَمِعْ إِلَى هَذِهِ الْأَنْفَاسِ  
الْمُعْبَّرَةِ ، ثُمَّ نَتَابِعْ هَذِهِ الرَّحْلَةَ الْمُعْطَرَةَ :

ابنُ الرَّبِيعِ أَبِي فَظَلٍّ بِكُفْرِهِ فِي الْمَشْرِكِينَ  
وَالزَّوْجِ صَارَتْ فِي رِحَابِ الْمُصْطَفَى الْهَادِي الْأَمِينِ  
قَدْ فَرَّقَ الْإِسْلَامُ بَيْنَهُمَا فَصَارَا بِأَيْتَيْنِ  
لِكَتْمِهِ بِالْحَقِّ ظَلَّ بِقَلْبِهِ كُلُّ الْحَنِينِ  
لَمْ يَنْسَ زَوْجاً أَخْلَصَتْ فِيهَا وَفَاءُ الصَّادِقِينَ  
فِي رِحْلَةٍ لِلشَّامِ نَادَى مِثْلَ كُلِّ الذَّاهِبِينَ  
يَبْغِي التَّجَارَةَ إِنَّهُ مِنْ خَيْرِهِمْ رَجُلٌ فَطِينِ  
جَمَعُوا لَهُ الْأَمْوَالَ مِنْ كُلِّ الرَّجَالِ الْمَوْسِرِينَ  
قَدْ قَابَلْتَهُ سَرِيَّةً بَعْضُ الرَّجَالِ الْمُسْلِمِينَ  
قَدْ فَرَّ يَتْرُكُ مَالَهُ لَمَّا رَأَاهُمْ قَادِمِينَ  
فَوَرَأَ تَوَجَّهَ نَحْوَ زَيْنَبَ فِي الْمَدِينَةِ يَسْتَعِينِ  
قَالَتْ لَهُ إِنَّي أَجْرْتُكَ لَا تَكُنْ فِي الْخَائِفِينَ  
الْمُصْطَفَى وَالصَّحْبُ كَانُوا فِي الصَّلَاةِ مَكْبُرِينَ  
وَإِذَا نَدَاءٌ جَاءَهُمْ كَانُوا جَمِيعاً سَامِعِينَ  
إِنَّي أَجْرْتُ ابْنَ الرَّبِيعِ وَإِنَّهُ فِي الْأَمِينِ  
قَدْ كَانَ هَذَا فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ كَانُوا قَائِمِينَ  
كَانَ الْمَنَادِي زَيْنَبَ هِيَ بِنْتُ خَيْرِ الْمَرْسَلِينَ <sup>(١)</sup>

\* وَحِينَمَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ ، وَسَلِّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ  
فَقَالَ : « أَيُّهَا النَّاسُ ! هَلْ سَمِعْتُمْ مَا سَمِعْتُ ؟ » .

قالوا : نعم يا رسول الله !

(١) « تغريدة السيرة النبوية » ( ٢ / ٢٨٠ ) .

فقال ﷺ : « أما والذي نفسُ محمدٍ بيده ، ما علمتُ بشيءٍ حتى سمعتُ الذي سمعتم ، وإنَّه ليجيرُ على المسلمين أدناهم » .

\* ثمَّ انصرفَ رسولُ الله ﷺ ، فدخلَ على ابنته فقال : « أي بنتي ! أكرمي مثواه ، ولا يخلصن إليك ، فإنَّك لا تحلين له » .

فقالت : « إنَّه قد جاء في طلبِ ماله » . فجمعَ رسولُ الله ﷺ رجالَ تلك السَّريَّة ، وقال لهم : « إنَّ هذا الرَّجُلُ منَّا حيثُ علمتم ، وقد أصبتم له مالاً ، وهو ممَّا أفاء اللهُ عليكم ، وأنا أحبُّ أن تحسِنوا ، وتردُّوا عليه الذي له ، فإن أبيتم فأنتم أحقُّ به » (١) .

فقالوا : « بل نردُّ عليه » ، فردُّوا عليه ماله أجمع .

\* وما أجمل أن نقرأ ما رسمته هذه التَّغريدة لقبول إجارة زينب لزوجها أبي العاص :

سمعَ النَّبِيُّ نداءَ زينبَ مثلَ كلِّ السَّامعين  
ما أن أتَمَّ صلاتَهُ الهادي وكُلُّ المسلمين  
فوراً توجَّه بالحديثِ إلى جميعِ الحاضرين  
من قوله إنِّي سمعتُ لابنتي كالآخرين  
من قبله لا علمَ لي ممَّا سمعتُ على اليقين  
ولتعلموا كي لا تكونوا للحقيقةِ جاهلين  
المسلمون دماؤهم صاروا سواءً أجمعين  
ويجيرُ أدناهم عليهم فلتكونوا عالمين  
دخلَ النَّبِيُّ على المُجيرة قال بالتُّضح الأمين  
يا ابنتي فلتكرمي مثوى المُجارِ المُستعين  
لكنَّه لا يقربنك واحذرِي هذا مشين

(١) « مختصر تاريخ دمشق » (٢٩ / ٤٧) .

قال النَّبِيُّ إِلَى السَّرِيَّةِ يَا رِجَالَ الْمُؤْمِنِينَ  
 أَنْتُمْ بِحَقِّ قَدِّ غَدُوتُمْ ثُمَّ جِئْتُمْ غَانِمِينَ  
 لَكِنَّ أَحَبُّ بَأْنِ تَرَدُّوا لِلْغَنِيمَةِ مُحْسِنِينَ  
 وَإِذَا أَبَيْتُمْ فَهُوَ فِي اللَّهِ حَقُّ الْكَاسِبِينَ  
 رَدُّوا لِصَهْرِ الْمُصْطَفَى أَمْوَالَهُ مَتَنَازِلِينَ

### إِسْلَامُهُ وَجَمْعُ شَمْلِهِ :

\* عاد أبو العاص بأموال قريش وتجارته التي عُقِدَتْ أمانتها بناصيته ،  
 ولم يفقد منها شيئاً ، فكان موفوراً الكرامة ، محموداً الأمانة ؛ أعطى كلَّ إنسانٍ  
 ما كان له من مال في هذه التَّجَارَةِ بغاية الصِّيانة .

\* نظرَ أبو العاص فيما حوله نظرةً تأمُّل ، وفكَّر في غده وأمه ، فرأى  
 محاسنَ الإسلامِ وسماحته ، وهانت في عينيه آلهة آباءه وأجداده ، رآها للمرَّةِ  
 الأولى حجارةً لا تملكُ لنفسها نفعاً أو ضرراً ، رأى اللات والعزى فارغين  
 لا نفعَ فيهما ، وكذلك مناةُ الثالثة الأخرى ، وهُبَلَ وسائر الأصنام ، رأى هذا  
 كلَّهُ فأحسَّ بنسائم الألفاظ الإلهية تهبُّ على روحه ، وتكشفُ الحُجُبَ عن  
 نفسه ، وتنسكبُ أنوارَ الصِّفاء في كيانه .

\* ثمَّ نادى أبو العاص في قريش علانيةً وقال لهم وقد وضع اليقينُ  
 أمامه : « يا معشرَ قريش ! هل بقي لأحدٍ منكم عندي مال لم يأخذه ؟ » .  
 قالوا : لا ، فجزاك اللهُ خيراً ، قد وجدناك وفيّاً كريماً .

فقال أبو العاص وهو موقنٌ بما يفعل ، مسروراً بما يجابهُ به  
 قريشاً : « أشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ ، وأنَّ محمداً عبدهُ ورسوله » .

\* وبعد أن أعلنَ أبو العاص بن الرِّبيعِ إسلامه ، وشهدَ شهادةَ الحقِّ ،  
 وقريشٌ مجتمعون عليه ، قال لهم بلسانِ الصِّراحة والقوَّة : « والله ما منعني من  
 الإسلامِ عند محمَّدٍ ﷺ بالمدينة إلا خشية أن تظنُّوا بي الظنون ، وأنِّي أردتُ أن  
 أكلَ أموالكم ، فلمَّا أذاها اللهُ إليكم ، وفرغتُ ، أسلمتُ » .

\* ثمَّ خرج سيّدنا أبو العاص - رضي الله عنه - من مكّة المكرمة تلقاء المدينة المنوّرة ، وهو منشرحُ الصّدر ، لا يطمعُ في مال ، ولا سلطان ، ولا جاه ، بل يريدُ وجهَ الله - عزَّ وجلَّ - ، إنّه يريدُ نعمة الإيمان التي ذاق حلاوتها ، فشعر بالنّعيم الحقيقيّ وأحسَّ أنّه تحرّرَ من كلّ شرٍّ ، تحرّرَ من عبودية الأهواء والغرائز والجهل والتّقليد الأعمى لموروثات الآباء والأجداد ، أضحى ثابت الجنان ، صافي السّريرة ، إنّه يمشي على صراط مستقيم ، ليصل إلى رحمة العزيز الرحيم .

\* كان جوهرُ أبي العاص الإنسانيّ يتألّقُ بالأنوار ، فقد أسلم إسلامَ المخبتين بعد تدبُّرٍ وتأمُّلٍ وتفكيرٍ ، أسلم بمحضِ حرّيته بعد أن تخلّصَ من سخافاتِ الجاهليّة ، وضلالاتها العمياء ، إنّه يحسُّ للمرّة الأولى وفاقاً بين عقله وقلبه ، يحسُّ بأنّ الحياة من دون عبادة الله لا معنى لها ولا طعم .

\* بلغ سيّدنا أبو العاص المدينة المنوّرة ، وقد امتلأت نفسه بخشية الله ومحبّته ومحبة نبيّ الإسلام محمد ﷺ ، وقدم على رسول الله ﷺ مسلماً مؤمناً مُستغفراً ، فازداد له ﷺ إكراماً وحبّاً واحتراماً ، وردّ عليه زوجته وابنة خالته زينب - رضي الله عنهما وأرضاهما <sup>(١)</sup> - ؛ وعفا عنا بفضلله ومنّه ، ووهبنا لهما

---

(١) « أسد الغابة » ( ٥ / ١٨٦ ) بشيء من التّصريف . وللمرحوم الشّيخ محمّد صادق عرجون رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى تعليقٌ نفيسٌ ، يستحقُّ التّسجيل في هذا الموقفِ الأنيس حيث قال : « هذا موقفٌ يمثّلُ جوانبَ من منهج رسالة الإسلام ، كان رسولُ الله ﷺ فيه هو الوجهُ المشرقُ الذي أضاء الطّريقَ أمام مسيرة الدّعوة ، وكانت ابنته زينبُ - رضي الله عنها - تمثّلُ مفتاحَ الموقفِ الذي انطلقت الحياة من أبوابه ، وكان أبو العاص بن الرّبيع المحورَ الذي دارتِ الوقائعُ والأحداثُ من حوله . فرسولُ الله ﷺ بسطَ يدَ مكارمه لهذا الرّجل الذي كان صاحبه وظيفته قبل بعثته ، وفتح له طريقَ الهداية بعد بعثته ، فوفى له وفاءً بوفاء ، وبوأه منه منزلة المصاهرة ، وهي منزلة لا تكون إلا بين متصافيين ، ووقفَ منه موقفاً حفظَ عليه كرامته بين قومه ، وأقرَّ جوارِ ابنته له حتّى يطمئن ، وهو متطلّع إلى ردِّ ما أخذ منه ليردّه على أصحابه ، وتحقّق =



إكراماً للحبيب المصطفى ﷺ من بعد أن يأذن جلاً شأنه ويرضى .

\* والآن سنعيشُ مع هذه القبسة الأدبية ، التي نستضيء بسناها في ظلالِ هذه التّفحات ؛ التي تهمسُ في قلوبنا قصّة إسلام أبي العاص رضي الله عنه ؛ ورجوع زينب - رضي الله عنها - إلى عصمته :

نَجَحْتُ إِجَارَةَ زَيْنَبَ لَابْنِ الرَّبِيعِ الْمُسْتَجِيرِ  
رَدُّوا إِلَيْهِ مَتَاعَهُ لَمْ يَيْقَ مِنْهُ وَلَا نَقِيرَ  
قَدِ عَادَ يَحْمِلُ مَالَهُ قَدِ كَادَ مَنْ فَرِحَ يَطِيرُ  
أَدَّى أَمَانَتَهُ بِمَكَّةَ وَاسْتِرَاحَ بِهِ الضَّمِيرُ  
مَنْ بَعْدَ أَنْ أَدَّى الْأَمَانَةَ قَالَ فِيهِمْ كَالْتَّنْذِيرِ  
يَا أَهْلَ مَكَّةَ هَلْ أَخَذْتُمْ مَالَكُمْ حَتَّى الْيَسِيرِ  
قَالُوا نَعَمْ جُوزَيْتَ خَيْرًا نِعْمَتِ الْعَمَلِ الْكَبِيرِ  
مَنْ نَمَّ قَالَ لَهُمْ لَقَدْ آمَنْتُ بِالذَّيْنِ النَّصِيرِ  
أَرْجَأْتُ إِسْلَامِي بِيثْرَبَ خَشِيَةَ الظَّنِّ الْمِثْرِ  
كِي لَا يُقَالَ بَأَنِّي قَدِ مَلْتُ لِلْمَالِ الْكَثِيرِ  
مَا كُنْتُ قَطُّ بَأَنَّ أَخُونَ أَمَانَتِي هَذَا خَطِيرِ  
مَا جِئْتُ إِلَّا كِي أُودِيَ لِلْأَمَانَةِ لَا أَضِيرِ  
حَتَّى إِذَا أُدْبِتَهَا أَسْلَمْتُ لِلْمَوْلَى الْقَدِيرِ

له ما أراد ، وعاد إلى مكة مرفوع الرأس ، موفور الشخصية ، وأعطى الحقوق لأصحابها ، حتى إذا لم يبق عليه تبعه لأحد ، أعلن إسلامه الذي كان يضمرة منذ أن رأى مكارم النبي ﷺ تغمره ، ومنذ أن رأى وفاء ابنة خالته يحقق له أماله . لم يعلن أبو العاص إسلامه يوم أن كان بالمدينة بالرعاية من رسول الله ﷺ خشية قالة السوء وأن قريشاً تظنُّ به أنه فعل ما فعل ليأكل أموالهم بالباطل ؛ فلما فرغ من أداء أمانته ، واستبرأ ذمته ، أعلن إسلامه ، وأرضى رسول الله ﷺ ، فكافأه ؛ وردَّ عليه زوجته الوفية الحبيبة - رضي الله عنها وأرضاها - . « محمد رسول الله » . ( ٤٨٩ / ٣ - ٤٩٠ ) .

قد عادَ صهرُ المصطفى في قلبه نورٌ يُبهر  
ردَّ الرَّسولُ إليه زوجته بلا عقدٍ أخير<sup>(١)</sup>

شذراتٌ من أخباره :

\* لأبي العاص - رضي الله عنه - بعضُ المآثر الحسان التي تفرَّدَ بها بين رجال عصر النبوة ، وبين أصهار النبي ﷺ .

\* فهو صهرُ النبي ﷺ الأول ، زوجهُ زينب ابنته ، وهي أكبرُ بناته الطاهرات ، فولدت له علياً وأمامة<sup>(٢)</sup> ، فتوفي عليُّ بنُ أبي العاص وهو غلامٌ ، وكان رسولُ الله ﷺ قد أردفه ناقته عام الفتح .

وقالت سيِّدتنا فاطمة الزَّهراء<sup>(٣)</sup> بنتُ حبيبنا رسول الله ﷺ لزوجها سيِّدنا عليَّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - حينما حضرتها الوفاة : « تزوجَ بنتَ أختي أمامةَ بنتَ أبي العاص » فتزوجها عليُّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - ، فمكثت عنده ثلاثين سنة ، ولم تلدْ له شيئاً - وكانت عقيماً - ثم تزوجها بعد عليَّ المغيرة بن نوفل بن الحارث .

\* وأبو العاص هو الأخيرُ في الأصهار الأخيار إسلاماً ، فقد أسلم قبل الحديبية بخمسة أشهر ، ولم يشهدْ مع سيِّدنا رسول الله ﷺ شيئاً من المغازي .

---

(١) « تغريدة السيرة النبوية » ( ٢ / ٢٨٤ ) . وقوله « ولا نقير » : كناية عن الشيء الحقيق الثَّافه . و« النَّصير » : دين الانتصار ، و« لا أضير » : كي لا يضار أحد . « وبلا عقد أخير » : ردَّها إليه على العقد القديم .

(٢) اقرأ سيرة أمامة حفيدة النبي ﷺ في الباب الرَّابع من موسوعتنا : « نساء أهل البيت في ضوء القرآن والحديث » ( ص : ٦٣٣ - ٦٥٢ ) ، ط : ٦ ، ٢٠٠٥ م ، ففي سيرتها نفحة أنس نديَّة وإشراقات جليَّة .

(٣) اقرأ سيرة سيِّدتنا فاطمة الزَّهراء في الباب الثَّالث من موسوعتنا : « نساء أهل البيت في ضوء القرآن والحديث » ( ص : ٥٤٧ - ٦٢٩ ) ، ط : ٦ ، ٢٠٠٥ م ، فسيرتها علم في فائدة في معرفة في بركات تترى .

\* قال الذهبي رحمته الله : « كان أبو العاص من تجار قريش ، وما علمت له رواية » (١) .

\* وقال ابن عساكر رحمته الله : « وكان أبو العاص بن الربيع مع علي في البيت يوم بويح أبو بكر ، وتوفيت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي عند أبي العاص . . . . . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما ذمنا صهر أبي العاص » . . . . . وقد مهاجراً إلى المدينة بعدما أسلم بمكة ، فرجع إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته زينب بالنكاح الأول ، وأردف النبي صلى الله عليه وسلم ابنه علياً يوم فتح مكة ، وحمل أمانة في صلاته » (٢) .

\* وخرج أبو العاص في بعض أسفاره إلى الشام فأنشد في زوجته الطاهرة زينب فقال :

ذَكَرْتُ زَيْنَبَ لَمَّا وَرَدَتْ إِرْمًا      فقلتُ سقياً لشخصٍ يسكنُ الحرماً  
بنت الأيمن جزاها اللهُ صالحةً      وكلُّ بعلٍ سيئني بالذي عَلِمَا (٣)

\* وكان أبو العاص شهماً صافي السريرة ، قيل له لَمَّا أُسِرَ وكانت معه تجارة قريش : « أسلم يكن لك ما معك ، وتأخذ هذه الأموال ، فإنها أموال المشركين » .

فقال - رضي الله عنه - : « لبئس ما أبدأ به إسلامي أن أخون أمانتي » .  
وقيل : قال له أسروه : « يا أبا العاص ! هل لك أن تسلم علي ما في يدك من هذه الأموال ، فتسود قريشاً ، وتكون أكثرهم مالاً ؟ » .

---

(١) « سير أعلام النبلاء » ( ١ / ٣٣١ ) .

(٢) « مختصر تاريخ دمشق » ( ٢٩ / ٤٢ - ٤٥ ) بتصرف واختصار ، وانظر : « أسد الغابة » ( ٥ / ١٨٦ ) ، وقال ابن الأثير رحمته الله : « ولَمَّا أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - إلى اليمن ، سار معه ، وكان مع علي أيضاً لَمَّا بويح أبو بكر - رضي الله عنهم أجمعين - » .

(٣) « مختصر تاريخ دمشق » ( ٢٩ / ٤٤ ) ، و« إرم » : هي دمشق .

قال - رضي الله عنه - معبراً بصراحة عن وفائه : « ما كنتُ لأستقبل الإسلام بغدرة » فأتى مكة ، ورفع إلى كل ذي حقِّ حقَّه ، ثم أعلن إسلامه ، وهاجر إلى المدينة ، وما فرَّق النبي ﷺ بينه وبين زينب ، وأقاما على نكاحهما .

\* ومن المكارم والآثار النبيلة التي تتعلّق بسيرة سيّدنا أبي العاص ما جاء عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال : قال رسولُ الله ﷺ : « سألت ربِّي - عزَّ وجلَّ - أن لا أتزوَّج إلى أحد من أمّتي ، ولا يتزوَّج إليَّ أحد من أمّتي ، إلا كان معي في الجنَّة ، فأعطاني ذلك » (١) .

\* وعن أبي أوفى قال : قال رسولُ الله ﷺ : « من تزوّجتُ إليه ، أو تزوّج إليَّ فحرّمه على النَّار - أو قال - أدخله الجنَّة » (٢) .

\* وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : قال رسولُ الله ﷺ : « كلُّ نسبٍ وصهرٍ ينقطع يوم القيامة إلا نسبي وصهري » (٣) .

\* وفي شهر ذي الحجّة من السنّة الثّانية عشرة للهجرة النبويّة المباركة ، وإبان خلافة سيّدنا أبي بكر الصّدّيق - رضي الله عنه - ، جاءت سكرة الموتِ بالحقِّ ، وصعدت روحُ سيّدنا أبي العاص بن الرّبيع لتستقرّ في عليين عند ملكٍ مقتدر ، وقُبيل وفاته أوصى أبو العاص إلى سيّدنا الرّبّير بن العوّام - رضي الله عنه - ، ولا يوجد في الصّحابة من اسمه « أبو العاص » غير أبي العاص بن الرّبيع هذا .

\* رضي الله عن أبي العاص بن الرّبيع ، وأدخلنا الجنّة وإياه بمعية الهادي الشّفيع ، ورزقنا الخلق الرّفيح ، وصلى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله والأصحاب ، الطّيبين الطّاهرين الأنجاء .



(١) ذكره ابن عساكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ . انظر : « مختصر تاريخ دمشق » ( ٢٩ / ٤٧ ) .

(٢) « مختصر تاريخ دمشق » ( ٢٩ / ٤٧ ) .

(٣) المصدر السّابق ذاته .

# جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ

رضي الله عنه

- \* من الأشرافِ القرشيين ؛ ومن المتألقين في المكارم .
- \* كان شهماً ذا مروءةٍ ونجديةٍ ؛ وله مواقفٌ تشهدُ بفضله .
- \* روى ( ٦٠ حديثاً ) ؛ ويعدُّ من الصحابة المعمرين ؛ توفي سنة ( ٥٨ هـ ) .

رقع  
جهد الرعي الجدي  
أسكنهم الفردوس  
www.moswarat.com

## جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ رضي الله عنه

من أبناء الأشراف :

\* كان كثيرٌ من أهل أمّ القرى مكّة غارقين في وثنيّة مضطربة ، فقد انحرفوا عن طريق الإله الواحد ، وملؤوا الفراغ الرُّوحِيَّ عندهم بالتشّدّد في الدّين الوثنيّ ، والمغالاة في عبادة الأوثان التي جلبوها من كلّ مكان ، ثمّ كدّسوها في جوف الكعبة ، بل نثروا بعضُها في أماكن قريبة منها وحوّلها .

\* وكان كثيرٌ من الأشراف يتخذون لهم صنماً يعبدونه ، ومن العجيب أنّهم لم يختلفوا على أنّ خالق العالم ربّ واحد ، فلا خالق ، ولا رازق ، ولا مدبّر ، ولا نافع ، ولا ضارّ ، ولا مجير غيره ، واعتقدوا أنّهم يعبدون الله بعبادتهم الأصنام ، ويتقربون بها إليه .

\* نشأ أبناء الأشراف من قريش في ظلّ هذه الوثنيّة التي تفرّق فيها المكيّون شيعاً وأحزاباً دينيّة ، وكان من بين هؤلاء الأبناء جبير بن مُطْعِمِ بن عديّ القرشيّ التوفليّ<sup>(١)</sup> ، أبو محمّد ، ويقال : أبو عديّ ، ابن عمّ النّبيّ ﷺ .

---

(١) « نسب قريش » (ص : ٢٠١) ، و« أنساب الأشراف » (١ / ٢٣ ، ١٥٣ ، ٣٠٢ ، ٣١٢ ، ٤٠٩ ، ٥١٧) ، و« شفاء الغرام » (الفهارس : ٢ / ٥٢٠) ، و« المغازي » (الفهارس : ٣ / ١١٤٩) ، و« سير أعلام النبلاء » (٣ / ٩٥ - ٩٩) ، و« البيان والتبيين » (١ / ٣٠٣ ، ٣١٨ ، ٣٥٦) ، و« تهذيب التهذيب » (٢ / ٦٣ - ٦٤) ، و« المعجم الكبير » =

\* وأُمُّ جُبَيْرِ هِيَ أُمُّ جَمِيلِ بِنْتُ شَعْبَةَ ؛ وَأُمُّهَا جَدَّةُ جُبَيْرِ هِيَ : أُمُّ حَبِيبِ بِنْتُ الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةِ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ <sup>(١)</sup> ، وَيُظْهِرُ مِنَ الْآثَارِ الَّتِي وَصَلَتْ إِلَيْنَا عَنْ أُمِّ حَبِيبٍ هَذِهِ أَنَّهَا كَانَتْ تَحُبُّ حَفِيدَهَا جُبَيْرًا مَحَبَّةً شَدِيدَةً ، وَكَانَتْ كَثِيرًا مَا تَرْقُصُهُ وَهُوَ صَغِيرٌ فِي عَمْرِ الزَّهْر ، كَمَا كَانَتْ قَرِيشٌ تَرْقُصُ أَوْلَادَهَا ، وَكَانَتْ تَقُولُ فِي تَرْقِيسِهِ وَمَدَاعِبَتِهِ :

أَحْفَظُ جُبَيْرًا رَبِّ فِي السَّرِيَّةِ      لَا تَقْعُدُنِّي مَقْعُدًا شَقِيَّةَ  
وَبَارِكُنْ يَا رَبِّ فِي بَيْتِهِ

\* وَفِي مَدَاعِبَةٍ أُخْرَى تَدْعُو اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - أَنْ يَحْفَظَ جُبَيْرًا مِنْ سِوْفِ الْأَعْدَاءِ مِنَ الْفَرَسِ ، وَمِنَ الشَّيَاطِينِ الَّذِينَ يَوْسُوسُونَ فِي صُدُورِ النَّاسِ ، وَيَحْفَظُهُ أَيْضًا مِنَ الْأَمْرَاضِ ، وَأَنْ يَزِينَ بِهِ صُدُورَ الْمَجَالِسِ ، فَهُوَ مِنْ عَلِيَّةِ أَبْنَاءِ الْأَشْرَافِ ، تَقُولُ أُمُّ حَبِيبٍ مَرْتَجِزَةً :

أَحْفَظُ جُبَيْرًا مِنْ سِوْفِ فَارِسٍ      وَجَبَّيْنُهُ عَارِضَ الْوَسَاوِسِ  
وَاحْفَظْهُ مِنْ كُلِّ زَحِيرٍ حَادِسٍ      وَزَيَّنْ رَبِّ بِهِ الْمَجَالِسَ <sup>(٢)</sup>

« لَوْ كَانَ حَيًّا » :

\* سَاقَتْ مَصَادِرُ شَتَّى أَنَّ الْمَطْعَمَ وَالِدَ جُبَيْرِ قَدْ مَاتَ بِمَكَّةَ قَبْلَ غَزْوَةِ بَدْرٍ ، وَلَهُ نَيْفٌ وَتِسْعُونَ سَنَةً ، فَرثَاهُ حَسَّانٌ بِقَصِيدَةٍ مِنْهَا :

= ( ٢ / ١١٢ - ١٤٥ ) ، و« تهذيب الأسماء واللغات » ( ١ / ١٤٦ - ١٤٧ ) ،  
و« الاستيعاب » ( ١ / ٢٣٢ - ٢٣٣ ) ، و« مختصر تاريخ دمشق »  
( ٦ / ٥ - ١١ ) ، وغيرها كثير جداً لا يحصى .

(١) « نسب قريش » ( ص : ٢٠١ ) ، و« سير أعلام النبلاء » ( ٣ / ٩٧ - ٩٨ ) ، مع  
الجمع بينهما .

(٢) « المنمق » ( ص : ٣٥١ ) ، و« زحير » : داء انطلاق يصيب البطن بشدة .  
و« حادس » : صارع .



أعينُ ألا ابكي سيّد النَّاسِ واشفحي بدمعٍ فإن أنزفتهُ فاسْكبي الدِّمَا  
\* ومنها يذكرُ بعضَ مناقبه :

فلو كان مجدُّ يُخلدُ اليومَ ماجداً من النَّاسِ أنجى مجدُّه اليومَ مُطعِماً  
أجرتَ رسولَ اللهِ منهم فأصبحوا عبادك ما لبَّيْ مُلبِّ وأحرماً<sup>(١)</sup>

\* ونعتقدُ أنَّ هذه القصيدةَ الحسانيةَ الحسنةَ كانت مبعثَ فخرٍ ، وعقدَ  
أمانٍ لجبيرِ بنِ مطعمٍ - رضي اللهُ عنه - ؛ لأنَّ أباه مُطعماً أجار النَّبيَّ ﷺ في  
واحدٍ من أيَّام الدَّعوة العَصِيبةِ من مراحلِ الدَّعوة في المرحلةِ المَكِّيَّةِ .

\* ومحضُّ ذلك وملخَّصُه أنَّه لَمَّا توفي أبو طالب بن عبد المطلب عمَّ  
الصَّادقِ المصدوقِ ﷺ ، اشتدَّ على النَّبيِّ ﷺ الألمُ ؛ إذ همَّ بعضُ المشركين  
بإستباحةِ جانبه الشَّريفِ ، بعد أن فقدَ عمُّه الذي كان ذا شرفٍ ونسبٍ في قومه ،  
وقد بسطَ كلَّ ما في وسعه كي يدافعَ ويدفعَ عن ابنِ أخيه محمَّدٍ ﷺ ، ويوفِّرَ  
الحمايةَ له ، فلمَّا مات فكَّرت قريشٌ بالتَّطاولِ والبغي ، وسوَّلت لها مسرفوها أن  
يُنزلوا ضرباتٍ أليمةً متتاليةً ، وقد توذِّي إلى القضاءِ على الدَّعوةِ المحمَّديَّةِ ،  
فرأى ﷺ أن يخرجَ من مَكَّةَ إلى الطَّائفِ عسى أن يجدَ مَنْ يسمعُ ويستمتعُ بنورِ  
الحقِّ والهُدَى ، ولكنَّهم آذوه فعاد إلى مَكَّةَ المكرمةِ ، وبعثَ ابنَ أريقطٍ من

---

(١) « ديوان حسان » ( ص : ٢٤٣ ) طبعة دار المعارف بمصر . وانظر : « المفصل في  
تاريخ العرب قبل الإسلام » ( ٧ / ٧٣٦ ) .

ونقولُ في هذا المقام : « لم يستنكر رسولُ الله ﷺ على حسان بن ثابت في  
رثائه لمطعم بن عدي ، بل لحسان قصائد ومقطعات يشني من خلالها على مطعم بن  
عدي ، وهي منشورةٌ ، في ديوانه ، وفي كُتب السَّيرة والتَّراجم ، وهذا يدلُّ دلالةً  
واضحةً بيَّنةً على أنَّ الصَّادقِ المصدوقِ ﷺ يعلمنا أن نعتزِّف لأهلِ الفِضْلِ بفضلهم ،  
وأن نشني عليهم بما لهم من أيادٍ بيضٍ ، ومعروفٍ وخيرٍ ، وإن كانوا غيرَ مسلمين ،  
وهذا الثَّنَاءُ في محلِّه ، وقد يدلُّفُ إلى الإسلامِ ذووهم ، ومن حولهم ، واللهُ تعالى  
أعلم » .

خزاعة إلى الأخصس بن شريق ليجيره فقال مُتخاذلاً : « أنا حليف قريش ، والحليف لا يجير على صميمها » ، وفاته هذا الشرف الوافي ، فبعث إلى سهيل بن عمرو العامري فقال متنصلاً : « إن بني عامر بن لؤي لا تجير على بني كعب بن لؤي » . وعندها بعثه النبي ﷺ إلى المطعم بن عدي يعرض عليه أن يجيره حتى يبلغ رسالة ربه ، فقبل المطعم ولم يتردد ، وقال للخزاعي : « قد أجرته (١) » ، قل له فليات فلا بأس عليه . ثم قام المطعم واستنهض أبناءه فحملوا أسلحتهم ووقفوا عند أركان البيت الحرام وقفه الأسود الضواري . وفي رواية أن المطعم بن عدي قال : « نعم » ، ثم تسلح ودعا بنيه وقومه فقال لهم : « البسوا السلاح ، وكُونُوا عند أركان البيت ، فإنني قد أجرْتُ محمداً » ، ثم بعث إلى النبي ﷺ أن ادخل ، فدخل الحبيب الأعظم ﷺ حتى انتهى إلى المسجد الحرام ، فنادى المطعم : « يا معشر قريش ، قد أجرْتُ محمداً فلا يُهَجِّه أحدٌ منكم » ، فاتاه أبو سفيان فقال له : « أمجيراً أم مانع ؟ » .

(١) للشيخ محمد عرجون رَحِمَهُ اللهُ تعليق نفيس جداً على دخول الصادق المصدوق ﷺ في جوار كافر ، فقال : « وَقَدْ تَحَيَّرَ بَعْضُ النَّاسِ فِي فَهْمِ حِكْمَةِ دُخُولِ النَّبِيِّ ﷺ مَكَّةَ فِي جِوَارِ كَافِرٍ وَكَمَا تَحَيَّرُوا فِي فَهْمِ قَوْلِهِ ﷺ فِي الْمَوَاسِمِ : « مِنْ يَوْوِينِي حَتَّى أْبْلَغَ رِسَالَةَ رَبِّي » ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَيِّدُ الْمُتَوَكِّلِينَ عَلَى اللَّهِ ، وَسَيِّدُ الْمُوقِنِينَ بِنَصْرِ اللَّهِ لَهُ وَحِمَايَتِهِ . وَهُؤْلَاءُ غَفَلُوا عَنْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَشَرٌ مِنَ النَّاسِ ، اِحْتِجَاجٌ إِلَى أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ [ المائدة : ٦٧ ] ، وَقَدْ كَانَ قَبْلَ نَزُولِهَا يَتَّخِذُ حِرْساً ، فَلَمَّا نَزَلَتْ صَرَفَ الْحِرْسَ ، كَمَا غَفَلُوا عَنْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مُشْرَعٌ ، وَلَهُ أَصْحَابٌ سَيِّمُوا مِنَ الْعَذَابِ أَلْوَاناً ، فَلَوْ لَمْ يَكُنْ ﷺ بِفَعْلِهِ أَسْوَةٌ لَهُمْ لَتَعَرَّضُوا لِلْفِتَاءِ ، وَلَوْ قَفَّ سَيْرُ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ ، وَلَمَّا أُتِيَ لَه أَنْ يَلْقَى الْأَنْصَارَ ، وَيَبَايِعَهُمْ عَلَى إِيْوَائِهِ وَنَصْرَتِهِ ، فَكَانُوا كَتِيبَةَ الْإِسْلَامِ الْأُولَى الَّتِي حَقَّقَ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهَا أَعْظَمَ انْتِصَارٍ ؛ فَتَخَّعَ أَمَامَ الدَّعْوَةِ أَبْوَابَ الدُّنْيَا ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لِيَنْقُصَ مَنْ يَقِينُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَصَدَقَ اعْتِمَادُهُ عَلَى اللَّهِ شَيْئاً » . « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ » ( ٢ / ٣٢٤ - ٣٢٥ ) .

فقال : « لا ، بل مجير » .

فقال : « إذن ، لا يُخَفَّرُ جوارك » .

ثمَّ قعدَ أبو سفيان مع المطعم بن عديّ حتَّى فرغَ رسولُ الله ﷺ من طوافه ، وصلَّى ركعتين ، ثمَّ انصرفَ إلى بيته ومطعم وأهله يحرسونه بأسلحتهم» (١) .

\* وقد حفظَ الصَّادِقُ المصدوقُ ﷺ للمطعم هذا الصَّنِيعَ وهذه الأريحيَّةَ ، فقال عن أسارى بدر ، كما يروي البخاريُّ وغيره عن جُبَيْرِ بنِ

---

(١) انظر : « زاد المعاد » ( ٢ / ٤٧ ) ، و« ديوان حسان » ( ص : ٢٤٣ ) مع الجمع والتصرّف بينهما .

والآن ، تعالوا نحلِّقُ في فضاء الأدب ، لنستروح عبير هذه التَّغْرِيدة التي تتحدَّثُ بحروفٍ لطيفةٍ ، وقوافٍ خفيفةٍ عن دخولِ رسولِ الله ﷺ مكَّةَ في جوار :

عاد النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ من رحلةٍ كانت مريره  
كانت أمرَّ من المرارة إذ تناءت في المسيره  
هي رحلةٌ مشؤومةٌ أودتْ بآمالِ كيبره  
عاد الرَّسولُ لقومه أهل الحزازات الخطيره  
قد جاء مكة عائداً من رحلة الثُّؤم العسيره  
لكنَّ مكَّةَ أغلقوها بثس إخوان العشيره  
لم يسمحوا لمحمَّدٍ بدخولها من غير جيره  
قد أرسلَ الهادي لمطعم إنَّه شهيم وخيره  
قد هبَّ مطعمٌ مع بنيه إلى الرَّسولِ لكي يجيره  
جاؤوا سريعاً بالسَّلاح كأنَّهم أسد مغيره  
هَبُّوا ليحموا جارهم هو خير أبناء الجزيره  
عاد النَّبِيُّ لبيته فالغَمُّ قد أدمى ضميره

مطعم : « لو كان المطعمُ بنُ عديّ حيّاً ، ثمّ كلّمني في هؤلاء التّنتي ، لتركّتهم له » (١) .

\* ولو تأملنا هذا الحديث العظيم ، لعلمنا أنّ الحبيب المصطفى ﷺ ، قد اجتذب من خلاله إلى صفوف المسلمين ابنَ مطعم سيّدنا جُبيرا ، وكان إذ ذاك مشركاً قدم المدينة في قضية الفداء ، فلمس صحّة الإسلام ، وعلم أنّ رسول الله ﷺ يعرف الحقوق لأهلها ، وإن كانوا على غير دينه .

\* وينبغي أيضاً ألا ننسى بأنّ المطعم بن عديّ كان شريفاً ذا صيت في قريش ، وكان حسن البلاء في أمر الصحيفة التي كتبتها قريش ظملاً على بني هاشم ، وفيه يقول أبو طالب بن عبد المطلب مذكراً إياه ببعض ما أسلف له :

أُطْعِمُ لَمْ أَخْذَلْكَ فِي يَوْمِ نَجْدَةٍ      وَلَا مُعْظِمٍ عِنْدَ الْأُمُورِ الْجَلَائِلِ  
أُطْعِمُ إِنَّ الْقَوْمَ سَامُوكَ خَطَّةً      وَإِنِّي مَتَى أُؤَكَّلُ فَلَسْتُ بِوَائِلِ  
جَزَى اللهُ عَنَّا عَبْدَ شَمْسٍ وَنُوفَلًا      عَقُوبَةَ شَرٍّ عَاجِلًا غَيْرَ آجِلِ (٢)

(١) أخرجه البخاري في المغازي برقم : ( ٤٠٢٤ ) ، وأبو داود برقم : ( ٢٦٨٩ ) ، وأحمد ( ٥ / ٦١٥ ) برقم : ( ١٦٧٣٣ ) ، والطبراني في « الكبير » ( ٢ / ١١٨ ) برقم : ( ١٥٠٨ ) .

(٢) انظر : « الاشتقاق » لابن دريد ( ص : ٨٨ ) ، و« السيرة النبوية » ( ١ / ٢٧٧ ) مع الجمع والتصرّف بينهما .

وقوله « ساموك خطة » : كلفوك . و« لست بوائل » : لست بناج ، يقال : « ما وأل من كذا ؛ أي : ما نجا . وفي الخبر : فلا وألث نفس الجبان ؛ أي : لا نجث » .

وقال الإمام الذهبي رحمه الله عن والد جبير : « وكان أبوه هو الذي قام بنقض صحيفة القطيعة ، وكان يحنو على أهل الشعب ، ويصلهم في السرّ ، وهو الذي أجاز النبي ﷺ حين رجع من الطائف حتى طاف بعمرة » . « سير أعلام النبلاء » ( ٣ / ٩٥ ) .

\* ونقرأ في « الإلياذة الإسلامية » عند أحمد محرّم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هذه المقطوعة بعنوان : « المُطعم بن عدي » :

ما رأينا كالمُطعم بن عديّ      جافياً وإصلاً هيوباً جَسُورا  
 آثرَ الكفرَ ملّةً وأجارَ الدَّ      ينَ مُستضعفاً يدورُ شطيرا  
 رامَ بالطائفِ المُقامَ فأعيا      فانتننى يطلُبُ الأمانَ حَسيرا  
 وَكَلَّ اللهُ بالبُؤةِ منه      أسداً يملأُ الفِضاءَ زئيرا  
 قائماً في السّلاحِ يجمعُ حَولِي      هـ شبولاً تحمي الحمى ونمورا  
 يمنعُ القومَ أن يصدّوا رسولَ      اللهُ عن بيتِهِ ويأبى الخُفورا  
 نقضَ الحلفَ من قريشٍ فأمسى      أسلمته العرى وكان مريرا  
 عجباً لِلغوِيِّ يُعطيك منه      عملاً صالحاً ورأياً فطيرا  
 ما رأينا مَنْ ظَنَّ بالزّرعِ شراً      فَحَمَى أرضَه وصانَ البذورا  
 لو جزى اللهُ كافراً أجرَ ما أح      سن يوماً لخلتَه مأجورا<sup>(١)</sup>

### جُبَيْرِيَّاتٌ رَقِيقَةٌ :

\* لسيدنا جبير بن مطعم أخبارٌ ملوّنةٌ ومنعشةٌ في ثنايا السّيرة النّبويّة ، كما أنّ له أخباراً قاتمةً ، فلمّا أكرمه اللهُ - عزَّ وجلَّ - بالإسلام تألّق في أقوالهِ

(١) « ديوان مجد الإسلام » (ص : ٤٨ - ٤٩) . وقوله : « شطيرا » : الشّطير : الغريب والبعيد . و« حسيرا » : كالأمتعاً . و« الخفورا » : الخفور : نقض العهد والغدر . و« مريرا » : المرير : ما اشتدّ فتلّه من الجبال . وحلف قريش لهذا : هو الحلفُ الذي عقده ضدّ بني هاشم وعبد المطلب ؛ لإبائهم أن يخلّوا بينهم وبين رسولِ الله ﷺ ليقتلوه ، ويودوا دينه مضاعفةً ، فتعاهدوا على منابذتهم وإخراجهم من مكّة إلى شعبِ أبي طالب ، ومنعهم من حضور الأسواق لتجويعهم ، وألا يصابروهم ، أو يبيعوا لهم أو يشتروا منهم ، أو يقبلوا لهم صلحاً إلا إذا أجابوهم إلى طلبهم ، وظلت المقاطعة ثلاث سنوات ، وكتبوا بذلك صحيفة ، كان ممن نقضها المطعم بن عدي ، وقيل : إنّه هو الذي مرّق الصّحيفة . و« فطيرا » : من غير روية ؛ أي : بدهيّ .

وسلوكة ، وغدا من الرجال العاملين العالمين الذين تركوا آثاراً نعتزُّ بها في حياتنا مع الصحابة ، ولا سيما في روايته لأحاديث البشير النذير ﷺ ، وكذلك روايته لبعض الأخبار الجميلة التي تتعلق بدلائل النبوة ، وذكر سيدنا رسول الله ﷺ عند بعض أهل الكتاب .

\* ومن الأخبار التي تناقلتها عدَّة مصادر من أن أمنا أم المؤمنين عائشة - رضوان الله عليها - كان مطعم بن عدي قد خطبها لابنه جبير قبل رسول الله ﷺ .

\* فقد ورد أن الصحابيَّة الجليَّة خولة بنت حكيم السلميَّة (١) دخلت على السيِّدة الجليَّة أم رومان (٢) أم عائشة وامرأة الصديق - رضي الله عنهم أجمعين - ، وأخبرتها بأن رسول الله ﷺ قد أرسلها يخطب عائشة ، فقالت أم رومان - رضي الله عنها - : « إنَّ مطعم بن عدي قد ذكرها على ابنه ، والله ما وعد أبو بكر وعداً فأخلفه » . ودخل سيدنا أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - على مطعم بن عدي ، وعنده أمراته أم الفتى ، فقالت لأبي بكر : « يا بن أبي قحافة ! لعلك مُصبيٌّ صاحبنا ، تدخله في دينك الذي أنت عليه إن تزوج إليك ؟ ! » .

فقال أبو بكر - رضي الله عنه - للمطعم بن عدي : « أقول هذه تقول ! » .

قال : « إنَّها تقول ذلك » .

---

(١) اقرأ سيرة الصحابيَّة الكريمة المؤمنة خولة بنت حكيم في موسوعتنا : « نساء من عصر النبوة » ( ص : ١٦٤ - ١٧١ ) فسيرتها قدوة لكل امرأة تؤمن بالله - عزَّ وجلَّ - . والكتاب مطبوعٌ بدار ابن كثير بدمشق - طبعة : ٣ - ٢٠٠٣ م .

(٢) اقرأ سيرة الصحابيَّة المتألِّفة حماة سيدنا رسول الله ﷺ السيِّدة أم رومان في كتابنا « نساء مبشرات بالجنة » ( ص : ٨٢ - ٩٤ ) دار ابن كثير - ط : ٥ - ٢٠٠٣ م . فسيرتها إمتاع للأسماع .

فخرج من عنده ، وقد أذهب الله - عزَّ وجلَّ - ما كان في نفسه من عدته التي وعده - وكان وعده في زواج عائشة لابنه جبير - ، ثمَّ رجع أبو بكر - رضي الله عنه - إلى السيِّدة خولة بنت حكيم وقال لها : « ادعي لي رسولَ الله ﷺ ، فدعته ، فزوّجها إيَّاه » (١) .

\* وذكر الإمام القرطبيّ رَحِمَهُ اللهُ شيئاً من هذا الأمر في تفسيره فقال عن زوجات النَّبِيِّ ﷺ : « ومنهنَّ عائشة بنتُ أبي بكر الصِّدِّيق - رضي الله عنهما - ، وكانت مسماة لجبير بن مطعم ، فخطبها رسولُ الله ﷺ ، فقال أبو بكر - رضي الله عنه - : يا رسولَ الله ! دعني أسألها من جبير سلاً رقيقاً ، فتزوّجها رسولُ الله ﷺ . . . » (٢) .

\* وفي « أنساب الأشراف » قال البلاذريُّ : « وكانت عائشة - رضي الله عنها - مسماة لجبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف ، فسألها أبو بكر - رضي الله عنه - سلاً ، وزوّجها رسولَ الله ﷺ » (٣) .

\* ومن الأخبار الجبريَّة الأنيقة المتعلّقة بأحداث السيرة النبويَّة ومجرياتها ، ودلائل نبوة الحبيب الأعظم ﷺ ، ما سرَّده لنا جبير بن مطعم - رضي الله عنه - قال : « لمَّا بعثَ اللهُ - عزَّ وجلَّ - نبيّه ﷺ ، وظهر أمره بمكَّة ، خرجت إلى الشَّام ، فلمَّا كنتُ ببصرى ؛ أتتني جماعةٌ من النَّصارى ، قالوا : أمِنَ الحرم أنت ؟

قلتُ : نعم .

قالوا : فتعرفُ هذا الذي تنبأ فيكم ؟

(١) انظر : « صحيح السيرة النبوية » ( ص : ١٢١ - ١٢٣ ) بتصرّف ؛ وانظر مصادر القصة فيه وتعليق المؤلف عليها .

(٢) « تفسير القرطبي » ( ١٤ / ١٦٤ ) .

(٣) « أنساب الأشراف » ( ١ / ٤٠٩ ) .

قلت : نعم .

قال : فأخذوا بيدي ، فأدخلوني ديراً لهم فيه تماثيل وصور ؛ فقالوا لي : انظر ، هل ترى صورة هذا النبي الذي بُعث فيكم ؟

فنظرتُ فلم أرَ صورته .

قلت : لا أرى صورته .

فأدخلوني ديراً أكبرَ من ذلك الدَّير ، وإذا فيه تماثيل وصور أكثر ممَّا في ذلك الدَّير .

فقالوا لي : انظر ، هل ترى صورته ؟

فنظرت ، فإذا أنا بصفة رسولِ الله ﷺ وصورته ، وإذا أنا بصفة أبي بكر وصورته ، وهو أخذٌ بعقب رسولِ الله ﷺ .

فقالوا لي : هل ترى صفته ؟

قلتُ : نعم ، فقلتُ : لا أخبرهم حتَّى أعرفَ ما يقولون .

قالوا : أهو هذا قُلْتَ ؟ وأشاروا إلى صفة رسولِ الله ﷺ .

فقلت : اللهم اشهد أنه هو .

قالوا : أتعرفُ هذا الذي أخذ بعقبه ؟

قلتُ : نعم .

قالوا : نشهدُ أنَّ هذا صاحبكم ، وأنَّ هذا الخليفةَ من بعده « (١) » .

\* ونجدُ هذه القصةَ الجبيرةَ الرقيقةَ بصورةٍ أكثر وضوحاً عند

---

(١) « دلائل النبوة » للأصبهاني (١ / ٥٥ - ٥٦) برقم : (١٢) ، و« البداية والنهاية »

(٦ / ٦٣) ، و« المعجم الكبير » للطبراني (٢ / ١٢٥) ، و« شرح حياة الصحابة »

(٤ / ٣٦٩) ، و« دلائل النبوة » للبيهقي (١ / ٣٨٤ - ٣٨٥) .



الطَّبْرَانِيّ ؛ إِذْ أَخْرَجَ بَسْنَدِهِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ رَبِاحِ اللَّخْمِيِّ ، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعَمٍ قَالَ : « كُنْتُ أَكْرَهُ أَدَى قَرِيشٍ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؛ وَلَمَّا ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ سَيَقْتُلُونَهُ ، خَرَجْتُ حَتَّى لَحَقْتُ بِدَيْرٍ مِنَ الدِّيَارَاتِ ، فَذَهَبَ أَهْلُ الدَّيْرِ إِلَى رَأْسِهِمْ ، فَأَخْبَرُوهُ فَقَالَ : أَقِيمُوا لَهُ حَقَّهُ الَّذِي يَنْبَغِي لَهُ ثَلَاثًا . فَلَمَّا مَرَّتْ ثَلَاثُ رَأْوِهِ لَمْ يَذْهَبْ ، فَانْطَلَقُوا إِلَى صَاحِبِهِمْ ، فَأَخْبَرُوهُ ، فَقَالَ : قَوْلُوا لَهُ : قَدْ أَقْمْنَا لَكَ حَقَّكَ الَّذِي يَنْبَغِي لَكَ ، فَإِنْ كُنْتَ وَصِيْبًا فَقَدْ ذَهَبَ وَصَبِكَ ، وَإِنْ كُنْتَ وَاصِلًا فَقَدْ نَالَ - يَنْبَغِي - لَكَ أَنْ تَذْهَبَ إِلَى مَنْ تَصِلُ ، وَإِنْ كُنْتَ تَاجِرًا فَقَدْ نَالَ لَكَ أَنْ تَخْرُجَ إِلَى تِجَارَتِكَ .

قال : ما كنت واصلًا ، ولا تاجرًا ، وما أنا بنصيب .

فذهبوا إليه فأخبروه ؛ فقال : إنَّ له لثأناً ، فسألوه ما شأنه ؟

فأتوه ، فسألوه ، فقال : لا والله ، إلا أنني في قرية إبراهيم ، وابن عمي يزعم أنه نبيٌّ ، فأذاه قومه ، وتخوفتُ أن يقتلوه ، فخرجتُ لثأله أشهد ذلك .

فذهبوا إلى صاحبهم فأخبروه بقولي ، قال : هلمُّوا ؛ فأتيته ، فقصصتُ عليه قصتي ، فقال : تخافُ أن يقتلوه ؟

قلتُ : نعم .

قال : وتعرفُ شبهه لو تراه مُصَوَّرًا ؟

قلتُ : نعم ، عهدي به قريبٌ .

فأراه صوراً مغطّاةً ، فجعل يكشفُ صورةَ صورةً ، ثمَّ يقولُ : أتعرفُ ؟

فأقولُ : لا ، حتَّى كشفَ صورةَ مغطّاةً .

فقلتُ : ما رأيتُ شيئاً أشبه بشيءٍ من هذه الصُّورةِ به ، كأنه طولُه ، وجسمُه ، وبُعْدُ ما بين منكبَيْه .

قال : فتخافُ أن يقتلوه ؟

قال : أظنُّهم قد فرغوا منه .

قال : والله لا يقتلوه ، ولنقتلن مَنْ يريدُ قتله ، وإنه لنبيّ ، وليظهره الله ، ولكن قد وجبَ حقك علينا ، فامكث ما بدا لك ، وأدع بما شئت .

قال : فمكثت عندهم حيناً ، ثم قلت : لو أطعتمهم ، فقدمت مكة ، فوجدتهم قد أخرجوا رسولَ الله ﷺ إلى المدينة ، فلمّا قدمت قامت إليّ قريشُ ، فقالوا : قد تبينَ لنا أمرك ، وعرفنا شأنك ، فهلمّ أموال الصّبيّة التي عندك استودعكها أبوك .

فقلتُ : ما كنتُ لأفعلَ حتّى تفرّقوا بين رأسي وجسدي ، ولكن دعوني أذهب فأدفعها إليهم .

فقالوا : إنّ عليك عهدَ الله وميثاقه ألا تأكلَ من طعامه .

قال : فقدمتُ المدينة ، وقد بلغَ رسولَ الله ﷺ الخبرُ ، فدخلتُ عليه ، فقال لي فيما يقول : « إنّي لأراك جائعاً ؛ هلمّوا طعاماً » .

قلتُ : لا آكلُ حتّى أخبرك ، فإن رأيتَ أن آكلَ أكلتُ .

قال : فحدّثته بما أخذوا عليّ .

قال : « فأوفِ بعهدك ، ولا تأكلَ من طعامنا ، ولا تشربَ من شرابنا » (١) .

\* وجاء عند البيهقيّ عن جُبَيْرِ بْنِ مطعم قال : « خرجتُ تاجراً إلى الشّام ، فلقيتُ رجلاً من أهل الكتاب ، فقال : هل عندكم رجلٌ يتنبأ ؟ قلتُ : نعم ، فجاء رجلٌ من أهل الكتاب ، فقال : فيما أتيتم ؟ فأخبره ، فأدخلني منزلاً له ، فإذا فيه صوّرٌ ، فرأيتُ النّبيّ ﷺ . قال : هو هذا ؟

(١) « المعجم الكبير » ( ٢ / ١٤٤ - ١٤٥ ) برقم : ( ١٦٠٩ ) ، وانظر : « سير أعلام النبلاء » ( ٣ / ٩٦ - ٩٧ ) ، و« مختصر تاريخ دمشق » ( ٦ / ٦ - ٧ ) ، وانظر : « مجمع الزوائد » ( ٨ / ٢٣٣ - ٢٣٤ ) .

قلتُ : نعم . قال : إنَّه لم يكن نبيِّ إلا كان بعده نبيِّ ، إلا هذا النَّبيِّ « (١) .

\* ومن الرَّقائِقِ اللطيفة التي تزدانُ بها سيرة سيِّدنا جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ - رضي اللهُ عنه - شهامتهُ ومروءتهُ وقيامهُ بواجبِ حقوقِ الآخرين في ساعاتِ حرجةٍ من سَيْرِ الرِّسالةِ المحمَّديَّةِ ؛ إذ أجاز سعد بن عبادة الأنصاريَّ عقب بيعةِ العقبة .

\* فقد نُمي إلى قريش خبر البيعةِ المباركةِ ، وتفرَّقَ الأنصارُ ، فخرجَ نفرٌ من قريش في طلبِ النَّاسِ ، فأدركوا سعدَ بنَ عبادةٍ بإذخر - مكان قرب مكة - ، وكان من الثُّقباءِ ، فأخذوه وربطوا يديه إلى عنقه ، ثمَّ أقبلوا به حتَّى أدخلوه مكَّةَ يضرِّبونَه ، ويجذبونَه من شَعْرِه ، فجاء سهيلُ بنُ عمرو العامريِّ - وكان رجلاً وضيئاً أبيضَ شعشاعٍ حلواً من الرِّجالِ - فلَكَمَ سعداً لكمةً شديدةً ، ثمَّ جاء رجلٌ فقال لسعد : « أما بينك وبين أحدٍ من قريش جوار ولا عهد ؟ » .

قال سعد : « بلَى » ، والله لقد كنتُ أجيرٌ لجبَيْرِ بنِ مطعمٍ تجَّاره ، وأمنعُهُم ممَّن أرادَ بهم ظلمهم ببلادِي ، وللحارثِ بنِ حربِ بنِ أميةِ بن عبد شمسٍ « .

قال الرَّجل : « فاهتفِ باسمِ الرَّجلينِ ، واذكُرْ ما بينك وبينهما » .

ففعَلَ سعدٌ ذلك ، فقدم جبَيْرٌ والحارثُ ؛ وخلَّصَا سعداً من أيدي قريشٍ وقالوا : « صدقَ اللهُ ، إنَّ كان ليَجِيرُ لنا تجَّارنا ويمنعهم أن يُظلموا في بلدِه » . فانطلقَ سعدٌ إلى بلدِه وهو شاكرٌ لجبَيْرِ والحارثِ صنيعهما (٢) .

\* وهذا موقفٌ رحمةٍ نبويَّةٍ ينقلها لنا جبَيْرُ بنُ مطعمٍ - رضي اللهُ عنه - ، وهو يسرُّ بعضَ المواقِفِ المتألِّفةِ في ثنايا السِّيرةِ النَّبويَّةِ ، ويتحفنا بقصَّةِ إسلامِ

(١) « دلائلُ الثُّبوةِ » للبيهقيِّ (١ / ٣٨٥) .

(٢) « البدايةُ والنَّهايةُ » (٣ / ١٦٤ - ١٦٥) بشيءٍ من التَّصرُّفِ .

أحد كبار الذين آذوا رسولَ الله ﷺ ، وآذوا ابنته سيِّدتنا زينبَ - رضي الله عنها - .

\* جاء في أخبار سيِّدنا جبير وقصصه الجميلة في الرِّحاب المحمَّديَّة والمجالس النَّبويَّة أنَّه قال : « كنتُ جالساً مع النَّبيِّ ﷺ في أصحابه في مسجده ، منصرفه من الجِعْرانة ، فطلعَ هَبَّارُ بنُ الأسود بن المطلب القرشيِّ - وكان ممَّن أُهدرتْ دماؤهم - من بابِ رسولِ الله ﷺ ، فلمَّا نظرَ القومُ إليه قالوا : يا رسولَ الله ! هَبَّارُ بنُ الأسود !

قال رسول الله ﷺ : « قد رأيتُهُ » .

فأراد بعضُ القومِ القيامَ إليه ، فأشار النَّبيُّ ﷺ أن اجلس ، ووقفَ عليه هَبَّارُ فقال : السَّلَامُ عليك يا رسولَ الله ! إنِّي أشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ ، وأنَّكَ رسولُ الله ، ولقد هربتُ منك في البلاد ، وأردتُ اللِّحوقَ بالأعاجم ، ثمَّ ذكرتُ عائدتك وفضلك وبرِّك وصفحك عمَّن جهلَ عليك ؛ وكنا يا رسولَ الله ! أهلَ شرك ، فهدانا اللهُ - عزَّ وجلَّ - بك ، وأنقذنا بك من الهلكة ، فاصفحْ عن جهلي ، وعمَّا كان يبلغك عني ، فإنِّي مقرٌّ بسوءِ فعلي ، معترفٌ بذنبي .

فقال رسولُ الله ﷺ : « قد عفوتُ عنك ، وقد أحسنَ اللهُ بك حيثُ هداك للإسلام ، والإسلامُ يَجِبُ ما كان قبله » (١) .

\* ومن أحاديث جُبَيْرِ العذبة عن تكسيرِ الأصنامِ يومِ الفتح ، وكيف أعزَّ اللهُ دينَه يروي لنا سيِّدنا جُبَيْرُ هذه الحادثة التي تبشِّرُ بخير ، فيقولُ : « لمَّا كان يومُ الفتح نادى مُنادي رسولِ الله ﷺ : « مَنْ كان يؤمنُ بالله فلا يتركَنَّ في بيته صنماً إلاَّ كسره ، أو حرَّقه ، وثمنه حرام » .

قال جُبَيْرٌ : وقد كنتُ أرى قبلَ ذلك الأصنامَ يُطافُ بها مكَّة ، فيشتريها

(١) « المغازي » ( ٢ / ٨٥٨ ) ، و« أسد الغابة » ( ٤ / ٦٠٩ ) ترجمة رقم : ( ٥٣٣٤ ) .

أهل البدو ، فيخرجون بها إلى بيوتهم ، وما من رجل من قريش إلا وفي بيته صنمٌ ، إذا دخل مَسَحَهُ ، وإذا خرج مَسَحَهُ تبرُّكاً به « (١) .

## موقفه من الإسلام :

\* علمنا ممَّا سبق أنَّ جُبيراً لم يكن من السفهاء الذين عادوا رسولَ الله ﷺ ، وترَبَّصوا به يبغيونه الغوائل ، ولكنَّه لم يُسَلِّمْ ، أو يعتزلُ مجالسَ قريشِ العدائيَّة ، بل تذكرُ أحداثَ السَّيرة النَّبويَّة أنَّه كان في دار النَّدوة مع ثلَّةٍ من كبار المشركين يأتَمرون ويتشاورون في أمر النَّبيِّ ﷺ الذي أفضَّ مضاجعهم ، وسَفَّه أحلامهم ، وعاب آلهتهم ، وتوصَّلَ المعجرون فيما بينهم إلى أن يقتلوا النَّبيَّ ﷺ ، ويومها بات فتى قريشِ عليُّ بنُ أبي طالب - رضي الله عنه - في بيت النَّبيِّ ﷺ وعلى فراشه ، وخرج ﷺ ، وقد أخذ اللهُ على أبصارهم ؛ فلم يَرَوْهُ ، وهذا الأمر متعالماً واضحٌ في مصادر السَّيرة النَّبويَّة وأحداثها إِبَّانَ الهجرة (٢) .

\* وعقب بدر كان جُبَيْرٌ من بين النَّفر الذين قدموا من مكَّة إلى المدينة في فداء الأسرى ، وقد افتدى جماعةً منهم : عديُّ بنُ الخيار ، وعثمانُ بنُ عبد شمس ، وأبو ثور ، وهؤلاء افتداهم جُبَيْرُ بنُ مطعم ، كما ذكر

---

(١) انظر : في هذا الأمر : « المغازي » ( ٢ / ٨٧٠ - ٨٧١ ) ، و« شفاء الغرام » للفا سي ( ٢ / ٤٤٧ ) . ومن الجدير بالذكر أنَّ رسولَ الله ﷺ أمر أن يُنادى بمكَّة : « مَنْ كان يؤمنُ بالله وبرسوله فلا يدعَنَّ في بيته صنماً إلا كسره » ، فجعلَ المسلمون يكسرون تلك الأصنام ، وكان عكرمة بنُ أبي جهل حين أسلم لا يسمعُ بصنم في بيتٍ من بيوتِ قريش إلا مشى إليه حتَّى يكسره . وذكروا أنَّ هند بنتَ عتبة - رضي الله عنها - جعلتُ تضربُ صنماً في بيتها بالقدم ، فلذة فلذة ، وهي تقول : « كَتَأْمَنُكَ فِي غُرُورٍ » .

(٢) انظر مثلاً : « السَّيرة النَّبويَّة » ( ١ / ٤٨١ ) ، و« رجال أهل البيت » ( ص : ٣٠١ - ٣١٦ ) .

الواقدي رَحِمَهُ اللهُ فِي مَغَازِيهِ (١) .

\* وكان لجبير بن مطعم في غزوة أحدٍ أكثر من موقفٍ مؤلمٍ مع قومه ، ولذلك ليصدَّ معهم عن سبيلِ الله - عزَّ وجلَّ - ، وكان ممَّن حَرَّضَ الشَّاعِرَ أبا عَزَّةَ الجُمحِيَّ على هِجاءِ المُسلمين ، يُوَلِّبُ النَّاسَ ضِدَّهُم بِشِعْرِهِ وَنَفْسِهِ ؛ لِيُخْرِجَهُم مِّنْ أَرْضِهِمْ ، وَمَنْ ثُمَّ يِقَاتِلُوا المُسلمين .

\* وكان أبو عَزَّةَ الجُمحِيَّ ممَّن أُسِرَ بِبَدْرٍ ، وَمَنْ عَلَيْهِ رِسُولُ اللهِ ﷺ وَأُطْلِقَهُ دُونَ فِدَاءٍ ، فَعَاهَدَهُ أَلَّا يَظَاهِرَ عَلَيْهِ ، وَحَلَفَ لَهُ أَغْلَظَ الأَيْمَانِ أَنْ سِيكِفَتْ لِسَانَهُ وَسِنَانَهُ .

\* وَلَمَّا أَجْمَعَتْ قَرِيشٌ لِحَرْبِ الصَّادِقِ المِصْدُوقِ ﷺ بِمَنْ أَطَاعَهَا مِنَ القَبَائِلِ ، وَبِمَنْ أَغْوَتْهُم مِنَ النَّاسِ ، أَبَى أَبُو عَزَّةَ أَنْ يَخْرُجَ ، وَقَالَ : « مَنْ عَلَيَّ مُحَمَّدٌ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَلَمْ يَمَنَّ عَلَيَّ غَيْرِي ، وَحَلَفْتُ لَا أَظَاهِرُ عَلَيْهِ عَدُوًّا أَبَدًا » . فَمَشَى إِلَيْهِ صِفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ - وَكَانَ لَا يَزَالُ عَلَيَّ شَرَكَةً - وَقَالَ لَهُ : « أَخْرِجْ » فَأَبَى أَبُو عَزَّةَ ، وَأَخْبَرَهُ بَعْدَهُ وَقَصَّتَهُ فِي بَدْرٍ ، فَقَالَ صِفْوَانُ لَهُ مَرَّعِبًا : « أَخْرِجْ مَعَنَا ، فَإِنْ تَسَلَّمَ أُعْطِكَ مِنَ المَالِ مَا شِئْتَ ، وَإِنْ تُقَاتَلَ أَجْعَلُ بَنَاتِكَ مَعَ بَنَاتِي ، يَصِيبُهُنَّ مَا أَصَابَهُنَّ مِنْ عَسْرٍِ وَيَسْرٍ » ، فَأَبَى أَبُو عَزَّةَ حَتَّى كَانَ الغَدُ ، وَأَيْسَ مِنْهُ صِفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ ، فَجَاءَ جُبَيْرُ بْنُ مُطْعَمٍ ، فَقَالَ لَهُ كَمَا قَالَ صِفْوَانُ وَرَغْبَةً ، فَأَبَى ، فَقَالَ جُبَيْرٌ مُحْرَضًا أبا عَزَّةَ وَمُحْرَكًا بِدَاخِلِهِ كَوَامِنَ العَيْظِ : « وَيَحْكُ أبا عَزَّةَ ! مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّيَ أَعِيشُ حَتَّى يَمْشِيَ إِلَيْكَ أَبُو وَهَبٍ - كِنِيَةَ صِفْوَانٍ - فِي أَمْرِ تَأْبِي عَلَيْهِ ! » فَأَحْفَظُهُ قَوْلُ جُبَيْرِ ، وَانْدَفَعَ فَقَالَ : « فَأَنَا أَخْرِجُ » ، فَخَرَجَ فِي العَرَبِ يَجْمَعُهَا ، وَهُوَ يَقُولُ :

يا بني عبد مناة الرُّزَّامِ      أنتم حماةٌ وأبوكم حَمامِ  
لا تُسَلِّمُونِي لَا يَحِلُّ إِسْلَامِ      لا تَعِدُونِي نَصْرَكُمْ بَعْدَ العَامِ (٢)

(١) « المغازي » ( ١ / ١٣٠ - ١٣٩ ) .

(٢) « السيرة النبوية » ( ١ / ٦١ ) ، و « المغازي » ( ١ / ٢٠١ ) ، و « السير والمغازي » =

\* ولم يتوقف جبيرٌ عند هذا الحدِّ ، بل كان له عبدٌ حبشيٌّ اسمه : وحشيٌّ بن حرب من أمهرِ النَّاسِ قَدْفاً بالحربة ، أخذَ يحرضُه لكي يغتالَ حمزة بن عبد المطلب - رضي الله عنه - الذي قتلَ أخته جُبَيْرِ يوم بدر<sup>(١)</sup> ، ووعده بأنَّ يعتقه إنْ نَفَذَ هذه المهمةَ الغادرة السَّوءاءَ ، كما تصوَّرها لنا هذه التَّغريدةُ الجميلةُ النَّاطقةُ بلسانِ الحالِ ؛ لما حدثَ مع صفوانَ وأبي عزةَ الجمحيِّ وجبيرٍ من المقال ، فلنعشُ مع همساتِ حروفها التي تميز بين الرِّقَّةِ والدِّلالِ :

هَلْذِي قُرَيْشٌ جَنَّدَتْ لِلْحَرْبِ كُلَّ الْحَاقِدِينَ  
 جَمَعُوا الْقَبَائِلَ مِنْ كِنَانَةَ مِنْ تَهَامَةَ أَجْمَعِينَ  
 حَتَّى الْأَحَابِيْشِ الرَّعَاعِ فَشَارَكُوا مُتَضَامِينَ  
 قَدْ أَنْفَقُوا الْأَمْوَالَ حَتَّى جَهَّزُوا الْجَيْشَ الْمَتِينَ  
 بُو عَزَّةَ الْجَمْحِيَّ أَيْضاً كَانَ بَيْنَ الدَّاهِبِينَ  
 قَدْ كَانَ هَذَا شَاعِراً بِالشُّعْرِ يَدْعُو الْمُشْرِكِينَ  
 بِالْأَمْسِ فُكَّ أَسَارَهُ عَفْواً مِنَ الْهَادِي الْأَمِينِ  
 قَدْ جَاءَ مَكْتَوْفاً بِيَدِ فِي الْأَسَارَى الْكَافِرِينَ  
 نَسِيَ اللَّعِينُ يَدَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ بِالْعَفْوِ الْمُبِينِ  
 وَغَدَا يَحْرِضُ لِلْجَمِيعِ عَلَى قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ  
 أَغْرَاهُ صَفْوَانٌ لِيُخْرِجَ إِنَّهُ وَغَدُّ لَعِينِ  
 أَغْرَى لَوْحَشِيَّ جُبَيْرٌ كَانَ ذَا حَقْدٍ دَفِينِ  
 قَدْ قَالَ يَا وَحْشِيَّ إِنْ تَقْتُلَ لِحَمْزَةَ عَنْ يَقِينِ  
 أَعْطَيْتُكَ الْعَتَقَ الَّذِي تَرْجُوهُ دُونَ الْعَالَمِينَ  
 هُوَ قَاتِلُ عَمِّي طُعَيْمَةَ مِنْ خِيَارِ الرَّاحِلِينَ<sup>(٢)</sup>

= لابن إسحاق ( ص : ٣٢٣ ) مع الجمع والتَّصْرِيفِ .

(١) انظر : « السَّيْرُ وَالْمَغَازِي » ( ص : ٣٢٣ ) وغير ذلك من كتب السَّيْرِ الْعَطْرَةِ .

(٢) « تغريدة السَّيْرِ النَّبَوِيَّة » ( ٢٦ / ٣ ) .

\* والآن ؛ دعونا نترك قاتل حمزة - رضي الله عنه - يروي كيف قتله ؛ إذ روى ذلك لرسول الله ﷺ حين سأله ﷺ عن ذلك ، فأجاب : « كنتُ غلاماً لجبير بن مطعم ، وكان عمّه طُعيمة بنُ عدي قد أُصيبَ يوم بدر ، فلمّا سارت قريش ، إلى أُحدٍ ، قال لي جبير : إن قتلَ حمزةَ عمّ محمّدٍ بعَمِّي ، فأنت عتيقُ ، فخرجتُ مع النَّاسِ ، وكنتُ رجلاً حبشياً أقذفُ بالحربة قذْفَ الحبشة ، قلّ ما أخطئُ بها شيئاً ، فلمّا التقى النَّاسُ خرجتُ أنظرُ حمزةَ وأتبصره . . . . وهزّزتُ حربتي حتّى إذا رضيتُ منها دفعْتُها عليه ، فوقعْتُ في ثُنْتَيْهِ - أسفل بطنه - حتّى خرجتُ من بين رجلَيْهِ ، وذهبَ لينوءَ نحوي فَعُلبَ ، وتركته حتّى مات ، ثمّ أتيتُهُ فأخذتُ حربتي ، ثمّ رجعتُ إلى العسكرِ ، وقعدتُ فيه ، ولم يكنْ لي بغيره حاجة ، إنّما قتلته لأعتقُ ، فلمّا قدمتُ مكّة عتقتُ . . . . » (١) .

(١) انظر : « شرح حياة الصّحابة » ( ١ / ٨٤٦ - ٨٤٧ ) ، وتخريج الحديث فيه . وقرأ بالتفصيل والتوثيق ما كتبناه عن سيّدنا حمزة في الباب الأوّل من كتابنا : « رجال أهل البيت في ضوء القرآن والحديث » ( ص : ٧٩ - ١٠٦ ) تجد معلوماتٍ مهمّة ، وتصحيح لكثيرٍ من المفاهيم التي رانتْ على عقولِ بعضِ النَّاسِ في موضوع استشهاد سيّدنا حمزة - رضي الله عنه - .

ولا بأس أن نقرأ الآن هذه التّغريدة التي توجزُ مقتلَ سيّدنا حمزة - رضي الله عنه وأرضاه - :

كُلُّ الحَدِيثِ بِشأنِ حمزةَ قد يضيّقُ عن المَعانِ  
 قد كان عمّ محمّد هو فارسُ الحربِ العَوانِ  
 في صوته رعبٌ يزلزلُ للفؤادِ مِنَ الجِبانِ  
 وحشيٌّ يروى عنه حقّاً ما رآه رؤى العِيانِ  
 قد قال جئتُ لقتله حتّى أُحرّرَ من هِوانِ  
 فرأيتُ حمزةَ يومذاك مبدداً كلَّ الأمانِ  
 قد صار يقتلُ كلَّ مَنْ يلقاهُ ضرباً بالسِّنّانِ  
 وبحربةٍ أعددتُها فرميتُهُ رمي الرّهانِ =



\* ومن الإضافات المهمة في هذا المجال أن وحشياً كان أول من أخبر قريشاً بقتل أصحاب النبي ﷺ وانتصار قريش ، وظفرهم بأحد ، كان وحشياً بن حرب عبد جبير بن مطعم ، فقد قدم على أهل مكة بمصاب المسلمين ، وفي مقدمتهم سيدنا حمزة بن عبد المطلب - رضي الله عنه - ، ووقف على جبل الحجون ونادى بأعلى صوته : « يا معشر قريش . . . . يا معشر قريش ! » مراراً ، حتى جاء الناس إليه وهم خائفون أن يأتيهم بما يكرهون ، فلما رضي منهم قال : « أبشروا ، قد قتلنا من أصحاب محمد مقتلة لم يقتل مثلها في زحف قط ، وجرحنا محمداً فأثبتناه بالجراح ، وقتلت رأس الكتيبة حمزة بن عبد المطلب » . وتفرق الناس بالشماتة بقتل أصحاب رسول الله ﷺ ، وإظهار السرور والرضا .

\* وتوجس جبير بن مطعم خيفة من هذا الكلام ، وأخذ ما قرب وبعده ، وداخله شك في صحة كلام غلامه وحشي ، فدعاه وخلاه به ، وقال : « ويحك ! انظر ما تقول » .

قال وحشي : « يا سيدي ! قد صدقت والله » .

قال جبير : « ويحك ! أقتلت حمزة ؟ » .

قال : « قد والله زرقته بالمزراق في بطنه حتى خرج من بين رجليه ، ثم نودي فلم يجب ، فأخذت كبده ، وحملتُها إليك لتراها » .

قال جبير : « أذهبت حزن نساءنا ، وبردت قلوبنا » .

وأمر يومئذ نساءه بمراجعة الطيب والدهن والعطر<sup>(١)</sup> .

\* ظل جبير بن مطعم على شركه بعد غزوة أحد ، مع أنه قد عرف طريق الحق منذ أن قدم في فداء الأسرى ، ولكن الله - عز وجل - لم يفتح على

= فقتلته قد كان ذلك مطلبي ذاك الزمان

(١) « المغازي » ( ١ / ٣٣٢ ) بشيء من التصرف .

قلبه ؛ كما أنه قد شهد مقتل زيد بن الدثنة ، وخبيب بن عدي - رضي الله عنهما - ، ويومها خاف خوفاً شديداً من دعوة حُبيب على قريش عندما قال قبل أن يقتلوه : « اللهم أَحْصِهِمْ عدداً ، واقتلْهُم بَدَداً ، ولا تغادرُ منهم احداً » . وكان جبيرٌ يقول : « لقد رأيتني يومئذٍ أُسْتَرُّ بِالرَّجَالِ فَرَقاً من أن أُشرفَ لدعوتِهِ » (١) .

## رحلته مع الإيمان :

\* عندما ذكر الإمام الذهبِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ جبيرَ بنَ مطعمٍ أثنى عليه بقوله : « من الطلقاء الذين حَسُنَ إسلامهم ، وقد قدمَ المدينةَ في فداء الأسارى من قومه . وكان موصوفاً بالحلم ، ونُبل الرأي كأبيه . وكان جبيرٌ شريفاً مطاعاً » (٢) .

\* أوردَ ابنُ عبد البرِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في سياق ترجمته لجبير : أنه كان فصيحاً عالمياً بالنسب فقال : « كان جبيرٌ بنُ مطعمٍ من حُلَمَاءِ قريشٍ وساداتهم ، وكان يُؤخَذُ عنه النَّسَبُ ، وكان من أنسبِ قريشٍ لقريش ، وللعرب قاطبة ، وكان يقول : إنما أخذتُ النَّسَبَ عن أبي بكر الصِّدِّيق - رضي الله عنه - ، وكان أبو بكر - رضي الله عنه - من أنسبِ العرب » (٣) .

\* ومن المؤكَّد أنَّ علمَ النَّسَبِ يستلزم فصاحةً بارعةً ، وتذوقاً خاصاً لمعاني الكلام ، ومن هذا المنطلق نستنتج أنَّ سيِّدنا جُبيراً كان فصيحاً عالمياً بمذاهب البلاغة ، ولذلك لما قدمَ المدينة المنورة في فداء الأسرى سمعَ آياتِ بَيِّنَاتٍ من سورة الطُّور ، ففهمها وتفاعلَ معها ، بل صدعَ قلبه لها ، وعملت في نفسه عملها ، وخافَ وعيدها ، فظلت آثارُ بلاغتها لا تفارقُ وجدانه حتى تذوقَ

(١) « المغازي » ( ١ / ٣٥٩ ) .

(٢) « سير أعلام النبلاء » ( ٣ / ٩٥ ) .

(٣) « الاستيعاب » ( ١ / ٢٣٢ ) . وانظر : « البيان والبيِّن » ( ١ / ٣٥٦ ) ،

و « المفضل في تاريخ العرب » ( ٥ / ٣٣٠ ) ، و « معرفة الصَّحابة » ( ١ / ٤٣١ ) .

حلاوة الإيمان ، وأصبح من الصَّحابة جنود الرّحمن .

\* عن هذه الطَّاهرة العظيمة روي عن سيّدنا جُبَيْرٍ - رضي الله عنه - أنّه قال : « قدمت المدينة لأَسألَ رسولَ الله ﷺ في أسارى بَدْرِ ، فوافيته يقرأ في صلاة المغرب : ﴿ وَالطُّورِ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوْ فَعُ ۗ ﴾ [ الطور : ١ - ٨ ] ، فكأثما صدعَ قلبي ، فأسلمتُ خوفاً من نزولِ العذاب ، وما كنتُ أظنُّ أن أقومَ من مقامي حتّى يقَعَ بي العذاب » (١) ، وفي رواية عند البخاريّ : « كاد قلبي أن يطيرَ » (٢) .

\* ونقرأ هذه القصّة عند ابن عساكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن جُبَيْرٍ - رضي الله عنه - قال : « قدمتُ على النَّبِيِّ ﷺ في فداء الأسرى ، فاضطجعتُ في المسجد بعد العصر ، وقد أصابني الكرى فمتمتُ ، فأقيمتُ صلاةَ المغرب ، فقممتُ فزعاً بقراءة النَّبِيِّ ﷺ في المغرب : ﴿ وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكُنْتَ مَسْطُورِ ﴾ [ الطور : ١ - ٢ ] ، فاستمعتُ قراءته حتّى خرجتُ من المسجد ، فكان يومئذٍ أوّل ما دخلَ الإسلام قلبي » (٣) .

\* استمرَّ سيّدنا جُبَيْرٌ بنُ مطعم - رضي الله عنه - في رحلته الإيمانيّة ،

---

(١) « تفسير القرطبيّ » ( ١٧ / ٦٢ ) ، وأخرجه الطَّبْرانِيُّ ( ٢ / ١١٧ ) برقم : ( ١٥٠٢ ) ، وانظر : « فتح الباري » ( ٢ / ٢٩٠ ) .

(٢) أخرجه البخاريّ في التفسير برقم : ( ٤٨٥٤ ) . قال الإمام الخطّابيّ : « كأنّه انزعج عند سماع هذه الآية لفهمه معناها ، ومعرفته بما تضمنته ، ففهم الحجّة ، فاستدركها بلطيفِ طبعه » . وقال : « ذكر الله - عزَّ وجلَّ - العلة التي عاقتهم عن الإيمان وهو عدم اليقين الذي هو موهبة من الله ، ولا يحصل إلا بتوفيقه ، فلهذا انزعج جُبَيْرٌ حتّى كاد قلبه يطيرُ ، ومال إلى الإسلام » .

ويمكن أن نقول : « إنّ قلبه كاد يطيرُ ممّا تضمّنَتْه هذه الشّورة الكريمة من الأحكام ، ومن وقعها المؤثّر في الأسماع والقلوب ، والله أعلم » .

(٣) « مختصر تاريخ دمشق » ( ٦ / ٥ ) .

فشهد المشاهدَ والمغازي النَّبَوِيَّةَ بعد إسلامه ، وذكروا بأنَّه من أصحاب المئتين من المؤلَّفة قلوبهم ، قال عبدُ الله بنُ أبي بكر بن حَزْم وغيرُهُ : « كان من إعطاء رسول الله ﷺ من المؤلَّفة قلوبهم من أصحاب المئتين من بني نوفل بن عبد مناف : جبيرُ بنُ مطعم مئة من الإبل » (١) .

\* وكان لجبير بعضُ الأخبار اللطيفة والطَّريفة مع سيِّدنا عمر بن الخطَّاب - رضي الله عنه - ، فقد كان سيِّدنا عمر يثقُ بمعرفة جُبَيْرِ بالأنساب معرفةَ البصير العليم ، لذلك لَمَّا أُتِيَ عمرُ بنُ الخطَّاب - رضي الله عنه - بسيف الثُّعمان بن المنذر ، دعا جبيرُ بنَ مطعم ، فسَلَّحه إيَّاه ، ثمَّ قال : « يا جبيرُ ! ممَّن كان الثُّعمان ؟ » .

قال : « كان رجلاً من أشلاء قَنَصَ بن معد » (٢) .

\* وذكر الذهبيُّ رَحِمَهُ اللهُ أَنْ خليفَةَ بنَ خياط قد عدَّ جُبَيْراً في عمال عمر على الكوفة ، وأنَّه ولَّاه قبل المغيرة بن شعبة (٣) .

\* وعن هذه الولاية يحدثنا ابن حمدون في « تذكرته » ويسردُ لنا قصَّةً طريفةً عن حيلةٍ لطيفةٍ قام بها المغيرةُ بنُ شعبة ليبقَى والياً على العراق ، ترى ما الحيلة (٤) المغيريَّة التي أتحننا بها المغيرةُ - رضي الله عنه ؟ ! - .

(١) « مختصر تاريخ دمشق » (٦ / ٧) ، و« سير أعلام النبلاء » (٣ / ٩٧) .

(٢) « مختصر تاريخ دمشق » (٦ / ٨) ، و« المفصل في تاريخ العرب » (٣ / ١٨٧) ، و« البيان والتبيين » (١ / ٣٠٣) .

(٣) « سير أعلام النبلاء » (٣ / ٩٧) .

(٤) « الحيلة » : الحيلةُ من فوائد الآراء المحكمة ، ونتائج الآراء المبصرة ، وهي حسنةٌ ما لم يُستَبَحَ بها محظور ، أو يُحظَرَ مباح ، وفضيلةٌ ما قصد بها صاحبها سبيل الإصلاح ، وقد سُومِحَ الكاذب في الحرب والانتلاف ، ورُفِعَ عنه الوزر في كذبه والاقتراف ، وإنَّما يكذب بضربٍ من الخديعة ، يجمع شتات الأحوال بعد القطيعة . « التذكرة الحمدوتية » (٨ / ٢١٢) .

\* قال ابن حمدون : « أرادَ عمرُ - رضي اللهُ عنه - أن يعزلَ المغيرةَ بنَ شعبةَ عن العراقِ بجبيرِ بنِ مطعمٍ ، وأن يكتَمَ ذلكَ ، وأمرَ بالجهازِ ، وأحسنَ بذلكَ المغيرةُ ، فأمرَ جليساً له أن يدسَّ امرأتهُ - وكانت تسمَّى لقاطَةَ الحصى - لتدور في المنازلِ حتَّى دخلت منزلَ جبيرٍ ، فوجدتِ امرأتهُ تُصلحُ أمره ، فقالت : إلى أين يخرجُ زوجُك ؟

قالت : إلى العُمرَةِ .

قالت : كتمك ، ولو كان لكِ عنده منزلةٌ لأطلعك .

فجلستُ متغضبةً ، فدخل إليها جبيرٌ وهي كذلك ، فلم تزلْ به حتَّى أخبرها ، وأخبرتْ لقاطَةَ الحصى . ودخل المغيرةُ على عمرَ - رضي اللهُ عنهما - ، فقال : بارك اللهُ لأمير المؤمنين في رأيه وتوليته جُبيراً .

فقال : كأتيتُ بكِ يا مغيرةُ فعلتِ كذا ، فقصَّ عليه الأمرَ كأنما شاهدتهُ ، وقال : أنشدك اللهُ ، هل كان ذلكَ ؟

قال : اللهم نعم .

ثمَّ رقيَ المنبرَ ، وقال : أيُّها النَّاسُ ! مَنْ يدُلُّني على المِخْلَاطِ النَّسِيجِ وحده ؟

فقام المغيرةُ فقال : ما يعرفُ ذلكَ في أمتك غيرُك ؛ فولأه ، ولم يزلْ والي العراقِ حتَّى طُعنَ عمرُ - رضي اللهُ عنه - « (١) .

\* ومن الأخبار التي تشيرُ إلى فهمِ جُبَيْرِ أمورَ دينه ما ذكره الذهبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ وغيره قالوا : « تزوجَ جبيرُ بنُ مطعمٍ - رضي اللهُ عنه - امرأةً ، فسَمَّى لها صداقها ، ثمَّ طَلَّقها قبل أن يدخلَ بها ، فتلا هذه الآيةُ : ﴿ إِلَّا أَنْ يَعْفُوا أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ﴾ [البقرة : ٢٣٧] ، فقال جبيرٌ : أنا أحقُّ بالعمو

(١) « التذكرة الحمدونية » ( ٨ / ٢٥٣ - ٢٥٤ ) .

منها . فسَلِّمَ إليها المَهْرَ كاملاً ، فأعطاها إِيَّاهُ « (١) .

\* وفي تفسيره المفعم بالفرائد والفوائد والأحكام : « المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز » ذكر ابنُ عطية الأندلسي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قصة جبير - رضي اللهُ عنه - بشكلٍ أكثر إيجازاً ، لكنها أكثر بياناً ووضوحاً ، فقال : « يروى أَنَّ جبيرَ بنَ مطعمٍ دخلَ عليَّ سعدِ بنِ أبي وقاصٍ - رضي اللهُ عنه - ، فعرضَ عليه ابنةً له فتزوّجها ، فلمَّا خرجَ طلقها ؛ وبعثَ إليه بالصّداق ، فقيل له : لِمَ تزوجتها ؟

فقال : عرضها عليّ فكرهتُ ردّه .

قيل : فلمَ تبعثُ بالصّداق ؟

قال : فأين الفضلُ ؟ ! « (٢) .

\* وفي تفسيره الماتع النَّافع الجامع « البحر المحيط » قال أبو حيان الأندلسي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « وروي أَنَّ جبيرَ بنَ مطعمٍ تزوّجَ وطلّقَ قبل الدّخول ، فأكمل الصّداق ، وقال : أنا أحقُّ بالعفو ؛ وسمّي ذلك عفواً ، إمّا عليّ طريق المشاكلة ؛ لأنَّ قبله : ﴿ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ ﴾ ، أو لأنَّ مِنْ عاداتهم أن كانوا يسوقون المهرَ عند التّزوّج ، ألا ترى إلى قوله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لعليّ - رضي اللهُ عنه - : « فأين درعك الحطميّة ؟ » يعني : أن يصدقها فاطمة - رضي اللهُ عنها - « (٣) .

### صَحْبَةُ وَرَوَايَةُ :

\* منذ أن أسلمَ سيّدنا جبيرُ بنُ مطعمٍ - رضي اللهُ عنه - نَعِمَ بالصّحبة

---

(١) « مختصر تاريخ دمشق » ( ٦ / ٩ ) ، وانظر : « سير أعلام النبلاء » ( ٣ / ٩٨ ) ، وانظر تخريج الخبر فيه .

(٢) « المحرر الوجيز » تفسير ابن عطية ( ص : ٢١٤ ) .

(٣) « البحر المحيط » ( ٢ / ٢٤٥ ) .

النَّبَوِيَّةُ ، فهو صاحبُ رِوَايَةٍ ناقلٌ للحديثِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ ، فقد طفق يحضُرُ المجالسَ النَّبَوِيَّةَ ، ويحفظُ ما استطاع له أن يحفظَ من هَدْيِ الْمُصْطَفَى ﷺ وسُنَّتِهِ ، حتَّى عدَّه المحدثون من أصحابِ العشراتِ في الرِّوَايَةِ ، فقد روي له عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ستون حديثاً ؛ اتَّفَقَ البخاريُّ ومسلمٌ على ستَّةِ أحاديثٍ ، وانفرد البخاريُّ بثلاثةٍ ، ومسلمٌ بحديثٍ (١) . ومروياته منثورةٌ في كتبِ الحديثِ ومصادرِها من الصَّحيحِ والسُّنَنِ والمسانيدِ .

\* روى عنه الحديث ولداه الفقيهان : محمَّدٌ ونافعٌ ، وسليمانُ بنُ صُرَدِ الصَّحَابِيِّ ، وسعيدُ بنُ المسيَّبِ ، وأبو سلمةَ بنُ عبدِ الرَّحْمَنِ ، وإبراهيمُ بنُ عبدِ الرَّحْمَنِ بنِ عوفٍ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ باباه ، وغيرهم (٢) .

\* وشملتْ مروياته سيِّدنا جبيرَ معظمَ أبوابِ العِلْمِ ، والأحكامِ ، وله مروياتٌ في المناقبِ ، والحجِّ ، والجهادِ ، والسَّيرِ ، والاعتصامِ ، والتفسيرِ ، والمغازيِ ، والأدبِ ، وصفةِ الصَّلَاةِ ، والخمسِ ، والأحكامِ ، والغُسلِ ، والسَّمائلِ ، وغيرها ممَّا قد احتوته كتبُ الحديثِ وغيرها من السَّيرةِ والتَّراجمِ والطَّبقاتِ .

\* ومن مروياته في الصَّحيحِ في فضائلِ الصَّحابةِ ، باب فضل سيِّدنا أبي بكرِ الصِّدِّيقِ - رضي اللَّهُ عنه - بعد النَّبِيِّ ﷺ ، ما أخرجه البخاريُّ بسندٍ عن محمَّدِ بنِ جُبَيْرِ بنِ مطعمٍ ، عن أبيه قال : « أتتِ امرأةٌ للنَّبِيِّ ﷺ ، فأمرها أن ترجعَ إليه ، قالت : رأيتُ إن جئتُ ولم أجِدْكَ - كأنها تقولُ الموتَ - قال ﷺ : « إن لم تجدني فأتني أبا بكرٍ » (٣) .

(١) « تهذيب الأسماء واللغات » (١ / ١٤٦ - ١٤٧) .

(٢) « سير أعلام النبلاء » (٣ / ٩٥ - ٩٦) ، و« تهذيب التهذيب » (٢ / ٦٤) ، و« تاريخ الإسلام » للذهبي (عهد معاوية ، ص : ١٨٥) ، و« تهذيب الأسماء واللغات » (١ / ١٤٦ - ١٤٧) ، و« الإصابة » (١ / ٢٢٧) مع الجمع بينها .

(٣) أخرجه البخاريُّ بهذا اللفظ في فضائلِ الصَّحابةِ برقم : (٣٦٥٩) ، وأخرجه في =

\* ونقرأ لجبير في الصحيح وغيره ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ ،  
 بسند عن الزُّهري ، عن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه - رضي الله عنه - ،  
 قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ لي أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا  
 الماحي الذي يمحو الله بي الكُفْر ، وأنا الحاشِرُ الذي يُحشِرُ النَّاسَ على  
 قدمي ، وأنا العاقب » (١) . والعاقب : الذي ليس بعده نبي .

= مواضع أخرى من « صحيحه الجامع » ، تحت الرَّقمين : ( ٧٢٢٠ ، و ٧٣٦٠ ) ،  
 وأخرجه أحمد ( ٥ / ٦٢١ - ٦٢٢ ) برقم : ( ١٦٧٦٧ ) .

(١) أخرجه البخاري برقم : ( ٣٥٣٢ ) ، ومسلم برقم : ( ٢٣٥٤ ) ، والترمذي  
 برقم : ( ٢٨٤٠ ) ، وأحمد ( ٥ / ٦١٥ ) ، برقم : ( ١٦٧٣٤ ) ، والطبراني في  
 بضعة مواضع ( ٢ / ١٢٠ - ١٢١ ) من رقم : ( ١٥٢٠ - ١٥٣٠ ) ، وغيرهم .

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ : « ذكر هنا هذه الأسماء ، وله ﷺ أسماءٌ آخر . ذكر  
 أبو بكر بن العربي المالكي في كتابه : « الأحوذِي في شرح الترمذي » ، عن بعضهم  
 أنَّ لله ألف اسم ، وللنبي ﷺ ألف اسم أيضاً ، ثم ذكر منها على التفصيل بضعة  
 وستين . « المنهاج » ( ص : ١٧٢١ ) .

قال أهل اللغة : « يُقال : رجلٌ محمدٌ ومحمودٌ ، إذا كثرت خصائله  
 المحمودة » .

وقال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ وغيره : « وبه سمي نبينا ﷺ محمداً ، وأحمداً ؛  
 أي : ألهم الله تعالى أهله أن سموه به ، لِمَا علم من جميل صفاته » .

وقوله ﷺ : « وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكُفْر » . قال العلماء : « المرادُ  
 محو الكُفْر من مكَّة ، والمدينة ، وسائر بلاد العرب ، وما زوي له ﷺ من الأرض ،  
 ووعد أن يبلغه مُلك أمته . قالوا : ويُحتمل أنَّ المراد المحو العام ، بمعنى الظهور  
 بالحجة والغلبة ، كما قال الله تعالى : ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ [ التوبة : ٣٣ ] ،  
 وجاء في حديث آخر تفسير الماحي : بأنَّه الذي مُحيث به سيئات مَنْ أتبعه ، فقد يكونُ  
 المرادُ بمحو الكُفْر هذا ، ويكون كقوله تعالى : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا  
 يُعَفِّرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ [ الأنفال : ٣٨ ] ، والحديث الصحيح : « الإسلامُ يهدمُ  
 ما كان قبله » .



\* ومنتح الحديث الآن من عند الإمام أحمد ؛ إذ أخرج بسنده عن جُبَيْرِ بْنِ مَطْعَمٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيَمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ » (١) .

\* وعن صلاة التَّطَوُّعِ ، أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ أَيْضاً بِسَنَدِهِ عَنْ نَافِعِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مَطْعَمٍ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ فِي التَّطَوُّعِ : « اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا ثَلَاثَ مَرَارٍ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا ثَلَاثَ مَرَارٍ ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ بِكْرَةً وَأَصِيلًا ثَلَاثَ مَرَارٍ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْثِهِ وَنَفْخِهِ » .

قلت : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! ، مَا هَمْزُهُ وَنَفْثُهُ وَنَفْخُهُ ؟

قال : « أَمَّا هَمْزُهُ فَالْمَوْتَةُ الَّتِي تَأْخُذُ ابْنَ آدَمَ ، وَأَمَّا نَفْخُهُ الْكِبَرُ ، وَنَفْثُهُ الشُّعْرُ » (٢) .

وقوله ﷺ : « وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يَحْشُرُ النَّاسَ عَلَيَّ قَدَمِي » . قال العلماء : « يَحْشُرُونَ عَلَيَّ أَثْرِي ، وَزَمَانَ نَبَوْتِي وَرِسَالَتِي ، وَلَيْسَ بَعْدِي نَبِيٌّ » . وقيل : يَتَّبِعُونِي .

وقوله « الْعَاقِبُ » : لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ ؛ أَي : جَاءَ عَقِبَهُمْ . قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « الْعَاقِبُ الْعَقُوبُ : الَّذِي يَخْلَفُ فِي الْخَيْرِ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ ، وَمِنْهُ : عَقِبَ الرَّجُلُ لَوْلَاهُ » .

أقول : « لِلْمَزِيدِ فِي هَذَا الْأَمْرِ مِنْ مَعْرِفَةِ أَسْمَاءِ سَيِّدِنَا وَحَبِيبِنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، رَاجِعْ كِتَابَ : « سَبِيلُ الْهُدَى وَالرَّشَادِ فِي سِيرَةِ خَيْرِ الْعِبَادِ لِلصَّالِحِي ( ١ / ٤٩٤ وَمَا بَعْدَهَا ) فَفِي ذَلِكَ فَوَائِدُ نَفِيْسَةٌ ، وَمَعْلُومَاتُ قِيَمَةٌ ، وَشُرُوحَاتُ مَفِيدَةٌ » . وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .

(١) « الْمُسْنَدُ » ( ٥ / ٦١٤ ) بِرَقْمِ : ( ١٦٧٣١ ) ، وَانظُرْ : « الْمَعْجَمُ الْكَبِيرُ » ( ٢ / ١٤٣ ) بِرَقْمِ : ( ١٦٠٤ ، وَ ١٦٠٥ ) .

(٢) « الْمُسْنَدُ » ( ٥ / ٦١٦ ) بِرَقْمِ : ( ١٦٧٣٩ ) ، وَانظُرْ : « الْمَعْجَمُ الْكَبِيرُ » ( ٢ / ١٣٤ - ١٣٥ ) .

\* وَلِعِظَمَ مَحَبَّةِ جَبْرِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؛ وَلِزَوْمِهِ مَجَالِسَهُ ، عَرَفَ مِنْهُ ﷺ ذَلِكَ ، فَأَخَذَ يَعَلِّمُهُ أَنْ يَقْرَأَ السُّورَ الْخَمْسَ الْأَخِيرَةَ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ لِمَا فِيهِنَّ مِنْ بَرَكَاتٍ وَنَفْعٍ وَعِلْمٍ ، وَعَنْ هَذَا الْأَمْرِ الْمَفِيدِ يَعْلَمُ جَبْرُ بْنُ مَطْعَمٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - الْمُحِبِّينَ لِيَعْمَلُوا مِثْلَهُ ، وَيَقْتَدُوا بِالْهَدْيِ النَّبَوِيِّ ، فَقَالَ : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَتَحِبُّ يَا جَبْرُ إِذَا خَرَجْتَ فِي سَفَرٍ أَنْ تَكُونَ مِنْ أَمْثَلِ أَصْحَابِكَ هَيْئَةً ، وَأَكْثَرِهِمْ زَادًا » .

فقلت : نعم ، بأبي أنت وأمي !

قال : « فاقراً هذه السُّور الخمس : قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ، وَإِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ، وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ، وافتتح كلَّ سورة ببسم الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، واختتم قراءتك ببسم الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » .

قال جبر : وكنْتُ غنياً كثير المال ، فكنْتُ أخرجُ في سفر فأكون أبدهم هَيْئَةً ، وأقلهم زاداً ، فما زلتُ منذ علَّمنيهِنَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وقرأتُ بهنَّ أكونُ من أحسنهم هَيْئَةً ، وأكثرهم زاداً ، حتَّى أرجعَ من سفري « (١) » .

\* وأحاديثُ جبرٍ - رضي الله عنه - منثورةٌ في كتب الحديث لمن أراد المزيد ؛ بقي أن نعرفَ أنَّ سيِّدنا جُبيراً عاشَ إلى نهايةِ خلافةِ سيِّدنا معاوية ؛ إذ توفيَ سنة ( ٥٨ هـ ) ، أو ( ٥٩ هـ ) ، ودُفِنَ بالمدينة المنورة (٢) ، فرضي الله عن سيِّدنا جُبير ، وألهمنا كلَّ خير ، وَوَقَّانَا كلَّ ضير ؛ وصلَّى اللهُ على مُحَمَّدٍ معلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ .



(١) « مجمع الزوائد » ( ١٠ / ١٣٤ ) ، وانظر : « تفسير القرطبي » ( ٢٠ / ٢٢٤ ) .

(٢) « تهذيب الأسماء واللغات » ( ٢ / ١٤٧ ) ، و« مختصر تاريخ دمشق » ( ٦ / ٩ ) ، و« سير أعلام النبلاء » ( ٣ / ٩٩ ) .

# حكيمُ بنُ حزام

رضي اللهُ عنه

- \* صحابيٌّ جليلٌ ؛ وُلد في جوفِ الكعبة ؛ وكان سيِّداً فاضلاً .
- \* مواقفه المتنوّعةُ صورةٌ عن حصافتهِ وصدقهِ ووفائهِ .
- \* عُرِفَ بالحكمةِ والعِلْمِ ؛ وروى ( ٤٠ حديثاً ) ؛ وماتَ وعمره ( ١٢٠ سنة ) .

رَفَعُ  
عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس  
[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

## حكيمُ بنُ حِزَامِ رضي اللهُ عنه

### المولِدُ والنَّشَأُ :

\* ارتفعتِ الشَّمْسُ وراءَ جبالِ مَكَّةَ وصافحتِ الغمامَ ، وراحت تسكبُ ضياءَها في الدُّورِ والخيامِ ، وغمرتِ الوادي المقدَّسَ بالتُّورِ ، فقام النَّاسُ يستقبلون النَّهارَ استقبالاً حافلاً بالحركةِ والسُّرورِ ، وتوجَّهَ كلُّ واحدٍ منهم لوجهتهِ ، وانحدر رجالٌ ونساءٌ إلى رحابِ البيتِ العتيقِ ليطوفوا به ، وكان من بينهم : فاختةُ بنتُ زهيرِ بنِ الحارثِ بنِ أسدِ بنِ عبدِ العزَّى القرشيَّةِ امرأةَ حِزَامِ بنِ خُوَيْلِدِ الأَسديِّ ؛ دخلت فاختةُ الكعبةَ مع نسوةٍ من قريشٍ وهي حاملٌ متمٌ بحملها ، فضربها المخاضُ ؛ وجاءتها الولادةُ في داخلِ الكعبةِ ، فأُتيت ببساطٍ من جلدٍ حينَ أعجلها الولادُ ، فولدت حكيمَ بنَ حِزَامِ بنِ خُوَيْلِدِ (١) في الكعبةِ على النَّطعِ ، فكان هذا المولودُ فيما بعدُ من ساداتِ قريشٍ ووجوهها

(١) « شفاء الغرام » (الفهارس : ٢ / ٥٢٤) ، و« معرفة الصحابة » (٢ / ٣٥ - ٣٨) ، و« البداية والنهاية » (٨ / ٦٨) ، و« المغازي » (الفهارس : ٣ / ١١٥٩) ، و« مختصر تاريخ دمشق » (٧ / ٢٣٣ - ٢٣٩) ، و« سير أعلام النبلاء » (٣ / ٤٤ - ٥١) ، و« التبيين » (ص : ٢٣٨ - ٢٣٩) ، و« تهذيب التهذيب » (٢ / ٤٤٧) ، و« الاستيعاب » (١ / ٣١٩ - ٣٢٠) ، و« صفة الصفوة » (١ / ٧٢٥ - ٧٢٧) ، و« أسد الغابة » (١ / ٥٢٢ - ٥٢٣) ترجمة رقم : ( ١٢٣٤ ) ، وغيرها كثير ممَّا لا يحصى .

في الجاهليّة والإسلام ، ومن أعلام الصّحابة الكرام .

\* كان حكيمُ بنُ حِزَامٍ من الرّجال اللامعة شخصياتهم في ثنايا السّيرة النبويّة ، وتضاعيف أحداثها المثيرة ، وله عددٌ من المواقف التي تستحقّ التّسجيل ؛ لأنّ فيها دروساً وعظاتٍ بالغة تنفعُ محبّي رجال هذا الجيل ، الذين صدقوا ما عاهدوا عليه الملك الجليل ، وكانوا غرّة ناصعةً في جبين الدهر ، وقبساً مضيئاً يهتدي به رجال كلّ عصرٍ ومِصرٍ .

\* وحكيمُ بن حزام القرشيّ الأسديّ أبو خالد من أشرف قريش ، وعقلائها ، ونبلائها ، وكانت أمّنا خديجة بنتُ خُوَيْلِدِ الأَسَدِيّة - رضي الله عنها - عمّته ، وكان الرّبير بن العوّام ابنَ عمّه .

\* وُلِدَ سيّدنا حكيمٌ في مكّة في جوفِ الكعبة<sup>(١)</sup> ، وكان مولده قبل الفيل

---

(١) « مختصر تاريخ دمشق » ( ٧ / ٢٣٤ ) ، و « المستدرک » ( ٣ / ٥٤٩ ) ، و « الإصابة » ( ١ / ٣٤٨ ) .

وعن مولد سيّدنا حكيم في جوفِ الكعبة المشرّفة ، وعن تفردّه في هذه المنقبة المشرّقة قال جمهرةٌ من العلماء : « وُلِدَ حكيمُ بنُ حِزَامٍ بنِ خُوَيْلِدِ بنِ أَسَدٍ في الكعبة ، دخلتها أمّه فاخته بنتُ زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزّي وهي حاملٌ ، فضرَبَها المخاضُ وهي في الكعبة فولدته فيها ، فَحَمِلَتْ في نطع ، وُعْسِلَ ما كان تحتها من الثّياب عند حوض زمزم ، ولم يُولدْ قبله ولا بعده في الكعبة أحدٌ » . « المستدرک » ( ٣ / ٥٥٠ ) ، و « التّذكرة الحمدونيّة » ( ٩ / ٢٤٥ ) .

وقال الذهبيّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وغيره عن مولد سيّدنا حكيم بن حزام : « وله منقبةٌ ، وهو أنّه وُلِدَ في جوفِ الكعبة » ( تاريخ الإسلام ) ( عهد معاوية ، ص : ١٩٨ ) ، وانظر : « الاستيعاب » ( ١ / ٣١٩ ) ، وانظر كذلك : « صفة الصّفوة » ( ١ / ٧٢٥ ) .

أقول : « لقد احتفظَ تاريخُ المواليد في الدّنيا بأنّ حكيمَ بن حزام هو المولودُ الوحيدُ الذي وُلِدَ في داخلِ البيتِ العتيق ، الكعبة المشرّفة حفظها الله ، وتلك منقبةٌ =

ببضعة عشرة عاماً<sup>(١)</sup> ؛ إذ كان يوم الفيل مراهقاً ، وله صحبةٌ ، وروايةٌ ،  
وشرفٌ في قومه وحشمه ، ومنزلةٌ من كبريات منازل العقلاء .

\* وصفه ابنُ عبد البرِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في « الاستيعاب » بقوله : « كان عاقلاً  
سرياً ، فاضلاً تقياً ، بماله غنياً » .

\* ومن ثماره المتدلّية بالمعرفة ، الدّانية بالأدب ، نقتطفُ من « ثمار  
القلوب » ما جنّاه الثّعالبي عن سيّدنا حكيم بنِ حزام - رضي الله عنه - ، وعن  
امتلاكه « دار الندوة » بمكّة المكرّمة فيقول ما ثمرته وحصاده : « دار  
الندوة : مشتقة من التّدنى والتّادي وهو المجلس ، يُضربُ بها المثل في انتياب  
النّاس إيّاها ، واجتماعهم بها ، وهي دارُ قصي بن كلاب بمكّة ، كانت تُوضَعُ

---

= فريدة اختصَّ الله - عزَّ وجلَّ - بها حكيماً - رضي الله عنه - .

وقال الإمام النّووي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « وُلِدَ حَكِيمٌ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ ، وَلَا يُعْرَفُ أَحَدٌ  
وُلِدَ فِيهَا غَيْرُهُ . وَأَمَّا مَا رَوَى أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وُلِدَ فِيهَا ،  
فضعيفٌ عند العلماء . » تهذيب الأسماء واللغات « ( ١ / ١٦٦ ) .

(١) جاء عن سيّدنا حكيم أنّه قال : « ولدتُ قبل الفيل بثلاثة عشر سنة ، وأعقلُ حين أرادَ  
عبد المطلب أن يذبَحَ عبد الله ابنه » . « الإصابة » ( ١ / ٣٤٨ ) . وقال  
ابنُ عبد البرِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « كان مولدهُ قبل الفيل بثلاث عشرة سنة ، أو اثنتي عشرة سنة  
على اختلاف في ذلك » . « الاستيعاب » ( ١ / ٣١٩ ) . ولخصَّ الأصبهانيُّ حياةَ  
حكيم فقال ما مفاده : « حكيمُ بنُ حزام بن خويلد ، وأمه : صفيةٌ ،  
وقيل : فاختة بنتُ زهير . . . كان حكيم من مسلمة الفتح ، من المؤلّفة ، أعطاه  
رسولُ الله ﷺ يومَ حُنين مئة بعير ؛ ثم حَسَنَ إسلامه . وُلِدَ فِي الْكَعْبَةِ ؛ عاش مئة  
وعشرين سنة ، ستين في الجاهليّة ، وستين في الإسلام ، لم يقبلُ من أحدٍ شيئاً بعد  
النبيِّ ﷺ ، أعتق مئة رقبة في الجاهليّة ، وأعتق مئة رقبة في الإسلام ، وكان أحد  
المذكورين من قريش بالبذل والعطيّة ، والبرِّ والهدية ، ما صنع في الجاهليّة شيئاً من  
المعروف إلا صنع في الإسلام مثله - رضي الله عنه - . » « معرفة الصّحابة »  
( ٢ / ٣٥ ) باختصار وتصرّف .

فيها الرِّفَادَة ، ولا تزوّج قرشيّة ولا قرشيّ إلا بها ، ولا يُعقَدُ لواء حرب إلا فيها ، ثمّ تنقلت بها الأملاك بعده حتّى صارت في يد أسد بن عبد العزّي بن قصي وولده ، وآخر من وليها منهم حكيم بن حزام ، وكان وُلد في الكعبة ، وذلك أنّ أمّه دخلت الكعبة مع نسوة من قريش وهي حاملٌ به ، فضربها المخاضُ في الكعبة وأعجلها عن الخروج ، فأتيت بِنطعٍ فوضع تحتها ، فوضعت حكيماً على النطع ، ولم يكن يدخل دار الندوة أحد من قريش لمشورة حتّى يبلغ أربعين سنةً ، إلا حكيم بن حزام ، فإنّه دخلها وهو ابنُ خمس عشرة سنة . وجاء الإسلام ؛ ودار الندوة بيد حكيم - رضي الله عنه - فباعها لسيدنا معاوية بمئة ألف درهم ، فقال له عبد الله بن الزبير - رضي الله عنهما - عاذلاً : يا أبا خالد ! بعّت مكرّمة قريش ومفخرتها !

فقال حكيمٌ - رضي الله عنه - : ذهبَتِ المكارمُ إلا من التّقوى يا بن أخي ، إنّي اشتريتُ بها بيتاً في الجنّة ، أشهدك أنّي جعلتُ ثمنها في سبيل الله عزّ وجلّ ، وكان حكيمٌ - رضي الله عنه - أحدَ أربعةٍ رغبَ بهم النَّبِيُّ ﷺ عن الشُّرك ، ورغبَ لهم في الإسلام ، فأسلموا كلّهم ، وحسُنَ إسلامهم ، وكان حكيمٌ يفعلُ المعروف ، ويصلُ الرّحم ، ويحضُّ على البرِّ ، عاش في الجاهليّة ستّين سنةً ، وفي الإسلام ستّين سنةً <sup>(١)</sup> .

\* نشأ حكيمٌ بنُ حزام نشأةً متميِّزةً في أسرةٍ حسيبةٍ نسيبةٍ تتصل بسببٍ إلى البيتِ النَّبويِّ ، فسيدتنا خديجة الكبرى أمّ المؤمنين - رضي الله عنها - من أقرب نساء أهل البيت <sup>(٢)</sup> إليه ، لذلك عرف كثيراً عن الحياة المحمّديّة قبل

(١) « ثمار القلوب » ( ص : ٥١٨ - ٥١٩ ) بشيء من التّصرّف ، وعن دار الندوة ودور حكيم فيها قال : قال مصعبُ بنُ عثمان : سمعتُ المشيخة يقولون : « لم يدخل دارَ الندوة للرّأي أحدٌ حتّى بلغ أربعين سنة ، إلا حكيمٌ بنُ حزام فإنّه دخلها للرّأي وهو ابنُ خمس عشرة سنة » . « مختصر تاريخ دمشق » ( ٧ / ٢٣٨ ) . وانظر : « البداية والنهاية » ( ٨ / ٦٩ ) .

(٢) اقرأ موسوعتنا المباركة : « نساء أهل البيت في ضوء القرآن والحديث » ففي مطالعتها =



البعثة ، وكان يحبُّ سيِّدنا محمَّداً ﷺ محبَّةً صادقٍ ودود ، ولمَّا اشترى زيدُ بن حارثة باعه لعَمَّتِه خديجة ، وبالتالي وهبته لسيِّدنا رسول الله ﷺ بعد زواجها .

## كيف وقف حكيمٌ من الإسلام ؟

\* كان البيتُ النَّبَوِيُّ مجللاً بالموَدَّة ، فخديجةٌ - رضي اللهُ عنها - تضيءُ على بيتها روحاً نفيضُ بالأنوار ، فهي تشمُّ في كثيرٍ من الأحيان روائحَ زكيةً أرق من نسَماتِ الأسحار ؛ الممزوجة بعبيرِ الأزهار ، ويفوقُ أريجها كلَّ ما في الأرض من طيبٍ معطار ، وهذه الرَّوائحُ والطُّيوبُ تنعشُ الأرواح ، وتبعثُ في النَّفسِ نشوَةً صافيةً تبعثُ الانسراح ، وتملأُ الجوانحَ بالرحمةِ والموَدَّة والارتياح .

\* فقد كان الحبيبُ المصطفى ﷺ جوهرَ المحامد والفضائل ، وكلِّما مرَّ يومٌ يزدادُ فيه تألقاً كزهر الخمائل ، وكان قلبُهُ كبيراً يسعُ كلَّ مَنْ كان بينه وبينهم صلةٌ رحمٍ مهما كانت تلك الصِّلةُ بعيدة ، فكان عطفُهُ ﷺ سابعاً عليهم أجمعين ، ولا غرو أن كلَّ من خالطه أحبه ؛ وتمنَّى قربه .

\* في رحلات الصَّيف والشتاء ؛ عرِّفَ حكيمُ بنُ حزامُ بأنَّه رَوَّاحٌ بها غداً ، فكان يحدثُ قومه عن أسواقِ الشَّام واليمن ، وعمَّا يجنيه من أموال وأرباح يعودُ بها على قومه وذوي رحمه ، وذاقَ حكيمٌ لذَّةَ زيادةِ المال ، فغداً من أجوادِ قريش وأسخياء الرِّجال .

\* وخلال هذه الفترة كان اللهُ - عزَّ وجلَّ - قد اصطفى سيِّدنا محمَّداً ﷺ نبياً ورسولاً ، وأنزل عليه الوحي في غار حراء ، ووقفتُ خديجةُ عمَّةُ حكيمٍ موقفَ الصِّدِّيقين من الرِّسالة ، فكانت أوَّلَ مَنْ آمَنَ به ﷺ ، وأوَّلَ مَنْ صدَّقَه ، وصادف أن جاءت جاريةٌ لحكيمٍ لزيارة خديجة - رضي اللهُ عنها - ، فأقبلتُ عليها متفتحة النَّفس ، وأخذتُ تخبرُ الجاريةَ بأنَّ اللهُ - عزَّ وجلَّ - قد اصطفى

---

= فوائد مجموعة وإيناس للقلوب ، وزاد للتفوس .

محمّداً ﷺ لرسالته ، وما كادت السيّدة تكملُ هذا الحديث الشائق الغريب ، حتّى أسرعَت الجاريةُ إلى سيّدها حكيم ، فدخلت عليه وقالت له : « يا مولاي ! إنّ عمّتكَ خديجة تقولُ بأنّ زوجها نبيُّ مرسلٌ مثل إبراهيم وموسى » . ولكنّ قلبَ حكيم لم يخفق لهذا الأمر ، ولم يهتمّ به ، فقد كان يحبُّ محمّداً ﷺ ويُصافيه ، وكان لا يهتمُّ إلا بتجارته وأمواله وبتدار النّدوة التي أصبحت له ، والتي كانت الأمورُ القرشيّة تُعقدُ فيها .

\* كان الإسلامُ لا يزال سراً في صدور المؤمنين به ، وتمرُّ الأيام وحبينا محمّداً ﷺ يقابلُ الرّاعبين في الإسلام في أماكن بعيدة عن أعين السّادات المكيين ، وأشرف قريش المرموقين ، وكان ﷺ يتوقّع من صديقه حكيم بن حزام أن يأتي فيسلم ، فهو من أعيان العُقلاء ، وممن يتّصفون بالوفاء ، والحصافة والذكاء ، بيد أنّ هذا لم يحدث على الرّغم من الإنذار الإلهي للرسول ﷺ الذي جاء يأمره بأن يدعو إلى الإسلام عشيرته الأقربين ، فاستجاب لله - عزّ وجلّ - من استجاب ، وأعرض من عرض ، بينما أكل الحقد والحسد قلوبَ فئةٍ من سادات قريش وكبرائها ، كأميّة بن خلف ، وأبي بن خلف ، وأبي جهل بن هشام ، والعاص بن وائل وغيرهم من سدنة الشّرك ومساند الوثنية ، فقد كان هؤلاء الأشرار يحسدون رسولَ الله ﷺ على ما آناه الله - عزّ وجلّ - من فضله ، لخبث نفوسهم ، وتكبرهم ، وتعجبهم من أن يتقدّم عليهم غلامٌ يتيّم ، وخوفهم من أن يقوّض عليهم سلطانهم المزعوم بدعوته الصّافية التي اجتذبت إليها صفوة شبابهم ، وخيرة نسائهم ، وزهرة عقلائهم ، وما عرفوا أنّ الله - عزّ وجلّ - أعلمُ حيث يجعلُ رسالته ، وبدت البغضاء من أفواههم ، وما تخفي صدورهم أكبر ، وطفقت كلُّ قبيلة تعذب من اعتنق الإسلام من أبنائها ومواليها ليرتدّوا إلى دين قريش ، ولكنّ أعمالهم تلاشت وتبخّرت أمام صبر هؤلاء الأخيار ؛ الذين آمنوا بالله الواحد القهار ، مكور الليل على النّهار .

\* ومن العجيب أنّ هذه الأمور كانت حديث سمر قريش في مجالسها ،

وفي غدواتها وروحاتها ، وحلّها وترحالها ، وحكيمٌ لا يبدي شيئاً ، ولا يقاومُ الدّعوة الإسلاميّة مع فُجّار المجرمين ، بل إنّ قريشاً لمّا قاطعت بني هاشم ؛ وحصروهم في الشّعب ، كان لحكيم مواقف نبيلةً مع المسلمين ، وهذه المواقف يرويها إبراهيم بن حمزة ؛ إذ يقول : « كان مشركو قريش لمّا حصّروا بني هاشم في الشّعب ؛ كان حكيمٌ بن حزام تأتيه العيرُ تحملُ الطّعام من الشّام ، فيقبلُها الشّعبُ ، ثمّ يضربُ أعجازها ، فتدخلُ عليهم ، فيأخذون ما عليها من الحنطة » (١) .

\* وقال الحافظ ابن كثير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في « البداية والنهاية » عن حكيم ومساعدته بني هاشم ومحبتته لآل النّبوة الأطهار : « وكان حكيمٌ - رضي الله عنه - شديدَ المحبّة لرسولِ الله ﷺ ، ولمّا كان بنو هاشم ، وبنو المطلب في الشّعب لا يُبايعوا ، ولا يُناكحوا ، كان حكيمٌ يقبلُ بالعينِ يقدّمُ من الشّام ، فيشتريها بكمالها ، ثمّ يذهبُ بها فيضربُ أديارها حتّى يلج الشّعب ، يحملُ الطّعامَ والكسوةَ تكرمة لرسولِ الله ﷺ ، ولعمّته خديجة بنتِ

(١) « مختصر تاريخ دمشق » ( ٧ / ٢٣٧ ) ، و« سير أعلام النّبلاء » ( ٣ / ٤٧ ) مع الجمع والتّصريف اليسير . وقوله « يُقبلُها » : يقال : أقبَلَ الإبلَ الطّريق : أسلكها إيّاه ، ذلك أن يجعلَ وجوهها مستقبلةً وجّه الطّريق . وقوله « الشّعب » : الشّعبُ : بالكسر ، واحد الشّعاب ، للطّريق بين جبلين ، أو ما انفجرَ بينهما ، أو مسيل الماء في بطنٍ من الأرض له جرفان مشرفان وأرضه بطحة ، وقد يُضافُ إلى عدد من الأماكن والأسماء . والشّعب الذي حصّرت فيه قريشُ بني هاشم عند بدء الدّعوة يسمّى شعب بني هاشم ، أو شعب أبي طالب ، أو شعب عليّ . وشعب عليّ وُلدَ به رسولُ الله ﷺ ، وبه كان مولدُ سيّدنا عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - . ويُقال له كذلك : شعب أبي يوسف وكان منزل بني هاشم ومساكنهم لمّا تحالفت عليهم قريش ، وكتبوا الصّحيفة ، ويسمى اليوم شعب عليّ . وفي مكّة شعابٌ كثيرة منها : شعب آل الأخنس ، وشعب أبي دبّ ، وشعب الرّخم .

خويلد - رضي الله عنها - ، وهو الذي اشترى زيد بن حارثة ، فابتاعته منه عمته خديجة فوهبته لرسول الله ﷺ فأعتقه .

\* في تفصيل أكثر ، نجد مؤازرة حكيم لمن في الشعب ، وهذا التفصيل يسوقه ابن إسحاق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فيقول : « فأقامت قريش على ذلك من أمرهم في بني هاشم ، وبني المطلب سنتين أو ثلاثاً ، حتى جهَدَ القومُ جهداً شديداً لا يصلُ إليهم إلا سراً ، أو مستخفياً ممن أرادَ صِلَتَهُمْ من قريش ، فَبَلَّغَنِي أَنَّ حَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ خَرَجَ يَوْمًا ؛ وَمَعَهُ إِنْسَانٌ يَحْمِلُ طَعَامًا إِلَى عَمَّتِهِ خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - ، وَهِيَ تَحْتَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَمَعَهُ فِي الشَّعْبِ ؛ إِذْ لَقِيَهُ أَبُو جَهْلٍ ، فَقَالَ : تَذَهَبُ بِالطَّعَامِ إِلَى بَنِي هَاشِمٍ ؛ وَاللَّهِ لَا تَبْرُحُ أَنْتَ وَطَعَامُكَ حَتَّى أَفْضُحَكَ عِنْدَ قَرِيشٍ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو الْبَخْتَرِيِّ بْنُ هَاشِمِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ أَسَدٍ : تَمْنَعُهُ أَنْ يَرْسَلَ إِلَى عَمَّتِهِ بِطَعَامٍ كَانَ لَهَا عِنْدَهُ ! فَأَبَى أَبُو جَهْلٍ أَنْ يَدْعَهُ ، فَقَامَ إِلَيْهِ أَبُو الْبَخْتَرِيِّ بِسَاقٍ بَعِيرٍ فَشَجَّهَ ، وَوَطَّئَهُ وَطْئًا شَدِيدًا ، وَحَمَزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَرِيبًا يَرَى ذَلِكَ ، وَهُمْ يَكْرَهُونَ أَنْ يَبْلُغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ فَيَشْتَمُوا بِهِمْ ، فَقَالَ أَبُو الْبَخْتَرِيِّ بْنُ هَاشِمٍ فِي ذَلِكَ :

ذُقْ يَا أَبَا جَهْلٍ لَقِيْتَ غَمًّا      كَذَلِكَ الْجَهْلُ يَكُونُ ذَمًّا  
سَوْفَ تَرَى عَوْدِي إِنْ أَلَمَّا      كَذَلِكَ اللُّومُ يَعُودُ ذَمًّا  
تَعْلَمُ أَنَّ نَفْرَجَ الْمَهْمَا      وَنَمْنَعُ الْأَبْلَجَ أَنْ يَطَمَّا <sup>(١)</sup>

\* لذلك جاء عن ابن عباس - رضي الله عنه - : أن رسول الله ﷺ قال ليلة قربه من مكة ليلة الفتح : « إِنَّ بِمَكَّةَ لِأَرْبَعَةِ نَقَرٍ مِنْ قَرِيشٍ أَرْبَابًا بِهِمْ عَنِ الشَّرْكِ ، وَأَرْغَبُ لَهُمْ فِي الْإِسْلَامِ » .  
قيل : وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ ؟

(١) « السَّيْرُ وَالْمَغَازِي » (ص : ١٦٠ - ١٦١) تحقيق الدكتور سهيل زگار - دار الفكر - بيروت - ط : ١ - ١٩٧٨ م .

قال : « عَتَابُ بْنُ أُسَيْدٍ ، وَجَبْرِ بْنُ مَطْعَمٍ ، وَحَكِيمُ بْنُ حَزَامٍ ، وَسَهِيلُ بْنُ عَمْرٍو » (١) .

\* قال الإمام الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي « سِيرِهِ » : « قُلْتُ : أَسْلَمُوا وَحَسُنَ إِسْلَامُهُمْ » (٢) .

\* ومن الملفت للنَّظَرِ فِي السَّيْرَةِ الْحَكِيمِيَّةِ الْحِزَامِيَّةِ اللَّطِيفَةِ أَنَّ هَذَا السَّيِّدَ الْمَفْضَالَ كَانَ يَشْهَدُ بَعْضَ مَجَالِسِ الْإِجْرَامِ الَّتِي تَقُومُ بِهَا قَرِيشٌ ضِدَّ رِجَالِ الْإِسْلَامِ ، وَمِنْهَا حُضُورُهُ فِي التَّنْعِيمِ مَقْتَلِ خُبَيْبِ بْنِ عَدِيِّ (٣) ، وَخَافَ يَوْمَهَا الدَّعْوَةَ الْخُبَيْيَّةَ ، عِنْدَمَا قَالَ : « اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عِدْداً ، وَاقْتُلْهُمْ بَدْداً ، وَلَا تَغَادِرْ مِنْهُمْ أَحْداً » ، وَيَوْمَهَا قَالَ حَكِيمٌ : « لَقَدْ رَأَيْتَنِي أَتَوَارِيءُ بِالشَّجَرِ فَرَقاً مِنْ دَعْوَةِ خُبَيْبٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - » (٤) .

(١) « مختصر تاريخ دمشق » ( ٢٣٧ / ٧ ) ، وقد علق محققنا الجزء الثالث من « سير أعلام النبلاء » على الحديث بقولهما : « فيه مجهول وضعيفان » .

(٢) « سير أعلام النبلاء » ( ٤٧ / ٣ ) . وقال هشامُ بْنُ عروةَ عن أبيه : « إنَّ أبا سفيانَ ، وَحَكِيمَ بْنَ حَزَامٍ ، وَبَدِيلَ بْنَ وَرْقَاءٍ ، أَسْلَمُوا ، وَبَايَعُوا ، فَبَعَثَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ يَدْعُونَهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ » . « تهذيب التهذيب » ( ٤٤٧ / ٢ ) .

(٣) اقرأ سيرة خبيب بن عدي في الباب الثاني من هذه الموسوعة الأنيقة ، فالسيرة الخبيبية زاد للصَّابرين المحبين .

(٤) انظر : « المغازي » ( ٣٥٩ / ١ ) . وقد سجَّلَ عددٌ من أعيانِ قريشِ اعترافاتهم يومَ مَقْتَلِ سَيِّدِنَا خُبَيْبِ بْنِ عَدِيِّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - ، وَمِنْهُمْ سَيِّدُنَا مَعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قَالَ : « لَقَدْ حَضَرْتُ دَعْوَتَهُ ، وَلَقَدْ رَأَيْتَنِي وَإِنَّ أَبَا سَفْيَانَ لِيُضْجَعِنِي إِلَى الْأَرْضِ فَرَقاً مِنْ دَعْوَةِ خُبَيْبٍ ، وَلَقَدْ جَبَدَنِي يَوْمَئِذٍ أَبُو سَفْيَانَ جَبْداً ، فَسَقَطْتُ عَلَى الْأَرْضِ ، فَلَمْ أَرْزَأْ شَتْكِي السَّقَطَةَ زَمَاناً » .

وقال حُوَيْطَبُ بْنُ عَبْدِ الْعَزْزِيِّ : « لَقَدْ رَأَيْتَنِي أَدْخَلْتُ إِصْبِعِي فِي أُذُنِي ، وَعَدَوْتُ هَرَباً ، فَرَقاً أَنْ أَسْمَعَ دَعَاءَهُ » .

## دوره في غزوة بدر :

\* قُلْنَا مَا مَفَادُهُ وَفَائِدَتُهُ : « كان من المتوقع من رجلٍ حصيفٍ نبيهٍ عاقلٍ لبيبٍ مقدامٍ ، مثل حكيم بن حزام ، أن يكون من السابقين الأولين إلى دوحَةِ المعالي والمكارم وشجرة الإسلام ، ومن المؤمنين المصدقين بدعوة رسول الله ﷺ ذات الهدف الرشيد ؛ والهدى السديد ، فهناك آصرة قُربى تدعوه إلى هذا الشرف التليد والعز المفيد ؛ والخير العميم ، والفضل الجسيم ، بيد أن عناية الله ومشيئته ادخرته ليوم دخل الناس في دين الله أفواجاً ، فكانوا من المفلحين ، ومن الناجين ، بهذا الدين العظيم الذي ارتضاه الله - عز وجل - لعباده ؛ إذ إن الله - جل شأنه - لا يرضى لعباده الكفر » .

\* ومن اللطائف المفيدة أن سيدنا حكيماً - رضوان الله عليه - كان يعجب من نفسه لتأخر إسلامه مع أنه كان يعرف الحق ويعرف أن محمداً رسولُ الله حقاً ! ولكنها المشيئة الإلهية التي جعلته كلما تذكر عدم دخوله في الإسلام مبكراً اغرورقت عيناه بالدموع ، واخلولق يبكي على المواطن الصالحة التي فاتته ، وهو منغمس بآراء الأباء والكبراء من قومه ، ممن أكل الدهر عليهم وشرب .

\* ذكر ابنُ الجوزي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ نقلاً عن ابن سعد : « أن حكيم بن

---

= وقال جبير بن مطعم : « لقد رأيتني يومئذٍ أتستر بالرجال فرقاً من أن أشرف لدعوته » .

وقال الحارث بن برصاء : « والله ، ما ظننتُ أن تغادر دعوة خبيب منهم أحداً » .

وقال نوفل بن معاوية الديلي : « كنت قائماً ، فأخذتُ إلى الأرض فرقاً من دعوته ، ولقد مكثتُ فريشاً شهراً أو أكثر ، وما لها حديثٌ في أُنديتها إلا دعوة خبيب » .

حزام - رضي الله عنه - بكى يوماً ، فقال له ابنه : ما يبكيك ؟ قال : خصالٌ كثيرة كلها أبكاني ، وجعلنني أتقلبُ في أحزاني :

أما أولها : فبطءُ إسلامي حتى سُبقتُ في مواطنَ جميعها سالحة وفيها الفلاحُ والنجاحُ والنجاةُ ، ولو أنفقتُ ما أنفقتُ لما بلغتُ من ثوابها وفضلها شيئاً .

وأما ثانيها : فقد نجوتُ يومَ بدرٍ ، ويوم أحدٍ ، فقلتُ معاهدأً نفسي : لا أخرج أبداً من مكة ، ولا أخرجُ مع قريشٍ ما بقيتُ .

وثالثها : أقمْتُ بمكة ، ويأبى الله - عزَّ وجلَّ - أن يشرحَ صدري للإسلام ، وذلك أنني أنظرُ إلى بقايا من قريشٍ لهم أسنانٌ - كبار في السن - متمسكين بما هم عليه من أمرِ الجاهليةِ الرِّعناء ، فأقتدي بهم ، وأكونُ إمعةً معهم ، فيألتيتُ أنني لم أقتدِ بهم ، فما أهلكنا إلا الاقتداءُ بأبائنا وكبرائنا ، فهذا الذي أبكاني وأضناني يا بني <sup>(١)</sup> .

\* كان سيِّدنا حكيم - رضي الله عنه - يتذكَّر يوم أن دخلوا دار الندوة ليتشاوروا في أمر رسولِ الله ﷺ ، كان ذلك اليوم يسمَّى يوم الرِّحمة <sup>(٢)</sup> ، وقد اجتمع فيه أشرفُ قريشٍ وتأمروا على الحبيب المصطفى ﷺ ، ولكنَّ الله - عزَّ وجلَّ - نصره عليهم وهاجرَ إلى المدينة المنورة فائزاً منصوراً .

\* وها هي ذي قريش اليوم وقد مرَّت الأيامُ تشتتور في أن تخرجَ إلى بدر وتقاتلَ محمداً ﷺ وتقضيَ على الدَّعوة الإسلامية ، وتريد أن تطفئَ نور الله بأفواها وسلاحها ، ولكنَّ الله متمَّ نوره ولو كرهَ المشركون المجرمون .

(١) « صفة الصِّفوة » ( ١ / ٧٢٦ - ٧٢٧ ) بشيء من التَّصريف .

(٢) انظر : « البداية والنهاية » ( ٣ / ١٧٥ ) وما بعدها ، تجد تفصيل الهجرة النبوية كاملة .

\* كان حكيمُ بنُ حزام من الكارهين لهذه الحرب مع النبي ﷺ ، وكان يبيِّتُ شجونه بصدقٍ وأسفٍ ويقول : « ما وجهٌ وجهاً قطُّ كان أكره لي من مسيري إلى بدر ، ولا بان لي في وجهه قطُّ ما بان لي قبل أن أخرج . قدم ضمضمُ بنُ عمرو فصاح بالتَّفير ، فاستقسمتُ بالأزلام ، كلُّ ذلك يخرجُ الذي أكره ، ثمَّ خرجتُ على ذلك حتَّى نزلنا مرَّ الظَّهران ، فنحر ابنُ الحنظليَّة - أبو جهل - جُزراً ، فكانت جَزورٌ منها بها حياة ، فما بقي خباءٌ من أخبية العسكر ، إلا أصابه من دمها ، فكان هذا بيِّناً<sup>(١)</sup> ، ثمَّ هممتُ بالرجوع ، ثمَّ أذكرُ ابنَ الحنظليَّة وشؤمه ، فإردني حتَّى مضيتُ لوجهي » .

\* ويتابعُ سيِّدنا حكيمٌ قصَّةَ خروجه إلى بدر ، وما حدثَ معه من مفاجآت في الطَّريق إلى بدر فيقول : « لقد رأيتنا حين بلغنا التَّنبيَّة

(١) خرجت قريش يسوقها الغرورُ الفاجر ، معهم السِّلاح والمؤن ، والتَّرف الدَّاعر من الخمر والملاهي والمغنيات ، يقودهم اللعينُ الفاسقُ أبو جهل ابن الحنظليَّة ، ويسوقهم إلى مصارعهم وحتوفهم ، ويزينُ لهم الخروج وهم لا يشعرون بما هم مقدمون عليه ، وكان يعدُّهم في غرورٍ أحرق ، واستكبار متغطرس ، وفجورٍ حاقد قاتلاً : والله لا نرجعُ حتَّى نردَّ بدرأ ، فنقيم عليه ثلاثاً ، ننحرُ الجزور ، ونطعمُ الطَّعام ، ونسقى الخمر ، وتعزفُ علينا القيان ، وتسمعُ بنا العرب ، فلا يزالون يهابوننا أبداً ، فامضوا . ومضى القومُ التَّائهون مع الفاسق أبي جهل كالجمال الدَّلِيل ، يقودهم بزمام النَّعرة الفاجرة الحمقاء ، واستخفَّهم فأطاعوه ، ومضوا وراءه ذللاً أذلاءً ، لا يملكون معه إرادةً ، ولا يستطيعون لقوله ردأً ، فخرَّب عليهم حياتهم ومعادهم ، ﴿ هَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [ الأنعام : ٤٧ ] . لقد ضلَّ ابن الحنظليَّة وأضلَّ ، وتكبَّر وتجبَّر ، وكان أسوأ دليلٍ لجماعته ولمن ضوى معه :

وَمَنْ يَكُنِ الْغُرَابُ لَهُ دَلِيلًا يَمُرُّ بِهِ عَلَى جَيْفِ الْكِلَابِ

اللهم اجعلنا ممَّن آمن وأصلح ، واجعلنا من الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ، واعفُ عتاً بفضلِكَ ومثك ؛ فرحمتك وسعتُ كلَّ شيءٍ وأنت الغفار العليم .



البيضاء - والثنية البيضاء التي تُهبطك على فحٍّ وأنت مقبلٌ من المدينة - إذا عدّاسٌ جالسٌ عليها والنّاسُ يمرّون ؛ إذ مرَّ عليه ابنا ربيعة ، فوثبَ إليهما ، فأخذَ بأرجلهما في غرزهما ، وهو يقولُ : بأبي وأمي أتتما ، واللهِ إنّه رسولُ الله ! وما تُساقان إلاّ إلى مصارعكما ! وإنّ عينيه لتسيل دموعهما على خديه ، فأردتُ أن أرجعَ أيضاً ، ثمّ مضيتُ ، ومرّ به العاصُ بنُ منبه بن الحجاج ، فوقف عليه حين ولّى عتبة وشيبة ، فقال : ما يبكيك ؟

فقال : يبكيني سيّداي وسيّدا أهل الوادي ، يخرجان إلى مصارعهما ، ويقاتلان رسول الله ﷺ .

فقال العاص : وإنّ محمداً رسولُ الله ؟

فانتفضَ عدّاسٌ انتفاضةً شديدةً ، واقشعرَ جلده ، ثمّ بكى وقال : إي والله ! إنّه لرسولُ الله إلى النّاسِ كافّةً ، فأسلم العاصُ بن منبه ، ثمّ مضى وهو على الشكِّ حتّى قُتلَ مع المشركين على شكِّ وارتياب « (١) .

\* وذكر مصنّفو السيرة والمغازي بأنّ قريشاً قد كرهت المسير إلى محاربة رسولِ الله ﷺ - وخصوصاً أهل الرّأي منهم والعقل والحلم - ومشى بعضهم إلى بعض ، وكان من أبظّهم : حكيمُ بنُ حزام والعاصُ بنُ منبه ، وعتبةُ بنُ ربيعة (٢) وغيرهم ، غير أنّ أبا جهل (٣) قَبّحه اللهُ وأخزاه أخذَ يُعيّرهم بالجبن ، ويبكّتهم على التخلّف ، وأعانهُ على الخروج لعيّن الكفر والوثنيّة : عقبة بن

(١) انظر : « المغازي » للواقديّ ( ١ / ٣٤ - ٣٥ ) .

(٢) اقرأ سيرة عتبة بن ربيعة في كتابنا : « المبشرون بالنّار » ( ص : ٧١ - ٩٧ ) ، دار ابن كثير - ط : ٢ - ٢٠٠١ م .

(٣) اقرأ سيرة الحقود الحسود أبي جهل بن هشام في كتابنا : « المبشرون بالنّار » ( ص : ١٣ - ٤٤ ) ، ولاحظ كيف كانت نهاية هذا الكافر الفاجر ، وكيف صبر عليه رسول الله ﷺ .

أبي معيط<sup>(١)</sup> ، والنَّضْر بن الحارث<sup>(٢)</sup> ، وأخذ جميعهم يقولون لكارهي الحرب والخروج إلى بدر : « ويحكم ! هذا فعل النساء » فأجمعوا عندئذ المسير ، وخرجوا حتى نزلوا بدرأ ، ومعهم حكيم بن حزام الذي أحزنه هذا الخروج ، ولكنَّ تغرير اللعين أبي جهل جرَّهم واستدرجهم إلى هذه المعركة التي أخزاهم الله - عزَّ وجلَّ - فيها .

\* ولما نزلت قريش قُرب بدر ، بعثت عمير بن وهب الجمحي ليحزِر لهم عدد رجال المسلمين وأبطالهم ، فرجع إليها محذراً من محاربة جند الله الذين تحيط بهم الهيبة وقال : « رأيتُ يا معشر قريش البلايا تحملُ المنايا ، نواضح يثرب تحملُ الموت النَّاقع ، قوم ليس لهم منعةٌ ، ولا ملجأ إلا سيوفهم ، والله ما أرى أن يُقتل منهم رجلٌ حتى يُقتل رجلاً منكم ، فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك ، فزوا رأيكم » - أي : فكروا واحزموا أمركم فيما تورطتم فيه من مأزق مأزوم خطر - .

\* سقطت هذه الكلمات على سمع حكيم بن حزام ، وصُبت في روعه صبأً - وكان حكيم من أعقل رجالاتهم وقد نَوَّف عن ستين عاماً - فتخيَّل حكيم الطامة الكبرى ، والخسارة العظمى التي ستنزُل بقريش إذا هي ركبت ظهر الشيطان ، واتَّبع ذلك الغرور الفاجر الذي يمشي به في قريش محرصاً الفاسق الخبيث أبو جهل ابن الحنظليَّة ؛ فأسرع حكيم بن حزام وأتى عتبة بن ربيعة في مكانه - وكان عتبة من عقلاء قريش - فقال له : « يا أبا الوليد ، إنك كبير قريش وسيدها المطاع فيها ، هل لك إلى أن لا تزال تُذكرُ فيها بخير إلى آخر الدهر ؟ » - وعتبة يومئذ رئيس النَّاس - .

---

(١) اقرأ سيرة هذا المجرم الأثيم عقبة بن أبي معيط في كتابنا : « المبشرون بالنار » ( ص : ١٤٠ - ١٥٩ ) ، ولاحظ كيف كبتة الله وأخزاه وأذله وقصمه .

(٢) اقرأ سيرة الفاجر النَّضْر بن الحارث في كتابنا : « المبشرون بالنار » ( ص : ٣٣٢ - ٣٤٩ ) ، ولاحظ كيف أوقعه كفره وافتراؤه في حفرة الموت .

فقال عتبة متعجباً : « وما ذاك يا حكيم ؟ ! » .

قال حكيمٌ في هدوءٍ وتعقلٍ : « يا أبا الوليد ! ترجعُ بالنَّاسِ ، وتحملُ ديةَ حليفك عمرو بنِ الحضرميِّ .

قال عتبةُ على الفور : « قد فعلتُ يا أبا خالد ، أنتَ عليّ بذلك ، إنّما هو حليفي ، فعليّ عقْلُه ، وما أصيب من ماله ، فأتِ ابنَ الحنظليَّة - يعني : أبا جهل ، والحنظليَّة أمّه - فإنني لا أخشى أن يسجّر - أو يشجر - أمر النَّاسِ غيره » .

\* والآن ؛ لناخذ قسطاً من الرَّاحة ، ولننتعشُ بزهرِ هذه التَّغريدة التي تشيرُ إلى حكيمِ بنِ حِزام ؛ وسعيه بالصُّلحِ وأنَّ تعودَ قريشٌ دون قتال ، تقول التَّغريدةُ :

أمَّا حكيمٌ فهو من خَيْرِ الرِّجالِ المشركين  
فأتى لعتبة قال أنتَ من الرِّجالِ الحازمين  
إن كنتَ ترجو أن تنالَ المجدَ بين الخالدين  
فارجعْ بقومك أنتَ سيِّدهم وخيرُ المصلحين  
واحملْ لعقلِ حليفك ابنِ الحضرميِّ ليستكين  
فأجابَ عتبة في هدوءٍ كان ذا عقْلٍ فطين  
إنِّي لرأيك مستجيبٌ نعمَ رأيِ المخلصين  
ولسوفَ أحملُ عقلَ ابنِ الحضرميِّ فلنَّ يُبين  
فأذهبُ لابنِ الحنظليَّة واستشرُّهُ لتستبين  
إنِّي لأخشى أن يثيرَ القومَ للثَّارِ المشين  
هو لا يحبُّ الخيرَ دوماً ذاك طبعُ المفسدين  
فإذا أجابَ لما تقولُ فسوفَ نرجعُ سالمين<sup>(١)</sup>

(١) « تغريدة السيرة النبوية » ( ٢ / ١٩٦ ) بانتقاء . وقوله « واحملْ لعقلِ =

\* ثمَّ قامَ عتبةٌ يخطبُ النَّاسَ ، ويدعو إلى السَّلام ، ويحدِّثُ من الانقياد وراء أبي جهل الذي أفسدَ على النَّاسِ أمرهم فقال : « يا معشرَ قريش ! إنَّكم واللهِ ما تصنعون بأنَّ تلقوا محمَّداً وأصحابه شيئاً ، واللهِ لئن أصبتموه لا يزال الرَّجلُ ينظرُ إلى وجه رجل يكره النَّظرَ إليه ، قتل ابن عمِّه ، أو ابن خاله ، أو رجلاً من عشيرته ، فارجعوا وخلّوا بين محمَّد وسائر العرب ، فإنَّ أصابوه فذلك الذي أردتم ، وإن كان غير ذلك أفاكم ولم تعرضوا منه ما تريدون ، يا قوم ! لا تردُّوا نصيحتي ، ولا تُسْفهوا رأيي » .

\* قال حكيمُ بنُ حزام : « فانطلقتُ حتَّى جئتُ أبا جهل بن هشام ، فوجدته قد نثَلَ دروعاً يهنؤُها ، فقلتُ له : يا أبا الحكم ! إنَّ عتبةَ بنَ ربيعة أرسلني إليك بكذا وكذا . . . وقصصتُ عليه الأمر .

فقال : انتفخَ واللهِ سَخره حين رأى محمَّداً وأصحابه ، فلا واللهِ لا نرجعُ حتَّى يحكمَ اللهُ بيننا وبين محمَّد ، وما يعنيه - أي : عتبة - ما قال ، ولكنَّه رأى محمَّداً وأصحابه ، أكلة جزور ، وفيهم ابنه - أي : أبو حذيفة بن عتبة ، وكان من السَّابِقين الأوَّلِين إلى الإيمان - فقد تخوَّفكم عليه « (١) .

= حليفك » : أي : تحمل ديتَه . و« فلن يُبين » : لن يتكلَّم . و« ابن الحنظليَّة » : هو أبو جهل بن هشام . و« نرجع سالمين » : دون قتال أو حرب . (١) « تاريخ الطَّبري » ( ٢ / ٣١ ) ، و« المغازي » ( ١ / ٦٣ - ٦٤ ) مع الجمع والتَّصريف .

وهذه تغريدةٌ مائعةٌ ترسمُ بقوافيها العذابَ ملخَّصَ الفقرة السَّابقة فتقول :

هَذَا حَكِيمٌ قَدْ أَتَى مِنْ عِنْدِ عَتَبَةَ بِالصَّوَابِ  
فَأَتَى لِبَنِ الْحَنْظَلِيَّةِ كَيْ يَرَى مِنْهُ الْجَوَابِ  
فَرَأَهُ يَنْشُرُ دِرْعَهُ لِلْحَرْبِ لِلشَّرِّ اسْتَجَابِ  
نَادَاهُ بِالْقَوْلِ الْمَجَبِّ وَالنَّوْؤِ فِي الْخَطَابِ  
إِنِّي أَتَيْتُكَ حَيْثُ إِنَّكَ سَيِّدُ الْقَوْمِ الْمَهَابِ

\* وكان أبو جهل قد حسدَ عتبةَ بنَ ربيعة حسداً كاد أن يأكل قلبه حين سمعه يخطبُ النَّاسُ وقال : « إن يرجع النَّاسُ عن خطبة عتبة ، يكنُ سيِّدَ الجماعة » - وعتبةٌ أنطقُ النَّاسُ ، وأطولُهم لساناً ، وأجملُهم جمالاً - .

\* ومن غريب الأمر أنَّ عتبةَ كان قال لقريش وهو يناجيهم مناجاة النَّاصح ، ويضعُ أعينَهم على مواطنِ الخطرِ ويقولُ في حرارةٍ ممزوجةٍ بالحسرة : « أنشدكم الله في هذه الوجوه التي تبدو كأنَّها المصابيحُ ، أن تجعلوها أنداداً لهذه الوجوه التي كأنَّها وجوه الحيَّاتِ » (١) ، فسخر منه أبو جهل ، وعيَّره بالجبْنِ الشَّدِيدِ ، فغضبَ عتبةُ غضباً شديداً ؛ وردَّ على أبي جهل بعنفٍ وتوبيخٍ وتبكيٍّ قائلاً له : « ويحك ! ستعلم أيتنا أجبن وألأم ، وستعلم قريش من الجبَّانِ المفسدِ لقومه ! وأنشد :

هل جبانٌ وأمرتُ أمري فبشَّري بالثُّكلِ أمَّ عمرو » (٢)

\* وتذكر سيرةَ حكيم بن حزام صُوراً طريفة من وقائع الغزوة البدرية ، وتدلُّ على الدَّور الأنيق الرَّفيق الذي قام به حكيمُ بنُ حزام ذلك اليوم فتقولُ

والرَّأي عندك مُنتهاهُ بغير شكِّ وارتياب  
قد جئتُ عتبةَ قال إنَّ الخيرَ حقاً في الإياب  
الحربُ ليس وراءها إلا الدَّمَارُ أو الخراب  
ماذا ترى في قول عتبة إنَّه حقاً أصاب  
فأجابهُ في غِلظةٍ بل نال عتبةَ بالسَّبَاب  
بل قال عنه بأنَّه أمسى بهمَّ واضطراب  
يخشى على قتل ابنه في الصَّابئين ولن يُجَاب  
كلا فإنَّ لن نعودَ بغير حرب أو ضراب  
حتَّى نرى حُكْمَ الإلهِ ومَن يكونُ له الحساب

(١) « المغازي » ( ١ / ٦٤ ) .

(٢) « المغازي » ( ١ / ٦٤ ) .

ما خلاصته : « كَلَّم عْتَبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ حَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ ، فَقَالَ : لَيْسَ عِنْدَ أَحَدٍ خِلَافٌ إِلَّا عِنْدَ ابْنِ الْحَنْظَلِيَّةِ ؛ اذْهَبْ إِلَيْهِ فَقُلْ لَهُ : إِنَّ عْتَبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ يَحْمِلُ دَمَ حَلِيفِهِ ، وَيُضْمَنُ الْعَيْرَ .

قال حكيمٌ : فدخلتُ على أبي جهل وهو يتخلَّقُ بخلوق (١) ، ودرعهُ موضوعةٌ بين يديه ، فقلت : إِنَّ عْتَبَةَ بَعْثَنِي إِلَيْكَ . فأقبل عليّ مغضباً ، فقال : أما وجدَ عْتَبَةُ أَحَدًا يرسلُهُ غيركَ ؟

فقلت : أما واللهِ لو كان غيره أرسلني ما مشيتُ في ذلك ، ولكنْ مشيتُ في إصلاحِ بين النَّاسِ ، وكان أبو الوليد سيِّدَ العشيرة . فغضبَ أبو جهل غضبةً أخرى فقال : وتقولُ أيضاً سيِّدَ العشيرة ؟ !

فقلتُ : أنا أقولُهُ ؟ قريشٌ كلُّها تقولُهُ !

وجعل أبو جهل يحرِّضُ عامرَ بنَ الحضرميِّ وبعضَ سفهاءِ المشركين بأن يغمزوا من قِناةِ عْتَبَةَ ، ففعلوا ، وسرَّ أبو جهل بما صنعَ المشركون بعتبة .

قال حكيم : فجنَّتُ إلى منبِّه بن الحجاج ، فقلتُ له مثل ما قلتُ لأبي جهل ، فوجدته خيراً من أبي جهل ، قال لي : نِعَمَ ما مشيتَ فيه ، وما دعا إليه عْتَبَةُ ! فرجعتُ إلى عْتَبَةَ فوجدته قد غضبَ من كلامِ قريش ، فنزلَ عن جملةِ الأحمر ، وقد طافَ عليهم في عسكرهم يأمرهم بالكفِّ عن القتال ، فيأبون . . . . . فحمي ، ولبسَ درعه « (٢) .

\* قال الواقديُّ : « وأقبلَ عْتَبَةُ يعمدُ إلى القتال ، فقال له حكيمٌ بنُ حِزَامٍ : أبا الوليد ، مهلاً ، مهلاً ، تنهَى عن شيءٍ وتكونُ أوَّلُهُ ؟ ! « (٣) .

(١) « الخلق » : نوع من الطَّيب .

(٢) « المغازي » ( ١ / ٦٥ - ٦٦ ) ، و« تاريخ الطَّبْرِيّ » ( ٢ / ٣١ ) مع الجمع والتصرّف .

(٣) « المغازي » ( ١ / ٦٧ ) .

\* ونسبت المعركة ، فكان عتبه من أوائل المقتولين مع ثلثة من كبار الفجّار والمجرمين ، ولكن أين كان حكيم ؟ وما مصيره يوم بدر ؟

### نجاته يوم بدر :

\* انجلت معركة بدر عن نصر مؤزر للمسلمين ؛ إذ لم تمضِ سحابة النهار ، حتّى لاذ المشركون بالفرار ؛ وتركوا في أرض المعركة غنائم كثيرة ، فلحقت بهم طائفة من رجال المسلمين وأبطالهم يقتلون فريقاً ، ويأسرون آخرين ، بينما بقيت ثلثة من كبار الصحابة حول الحبيب المصطفى ﷺ يحمونه ويحرسونه لثلا يصيب العدو منه غرة .

\* تضافرت روايات السيرة النبوية وذكرت بأن سبعين صنديداً من المشركين قد لُقوا حتفهم في معركة بدر ، وجلّهم من رؤوس الضلال وزعماء الكفر ، وسقط في الأسر سبعون آخرون ، بينما لاذ بالفرار الباقون ؛ وكانوا قرابة ثمان مئة رجل ؛ وشردوا في الجبال والصحارى لا يلوون على شيء ، وكان من بينهم حكيم بن حزام الذي نجا على فرس له مع مجموعة من قومه يعدّون عدو الظلم ، وأخذوا يروون لمن خلفهم أنّ الظلم مرتعه وخيم .

\* وتقول عدد من الروايات بأنّه أقبل نفر من قريش ، حتّى وردوا حوض رسول الله ﷺ ، فيهم حكيم بن حزام على فرس له فأراد المسلمون تنحيتهم وإبعادهم وطردهم ، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : « دعوهم » ، فوردوا الماء ، فشربوا فما شرب منهم رجلٌ إلا قُتل يومئذ ، إلا ما كان من حكيم بن حزام ، فإنّه لم يُقتل ، نجا على فرس له يُقال له : « الوجيه » ، وأسلم بعد ذلك ، فحسّن إسلامه ، فكان إذا اجتهد في يمينه قال : « لا والذي نجاني يوم بدر » (١) .

(١) « تاريخ الطبري » ( ٢ / ٣٠ ) ، و« المغازي » ( ١ / ٦١ ) مع الجمع بينهما . وعن نجاته حكيم يوم بدر يقول الحافظ ابن كثير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ما خلاصته : « كان =

\* وعن التابعي الجليل سعيد بن المسيّب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : « نجا حكيمٌ بنُ حزام من الدهرِ مرتينِ لما أراد اللهُ به من الخير : خرجَ رسولُ اللهِ ﷺ على نَفَرٍ من المشركين ، وهم جلوسٌ يريدونه ، فقرأ : ﴿ يَسْ ﴾ ونثرَ على رؤوسهم الثُّرابَ ، فما انفلت منهم رجلٌ إلا قُتلَ إلا حكيمٌ ؛ ووردَ الحوضَ يوم بدر ، فما وردَ الحوضَ يومئذٍ أحدٌ إلا قُتِلَ ، إلا حكيمٌ » (١) .

\* وعن فرار حكيم بن حزام يوم بدر على فرسه ، يسجلُ سيّدنا حسان بن ثابت - رضي اللهُ عنه - هذه القصيدة التي ترسمُ كيف نجا حكيم ، وألقى سلاحه ، وهو يطلبُ النجاةَ خائفاً من سيوفِ الأنصار ، ومن رماحِ المؤمنين الكرّار ؛ فيقول :

نَجَى حَكِيمًا يَوْمَ بَدْرِ رُكُضَهُ	كَنَجَاءِ مُهْرٍ مِنْ بَنَاتِ الْأَعْوَجِ
أَلْقَى السَّلَاحَ وَفَرَّ عَنْهَا مُهْمَلًا	كَالِهَبْرِزِيِّ يَزِلُّ فَوْقَ الْمِنْسَجِ
لَمَّا رَأَى بَدْرًا تَسِيلُ جِلاهُهَا	بِكَتَائِبِ مِ الْأَوْسِ أَوْ مِ الْخَزْرَجِ
صَبْرٍ يُسَاقُونَ الْكِمَاةَ حُنُوفَهَا	يَمشُونَ مَهْيَعَةَ الطَّرِيقِ الْمِنْهَجِ (٢)

حكيمٌ - رضي اللهُ عنه - قد شهد مع المشركين بدرًا ، وتقدّم إلى الحوضِ ، فكاد حمزةُ بنُ عبد المطلب - رضي اللهُ عنه - أن يقتله ، فما سَجَبَ إلا سَجَباً بين يديه ، فلهذا كان إذا اجتهدَ في اليمين يقول : لا والذي نَجاني يوم بدر . . . . . وكان من سادات قريش وكرماتهم وأعلمهم بالنسب ، وكان شديد المحبة لرسولِ اللهِ ﷺ ، ومع هذا ما أسلم إلا يوم الفتح هو وأولاده كلُّهم ، وكان كثير الصدقة والبرِّ والعِتاقة بعد إسلامه ، وكانت له دار الندوة وهي بمنزلة دار العدل فباعها وجعل ثمنها في سبيلِ اللهِ تعالى . « البداية والنهاية » ( ٨ / ٦٨ - ٦٩ ) بشيء من التصرُّف .

(١) « المغازي » ( ١ / ٦١ ) .

(٢) « ديوان حسان بن ثابت الأنصاري » ( ١ / ١٨٧ ) طبعة دار صادر . وقوله « الأعوج » : الأعوج فرس مشهورة لبني هلال بن عامر بن صعصعة ؛ أما فرس حكيم بن حزام فاسمه : الوجيه . و« فرَّ عنها » : أراد عن بدر . و« الهبرزي » : الحازم من الرّجال هلهنا . و« جلاها » : جلهاها الوادي : ضفتاه . =



\* وقال من قصيدة أخرى يذكر فرار حكيم يوم بدر ويخاطب قريشاً :

وفراً حكيمٌ خشيةً من رماحنا      على سابع غزبٍ بعيدِ التردّد  
فكيف رأيتُم يومَ بدرٍ ضربنا      وإقدامنا والخيلُ لم تبدّد<sup>(١)</sup>  
\* وله في الموضوع ذاته دليّةٌ أخرى منها قوله :

لقد علمت قريشٌ يومَ بدرٍ      غداة الأشر والقتل الشّدِيدِ  
بأنّا حينَ تشتجرُ العوالي      حُماةُ الرّوع يومَ أبي الوليدِ  
قتلنا ابني ربيعةَ يومَ ساروا      إلينا في مضاعفةِ الحديدِ  
وفراً بها حكيمٌ يومَ جالت      بنو النّجارِ تخطرُ كالأسودِ<sup>(٢)</sup>

\* ويروي سيّدنا حكيمٌ - رضي الله عنه - شيئاً من ذكرياته عن يوم بدر ، فيقول : « لقد رأيتنا يوم بدر ، وقد وقع بجادٌ - كساء - من السّماء ، قد سدّ الأفق ، فإذا الوادي يسيلُ نملاً ، فوقع في نفسي أنّ هذا شيءٌ من السّماء أيّده به محمّدٌ ﷺ ، فما كانت إلا الهزيمة ، وهي الملائكة »<sup>(٣)</sup> .

\* وعن أبي بكر بن سليمان بن حثمة عن حكيم بن حزام قال : « لمّا

= و« مهية » : واضحة . يريد : إنهم لا يختلون أعداءهم ، ولكنهم يكاشفونهم ؛ لأنهم شجعان .

(١) « ديوان حسان » ( ١ / ٤١٧ ) بانتقاء . وقوله « بعيد التردّد » : أي : لا يرجع يبعد عن طريقه في جريه ، ولا يتكث عنه .

(٢) المصدر السابق ( ١ / ١٨٠ ) . وقوله : « أبي الوليد » : عتبة بن ربيعة . و« ابني ربيعة » : عتبة وشيبة .

(٣) « المغازي » ( ١ / ٨٠ ) . وأخرج الحاكم في « المستدرک » بسنده عن سيّدنا حكيم بن حزام قال : « لقد رأيتني يوم بدر ، وقد وقع بالوادي بخارٌ من السّماء ، قد سدّ الأفق ، فإذا الوادي يسيلُ ماءً ، فوقع في نفسي أنّ هذا شيءٌ من السّماء ، أيّده به محمّدٌ ﷺ ، فما كانت إلا الهزيمة ، وكانت الملائكة » . « المستدرک » ( ٣ / ٥٥١ ) برقم : ( ٦٠٤٩ ) .

كان يوم بدر ، أمر رسول الله ﷺ ، فأخذ كَفًّا من الحُصْبَاءِ ، فاستقبلنا به ، فَرَمَانَا بِهَا ، وقال : « شَاهَتِ الْوَجُوهُ » فانهزمنا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [ الأَنْفَالُ : ١٧ ] (١) .

\* وكان حَكِيمٌ - رضي الله عنه - يقول : « انهزمنا يوم بدر ، فجعلتُ أسعى وأقول : قاتلَ اللهُ ابنَ الحَنْظَلِيَّةِ ! يزعمُ أَنَّ النَّهَارَ قد ذهب ، واللهُ إِنَّ النَّهَارَ لَكَمَا هو ! قال حَكِيمٌ : وما ذاك بي إلا حَبًّا أَنْ يَأْتِيَ اللَّيْلُ فيَقْصِرَ عَنَّا طَلْبُ الْقَوْمِ ... » (٢) .

### متى أسلم حَكِيمٌ ؟

\* تَجْمَعُ الرَّوَايَاتُ بِأَنَّ حَكِيمًا - رضي الله عنه - ظَلَّ عَلَى شِرْكِهِ إِلَى يَوْمِ الْفَتْحِ ؛ وَيَوْمَهَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ وَعَلَى بَصِيرَتِهِ ، فَأَسْلَمَ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ ، وَغَزَا حُنَيْنًا وَالطَّائِفَ بِالْمَعِيَّةِ النَّبَوِيَّةِ ؛ وَقَدْ عَدَّ حَكِيمٌ مِنَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ ، إِذْ أَعْطَاهُ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ غَنَائِمِ حُنَيْنٍ مِئَةَ بَعِيرٍ (٣) .

\* أَخْرَجَ شَيْخَا أَهْلِ الْحَدِيثِ : الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ بِسَنَدٍ رَفَعَاهُ إِلَى عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ وَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّ حَكِيمَ بْنَ حَزَامٍ - رضي الله عنه - قَالَ : « سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَعْطَانِي ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي ، ثُمَّ قَالَ : « يَا حَكِيمُ ! إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حَلْوَةٌ ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ ، كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ . الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى » .

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ ( ٢٠٣ / ٣ ) بِرَقْمِ : ( ٣١٢٨ ) وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ .  
وَانظُرْ : « الْمَغَازِي » ( ١ / ٩٥ ) ، وَ« شَرْحُ حَيَاةِ الصَّحَابَةِ » ( ٤ / ٣٥٥ ) .

(٢) « الْمَغَازِي » ( ١ / ٩٥ ) .

(٣) انظُرْ : « سِيرَ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ » ( ٣ / ٤٤ - ٤٥ ) ، وَ« الْمَعْجَمُ الْكَبِيرُ » ( ٣ / ١٨٦ ) ، وَ« الْبَدَايَةُ وَالنَّهَايَةُ » ( ٨ / ٦٨ ) وَغَيْرَهَا .

قال حكيم : فقلت : يا رسولَ الله ! والذي بعثك بالحق لا أرزأُ أحداً بعدك شيئاً حتَّى أفرقَ الدُّنيا . فكان أبو بكر - رضي الله عنه - يدعو حكيماً إلى العطاء ، فيأبى أن يقبله منه . ثمَّ إنَّ عمرَ - رضي الله عنه - دعاه ليعطيه ، فأبى أن يقبلَ منه شيئاً ؛ فقال عمر : إنِّي أشهدكم يا معشرَ المسلمين على حكيمٍ أنِّي أعرض عليه حقّه من هذا الفيء ، فيأبى أن يأخذه ، فلم يَرزأُ حكيمٌ أحداً من النَّاس بعد رسول الله ﷺ حتَّى توفي « (١) .

(١) أخرجه الشَّيْخَان : البخاريُّ في الرِّكَاة برقم : ( ١٤٧٢ ) ، واللفظ له ، ومسلمٌ في الرِّكَاة أيضاً برقم : ( ١٠٣٥ ) ، وأخرجه البخاريُّ أيضاً برقم : ( ٢٧٥٠ ، ٣١٤٣ ، ٦٤٤١ ) ، وأحمد ( ٥ / ٢٨٨ ) برقم : ( ١٥٣٢١ ) ، والثَّرمذِي برقم : ( ٢٤٦٣ ) ، والنَّسائي ( ٥ / ١٠١ ) ، والطَّبْراني في « الكبير » ( ٣ / ١٨٩ ) برقم ( ٣٠٨٠ ) ، وانظر : « مختصر تاريخ دمشق » ( ٧ / ٢٣٧ ) ، و« سير أعلام النبلاء » ( ٣ / ٤٥ ) ، و« البدر الثَّمام » ( ٢ / ٣٦٥ - ٣٦٧ ) .

وقوله « إنَّ هذا المالَ خَضِرَةٌ » : أنتَ الخَيْرُ ؛ لأنَّ المراد الدُّنيا . وقوله « خضرة حلوة » : شبهه بالرَّغبة فيه ، والميل إليه ، وحرص الثُّموس عليه بالفاكهة الخضراء المستلذَّة ، فإنَّ الأخضر مرغوب فيه على انفراده بالنَّسبة إلى اليابس ، والحلو مرغوب فيه على انفراده بالنَّسبة للحامض ، فالإعجاب بهما إذا اجتمعا أشدَّ . و« بسخاوة نفس » : أي : بغير شره ولا إلحاح ؛ أي : من أخذه بغير سؤال . و« كالذي يأكل ولا يشبع » : أي : الذي يسمَّى جوعه كذباً ؛ لأنَّه من علَّة به وسقم ، فكلمًا أكل ازداد سقماً ، ولم يجد شعباً . و« اليد العُلَيَا » : هي المُتَعَفِّة . وقيل : المُتَعَفِّة . واليد العُلَيَا : هي اليد المنفقة المعطية . وقيل : اليد العُلَيَا : النِّعْمَة .

ومحصَّل الآثار أنَّ أعلى الأيدي : المُتَعَفِّة ، ثمَّ المتعفِّة عن الأخذ ، ثمَّ الآخذة بغير سؤال . وأسفل الأيدي : السَّائلة والمانعة ، وفي هذا الحديث الحثُّ على الإنفاق في وجوه الطَّاعة و« لا أرزأُ » : أي : لا أنقصُ ماله بالطلب منه . وإنَّما امتنع حكيمٌ - رضي الله عنه - من أخذ العطاء مع أنَّه حقّه ؛ لأنَّه خشي أن يقبلَ من أحدٍ شيئاً =

\* استقامت حياة سيدنا حكيم على هدي الإسلام ونوره ، وكان يسأل الحبيب المصطفى ﷺ عما يجعل الإنسان سعيداً ناجحاً ناجياً ليكون من أهل الجنة ، فعن الزهري رحمه الله : أن حكيم بن حزام - رضي الله عنه - سأل

= فيعتاد الأخذ ، فتتجاوز به نفسه إلى ما يريد ، ففطمها عن ذلك ، وترك ما يريبه إلى ما لا يريبه ، وإنما أشهد عليه عمر ؛ لأنه أراد ألا ينسبه أحد لم يعرف باطن الأمر ، إلى منع حكيم من حقه . و« حتى توفي » : أي : أنه ما أخذ من أبي بكر ، ولا عمر ، ولا عثمان ، ولا معاوية ديواناً ولا غيره حتى مات لعشر سنين من إمارة معاوية . والله أعلم .

قال ابن أبي جمرة رحمه الله : « في حديث حكيم فوائد ؛ منها : أنه قد يقع الزهد مع الأخذ ، فإن سخاوة النفس هو زهدها ، تقول : سخت بكذا : أي : جادت ؛ وسخت عن كذا : أي : لم تلتفت إليه .

ومنها : أن الأخذ مع سخاوة النفس يحصل أجر الزهد والبركة في الرزق ، فتبين أن الزهد يحصل خير الدنيا والآخرة .

وفيه : ضرب المثل لما لا يعقله السامع من الأمثلة ؛ لأن الغالب من الناس لا يعرف البركة إلا في الشيء الكثير ، فبين بالمثل المذكور أن البركة هي خلق من خلق الله تعالى ، وضرب لهم المثل بما يعهدون ، فالأكل إنما يأكل ليشبع ، فإذا أكل ولم يشبع كان عناء في حقه بغير فائدة ، وكذلك المال ليست الفائدة في عينه ، وإنما هي لما يتحصل به من المنافع ، فإذا كثر عند المرء بغير تحصيل منفعة ، كان وجوده كالعدم .

وفيه : أن الإمام ينبغي عليه ألا يبين للطالب ما في مسأله من المفسدة ، إلا بعد قضاء حاجته ، لتقع مواعظته له الموقع ، لئلا يتخيل أن ذلك سبب لمنعه من حاجته .

وفيه : جواز تكرار السؤال ثلاثاً ، وجواز المنع في الرابعة ، والله أعلم .

وفيه : أن سؤال الأعلى ليس بعارض ، وأن رد السائل بعد ثلاث ليس بمكروه ، وأن الإجمال في الطلب مقرون بالبركة . ولهذا مات سيدنا حكيم بن حزام - رضي الله عنه - وإنه لمن أكثر قریش مالاً . والله تعالى أعلم .

رسولَ الله ﷺ عمَّا يدخلُ الجنةَ قال : « لا تسألُ أحداً شيئاً » فكان حكيمٌ لا يسألُ خادمه أن يسقيه ماءً ، ولا يناوله ماءً يتوضأ به (١) .

\* ومن الأسئلة المفيدة النَّافعة ، والمحاورات اللطيفة الماتعة ، التي تنتهي بِفِقْهِ وعلم وحكم جامعة ؛ ما جاء عند الطَّبْرانيِّ وغيره عن حكيم بن حزام - رضي الله عنه - قال : « قلت يا رسولَ الله ! رأيت شيئاً كنتُ أتحنثُ به في الجاهليَّة من عتاقةٍ وصِلَةِ رحمٍ هل لي فيها من أجر ؟

فقال رسول الله ﷺ : « أسلمتَ على ما سلَّفت من خير » ، وفي رواية : « أسلمتَ على ما سبقَ لك من الخير » .

فقال حكيم : يا رسولَ الله ! لا أدعُ شيئاً صنعتَه في الجاهليَّة إلا صنعتُ لله في الإسلام مثله ، وكان أعتق في الجاهليَّة مئة رقبة ، وأعتق في الإسلام مثلها مئة رقبة ، وساق في الجاهليَّة مئة بدنة ، فساق في الإسلام مئة بدنة « (٢) .

\* وشهد لحكيم - رضي الله عنه - بأعمال البرِّ والعتق أبو بكر بنُ سليمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حيث قال : « حجَّ حكيمُ بنُ حزام - رضي الله عنه - معه مئة بدنة ، قد أهداها وجلَّلها الحِبرَة وكفَّها عن أعجازها ، ووقَّف مئة وصيف يوم عرفة ، في أعناقهم طوقة الفضة قد نقشَ في رؤوسها : عتقنا الله عن حكيم بن حزام ، وأعتقهم ، وأهدى ألف شاة » (٣) .

\* وجاء الإسلامُ ودار النَّدوة بمكَّة بيد حكيم - رضي الله عنه - ، فباعها

---

(١) « مختصر تاريخ دمشق » ( ٧ / ٢٣٨ ) .

(٢) أخرجه الطَّبْرانيُّ ( ٣ / ١٩١ ) برقم : ( ٣٠٨٥ ) ، وانظر : « مختصر تاريخ دمشق » ( ٧ / ٢٣٨ ) . وقوله « أتحنث » : أتعبد .

(٣) « مختصر تاريخ دمشق » ( ٧ / ٢٣٨ ) ، و« أسد الغابة » ( ١ / ٥٢٢ ) ، و« البداية والنَّهاية » ( ٨ / ٦٩ ) . و« الحبرة » : على وزن عنبَة : ثوب يمان من قطن .

لسيدنا معاوية - رضي الله عنه - بمئة ألف درهم ، وظنَّ ابنُ الرُّبَيْرِ وغيره أنَّ معاويةَ قد غبنَ حكيماً بها ، فقال ابنُ الرُّبَيْرِ : « بعْتَ مكرمةَ قريش » فقال له حكيم : « ذهبتِ المكارمُ إلا التَّقوى ، إنِّي اشتريتُ بها داراً في الجنة ، أشهدك أنني قد جعلتها في سبيلِ الله - عزَّ وجلَّ - يا بنِ أخي » (١) .

\* ألا إنَّ بيعك قد ربحَ بإذنِ اللهِ يا أبا خالد ؛ إذ تصدَّقْتَ بالمئة ألفِ درهمٍ على المساكينِ وعلى المحتاجين ؛ وأنت تقولُ لابنِ الرُّبَيْرِ وغيره : « اشهدوا أنَّ ثمنها في سبيلِ الله ؛ أشهدكم أنَّها في سبيلِ الله ، والمساكين ، والرِّقاب ، وأئنا المغبون ؟ ! » (٢) ، فَنِعْمَ العملُ ! ونِعْمَتِ الصَّدقة في سبيلِ الله !

### من كلماتِ حكيمٍ وأخباره :

\* كلماتِ سيدنا حكيم بن حزام - رضي الله عنه - كلماتٌ نافعةٌ ؛ خرجتْ من قلبِ صادقٍ ؛ لتقعَ في القلوبِ الصادقة ، ويمكنُ أن تُنظَمَ كلماتُ هذا الصَّحابي في عقدٍ لآلئِ الحِكمِ والفوائدِ السَّامقة .

(١) « المعجم الكبير » ( ٣ / ١٨٧ ) ، و « مختصر تاريخ دمشق » ( ٧ / ٢٣٩ ) مع الجمع والتَّصريفِ اليسير .

(٢) « المعجم الكبير » ( ٣ / ١٨٦ ) بتصريفِ يسير ، وانظر : « التذكرة الحمدونية » ( ٢ / ١٠٧ ) ، وكذلك انظر : « البداية والنهاية » ( ٢ / ٢٠٧ ) .

وذكر ابنُ كثيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ قُصَيًّا بنَ كلابٍ كانت له جميعُ الرِّئاسةِ القرشيَّةِ من حجابة البيت ، وسدائنه ، واللواء ، وبنى داراً لإزاحةِ الظُّلمات ، وفُضِّلَ الخصوماتِ سَمَاهَا دارُ التَّدْوَةِ ، إذا أعضَلتْ قُضِيَّةُ اجتمعَ الرُّؤساءُ من كلِّ قبيلة ، فاشتوروا فيها ، وفصلوها ؛ ولا يُعقدُ عقدُ لواء ، ولا عقدُ نكاحٍ إلَّا بها ، ولا تبلغُ جاريةٌ أن تدرِّع فتدرِّع إلَّا بها ، وكان بابُ هذا الدَّارِ إلى المسجدِ الحرامِ ، ثمَّ صارت هذه الدَّارُ فيما بعد إلى حكيمِ بنِ حزامٍ بعد بني عبد الدَّارِ ، فباعها بمئة ألفِ درهمٍ ، وجعل ثمنها صدقةً في سبيلِ الله . « البداية والنهاية » ( ٢ / ٢٠٧ ) باختصارٍ وتصريفٍ .

\* وبداية نقرأ من أقواله الماتعة : « ذهبَ المكارمُ إلا التَّقوى » (١) .  
فقد كان حكيماً - رضي الله عنه - يرى أن التَّقوى هي رأسُ المكارمِ وسنامِ  
الفضائلِ وَذِرْوَةَ المحامدِ ، ولعلَّه اقتبسَ ذلك من قول الله - عزَّ وجلَّ - : ﴿ إِنَّ  
أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَنَكُمْ ﴾ [ الحجرات : ١٣ ] .

\* ومن حُلَى كلماته النَّافعة لكلِّ محبِّ لعفو الله - عزَّ وجلَّ - ، ولكلِّ مَنْ  
يرجو رحمةَ الله مع العملِ الصَّالح والأخذِ بأسبابِ النَّجاة ، كلمته التي كان  
يردِّدها عند الموت وهو يقول : « لا إله إلا الله ، قد كنتُ أخشاك ، وأنا اليومَ  
أرجوك » (٢) .

\* ومن جواهرِ كلامه بعد أن أسلمَ قوله : « الحمدُ لله الذي أكرم  
محمداً ﷺ بالتُّبوة » (٣) . ويقصد أنه قد نجاهَ الله من الشُّركِ بِاتِّباعِ سيِّدنا  
وحسينا رسول الله ﷺ .

\* ولهذا الصَّحابي الحكيم قولٌ يتندَّى بالمكارمِ ويسيلُ بالمروءة ،  
ويقطرُ بالفضائلِ ، ويفتحُ أبوابَ المعروف لمن يريدُ أن يلجَ في هذه الأبوابِ  
المونقة التي يختصُّ اللهُ - عزَّ وجلَّ - بها السُّعداء من العباد ؛ يقول هذا اللبيبُ  
الحكيمُ سيِّدنا حكيماً - رضي الله عنه - : « ما أصبحتُ وليس بيابي صاحبُ  
حاجة ، إلا علمتُ أنها من المصائب التي أسألُ الله الأجرَ عليها » (٤) . فأسعدُ

(١) « أسد الغابة » ( ١ / ٥٢٢ ) ، و« الاستيعاب » ( ١ / ٣١٩ ) ، و« التبيين »  
( ص : ٢٣٨ ) .

(٢) « تاريخ الإسلام » ( عهد معاوية - رضي الله عنه - ، ص : ١٩٩ ) ، و« مختصر  
تاريخ دمشق » ( ٧ / ٢٣٩ ) ، و« سير أعلام النبلاء » ( ٣ / ٥١ ) .

(٣) « مختصر تاريخ دمشق » ( ٧ / ٢٣٦ ) .

(٤) « سير أعلام النبلاء » ( ٣ / ٥١ ) ، وجاءت هذه العبارة عن ابن عساكر بمعنى  
قريب ، وهي : « ما أصبحت صباحاً قط ، فلم أرَ أحداً بيابي طالب حاجة ، =

النَّاسُ عِنْدَ سَيِّدِنَا حَكِيمٌ هُوَ الَّذِي تُقْضَىٰ عَلَيْهِ حَاجَاتُ النَّاسِ . وَلَقَدْ صَدَّقَ  
 الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَمَا قَالَ عَنْ سَيِّدِنَا حَكِيمٍ : « وَكَانَ حَكِيمٌ فَقِيهَ النَّفْسِ ،  
 كَبِيرَ الشَّانِ » (١) . وَالْحَقِيقَةُ فَهَذِهِ الْأَقْوَالُ الْحَكِيمَةُ الصَّادِرَةُ عَنْ سَيِّدِنَا حَكِيمٍ  
 تَدُلُّ عَلَىٰ عُلُوِّ هِمَّتِهِ ، وَكَرَامَتِهِ ، وَحِصَافَتِهِ ، وَسَخَائِهِ ، وَلِذَلِكَ  
 كَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَقُولُ : « مَا أَصْبَحْتُ يَوْمًا وَبِبَابِي طَالِبُ حَاجَةٍ إِلَّا عَلِمْتُ  
 أَنَّهَا مِنْ مَنِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - عَلَيَّ » (٢) .

\* وَبَلَغَتْ هِمَّةُ سَيِّدِنَا حَكِيمٍ وَجُودِهِ شَيْئًا مَرُويًّا تَحْتَفِظُ بِهِ ذَاكِرَةُ  
 الْمَصَنَّفَاتِ ، لِتَرْوِيهِ لِمَحَبَّةِ الصَّحَابَةِ وَتَبَرُّزِ أَعْمَالِهِمُ الْكَرِيمَةِ الَّتِي يَقْتَدِي بِهَا ،  
 فَمِنْ جُودِهِ الَّذِي طَالَ أَيَّامَ قَرِيشٍ مَا وَرَدَ مِنْ أَنَّ سَيِّدِنَا حَكِيمًا - رَضِيَ اللَّهُ  
 عَلَيْهِ - : « كَانَ مِنْ شِدَّةِ جُودِهِ وَكَرَمِهِ لَا يَأْكُلُ طَعَامًا وَحْدَهُ ، وَإِذَا أُتِيَ بِطَعَامِهِ  
 قَدَّرَهُ : فَإِذَا كَانَ يَكْفِي لِاثْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ ، أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ، قَالَ : ادْعُ مِنْ أَيَّامِ  
 قَرِيشٍ وَاحِدًا أَوْ اثْنَيْنِ ، وَذَلِكَ عَلَىٰ قَدْرِ طَعَامِهِ . وَكَانَ لَهُ إِنْسَانٌ يَخْدُمُهُ ،  
 فَضَجَرَ عَلَيْهِ يَوْمًا ، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ، وَجَعَلَ . يَقُولُ لِلنَّاسِ : ارْتَفِعُوا  
 إِلَيَّ أَبِي خَالِدٍ ، فَتَجَمَّعَ النَّاسُ عَلَيْهِ ، فَتَعَجَّبَ وَقَالَ : مَا لِلنَّاسِ يَأْتُونَ  
 هَلْهنا ؟ !

فَقِيلَ لَهُ : يَا أَبَا خَالِدٍ ! دَعَاهُمْ عَلَيْكَ فَلَانٌ .

= إِلَّا عَدَدَتْهَا مَصِيبَةٌ أَرْجُو ثَوَابَهَا مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . « مَخْتَصَرُ تَارِيخِ دِمَشْقِ »  
 ( ٧ / ٢٣٩ ) .

(١) « سِيرَ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ » ( ٣ / ٥١ ) .

(٢) « مَخْتَصَرُ تَارِيخِ دِمَشْقِ » ( ٧ / ٢٣٩ ) ، وَجَاءَ أَيْضًا عَنْ سَيِّدِنَا حَكِيمٍ - رَضِيَ اللَّهُ  
 عَنْهُ - : أَنَّهُ كَانَ يُقِيمُ عَشِيَّةَ عَرْفَةَ مِئَةَ رَقَبَةٍ ، وَمِئَةَ بَدَنَةٍ ، فَيَعْتَقُ الرِّقَابَ عَشِيَّةَ عَرْفَةَ ،  
 وَيَنْحَرُ الْبَدْنَ يَوْمَ النَّحْرِ ، وَكَانَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ فَيَقُولُ : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَحْدَهُ  
 لَا شَرِيكَ لَهُ ، نِعْمَ الرَّبُّ وَنِعْمَ الْإِلَهُ ، أَحْبَبُّهُ وَأَخْشَاهُ » . « الْمَسْتَطْرَفُ »  
 ( ١ / ٤٧ ) .



وعلى الفور صاح سيّدنا حكيمٌ بغلّمانه وقال : هاتوا ذلك التّمر ، فألقيتُ بينهم أكوامٌ من التّمر الجيّد ، فلمّا أكلوا ، قال بعضهم : إدامٌ يا أبا خالد ! قال - رضي الله عنه - : « إدامها فيها » (١) .

\* وبلغ من مروءة حكيم وجوده وقضائه حاجات النّاس ما حدّث به شعبةٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : « لَمَّا توفى الرُّبَيْرُ بنُ العوّام - رضي الله عنه - ، لقي حكيمٌ عبد الله بن الرُّبَيْر - رضي الله عنهم - ، فقال : كم ترك أخي من الدّين ؟ قال عبد الله : ألف ألف - يعني : مليون - . قال حكيم : عليّ خمس مئة ألف » (٢) .

\* ومن الأخبار الممتعة التي تتعلّق بسيّدنا حكيم ، قصّة حلّة ذي يزن التي أهداها لحبيبتنا رسول الله ﷺ وهو مشركٌ ، فلم يقبلها ﷺ ، ثمّ اشترت له ﷺ ، فما قصّة هذه الحلّة الجميلة النّادرة ؟ !

\* أخرج الطبراني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وغيره بسندٍ عن عروة بن الرُّبَيْر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : أنّ حكيم بن حزام - رضي الله عنه - ، خرج إلى اليمن ، فاشترى حلّة ذي يزن ، فقدم بها المدينة المنورة على سيّدنا وحبيبتنا رسول الله ﷺ ؛ فأهداها له ، فردّها رسولُ الله ﷺ وقال : « إنّنا لا نقبلُ هديّة مشرك » ، فباعها حكيمٌ ، فأمر بها رسولُ الله ﷺ فاشترى له ، فلبسها ، ثمّ دخلَ فيها المسجد ، قال حكيمٌ : فما رأيتُ أحداً قطّ أحسنَ منه فيها ، لكأنّه القمرُ ليلة البدر ! فما ملكتُ نفسي حين رأيتَه كذلك أن قلتُ :

ما ينظرُ الحكّامُ بالحكمِ بَعْدَ مَا      بَدَا واضِحٌ ذو غرّةٍ وحُجولِ  
إذا قايَسوه المجدَ أربى عليهم      كمستفرغِ ماءِ الذّنابِ سَجيلِ

(١) « مختصر تاريخ دمشق » ( ٧ / ٢٣٩ ) بتصرّف .

(٢) « سير أعلام النبلاء » ( ٣ / ٥٠ ) بتصرّف يسير . وكان حكيم - كما أسلفنا - ابن عمّ الرُّبَيْر - رضي الله عنهما - .

فسمعه رسول الله ﷺ ، قال حكيمٌ : فالتفت إليّ ﷺ يتسمُّ ، ثم دخل وكساها أسامة بن زيد « (١) .

\* وجاء الخبر عند الحاكم رَحِمَهُ اللهُ عن سيِّدنا حكيم بن حزام - رضي الله عنه - قال : « كان محمدُ النَّبِيُّ ﷺ أحبَّ النَّاسِ إليّ في الجاهليَّةِ ، فلَمَّا تَنَبَّأَ وخرجَ إلى المدينة شَهِدَ حكيم بن حزام الموسَم ، فوجد حلةً لذي يزن تُباعُ بخمسين درهماً ، فاشتراها ليهديها إلى رسولِ الله ﷺ ، فقدم بها عليه ، وأرادهُ على قبضها ، فأبى عليه . قال عُبيدُ الله : حسبْتُ أنَّه قال : « إنَّا لا نقبلُ

---

(١) « المعجم الكبير » ( ٣ / ١٩٣ ) رقم : ( ٣٠٩٤ ) ، و« مجمع الزوائد » ( ٨ / ٢٨٧ ) ، و« مختصر تاريخ دمشق » ( ٧ / ٢٣٥ ) مع الجمع بينها والتنسيق . وقوله « ذي يزن » : ذو يزن اسم وإد باليمن ، أضيف إليه ذو يزن نعمان بن قيس والد سيف بن ذي يزن . و« فأهداها له » : أي : في هدنة الحديبية . و« بدا واضح » : ظاهر متألئى ، والمراد به : سيِّدنا وحبينا ونبينا محمد ﷺ . و« غرة » : الغرة : بياض في جبهة الفرس . وأطلق مجازاً على بياض وجه الإنسان ، يقال : في وجه فلان غرة : أي : تألق وبياض يسرُّ الناظرين إليه . و« حجول » : الحجول : البياض في رجل الفرس ، والجمع : أحجال وحجول ، ويُطلق مجازاً على ما في رجل الإنسان من بياض ، كما في الحديث الصحيح : « تُدعى أمتي يوم القيامة بالغرِّ المحجَّلين من آثار الوضوء ، فمن أراد أن يطيل غرَّته فليعمل » . و« قايسوه » : بارزوه مبارأة . و« أربى » : زاد . و« ماء الذَّناب » : الذَّناب والذَّنوب : هي الدَّلُو الملائى ماء . قال ابن السكيت رَحِمَهُ اللهُ : إنَّ الذَّنوب تذكَر وتؤنَّث ، ولا يقال لها وهي فارغة . و« سجيل » : سجل الماء : صبّه ، ودلو سجيل : أي : واسع ضخم ، والمراد ههنا جودُهُ ﷺ ، والله تعالى أعلم .

وللمزيد من مثل هذه الأخبار الماتعة اقرأ ذلك في كتابنا : « أبناء الصحابة - رضي الله عنهم - » في الباب الأوَّل ، ترجمة سيِّدنا أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - .

من المشركين شيئاً ، ولكنْ إِنْ شئتَ أخذناها بالثمن ، فأعطيتها إياه حين أبى عليّ الهدية ، فلبسها ؛ فرأيتها عليه على المنبر ، فلم أر شيئاً قط أحسنَ منه فيها يومئذ ، ثمَّ أعطاها أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - ، فرأها حكيمٌ على أسامة فقال : يا أسامة ! أنتَ تلبسُ حلّةَ ذي يزن ؟ قال : نعم ، لأنّ خيرٌ من ذي يزن ، ولأبي خيرٌ من أبيه ، ولأمي خيرٌ من أمّه .

قال حكيم : فانطلقتُ إلى مكّةَ أعجبهم بقول أسامة - رضي الله عنه - « (١) .

\* ويسوق سيّدنا حكيمٌ نفسه شيئاً من أخباره التي تتعلّقُ بحياته فيقول : « كنتُ أعالجُ البرّ في الجاهليّة ، فكنتُ رجلاً تاجراً أخرجُ إلى اليمن ، وآتي الشام في الرّحلتين ، فكنتُ أربحُ أرباحاً كثيرة ، فإذا ربحتُ عدتُ على فقراء قومي ، ونحنُ لا نُعدُّ شيئاً ، نريدُ بذلك ثراءَ الأموال والمحبة في العشيرة . وكنتُ أحضرُ الأسواق ، وكانت لنا ثلاثة أسواقٍ ، وكانت سوقُ عكاظ تقومُ صباح هلال ذي القعدة ، فتقومُ عشرين يوماً ، ويحضره العربُ ، وابتعتُ زيد بن حارثة لعمّتي خديجة بنت خويلد ، فأخذته بستّ مئة درهم ، فلمّا تزوّجها رسولُ الله ﷺ سألتها زيدا ، فوهبته له ، فأعتقه رسولُ الله ﷺ . وابتعتُ حلّةَ ذي يزن فكسوتها رسولُ الله ﷺ ، فما رأيتُ أحداً أجملَ ، ولا أحسنَ من رسولِ الله ﷺ في تلك الحلّة . . . . وكانت سوقُ مجنة تقومُ عشرة أيّام ، حتّى إذا رأينا هلال ذي الحجة انصرفنا ، فانتهينا إلى سوقِ

(١) « المستدرک » ( ٣ / ٥٥١ - ٥٥٢ ) برقم : ( ٦٠٥٠ ) ، وقوله : « تنبأ » : ادّعى النبوة . و« الموسم » : هو الوقت الذي يجتمع فيه الحاجُّ كلَّ سنة ، فقد كان العربُ يخرجون في موسم الحجِّ ، ويأتون أسواقاً لهم ، فيبيعون ويشترون ، وينشدون الأشعار ، وغير ذلك . و« أرادته على قبضها » : حمله على قبضها . و« عبید الله » : هو أحد الرّواة ، واسمه : عبید الله بن المغيرة . و« خير من أبيه » : قاله تحدّثاً بنعمة الله .

ذي المجاز ، فقام ثمانية أيام ، وكلّ هذه الأسواق ألقى بها رسول الله ﷺ في  
المواسم ، يستعرضُ القبائل قبيلةً قبيلةً ، يدعوهم إلى الله - عزّ وجلّ - ،  
فلا نرى أحداً يستجيبُ له ، وأسرته أشدّ القبائل عليه ، حتّى  
بعث الله - عزّ وجلّ - قوماً ، أراد بهم كرامته ، هذا الحيّ من الأنصار ،  
فبايعوه ، وصدّقوا به ، وآمنوا به ، وبذلوا أنفسهم وأموالهم ، فجعل الله له دار  
هجرة وملجأ ، وسبقَ مَنْ سبقَ إليه ، فالحمدُ لله الذي أكرمَ محمداً ﷺ  
بالتبوءة « (١) .

\* كان سيّدنا حكيمٌ يصلُ الرّحمَ ، ويحملُ الكلّ ، ويعطي في السبيل ،  
ويشتري الظّهر والأداة والرّزاد ، ثمّ لا يجيئه أحدٌ يستحمله في السبيل  
إلا حمّله .

\* ومن لطيفِ الأخبارِ وعيونها وطريفها أنّ حكيماً - رضي الله عنه - كان  
يوماً في المسجد ، فجاء رجلٌ من أهل اليمن يطلبُ حملاناً يريدُ الجهاد في  
سبيل الله ، فدّلّوه على حكيم بن حزام - رضي الله عنه - فجاءه وقال  
له : « يا هذا ! إنني رجلٌ بعيدُ الشّقة ، وأردتُ الجهاد ، فدللتُ عليك لتحملَ  
رحلي ، وتعيّنني على ضعفي » ، فقال له حكيمٌ - رضي الله عنه - : « اجلسْ  
يا أخي » ، فلمّا ارتفعتِ الشّمسُ ، ركعَ ركعاتٍ ثمّ انصرفَ ، وأوماً إلى  
اليمني أن يتبعه فتبعه ، فجعل حكيمٌ كلّما مرَّ بصوفةٍ ، أو خرقةٍ ، أو شملة  
نفضها فأخذها ، وتعجّب اليمني من تصرّفات سيّدنا حكيمٍ ؛ وقال في  
نفسه : « إنّ مَنْ دلّني على هذا الرّجل قد لعبَ بي ، وسخرَ مني ، فأبى شيءٌ  
عند هذا من الخير بعد الذي أرى منه ؟ ! » . ودخل سيّدنا حكيمٌ داره ، فألقى  
الصّوفة مع الصّوف ، والخرقة مع الخرق ، والشّملة مع الشّمّال ، ثمّ قال لغلام  
له : « يا غلام ! هات لي بغيراً ذلولاً » ، فأتى ببعيرٍ ذلولٍ ، ثمّ دعا بجهاز  
فشدّه على البعير ، ثمّ أمر لليمني بدقيقٍ وسويقٍ وزيتٍ وقال له : « انظرْ ملحاً

(١) « مختصر تاريخ دمشق » ( ٧ / ٢٣٥ - ٢٣٦ ) بشيء من التصرّف .

وجراباً من تمرٍ « حتّى لم يبقَ شيءٌ ممّا يحتاجُ إليه المسافرُ إلا أعطاه اليماني وكساه ، ثمّ دعا بخمسة دنانير فدفعها إليه وقال له : « هذه الطّريق » ، وكان هذا فعل حكيم - رضي الله عنه - مع مثل هذا اليمانيّ وأشباهه » (١) .

\* وأخرج الطّبرانيّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قريباً من قصّة اليمانيّ ، ولكن عن أعرابيّين قد قصّدا المدينة المنوّرة يسألان مَنْ ينفقُ عليهما ؛ ويحملهما في سبيل الله - عزّ وجلّ - ، ترى ماذا في الجعبة الطّبرانيّة ؟ !

\* أخرج الطّبرانيّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن أبي حازم قال : « ما كان بالمدينة أحدٌ سمعنا به كان أكثر حملاً في سبيل الله من حكيم بن حزام - رضي الله عنه - ؛ لقد قدم أعرابيّان المدينة يسألان مَنْ يحملُ في سبيل الله ، فدلّا على حكيم بن حزام ، فأتياه في أهله ؛ فسألهما : ما يُريدان ؟ فأخبراهُ ما يريدان . فقال لهما : لا تعجلا حتّى أخرج إليكما ، وكان حكيم يلبس ثياباً يُؤتى بها من مِصر كأنّها الشّبّاك ، ثمّنها أربعة دراهم ، ويأخذُ عصاً في يده ، ويخرجُ معه غلامان له ، وكلّما مرّ بكُناسة ، أو قمامة فرأى فيها خرقةً تصلحُ في جهازِ الإبل التي يحمل عليها في سبيل الله ، أخذها بطرفِ عصاه ، فنَقَصَها ، ثمّ قال لغلاميه : أمسكا بسلعتكما في جهازكما .

فقال الأعرابيّان أحدهما لصاحبه وهو يصنعُ ذلك : ويحك ! انجُ بنا ، فوالله ما عند هذا إلا لَقَطُ القشع .

(١) « مختصر تاريخ دمشق » ( ٧ / ٢٣٦ ) بتصرّف يسير . والله درّ مَنْ قال :

عَشِقَ المكارمَ فهو مُشْتِغِلٌ بها	والمكْرُماتُ قليلةُ العُشاقِ
وأقامَ سُوقاً للثّناء ولم يكنْ	سُوقُ الثّناء يُعدُّ في الأسواقِ
بَثَّ الصّنائعَ في البلادِ فأصبحتْ	تُجْبى إليه محامدُ الآفاقِ

أقول : « هل يقتدي محبّو رجالِ الصّحابة بسيدنا حكيم وأمثاله ، ويعشقون المكارمَ والفضائلَ ، ويكونون عوناً لطالبي الحاجات ؟ فما أجمل قضاء الحاجات ، وجبر الخواطر ، والعمل من أجل مرضاة العزيز الجبّار ! » .

فقال له صاحبه : ويحك ! لا تعجل حتى ننظر .

فخرج بهما إلى السوق ، فنظر إلى ناقتين جليلتين سميتين خلفتين ، فابتاعهما ، وابتاع جهازهما ، ثم قال لغلاميه : رمّا - أصلحاً - بهذه الخرق ما ينبغي له المرّة من جهازكما ، ثم أوقرهما طعاماً ، وبرّاً ، وودكاً ، وأعطاهما نفقةً ثم أعطاهما التّاقّتين .

قال : يقول أحدهما لصاحبه : والله ! ما رأيتُ من لقطٍ قشع خيراً من اليوم « (١) .

\* وكان حكيمٌ - رضي الله عنه - لا يشربُ كلَّ يومٍ من الماء إلاّ شربةً ، حتّى بلغَ مئةَ سنة ، فاستسقى الغلام يوماً فقال له الغلام : « يا مولاي ، قد شربتُ شربك » .

قال : « وإن شربتُ » ، فأقام على شربتين كلَّ يوم حتّى مات - رضي الله عنه - وأرضاه ؛ وحشرنا في المعية النبوية أجمعين .

\* وممّا ينبغي معرفته أنّ دارَ حكيم بمكّة كانت بأسفلها ، وعنها قال النبي ﷺ يوم الفتح : « من دخل دار حكيم فهو آمن » . فهي أمانٌ لقريش ، ولها ذكرٌ مع دور مكّة كما وردَ الفاسي ذلك في كتابه : « شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام » .

---

(١) أخرجه الطبراني (٣ / ١٨٧) برقم : (٣٠٧٤) . وقوله « حملاً » : يعني : كان أكثر الناس إعطاء الظّهر للركوب في سبيل الله - عزّ وجلّ - . و« أعرابيان » : الأعرابي : من نزل البادية . و« دلاً » : أرشداً إليه . « الشباك » : أي : لرقتها . و« كناسة » : ما جمع من البيت من التراب فألقي بعضه على بعض . و« القمامة » : الكناسة تجمع من البيوت والطرق . و« جهاز » : بالفتح : ما على الرّجل من قتب وأداته . و« نفصّها » : حرّكها ليزول عنها ما علّق بها . و« القشع » : الفرو البالي الخلق . و« جليلتين » : عظيمتين . و« خلفتين » : حاملتين ، والخلفة : النّاقة الحامل .

## العالم ناقل الحديث :

\* بعد أن انتظم سيّدنا حكيمٌ في عقدِ الصحابة الثّمين ، أقبلَ على العِلْمِ إقبالَ المحبّين ، وشرعَ يقتبسُ من الأنوار المحمّديّة اقتباس الصّادقين ، وأخذ يروي غلّته ممّا فاته في الأعوام الخوالي ؛ ويجتهد بتحصيل العلم في الأيّام والليالي .

\* وسيّدنا حكيمٌ من أصحاب العشرات ؛ إذ يبلغُ عددُ مسنده أربعين حديثاً ، له في « الصّحيحين » أربعة أحاديثٍ متّفقٌ عليها <sup>(١)</sup> . وله أحاديث في الكتُب السنّة <sup>(٢)</sup> ؛ و« مسند أحمد » <sup>(٣)</sup> . وشملت الأحاديث التي رواها شيئاً من أبواب الفقه كالبيوع ، والعتق ، والرّكاة ، والأدب ، والوصايا ، والرّقاق ، والخمس ؛ كما أنّ له لمساتٍ واضحة في نقل بعض أحداث السّيرة النّبويّة وأحكامها ، وقد قرأنا ذلك في تضايف ترجمته وثناياها .

\* حدّث عن سيّدنا حكيم : ابنه هشامُ بن حكيم وهو صحابيٌّ ، وابنه جزامُ بن حكيم ، كما حدّث عنه : عبدُ الله بن الحارث بن نوفل ، وسعيدُ بن المسيّب ، وعروة بن الرّبير ، وموسى بن طلحة ، ومحمّد بن سيرين ، ويوسف بن مَاهِك ، وآخرون <sup>(٤)</sup> .

\* وممّا أخرجهُ الإمامُ أحمدُ رَحِمَهُ اللهُ فيما يتعلّق بالصدقاتِ عن سيّدنا

(١) « سير أعلام النّبلاء » ( ٣ / ٥١ ) .

(٢) « الإصابة » ( ١ / ٣٤٨ ) .

(٣) « المسند » ( ٥ / ٢٢٦ - ٢٢٩ ) ، وقد أورد له الإمامُ أحمد ( ١٨ حديثاً ) . وأخرج له الحاكم في « المستدرک » ( ١١ حديثاً ) .

(٤) « سير أعلام النّبلاء » ( ٣ / ٤٤ ) ، و« تهذيب التّهذيب » ( ٢ / ٤٤٧ ) ، و« أسد الغابة » ( ١ / ٥٢٢ ) ، و« تهذيب الأسماء واللغات » ( ١ / ١٦٦ ) ، و« الإصابة » ( ١ / ٣٤٨ ) مع الجمع بينها .

حكيم بن حزام - رضي الله عنه - : أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ  
الصَّدَقَاتِ ، أَيُّهَا أَفْضَلُ ؟

قال : « على ذي الرِّحْم الكاشح » (١) .

\* وأخرجَ الحاكمُ رَحِمَهُ اللهُ فِي « المستدرِك » عن سيِّدنا حكيم بن  
حزام - رضي الله عنه - : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا بَعَثَهُ وَالِيًّا إِلَى الْيَمَنِ قَالَ : « لَا تَمَسَّ  
الْقُرْآنَ إِلَّا وَأَنْتَ طَاهِرٌ » (٢) .

\* وفيما يتعلَّقُ بالمعاملاتِ والبيوعِ ، وثبوتِ خيارِ المجلسِ في البيعِ  
والشِّراءِ ، أخرجَ إماما أهلَ الحديثِ : البخاريُّ ومسلمٌ ؛ وغيرُهُما من أئمةِ  
هذا الشَّانِ ؛ بسنَدٍ رفعوه إلى سيِّدنا حكيم بن حزام - رضي الله عنه -  
قال : قال رسولُ الله ﷺ : « البيعان بالخيار ما لم يتفرَّقا ، فإنَّ صدَقا وبيِّنا  
بوركَ لهما في بيعِهما ، وإنَّ كتما وكذبا ، مُحَقَّتْ بركةُ بيعِهما » (٣) .

(١) « المسند » ( ٥ / ٢٢٨ ) برقم : ( ١٥٣٢٠ ) .

(٢) « المستدرِك » ( ٣ / ٥٥٢ ) برقم : ( ٦٠٥١ ) ، وقال : « هذا حديثٌ صحيحٌ  
الإسناد ولم يخَّرْجاه » .

(٣) أخرجه الشيخان : البخاريُّ برقم : ( ٢٠٧٩ ، ٢٠٨٢ ، ٢١٠٨ ، ٢١١٠ ،  
و ٢١١٤ ) ، ومسلم برقم : ( ١٥٣٢ ) كلاهما في البيوعِ ، وأحمد ( ٥ / ٢٢٧ )  
برقم : ( ١٥٣١٤ ) . وهذا الحديثُ النَّبَوِيُّ الشَّرِيفُ من الأحاديثِ المشهورةِ في  
عالمِ فقه البيوعِ . ومجمل معناه : أن يبيِّن كلُّ واحدٍ لصاحبه ما يحتاجُ إلى بيانِهِ من  
عيبٍ ونحوه في السلعةِ والثَّمَنِ ، وصدق في ذلك ، وفي الإخبارِ بالثَّمَنِ ، وما يتعلَّقُ  
بالعوضين .

وقوله « البيعان » : البائع والمشتري ، ويسمَّى المشتري ببعاً من بابِ التَّغْلِيْبِ ؛  
لأنَّ البيعَ هو البائع ، و« الخيار » : اسم من الاختيار ، أو التَّخْيِيرِ ، وهو طلب خير  
الأمريْن من إمضاء البيعِ أو فسخه . والمرادُ به خيار المجلسِ في الفسخِ ؛ لأنَّ الإمضاء  
لا يحتاجُ إلى شيءٍ زائدٍ على الإيجابِ والقبولِ ، ويكفي فيه السَّكوتُ . =



\* ونفهمُ من هذا الحديثِ الشَّرِيفِ الذي رواه سَيِّدنا حَكِيمٌ - رضي اللهُ عنه - أنَّ الإنسانَ قد يشتري شيئاً من آخرٍ لحاجةٍ له فيه ، ثمَّ يندمُ على الشِّراءِ لحدوثِ ما يدعو إلى التَّدَمُّ من رغبةٍ عمَّا اشتراه ؛ أو استكثارِ الثَّمَنِ ، أو ظهورِ أمرٍ لم يكنُ بادياً من قَبْلُ يقتضي ردَّ المبيعِ ، وقد يبيعُ شيئاً من ماله لحاجةٍ عرضَتْ ، ثمَّ يتبيَّنُ له أفضليةُ بقاءه ، إمَّا لتبيُّنِ خسارةٍ في البيعِ ، واهتدائه إلى مَخْلَصٍ سوى البيعِ من الحاجةِ التي دَعَتْ إليه قيودُ كلِّ منهما أن لو أقاله صاحبه ، وفسخَ ما بينهما من عقدٍ ، أو وجدَ سبيلاً يحلُّه من هذا التَّعاقدِ ، لذا بيَّن رسولُ اللهِ ﷺ أنَّ كلاً من البائعِ والمشتري بالخيار بعد الإيجاب والقبول بين إمضاءِ البيعِ أو فسخِهِ ما داما في مجلسِ البيعِ ، فلكلِّ منهما أن يفسخَهُ دون رضا الآخرِ ، ويسمَّى هذا : « خيار المجلس » أمَّا إذا تَرَكَ أحدهما صاحبه فلا خيارَ لهما ، ولا لأحدهما ؛ لأن ما كان بينهما من عقدٍ قد تأكَّد بالمفارقة ، فلا سبيلَ إلى العدولِ إلا برضا الطرفین بالإقالة .

= « يتفرَّقا » : يفترقا بأبدانهما ؛ وقيل : يفترقا بالأقوال ؛ أي : ما لم يتمَّ البيعُ بالإيجاب والقبول . وزعم بعضهم أنَّه يُقالُ افترقا بالكلام وتفرَّقا بالأبدان ، وَرَدَ ذلك بقوله - عزَّ وجلَّ - : ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ [ البينة : ٤ ] ، فإنَّه ظاهرٌ في التَّفَرُّقِ بالكلام ؛ لأنَّه المخالفةُ في الاعتقاد ، ويرجع حمل التَّفَرُّقِ في الحديثِ على تفرُّقِ الأبدان ما رواه البيهقيُّ بلفظ : « حتَّى يتفرَّقا من مكانهما » وبأنَّ سَيِّدنا ابن عمر - رضي اللهُ عنهما - كان إذا باعَ أو اشتري شيئاً ولم يشأ الرجوع قام من مجلسِهِ ومشيئاً هنيئة . و« صدقاً وبيئنا » : أي : صدقَ البائعُ المشتري في نوع المبيع وسلامته من العيوب . وبيَّن له ما فيه ، وصدقَ المشتري البائع في نوع الثَّمَنِ ، وجنسه ، وبيَّن له ما فيه من عيبٍ ، أو نحوه . و« كتما وكذبا » : أي : أخفى كلَّ منهما عن الآخر ما في البذل الذي يكونُ من جهته ، وغشَّ كلَّ منهما الآخر فيما عليه البذل . و« مُحَقَّتْ بركةُ بيعهما » : أي : قلَّتْ وضاعتِ الزَّيادةُ والفائدةُ التي كان يرجوها كلُّ منهما البائع في الثَّمَنِ ، والمشتري في المبيع بما يتلبيها اللهُ به من الحوائج والمصائب التي تذهبُ بما في أيديهما . وفي هذا الحديثِ دلالةٌ على سُؤْمِ التَّدليسِ والكذبِ ، ويؤمنُ الصَّدقُ والإرشادُ .

\* فالتَّفَرُّقُ المذكورُ في هذا الحديث الشَّرِيف هو التَّفَرُّقُ بالأبدان ؛ لأنَّه المفهومُ عند الإِطلاق ، إذا قيل تَفَرَّقَ النَّاسُ ، ولأنَّ البَيِّعَيْنِ هما البائعُ والمشتري على ما تقدَّم ، ولا يسمَّى أحدهما بيعاً حقيقةً إلا بعد حصول العَقْدِ منهما ، ومتى حَصَلَ العَقْدُ لا يكون منهما تَفَرُّقٌ بالأقوالِ ، بل بالأبدان ، ولأنَّ كلَّ واحدٍ يعلمُ بداهةً علماً عاماً أنَّ المشتري بالخيار ، ما لم يوجد منه قَبولُ المبيع ، وأنَّ البائع خياره ثابتٌ في ملكه قبل أن يعقدَ البيع ، فلو كان المرادُ من التَّفَرُّقِ الاختلاف في الأقوالِ وهي الإيجابُ والقَبولُ - إذ ليس بينهما أقوال سواهما - لَخَلَا الحديثُ عن الفائدة ، ولم يكن له معنى ، وبهذا تَمَسَّكَ مَنْ أثبتَ لكلِّ من المتبايعين خيار المجلس ، وهم جماعةٌ من الصَّحابة ، منهم : سيِّدنا عليٌّ ، وابنُ عمر ، وابنُ عَبَّاس ، وأبو هريرة - رضي اللهُ عنهم أجمعين - ، ومن التَّابعين : شُرَيْحُ ، والشَّعْبِيُّ ، وعطاء رحمهم اللهُ .

\* والمشهور أنَّ حَدَّ التَّفَرُّقِ بالأبدان موكولٌ إلى العرف ، فما عدَّه العرفُ تَفَرُّقاً حكمَ به ، وإلا فلا .

\* ومروياتُ سيِّدنا حكيمٍ منثورةٌ في الكتبِ المتخصِّصة ، وقد أوردنا منها ما يفصِّح عن شخصيَّته العِلْمِيَّةِ بين رجال الصَّحابة وأعيانهم .

### أنا اليوم أرجوك :

\* تركَ سيِّدنا حكيمُ بنُ حِزام - رضي اللهُ عنه - أثراً كريماً بين جيلِ الصَّحابة الكريمة ، كما تركَ كُنوزاً ثمينَةً من الأخبارِ والأعمالِ التي تشهدُ له بالفضلِ والمجد .

\* ومن الأرصدةِ الثَّمينَةِ المباركةِ لهذا الصَّحابي النَّبِيلِ - رضي اللهُ عنه - أنه كان من أعلامِ الصَّحابة ، وأنَّ أولاده صحابيون أيضاً ، قال ابنُ عبد البرِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في « الاستيعاب » عن سيِّدنا حكيمٍ - رضي اللهُ عنه - ؛ وعن أولاده : « تأخَّرَ إسلامُه إلى عام الفتح ، فهو من مسلمةِ الفتح هو

وبنوه : عبد الله ، وخالد ، ويحيى ، وهشام ، وكلهم صحب  
النبي ﷺ (١) .

\* وقال ابن قدامة رَحِمَهُ اللهُ كَذَلِكَ فِي « التَّبِيين » عَنْ حَكِيمٍ  
وَأَوْلَادِهِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ - : « وَمَنْ وَلَدَهُ : خَالِدٌ ، وَعَبْدُ اللهِ ،  
وَيَحْيَى ، وَهَشَامٌ بَنُو حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ ؛ كُلُّهُمْ أَسْلَمُوا يَوْمَ الْفَتْحِ ، وَصَحَبُوا  
النَّبِيَّ ﷺ » (٢) .

\* وَأَوْجَزَ ابْنُ قَدَامَةَ رَحِمَهُ اللهُ سِيرَ أَوْلَادِهِ ، فَكَانَ مِمَّا قَالَ : « فَأَمَّا  
خَالِدٌ : فَهُوَ أَكْبَرُ أَوْلَادِهِ ، وَبِهِ كَانَ يُكْنَى ، وَرَوَى عَنْهُ الْحَدِيثَ . وَأَمَّا  
عَبْدُ اللهِ : فَقُتِلَ يَوْمَ الْجَمَلِ ، وَكَانَ صَاحِبَ لُؤَاءِ طَلْحَةَ وَالرُّبَيْرِ يَوْمَئِذٍ . وَأَمَّا  
هَشَامٌ : فَلَهُ صَحْبَةٌ وَرَوَايَةٌ ، وَكَانَ مِنْ فَضْلَاءِ الصَّحَابَةِ وَخِيَارِهِمْ ، وَمَمَّنْ يَأْمُرُ  
بِالْمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَكَانَ سَيِّدَنَا عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللهُ  
عَنْهُ - إِذَا بَلَغَهُ أَمْرٌ يَنْكُرُهُ ، قَالَ : « أَمَّا مَا بَقِيَتْ أَنَا وَهَشَامٌ بَنُ حَكِيمٍ فَلَا يَكُونُ  
ذَلِكَ » . وَرَوَى مَالِكٌ عَنْ ابْنِ شِهَابِ الرَّهْرِيِّ قَالَ : « كَانَ هَشَامٌ بَنُ  
حَكِيمٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - فِي نَفَرٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ؛ وَيَنْهَوْنَ  
عَنِ الْمُنْكَرِ ، لَيْسَ لِأَحَدٍ عَلَيْهِمْ أَمَارَةٌ ؛ وَكَانُوا يَمْشُونَ فِي الْأَرْضِ بِالْإِصْلَاحِ  
وَالنَّصِيحَةِ وَهُمْ مُحْتَسِبُونَ ، وَكَانَ هَشَامٌ بَنُ حَكِيمٍ كَالسَّائِحِ ، لَمْ يَتَّخِذْ أَهْلًا  
وَلَا وَلَدًا ، وَهُوَ الَّذِي رَأَاهُ عَمْرٌ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَأَهُ  
رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَأَتَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ ، فَاسْتَقْرَأَهُمَا فَصَوَّبَهُمَا وَقَالَ : « نَزَلَ الْقُرْآنُ  
عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ » (٣) .

(١) « الاستيعاب » ( ١ / ٣١٩ ) .

(٢) « التَّبِيين فِي أَنْسَابِ الْقُرَشِيِّينَ » ( ص : ٢٣٩ ) .

(٣) انظر : « التَّبِيين » ( ص : ٢٣٩ - ٢٤٠ ) بشيء من التصرف . وللمزيد من هذه  
الأخبار الماتعة اقرأ كتابنا : « أبناء الصحابة - رضي الله عنهم - » ففيه ما يسر  
النفوس ، ويمتغ الأسماع بإذن الله عز وجل .

\* أما حكيمٌ فقد كان من الصحابة القرشيين المعمرين ؛ إذ عاش قرابة ( ١٢٠ سنة ) منها ( ٧٤ عاماً ) في الجاهليّة ، ( ٤٦ عاماً ) في الإسلام ، والله أعلم .

\* زعم ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ أَنْ سَيِّدَنَا حَكِيمًا تُوْفِي فِي خِلاَفَةِ سَيِّدِنَا مَعَاوِيَةَ سَنَةَ ( ٥٤ هـ ) ، وقيل : ( ٥٨ هـ ) (١) ، كما زعم أنّه قد عمي قَبْلَ موته (٢) ، وأوصى إلى عبد الله بن الزبير - رضي الله عنهم أجمعين - .

\* وقيد عددُ جَمٍّ من المصنّفين وكُتِّبَ التَّراجم في مؤلِّفاتهم ؛ بأنَّ وفاة سيِّدنا حكيم - رضي الله عنه - كانت سنة أربع وخمسين من الهجرة النبويّة ، وكانت وفاته بالمدينة المنورة في داره عند بلاط الفاكهة وزقاق الصّواغين (٣) .

\* رضي الله عن سيِّدنا حكيم بن حزام ، وجعلنا ممَّن يُقال لهم : ﴿ اَدْخُلُوها بِسَلْمٍ ﴾ [الحجر : ٤٦ ، وق : ٣٤] ، وتعالوا نتذكّر ونردّد دائماً قول سيِّدنا حكيم قبل وداعه : « لا إله إلا الله ، قد كنتُ أخشاك ، وأنا اليوم أرجوك » . يا ربِّنا نحنُ نرجوك ، فأكرمنا برحمتك ، وارحمْ ضِعْفَنَا ، واحشرنا مع حبيبتنا محمّد رسولِ الله ﷺ .



(١) « أسد الغابة » ( ١ / ٥٢٢ ) .

(٢) « أسد الغابة » ( ١ / ٥٢٣ ) . أقول : « عدت إلى كتاب : « نكت الهميان » للصفدي ، فلم أجده ذكر شيئاً عن عمي سيِّدنا حكيم ، كما لم يذكر أحد من المصنّفين ذلك ، والله تعالى أعلم .

(٣) « سير أعلام النبلاء » ( ٣ / ٥١ ) ، و« المعجم الكبير » ( ٣ / ١٨٦ ) ، و« الاستيعاب » ( ١ / ٣١٩ ) ، وغيرها كثير .

# سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو

رضي الله عنه

- \* كان خطيب قريشٍ ولسانها الناطق في المحاورات .
- \* أحدُ الأشرافِ العقلاء السّادات ؛ وقصّته مشهورةٌ يوم الحديبية .
- \* مواقفه تشهدُ بفضله ، ولقي الله شهيداً ببلاد الشام .

رَفَعُ  
عبد الرحمن بن محمد الخنزي  
المسكن في الزوارك  
[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

## سهيلُ بنُ عمرو رضي اللهُ عنه

### الخطيبُ ذو السِّيادة :

\* عَلِمَ عَيْلَمٌ من أَفْذاذِ قومه في الفصاحة والبلاغة والبيان ؛ جَمَعَ في أغصانِ الألفاظ ثمار المعاني ، تَلَدُّ لكلامه الأسماع ، وتطرب من جزالته على السَّماع ؛ عدَّهُ كثيرٌ من العلماء والمصنِّفين من أكبر خطباء قُرَيْشِ البلغاء ؛ وذوي العقل والفهم والمكانة والسِّيادة والسَّخاء .

\* وعندما ذكر أبو عثمان الجاحظ الخطباء والبلغاء والأئنياء ؛ ساق ترجمته معهم ، فقال : « ومن الخطباء : سهيلُ بنُ عمرو الأعمى ، وكان يكنى أبا يزيد ، وكان عظيمَ القدر ، شريفَ النَّفس ، صحيحَ الإسلام » (١) .

\* وسهيلٌ هذا كان أحد أربعة من الرجال ذوي الأفهام ، وذوي الأحلام ؛ ممَّن رغبَ لهم الصَّادق المصدوق ﷺ في الإسلام ؛ فقال : « إنَّ بمكَّة أربعة من قريش أرغبُ بهم عن الشُّرك ، وأرغبُ لهم في الإسلام » .  
قيل : ومن هم يا رسولَ الله ؟

قال : « عتَّابُ بنُ أسيد ، وجبيرُ بنُ مطعم ، وحكيمُ بن حزام ، وسهيلُ بن عمرو » ، فرزقوا كلَّهم الإسلام (٢) ، وكانوا من رجال عصر النبوَّة الأعلام ؛ ومن خيار الصَّحابة الكرام .

(١) « البيان والتبيين » للجاحظ ( ١ / ٣١٧ ) .

(٢) « ثمار القلوب » للثعالبي ( ص : ٥١٩ ) .

\* إذن ، سيكون اللقاء السهل السعيد ؛ مع رجلٍ من العمالقة الأسياد الصُّيد ؛ الذين تألَّقوا في الجاهليَّة والإسلام ؛ وعُرفوا بالمكانة والرِّزانية والحصافة والاحترام ، ومن الذين كان حبيبنا وسيِّدنا رسول الله ﷺ يتفاءلُ بهم وبأسمائهم على الدَّوام .

\* إنَّه سيِّدنا سهيلُ بنُ عمرو بن عبد شمس العامريِّ القرشيِّ (١) ، يكنى أبا يزيد ، كان خطيبَ قريش ، وفصيحهم ، ومن أشرافهم . ولمَّا أقبل في شأنِ صلحِ الحديبية ، قال الحبيبُ المصطفى ﷺ للذين معه : « سهِّلْ أمركم » وفي روايةٍ : « قد سهِّلَ لكم من أمركم » (٢) .

\* وسهيلٌ طابَقَ اسمه مسمَّاه ، وكاد أن ينطق بلفظه معناه ، صاغَ بفضله حلِّي المكارم ، وله خلائق تشبه أخلاق حاتم ؛ وفصاحة جميلة الصياغة ، مستمدة من جواهر البلاغة :

سمح البديهة ليس يملك لفظه فكأنما ألفاظه من ماله  
\* وصفه الإمامُ الذهبيُّ رَحِمَهُ اللهُ بأوجز لفظٍ وأتمه فقال : « كان سهيل سمحاً جواداً مفوَّهاً » (٣) ، وقال : « سهيلٌ أحدُ خطباء قريش

(١) « سير أعلام النبلاء » (١ / ١٩٤ - ١٩٥) ، و« المعارف » (ص : ٢٨٤) ، و« طبقات ابن سعد » (٧ / ٤٠٤ - ٤٠٥) ، و« نسب قريش » (ص : ٤١٧ - ٤١٩) ، و« المعجم الكبير » (٦ / ٢٥٩) ، و« تهذيب التهذيب » (٤ / ٢٦٤ - ٢٦٥) ، و« الاستيعاب » (٢ / ١٠٧ - ١١١) ، و« مختصر تاريخ دمشق » (١٠ - ٢٣٠ - ٢٣٦) ، و« المغازي » (الفهارس : ٣ / ١١٨٢) وغيرها كثير .

(٢) أخرجه البخاريُّ من حديث طويل في الشُّروط برقم : (٢٧٣١ ، و٢٧٣٢) . وقال الأصبهاني عن سهيل : « وهو الذي تفاءلَ النَّبيُّ ﷺ باسمه لمَّا أقبل يوم الحديبية فقال : سهِّلَ لكم أمركم » . « معرفة الصَّحابة » (٢ / ٤٥٣) .

(٣) « سير أعلام النبلاء » (١ / ١٩٤) .



وأشرفهم . . . . . وكان سمحاً جواداً فصيحاً . . . » (١) .

\* أمّا ابنُ الأثير رحمته الله فقد خلع عليه أثنابُ البلاغة فقال : « سهيلُ بنُ عمرو القرشيّ العامريّ . . . . . وأمّه حُبَيْ بنتُ قيس الخزاعية . . . . . يكنى أبا يزيد ، أحدُ أشرف قريش وعقلائهم ، وخطبائهم ، وساداتهم . . . . . » (٢) .

\* ولمّا ساق ابنُ عساكر رحمته الله ترجمته لسهيل قال : « أحدُ خطباء قريش ، له صحبةٌ . . . كان أعلمَ الشّفة ، وكان من أشرف قريش ، يُقال له : ذو الأنياب . وسئل سعيدُ بن المسيّب عن خطباء قريش في الجاهليّة فقال : الأسودُ بنُ المطلب بنُ أسد ، وسهيلُ بنُ عمرو . وسئل عن خطبائهم في الإسلام ، فقال : معاويةُ وابنه ، وسعيدُ وابنه ، وعبدُ الله بنُ الزُّبير . . . . . » (٣) .

\* وفي كتابه : « نسب قريش » قال المصعب الزُّبيريّ ما مفاده : « سهيلٌ هذا هو الأعلَمُ الخطيبُ ، وكان من أشرف قريش . . . وفي سهيل يقول حسّانُ بنُ ثابت الأنصاريّ :

ألا ليت شعري هل تُصيبنَ نُصرتي      سهيلُ بنَ عمرو بدوّها وعقائِها  
وإيّاه عنى ابن قيس الرّقيّات حين فخر بأشرفِ قريش ، فذكر فقال :

منهم ذو النّدىّ سهيلُ بنُ عمرو      عصمةُ الجار حين جُبّ الوفاء  
حاطَ أخواله خزاعةً لمّا      كثرَ نهمهم بمكّة الأحياء » (٤)

(١) « تاريخ الإسلام » للذهبيّ ( عهد الخلفاء الرّاشدين ، ص : ١٥٠ - ١٥١ ) .

(٢) « أسد الغابة » ( ٢ / ٣٢٨ ) ترجمة رقم ( ٢٣٢٥ ) .

(٣) « مختصر تاريخ دمشق » ( ١٠ / ٢٣٠ - ٢٣٦ ) باختصار وتصرف .

(٤) « نسب قريش » ( ص : ٤١٧ - ٤١٨ ) بتصرف . وانظر : « الاستيعاب »

( ٢ / ١٠٨ ) .

\* أمتع الأسماع ابنُ قدامة المقدسيّ رَحِمَهُ اللهُ في « التَّبِين في أنساب القرشيين » ؛ وَبَيَّنَ مكانة سيِّدنا سهيل وشرفه وسيادته في عالم السِّيادة والنَّبَل ، فقال : « سهيلُ بنُ عمرو . . . . كنيته أبو يزيد ، أحدُ أشرافِ قريش وساداتهم ، وكان حلواً جميلاً فصيحاً خطيباً . . . . وهو الذي تولَّى صلح الحديبية مع رسول الله ﷺ . كان خطيب قريش ، وكان أعلم الشَّفة السفلى . . . . وكان ذا رأيٍ سديد » (١) .

\* بينما أوجز ابنُ عبد البرِّ رَحِمَهُ اللهُ وأجاد حينما سردَ السِّيرة السُّهيلية وساقها واستوعبها في « استيعابه » فقال : « سهيلُ بنُ عمرو القرشيّ العامريّ ؛ يكنى أبا يزيد ؛ كان أحد الأشراف من قريش ، وساداتهم في الجاهليَّة . . . . وكان خطيب قريش . . . . وكان سهيلٌ أعلم مشقوق الشَّفة . . . . وهو الذي مدحه أميَّةُ بنُ أبي الصَّلْت فقال :

أبا يزيدَ رأيتَ سيِّكَ واسعاً      وسجالَ كَفِّكَ يستهلُّ ويمطرُ » (٢)

### مكانة الخطابة والخطباء :

\* هذه فقرةٌ مهمَّةٌ ومفيدةٌ بإذن الله تعالى ؛ إذ نتعرَّفُ خلالها على شيءٍ من الخطابة وأهميتها في عصر سيِّدنا سهيل ، وكما نعلم فسيدنا سهيلُ بنُ عمرو من المخضرمين الذين نبغوا في مضمار الخطابة ، وتصدَّروا أفقَ هذا الفنِّ النَّبيل .

\* فقد أصابت الخطابةُ العربيَّةُ حظَّها الأوفى من الرِّقي والازدهار ، وتألق

(١) « التَّبِين في أنساب القرشيين » ( ص : ٤٢٢ ) .

(٢) « الاستيعاب في أسماء الأصحاب » ( ٢ / ١٠٨ ) بتصرُّف . ويقول ابنُ دريد رَحِمَهُ اللهُ عن سيِّدنا سهيل - رضي الله عنه - : « كان من رجال قريش في الجاهليَّة ، ثمَّ أسلم فحسُنَ إسلامه . وهو الذي بعثته قريشٌ يُحكِمُ الهدنةَ بينهم وبين النَّبيِّ ﷺ يوم الحديبية » . « الاشتقاق » ( ص : ١١١ ) .

نجمها في عصر النبوة ، وظهرت كوكبة ممتازة من الخطباء المفوهين الذين ملكوا أئنة الفصاحة ، وأزمة البيان ، ومقاليد البلاغة ، ودانت لهم ذرا المنابر .

\* ومن المؤكد في تاريخ العرب وقصصهم وأحوالهم أنهم عرفوا الخطابة قبل الإسلام بزمان طويل ، وكانت الحياة العامة في ذلك العصر تستدعي وجود هذا الفن الأنيق ، وفي السيرة النبوية العطرة نماذج كثيرة عن الخطباء والخطابة ، خصيصاً عام الوفود ؛ إذ كل قبيلة تقدم خطيبها وشاعرها ليلقي روعة البيان ، أمام الحضرة النبوية وكبار الصحابة الأعيان .

\* وكان للخطباء في عصر الجاهلية وصدر الإسلام عادات جروا عليها ، كانوا في المواسم العظام والمحافل والاجتماعات يخطبون على رواحلهم ، ويلوثون العمائم ، وكانوا يتخذون المخاصر ، وقد أبان ( الجاحظ ) في « البيان والتبيين » في رده على الشعوبية <sup>(١)</sup> حينما عابوا على خطباء العرب اتخاذهم المخاصر والعصي .

\* يذكر الجاحظ أن الخطباء الأبياء قد اتخذوا العصا ؛ لأنهم مقدمون على أمر مهم ، فيقول : « وأيضاً أن حمل العصا والمخصرة دليل على التأهب للخطبة ، والتهيؤ للإطناج والإطالة ، وذلك شيء خاص في خطباء العرب ، ومقصود عليهم ، ومنسوب إليهم ، حتى إنهم ليذهبون في حوائجهم والمخاصر بأيديهم إلفاً لها وتوقعاً لبعض ما يُوجب حملها ، والإشارة بها » .

\* كان للخطيب منزلة عليا ، ومكانة سامقة عند الجاهليين ، وربما سبقت مكانة الخطباء منزلة الشعراء في بعض الأحيان والأوقات ؛ لأن الشعراء كثروا ، وولغوا في أعراض الناس في بعض الأحيان ، لذلك صار الخطيب

---

(١) قال الجاحظ : « وقد طعنت الشعوبية على أخذ العرب في خطبها المخصرة والقناة والقضيب ، والاتكاء والاعتماد على القوس ، والخد في الأرض ، والإشارة بالقضيب بكلام مستكره » . « البيان والتبيين » ( ١ / ٣٨٣ ) .

عندهم فوق الشَّاعر ، فإليه يفزعون في الملمَّات والمناسبات . وقد ساق الجاحظُ في « بيانه وتبيينه » هذه الفكرة فقال : « وكان الشَّاعر أرفعُ قدرًا من الخطيب ، وهم إليه أحوجُّ لردِّه مآثرهم عليهم ، وتذكيرهم بأيَّامهم ، فلمَّا كثر الشُّعراء ، وكثر الشُّعر ، صار الخطيب أعظمُ قدرًا من الشَّاعر » .

\* وندرُكُ من هذه الموازنةِ بين الشَّاعر والخطيبِ بأنَّ الخطيبَ يكونُ في غالب الأوقات سيِّدَ القومِ ورأسهم ورئيسهم ، أو عظيمًا من عظمائهم ، أو حكيمهم الحصيف الذي يسترشدون برأيه في الأيام العصيبة والمواقف العاصفة ، وهو الذي ينطقُ بلسانهم في المواسم والمحافل .

\* ومن الطَّبعي أن يكونَ الخطيبُ ذا مكانةٍ عظيمةٍ في عصر كانت الأُمِّيَّةُ متغلِّبةً على حياة القوم ، فمن الضَّروري أن يكون للقبيلة خطيبٌ حكيم تهتدي برأيه في الأزمان ، وتستشيرُ بمشورته في الملمَّات .

\* وذكرت المصادر على اختلاف مشاربها أنَّ سهيلَ بنَ عمرو كان من مخضرمي الجاهليَّة والإسلام ، وكان خطيب قريش ، وفصيح قومه ، وله مواقفٌ محمودةٌ في الجاهليَّة والإسلام ، ولخطبه أثرٌ كبيرٌ في قريش ، وقد وعت المصادرُ بعض خطبه وكلماته ممَّا سنعرفه في سيرته العذبة إن شاء الله .

### سهيلٌ وإسلامٌ أولاده :

\* تلقَّى سهيلُ بنُ عمرو أنباءَ الدَّعوة إلى الإسلام بإعراضٍ شديد ، ورأي غير رشيد ، وقلبٍ فُدِّ من حديد ، ونامٍ ملء جفونه عن الدَّعوة ، وأراح فؤاده مُطمئنًا نفسه أن لن يستجيبَ إلى ما يدعو إليه محمَّد بنُ عبد الله رسول الله ﷺ .

\* ومن اللافت للنظر في حياة سيِّدنا سهيل وسيرته ؛ أنَّه صحا على إسلام أولاده وبناته ، ولم يستطع أن يستلبَ أفئدتهم من بين صدورهم ، ويصرفها عن الحقِّ ؛ وعن نبيِّ الإسلام ، وطارت نفسه شعاعًا لمَّا خرج هذا

الأمْر من يده وفار فوران الثُّور ، فقد كان أولاده من السَّابِقين إلى مطلع النُّور ،  
ومعدن الشُّرور .

\* فهذا ابنه أبو جندل واسمُه العاص ، كان من خيار الصَّحابة ، وكان  
قد أسلم فحبسه وقبده ، فلمَّا كان يوم صلح الحديبية ، هرب يحجلُ في  
قيوده ، وأبوه حاضرٌ بين يدي سيِّدنا رسول الله ﷺ لكتاب الصِّلح ،  
فقال : « هذا أوَّل مَنْ أفاضيك عليه يا محمَّد » . فقال الحبيبُ الأعظمُ ﷺ  
لسهيل : « هَبْهُ لي » . فأبى ، فردَّه وهو يصيحُ ويقول : « يا مسلمون ! أرُدُّ  
إلي الكفر ؟ » ، ثمَّ إنَّه هرب ، وهاجر ، وجاهد ، ثمَّ انتقلَ إلى جهادِ الشَّام ،  
فتوفي شهيداً في طاعونِ عمواس بالأردن سنة ( ١٨ هـ ) - رضي الله عنه وعن  
أبيه وإخوته وحشرنا في معيبتهم - .

\* وأمَّا الابنُ الآخرُ لسهيل فهو عبدُ الله بنُ سهيل ، فقد أسلم مع ثلَّة  
السَّابِقين ، وكنتم إيمانه ، ولمَّا كانت معركة بدر ، خرجَ مع أبيه إليها يكتُمُ  
إيمانه ، فلمَّا التقى الجمعان ، تحوَّل إلى أهل الإيمان ، وقاتلَ في صفوفهم ،  
وعُدَّ بدرياً ، وله غزواتٌ ومواقفٌ ، واستشهدَ يوم اليمامة ، وله ثمان وثلاثون  
سنة - رضي الله عنه - .

\* ولسيِّدنا سهيل بناتٌ سابقات إلى الدَّوحة الإيمانيَّة المنيفة مع  
أزواجهنَّ ، ومنهنَّ : سهلة بنتُ سهيل العامريَّة <sup>(١)</sup> امرأة أبي حذيفة بن عتبة  
العبشميِّ أحد السَّابِقين الأوَّلين لنور الله ، وأختها أم كلثوم بنت سهيل من  
السَّابِقات الأوَّل بمكة ، ومن المهاجرات إلى الحبشة مع زوجها سبرة بن  
أبي رهم - رضي الله عنها وعن أختها وزوجها - .

\* كاد سهيلُ بنُ عمرو يتميِّزُ من الغيظ ، وينفجرُ من الغضب ؛ لأنَّ

---

(١) اقرأ سيرة السيِّدة المتألِّقة في سماء الصَّحايات سهلة بنتُ سهيل في موسوعتنا  
الجميلة : « نساء من عصر النُّبوَّة » ( ص : ٣١٩ - ٣٢٥ ) ففي سيرتها دروس  
وأحكام وعبر تفيدها بنات حواء خاصة .

أولاده - وهم من عليّة سادة قريش - قد انتظموا في سلك المسلمين ، وانضوا  
تحت راية التّوحيد ، ونبذوا خلفهم لات قريش وعزّاهَا ومَنَاتَهَا وهُبَلَهَا  
وأوثانَهَا ، وما ورثته عن آبائهَا الأوّلين .

\* نظر سهيلُ إلى الإسلام نظرة كراهية ، وشعَرَ بالخطرِ على حياته  
الجاهليّة ، ومادت الأرضُ تحت قدميه ، والتفت فرأى أبناءه وأصهاره قد  
أسلموا ، ورأى أنّ محمّداً ﷺ قد اجتذبَ هؤلاء الشّباب وهؤلاء الشّابات ،  
فهم عنده ومعهم مسلمون مؤمنون ، قد هجروا آلهة آبائهم وأسلافهم ، وسفّهُوا  
معهم أحلامهم ، وأصبحوا من جند دعوة محمّد ﷺ ، وفارقوا الآباء  
والأمّهات ، وأمسى محمّد ﷺ كلَّ شيءٍ في حياتهم .

\* وتنفس سهيلُ الصُّعداء غمّاً وهمّاً وكمداً ، فقد عصاه فلذات كبده ،  
وتناسوا رحمة الأبوة من أجل دين لم يعرف سهيلُ كُنْهَهُ ، وإنّ عرف أنّ  
محمّداً ﷺ صادقٌ فيما يدعو إليه .

### من مواقف الكيدِ والعنادِ :

\* كان سيّدنا وحييُّنا رسولُ الله ﷺ يسيرُ قدماً في نشرِ دعوته ، وتبليغِ  
رسالة ربّه ، وظلّ كذلك إلى أن توفيت السيّدّة خديجة - رضي الله عنها - ،  
وعمّه أبو طالب ، فسُدَّت عليه منافذ تبليغ الرّسالة بمكّة المكرّمة .

\* فمكّة بمنّ فيها من العتاة المعاندين ، والفجّار والمشرّكين ، وما فيها  
من مهانة الشّرك وأوثانه ، أبْت أن تستجيبَ إلى الإسلام ، وأعرضت مدبرةً  
ماكرةً ، ووقفت سداً عنيداً دون نشر الدّعوة إلى الحقّ والسّلام ؛ وعندها سعى  
رسولُ الله ﷺ إلى الطّائف مع مولاه زيد بن حارثة ، فدعا أهلها  
إلى الله - عزّ وجلّ - ، فردّوا عليه أقبح ردّ ، وضربوه بالحجارة فخرج منها  
عائداً إلى مكّة ، ثم بعث إلى الأخنس بن شريق ليجيّره ، فكعّ الأخنسُ خيفةً  
قريش وعتاتها أمثال سهيل وأبي جهل ، وابني خلف أبيّ وأمّية وغيرهم ،  
وتعلّل بعذر ممزوج بالجبين والرّعب والتّخاذل وقال : « أنا حليفٌ ، والحليفُ  
لا يجير » .

\* ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بعث إلى سهيل بن عمرو يطلب إليه أن يجيره ، فاعتذر سهيل بما لم يكن فيه معتذر ، وقال : « إن بني عمرو لا تجيرُ عليّ بني كعب » (١) ، ثم أجاره المطعم بن عدي ، وقبِلت إجارته . وغاب عن سهيل حينها أن يكون صاحب هذا الشرف التليد ؛ والذكر الحميد ؛ لأنّ الحقد أعمى قلبه ، وخيم على صدره ، فلم يعد ينظرُ إلى الأمور ببصيرته .

\* ظلّ سهيل بن عمرو من أشدّ النَّاسِ عداوةً للإسلام والمسلمين ، وحارب الدّعوة بلسانه ولسانه ، ولم تفتُرْ همّته طوال عشرين عاماً ، وهو يحسبُ أنّه على الصّواب والسّداد ، وأنّه يدافع عن دين الآباء والأجداد .

\* لم يتقبّل سهيل دعوة الإسلام ، ولم ينظرُ إلى نورها الذي أشرق على أمّ القرى ، ودعا إلى الهدى ، وإلى نبد عبادة الأحجار التي لا تنفع ، ولا تضرّ ، ولا تملكُ لنفسها شيئاً .

\* وقف سهيل مع الواقفين في وجه سيّدنا رسول الله ﷺ ، ولطالما استعمل لسانه وبيانه في إطفاء نور الحقّ ، وحاول أن يطمس معالم الحقّ بفصاحته ، ولم يترك موطناً من مواطن العداة ، إلا ضرب فيه بالقدح المعلّى كما ستسفرُ عنه الفقرات الآتية بإذن الله عزّ وجلّ .

### مع أسارى بدر :

\* سمع رسولُ الله ﷺ بأبي سفيان بن حرب مقبلاً في غير قريش من الشّام ، فندب المسلمين إليها وقال لهم : « هذه غيرُ قريش فيها أموالهم ، فاخرجوا إليها لعلّ الله ينفلكموها » .

\* كانت العيرُ قرابة ألف بعير تحملُ مالاً كثيراً يقدرُ بخمسين ألف دينار لمعظم بيوتات قريش وأعيانها . ونمي الخبرُ إلى قريش بصوتٍ ضمضم بن

---

(١) انظر بتوسّع : « البداية والنهاية » ( ٣ / ١٦٥ ) ، و « السيرة النبوية » لمحمّد أبو شهبه ( ١ / ٤٠٥ ) .

عمرو الغفاريّ الذي أخذ يصرخُ ببطن وادي مَكَّة على بعيره ، وينادي بأعلى صوته : « يا معشرَ قريش ! اللطيمة اللطيمة ! أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمّدٌ في أصحابه ، لا أرى أن تدركوها ، الغوث الغوث » .

\* أقام قريشُ المُقيم المُقعد ، وبلغت قلوبهم حلاقيمهم من الحقد والغیظ ، وراح الكبراءُ يحثون القوم على الخروج لاستئصال شأفة المسلمين الذين أرادوا أن يقطعوا عليهم تجارتهم مع الشام في الرحلة الصيفية .

\* برز من بين الأعيان القرشيين سهيل بن عمرو في رجال من المعاندين ؛ ووقف فيهم خطيباً ممتلئاً الفؤاد غيظاً على محمّد رسول الله ﷺ والذين معه من المؤمنين ، وأخذ يحرضهم قائلاً : « يا آلَ غالب ! يا معشرَ قريش ! هلذا محمّد والضباة من شبابكم ، وأهل يثرب قد عرضوا لعيركم ، ولطيئمتكم ، أثاركون محمّداً ومن معه يأخذون عيركم ؟ ! من أراد ظهراً فهذا ظهراً ، ومن أراد مالاً فهذا مالاً ، ومن أراد قوةً فهذه قوة » (١) .

\* وذكر ابنُ عساکر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ أُمَّةَ بنِ أَبِي الصَّلْتِ قال في سهيل بن عمرو بعد أن دعا لتمويل قريش :

أبأ يزيدَ رأيتُ سيِّكَ واسعاً      وسجالُ كَفَّكَ تستهلُّ وتمطرُ  
بُسطتُ يداك بفضلِ عرفك والذِي      يعطي يسارُعُ في العلاء فيظفرُ  
فوصلتَ قومك واتخذتَ صنيعَةً      فيهم تُعدُّ وذو الصنِيعَةِ يُشكرُ  
ونمى بيتك في المكارم والعلا      يا بن الكرام فروعُ مجدٍ تزخرُ  
وجحاجحُ بيضُ الوجوه أعزَّة      غرٌّ كأنهم نجوم تزهرُ

(١) انظر : « المغازي » ( ١ / ٣٢ ) ، و« سير أعلام النبلاء » ( ١ / ١٩٤ ) مع الجمع والتصرف . ومعنى قوله « الضباة » : الضباة : جمع صابئ ، وهو من يترك دينه لدين آخر ، وكان المشركون في مكّة يسمّون المسلمين الضباة ؛ لأنهم خرجوا من دين الشّرك إلى دين الإسلام . و« لطيئمتكم » : التجارة . وقيل : العطر خاصة .



إِنَّ التَّكْرُمَ وَالنَّدَى مِنْ عَامِرٍ أَخَوَاكَ مَا سُلِكَتَ لِحَجِّ عَزْوَرٍ» (١)

\* خرجت قريشُ إلى بدرٍ تختالُ بقوتها ، وخرج سهيلُ بنُ عمرو معها ، وهو يظنُّ أنَّ المسلمين سيكونون مقرنين في الأصفاد مع ساعةِ الجولة الأولى ، وكان سهيلٌ من المُطعمين في هذه المعركة ، والمطعمون ببدرٍ من قريشٍ معظمهم من أكابر المشركين مثل : عتبةُ بنُ ربيعة ، وأخوه شيبه ، وأبو جهل ، وأميهُ بنُ خلف ، ونبيهُ ومنبهُ ابنا الحجاج ، وسهيلُ بن عمرو ، ونوفلُ بنُ خويلد ، وغيرهم ، ومن العجيب أنَّ معظم هؤلاء المُطعمين قد لقي حتفه في بدر ، والذين نجوا منهم أنعم اللهُ عليهم بالإسلام فيما بعد .

\* بدأت المعركةُ عند ماء بدر ، ولم ينتصفِ نهار ذلك اليوم حتى أنزلَ اللهُ نصره على المؤمنين ، فقتلوا فريقاً من المشركين ، وأسروا فريقاً ، بينما لاذَّ الباقون بالفرار ، وكان سهيلُ بنُ عمرو ذو الأنياب من بين الأسرى السبعين الذين وقعوا بأيدي المسلمين من الأنصار الأبطال ، وقرنوا في الحبال .

\* وراح رسولُ اللهِ ﷺ يتقدَّم نحو المدينة على ناقته القصواء ، وقد رُبِطَتْ يدا سهيلِ بنِ عمرو إلى عنقه ، وقُرِنَ إلى الناقة ، فتعجب النَّاسُ

---

(١) « مختصر تاريخ دمشق » ( ١٠ / ٢٣١ ) . و« عَزْوَر » : رمل بالجحفة ، وقيل : موضعٌ على الطريق بين المدينة ومكة .

أقول : « رجعتُ إلى ديوان أمية بن أبي الصلت فلم أجد سوى البيتِ الأوَّلِ على التحوالاتي :

يا با يزيد رأيتُ سيكاً واسعاً      وسماء جودك تستهلهُ فتمطرُ  
والبيت السادس على التحوالاتي :

إِنَّ التَّكْرُمَ وَالنَّدَى فِي عَامِرٍ      جَدَاكَ مَا سُلِكَتَ لِحَجِّ عَزْوَرٍ  
أما الأبيات الأربعة الأخرى فلا وجود لها . « ديوان أمية » ( ص : ٣٩٣ ) .

وقالوا : « هذا الذي كان يطعم بمكّة » ؟ ! نعم ، هو ذا ، ولكن الله - عزّ وجلّ - أمكّن منه ، بعد أن سعى لإطفاء نور الله ، وبعد أن سعى ليهرب من الأسر ، فوقع فيه أيضاً ؛ إذ إنّه أفلت بالروحاء من مالك بن الدُخشم الذي أسره ، فصاح مالك في النَّاس ، فخرجوا في طلبه ، فقال النَّبِيُّ ﷺ : « مَنْ وجده فليقتله » فوجده النَّبِيُّ ﷺ فلم يقتله .

\* ونجد تفصيل ذلك عند الواقدي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حيثُ يقولُ ما حصيلته : « وكان سهيلُ بنُ عمرو مع مالك بن الدُخشم الذي أسره ، فقال : خلّ سبيلي للغائط . فقام به مالك وخلّى يده .

فقال سهيلٌ : إنّي أحشتمُ فاستأخر عني ! فاستأخر عنه ، ومضى سهيلٌ على وجهه ، انتزع يده من القرآن ومضى لا يلوي على شيء . فلما أبطأ سهيل على مالك بن الدُخشم أقبل فصاح في النَّاس أن قد أفلت سهيلٌ ذو الأنياب ، فخرجوا في طلبه ، وخرج النَّبِيُّ ﷺ في طلبه ، فقال : « مَنْ وجده فليقتله » فوجده رسولُ الله ﷺ قد أخفى نفسه بين سمرات ، فأمر به ، فربطت يداؤه إلى عنقه ، ثمّ قرنه إلى راحلته ، فلم يركب سهيلٌ خطوةً حتّى قدم المدينة المنورة ورسولُ الله ﷺ على راحلته القصواء ، ولقي أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - فأجلسه بين يديه ، وسهيلٌ مجنوبٌ ، ويده إلى عنقه ، فلما نظر أسامةُ إلى سهيلٍ قال : يا رسولَ الله ! أبو يزيد ؟ !

قال : « نعم هذا الذي كان يطعم بمكّة الخبر » (١) .

\* وراح مالكُ بنُ الدُخشم الذي أسره يترثم ويقول :

أسرتُ سهيلاً فلن أبتغي أسيراً به من جميع الأمم  
وخندفُ تعلمُ أنّ الفتى سهيلاً فتاها إذا تُصطلم

(١) « المغازي » ( ١ / ١١٧ - ١١٨ ) بتصريف يسير . وقوله « مجنوب » : قاده إلى جنبه فهو مجنوب وجنيب .

ضربتُ بذي الشَّفر حتَّى انثنى وأكرهت سيفي على ذي العلم (١)

\* ومن العجيب في السيرة السُّهيلية الماتعة أنَّ كثيراً من النَّاس بمكَّة قد ارتابوا وشككوا في أنَّ يقع سهيل بن عمرو أسيراً بأيدي المسلمين ، وأنَّ يُقتل كبراء قريش في بدر ، ولم يتوقَّعوا نصر المؤمنين نظراً لظواهر الأسباب والمسببات ، فعندما قدم زيد بن حارثة ، وعبدُ الله بنُ رواحة بشيرين إلى المدينة بنصر المؤمنين ، أصبح النَّاسُ مأخوذين وهم بين مصدِّق ومكذِّب ، وجعل فريقٌ من أعداء الإسلام يستهزئون بما يسمعون ، وفريق مكظومٌ يخاف أن يصدِّق ما يسمعون ؛ لأنَّ زيد بن حارثة شرع ينادي ويبشِّر أهل المدينة عند المصلَّى ويقول : « قُتِلَ عتبةٌ وشيبةُ ابنا ربيعة ، وابنا الحجاج ، وأمّية بن خلف ، وأبو جهل ، وأبو البختری ، وزمعة بن الأسود ، وأسیر سهيل بن عمرو ذو الأنياب في أسرى كثير » . حتَّى إنَّ أسامة بن زيد لمَّا رأى إرجاف المنافقين وتكذيب اليهود لهذه البشائر قال : « فجئتُ حتَّى خلوت بأبي ، فقلتُ : أحقُّ ما تقول يا أبة ؟ فقال : إي والله حقُّ ما أقول يا بني » . فقويت نفسُ أسامة وراح يبشِّر المسلمين ويطمئنهم بنصر الله ، حتَّى جيء بالأسرى فدخلوا المدينة ، وعليهم شقران مولى رسول الله ﷺ .

\* ولمَّا قدَّم رسولُ الله ﷺ المدينة المنورة ، وقدم بالأسرى ، كانت سودة بنتُ زمعة أمُّ المؤمنين عند آل عفراء في مناحتهم على عوف ومعوذ ابني

---

(١) « مختصر تاريخ دمشق » ( ١٠ / ٢٣٠ ) ، وقوله « بذي الشَّفر » : لقب سيفه . ومن الجدير بالذكر أنَّ الملائكة الكرام قد اشتركت في أسر المشركين وقتالهم يوم بدر ، وقد شهد بهذا الأمر العظيم سهيل بن عمرو نفسه حيث قال : « لقد رأيتُ يوم بدر رجلاً بيضاً على خيلٍ بلُقي بين السماء والأرض مُعلِّمين ، يقتلون ويأسرون » . « شرح حياة الصَّحابة » ( ٤ / ٣٣٠ ) ، و« مختصر تاريخ دمشق » ( ١٠ / ٢٣٠ ) .

أقول : « ومع رؤية سهيل قتال الملائكة للمشركين يوم بدر ، لم يسلم إلا في أيام الفتح حيث فتح اللهُ على بصيرته - رضي اللهُ عنه - » .

عفراء ، وذلك قبل أن يُضرب الحجاب . قالت أم المؤمنين سودة <sup>(١)</sup> - رضي الله عنها - : « فأتينا ؛ فقيل لنا : هؤلاء الأسرى قد أتى بهم ، فخرجتُ إلى بيتي ورسول الله ﷺ فيه ؛ وإذا أبو يزيد مجموعة يداه إلى عنقه في ناحية البيت ، فوالله ما ملكت نفسي حين رأيته مجموعة يداه إلى عنقه أن قلتُ : أبا يزيد ! أعطيتم بأيديكم ! ألا مُتَم كراماً ؟ ! فوالله ! ما راعني إلا قول رسول الله ﷺ من البيت : « أيا سودة ، أعلَى اللهُ ، وعلَى رسوله تحرّضين ؟ » .

قلت : يا نبيَّ الله ! والذي بعثك بالحق نبياً ، ما ملكت نفسي حين رأيْتُ أبا يزيد مجموعة يداه إلى عنقه أن قلتُ ما قلتُ « (٢) .

\* وقيلَ الحبيبُ المصطفى ﷺ اعتذار أمنا سودة - رضي الله عنها - ؛ إذ إنَّ ما قالته عند رؤيتها سهيل بن عمرو كان أثراً من آثار تغلب الطَّبيعة البشريَّة التي تتأثَّر غالباً بالمواقف العاطفيَّة ، ولم يهزَّ ذلك القول إيمانها ، ولم يعكزُ صفاء نفسيَّتها المشرفة ببقاء الإسلام ووفاء الصِّدق ، بدليل أنَّها قالت في عفوية وبساطة : « ما ملكت نفسي أن قلتُ ما قلتُ » .

\* وعن أسرٍ سهيل بن عمرو أبي يزيد ؛ وموقفِ أمنا سودة من ذلك ، وإقالة النبيِّ ﷺ عثرتها اللسانيَّة هذه ، نبجرُ مع أنفاس الأدب ، وأنسام الشَّعر ، وهذه الثَّغريَّة الدَّافئة الحانية :

قد جيءَ بالأسرى وكانوا بالحِبالِ مقيدين  
تروي الروايةَ سودةٌ من أمهات المؤمنين

(١) اقرأ سيرة أم المؤمنين سودة في موسوعتنا : « نساء أهل البيت في ضوء القرآن والحديث » ( ص : ٩٣ - ١٢٢ ) ط : ٦ - فسيرتها تهذب النَّفوس ، وتضفي إليها الصِّفاء والنِّقاء .

(٢) « المغازي » ( ١ / ١١٨ ) ، و« مختصر تاريخ دمشق » ( ١٠ / ٢٣٣ ) ، و« تاريخ الطَّبْرِي » ( ٢ / ٣٩ ) .

قالت فلما أن رأيتُ أبا يزيد في أيمن  
 جمعتُ يدها لعنقه ذلُّ غشاهُ وقد أهين  
 قد كان مقداماً وكان من الرجال البارزين  
 فنسيتُ أنني زوجةُ الهادي رسول العالمين  
 وهتفتُ في الأسرى بقولٍ فيه عنفُ القائلين  
 أعطيتُم الأيديَ ألا متّم كراماً صامدين  
 وإذا رسولُ الله يسمُعني فقال ليستبين  
 يا سودةُ ماذا دهأك اللعدوُّ تُحرّضين  
 فذهلتُ ممّا قد عراني صرتُ في حزنٍ مُهين  
 وهتفتُ معذرةً أيا خير الوري والمرسلين  
 ما إن نظرتُ إلى سهيلٍ والأسارى المكرهين  
 قد غلتِ الأيدي وذُلُّ قد غشاهم أجمعين  
 حتّى هتفتُ بما هتفتُ وإنني في النّادمين<sup>(١)</sup>

\* وصلت أنباءُ الهزيمة القرشيّة مكّة ، ومُلئت بيوت المشركين بالأحزان  
 على قتلاهم ، كما جاشت الصُّدور بالغيظ على المسلمين الذين أسروا  
 أكابرهم ، فبكت البواكي ، وناحت النَّائحات ، فانبعث من أوقف البواكي من  
 النساء ؛ وزعم أن محمّداً ﷺ سيثمتُ بهم صباح مساء ، أمّا الأسرى فلا يرى  
 أن تسرع قريش في الفداء ، إلا أن زعمه هذا راح في الهباء ؛ فقد انسلَّ  
 ابن أبي وداعة السهمي من مكّة ، واتّجه لفداء أبيه ، كما جاء مكرز بن حفص  
 في فداء سهيل بن عمرو العامري ، وكان سهيلٌ لمّا أُسر قال سيّدنا عمر بن  
 الخطّاب - رضي الله عنه - لرسول الله ﷺ : « يا رسولَ الله ! دعني أنزعُ ثنيتي  
 سهيل بن عمرو ، يدلع لسانه ، فلا يقومُ عليك خطيباً في موطن أبداً » .

(١) « تغريدة السيرة النبويّة » ( ٢ / ٢٥٦ ) . وقوله « فيه عنف القائلين » : تعنيف  
 وتأنيب لهم . و« عراني » : أصابني .

فقال رسول الله ﷺ لعمر - رضي الله عنه - : « لا أمثل به فيمثل الله بي ، وإن كنت نبياً » . وقيل : إن رسول الله ﷺ قال لعمر : « إنه عسى أن يقوم مقاماً لا تدمه » . وصار سهيلُ بن عمرو حراً بعد أن أدّى الفدية (١) .

\* وعن قضية فداء أهل مكة أسراهم ، وما حدث لسهيل بن عمرو ، نقرأ هذه الهمزية المنعشة التي تفتّر عن مبسمها فتقول :

نأحوا على القتلى بمكة ثم قالوا لا بكاء  
 إن البكاء دليل ضعف فلتكونوا أقوياء  
 أما عن الأسرى فصبراً لا تؤذوا للفداء  
 لكن بعض القوم لم يصبر على مر العناء  
 فأنسل ابن أبي وداعة نحو يثرب في خفاء  
 فأتى لفك أبيه كان من الرجال الأغنياء  
 قد أخبر الهادي صحابته بهذا في صفاء  
 من بعده قد جاء مكرز عن سهيل بالوفاء  
 لكن سهيل كان قبل الأشر للهادي أساء

(١) قال الواقدي رحمه الله عن فداء سهيل : « لما قدم مكرز بن حفص انتهى إلى رضاهم في سهيل ، ودفع الفداء ، أربعة آلاف ، قالوا : هات مالنا . قال : نعم ، اجعلوا رجلاً مكان رجل ، واخلوا سبيله . فكان عبد الله بن جعفر يقول : رجلاً برجل ! وكان محمد بن صالح وابن أبي الزناد يقولان : رجلاً برجل ! فخلوا سبيل سهيل ، وحبسوا مكرز بن حفص ، وبعث سهيل بالمال مكانه من مكة » . « المغازي » (١ / ١٤٣) .

وفي حادثة الفداء يقول مكرز بن حفص :

فديت بأذواد كرام سباً فتى  
 ينال الصميم غرمها لا المواليا  
 وقلت سهيل خيرنا فاذهبوا به  
 لأبنائنا حتى يديروا الأمانيا

« مختصر تاريخ دمشق » (١٠ / ٢٣١) .

قد كان يخطبُ في المحافل كان داعية العدا  
لَمَّا أتوا لفدائه عمرٌ أرَادَ له الجزاء  
عمرٌ يقولُ لنخلعَ الأسنان منه لكي يُسَاء  
قال النَّبِيُّ فلا أمثُلُ ذاك تمقُّته السَّمَاء  
أخشى من التَّمثيل بي هذا لأجل الاقتداء  
من ثمَّ صار سهيلَ حرّاً بالفداء وبالعطاء

### مواقفُ سهيليةً في صلح الحديبية :

\* تعالوا الآن نحضر مع سهيل بن عمرو ، وهو يعقدُ صلحَ الحديبية مع الهادي البشير محمّد رسولِ الله ﷺ ، في وقتٍ حرجٍ من حياته التي أزفَ من خلالها أن يودّعَ الشُّركَ وأهله ، ويودّعَ فطنته في خدمة الإسلام ، وتحت التّصريفِ النَّبويِّ ، ولكنَّ الأوانَ لم يحنُ بعد ، ولعلَّ الحكمةَ في ذلك أن يستفيدَ سهيل وأمثاله من التَّربية المحمّديّة المتأنية الهادفة ؛ إذ إنَّ الخيرَ كلَّ الخير في هؤلاء الرّجال الذين فتحوا الدُّنيا فيما بعد ، ومنهم : خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وسهيل بن عمرو ، والحارث بن هشام ، ويزيد بن أبي سفيان ، وأبوه أبو سفيان بن حرب ، وغيرهم من أكابر القوم وأعلامهم وأعيانهم . . . أرايتم الحلمَ النَّبويِّ الذي جعل هؤلاء الأعداء أسيادَ الدُّنيا وسادةَ الفاتحين ؟ ! إنَّ الله في خلقه شؤوناً وهو الفتح العليمُ الخبير .

\* ونعودُ إلى صلح الحديبية بأحداثه المثيرة ودروسه الكثيرة ، فنحنُ نعلمُ أنّ قريشاً كانت تأبى أن تلقيَ أسماءها إلى محمّد رسولِ الله ﷺ ، فهي التي اضطهدته منذ أن تنفّسَ صبحُ الإسلام ، وانبججَ فجرُهُ من غار حراء بكلمة : ﴿ أَقْرَأ ﴾ [العلق : ١] ، وكذلك عندما أخبرهم بأنَّه رسولُ الله إليهم ليهديهم سواء السَّبيل . هنالك نال منه رجالهم وبعضُ نسائهم ، وآذوه أشدَّ الأذى ، وعدّبوها أصحابه وأرغموهم على أن يهاجروا في أرضِ الله الواسعة . ولم ترضَ قريش عن هذه الهجرة ، فنشب القتالُ بينها وبين المهاجرين والأنصار لا يخبو له أوار ، وكان أملُ قريش وهدفها أن تقضيَ على الرّسولِ

الأمين محمد ﷺ الذي سَفَهَ أحلام الآباء ، وغَضَّ من شأن موارِيث الأجداد .

\* كانت قريشُ ترومُ إبادة دعوة الإسلام واستئصال شأفة المسلمين ، وتودُّ أن تقتلَ رسولَ الله ﷺ ، وإذا بها اليوم تَقْبَلُ أن تجلسَ معه لتهادنه ، وتعقدَ معه معاهدة ذهبَتْ بغيرِهم ، وألقتها في غياهب النسيان ، وردتهم إلى صوابهم بعد حين من الدَّهر لم يكن شيئاً مذكوراً ، لا يزيدُ عن عام بعد صلح الحديبية ، وكان سهيلُ بنُ عمرو هو صلةُ الوصل ، وروحُ الصُّلح بين رسول الله ﷺ وقريش ، فكيف كان ذلك ؟ !

\* لَمَّا بلغ قريشاً أمرُ البيعة الرضوانية في الحديبية تحت الشجرة ، وأدرك زعماءها تصميمَ رسولِ الله ﷺ على القتال ، أوفدت خطيبَ محافلها سهيلَ بنَ عمرو في نفرٍ من أعيانها ، ومن أمراء البيان لديها ، ولَمَّا رأى الحبيبُ المصطفى ﷺ سهيلاً مقبلاً سرَّ واستبشَّرَ به ، وقال لأصحابه الكرام - رضي الله عنهم - : « لقد أرادَ القومُ الصُّلح حين بعثوا هذا الرَّجل » .

\* ولعلَّه كان من يُمنِ قريش ؛ أن يكونَ سهيلُ بنُ عمرو وباقي مرافقيه حاضرين في الحديبية ساعة مبايعة الصَّحابة لرسول الله ﷺ على الموت ، وكيف كانت تعبق منهم أنفاسُ التُّبوءة ، وتبدو على محياهم آثار الفتوة .

\* فقد رأى سهيلٌ ومرافقوه إجراءات البيعة الرضوانية ، فأوا مظهرأ من أعظم مظاهر التَّفاني في خدمة العقيدة ، والاستعداد للتَّضحية والفداء في سبيلِ الله - عزَّ وجلَّ - ، فمِلَّتْ قلوبهم رعباً ، وقرَّ في أعماق نفوسهم أنَّه لا يمكن لقريش أن تنتصرَ على هؤلاء المبايعين ؛ الذين يتسابقون إلى الموت مستبشرين .

\* في هذا الموقف المتألق من الصَّحابة الكرام ، وبيعتهم الخالدة لنبيِّ السَّلام ، وقف سهيلٌ موقفَ العَقْل والرَّزانة ، فقد كان سهيلٌ - رضي الله عنه - نجماً لامعاً بين سادات قومه ، وعُرفَ بينهم في رجاحة العقل ، وسعة الحلم ، وأصالة الرَّأي ، وبُعدِ النَّظر ، وكمالِ الهدوء . ولهذه الأخلاق والصفات ،



كانت قريش تدّخره للقضايا وحلّ الأزمات ، وتفزعُ إليه عند نزول الملمات ؛ وحدوث المعضلات .

\* روت مصادرُ السّيرة الصّحيحة ؛ التي استُقيت من كتب الحديث الصّحيحة ؛ أنه لما اخلولقت مشكلةُ الحديبية تتعقّد ، وكادت تتفجّر الحرب من أجل حبس سيّدنا عثمان بن عفان - رضي الله عنه - بمكّة ، هنالك اشْرأبتِ الأعناقُ القرشيّةُ إلى الفطنة السّهيليّة ، ونطقتِ الألسنُ : « أن كُنْ يا سهيلُ بنُ عمرو رئيسَ وفدِ السّلام ؛ لمفاوضاتِ رسولِ الله ﷺ ومنّ معه من رجال الإسلام الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه » .

\* رسمت قريشُ خطوطاً واضحةً لمفاوضاتِ السّلام مع المسلمين ، ومنها أنّ قريشاً لا تمنع في دخول المسلمين مكّة للاعتمار ، ولكن في العام القادم ، وذلك حفظاً لماء وجهها أمام القبائل الأخرى ؛ وقالت لسهيل : « صالحٌ محمّداً ، ولا يَكُنْ في صلحه ، إلا أن يرجعَ عتاً عامه هذا » . ثمّ إنّ قريشاً تركت باقي الأمور لسهيل يتصرّف بحريّة ممزوجة بالحزم ، فهو من أهل الرّزانة والفطنة والحصافة والفهم ، وهو خطيب مصقع ، ولفظه بالفصاحة مرصّع ، وبالبلغة مُلمّع ، ومقداره مُرفّع ، ومجده موقّع .

\* والحقيقة ؛ فقد كان سيّدنا سهيلٌ - رضي الله عنه - رجلاً يحبّ الصّراحة قولاً وفعلًا ، ويكره أن يميلَ إلى الرّياء ، وكان سهيلٌ شهماً عفّ اللسان ، ليقاً ، فصيحاً ، مفوّهاً ، ثابتَ الجنان ؛ يعرفُ من أين تُؤكَلُ الكتف إذا ما تحدّث أو وقف خطيباً ؛ إذ إنه يُعطرُ المحافلَ طيباً .

\* ولما توجّه سهيلٌ إلى الحديبية ، إلى حيثُ عقَدِ الصّلح ، استبشرَ الحبيبُ المصطفى ﷺ ، وبشّرَ رجاله بالفرج القريب حينما بصّرَ بسهيلٍ وهو قادمٌ ، فقال : « قد سهّلَ الله لكم من أمرِكُم » ، وقال : « قد أراد القومُ الصّلح حين بعثوا هذا الرّجل » <sup>(١)</sup> . وفي روايةٍ أخرى عند الطّبري في « تاريخه » أنّ

(١) « تاريخ الطّبري » ( ٢ / ١٢٢ ) طبعة دار الكتب العلميّة الثّانية - ١٩٨٨ م .

رسول الله ﷺ قال لأصحابه الذين معه : « سهّل الله أمركم ، القوم مأثون إليكم بأرحامكم ، وسائلوكم الصلح ، فابعثوا الهدي ، وأظهروا التلبية ، لعلّ الله يلين قلوبهم » ، ففعلوا ذلك ، فارتفعت أصواتهم بالتلبية من نواحي العسكر تشقّ عنان السماء .

\* بدأتِ المفاوضاتُ ، وأخذ سهيلٌ يتحدثُ بصوتٍ عالٍ ، وإذ ذاك لفتَ حارسا النبيّ ﷺ فنظرَ سهيلُ إلى أن يخفضَ صوته عند رسول الله ﷺ ، وأن يلتزمَ آداب أصحابه في مخاطبته ، فهو رسولُ ربِّ العالمين ، ولا ينبغي أن يرتفعَ صوتُ أحدٍ عنده وإن كان من المفوهين .

\* وتنقلُ لنا هذه الصُّورة الكريمة سيّدةٌ مجاهدةٌ من نساء عصر التُّبوة الفاضلات ، وترسمُ لنا كيف كان مجلس الصُّلح ، وكيف ارتفعتِ الأصواتُ وانخفضت ، وكيف أمرَ الصَّحابةُ سهيلاً أن يخفضَ صوته في المجلس ، هذه السيّدة الكريمة هي نسيبة بنتُ كعب المازنيّة (١) أمُّ عمارة التي حضرت البيعة الرضوانيّة ، وكانت ممن حفّتهم العناية الرّبانيّة ، تقول أمُّ عمارة - رضي الله عنها - : « إنّي لأنظرُ إلى رسول الله ﷺ جالساً يومئذ متربّعاً ، وإنَّ عبّاد بنَ بشر ، وسلمة بنَ أسلم بن حريش مقنّعان بالحديد ، قائمان على رأس النبيّ ﷺ ؛ إذ رفع سهيلُ بن عمرو صوته قالاً : اخفضُ من صوتك عند رسول الله ! وسهيلُ باركُ على ركبتيه ، رافعُ صوته كأنّي أنظرُ إلى علمٍ في شفّته ، وإلى أنيابه ، وإنَّ المسلمين لحوّل رسول الله ﷺ جلوساً » (٢) .

\* بدأتِ مراسيمُ صياغة الصُّلح بعد أخذٍ وردٍّ ، وبعد مراجعاتٍ ومفاوضاتٍ لتقريب وجهات النّظر بين المسلمين وقريش بزعامة موفدها سهيل بن عمرو العامريّ .

(١) اقرأ سيرة الصحابية الجليلة المجاهدة في موسوعتنا : « نساء من عصر التُّبوة » (ص : ٢٦٠ - ٢٦٧) ، ط : - ٢٠٠٣ م ؛ ففي سيرتها مواقف تهم كل امرأة تؤمن بالله ، وتبتغي مرضاته .

(٢) انظر : « المغازي » (٢ / ٦٠٥ - ٦٠٦) .

\* أمر الحبيب المصطفى ﷺ سيّدنا عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - أن يبدأ كتابة المعاهدة بلفظ : « بسم الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » ، وههنا وقف رئيس الوفد القرشي ؛ التّاطق باسمهم سهيل بن عمرو ، ثمّ اعترض قائلاً على بداية الكتابة : « لا أعرف الرَّحْمَنُ ! اكتب باسمك اللهمّ » . ضجّ بعضُ كبراء الصّحابة من المهاجرين والأنصار محتجّين على الاعتراض السّهيليّ ، وقالوا : « هو الرَّحْمَنُ ، ولا نكتبُ إلا الرَّحْمَنُ » .

\* ولكنّ المهارة العظيمة في معرفة أسرار الثّقوس ، وعوامل الغضب والرّضى والثّورة والهدوء قد برزت لتخفّف من حدّة الموقف ؛ فقد ظهرت الحكمة المحمّديّة المتألّفة في مثل هذه الأزمات ، فأوعزَ ﷺ إلى الكاتب أن اكتب : « باسمك اللهمّ » ، وشرع في الكتابة ، وأمر الكاتب أن يكتب : « هذا ما اصطلح عليه رسولُ الله » ، مرّة أخرى يعترض سهيل بن عمرو على كلمة « رسولُ الله » وأصرّ أن تُبدّلَ غيرها وقال للصّادق المصدوق ﷺ في صراحة ممزوجة بالجرأة والفطنة : « لو أعلمُ أنّك رسولُ الله ما خالفْتُكَ ، وأتبعْتُكَ ، أفرغُبُ عن اسمك ، واسم أبيك محمّد بن عبد الله ، اكتب اسمك ، واسم أبيك » .

\* ويحسنُ بنا الآن أن نستظللّ تحت ظلالِ الأدب سويعة ؛ وأن نردّ منهله ؛ كي نستمتع بهذه الأنسام الحانية التي تداعبُ همسات الأصيل ، وتروي لنا قصّة كتابة صلح الحديبية مع سهيل :

نادى الرّسولُ علىّ عليّ كاتبِ المُتصالحين  
هو كاتبُ للعهدِ بين المُصطفى والمُشركين  
أملى رسولُ الله قال لكاتبِ العهدِ المتين  
اكتبْ باسمِ الله والرّحمنِ خير الرّاحمين  
لكنّ سهيلٌ قال لا لسنا لهذي عارفين  
لا تكتبنّ سوى التي كُنا لها متوارثين  
هي باسمك اللهمّ فاكتبها كُكلّ الكاتين

رضي الرسولُ بهذه كي يرضي المُتَعَتِّين  
أملئ رسولُ الله تَقْدِمة البنود الخالدين  
هذا التَّصَالُحُ مع رسولِ الله والمتفاوضين  
لكن سَهيلٌ قال لا لا تكتب القول المهيّن  
لا تذكرنَّ رسالَةَ لَسْنَا بهذا مُوقنين  
لو قد شَهَدْنَا بالرَّسَالَةِ ما اختصمنا أجمعين  
لا تكتبنَّ لغيرِ اسمك ولنكن متعادلين  
رضي الرسولُ بما أراد فَنَعْمَ خيرُ المرسلين

\* أثار تصرفُ سهيلٍ واعتراضه غضبَ بعض المسلمين ؛ وارتفعتْ  
أصواتهم معلنين عن احتجاجهم وإصرارهم على بقاء كلمة « رسول الله » ،  
وأشاروا إلى الكاتب بالألمح، بيد أن حبيبنا وسيدنا ومعلمنا  
رسولَ الله ﷺ - بمهارته الممزوجة بالحكمة والتسامح ، وبُعد النظر - حسم  
الخلافاً ، وغرس الائتلاف ، فأشار إلى أصحابه أن يلتزموا السكينة والوقار ،  
وأن يدعوا الخلافَ والمماراة والجدال ، فاستجاب الصحابة أجمعون ،  
وسمعوا وأطاعوا ، فأشار ﷺ إلى الكاتب أن يكتب « باسمك اللهم » ، فكتب  
ما أمره به ﷺ . وبهذا تلاشى النزاعُ والتخاصمُ بين الفريقين ، ثم  
كُتبت المعاهدةُ ، بعد أن تغلَّبت حكمةُ (١) رسول الله ﷺ على

(١) كان سيدنا محمدٌ ﷺ عالماً بنفوس أصحابه ، عارفاً بنفوس من حوله ، واقفاً على  
دقائق أخلاقهم ، محيطاً بغوامض أمزجتهم ، يعلم ما يغضب له فلان من الصحابة ،  
وما يرضى به فلان ، ويعرف ما يستثير فلاناً ، وما يهدأ به فلان ، فعامل كل واحد  
منهم المعاملة المناسبة له ، اللائقة به ، حتى أشربت القلوب محبته ، وانطوت على  
طاعته ، فلم ينفص أحد من حوله ، وهذا منتهى الحدق في سياسة الناس . وليس  
يعلم ما لهذه الأمور النفسية من الأثر في سياسة الخلق إلا الذين كُتب لهم أن يمارسوا  
هذه السياسة ويعالجوها ، فما أكثر الذين ينفصون من حول زعيم من الرعاء ؛ لأنه  
فظ غليظ القلب ، وما أكثر الذين ينضمون إلى رئيس من الرؤساء ؛ لأنه رقيق القلب ، =

العقبات التي اعترضت مراسم الصلح وشؤونه .

\* ثمَّ إِنَّ المعاهدةَ تَمَّتْ كتابتها على نسختين ؛ إحداهما أخذها المسلمون ، والأخرى أخذها زعيمُ الوفدِ القُرشيِّ سهيلُ بن عمرو ، وها نحن أولاء نقرأ الصَّيْغَةَ الكاملةَ لهذه المعاهدةِ وهذا الصُّلْحُ الخالد الذي كان فتحاً عظيماً للمسلمين ؛ تقولُ صيغَةُ المعاهدةِ : « باسمِكَ اللَّهُمَّ ! هذا ما اصطَلَحَ عليه مُحَمَّدٌ بنُ عبدِ اللَّهِ ، وسهيلُ بنُ عمرو ، اصطَلَحَا على وضعِ الحربِ عشرِ سنينَ ، يَأْمَنُ فيها النَّاسُ ، ويكفُّ بعضهم عن بعض ، على أَنَّهُ لا إِسْلالَ ولا إِغْلالَ ، وأنَّ بيننا عيبَةٌ مكفوفةٌ ، وأنَّهُ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يدخلَ في عهدِ مُحَمَّدٍ وعقدِهِ فَعَلَّ ، وأنَّهُ من أَحَبَّ أَنْ يدخلَ في عهدِ قريشٍ وعقدِها فَعَلَّ ، وأنَّهُ مَنْ أتى مُحَمَّدًا منهم بغيرِ إِذنٍ وليِّهِ رَدَّهُ إليه ، وأنَّهُ مَنْ أتى قريشاً من أصحابِ مُحَمَّدٍ لم تردهُ ، وأنَّ مُحَمَّدًا يرجعُ عَنَّا عامه هذا بأصحابه ، ويدخلُ علينا قابلٍ في أصحابه ، فيقيمُ ثلاثاً ، لا يدخلُ علينا بِسِلاحٍ إِلا سِلاحَ المسافرِ ، السُّيوفُ في القُرْبِ » (١) .

= لطيفُ الحسنِ ، ينزلُ النَّاسَ منازلهم ، ويخاطبهم على قَدْرِ مراتبهم ، وهذه حكمةٌ يختصُّ اللهُ بها مَنْ يشاءُ ، ويحرمها مَنْ يشاءُ ، ولهذا الاختصاصِ ، ولهذا الحرمانِ أبلغ الأثر في التوفيق في سياسة النَّاسِ ، أو في الإخفاق فيها . « العناصر النَّفسية في سياسة العرب » (ص : ١٠ - ١١) بتصرف يسير .

(١) « السَّيْرَةُ النَّبَوِيَّةُ » (٢ / ٣١٧) ، و« المغازي » (٢ / ٦١١) ، و« تفسير القرطبي » (١ / ١٠٤) ، و« شرح حياة الصَّحابة » (١ / ٢٨١ - ٢٨٣) ، وغيرها من كتب الحديث والسَّيْرَةِ والطَّبقات . وقوله « الإِسْلالَ » : السَّرقة الخفية . و« الإِغْلالَ » : الخيانة . و« العيبة » : صدورٌ منطويةٌ على ما فيها ، لا نبدي عداوةً ، وتكفَّ عَنَّا ، ونكفَّ عنك . و« قابلٍ » : العام القادم .

وفي هذه المعاهدة دروسٌ وأحكامٌ عظيمةٌ جداً ، وفي مقدمتها : حرصُ سيِّدنا رسولِ اللَّهِ ﷺ على مصالحةِ قريشِ ، واستبقائها للإسلام ؛ إذ إنَّ قريشاً من أشدَّ العرب ذكاءً ، وفصاحةً ، وخبرةً ، ومكانةً بين القبائلِ ، فإذا انتظموا في الإسلام كان ذلك =

\* ودعونا الآن نترنّم بتغريدة جميلة تستوعبُ شروط صلح الحديبية بين  
همسات حروفها ، ودفقات كلماتها :

هـذِي شُرُوطُ الصُّلْحِ بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَالْمَشْرِكِينَ  
لَا حَرْبَ بَيْنَهُمَا يَكُونُ قُبَيْلَ عَشْرٍ مِنْ سِنِينَ  
وَإِذَا اهْتَدَى قَوْمٌ وَجِأُوا لِلْمَدِينَةِ مُسْلِمِينَ  
فَمُحَمَّدٌ سِيرَهُمْ حَتَّى يَعُودُوا مُرْغَمِينَ  
وَالْمُسْلِمُونَ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَعُودُوا كَافِرِينَ  
هُمُ بِالْخِيَارِ فَلَنْ يَكُونُوا مُرْغَمِينَ وَخَائِفِينَ  
أَمَّا التَّحَالُفُ فَهُوَ حَقٌّ لِلتَّحَالُفِ أَجْمَعِينَ  
كُلُّ الْقَبَائِلِ بَعْدَ هَذَا أَصْبَحُوا فِي الْآمِنِينَ  
وَمُحَمَّدٌ فِي عَامِهِ هَذَا وَكُلُّ الْمُحْرَمِينَ  
لَنْ يَدْخُلُوا أَبْوَابَ مَكَّةَ بَلْ يَعُودُوا رَاجِعِينَ  
فِي مِثْلِ هَذَا فَلْيَعُودُوا بَعْدَ عَامٍ زَائِرِينَ  
لَا يَحْمِلُونَ لغير أَنْوَاعِ الشُّيُوفِ مُسَلَّحِينَ  
وَلِسُوفٍ تُخَلَى مَكَّةَ لِثَلَاثَةِ مُتَابِعِينَ  
حَتَّى يَتَمَّوُا لِلْمُنَاسِكِ آمِنِينَ مُؤَمَّنِينَ (١)

= نوراً على نور ، وقوة إلى قوة ، فقد قال ﷺ عن قريش : « الناس تبع لقريش في الخير  
والشر » ( أخرجه مسلم برقم : ١٨١٨ ) . فكان استبقاء النبي ﷺ لقريش خيراً  
عظيماً ؛ إذ دخلوا في دين الله أفواجاً ، وقد أثبتت الأيام والتجارب أنهم كانوا مصدر  
قوة تسهم في انتشار الإسلام في أرجاء المعمورة ، والله تعالى يخلق ما يشاء ويختار .  
(١) « تغريدة السيرة النبوية » ( ٣ / ٢٩٠ ) ، وقوله « حق للقبائل أجمعين » : كان  
التحالف محظوراً قبل صلح الحديبية على العرب . و« في مثل هذا » : أي : في  
العام القادم . و« لثلاثة متابعين » : أي : لثلاثة أيام متواليات .

## سهيل وابنه :

\* كانت معاهدة الحديبية في هدنتها المعروفة هي الفتح المبين ؛ الذي بشر الله به عباده المؤمنين ، وامتنَّ به على رسوله الأمين ، محمَّد المبعوث رحمة للعالمين ﷺ . وكان من بين شروط المعاهدة شرط ظنه بعض الصحابة إجحافاً بحقهم ، وقاسياً عليهم ، وهو أنه مَنْ أتى رسول الله ﷺ من قريش ردّه إليهم ، ولو كان على دينه ، ومَنْ أتى قريشاً ممّن مع رسول الله ﷺ لم يردّوه عليه .

\* هذا الشرط أدخل على بعض من المسلمين الهمَّ والغمَّ ، وأذهل ألبابهم ، وأظهر بعض أكابر الصحابة حيرته من قبول هذا الشرط وقالوا : « سبحان الله ، كيف نرُدُّ على المشركين مَنْ جاءنا مسلماً ، ولا يردّون علينا من ذهب إليهم كافراً ؟ » .

\* وجاءت الإجابة النبوية التي كانت تنظر من وراء ستر الغيب ؛ لتبّد حيرة هؤلاء الصحابة وتقول لهم : « مَنْ ذهب منا إليهم فأبعده الله ، ومَنْ جاء منهم إلينا ، فسيجعل الله له فرجاً ومخرجاً » .

\* وقد عجّل الله - عزَّ وجلَّ - امتحان المسلمين في تحقيق الوفاء بهذا الشرط القاسي ظاهراً ، والخير باطناً وسلوكاً ، وكان درساً تربوياً مفيداً اقتبسه المسلمون من قول الرسول الكريم ﷺ الأنف الذُّكر .

\* فقد كان لرئيس الوفد القرشي وخطيبهم المصقع سهيل بن عمرو ولدٌ أسلم في مكة مع ثلثة الأولين ، فضيَّق عليه سهيلٌ ، وألقاه في السِّجن ، وطفق يذيقه ألوان العذاب ، لعلّه يرجع عن الصَّواب ، ويعبد الأوثان بدل ربِّ الأرباب ، إلا أن هذا الابن صَبَرَ صبراً جميلاً ، ولم يُفْتَن في دينه ، وبقي مسلماً يرفض ما ألقى عليه آباءه الأولين ، وقومه أجمعين .

\* وبينما كان سهيلٌ في مفاوضاته في إبرام اتفاق صلح الحديبية ؛ إذ دخل ابنه أبو جندل بن سهيل يرسف في قيوده - وكان قد تمكَّن من الفرار من سجن

أبيه - ، ثم رمى بنفسه بين أظهر المسلمين طالباً منهم أن يحموه من أبيه وظلمه ، وممّا عراه من السجن .

\* وحانت التفاتة سهيليةً إلى جانب المسلمين ، ولم يكذ صاحب السفارة القرشي ومتكلمها يرى ابنه أبا جندل أمامه ، حتى فقد صوابه ، وانحطّ عليه كجلمود صخر حطّه السيل من علٍ ، وشرع يضربُه بصورة جنونية ، وأخذ يجزّه من تلايبه ، والتفت إلى الصادق المصدوق عليه السلام وقال له : « هذا يا محمّد أول ما أقاضيك عليه أن تردّه إليّ » .

فقال النبي صلى الله عليه وآله : « إنا لم نقض الكتاب بعد » ، فأبى سهيلٌ إلا شرطه ، وقال : « فوالله إذا لم أصالحك على شيء أبداً » .

\* ووافق الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله على أن الشرط لازمٌ ، واجبٌ الوفاء ، وإن لم يقض الكتاب ، ولكنه صلى الله عليه وآله طلب من سهيل أن يترك له ابنه أبا جندل استثناءً من الشرط ، فأبى سهيل أشدّ الإباء .

\* وتألّم أبو جندل من تصرفات أبيه ، ولمّا علم أنّه متروكٌ لأبيه ، وأنّه سيرده إلى المشركين ، صرخ منادياً في المسلمين كيما يثيرَ فيهم حميّة الإسلام وأريحيّة الإيمان وقال : « أي معشر المسلمين ! أردُّ إلى المشركين وقد جنّت مسلماً ؟ ألا ترون ما لقيت ؟ » وكان أبو جندل قد عذّب عذاباً شديداً في الله عزّ وجلّ .

\* وهنا ظهرت آية من آيات السياسة النبويّة الحكيمة في تصبير أبي جندل على المحنة ، وتثبيته على دينه ، وتبشيريه بالفرج القريب ، والمنحة الربانيّة فقال صلى الله عليه وآله له : « يا أبا جندل ! اصبرْ واحتسب ، فإنّ لا نغدر ، وإنّ الله جاعلٌ لك فرجاً ومخرجاً ، إنّنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً ، وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله ، وإنّنا لا نغدرُ بهم » .

\* اطمأنّ أبو جندل إلى ما قاله صلى الله عليه وآله ، واستبشرَ بما بشره من الفرج ، فاستسلم لأبيه المشرك الذي عاد به إلى مكة ، إلى أن جعل الله له فرجاً



ومخرجاً ، وأمناً وأماناً ، ومكانةً وهيبةً .

\* ففي الكلمات النبوية المباركة المشرقة يظهر حرص الحبيب المصطفى ﷺ على الوفاء بالعهد مهما كانت نتائجه وعواقبه فيما يبدو للناس .

\* « فهو ﷺ يرى أحد المسلمين الذين عذبوا عذاباً شديداً ، ليفتن عن دينه ، يرمي بنفسه بين أظهر المسلمين ، وهو في قيوده وأغلاله ، وأبو هذا المسلم المضطهد هو الذي يعقد الصلح مع النبي ﷺ ، فيستجيزه رسول الله منه فيأبى ويهدد بالتحلل من المعاهدة ، فلم يزد رسول الله ﷺ على أن أوصى المسلم المعذب بالصبر والاحتساب ، فيصرخ هذا المسلم في إخوانه المسلمين يستدز عطفهم ، ويثير حماستهم يعرض حاله عليهم ، وهم يرونه ويرون ما فيه ، وما لقيه من المشركين ، وما ينتظر أن يلقاه منهم بعد رده إليهم ، ويخشى رسول الله ﷺ أن يحرك هذا الموقف كوامن القوس في المسلمين ، وتأخذهم الحمية الإيمانية ، فيصنعون ما يعوق عقد المعاهدة ويحسم الأمر بقوله : « فإننا لا نغدر » ويبشروا جندل ليثبته على الإيمان بأن الله جاعل له فرجاً ومخرجاً ، ثم يقول ﷺ كلمة جامعة ، لتقر في أسماع كافة المسلمين وتعيها قلوبهم : « إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً ، وأعطيناهم وأعطونا عهد الله ، وإنا لا نغدر بهم » ، حتى يكون كل مسلم شهد أو غاب على بيته من أمر منهج رسالة الثور والخلود ، وتمسك الإسلام به ، فلا تثيره عاطفة ، ولا تميل به حمية » (١) .

\* ولا بأس بنا الآن أن نأوي تحت ظلال هذه الشجيرات الأدبية الوارفة ؛ التي تداعب الأسماع ؛ وهي تروي بنود الصلح وقت كتابته مع سهيل وابنه أبي جندل المسلم الصّابر :

تَمَّتْ شُرُوطُ الصُّلْحِ بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَالْمَشْرِكِينَ

(١) « محمّد رسول الله » (٤ / ٢٧٦) .

هَذَا سُهَيْلٌ مَعَ الرَّسُولِ فَأَمْلَيَْاهَا مُرْتَضِينَ  
 كَتَبَا نصوص الصُّلْحِ بَعْدَ جَدَالِهِمْ مَتَفَاهِمِينَ  
 قَدْ جَاءَ ابْنُ سُهَيْلٍ بَعْدَ كِتَابَةِ الْعَقْدِ الْمَتِينِ  
 هُوَ مُسْلِمٌ وَأَبُوهُ كَانَ يَسُوْمُهُ الضَّرْبُ الْمَهِينِ  
 نَادَى رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَإِنِّي فِي الْمُسْلِمِينَ  
 قَدْ قَيْدُونِي بِالْحَدِيدِ وَلَمْ يَكُونُوا رَاحِمِينَ  
 وَإِذَا سُهَيْلٌ هَبَّ يَضْرِبُهُ وَصَارَ لَهُ يَهِينِ  
 وَيَقُولُ لِلْهَادِي فَإِنَّا قَدْ كَتَبْنَا مَوْثِقِينَ  
 فَلْتَوْفٍ بِالشَّرْطِ الْمَدُونِ إِنْ تَكُنْ فِي الصَّادِقِينَ  
 قَالَ النَّبِيُّ لَهُ فَإِنَّا لَنْ نَكُونَ النَّاكِثِينَ  
 وَالْإِبْنَ حَقًّا صَارَ يَصْرُخُ يَا رَسُولَ الْعَالَمِينَ  
 أَرَزُّ حَتَّى يَفْتَنُونِي بَعْدَ إِسْلَامِ أَمِينِ  
 قَالَ النَّبِيُّ لَهُ فَمَهْلًا وَلِتَكُنْ فِي الصَّابِرِينَ  
 فَلَقَدْ عَقَدْنَا الصُّلْحَ حَقًّا لَنْ نَكُونَ النَّاقِضِينَ  
 مَنْ جَاءَ مِنْكُمْ مُسْلِمًا سُنْعِيْدَهُ لِلْكَافِرِينَ (١)

\* وَمَرَّتِ الْأَيَّامُ ؛ وَبِنَفْلَتِ أَبُو جَنْدَلِ بْنِ سُهَيْلٍ مِنْ آسْرِيهِ ، وَيَلْحَقُ  
 بِأَبِي بَصِيرٍ عْتَبَةَ بْنِ أَسِيدِ الثَّقَفِيِّ الَّذِي هَرَبَ مِنْ أَسْرِ قَرِيْشٍ أَيْضًا ، وَاجْتَمَعَتْ  
 حَوْلَهُمَا ثَلَاثَةُ تَزِيدُ عَنْ ثَلَاثِ مِئَةِ رَجُلٍ ، وَقَدْ اسْتَطَاعَتْ هَذِهِ الثَّلَاةُ أَنْ تَعْتَرِضَ عَيْرَ  
 قَرِيْشٍ فِي غَدَوَاتِهَا وَرَوْحَاتِهَا إِلَى الشَّامِ ، وَهَنَا تَأَثَّرَتِ التَّجَارَةُ الْقَرَشِيَّةُ ، فَأَرْسَلَ  
 الْمَشْرُوكُونَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَنَاشِدُونَهُ بِاللَّهِ وَالرَّحْمِ لَمَّا أَرْسَلَ إِلَى أَبِي جَنْدَلِ  
 وَأَبِي بَصِيرٍ وَمَنْ مَعَهُمَا ، وَمَنْ آتَاهُ مِنْهُمْ فَهُوَ آمِنٌ ، وَبِالْثَّلَاثِ تَخَلَّوْا عَنْ أَقْسَى  
 شُرُوطِهِمْ فِي الْحَدِيْبِيَّةِ ، وَنَصَرَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا ، وَفَرَجَ عَنْ  
 أَبِي جَنْدَلِ بَوَقْتَ غَيْرِ بَعِيدٍ ، وَأَضْحَى السَّيِّدُ الْمَسُوْدُ ، وَالْفَارِسُ الَّذِي يَخْشَاهُ  
 أَبُوهُ وَتَخْشَاهُ قَرِيْشٌ .

(١) « تغريدة السيرة النبوية » ( ٣ / ٢٩٢ ) .

\* وقد رسمَ أحمدَ محرّمَ بريشتهِ السّاحرة جانباً من قصّة  
أبي جندل - رضي الله عنه - فقال :

يا أبا جندلٍ عليك سلامٌ      جئتَ بالخيَلِ ترجمُ الأرضَ رَجْمًا  
اغْتَفِرْ ما جنى أبوك سهيلاً      يومَ يطنى عليك ضرباً ولَطْمًا  
إنّما الصّابرون أوفى نصيباً      يا أبا جندل وأوفرُ قسماً  
إنّ في حكمة الرسول لذكرى      لليبِ أصاب عقلاً وفهماً  
إنّ للحقّ بعدَ لينٍ وضعفٍ      قوّة تحسمُ الأباطيلَ حسماً<sup>(١)</sup>

\* ودار العامُ ، وهَلْ هلال شهر ذي القعدة من السنّة السّابعة للهجرة ،  
وهو الشّهرُ الذي صدّ المشركون فيه رسولَ الله ﷺ عن المسجد الحرام ،  
فأمر ﷺ أصحابه أن يعتمروا ، وألا يتخلّف أحد ممّن شهد الحديبية .

\* ودخل رسولُ الله ﷺ والذين معه مكّة ، وطافوا بالبيت ، وهم يلبّون  
تلبية التّوحيد ، وخرج كبراء القوم المشركين إلى ظاهر الحرم وفيهم سهيلُ بنُ  
عمرو حتّى لا يروا جموع المسلمين يعبدون الله وحده لا شريك له ، ويسبّحون  
بحمده ، وهم يهتفون : « لا إله إلا الله وحده ، نصّر عبده ، وأعزّ جنده ،  
وهزم الأحزاب وحده » .

\* دخل الحبيبُ المصطفى ﷺ إلى الكعبة ، ولم يزل حتّى أدن بلال فوق  
ظهرها بصوتٍ شجي استجابت له قلوب المؤمنين ، ورددت النّغم البِلالي  
السّاحر : الله أكبر ، الله أكبر . . . . وراح السّاداتُ القرشيّون يعجبون وهم  
ينظرون إلى مؤدّن النبيّ ﷺ وهو على الكعبة المشرفة ، وكادوا يصعقون وهم  
يسمعون نداء التّوحيد الخالد ، وكاد يغمى على الحارثِ بنِ هشام ،  
وعكرمة بنِ أبي جهل ، وصفوان بنِ أميّة ، وخالد بن أسيد ، وكلّ واحد منهم  
حمد الله - عزّ وجلّ - الذي أذهب أباه كيلاً يرى هذا المشهد ويسمع صوت

(١) « ديوان مجد الإسلام » لأحمد محرّم (ص : ٢٩٥ - ٢٩٧) بانتقاء .

هذا العبد ؛ أما خطيبُ قريش وسفيرها ورجال معه من طبقته ، فحين سمعوا الأذان غطّوا وجوههم (١) .

\* قضى المسلمون مناسك عمرتهم هذه ، وانقضت الأيام الثلاثة ، وكان الحبيب الأعظم ﷺ مع الأنصار يتحدث مع سيّدنا السّخيّ النّجيب سعد بن عبادة ، فجاء إليه سهيلُ بن عمرو ، وحويطُ بن عبد العزّي في نفر من قريش ، فقال : « قد انقضى أجلُّك ، فاخرج عنّا ! نشدك الله يا محمّدُ والعهد الذي بيننا وبينك إلاّ خرجت من أرضنا ؛ فهذه الثّلاث قد مضت » .

\* وغضب سيّدنا سعدُ بن عبادة غضبةً خزرجيّةً ، لما رأى من غلظة كلامهم للحبيب الأعظم ﷺ ، فالتفت إلى سهيلِ بن عمرو وقال له : « كذبت لا أمّ لك ، ليست بأرضك ولا أرض أبيك ! والله لا يبرح منها رسول الله ﷺ إلا طائعا راضيا » . فتبسّم الحبيب الأعظم ﷺ ابتسامةً لطيفةً جميلةً ، وأشرق وجهه المنيرُ إشراقةَ الشّمس في وضح النّهار ، ثمّ قال لسيّدنا سعد بن عبادة : « يا سعدُ ، لا تؤذ قوماً زارونا في رحالنا » (٢) .

\* لقد فعلت الأيام الثلاثة التي قضاها المسلمون في مكّة فعلتها الرّبيعيّة في قلوب المشركين فأزهرت ، ثم أثمرت وأينعت ، وأيقظت نفوسهم من سباتها ، وحرّكت ضمائرهم من غفلاتها ، فأخذوا يرصدون حركات المسلمين ، ويرقبون صلواتهم بدقّة تامّة ، ويلقون السّمع إلى القرآن الكريم ، فتأثّر كثيرون ، وكادوا يلتقون المسلمين لينهلوا من ينبوع الصّافي الرّقراق ؛ الذي هفّت إليه الأفئدة من الأعماق ، ولكنّ الخوف الاجتماعي والقالة ، والحسد ، هذه الأشياء كلّها لا تزال تسيطر على الشّطر الأكبر من أهل مكّة ، إلاّ أنّ هذه العمرة تركت بصماتٍ واضحاتٍ في النفوس القرشيّة ، وهياتها للفتح الأكبر فتح القلوب والضمائر الحيّة ، وكان من بين الذين فتح الله عليهم

(١) « المغازي » ( ٢ / ٨٣٨ ) بشيء من التصرف .

(٢) « المغازي » ( ٢ / ٧٣٩ - ٧٤٠ ) بشيء من التّصرّف والاختصار .

بالإسلام وأنار بصيرتهم ، سيّدنا سهيل بن عمرو الذي غدا مثلاً يحتذى في الإيمان .

### حلول الهداية في قلب سهيل :

\* كان يوم الفتح يومَ هدايةٍ وخير على القرشيين خصيصي ، وعلى الدنيا والبشريّة كلّها عامة ؛ إذ فتح الله - عزّ وجلّ - به قلوباً غُلفاً ، وأعيناً عمياً ، وأنفساً مستكبرة ، وعلى الرّغم من أنّ سيّدنا سهيلاً ، وصفوان بن أمية ، وعكرمة بن أبي جهل ، قد دعوا إلى قتال المسلمين ، وتلبّسوا السّلاح ، وأقسموا بالله أغلظ الإيمان بالأل يدخل محمّد ﷺ مكة عنوةً أبداً ، إلا أنّ تجمّعهم قد بدّده سيّدنا خالد بن الوليد - رضي الله عنه - ، وفرّ صفوان وفرّ عكرمة ، وأبو يزيد سهيل بن عمرو وعددٌ من كبراء القوم ، فقد جاء الحقّ وزهق الباطل ، إنّ الباطل كان زهوقاً .

\* لم يمض وقتٌ كبيرٌ حتّى تحرّكت ألسنُ هؤلاء بشهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمّداً رسولُ الله ، ودخل النَّاس في دين الله أفواجا ، ولسان حال كلّ واحد منهم يقول :

فاليوم آمنَ بالتّبيّ محمّد      قلبي ومخطئى هذه محروم  
مضتِ العداوة وانقضت أسبابها      ودعت أواصرُ بيننا وحلوم  
أعطاك بعد محبة برهانه      شرفاً وبرهانُ الإله عظيم

\* وحلّت الهداية قلب سيّدنا سهيل بن عمرو ، فحينما سمع بلال بن رباح يؤدّن فوق الكعبة لم يعترض كغيره ، وإنّما قال بلسان اليقين والتّعقل : « إن كان هذا سخط الله فسيغيره ، وإن كان رضاء الله فسيقرّه » (١) .

---

(١) « المغازي » ( ٢ / ٨٤٦ ) ، بينما قال أبو سفيان يومها : « أمّا أنا فلا أقول شيئاً ، لو قلت شيئاً لأخبرته هذه الحصباء » ، فأتى جبريل ﷺ رسول الله ﷺ فأخبره =

\* ويسرُدُ لنا سيّدنا سهيل كيف التقت يمينه يمين الحبيب الأعظم ﷺ مبايعةً ، فيقول : « لَمَّا دَخَلَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ وَظَهَرَ ، دَخَلْتُ بَيْتِي ، وَأَغْلَقْتُ عَلَيَّ بَابِي ، وَأرْسَلْتُ إِلَى ابْنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُهَيْلٍ أَنْ أَطْلُبَ لِي جَوَاراً مِنْ مُحَمَّدٍ ، وَإِنِّي لَا أَمْنُ أَنْ أُقْتَلَ . وَجَعَلْتُ أَتَذَكَّرُ أَثْرِي عِنْدَ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ ، فَلَيْسَ أَحَدٌ أَسْوَأَ أَثْراً مِنِّي ، وَإِنِّي لَقَيْتُ رَسولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ بِمَا لَمْ يَلْقَهُ أَحَدٌ ، وَكُنْتُ الَّذِي كَاتَبْتَهُ ، مَعَ حَضوري بَدراً وَأَحَدًا ، وَكَلَّمَا تَحَرَّكَتْ قَرِيشٌ كُنْتُ فِيهَا . فَذَهَبَ ابْنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سُهَيْلٍ إِلَى رَسولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسولَ اللَّهِ تَوَمَّنْه ؟

فقال ﷺ : « نعم ، هو آمنٌ بأمانِ الله ، فَلْيُظْهَرْ » .

ثم قال رسولُ الله ﷺ لمن حوله : « مَنْ لَقِيَ سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو فَلَا يُشَدُّ النَّظْرَ إِلَيْهِ ، فَلْيُخْرِجْ ، فَلَعَمْرِي إِنَّ سُهَيْلاً لَهُ عَقْلٌ وَشَرَفٌ ، وَمَا مِثْلُ سُهَيْلٍ جَهْلَ الْإِسْلَامِ ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ مَا كَانَ يَوْضَعُ فِيهِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ بِنَافِعٍ » (١) .

\* خرج عبدُ الله بنُ سُهَيْلٍ إلى أبيه ، فأخبره بمقالة رسولِ الله ﷺ ، فقال سهيلٌ : « كان واللهِ بَرًّا صَغِيرًا وَكَبِيرًا » فكان سهيلٌ يقبلُ ويدبرُ ، وخرجَ إلى حنين مع النَّبِيِّ ﷺ وهو على شركه ، حتَّى أسلمَ بِالْجَعْرَانَةِ ، وَأَعْطَاهُ الْحَبِيبُ الْمُصْطَفَى ﷺ مِئَةَ بَعِيرٍ (٢) .

\* وذكر ابنُ عساکر رَحِمَهُ اللهُ : « أَنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا فَتَحَ مَكَّةَ ، دَخَلَ الْبَيْتَ ، فَصَلَّى بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ ، ثُمَّ وَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى عِضَادَتِي الْبَابِ ،

= خبرهم . « المغازي » ( ٢ / ٨٤٦ ) .

(١) « المغازي » ( ٢ / ٨٤٦ - ٨٤٧ ) بتصرف يسير . وانظر : « مختصر تاريخ دمشق » ( ١٠ / ٢٣٤ ) .

(٢) « المغازي » ( ٣ / ٩٤٦ ) ، و« تفسير القرطبي » ( ٨ / ١٧٩ ) ، و« البداية والنهاية » ( ٤ / ٣٥٧ - ٣٦٠ ) .

فقال : « لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، ماذا تقولون ؟ وماذا تظنون ؟ » .

فقال سهيل بن عمرو : نقولُ خيراً ، ونظنُّ خيراً ، أخُ كريمٌ ، وابنُ أخِ كريمٍ ، وقد قدّرت .

قال : « فَإِنِّي أَقُولُ كَمَا قَالَ أَخِي يُوسُفُ : ﴿ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَعْرِضُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [يوسف : ٩٢] أَلَا إِنَّ كُلَّ دَمٍ وَمَالٍ وَمَأْتِرَةٌ كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمِي إِلَّا سِدَانَةَ الْبَيْتِ ، وَسَقَايَةَ الْحَاجِّ » <sup>(١)</sup> .

\* سرّت أنسامُ الإيمانِ في رُوحِ سيّدنا سهيلِ بنِ عمرو ، وتفاعَل مع دينِ الله تفاعلاً عجبياً ، وأصبحَ من المُخْبِتِينَ من الذين إذا ذكّر الله وجلّت قلوبُهم ، وإذا تُليت عليهم آياته زادتُهم إيماناً .

\* عن هذه الأحوال الصّافية أورد سعيدُ بنُ مسلم بعض أخبار سهيل - رضي الله عنه - فقال : « لم يكن أحدٌ من كبراء قريش الذين تأخّر إسلامُهم ، فأسلموا يوم فتح مكّة ، أكثر صلاةً ولا صوماً ولا صدقةً ، ولا أقبلَ عليّ ما يعينه من أمرِ الآخرة من سهيلِ بنِ عمرو ، حتّى شحب لونه ، وتغيّر ، وكان كثيرَ البكاء رقيقاً عند قراءة القرآن ، لقد رُئي يَخْتَلِفُ إلى معاذِ بنِ جبل ، يُقرئه القرآن ، وهو يبكي حتّى خرج معاذ من مكّة ، وحتّى قال له ضراؤُ بنُ الخطّاب : يا أبا يزيد تختلفُ إلى هذا الخزرجيّ يقرئك القرآن ! ألا يكون اختلافك إلى رجلٍ من قومك من قريش ؟ »

فقال سهيلٌ : يا ضراؤُ ! هذا الذي صنعَ بنا ما صنعَ حتّى سُبِقْنَا كُلَّ السَّبِقِ ، لعمري أختلفُ إليه ، وقد وضع الإسلام أمرَ الجاهليّة ، ورفع الله أقواماً بالإسلام كانوا في الجاهليّة لا يذكرُون ، فليتنا كُنَّا مع أولئك فتقدّمنا ، وإِنِّي لأذكرُ ما قسمَ اللهُ لي في تقدّمِ إسلامِ أهلِ بيتي الرّجال والنساء ، مولاي

(١) « مختصر تاريخ دمشق » ( ١٠ / ٢٣٣ - ٢٣٤ ) ، وانظر : « شرح حياة الصّحابة »

( ١ / ٣١٥ ) ، و« الإصابة » ( ٢ / ٩٢ ) .

عُمَيْرُ بْنُ عَوْفٍ فَأَسْرَرَ بِهِ ، وَأَحْمَدُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ اللَّهُ نَفَعَنِي  
 بدعائهم ، أَلَا أَكُونُ مَثًّا عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ نُظْرَائِي ، وَقُتِلُوا ، قَدْ شَهِدْتَ  
 مواطنَ كُلِّهَا أَنَا فِيهَا مُعَانِدٌ لِلْحَقِّ : يَوْمَ بَدْرٍ ، وَيَوْمَ أُحُدٍ ، وَالْخَنْدَقِ ؛ وَأَنَا  
 وَلَيْتَ أَمَرَ الْكِتَابِ يَوْمَ الْحَدِيبَةِ .

يَا ضِرَارُ ! إِنِّي لِأَذْكُرُ مِرَاجِعَتِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ ، وَمَا كُنْتُ أَلْزَمُ بِهِ  
 مِنَ الْبَاطِلِ ، فَأَسْتَحِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَأَنَا بِمَكَّةَ وَهُوَ بِالْمَدِينَةِ ، وَلَكِنْ  
 مَا كَانَ فِيْنَا مِنَ الشُّرْكَ أَعْظَمَ مِنْ ذَلِكَ ، وَلَقَدْ رَأَيْتَنِي يَوْمَ بَدْرٍ ، وَأَنَا فِي حَيْزِ  
 الْمُشْرِكِينَ ، وَأَنْظَرْتُ إِلَى ابْنِي عَبْدِ اللَّهِ ، وَمَوْلَايَ عُمَيْرِ بْنِ عَوْفٍ قَدْ فَرَّأَ مَنِّي  
 فَصَارَا فِي حَيْزِ مُحَمَّدٍ ، وَمَا عَمِيَ عَلَيَّ يَوْمَئِذٍ مِنَ الْحَقِّ ، لَمَّا أَنَا فِيهِ مِنَ  
 الْجَهَالَةِ ، وَمَا أَرَادَهُمَا اللَّهُ بِهِ مِنَ الْخَيْرِ ، ثُمَّ قُتِلَ ابْنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سُهَيْلٍ يَوْمَ  
 الْيَمَامَةِ شَهِيدًا ، عَزَّانِي بِهِ أَبُو بَكْرٍ ، وَقَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ الشَّهِيدَ  
 لِيَشْفَعُ لِسَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ » ، فَأَنَا أَرْجُو أَنْ يَكُونَ أَوَّلَ مَنْ يَشْفَعُ لَهُ « (١) .

\* وَكَانَ سَيِّدُنَا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ - يَقُولُ : « مَا كَانَ فَتْحُ  
 أَعْظَمَ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ فَتْحِ الْحَدِيبَةِ ، وَلَكِنَّ النَّاسَ يَوْمَئِذٍ قَصُرَ رَأْيُهُمْ عَمَّا كَانَ  
 بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَرَبِّهِ ، وَالْعِبَادُ يَعَجَلُونَ ، وَاللَّهُ لَا يَعْجَلُ كَعَجَلَةِ الْعِبَادِ حَتَّى يَبْلُغَ  
 الْأُمُورَ مَا أَرَادَ ، لَقَدْ نَظَرْتُ إِلَى سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو فِي حِجَّةِ الْوُدَاعِ قَائِمًا عِنْدَ  
 الْمَنْحَرِ ، يَقْرَبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هَدِيَةً ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْحَرُهَا بِيَدِهِ ، وَدَعَا  
 الْحَلَّاقَ فَحَلَقَ رَأْسَهُ ، وَنَظَرَ إِلَى سُهَيْلٍ يَلْقُطُ مِنْ شَعْرِهِ ، وَأَرَاهُ يَضَعُهُ عَلَى  
 عَيْنَيْهِ ، وَأَذْكُرُ إِبَاءَهُ أَنْ يَقَرَّ يَوْمَ الْحَدِيبَةِ بِأَنْ يَكْتُبَ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ  
 الرَّحِيمِ ، وَيَأْبَى أَنْ يَكْتُبَ مُحَمَّدَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَحَمَدْتُ اللَّهَ الَّذِي هَدَانِي  
 لِلْإِسْلَامِ ، وَصَلَوَاتِ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ عَلَى نَبِيِّ الرَّحْمَةِ الَّذِي هَدَانَا بِهِ ، وَأَنْقَذَنَا بِهِ مِنَ  
 الْهَلَكَةِ » (٢) .

(١) « مختصر تاريخ دمشق » ( ١٠ / ٢٣٤ - ٢٣٥ ) ، و« أسد الغابة » ( ٢ / ٣٢٩ ) .

(٢) « مختصر تاريخ دمشق » ( ١٠ / ٢٣٥ ) .



\* وممّا يدلُّ على صدقِ سيّدنا سهيل - رضي الله عنه - ما رواه سفيانُ الثوريّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : « حضرَ بابَ عمرَ بنِ الخطّابِ جماعةٌ من مشيخة الفتح وغيرهم ، فيهم سهيلُ بنُ عمرو ، وعيينةُ بنُ حصن ، والأقرعُ بنُ حابس رضي الله عنهم ، فخرجَ الإذن : أين صهيب ؟ أين عمّار ؟ أين سلمان ؟ ليدخلوا ، فتمعّرت - تغيّرت - وجوه القوم ، فقال سهيل : لِمَ تمعر وجوهكم ؟ دُعُوا ودُعينا ، فأسرعوا وأبطأنا ، فلئن حسدتموهم على باب عمر ، فما أعدَّ اللهُ لهم في الجنّة أكثر من هذا » (١) .

\* ولذلك كان سيّدنا سهيلُ يكثر من قوله : « والله ! لا أدعُ موقفاً وقفته مع المشركين على رسولِ الله ﷺ ، إلا وقفت على المشركين مثله ، ولا أنفقت

(١) المصدر السابق ( ١٠ / ٢٣٦ ) ؛ وذكر ابن الأثير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هذه القصةَ على التّحوّ الآتي : عن الحسن قال : « حضر النَّاسُ بابَ عمر بن الخطّابِ - رضي الله عنه - ، وفيهم سهيلُ بنُ عمرو ، وأبو سفيان بنُ حرب ، والحارثُ بنُ هشام ، وأولئك الشيوخ من مُسلمة الفتح ، فخرجَ أذنه ، فجعل يأذنُ لأهل بدر كصهيب ، وبلال ، وعمّار ، وأهل بدر ، وكان يحبُّهم ، فقال أبو سفيان : ما رأيتُ كالיום قطّ ، إنّه ليؤذَن لهؤلاء العبيد ، ونحنُ جلوس لا يلتفت إلينا ؟ !

فقال سهيلُ بنُ عمرو : - قال الحسن البصريّ : وياله من رجل ، ما كان أعقله ! - أيّها القوم ! إنّي والله قد أرى ما في وجوهكم ، فإن كنتم غضاباً فاغضبوا على أنفسكم ، دُعي القوم ودُعيتم ، فأسرعوا وأبطأتم ، أما والله لما سبقوكم به من الفضل أشدّ عليكم فواتاً من بابكم هذا الذي تنافسون عليه .

ثمّ قال : أيّها النَّاس ! إنّ هؤلاء سبقوكم بما ترون ، فلا سبيلَ والله إلى ما سبقوكم إليه ، فانظروا لهذا الجهاد فالزموه ، عسى اللهُ أن يرزقكم الشّهادة ، ثمّ نفص ثوبه ، فقام ، فلحقَ بالشّام . « أسد الغابة » ( ٢ / ٣٢٨ ) ، و « التّبيين » ( ص : ٤٢٣ ) .

قال الحسن : « صدق سهيلُ والله ، لا يجعلُ اللهُ عبداً أسرع إليه ، كعبيدِ أبطأ عنه » . « المعجم الكبير » ( ٦ / ٢١١ - ٢١٢ ) برقم : ( ٦٠٣٨ ) .

نفقة مع المشركين على رسول الله ﷺ ، إلا أنفقت على المشركين مثله » (١) .

\* طبق سيدنا سهيل - رضي الله عنه - ما قاله عملياً ، فقد روى أبو سعد بن أبي فضالة الأنصاري ، وكان له صحبة ، قال : « اصطحبت أنا وسهيل بن عمرو إلى الشام ليالي أغزانا أبو بكر الصديق ، فسمعت سهيلاً يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مقام أحدكم في سبيل الله ساعة خير من عمله عمره في أهله » . قال سهيل : « وأنا أربط حتى أموت ، ولا أرجع إلى مكة أبداً ، فلم يزل بالشام حتى مات بها في طاعون عمواس سنة ثمان عشرة في خلافة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - » (٢) .

\* كانت المواقف السهيلية ذات ألق خاص بعد إسلامه ، فقد كان سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قد قال لسيدنا رسول الله ﷺ يوم بدر وسهيل أسير : « دعني أنزع ثيبي حتى يدلع - يخرج - لسانه فلا يقوم عليك خطيباً أبداً » . فقال رسول الله ﷺ لعمر : « لعله يقوم مقاماً تحمده » . فأسلم سهيل في الفتح ، وقام بعد ذلك بمكة خطيباً حين توفي رسول الله ﷺ ، وماج أهل مكة ، وكادوا يرتدون ، فقام فيهم سهيل بمثل خطبة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - بالمدينة ، كأنه يسمعها ، فسكن الناس ، وقبلوا منه .

\* قال ابن هشام رحمه الله : « إن أكثر أهل مكة لما توفي رسول الله ﷺ همو بالرجوع عن الإسلام ، وأرادوا ذلك حتى خافهم عتاب بن أسيد - رضي الله عنه - ، فتوارى ، فقام سهيل بن عمرو - رضي الله عنه - ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وذكر وفاة رسول الله ﷺ وقال : إن ذلك لم يزد الإسلام إلا قوة ، فمن ربنا ضربنا عنقه ، فراجع الناس ، وكفوا عما هموا

(١) « مختصر تاريخ دمشق » (١٠ / ٢٣٧) .

(٢) « مختصر تاريخ دمشق » (١٠ / ٢٣٠) ، و« شرح حياة الصحابة »

(١ / ٦٩٩ - ٧٠٠) ، و« الإصابة » (٢ / ٩٣) .

به ، فظهر عتابُ بنُ أسيد . فهذا المقامُ الذي أراد رسولُ الله ﷺ في قوله لعمر بن الخطَّاب - يعني : حين أشار بقلع ثنيتِه حين وقع في الأسارى يوم بدر - « إنَّه عسى أن يقومَ مقاماً لا تدمته » (١) .

\* نقل شاهدُ عيان خطبةَ سيِّدنا سهيل - رضي الله عنه - ؛ ومقامه الموقِّق بمكة عقب وفاة النَّبِيِّ ﷺ ، وهذا الشَّاهد هو أبو عمرو بن عدِيّ بن الحمراء الخزاعي ، قال : « نظرتُ إلى سهيل بن عمرو يوم جاء نعي رسولِ الله ﷺ إلى مكة ، وقد تقلَّد السَّيف ، ثمَّ قام خطيباً بخطبة أبي بكر التي خُطبت بالمدينة كأنَّه كان يسمعها ، فقال : أيُّها النَّاس ! مَنْ كان يعبدُ محمداً فإنَّ محمداً قد مات ، ومَنْ كان يعبدُ الله فإنَّ الله حيٌّ لا يموت ، وقد نعى اللهُ نبيَّكم إليكم ، وهو بين أظهركم ، ونعاكم إلى أنفسكم فهو الموت حتَّى لا يبقى أحد ، ألم تعلموا أنَّ الله قال : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠] ، وقال : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾ [آل عمران : ١٤٤] ، وقال : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ [آل عمران : ١٨٥] ، والأنبياء : ٣٥ ، والعنكبوت : ٥٧ ] ، ثمَّ تلا : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص : ٨٨] ، فاتَّقوا الله ، واعتصموا بدينكم ، وتوكلوا على ربِّكم ، فإنَّ دينَ الله قائم ، وكلمة الله تامَّة ، وإنَّ الله ناصرٌ مَنْ نصره ، ومعزُّ دينه ، وقد جمعكم اللهُ على خيركم ، فلمَّا بلغَ عمرُ كلام سهيل بمكة قال : أشهدُ أنَّ محمداً رسولُ الله ، وأنَّ ما جاء به حقٌّ ، هذا هو المقامُ الذي عنى رسولُ الله ﷺ حين قال : « لعلَّه يقومُ مقاماً لا تكرهه » (٢) .

(١) « البداية والنهاية » ( ٢٧٩ / ٥ ) ، و« مختصر تاريخ دمشق » ( ١٠ / ٢٣٢ ) مع الجمع بينهما .

(٢) « مختصر تاريخ دمشق » ( ١٠ / ٢٣٦ ) ، وهاكم هذه التَّغريدة التي تداعبُ المشاعر ، وتوقظُها ، وهي ترسمُ خطبةَ سيِّدنا سهيل بن عمرو - رضي الله عنه - في أهل مكة عقب وفاة الحبيب المصطفى ﷺ :

\* قال الزبير بن بكار : « كان سهيلٌ بعدُ كثيرَ الصَّلاةِ والصَّومِ والصَّدقةِ ، وخرجَ بجماعته إلى الشَّامِ مجاهداً ، وقيل إنَّه صامَ وقامَ حتَّى شحِبَ لونه وتغيَّرَ ، وكان كثيرَ البُكاءِ عند قراءة القرآن » (١) .

\* روى عن سيِّدنا سهيل يزيْدُ بنُ عميرة الزَّبيديِّ ، وغيره عن النَّبيِّ ﷺ ، واستشهد سهيل يوم اليرموك ، وكان أميراً على كردوس يومذاك ، وقيل : إنَّه توفي بطاعون عمواس .

\* قال ابنُ الأعرابي : « استشهد باليرموك : عكرمةُ بنُ أبي جهلٍ ، وسهيلُ بنُ عمرو ، والحارثُ بنُ هشام ، وجماعةٌ من بني المغيرة ، فأتوا بماء ، وهم صرعى ، فتدافعوه حتَّى ماتوا ولم يدوقوه . قال : أتى عكرمةُ بالماء فنظر إلى سهيل بن عمرو ينظرُ إليه ، فقال : ابدؤوا بذا ، فنظر سهيلُ إلى الحارثِ بنِ هشام ينظرُ إليه ، فقال : ابدؤوا بهذا ، فماتوا كلهم قبل أن

عن أهلِ مَكَّةَ لا تَسَلُّ قَدِ اسْلَمُوا متكاسلين  
 في فَتْحِ مَكَّةَ أعلنوا الإسلامَ لكنْ كارهين  
 منْ بعد موتِ المصطفى هَمَّوا بكفرِ مُعَلِّنين  
 لكنْ سهيلٌ قامَ يخطُبُ كي يردَّ المخطئين  
 بالحمدِ قد بدأ الحديثَ وبالثناءِ الكاملين  
 منْ قولهِ الموتِ حقٌّ لن نكونَ مخلَّدين  
 المصطفى قد ماتَ حيثُ أجابَ ربَّ العالمين  
 وبموته لالْنُ يكونَ الدِّينُ في المُستضعفين  
 بل إنَّه سيكونُ أقوى فلتكونوا فاهمين  
 منْ رابنَا فلَسوفَ نقتله كقتل المشركين  
 النَّاسُ عادوا للصَّوابِ لأنَّه قول مبین  
 هذا مقامٌ قال عنه المصطفى في السابقين

(١) « تاريخ الإسلام » للذهبي ( عهد الخلفاء الرَّاشدين ، ص : ١٥١ ) .

يشربوا ، فمَرَّ بهم خالد بن الوليد فقال : بنفسِي أنتم « (١) .

\* وَبَعْدُ ؛ عَزِيزِي الْقَارِيءُ ؛ مَحَبَّ الصَّحَابَةِ ؛ هَذَا هُوَ سَيِّدُنَا سَهِيلُ بْنُ  
عَمْرٍو الرَّجُلِ الْفَدُّ الَّذِي تَدَارَكْتُهُ الْعِنَايَةُ الْإِلَهِيَّةُ وَصَقَلْتَهُ فَجَعَلْتَهُ مِنْ مَشَاهِيرِ  
الرِّجَالِ ، الَّذِينَ يَسْبَحُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوِ وَالْأَصَالِ ، فَرَضِي اللَّهُ عَنْهُ ، وَحَشَرْنَا فِي  
مَعِيَتِهِ وَقَدْ رَضِيَ عَنَّا وَغَفَرَ لَنَا .



---

(١) « مختصر تاريخ دمشق » ( ١٠ / ٢٣٧ ) .

رفع  
عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس  
www.moswarat.com

# صفوان بن أمية

رضي الله عنه

- \* ظلَّ يعانِدُ الإسلامَ عشرينَ عاماً ؛ ثمَّ فتحَ اللهُ عليه عامَ الفتحِ .
- \* صحابي شريفٌ حصيفٌ ، كريمٌ جوادٌ صَقَلَهُ الإسلامُ .
- \* أكرمَه النَّبِيُّ ﷺ وأعطاه ، وله آثارٌ جليلةٌ ومحامدٌ نبيلةٌ .

رَفَعُ  
عبد الرحمن العجوي  
أسكنه الله الفردوس  
[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)



## صفوان بن أمية رضي الله عنه

مشيئةُ الله :

\* مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ سَيَعْدُو أَحَدَ الْأَصْحَابِ الْأَخْيَارِ الَّذِينَ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ؟

\* مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ السَّيِّدَ النَّرِيَّ ؛ الَّذِي كَانَ مِنْ سَادَاتِ الْمُشْرِكِينَ ؛ سَيَكُونُ مَمَّنْ حَفَّتْهُمُ عَنَايَةُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَانْتَضَمُوا فِي سَلْكِ الْمُؤْمِنِينَ ؟

\* عَشْرُونَ عَامًا وَأَكْثَرُ ظَلَّ يَقِفُ وَقَفَةَ الْمُعَانِدِينَ لِنَبِيِّ الْإِسْلَامِ ﷺ ، وَلرِجَالِ الْإِسْلَامِ ؛ وَلِكُلِّ مَنْ هُدِيَ إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَإِلَى كَلَامِ رَبِّ الْأَنَامِ ؛ وَلَكِنَّ مَشِيئَةَ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَرَحْمَتَهُ جَعَلْتَهُ مِنْ رِجَالِ عَصْرِ النُّبُوَّةِ الْكِرَامِ ذَوِي الشَّانِ وَالنَّبَاهَةِ وَحَسَنِ الْخَتَامِ .

\* هَلْ تَصَدِّقُونَ أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ هُوَ الَّذِي رَسَمَ خَطَّةً وَبَيْئَةً قَمِيئَةً لِاغْتِيَالِ الصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ ﷺ وَهُوَ فِي الْمَدِينَةِ بَيْنَ أَصْحَابِهِ الْكِرَامِ ؟ وَهَلْ تَصَدِّقُونَ أَنَّهُ كَلَّفَ ابْنَ عَمِّهِ عُمَيْرَ بْنَ وَهَبِ الْجَمْحَمِيِّ <sup>(١)</sup> بِتَنْفِيذِهَا بَعْدَ أَنْ وَعَدَهُ أَنْ يَكْفَلَ عِيَالَهُ وَأَهْلَهُ مَدَى مَرُورِ الْأَيَّامِ وَالْأَعْوَامِ ؟

---

(١) اقرأ سيرة عمير بن وهب - رضي الله عنه - في الباب الرابع من هذا الكتاب ، فسيرته نزهة في روض رياحين .

\* هذا الرَّجُلُ قُتِلَ أبوه وأخوه عليٌّ يوم بدرٍ بأيدي المسلمين ؛ الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه وكانوا مخلصين صادقين ، بل إنَّ أباه قتله أحدُ المستضعفين ؛ وكان أبوه يذيقه ألواناً من العذاب المهين ، وصبرَ حتَّى ظفَرَ به يوم بدر ، فهبَّره وابنه علياً مع أنصار الله بالسُّيوف ، وجعلوهما كهشيم المُحتظر ، إنَّهما أميَّةُ بنِ خلف<sup>(١)</sup> ، وابنه عليُّ بنُ أمية بن خلف ، وأمَّا الذي بصَّرَ بهما ، وجعل الأنصار يهَبِّرونهما ، فهو سيِّدنا بلالُ بنُ رباح صاحب الصَّوت النَّدي الشَّجيِّ ؛ الذي ينسابُ في الآذان ، وينسكبُ نعيماً في القلوب ، فيوقظُها لتحيًا بين يدي علام الغيوب ، وتسبِّحه قبل الشمس وقبل الغروب .

\* كما أنَّ عمَّه أبيَّ بن خلف<sup>(٢)</sup> كان من أكابر المجرمين الأشرار ، قتله النَّبِيُّ ﷺ يوم أحد ؛ إذ قذفه بحربةٍ كسرت ضلعاً من أضلاعه ، وهلك وهو راجعٌ إلى مكة ، يحملُ أشدَّ الغضب الإلهيِّ ؛ لأنَّ رسولَ الله ﷺ قتله في سبيل الله ، وفيه يقول سيِّدنا حسَّان بن ثابت - رضي الله عنه - من أبيات :

ألا مَنْ مبلغُ عني أياً      لقد أُلقيتَ في سُحقِ السَّعيرِ  
فقد لاقتك طعنةٌ ذي حفاظٍ      كريم البيت ليس بذِي فجورِ  
له فضلٌ على الأحياء طراً      إذا نابث ملَمَّاتُ الأمور<sup>(٣)</sup>

\* أغلبُ الظَّنُّ أنَّكم عرفتم هذا الرَّجُلَ الذي حفَّته عناية الله تعالى ! إنَّه

(١) اقرأ سيرة هذا الفاجر الأثيم في كتابنا : « المبشرون بالنار » ( ص : ٤٥ - ٧٠ ) ، ولاحظ نهاية هذا الهمزة اللمزة الذي يُبد في الحطمة ، ولم يتفعه مالٌ ولا بنون .

(٢) اقرأ سيرة هذا الحاقد الكفور في كتابنا : « المبشرون بالنار » ( ص : ٢٢٢ - ٢٤٠ ) ، ولاحظ نهاية هذا الشقي السَّاخر ؛ وكيف أكبه الله على منخره في النار .

(٣) « ديوان حسَّان بن ثابت » ( ١ / ٤٩٠ ) طبعة دار صادر المحققة .

صفوانُ بنُ أميَّةَ بنِ خلفِ بنِ وهبِ القُرشيِّ الجمحيِّ المكيِّ<sup>(١)</sup> الذي أسلم عام فتح مكَّة ، وروى أحاديث ، وشهدَ اليرموك وهو أميرٌ علىِ كردوس ، ووفدَ علىِ معاويةَ - رضي اللهُ عنه - وأقطعه الرُّقاقَ المعروف بزقاق صفوان .

\* كان صفوانُ بنُ أميَّةَ من كُبراءِ قريشِ وأعيانِ الأثرياءِ فيها ، وكان سيِّد بني جُمَح .

\* قال أبو عبيدة عن ثرائه الواسع : « قالوا : إنَّ صفوانَ بنَ أميَّةَ قنَطَرُ في الجاهليَّةِ ، إلى أن صار له قنطارٌ من الذهب ، وكذلك أبوه »<sup>(٢)</sup> .

### صفوانُ والمجدُّ المؤثَّلُ :

\* على الرِّغم من أنَّ أميَّةَ بنَ خلفِ والدِ سيِّدنا صفوان من كبار مجرمي الكفَّار الذين جابهوا دعوةَ الإسلامِ بقواهم كلِّها ، وأنَّه قُتِلَ مع أبي جهلٍ في بدر ، إلا أنَّ هذا لم يمنعه من أن يكون شريفاً من أكابر من انتهى إليهم الشرفُ من قريش . وينبغي أن نتذكَّر أنَّ الحسدَ والبغِيَّ والظلم جعلت أباه أميَّةَ في الدَّرِكِ الأسفل من النَّارِ ، ومن فئمة المستهزئين الذين خسروا في الدَّارين ، نعوذُ بالله من الحسد ؛ وممَّا يجرُّ إليه هذا الدَّاءُ الدِّفينُ الخطيرُ .

\* قال معروفُ بنُ خَرَّبُودَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « من انتهى إليه الشرفُ من قريش فوصله الإسلام ، عشرة نَفَرٍ من عشرة بطون : من هاشم ، وأميَّةَ ، ونوفل ،

---

(١) « طبقات ابن سعد » ( ٥ / ٤٤٩ ) ، و« سيرُ أعلام النبلاء » ( ٢ / ٥٦٢ - ٥٦٧ ) ، و« تهذيب التَّهذيب » ( ٤ / ٤٢٤ - ٤٢٥ ) ، و« أسدُ الغابة » ( ٢ / ٤٠٥ - ٤٠٧ ) ، ترجمه رقم : ( ٢٥٠٨ ) ، و« المعجم الكبير » ( ٨ / ٤٦ - ٥٢ ) ، و« الاستيعابُ » ( ٢ / ١٧٦ - ١٨٠ ) ، و« الإصابَةُ » ( ١ / ١٨٠ - ١٨١ ) ، و« المغازي » ( انظر الفهرس : ٣ / ١١٨٥ - ١١٨٦ ) ، و« المسند » ( ٥ / ٢٢٢ - ٢٢٥ ) ، و« البداية والنهاية » ( ٨ / ٢٣ ) ، و« شرح حياة الصَّحابة » ( انظر الفهارس : ٤ / ٧٧٩ ) ، وغيرها .

(٢) « سير أعلام النبلاء » ( ٢ / ٥٦٧ ) ، و« مختصر تاريخ دمشق » ( ١١ / ٩٣ ) .

وأسد ، وعبد الدَّار ، وتيم ، ومخزوم ، وعدي ، وسَهْم ، وِجْمَح .  
 فمن هاشم : العَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، كان قد سقى في الجاهليَّة  
 الحجيج ، وبقي له في الإسلام .  
 ومن بني أميَّة : أبو سفيان بن حرب .  
 ومن بني نوفل : الحارث بن عامر .  
 ومن بني عبد الدَّار : عثمان بن أبي طلحة .  
 ومن بني تيم : أبو بكر الصَّدِّيق .  
 ومن بني أسد : يزيد بن زَمَعَةَ .  
 ومن بني مخزوم : خالد بن الوليد بن المغيرة .  
 ومن بني عدي : عمر بن الخطَّاب .  
 ومن بني سَهْم : الحارث بن قيس .  
 ومن بني جُمَح : صفوان بن أميَّة <sup>(١)</sup> .

\* قال ابنُ خربوذ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « صارت مكارمُ قريش في الجاهليَّة إلى  
 هؤلاء العشرة ، فأدرَكهم الإسلامُ ، فوصلَ ذلك لهم ، فكَذلك كلُّ مَنْ شَرَفَ

(١) « مختصر تاريخ دمشق » ( ١١ / ٩١ - ٩٢ ) . قال ابن دريد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في « الاشتقاق »  
 عن معنى صفوان : « واشتقاق « صفوان » من الصِّفا . والصِّفا : الحجارة والصَّخرة  
 الصُّلبَة . يُقال : صَفْوَانٌ ، وصَفَاً مقصور ، الواحدة صفاةٌ ، ويُجمع صُفْيٌ أيضاً .  
 وفي التَّنزيل : ﴿ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ ﴾ [ البقرة : ٢٦٤ ] .

والصِّفاء من المصافاة ممدود . وصفاء الشَّيء ؛ أي : نقاؤه من الكدر .  
 ويُقال : ماءٌ في مَثْنِ الصِّفا . وقد سمَّت العرب صَفِيًّا ، وصفِيَّةً : اسم امرأة . وفلان  
 صَفْوَةٌ فلانٍ : أي : صديقه . واصطفيْتُ الشَّيءَ : أي : اخترته ، وهو افتعلت من  
 الصِّفاء . « الاشتقاق » ( ص : ١٢٨ ) .

في الجاهليّة أدركه الإسلام فوصله « (١) .

\* وعن أبي الرّناد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : « اصطفَ سبعةً يطعمون الطّعام ، وينادون إليه كلّ يوم : عمرو بنُ عبد الله بنِ صفوان بنِ أميّة بنِ خلف بن وهب بن حذافة » (٢) .

\* وقيل : « كان إلى صفوان الأزلام في الجاهليّة ، وكان سيّد بني جمح » (٣) .

### نظرتهُ إلى الإسلام :

\* نشأ صفوانُ بنُ أميّة وترعرع في بيوتاتِ قريش ذات الشرف الرّفيع ، بيد أن أباه كان من أشدّ النَّاسِ عداوةً للإسلام ونبِيِّ الإسلام محمّد ﷺ ، وقد تأثّر صفوانُ بنُ أميّة بأبيه تأثراً واضحاً ، فكان من أعداء الإسلام اللدودين ، ولكنّ عداوته لم تصلْ به إلى حدِّ السّفاه والانحطاط والشّطط ، وإن كان فيها شيءٌ من الانتقام والثأر والغلط .

\* ففي غزوة بدر كان أبوه أميّة ممّن تغنّت برؤوسهم سيوفُ رجال الإسلام ، وممّن وقعوا في فخِّ أعمالهم السيّئة ، ونالوا الجزاء الأوفى العادل في معركة الفصل ومعركة الحقّ ، وقد أمر الحبيبُ المصطفى ﷺ أن يُطرحَ قتلى المشركين في بئرٍ هناك ، فطرحوا فيه ، إلا ما كان من أميّة بنِ خلف ، فإنّه انتفخَ في درعه فملاها ، فذهبوا ليخرجوه فتزائل ، فأقروه به ، وألقوا عليه الثّراب ، فغيّبوه .

\* ولمّا وصل الخبرُ إلى مكّة على لسان الحيسمان بنِ عبد الله الخزاعيّ ، كان صفوانُ بنُ أميّة قاعداً في الحجر ، فأخذ يعدّد من قُتلَ من أعيان المشركين

(١) « مختصر تاريخ دمشق » ( ١١ / ٩٢ ) .

(٢) « سير أعلام النّبلاء » ( ٢ / ٥٦٧ ) .

(٣) المصدر السّابق عينه .

ومساند الوثنية ويقول : « قُتِلَ عَقَبَةُ ، وَشَيْبَةُ ، وَأَبُو جَهْلٍ ، وَأُمَيَّةُ ، وَزَمْعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ ، وَنَبِيَّةُ ، وَمَنْبَةُ ، وَأَبُو الْبَخْتَرِيِّ بْنُ هِشَامٍ » . فَلَمَّا جَعَلَ يَعِدُّ أَسْرَافَ قَرِيشٍ ، قَالَ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةٍ وَهُوَ قَاعِدٌ فِي الْحِجْرِ ، وَقَدْ ظَنَّ أَنَّ الْحَيْسِمَانَ يَهْذِي وَلَا يَعْقِلُ مَا يَقُولُ : « وَاللَّهِ إِنْ يَعْقِلَ هَذَا فَاسْأَلُوهُ عَنِّي ! » .  
فقال : « ما فعل صفوان ؟ » .

قال : « ها هو ذاك جالسٌ ، قد والله رأيتُ أباه وأخاه حين قُتِلَا » (١) .

\* تَأَلَّمَ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةٍ أَشَدَّ الْأَلَمِ لِمَصَابِ أَهْلِ بَدْرٍ مَمَّنْ تَرَبَّطَهُ بِهِمْ رَابِطَةُ الدَّمِ ، وَفِي مَقَدِّمَتِهِمْ : أَبُوهُ وَأَخُوهُ ، كَمَا تَجَاذَبَتْهُ الْأَحْزَانُ لِمَنْ وَقَعَ فِي الْأَسْرِ ، وَكَادَ الْأَسَى يَعِصِفُ بِهِ لَوْلَا أَنْ تَمَاسَكَ ؛ وَبَدَأَ يَتَظَاهَرُ بِالصَّبْرِ إِلَى أَنْ حَانَتْ فِرْصَةٌ ذَهَبِيَّةٌ اهْتَبَلَهَا صَفْوَانٌ ، لَمَّا التَقَى ابْنَ عَمِّهِ عُمَيْرَ بْنَ وَهْبٍ ، فَاشْتَوَرَا فِيمَا بَيْنَهُمَا عَلَى اغْتِيَالِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَذَهَبَ عَمِيرٌ إِلَى الْمَدِينَةِ لِيَنْفِذَ الْمَهْمَةَ الصَّفْوَانِيَّةَ الْعُمَيْرِيَّةَ الْغَادِرَةَ ، فَتَلَقَّفَتْهُ الْعِنَايَةُ الْإِلَهِيَّةُ ؛ بِبَرَكَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَمِحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ الْمُحَمَّدِيَّةِ ، فَاسْلَمَ إِسْلَامَ الْمُوقِنِينَ ، وَأَصْبَحَ مِنْ سَلَكِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمِنَ الدُّعَاةِ إِلَى دِينِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، فِي حِينِ أَنَّ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةٍ ظَلَّ بِمَكَّةَ تَلْهُو بِهِ الْأَمَانِيَّ وَتَسَخَّرَ ، وَتَعَبَثُ بِهِ الْأَحْلَامُ وَيَخْدَعُهُ الْبَصَرُ ، إِلَى أَنْ قَدَّمَ عَمِيرٌ مِنَ الْمَدِينَةِ وَلَمْ يَلْتَقِيهِ ، فَأَظْهَرَ الْإِسْلَامَ ، وَدَعَا إِلَى السَّلْمِ وَالسَّلَامِ ، وَلَمْ يَأَلْ جَهْدًا فِي دَعْوَةِ صَفْوَانَ إِلَى دِينِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، بِيَدِ أَنَّ صَفْوَانَ أَعْرَضَ عَنْهُ إِعْرَاضَ الْكَارِهِينَ ، وَلَمْ يَجِبْهُ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَظَلَّ عَلَى شِرْكِهِ إِلَى مَا بَعْدَ الْفَتْحِ بِقَلِيلٍ ؛ حَيْثُ فَتَحَ عَلَى بَصِيرَتِهِ الْفَتْاحُ الْعَلِيمُ ، فَاسْلَمَ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ ، وَصَارَ مِنْ رِجَالِ الْإِسْلَامِ الَّذِينَ نَعَمُوا بِالْإِيمَانِ ، وَلَا ذَوَابِرَ ضَا الرَّحْمَنِ (٢) .

(١) « تاريخ الإسلام » للذهبي (المغازي ، ص : ٦٦) ، و« البداية والنهاية » (٣ / ٣٠٨) ، و« السيرة النبوية » (٣ / ٥٤) طبعة دار الكتاب العربي ، وغيرها من مصادر .

(٢) انظر : « المغازي » للواقدي (١ / ١٢٥ - ١٢٧) ، و« البداية والنهاية » =

\* ولكن ما الأعمال التي قام بها صفوان بن أمية إلى يوم الفتح ، هذا ما ستجولوه الصفحات الآتية إن شاء الله تعالى .

### صفوان وأحداث غزوة أحد :

\* ظلَّ قلبُ صفوان بن أمية يغلي كالمرجل حزنًا ، ولَمَّا أُطِلتْ معركةُ أحدٍ على النَّاسِ ، صَمَّمَ صفوانُ على أن يخرجَ للقتالِ ، وكان أحدُ قادتها ومدبّري أمرها ، ولثلا يحدثُ أحدٌ من الأعيان نفسه بالتخاذل أو الفرار من المعركة مع المسلمين ، فإنَّهم استصحبوا معهم نساءهم إلى المعركة ، وكانت قريشٌ قد اختلفت في إخراج النساء معها ، فقال صفوان لقريش في حماسٍ شديدٍ : « اخرجوا بالظُّعن ، فأنا أوَّلُ مَنْ فَعَلَ ، فإنه أقمَنُ - أجدر - أن يُحْفَظَنَّكم ويذكرنكم قتلى بدر ، فإنَّ العهد حديثٌ ، ونحن قومٌ مستميتون ، لا نريدُ أن نرجعَ إلى دارنا حتَّى ندركَ ثأرنا أو نموتَ دونه » .

\* وجدت الفكرة الصفوانية الممزوجة بالفوران والغليان صدَى عند بعض مَنْ أُصيب ذوهم في بدر ، كما وجدت مساحةً واسعةً عند بعضِ فرسان قريش وقادتها ، من مثل : عكرمة بن أبي جهل ، وعمرو بن العاص ، والحارث بن هشام ، وغيرهم من الموتورين .

\* وفي تلك اللحظات الحرجة الحاسمة تقدّم عكرمة بن أبي جهل واقترب من صفوان وقال له : « أبا وهب ! أنا أوَّلُ مَنْ أجاب إلى ما دعوتَ إليه » .

\* وشدَّ أزرَ عكرمة عمرو بن العاص ، فقال مثل مقالة عكرمة ، وكذلك

---

= ( ٣ / ٣١٣ - ٣١٤ ) ، و « شرح حياة الصحابة » ( ١ / ٣٣٨ - ٣٤٣ ) مع الجمع والاختصار والتصرّف . وهكذا نجد أن عمير بن وهب قد خرج من مكة كافرًا جاهدًا على أن يغتال رسول الله ﷺ ، فإذا به يعود مؤمنًا صادقًا داعيًا إلى الله - عزَّ وجلَّ - وغدا من رجال عصر النبوة الذين تلذ لسيرتهم الأسماع .

فعل آخرون ممّن يتحرّقون غيظاً وشوقاً إلى ملاقة المسلمين وقتالهم .

\* بينما لم تَلَقْ دعوة صفوان بن أمية ترحيباً وارتياحاً لدى شطْرٍ من كُبراء قريش وأعيانهم ، وكان منهم نوفلُ بن معاوية الديليّ الذي مشى إلى صفوان بن أمية وإلى جموع قريش وقال لهم واعظاً ومحدّراً : « يا معشرَ قريش ، هذا ليس برأي أن تُعرّضوا حُرْمَكُم عدوكم ، ولا آمن أن تكون الدائرة لهم ، فتفتضحوا في نساءكم » . فردّ عليه صفوان بحزم رداً عنيفاً ، وسقّه رأيه وقال : « لا كان غير هذا أبداً ، ولا بدّ من خروج النّساء معنا » .

\* وجاء نوفلُ بن معاوية إلى أبي سفيان بن حرب لعلّه يقبلُ مقالته ، ويقلّع عن خروج النّساء معهم إلى أحدٍ ، فألفى هندَ بنتَ عتبة عنده ، فصاحت في وجه نوفلٍ صيحةً منكرةً ، وقالت له في حزم : « إنك والله سلّمتَ يوم بدر فرجعتَ إلى نساءك ؛ نعم ، نخرجُ ، فنشهدُ القتالَ ، فقد رُدّتِ القيانُ من الجحفة في سفرهم إلى بدر ، فقُتِلتِ الأُحبةُ يومئذٍ » . قال أبو سفيان للجمع القرشيّ وفيهم صفوان : « لستُ أخالف قريشاً ، أنا رجلٌ منها ، ما فعلتُ فعلتُ » <sup>(١)</sup> ، فخرجوا بالطّعن ، واتّجهوا نحو المدينة المنورة وهم يحملون قلوباً تحبُّ الثّأر في الغد قبل الأُمس ، كما يحبُّ العطشُ الماء .

\* وكان النّساء اللواتي خرجنَ مع الجيش إلى أحد قرابة خمس عشرة امرأة ، كي يثرنَ الحماسَ والحميّة في الرّجال ، فخرج أبو سفيان بن حرب بامراتين : هند بنت عتبة العبشميّة ، وأميمة بنت سعد بن وهب الكنانيّة ، وخرج صفوان بن أمية بامراتين : برزة بنت مسعود الثّقفيّة ، وبامراته البغوم بنت المعدّل <sup>(٢)</sup> الكنانيّة ؛ وخرج طلحةُ بن أبي طلحة بامراته سلافة بنت سعد بن شهيد ، وخرج عكرمة بن أبي جهل بامراته أمّ حكيم بنت

(١) « المغازي » ( ١ / ٢٠١ - ٢٠٢ ) بشيء من التّصرّف .

(٢) اقرأ سيرة البغوم بنت المعدّل في كتابنا : « بيعة النّساء في القرآن والسّيرة » ( ص : ٢٣٥ - ٢٣٦ ) ، ففي سيرتها بعض الفوائد النّافعة .



الحارث بن هشام ، وخرج الحارثُ بنُ هشامِ بامرأته فاطمة بنت الوليد بن المغيرة ، وخرج عمرو بنُ العاص بامرأته هند بنت منبه بن الحجاج ، وخرجت خناسُ بنتُ مالك بن المضرب مع ابنها أبي عزيز بن عمير العبدري ، وخرج الحارثُ بنُ سفيان بن عبد الأسد بامرأته رملة بنت طارق بن علقمة ، وخرج كنانةُ بنُ علي بن ربيعة بامرأته أم حكيم بنت طارق ، وخرج سفيانُ بنُ عوف بامرأته قتيلة بنت عمرو بن هلال ، وخرج الثُّعْمَانُ وجابرُ ابنا مسك الذئب بأمهما الدُّغْنِيَّة ، وخرج غرابُ بنُ سفيان بن عُوف بامرأته عمرة بنت الحارث بن علقمة ، وهي التي رفعت لوء قريش حين سقط حتى تراجعت قريش إلى لوائها (١) .

\* وخرج النساءُ معهنَّ الدُّفوف ، يحرضنَ الرِّجالَ ويدكرنهم قتلى بدر في كلِّ منزل ينزلونه ، وكانت قريشٌ لَمَّا مرَّت بالأبواء قالت : « إنَّكم قد خرجتم بالطُّعْن معكم ، ونحنُ نخافُ على نساءنا ، فتعالوا ننبش قبرَ أمِّ محمَّد - أي : آمنة بنت وهب - فإن يصب من نسائكم أحداً قلتم هذه رمة أمك ، فإن كان برأ بأمه كما يزعم ، فلعمري ليفاديتكم برمة أمه ، وإن لم يظفر بأحدٍ من نسائكم ، فلعمري ليفدين رمة أمه بمالٍ كثير إن كان بها برأ » .

\* استشار أبو سفيان بن حرب أهل الرأى والحرب والمكيدة من قريش في هذا الأمر المُحدَث فقالوا : « لا تذكُر من هذا شيئاً ، فلو فعلنا نَبَشَتْ بنو بكر وخزاعة موتانا » (٢) .

\* ولَمَّا اشتبك القتالُ في أحد بين المسلمين والمشركين كان صفوانُ بنُ أمية مَمَّن خاضَ غمار المعركة ، وكاد يُقتل بأيدي رجال الأنصار لولا أن أنقذه مولاه نسطاس ، وكان صفوانُ يحرضُ على أن يُقتلَ رسولُ الله ﷺ ، فلقد كان

(١) « المغازي » ( ١ / ٢٠٢ - ٢٠٣ ) بتصرُّف . وانظر : « البداية والنهاية » ( ١١ / ٤ ) .

(٢) « المغازي » ( ١ / ٢٠٦ ) .

الشَّقِيُّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَهَابِ الزُّهْرِيِّ يَقُولُ يَوْمئِذٍ : « دَلُونِي عَلَى مُحَمَّدٍ ،  
فَلَا نَجُوتُ إِنْ نَجَا » ؛ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى جَنْبِهِ ، مَا مَعَهُ أَحَدٌ ، ثُمَّ  
جَاوَزَهُ . وَلَقِيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَهَابِ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ ، فَقَالَ لَهُ صَفْوَانُ وَقَلْبُهُ يَفِيضُ  
حَنَقًا : « وَيْحَكَ يَا بِنَ شَهَابٍ ، تَرِحْتَ ، أَلَمْ يُمْكِنَكَ أَنْ تَضْرِبَ مُحَمَّدًا ،  
فَتَقْطَعَ هَذِهِ الشَّافَةَ ، فَقَدْ أُمْكِنَكَ اللَّهُ مِنْهُ ؟ » .

قال ابنُ شهاب : « وهل رأيتَه ؟ » .

قال : « نعم أنتَ إلى جنبه » .

قال : « والله ما رأيتَه ؛ أحلفُ بالله إنَّه مِنَّا ممنوعٌ ، خرجنا أربعةً تعاهدنا  
وتعاقدنا على قتله ، فلم نخلصْ إلى ذلك » (١) .

\* ومن العجيب أن صفوانَ بنَ أميَّة كان يوم أحد بعدما انهزم المسلمون  
ينادي ويقول : « من رأى حُبيب بن يساف ؟ » وهو يطلبه ولا يقدرُ عليه . وقد  
مثل صفوان يومئذ بخارجةَ بن زيد بن أبي زهير وقال : « هذا ممنُ أغرى بأبي  
يوم بدر - يعني : بأبيه أمية بن خلف الجمحي - الآن شَفِيتُ نفسي حين قتلْتُ  
الأماثل من أصحابِ مُحَمَّد ، قتلْتُ ابن قوقل ، وقتلْتُ ابن أبي زهير ، وقتلْتُ  
أوس بن أرقم » (٢) .

\* وفي يوم أحد نظرَ صفوان بن أميَّة إلى سيِّدنا حمزة بن  
عبد المطلب - رضي اللهُ عنه - وهو يهدُّ النَّاسَ هدًا ، ويفرِّقُهم بسيفِهِ يمينًا  
ويسرةً ، فَذَهَلَ صفوانُ من جرأته وقوَّته وشجاعته وقال : « ويحكم ، من هذا  
الذي يهدُّ النَّاسَ ؟ » .

قالوا : « حمزةُ بنُ عبد المطلب » .

فقال : « ما رأيت كالיום رجلاً أسرع في قومه من حمزة » .

(١) « المغازي » ( ١ / ٢٣٨ ) بتصرّف .

(٢) « المغازي » ( ١ / ٢٥٨ ) بتصرّف يسير .

\* ولمَّا وضعتِ الحربُ أوزارها ، انصرفَ المشركون نحو مَكَّةَ ، فلمَّا كانوا بالرَّوْحاءِ - مكانٌ يبعدُ عن المدينة ( ٧٤ كيلاً ) - قال مشركو قريش لأبي سفيان : « لا محمّداً أصبتم ، ولا الكواعبَ أردفتهم ، فبئس ما صنعتم » ، وكادوا يرجعون لولا أن ردّهم الله - عزَّ وجلَّ - بكلام صفوان بن أمية - وكان عاقلاً خبيراً بصيراً بالعواقب - فقال : « يا قوم ! لا تفعلوا ؛ فإنَّ القومَ قد حزنوا ، وأخشى أن يجمعُوا عليكم من تخلفَ من الخزرج ؛ فارجعوا والدَّولةَ لكم ، فإنِّي لا آمنُ إن رجعتم أن تكونَ الدَّولةُ عليكم » (١) .

\* ونقلَ كلامَ صفوان إلى النَّبِيِّ ﷺ معبداً بنُ أبي الخزاعيِّ ، فقال ﷺ : « أرشدهم صفوان وما كان برشيد ، والذي نفسي بيده ، لقد سوَّمتُ - أُعلِّمتُ - لهم الحجارةُ ، ولو رجعوا لكانوا كأمس الدَّاهبِ » .

\* وممَّا يتعلَّقُ بصفوان وغزوة أحد : « أنَّ أبا عزةَ الشَّاعر ، كان يحضُّضُ على النَّبِيِّ ﷺ ، فأسر يوم بدر ، فقال : يا محمّد ! إنِّي رجلٌ معيلٌ ، ولي بناتٌ ، فامننْ عليّ فمنّ عليه ، فقال : لا أقاتل محمّداً أبداً . فلمَّا رجَعَ إلى مَكَّةَ ، ضمنَ له صفوان بن أميةَ عياله ، فرجعَ يوم أحدٍ يحضُّضُ على النَّبِيِّ ﷺ ، فأسرهُ النَّبِيُّ ﷺ ، فقال : امننْ عليّ ، فقال : « لا تمسخْ عارضيكَ بالحجرِ وتقولُ : خدعتُ محمّداً » فقَتَلَهُ صبِراً » (٢) .

### لا يزالُ الحقدُ مستمراً :

\* غابت غزوةُ أُحدٍ عن عيني صفوان ، ولكن لم يغبْ حقدُهُ عن العيان ، ولم تأفلُ نارُ غضبته عن رجالِ الإسلامِ الشُّجعان ، فعندما غدرت بنو هذيل برجالِ بَعثِ الرَّجِيعِ ، وأسروا زيدَ بن الدَّثنة ، وخبيبَ بنَ عديّ ، جاء الآسرون الغادرون فباعوهما في مَكَّةَ المَكْرَمَةِ ، فاشترى صفوانُ زيدا بمبلغ

(١) « المغازي » ( ١ / ٣٣٩ ) .

(٢) انظر : « الاشتقاق » ( ص : ١٣١ ) .

كبير ؛ فقتله بأبيه كي يغيظ المسلمين ، ولكن صفوان نفسه قد اغتاز هو أشد الغيظ من زيد بن الدثنة ؛ لأنه رفض أعمال المشركين وضلالاتهم .

\* فقد كان زيد بن الدثنة عند آل صفوان بن أمية محبوباً في حديد ، وكان يتهجّد بالليل ، ويصومُ النَّهار ، ولا يأكلُ شيئاً ممّا أُتِيَ به من الدَّبائح ، فشقَّ ذلك على صفوان ، وكانوا قد أحسنوا إيساره ، فأرسل إليه صفوان : فما الذي تأكل من الطَّعام ؟

قال : « لستُ آكل ممّا ذُبِحَ لغير الله ، ولكنني أشربُ اللبن » . وكان يصومُ ، فأمر له صفوان بعسٍّ من لبنٍ عند فطره ، فيشرب منه حتّى يكون مثلها في اليوم التّالي . فلما خرجوا به وبخبيب في يومٍ واحدٍ التقيا ، فأوصى كلُّ منهما صاحبه بالصَّبْر على ما أصابه ، ثمَّ افترقا . وكان الذي ولي قتْلَ زيدٍ نسطاسُ غلامٍ صفوان بن أمية ، قتله بالتَّنعيم ، فصلّى زيدٌ ركعتين ، ثمَّ جعلوا يقولون : له : « ارجع عن دينك المُحدث واتَّبِع ديننا ، ونُرسلك » .

قال : « والله ! لا أفارقُ ديني أبداً » .

قالوا : « أيسرُك أنَّ محمّداً في أيدينا مكانك وأنت في بيتك ؟ » .

قال : « ما يسرنِي أنَّ محمّداً أُشيك بشوكة وأني في بيتي » .  
فقتله - رضي الله عنه <sup>(١)</sup> - .

\* وتذكر كتبُ السِّيرة وغيرها من المصادر المُعتمدة أنَّ صفوان بن أمية قد شارك في معظم المعارك التي كانت بين المسلمين والمشركين ، وأنفقَ فيها الأموال ليُطفئ نور الإسلام ، وما درى أنَّ هذا النُّور سيحلُّ في قلبه يوماً ما ، وسيكون ممَّن يدافع عن هذا الدِّين الذي يحاربه الآن .

\* ففي غزوة القضيّة قضى الحبيبُ المصطفى ﷺ نسكهُ ودخل البيت ،

---

(١) انظر : « زاد المعاد » ( ٣ / ٢٤٦ ) ، و« شرح حياة الصّحابة » ( ١ / ٨٠٣ ) مع الجمع والتّصريف .

فلم يزل فيه حتى أذن بلال بالظهور فوق ظهر الكعبة ، وكان رسول الله ﷺ أمره بذلك ، فكاد أن يغشى على كبراء قريش مثل : عكرمة بن أبي جهل ، وخالد بن أسيد ، وسهيل بن عمرو ، وصفوان بن أمية ، فقد ساء صفوان هذا الأذان على الرغم من جمال صوت بلال وندأوته وعدوبته ، وأخذ صفوان يقول : « الحمد لله الذي أذهب أبي قبل أن يرى هذا ! » .

\* وفي عمرة القضاء أيضاً تغيب من المشركين خالد بن الوليد (١) ، فتعجب الحبيب المصطفى ﷺ كيف يغيب الإسلام عن مثل خالد ، وأن مثله جهل الإسلام ، ثم أتاه كتاب النبي ﷺ يرغبه في الإسلام ، فازداد رغبة في أن يكون واحداً من رجاله الكرام ، وأدركته لحظة من لحظات التجلي الإلهي ، فعزم على الخروج إلى رسول الله ﷺ ليلقي إليه زمام أمره ، وعرض الفكرة على صفوان بن أمية - وكان صفوان من عقلاء قريش وذوي مشورتهم ومن أصدقاء خالد - وأحب خالد أن ينطلقا فيسئلا ، وكان خالد يسأل : « من أصحاب إلى رسول الله ﷺ ؟ » قال خالد : « فليقت صفوان بن أمية فقلت : يا أبا وهب ! أما ترى ما نحن فيه ؟ إنما نحن أكلة رأس ، وقد ظهر محمد على العرب والعجم ، فلو قدمنا على محمد ، فاتبعناه ، فإن شرف محمد لنا شرف » . فأبى صفوان أشد الإباء ، ولم يرحب بمقالة خالد ، وقال : لو لم يبق غيري من قريش ما اتبعته أبداً . فعذره خالد وقال : « هذا رجلٌ موتورٌ يطلب وتراً ، قد قتل أبوه وأخوه بيدر » (٢) .

\* ويوم فتح مكة أصر صفوان بن أمية في ثلثة من مشركي قريش أن يقاوموا وألا يستسلموا من غير إراقة دماء ، وأعدوا عدتهم للقتال ، ولم يرضوا بما منحوا من أمانٍ نبوي ، فلمَّا دخل جيش خالد بن الوليد من أسفل مكة

(١) اقرأ سيرة سيدنا خالد بن الوليد في الباب الأول من كتابنا : « فرسان من عصر النبوة » ( ص : ٨٢ - ١٠٤ ) فقد عجزت النساء أن يلدن مثل خالد - رضي الله عنه - .

(٢) « المغازي » ( ٢ / ٧٤٧ ) بشيء من التصريف .

أمطروه بنبالهم ، ولكنَّ خالداً لم يلبث أن فرَّقهم ، ولم يلبث صفوان وعكرمة بن أبي جهل ، وسهيل بن عمرو ، أن ولّوا الأدبارَ وهم منهزمون ؛ لا يلوون على شيءٍ وهم خائفون ؛ وقلوبهم وِجَلَةٌ وهم متردّدون .

\* ومن الطّريف والممتع للأسماع والأرواح ما حدّث لرجلٍ من بني الدّيل يُقال له : حماس بن قيس بن خالد الدّيليّ ، فإنّه لمّا سمع برسولِ الله ﷺ يوم الفتح ، جلس يصلحُ سلاحه ، فقالت له امرأته : « لمن تعدّ هذا السّلاح ؟ » .

قال : « أعدّه لمحمّدٍ وأصحابه ، فإنّي أرجو أن أخدمك منهم خادماً ، فإنّك إليه محتاجة » .

قالت له بلسان النّصح والشّفقة : « ويحك لا تفعل ، ولا تقاتل محمّداً ، والله ليضلنَّ هذا عنك لو رأيت محمّداً وأصحابه » .

قال حماسٌ في استخفافٍ لامرأته : « سترين يا هذه ما أفعل » .

\* اشترك حماسٌ بنُ قيس في القتال ضدّ خالد بن الوليد مع المقاومين في الخندمة ، ولكنه لمّا رأى ما حلّ بالمشرّكين عاد إلى منزله ترتعدُ فرائضه من شدّة الخوف ، فطرق البابَ طرّقاً عنيفاً وقد انخلع فؤادُهُ ، ففتحت امرأته الباب ، فدخل ، وهو يلهثُ ، وقد ذهبت روحُهُ ، وطارت نفسه شعاعاً ، فدهشت امرأته من حالته المرعبة والمزريّة ، ثمّ قالت في سخريةٍ شديدة : « أين الخادمُ الذي وعدتني يا فارسَ بني الدّيل ؟ ما زلتُ منتظرتك منذ اليوم » .

فقال والخوفُ يلجمُه : « ويحك ! دعي عنك هذا ، وأغلقي بابي ، فإنّه من أغلقَ بابه فهو آمن » .

قالت : « ألمْ أنهك يا قيسُ عن مقاومة محمّد وقاتاله ؟ وقلتُ لك : ما رأيته يقاتلكم مرّةً إلّا ظهرَ عليكم » .

قال : « بابنا أغلقه » .

قالت : « وما بابنا ؟ » .

قال : « إِنَّهُ لَا يُفْتَحُ عَلَيَّ أَحَدٍ بَابِهِ » .

\* ثُمَّ اخْلَوْلِقْ حِمَاسٌ يَقُولُ لَهَا :

إِنَّكَ لَوْ شِهدتِ يَوْمَ الخَنْدَمَةِ      إذْ فَرَّ صَفْوَانٌ وَفَرَّ عِكرَمَهُ  
وَأبو يَزِيدٍ قَائِمٌ كالمؤْتَمَةِ      واستقبلتُهُم بالسِّيفِ المسلَمَةِ  
يَقْطَعُنَّ كُلَّ سَاعِدٍ وَجَمِجِمِهِ      ضَرْباً فَلَا يَسْمَعُ إِلَّا غَمْغَمَهُ  
لَهُمْ نَهَيْتُ خَلْفَنَا وَهَمَمَهُ      لم تنظقي في اللوم أدنى كلمه (١)

أشْهدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ :

\* لَمَّا كَانَ فَتْحُ مَكَّةَ المَكْرَمَةِ ، جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ الباطِلُ ، وَتَهَاوَى زَعَمَاءُ  
المشركين أَمَامَ الحَقِّ وَاحِداً تلو الآخر ، فبعضهم لاذَ بالرحمةِ المُهداةِ  
رسولِ اللهِ ﷺ وأسلم وشهد شهادةَ الحَقِّ ، وبعضهم لاذَ بالفرارِ كعكرمةِ  
وصفوان ، وقد جاء كلاهما مسلماً بعد أن جاءهما من النَّبِيِّ ﷺ الأمان .

\* كان فرارِ صفوانِ بنِ أميةِ من مَكَّةَ يومَ الفتحِ فرارَ خائفٍ من آثامِ  
الجاهليةِ وأدرانها ، فرارَ متوجِّسٍ ممَّا ارتكبه في جانبِ النَّبِيِّ ﷺ ، وما علم  
صفوانُ أَنَّهُ ﷺ بالمؤمنين رؤوفٌ رحيمٌ ، وكذلك بمن أسلم وأذعنَ اللهُ العليَّ  
العظيم .

(١) انظر : « السِّيرة النَّبَوِيَّة » ( ٤ / ٩٢ ) طبعة دار الكتاب العربي ، و« نهاية الأرب »  
( ١٧ / ٣٠٦ ) ، و« البداية والنهاية » ( ٤ / ٢٩٧ ) ، و« مجمع الزوائد »  
( ٦ / ١٧٤ - ١٧٥ ) ، و« شفاء الغرام » ( ٢ / ٢٢٢ ) مع الجمع والتصرّف .

وقوله « الخندمة » : المكان الذي كانت به الموقعة وهو جبلٌ بمكة .  
و« أبو يزيد » : هو سهيلُ بنُ عمرو العامري . و« المؤتمه » : المرأة التي مات عنها  
زوجها وبقي لها أيتام . و« الغمغمة » : أصواتٌ غير مفهومة . و« نهيت » : صوت  
الصَّدر ، وقيل : زئير الأسد . و« همهمة » : كلام خفي أو صوت يتردد في الصَّدر  
عند الحرب والطَّعن .

\* لم يطمئن صفوان على حياته ، وخاف أن يصادفه أحد رجال النبي ﷺ ، فيذيقه كأس المنيّة ، ويجعله كأس الذّاهب ، فهرب من مكّة في اتجاه جدّة ، يريد ركوب البحر والإبحار في لججٍ لا نهاية لها ، وكان بصحبته غلامٌ له يُقال له يسار ، ليس معه غيره .

\* أَلقت عصا التّسيار بصفوان إلى مرفأ الشّعبيّة ، وكان خائفاً يترقبُ ويتلَقّت خيفة أن يدركه أحدٌ ؛ إذ لم يكن نكرةً من الرّجال فيجْهَلُ أمره ، وبينما كان يهْمُ هو وغلّامه بامتطاء متن البحر ، إذا بابن عمّه وصديقه عمير بن وهب الجمحيّ - رضي الله عنه - قد أقبل ، فظنّ صفوان الطّنون ، وكاد يموت فرقا ، ولكن عميراً جاءه ليرجع إلى أهله في مكّة آمناً بأمان محمّديّ ممزوج بأمان إلهيّ رحيم ، فقد أعطاه سيّدنا عمير العمامة النّبويّة علامة الأمان الصّفوانيّ ، فعاد صفوان ، وتركه الحبيب المصطفى ﷺ على شركه بضعة أسابيع ، ثمّ إنّه أعلن إسلامه راغباً محبباً صادقاً فحسُن إسلامه ، وغدا من خيرة رجال عصر النّبوة وكرامهم .

\* وها نحنُ أولاء الآن تاركو زمام القصة للواقديّ رَحِمَهُ اللهُ كيما يحدثنا عن قصة إسلام سيّدنا صفوان بن أميّة - رضي الله عنه - ، وكيف انتظم في عداد الصّحابة الكرام فيقول : « وأما صفوان بن أميّة ، فهرب حتّى أتى الشّعبيّة ، وجعل يقول لغلّامه يسار وليس معه غيره : ويحك ! انظر من ترى ؟ قال : هذا عمير بن وهب .

قال صفوان : ما أصنع بعمير ؟ والله ما جاء إلا يريد قتلي ، قد ظاهر محمّداً عليّ .

فلحقه فقال : يا عمير ! ما كفاك ما صنعت بي ؟ حملتني دينك وعيالك ، ثمّ جئت تريد قتلي !

قال : أبا وهب ! جعلت فداك ! جئتك من عند أبرّ الناس ، وأوصل الناس .



وكان عُمَيْرٌ قال لرسولِ الله ﷺ : يا رسولَ الله ! صفوان ؛ سيِّدُ قومي ،  
خرجَ هارباً ، ليقذفَ نفسه في البحر ، وخاف ألاَّ تؤمَّنه ، فأمَّنه فذاك أبي  
وأمي !

فقال رسولُ الله ﷺ : « قد أمَّنته » .

فخرجَ عُمَيْرٌ في أثرِ صفوان فقال له : إنَّ رسولَ الله ﷺ قد أمَّنتك .

فقال صفوان : لا والله ، لا أرجعُ معك حتَّى تأتيني بعلامةٍ أعرُفُها من  
رسولِ الله ﷺ .

فقال رسولُ الله ﷺ لعُمير : « خُذْ عمامتِي » .

فرجعَ عُمَيْرٌ إلى صفوان بها وهو البُرْدُ الذي دخل فيه رسولُ الله ﷺ يومئذٍ  
مُعْتَجِراً به ، بُردَ حَبْرَةَ ، فخرجَ عُمَيْرٌ في طلبه الثانيةً ، حتَّى جاء بالبرد ؛  
فقال : أبا وهب ، جئتُك من عند خيرِ النَّاسِ ، وأوصلِ النَّاسِ ، وأبرِّ النَّاسِ ،  
وأحلمِ النَّاسِ ، مجدهُ مجدُّك ، وعزُّهُ عزُّك ، وملكُهُ ملكُك ، ابنُ أمِّك  
وأبيك ، أذكركَ اللهُ في نفسك .

قال له : أخافُ أن أُقتَلَ يا عُمير .

قال : قد دعاك إلى أن تدخلَ في الإسلام ، فإن رضيت وإلا سِيرَكَ  
شهرين ، فهو أوفى النَّاسِ وأبرَّهم ، وقد بعثَ إليك ببردِهِ الذي دخلَ به  
مُعْتَجِراً ؛ أتعرفه ؟

قال صفوان : نعم .

فأخرجه عُمَيْرٌ ، فقال صفوان : نعم ، هو هو ! فرجعَ صفوان حتَّى انتهى  
إلى رسولِ الله ، ورسولُ الله ﷺ يصلِّي بالمسلمين العَصْرَ في المسجد ،  
فوقفاً .

فقال صفوان : كم تصلُّون في اليوم والليلة ؟

قال عُمير : خمس صلوات .

قال : يصلي بهم محمّد ؟

قال : نعم .

فلما سلّم صاح صفوان : يا محمّد ! إنّ عميرَ بنَ وهبٍ جاءني بِبُردِكَ ،  
وزعم أنّك دعوتني إلى القُدومِ عليك ، فإنّ رضيتُ أمراً ، وإلا سيّرتني  
شهرين .

قال ﷺ : « انزل أبا وهبٍ » .

قال : لا والله ، حتّى تبينَ لي .

قال : « بل تسيّرُ أربعة أشهر » .

فنزّل صفوان . وخرَجَ رسولُ الله ﷺ قبيل هوزان ، وخرَجَ معه صفوان  
وهو كافِرٌ ، وأرسلَ إليه ﷺ يستعيّره سلاحه ، فأعاره سلاحه ، مئة درع  
بأداتها .

فقال صفوان : طوعاً أو كرهاً ؟

قال رسول الله ﷺ : « عارية مؤدّاة » .

فأعاره ، فأمره رسولُ الله ﷺ فحملها إلى حُنين ، فشهد حُنيماً والطائف ،  
ثمّ رجع رسولُ الله ﷺ إلى الجعرانة ، فبينما رسولُ الله ﷺ يسيّرُ في الغنائم  
ينظرُ إليها ، ومعه صفوان بن أميّة ، فجعل صفوان ينظرُ إلى شعبٍ مُلئٍ نَعماً  
وشاءً ورِعاءً ، فأدام إليه النّظرَ ، ورسولُ الله ﷺ يرمقه ، فقال : « أبا وهب !  
يعجبك هذا الشّعب ؟ » .

قال : نعم يا رسول الله !

قال ﷺ : « هولك وما فيه » .

فقال صفوانُ عند ذلك : ما طابت نفسُ أحدٍ بمثل هذا إلا نفسُ نبيٍّ ،  
أشهدُ أنّ لا إلهَ إلا اللهُ ، وأنّ محمّداً عبده ورسوله » . وأسلم

مكانه - رضي الله عنه - « (١) .

\* وعن الرَّحمة النَّبويَّة بصفوان وغيره من المشركين يقول عمرُ بنُ الخطَّاب - رضي الله عنه - : « لَمَّا كان يومَ الفتح ، أرسلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى صفوانِ بنِ أميَّة ، وإلى أبي سفيانِ بنِ حرب ، وإلى الحارثِ بنِ هشام ، فقلت : قد أمكنني اللهُ - عزَّ وجلَّ - منهم ، لأعرَفَنَّهُم ما صنعوا ، حتَّى قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مثلي ومثلكم كما قال يوسف لإخوته : ﴿ لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَعْفُرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [يوسف : ٩٢] ، قال عمر : فانتفضتُ حياءً من رسولِ اللَّهِ ﷺ » (٢) . وفي رواية : « فانفضحتُ حياءً . . . » .

\* وهذه المعاملة المحمَّديَّة الرِّفيقة الرِّفيقة التَّربويَّة بصفوان جعلته من الرَّاغبين في الإسلام عن متاع الدُّنيا وزخرفها ، فقد ورد : « أَنَّهُ ﷺ لَمَّا استعار من صفوان أدرعاً من حديد يوم حنين ، ضاع بعضها ، فقال له النَّبِيُّ ﷺ : « إِنَّ شَيْئًا غَرَمْتَهَا لَكَ » .

فقال : لا ، أنا أرغبُ في الإسلام من ذلك » (٣) .

---

(١) « المغازي » ( ٢ / ٨٥٣ - ٨٥٥ ) بتصرف يسير جداً . وانظر : « تفسير القرطبي » ( ٥ / ٢٥٧ ) و ( ٨ / ١٣٩ ) ، و « زاد المعاد » ( ٣ / ٤١٣ - ٤٦٨ ) ، و « البداية والنهاية » ( ٤ / ٣٢٤ - ٣٦٠ ) ، وغيرها .

وعن السَّخاءِ المحمَّديِّ والجودِ النَّبويِّ يقول صفوان بن أميَّة - رضي الله عنه - : « لقد أعطاني رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ حنينٍ وإنَّه لمن أبغض النَّاسِ إليَّ ، فما زال يعطيني حتَّى إنَّه لأحبُّ الخلقِ إليَّ » . « مختصر تاريخ دمشق » ( ١١ / ٩١ ) ، « طبقات ابن سعد » ( ٥ / ٤٤٩ ) .

(٢) « مختصر تاريخ دمشق » ( ١١ / ٩١ ) ، وانظر : « سير أعلام النبلاء » ( ٢ / ٥٦٥ ) .

(٣) « مختصر تاريخ دمشق » ( ١١ / ٩١ ) ، وانظر : « سير أعلام النبلاء » =

\* كما أنَّ رسولَ الله ﷺ استقرض من صفوان بن أمية بمكة خمسين ألفاً فأقرضه (١) .

\* ولشدة حب سيدنا صفوان للإسلام ، ونبي الإسلام ﷺ ، ولشدة حبه للهجرة ، جاء عنه أنه قال : « أتيتُ فقلت : يا رسولَ الله ! مَنْ لم يهاجر هلك ؟

قال : « لا ، يا أبا وهب ! فارجعْ إلى أباطح مكة » (٢) .

\* قال الذهبي رحمه الله معلقاً على هذا الحديث : قلتُ : ثبتَ قوله ﷺ : « لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهادٌ ونية » (٣) .

\* لقد شاء الله - عزَّ وجلَّ - أن يكون صفوانُ من السُّعداء ومن المسلمين ، فتابَ عليه وأسلم (٤) ، وصار من رجال نبي الإسلام محمد رسول الله ﷺ ، فأكرمَ بهؤلاء الرِّجال ! وأعظمَ بهم !

### روايته للحديث :

\* مَنْ كان يصدِّقُ أن يصحَّ سيدنا صفوانُ بنُ أميةَ راوياً للحديث

---

= (٢ / ٥٦٦) ، وانظر تخريج الحديث فيه .

(١) « سير أعلام النبلاء » (٢ / ٥٦٦) ، و« تاريخ الإسلام » للذهبي (عهد معاوية ، ص : ٦٧) .

(٢) « سير أعلام النبلاء » (٢ / ٥٦٤) ، وانظر : « الإصابة » (٢ / ١٨١) .

(٣) « سير أعلام النبلاء » (٢ / ٥٦٤) ، والحديث أخرجه مسلم برقم : (١٣٥٣) .

(٤) جاء عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ لعن يوم أحد أبا سفيان ، والحارث بن هشام ، وصفوان بن أمية ، فنزلت : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ [آل عمران : ١٢٨] فتابَ الله عليهم ، فأسلموا ، فحَسُنَ إسلامهم . « تفسير ابن عطية » (ص : ٣٥٤) ، وانظر : « سير أعلام النبلاء » (٢ / ٥٦٤) وتخريج الحديث فيه .

النَّبَوِيِّ ، ومحَبًّا للحبيب الأعظم مُحَمَّدٌ ﷺ لولا رحمةُ اللَّهِ ورأفتهُ به ؟ ! ﴿ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمَيِّنُ ﴾ [ النمل : ١٦ ] .

\* روى سَيِّدنا صفوانُ الحديثَ عن حبيبتنا رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وروى عنه أولادُه : أميَّةُ ، وعبدُ اللَّهِ ، وعبدُ الرَّحْمَنِ ، وابنُ ابنه صفوانُ بن عبد اللَّهِ ، وابنُ أخته حميدُ بنُ حجير ، والتَّابعيُّ الجليلُ سعيدُ بنُ المسيَّب ، وعطاءُ ، وطاووسُ ، وعكرمةُ ، وعبدُ اللَّهِ بن الحارث بن نوفل ، وعامرُ بن مالك ، وطارقُ بن المرقع وغيرهم « (١) .

\* قال عنه الذَّهَبِيُّ : « أسلمَ بعد الفتح ، وروى أحاديثُ » (٢) ؛ وتوزَّع الأحاديثُ التي رواها سَيِّدنا صفوانُ في كُتُب الصَّحيح ؛ والسُّنن ؛ والمسانيد ؛ وغيرها من أركان هذا الشَّان المبارك الطَّيِّب .

\* وممَّا جاء لسَيِّدنا صفوانُ في « صحيح مسلم » ما أخرجه بسنده عن ابن شهاب قال : « غزا رسولُ اللَّهِ ﷺ غزوةَ الفتح ، فتح مَكَّة ، ثمَّ خرَجَ رسولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْ معه من المسلمين ، فاقتتلوا بِحُنَيْنٍ ، فنصرَ اللَّهُ دينَه والمسلمين ، وأعطى رسولُ اللَّهِ ﷺ يومئذٍ صفوانُ بنَ أميَّة مئةَ من النَّعم ، ثمَّ مئة ، ثمَّ مئة » .

قال ابنُ شهاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : حدثني سعيدُ بنُ المسيَّب : أنَّ صفوانَ قال : « والله ! لقد أعطاني رسولُ اللَّهِ ﷺ ما أعطاني ، وإنَّه لأبغضُ النَّاسِ إليَّ ، فما برحَ يعطيني حتَّى إنَّه لأحبُّ النَّاسِ إليَّ » (٣) .

---

(١) انظر : « تهذيب التَّهذيب » ( ٤٢٤ - ٤٢٥ ) ، و « الإصابة » ( ١٨١ / ٢ ) ، و « أسد الغابة » ( ٤٠٧ / ٢ ) ، و « سير أعلام النَّبلاء » ( ٥٦٣ / ٢ ) ، و « تاريخ الإسلام » ( عهد معاوية ، ص : ٦٧ ) ، و « التَّبيين » ( ص : ٤٠٦ ) مع الجمع بينها .

(٢) « سير أعلام النَّبلاء » ( ٥٦٣ / ٢ ) .

(٣) أخرجه مسلم في الفضائل برقم : ( ٢٣١٣ ) .

\* وأخرج الإمام أحمدُ بسنده عن عبدِ اللهِ بنِ الحارثِ قال : زوّجني أبي في إمارةِ عثمان ، فدعا نفرًا من أصحابِ رسولِ الله ﷺ ، فجاء صفوانُ بنُ أميّة وهو شيخٌ كبير ، قال : إنّ رسولَ الله ﷺ قال : « انهسوا اللحمَ نَهْسًا ، فإنّه أهنا ، وأمرأ ، أو أشهى وأمرأ » (١) .

\* وفيما يتعلّقُ بالشّهادة ، ما أخرجه الإمام أحمدُ وغيرهُ بسندٍ عن عامرِ بنِ مالك ، عن صفوانِ بنِ أميّة ، عن النبيّ ﷺ قال : « الطّاعونُ شهادة ، والغرقُ شهادة ، والبطنُ شهادة ، والنّفساءُ شهادة » (٢) وفي رواية : « الطّاعونُ والبطنُ والغرقُ والنّفساءُ شهادة » .

\* وفي الحدودِ وما يتعلّقُ بأحكامها ، أخرج الطّبرانيّ بسنده عن حميد بن حجير ابن أخت صفوان بن أميّة ، عن صفوان بن أميّة - رضي الله عنه - قال : « كنتُ نائمًا في المسجد ، على خميصة لي ثمن ثلاثين درهماً ، فجاء رجلٌ إليّ فاختمها منّي ، فأخذ الرجلُ ، فأتي به النبيّ ﷺ ، فأمر به ليقطع ، فأتيته فقلت له : أتقطعه من أجل ثلاثين درهماً هي له .

قال : « فهلاً كان هذا قبل أن تأتيني به » (٣) . وفي روايةٍ قال : « فهلا قبل أن تأتيني به ، إنّ الإمام إذا انتهى إليه حدٌّ من حدودِ الله أقامه » .

(١) « المسند » ( ٥ / ٢٢٢ - ٢٢٣ ) برقم : ( ١٥٣٠٠ ) ، وأخرجه الطّبراني في « الكبير » برقم : ( ٧٣٣٢ ) .

(٢) « المسند » ( ٥ / ٢٢٤ ) برقم : ( ١٥٣٠٧ - ١٥٣٠٨ ) ، والطبراني ( ٨ / ٤٨ ) برقم : ( ٧٣٢٨ ، ٧٣٢٩ ، و ٧٣٣٠ ) .

(٣) أخرجه الطّبرانيّ ( ٨ / ٤٩ - ٥٠ ) برقم : ( ٧٣٣٥ ) ، وأبو داود برقم : ( ٤٣٩٤ ) ، والنسائيّ ( ٨ / ٦٨ ) ، وابن ماجه برقم : ( ٢٥٩٤ ) ، وأحمد برقم : ( ١٥٣٠٣ ) وغيرهم . وانظر : « البدر الثّمَام » ( ٤ / ٤٣٦ - ٤٣٩ ) .

\* وأحاديث سيّدنا صفوان منثورةٌ في كتبِ الحديث ، فليراجعها مَنْ أراد الاستزادة .

### آثارٌ جليّةٌ ومحامدٌ نبيلةٌ :

\* إِنَّ قِيَمَةَ كُلِّ إِنْسَانٍ هُوَ مَا يَحْسُنُهُ ، وَآثَارُ الْإِنْسَانِ نَاطِقَةٌ عَنْهُ ، إِنَّ خَيْرَ فَخِيرٍ ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ ، وَسَيِّدُنَا صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَحَدُ رِجَالِ عَصْرِ الثُّبُوءِ الْأَخْيَارِ ؛ الَّذِينَ تَرَكَوْا أَنْصَعِ الْأَثَارِ ؛ فِي مَجَالَاتِ الْمَخْلَصِينَ الْأَبْرَارِ .

\* فَقَدْ كَانَ صَفْوَانُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَحَدَ أَشْرَافِ قَرِيْشٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ . . . . . وَكَانَ أَحَدَ الْمُطْعَمِينَ الْأَسْخِيَاءِ ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ : سِدَادُ الْبَطْحَاءِ ، وَهُوَ أَحَدُ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ ، وَمَمَّنْ حَسَنَ إِسْلَامُهُ ، وَزِيَادَةَ عَلَيَّ ذَلِكَ كَانَ مِنْ أَفْصَحِ قَرِيْشٍ بَيَانًا ، وَأَحْضَرَهُمْ جَنَانًا فِي مَوَاقِفِ الْفَصَاحَةِ وَاللِّسَنِ .

\* وَشَهِدَ لِلْبَيْتِ الصَّفْوَانِيِّ بِالْجُودِ وَالْكَرَمِ ، أَحَدُ عُلَمَاءِ الصَّحَابَةِ وَأَعْيَانِهِمْ سَيِّدُنَا مَعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - حَيْثُ قَالَ يَوْمًا : « مَنْ يَطْعَمُ بِمَكَّةَ مِنْ قَرِيْشٍ ؟ » .

فَقَالُوا : « عَمْرُو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَفْوَانَ » .

فَقَالَ : « بَخٍ ! تِلْكَ نَارٌ لَا تُطْفَأُ » (١) .

\* وَلَمَّا أُعْطِيَ سَيِّدُنَا عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَوَّلَ عَطَاءٍ ، أُعْطِيَ سَيِّدُنَا صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ، وَكَانَ صَفْوَانٌ قَدْ افْتُرَضَ فِي أَهْلِ الْقَادِسِيَّةِ ؛ وَافْتُرَضَ مَعَهُ سَهِيلُ بْنُ عَمْرٍو ؛ فَلَمَّا دَعَا عَمْرُ صَفْوَانَ لِيُعْطِيَهُ ، وَقَدْ رَأَى مَا أَخَذَ أَهْلُ بَدْرٍ وَمَنْ بَعْدَهُمْ إِلَى الْفَتْحِ ؛ فَأَعْطَاهُ فِي أَهْلِ الْفَتْحِ أَقْلًا

---

(١) « الاستيعاب » ( ٢ / ١٧٩ ) ، و« التبيين » ( ص : ٤٠٥ ) ، و« أسد الغابة » ( ٢ / ٤٠٧ ) مع الجمع بينها .

مَمَّا أَخَذَ مِنْ كَانَ قَبْلَهُ ، أَبِي أَنْ يَقْبَلَهُ وَقَالَ : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! لَسْتُ مُعْتَرِفًا لِأَنْ يَكُونَ أَكْرَمَ مِنِّي أَحَدٌ ، وَلَسْتُ أَخَذًا أَقْلَ مَمَّا أَخَذَ مِنْ هُوَ دُونِي ، أَوْ مِنْ هُوَ مِثْلِي » .

فَقَالَ عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : « إِنَّمَا أُعْطِيْتُهُمْ عَلَى السَّابِقَةِ وَالْقَدَمَةِ فِي الْإِسْلَامِ ، لَا عَلَى الْأَحْسَابِ » .

قَالَ صَفْوَانُ : « فَنَعَمْ إِذَنْ » . وَأَخَذَ وَقَالَ : « أَهْلُ ذَلِكَ هُمْ » (١) .

\* وَمِنْ أَخْبَارِ سَيِّدِنَا صَفْوَانَ مَعَ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - مَا ذَكَرَهُ أَبُو مَحْذُورَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : « كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ؛ إِذْ جَاءَ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ بِجَفْنَةٍ يَحْمِلُهَا نَفْرٌ فِي عَنَاءٍ ، فَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْ عُمَرَ ، فَدَعَا عُمَرَ نَاسًا مَسَاكِينَ ، وَأَرْقَاءَ مِنْ أَرْقَاءِ النَّاسِ حَوْلَهُ ، فَأَكَلُوا مَعَهُ ، ثُمَّ قَالَ عِنْدَ ذَلِكَ : فَعَلَّ اللَّهُ بِقَوْمٍ - أَوْ لِحَى اللَّهِ قَوْمًا - يَرِغْبُونَ عَنْ أَرْقَائِهِمْ أَنْ يَأْكُلُوا مَعَهُمْ .

فَقَالَ صَفْوَانُ : أَمَا وَاللَّهِ مَا نَرِغِبُ عَنْهُمْ ، وَلَكِنَّا نَسْتَأْثِرُ عَلَيْهِمْ ، لَا نَجِدُ مِنَ الطَّعَامِ الطَّيِّبِ مَا نَأْكُلُ وَنَطْعَمُهُمْ » (٢) .

\* وَظَلَّ سَيِّدُنَا صَفْوَانُ حَمِيدَ السَّيِّرَةِ فِي ظِلَالِ الْخِلَافَةِ الرَّاشِدَةِ حَتَّى وَافَتْهُ الْمَنِيَّةُ بِمَكَّةَ وَقَتَّ اسْتِشْهَادِ عَثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ - .

\* أَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَغَيْرُهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَفْوَانَ أَنَّهُ بَيْنَمَا هُوَ يَدْفِنُ أَبَاهُ أَتَاهُ رَاكِبٌ ، فَقَالَ : « قُتِلَ عَثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ ! » .

فَقَالَ : « وَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَيِ الْمَصِيبَتَيْنِ أَعْظَمُ ؟ مَوْتُ أَبِي ، أَمْ قَتْلُ عَثْمَانَ » (٣) .

(١) « مختصر تاريخ دمشق » ( ٨ / ٩٣ - ٩٤ ) بتصرف يسير .

(٢) « مختصر تاريخ دمشق » ( ١١ / ٩٤ ) ، و« شرح حياة الصحابة » ( ٣ / ٢٨٠ - ٢٨١ ) .

(٣) « المعجم الكبير » ( ٨ / ٤٦ ) ، و« مختصر تاريخ دمشق » ( ١١ / ٩٤ ) .



\* وقال ابنُ عساكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « توفي صفوانُ بنُ أميَّة سنة إحدى وأربعين . وقيل : سنة اثنتين وأربعين » (١) .

\* وقال ابنُ الأثير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « مات صفوانُ بنُ أميَّة بمكَّة سنة اثنتين وأربعين ، أوَّل خلافة معاوية ، وقيل : توفي مَقْتَلَ عثمان - رضي اللهُ عنه - » (٢) .

\* رضي اللهُ عن صفوان ، وأسكنه أعالي الجنان .



---

(١) « مختصر تاريخ دمشق » ( ١١ / ٩٥ ) ، و« سير أعلام النبلاء » ( ٢ / ٥٦٧ ) .

(٢) « أسد الغابة » ( ٢ / ٤٠٧ ) .

رَفَعُ  
عبد الرحمن بن محمد  
أسكنه الله الفردوس  
www.moswarat.com

## البَاب الرَّابِع

# رجالٌ من قبائلِ شتَّى

- \* ثُمَامَةُ بْنُ أَثَالِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
- \* جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
- \* خَبَّابُ بْنُ الْأَرْتِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
- \* دَحِيَّةُ بْنُ خَلِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
- \* سَرِاقَةُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
- \* الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
- \* عُمَيْرُ بْنُ وَهَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
- \* نَعِيمُ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

رَفَعُ  
عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس  
[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

# ثُمَّامَةُ بْنُ أَثَالٍ

رضي الله عنه

- \* اجتذبه الإسلامُ فدخل فيه طائعاً ؛ وصار من رجاله .
- \* قال له ﷺ : « قد عفوتُ عنك يا ثمامةُ » .
- \* وردتُ قصته في الصحيحين ، ولقي الله شهيداً سنة ( ١١ هـ ) .

رَفَعُ  
عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس  
[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

## ثمامة بن أثال رضي الله عنه

### محاسن العفو وآثاره :

\* العفو عن أرباب الزلات ، والحلم عن مُقْتَرَفِي الجنایات ، والصَّفْحُ عن ذوي الهيئات ، والتَّجَاوُزُ عنهم بإقالة العثرات ، وإسداء الإحسان وفعل الخيرات ، واصطناع المعروف مع أهل الدرایات ، ذلك كله معدودٌ من محاسن الحسنات ، ومكارم الأخلاق التي هي خير الصفات ، وقد نطق بذلك القرآن الكريم في كثير من الآيات ، وصَرَّحَتْ به السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ عن السنة الرُّوَاةِ والثَّقَاتِ ؛ فالعفو يمحو أثر الحزازات ، ويريحُ مِنْ هَمِّ العداوات .

\* لا ريب في أنَّ كَرِيمَ الأخلاقِ لا يكونُ حَقُوداً ، ولا حسوداً ، ولا باغياً ، ولا ساهياً ، ولا لاهياً ، ولا فاجراً ، ولا فخوراً ، ولا كاذباً ، ولا ملولاً ؛ يُوْمِنُ مَنْ يخاف ، ويعفو عن قُدرة ، يجلُّ الكرام ، ولا يهينُ اللثام ، ولا يؤذي العاقل ؛ يسرُّ في المودَّة ، ويبطئُ عن العداوة .

\* هذا الرَّجُلُ الذي نَسَمَّرُ معه في هذه الساعات من رجال عصر النَّبُوَّةِ الذين اجتذبَتْهم مكارمُ الأخلاقِ النَّبَوِيَّةِ ، وأثَّرَ فيهم العفو والمعروفُ ، فكانوا من الخالدين في سجلَّاتِ العظماء الذين نُحِّلِي الأفوَّاهَ بِذِكْرِهِمْ ؛ والأسماعَ بِسِيرِهِمْ ، ونعطرُ المجالسَ بالحديثِ عنهم ؛ مع العِلْمِ أنَّه كان يتحَيَّنُ الفرصةَ لاغتيالِ رسولِ الله ﷺ ، ولكنَّه لاحظَتْهُ نَفْحَةٌ من العنايةِ الإلهيةِ ؛ فانتشَلَتْهُ من وَهْدَةِ الجاهليَّةِ ، وأمواجِ الظُّلامِ ، ووضَعَتْهُ على بَرِّ الأمانِ والنِّقاءِ والوفاءِ ،

وطريق الثور والصفاء ، وكان هذا اللقاء مع الإسلام في السنة السادسة من هجرة أمير الأنبياء ﷺ .

\* ما أجمل أن نلتقي الآن مع ثمامة بن أثال بن الثعمان الحنفي<sup>(١)</sup> ،  
أحد ملوك اليمامة !!

\* كان ثمامة أحد الملوك الذين بعث إليهم رسول الله ﷺ رسلاً من أصحابه ، وكتب إليهم يدعوهم إلى الإسلام والسلام ، فقد بعث ﷺ سليط بن عمرو العامري إلى ثمامة بن أثال ، وهوذة بن علي الحنفيين ، وهما رئيسا اليمامة يدعوهما إلى الإسلام ، فأعرض ثمامة ونأى بجانبه ، فهو سيّد مرموق من سادات قومه ، يصدر الأوامر ، ولا ينصاع لأوامر أحد .

\* لم يتوقف ثمامة بن أثال عند هذا الحدّ بادي الرأي ، وإنما سوّلت له نفسه أمراً وبيلاً ، ولعب به شيطان الغرور ذات اليمين وذات الشمال ، ومناه الأمانى الجوفاء الحمقاء ، وأغراه بأن يعرض للنبي ﷺ فيقتله ، ولما قوي عزم ثمامة على ذلك ، كان رسول الله ﷺ قد مرّ به ، فأراد ثمامة أن يغافله فيقتله ، ولكن عمه رآه يهيم بذلك ، فخوّفه ، ومنعه من الإقدام على هذه الفعلة المتهورّة الرعناء الخرقاء ؛ فكفّ يده عن ذلك ، وأهدر رسول الله ﷺ دم

---

(١) « منح المدح » (ص : ٥٨ - ٦١) ، و« تاريخ الطبري » (٢ / ٢٢٦ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠ ، ٢٨٦ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠) ، و« زاد المعاد » (١ / ١٢٢) ، و(٣ / ١١٠ ، ٢٢٧) ، و(٥ / ٦٦) ، و« طبقات ابن سعد » (٥ / ٥٥٠ - ٥٥١) ، و« السيرة النبوية » (٢ / ٦٠٧ ، ٦٣٨ ، ٦٣٩) ، و« تهذيب الأسماء واللغات » (١ / ١٤٠) ، و« أنساب الأشراف » (١ / ٣٦) ، و« أسد الغابة » (١ / ٢٩٤ - ٢٩٥) ترجمة رقم : (٦١٩) ، و« البداية والنهاية » (٥ / ٤٨ - ٤٩) ، و« الإصابة » (١ / ٢٠٤) ، و« الاستيعاب » (١ / ٢٠٥ - ٢٠٩) ، و« ثمار القلوب » (ص : ١٤٩) وغيرها كثير .



ثمامة بن أثال<sup>(١)</sup> ، وعمم هذا القرار على جميع الصحابة الأبطال .

\* وتمضي الأيام ، ويتعاقب الليل والنهار ، فإذا بثمامة قد جاء متنكراً لاغتيال النبي ﷺ بإيعاز من مسيلمة الكذاب ، فوقع ثمامة أسيراً بيد سريّة من السرايا النّبويّة ، فأخذته وهي لا تعرفه ، وجاءت به إلى النبي ﷺ ، فهل أتاك خبر هذا الأمر الشّهيّ ؟ !

### السّيّد الأسير :

\* بعد غزوة الأحزاب ، بدأت السرايا النّبويّة تنطلق من المدينة المنورة لجميع الجهات ، ومن السرايا الموقّعة التي حققت نجاحاً باهراً للمسلمين ، سريّة محمّد بن مسلمة الأنصاريّ - رضي الله عنه - ، فقد بعثه رسول الله ﷺ إلى القرطاء ومعه ثلاثون راكباً ، وكان محمّد بن مسلمة رئيس حرس النبي ﷺ الخاص ، وله خبرة ودراية بالحروب والغارات ، وكان شديد الباس ، مفرط القوّة من غير التباس .

\* انطلق محمّد بن مسلمة وصحبُه الثّلاثون إلى القرطاء ، ليغيروا على بني بكر بن كلاب ، ويؤدّبوهم في ديارهم ، وأمرهم ﷺ بالألّا يتعرّضوا لنساء بني كلاب بالسّبي إذا ما ظفروا بهم في هذه السريّة .

\* أسرعَت السريّة بقيادة محمّد بن مسلمة ، وإذا برهبان الليل ؛ والمستغفرين بالأسحار ، يصبحون في لحظات فرسان الخيل ؛ والمجاهدين بالنّهار ، وكان محمّد بن مسلمة ومن معه يسيرون بالليل ، ويكمنون بالنّهار ، وكانت لدى محمّد بن مسلمة أوامر نبويّة تأمره أن يشنّ الغارة عليهم .

\* قال ابن سعد رَحِمَهُ اللهُ فِي « طَبَقَاتِهِ » مَا مَفَادُهُ : « كَانَ بَنُو بَكْرِ بْنِ كَلَابٍ يَنْزِلُونَ الْبَكَرَاتِ بِنَاحِيَةِ ضَرِيَّةٍ ، وَقَدْ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ مُحَمَّدَ بْنَ مُسَلِمَةَ الْأَنْصَارِيِّ أَنْ يَشَنَّ عَلَيْهِمُ الْغَارَةَ ، فَسَارَ اللَّيْلَ ، وَكَمَنَ النَّهَارَ ، وَأَغَارَ عَلَيْهِمْ فَقَتَلَ نَفَرًا

(١) انظر : « طبقات ابن سعد » ( ٥ / ٥٥٠ ) بشيء من التصرّف .

منهم ، وهرب سائرهم ، واستاق خمسين بعيراً ، وثلاثة آلاف شاة ، ولم يعرض المسلمون للنساء . . . . » (١) .

\* ثم إنَّ مُحَمَّدَ بْنَ مُسْلِمَةَ الْأَنْصَارِيِّ - رضي الله عنه - قفل راجعاً ، حتَّى إذا كان في طريقه إلى المدينة المنورة ؛ أسرَ أفرادُ سرّيته سيِّداً من سادات بني حنيفة ؛ وهو ثمامةُ بنُ أثال سيِّد أهل اليمامة وهم لا يعرفونه .

\* جيء بثمامة بن أثال الحنفيّ مجموعة يدها إلى عنقه ، فلما رآه الصّادقُ المصدوق عليه السلام ، قال لأصحابه الأوفياء المخلصين - رضي الله عنهم - : « أتدرون من أخذتم ؟ هذا ثمامة بن أثال الحنفيّ ، فأحسبوا أساره » .

\* رُبطَ السيِّدُ الحنفيّ ثمامةُ بنُ أثال بسارية من سواري المسجد النبويّ ، ودخل رسولُ الله صلى الله عليه وآله على أهله فقال : « اجمعوا ما كان عندكم من طعام فابعثوا به إليه » .

\* وأمر له الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله بتخصيص ناقةٍ يأتيه لبنها سائغاً شراؤه صباح مساء ؛ وقد أحسن حبيبتنا وسيّدنا رسولُ الله صلى الله عليه وآله معاملة السيِّد الحنفيّ الأسير ، وكان يزوره ويلطفه ، حتَّى أثرت هذه المعاملة النّبويّة الرّاقية في نفس ثمامة إلى درجة كبيرة ، تحوّل معها بالتدريج من أشدّ النَّاس بغضاً للنبيّ صلى الله عليه وآله إلى أعظمهم حبّاً وتفانياً في تدعيم دعوته .

\* إنّ هذه المعاملة النّبويّة المتميّزة لهذا الرّجل المتميّز معاملةً مثمرةً ، أثّرت في نفس ثمامة ، وجعلته يفكّر في الإسلام تفكيراً صحيحاً ، ويفكّر في نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله تفكيراً سليماً ؛ فهذا هو ذا يقع في قبضته ، وقد أمكنه الله منه ، ولكنه صلى الله عليه وآله يحسنُ إليه ، ويعامله بلطفٍ ومودّة ، ويغسلُ ما بنفسه من أدران الجاهليّة وراثتها ، ويأخذ بروحه إلى مراقبي الصّفاء ، ومعالي السّناء ، وهذا

(١) انظر : « طبقات ابن سعد » ( ٢ / ٧٨ ) بشيء من التّصوّف اليسير .

التَّصَرُّفُ النَّبَوِيُّ الحَصِيفُ ؛ يَشِيرُ إِلَى التَّرْبِيَةِ النَّفْسِيَّةِ الحَكِيمَةِ وَأَثَرِهَا اللطيفِ ، وَعَمَلُهَا فِي تَحْوِيلِ النَّاسِ مِنَ الشَّرِّ إِلَى الخَيْرِ ، وَذَلِكَ بِالإِحْسَانِ وَحَسَنِ التَّدْبِيرِ .

### تربية نفسية مثمرة :

\* حبيبنا محمد رسول الله ﷺ هو الرَّحْمَةُ المَهْدَاةُ للعالمين ، فهو ﷺ يعرفُ كيف يداوي نفوس المُعْرِضِينَ ، وَيَدْرِبُهَا عَلَى النِّقَاءِ لِتَسْلُكَ دَرَجَاتِ الْمُؤْمِنِينَ .

\* فقد جعلَ الحبيبُ المصطفى ﷺ ثَمَامَةً مَرْبُوطاً بِالمسجدِ ، يَرَى صَلَاةَ المُسْلِمِينَ ، وَعِبَادَتَهُمْ ، فَيَسْمَعُ مِنْ رَسولِ اللَّهِ ﷺ مَا يُوَجِّهُ بِهِ أَصْحَابَهُ ، وَمَا يَسْعِدُهُمْ ، فَيَمْتَلِئُ عَجَباً وَإِعْجَاباً بِهؤلَاءِ الرِّجَالِ المَخْلِصِينَ القَانِتِينَ فِي اللَّيْلِ ، الأَبْطَالِ فِي النَّهَارِ .

\* جاء إليه رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال له في هدوءٍ : « مالِكُ يَا ثُمَامُ ، هَلْ أَمَكَّنَ اللَّهُ مِنْكَ ؟ » .

قال ثمامةُ : « قد كان ذلك » .

\* صار الصَّادِقُ الأَمِينُ ﷺ يَأْتِي ثَمَامَةَ وَهُوَ مَرْبُوطٌ ، فَيَقُولُ لَهُ مَلَاظِفاً بِاسْمًا : « ما عندك يا ثمامةُ ؟ » فَيَقُولُ ثَمَامَةُ مُجِيباً بِلِسَانِ الإِعْجَابِ : « يا مُحَمَّدُ عِنْدِي خَيْرٌ ، إِنْ تَقَتَّلْتُ تَقَتَّلْ ذَا كَرَمٍ ، وَذَا دَمٍ ، وَإِنْ تَعَفُّوا تَعَفُّوا عَنِ شَاكِرٍ ، وَإِنْ كُنْتَ تَرِيدُ المَالَ ، فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ » .

\* تَكَرَّرَ السُّؤَالُ مِنَ الصَّادِقِ المَصْدُوقِ ﷺ لِثَمَامَةَ مَرَّاتٍ ، وَكَانَ أَهْلُ الصُّفَّةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - يَلْقَوْنَ سَمْعَهُمْ إِلَى هَذَا الحِوَارِ بَيْنِ النَّبِيِّ ﷺ وَبَيْنِ ثَمَامَةَ فَيَعْجَبُونَ ، وَيَقُولُونَ كَمَا جَاءَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : « فَجَعَلْنَا نَحْنُ المَسَاكِينُ نَقُولُ : ما نَصْنَعُ بِدَمِ ثَمَامَةَ ؟ وَاللَّهِ لَأَكْلَةُ مِنْ جَزْوِرِ سَمِينَةٍ مِنْ فِدَائِهِ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ دَمِ ثَمَامَةَ » .

\* كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يَنْظُرُ لِأَبْعَدَ مِنْ أَكْلَةِ جَزْوِرِ سَمِينَةٍ ، فَقَدْ كَانَ ﷺ

يحبُّ أن يهديَ اللهُ - عزَّ وجلَّ - سيِّدَ أهلِ الإمامةِ إلى الإسلامِ ، فكَّرَ قوله لثمامة : « ما عندك يا ثمامة ؟ » ثلاثة أيامٍ كواملٍ ، من باب التَّربيةِ التَّفْسيَّةِ ، وتأليفِ القلوبِ ، وملاطفةِ ثمامةِ وأمثاله ممَّن يُرجى من إسلامهم إسلامَ الذين يتبعونهم ، وإذا ما أسلم ثمامةٌ وهو سيِّدٌ شريفٌ ، فسيتبعه خلقٌ كثيرٌ من قومه أهلِ الإمامةِ ، فالإمامةُ كانت ريفاً لأهلِ مكَّةَ ، وكانت تمُدُّهم بالحنطةِ ، فإسلام سيِّدِ الإمامةِ يهدِّدُ قريشاً بقطعِ الحنطةِ عنهم .

\* انقضى يومان والحوارُ دائرٌ بين رسولِ الله ﷺ وبين ثمامة بن أثال ، وخلال هذا الوقت كانت بذور الإيمان تُلقى في أغوار سيِّدِ أهلِ الإمامةِ وأعماقه ، وكانت أحقادُهُ التي رانت على قلبه تُكشطُ كَشْطاً بحسنِ رقةِ النَّبيِّ ﷺ وإحسانه ، ولمَّا كان اليومُ الثالثُ سأله ﷺ : « ما عندك يا ثمامة ؟ » فكانت الإجابةُ الثَّماميَّةُ هي أو قريبةٌ من هي .

\* وهلها لم يقتله الصَّادقُ المصدوقُ ﷺ ، ولم يطلبِ الفداءَ ، وإنَّما قال لأصحابه : « أطلقوا ثمامةَ » ، ثمَّ قال لثمامةِ في ابتسامه هادئةٍ ؛ وهمساتٍ دافئةٍ : « قد عفوتُ عنك يا ثمامةُ » .

\* أطلقَ الصَّادقُ المصدوقُ ﷺ ثمامةَ بنَ أثالِ الحنفيِّ دونِ مقابلٍ ، أطلقه وهو يعلمُ أنَّ أهلَ الإمامةِ أشدَّ النَّاسِ بُغْضاً له ولرسالتهِ ، أطلقه ليذهبَ حرّاً حيثُ يشاء ، وأنِّي يريد .

\* إنَّ سيِّدَ بني الإمامةِ مبهورٌ بهذه التَّربيةِ النَّبويَّةِ ، وهذا العفو المحمَّديُّ ، مبهورٌ بسماحةِ دينِ الإسلامِ ، ونبيِّ الإسلامِ ، وكرمه ، ومعاملتهِ الرَّاقيةِ التي أخذتْ بزمامِ قلبه فاحتوته وملكته ؛ لقد سَعِدَ وهو في إيساره بالحكمةِ التي تتدفَّقُ من فيِّ الحبيبِ المصطفى ﷺ ، واستشعرَ كأنَّ الثُّورَ المنبعثَ من المسجدِ النَّبويِّ قد ملأَ جوانحه وفاضَ ، فلم يعدْ إلى قومه بني حنيفةِ في الإمامةِ ، وإنَّما انطلقَ إلى ماءٍ قريبٍ من المسجدِ ، فاغتسلَ كأحسنِ ما يكونُ الاغتسالَ وطهَّرَ ثيابهَ ، ثمَّ عادَ فدخلَ المسجدَ وقد طرَحَ الجاهليَّةَ كلَّها وراءَ ظهره ، وطلَّقها إلى الأبدِ ، ثمَّ توجَّهَ إلى الحبيبِ

الأعظم ﷺ وقال في صدق الأصفياء ونبرات الصادقين : « أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله » .

\* انسكبت عبراتٌ دافئةً على وَجْتي ثمامة ؛ وكان عنوانها الندامة . ثم اقترب من رسولِ الله ﷺ وقال في نبوة صادقة : « يا محمداً والله ما كان على الأرض وجهٌ أبغضَ إليَّ من وجهك ، فقد أصبح وجهك أحبَّ الوجوه كلها إليَّ ، والله ما كان على الأرض من دينٍ أبغضَ إليَّ من دينك ، فقد أصبح دينك أحبَّ الدِّين كله إليَّ ، والله ما كان من بلدٍ أبغضَ إليَّ من بلدك ، فقد أصبح بلدك أحبَّ البلاد إليَّ » .

### لماذا اعتقلتُ قريشُ ثمامة ؟

\* بعد أن شهد سيدنا ثمامة بنُ أثال شهادةَ الحقِّ ، صار من خيرة الصحابة ، وتحزَّر قلبُه من الأوهام ، واكتسب ضميره معرفةً وخصباً ، فإذا بأنوار المعارف تشرقُ من أعماق قلبه ، وإذا به يستشعرُ أنَّه قد اقترب من الله - عزَّ وجلَّ - اقتراباً صقله من كلِّ متعلقاتِ الجاهليَّة ، فقد تيقنَ - بعد أن ذاق حلاوة الإيمان - أنَّ القلوبَ المشغولةَ بغيرِ الله - عزَّ وجلَّ - هي قلوبٌ خاويةٌ محرومةٌ من النعيمِ الحقيقيِّ .

\* شرعَ سيدنا ثمامةُ ينهلُ من معينِ النبوةِ الفُراتِ ، وينعمُ بصفائه ، فأصبحَ مستأنساً بالله - عزَّ وجلَّ - ، يعيشُ في الله ، وبالله ، ومع الله ، لقد امتلأ فؤاده ، ومُلئ مشاشه بحبِّ الله - عزَّ وجلَّ - ، وحبِّ رسوله ﷺ ، حتَّى إنه صار لا يقدرُ على أن يفارقه ساعةً من النَّهار ، ولكن ماذا يفعل وحثام يبقَى سيِّد أهل اليمامة في المدينة ؟ لعلَّ عودته إلى اليمامة تنفعُ قومه ؛ إذ إنَّه سيدعوهم إلى صراطِ العزيزِ الحميد ، وإلى دينِ الله - عزَّ وجلَّ - ، ولعله يأملُ أن يهديهم الله - عزَّ وجلَّ - فيشرحَ صدورهم للإسلام .

\* أسئلةٌ كثيرةٌ ، وتساؤلاتٌ مثيرةٌ ؛ انثالت أمامَ سيدنا ثمامة ، ولكنه رأى أن يستشيرَ معلِّمه وإمامه ، فجاء النَّبيُّ ﷺ ليخرجهُ من حيرته ، فقال

له : « يا رسول الله ! إنِّي خرجتُ معتمراً ، وإنَّ خيلَكَ أخذتني ، وأنا أريدُ العمرة ، فماذا ترى ؟ » .

\* لمسَ الحبيبُ المصطفى ﷺ صدقَ ثمامةَ ، فبشَّره بالخير ، وأمره أنْ يعتمرَ ، فامتطى راحلته ، وتوجَّه ليعتمرَ ، حتَّى إذا قدم بطنَ مكَّةَ ، ورأى النَّاسَ يطوفون بالبيتِ العتيقِ ، وقد امتلأ بالأصنامِ ، ونداءاتِ الشُّركِ ترتفعُ هنا وهناك ، أخذَ يلبيُّ بصوتِ جهوري : « لبيكَ اللهمَّ لبيك ، لبيك لا شريكَ لكَ لبيك ، إنَّ الحمدَ والنَّعمةَ لكَ والمُلْكُ ، لا شريكَ لكَ » .

\* تساقطتْ هذه التَّلبيَّةُ على أسماعِ ساداتِ قريشِ تبعاعاً ، فطارَتْ قلوبُهُم ونفوسُهُم شعاعاً ، وتعجَّبوا من ثمامةَ الذي يسمعونَ ما يكرهون ، وقاموا إليه يناقشونه في صيغةِ هذه التَّلبيَّةِ البكرِ ، وكانت أوَّلَ تَلبيَّةٍ (١) في مكَّةَ يُعلنُ فيها أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحده لا شريكَ له ، واشتدَّ الحوارُ والجدالُ فيما بينهم ، ثمَّ أعلنَ ثمامةُ على الملأِ الوثنيِّ أنَّه قد أسلمَ ؛ وأنَّه يشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ ، وأنَّ محمَّداً رسولُ اللهُ .

\* اعتبرت قريشٌ هذا الأمرَ تحدياً لِسُلطانها ، وأخذت الدِّماءُ تغلي في عروقِ ساداتها ، فقالوا له : « لقد اجترأتِ علينا ، أنتِ صَبَوْتَ يا ثمامةُ ؟ » .

\* لم يَأبئة ثمامةُ لغوغائهم ، ولم يحفلُ بثورتهم وبسفهائهم ، فقد

---

(١) أشار محمود سامي البارودي في قصيدته « كشف الغمَّة في مدح سيِّد الأُمَّة » إلى أسْرِ

ثمامة ، ثمَّ جهره بالتَّلبيَّةِ في مكَّةَ فقال :

وسار بعثٌ فلم يخطئُ ثمامةَ إذ رآه فاختارَه غنماً ولم يُلمِّ

ذاك الهمامُ الذي لبَّى بمكَّةَ إذ أتى بها مُعلنأ في الأشهرِ الحُرِّمِ

ومن الجدير بالذكرُ أنَّ سيِّدنا ثمامةَ كان أوَّلَ مَنْ دخلَ مكَّةَ المَكْرَمَةَ يلبِّي ، وفي

هذا الأمرُ قال أحدُ بني حنيفة في ذلك :

ومنا الذي لبَّى بمكَّةَ مُحرمأ برغمِ أبي سُفيانِ في الأشهرِ الحُرِّمِ

« السِّيرة النَّبويَّة » ( ٢ / ٦٣٩ ) بتصرُّف .

كان - رضي الله عنه - مطمئناً ، إنَّه عرفَ الهدى بعد الضَّلالة ، وتفتَّح قلبه على الثُّور بعد الظُّلمات ، وذاقَ لذَّة الأُنس بالله بعد الوحشة ، فقال وهو ثابتُ الجَنان ، لا يخافُ إلا من الكريم المَنَّان : « ما صبوتُ ، وإنما أسلمتُ وتبعثُ خيرَ دين ، دين محمدٍ » فزادَ ذلك من غيظهم ، وغضبوا غضباً شديداً ، فلمَّا رأهم كذلك قال لهم : « والله لا يصلُ إليكم حَبَّة من حنطةٍ حتَّى يأذنَ فيها رسولُ الله ﷺ » .

\* كاد القومُ يتميِّزون من الغَيْظ ، وحاولوا قتلَه ، وارتفعت أصواتُ حانقةٍ تقول : « ويحكم اضربوا عنقه » . وقدَّموه ليضربوا عنقه ، فإذا هو ثابتُ كالجبل الأشمِّ ، لم يخفُ ، ولم يرتجفُ ، امتزج غضبُ القرشيين المتجمهرين حولَ ثمامة بشيء من الدهشة والإعجاب به ، لقد جعله الإسلامُ رجلاً غير الذي يعرفونه من قَبْلُ ، وانبعثَ صوتٌ من أحد عقلائهم ينصحُ لهم بالأُيُقْدُموا على قتل سيِّد اليمامة ثمامة ؛ وقال لهم : « ويحكم ! دعوه ؛ فإنَّكم تحتاجون إلى اليمامة » .

\* وصدق قائلهم بأنَّهم يحتاجون إلى اليمامة ، فقد كانت أرضُ الحنطةِ التي يعتمدون عليها في ميرتهم ، فإن قُتِلَ سيِّدهم ثمامة ، فإنَّ ذلك سيدفعهم إلى حَبْس الحنطة عنهم ، إن لم يثأروا له . لهذا خلَّوا سبيله وهم راغمون ؛ فخرج ثمامة إلى اليمامة ، وأمر قومه أن يحبسوا عن قريش ما كان يأتي إليها من اليمامة من حبوب ومانع ، فأضربَ ذلك بقريش ضرراً كبيراً إلى درجة تفتَّشت معها المجاعة في مكَّة ، حتَّى أكلت أسوأ الطَّعام .

\* اضطرت قريش تحت وطأة الجوع ، وتحت ذلِّ الهزيمة في أعماقها أن تلتمسَ الوساطة المحمَّديَّة ؛ لِتُقنِعَ سيِّد بني حنيفة بأن يرفع العقوبات التَّمويَّنيَّة التي فرضها عليهم ؛ حتَّى قال ابن سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « فضيَّقَ على قريش ، فلم يدعْ حَبَّة تأتِيهم من اليمامة » (١) .

\* لم تجد قريشُ بداً من أن تُخطَّ رسالةٌ إلى النَّبيِّ ﷺ لرفع الضَّائقة

(١) « طبقات ابن سعد » ( ٥ / ٥٥٠ ) .

الاقتصادية التي نزلت بساحتها ، فكتبت إلى الصادق المصدوق عليه السلام كتاباً مضمونه : « يا محمد ! ألسنت تقول : بأنك قد بعثت رحمة للعالمين ؟ إن عهدنا بك تأمر بصلة الرحم ، وتحث عليها ، وإن ثمامة بن أثال الحنفي قد قطع عتاً ميرتنا ، وأضر بنا ، فإن رأيت أن تكتب إليه أن يخلي بيننا وبين ميرتنا فافعل » .

\* استجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لاستغاثة قومه به ، ورجائهم رحمته ، وبره ومودته ، على الرغم من أنه في حالة حرب معهم ، فكتب إلى سيد بني حنيفة ثمامة بن أثال : « أن خل بين قومي وبين ميرتهم » .

\* امثل ثمامة أمر النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يتوقف لحظة عن طاعته ، وسمح للحنفيين متابعة نشاطهم التجاري ، وفك الحصار المفروض على قريش ، وبعث بالمحاصيل إلى مكة المكرمة ؛ فارتفع عن أهلها شبح المجاعة ، وفرح الناس بهذه المنح المحمدية ؛ والأخلاق النبوية ، والشمائل المصطفوية ، التي استلقت الغيظ من نفوسهم ، وجعلتهم يقتربون من نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم .

\* ذكر عدد من المفسرين قصة ثمامة عندما تعرّضوا لقوله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَاثُوا لِلرَّحْمِ وَمَا يَنْصُرُونَ ﴾ [المؤمنون : ٧٦] ، فقالوا : « لمّا أسلم ثمامة بن أثال الحنفي ، ولحق باليمامة ، حال بين أهل مكة وبين الميرة من يمامة ، فأخذ الله - عز وجل - قريشاً بسني الجذب ، حتّى أكلوا العلهز ، فجاء أبو سفيان بن حرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : أنشدك الله والرحم ، ألسنت تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « بلى » .

فقال : قتلت الآباء بالسيف ، والأبناء بالجوع .

فنزلت الآية : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم ... ﴾ الآية ... » (١) .

(١) « البحر المحيط » ( ٥ / ٣٨٣ ) ، و « أسباب النزول » للواحيدي ( ص : ٢٦٢ ) مع



## قصةُ ثَمَامَةَ فِي الصَّحِيحَيْنِ :

\* جاءت قصةُ سيّدنا ثَمَامَةَ بنِ أثال - رضي اللهُ عنه - في « الصَّحِيحَيْنِ » ، كما جاءت في كثيرٍ من كتبِ السِّيَرَةِ ، والتَّراجمِ ، والتَّوَارِيخِ ، وغيرها ، وهانحنُ أولاءُ نسوقُ قصّته الشَّائقةَ من « الصَّحِيحَيْنِ » ، ونعرفُ بعضَ ما تنطوي عليه من أحكامٍ ، وعظائمِ نافعَةٍ ، وفوائدٍ ودروسٍ مآتة .

\* فقد أخرجَ الشَّيْخَانُ بسندٍ عن اللَّيْثِ بنِ سَعْدٍ ، عن سَعِيدِ بنِ أَبِي سَعِيدِ المَقْبُرِيِّ : أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ - رضي اللهُ عنه - يقولُ : « بعثَ رسولُ اللهِ ﷺ خيلاً قِبَلَ نَجْدٍ ، فجاءت برجلٍ من بني حنيفة يُقالُ له ثَمَامَةُ بنُ أثال ، سيّد أهلِ اليمامة ، فربطوهُ بساريةٍ من سوارِي المسجد ، فخرج إليه رسولُ اللهِ ﷺ فقال : « ماذا عندك يا ثَمَامَةُ ؟ » .

فقال : عندي يا مُحَمَّدُ خيرٌ ؛ إِنْ تَقَتَّلْتَ تَقَتَّلْتُ ذَا دَمٍ ، وَإِنْ تُنَعِمَ تُنَعِمَ عَلَيَّ شَاكِرٌ ، وَإِنْ كُنْتَ تَرِيدُ المَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ .

فتركه رسولُ اللهِ ﷺ حتَّى كان بعدَ الغَدِ ؛ فقال : « ما عندك يا ثَمَامَةُ ؟ » .

قال : ما قلتُ لك ، إِنْ تُنَعِمَ تُنَعِمَ عَلَيَّ شَاكِرٌ ، وَإِنْ تَقَتَّلْتَ تَقَتَّلْتُ ذَا دَمٍ ،

---

والمعنى : لو كشفَ اللهُ - عزَّ وجلَّ - عنهم هذا الصَّرَّ ، وهو الهزال والقحط الذي أصابهم ، ووجدوا الخصب لا رتدوا إلى ما كانوا عليه من الاستكبار ، وعداوة رسولِ اللهِ ﷺ والمؤمنين ، وإفراطهم فيها .

وقيل المعنى : ولو امتحنَّاهم بكلِّ محنةٍ من القتل والجوع ، فما رُؤي فيهم استكانة ولا انقياد . ووزن استكان : استفعل ؛ أي : انتقل من كون إلى كون ، كما تقول : استحال : انتقل من حال إلى حال . ومعجىء مصدره : استكانة ، يدل على أنَّ الفعل وزنه : استفعل ، كاستقام استقامة . والله تعالى أعلم .

وإن كنت تريدُ المال ، فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ .

فتركه رسولُ الله ﷺ ، حَتَّى كَانَ مِنَ الْغَدِ ، فَقَالَ : « مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثَمَامَةُ ؟ » .

فقال : عندي ما قلتُ لك ؛ إِنْ تُنْعَمَ تُنْعَمَ عَلَيَّ شَاكِرٌ ، وَإِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ ، وَإِنْ كُنْتَ تَرِيدُ الْمَالَ ، فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ .

فقال رسولُ الله ﷺ : « أَطْلِقُوا ثَمَامَةَ » .

فانطلقَ إلى نَحْلِ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ ، فَاغْتَسَلَ ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ ، فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، يَا مُحَمَّدُ ! وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَيَّ الْأَرْضُ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهَكَ أَحَبَّ الْوَجُوهِ كُلِّهَا إِلَيَّ ، وَاللَّهِ ! مَا كَانَ دِينٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ كُلِّهِ إِلَيَّ ، وَاللَّهِ ! مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ كُلِّهَا إِلَيَّ ؛ وَإِنَّ خَيْلِكَ أَخَذْتَنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعِمْرَةَ ، فَمَاذَا تَرَى ؟

فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ ، قَالَ لَهُ قَائِلٌ : أَصَبَوْتَ ؟

فقال : لا ، وَلَكِنِّي أَسْلَمْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَلَا وَاللَّهِ لَا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَّةٌ حَنْظَةٌ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « (١) .

---

(١) مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ ، أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْمَغَازِيِّ بِرَقْمِ : ( ٤٣٧٢ ) ، بَابِ : وَفَدَ بَنِي حَنِيفَةَ ، وَحَدِيثُ ثَمَامَةَ بْنِ أُنَالٍ ، وَمُسْلِمٌ فِي الْجِهَادِ وَالسَّيْرِ بِرَقْمِ : ( ١٧٦٤ ) ، وَاللَّفْظُ لَهُ ، بَابِ : رِبْطُ الْأَسِيرِ وَحَبْسِهِ ، وَجَوَازُ الْمَنْ عَلَيْهِ ، وَأَبُو دَاوُدَ فِي الْجِهَادِ بِرَقْمِ : ( ٢٦٧٩ ) ، وَ« سَبِيلُ الْهَدْيِ وَالرَّشَادِ » ( ٦ / ١١٢ - ١٢٢ ) ، وَ« السَّيْرَةُ النَّبَوِيَّةُ » ( ٢ / ٦٣٨ - ٦٣٩ ) ، وَ« تَارِيخُ الْإِسْلَامِ » لِلذَّهَبِيِّ ( الْمَغَازِيُّ ، ص : ٣٥٠ ) ، وَ« دَلَائِلُ النَّبَوَّةِ » لِلْبَيْهَقِيِّ ( ٤ / ٧٨ - ٨١ ) ، وَ« صَحِيحُ السَّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ » ( ص : ٣٨٥ - ٣٨٦ ) وَغَيْرُهَا كَثِيرٌ .

ومعنى قوله « ماذا عندك » : أي : ما الذي استقرَّ في ظنِّك أن أفعله بك ؟ فأجاب ثمامة بأنه ظنَّ خيراً . فقال : عندي يا محمَّد خير ؛ أي : لأنك لست ممَّن يظلم ، بل ممَّن يعفو ويحسن . و« ذا دم » : صاحب دم لدمه موقعٌ يشتهي قاتله بقتله ، ويدرك ثأره لرياسته وعظمته ؛ ويحتمل أن يكونَ المعنى : أنه عليه دم وهو مطلوبٌ به ، فلا لوم عليك في قتله . و« فبشَّره » : أي : بخيري الدنيا والآخرة ، أو بشَّره بالجنة أو بمحو ذنوبه وتبعاته السابقة . و« أسلمتُ مع رسول الله ﷺ » : كأنه قال : لا ما خرجتُ من الدين ؛ لأنَّ عبادة الأوثان ليست ديناً ، فإذا تركتها لا أكون خرجت من دين ، بل استحدثتُ دين الإسلام ، وقد وافقتُ رسولَ الله ﷺ على دينه ، فصرنا متصاحبين في الإسلام أنا بالابتداء وهو بالاستدامة .

وفي قصَّة سيِّدنا ثمامة بن أثال فوائدها عديدة من أبرزها :

- ١ - جوازُ ربط الكافر في المسجد ، والمنُّ على الأسير الكافر .
- ٢ - تعظيمُ أمر العفو عن المسيء ؛ لأنَّ ثمامة أقسم أن بغضه انقلبَ حباً في ساعة واحدة لما أسداه رسولُ الله ﷺ إليه من العفو ، والمنُّ بغير مقابل .
- ٣ - الاغتسالُ عند الإسلام ، والتَّطهُّر للجسم والثياب ، كما فعل ثمامة حين أسلم .
- ٤ - الإحسانُ يزيلُ البغض ، ويمحو العداوة ، ويثبتُ الحب ، ويؤسِّس المودة .
- ٥ - إذا أراد الكافرُ عمل خير ، ثمَّ أسلم ، شرع له أن يستمرَّ في عمل ذلك الخير .
- ٦ - الملاطفةُ واللينُ المدرسوُ المعتدُّ لمن يرجى إسلامه من الأسارى إذا كان في ذلك مصلحة للإسلام ، ولا سيما من يتبعه على إسلامه العددُ الكثيرُ من قومه أو من أتباعه ومن هم تحت إمرته .
- ٧ - الإسلامُ يغيِّرُ سلوك المؤمن ، فيعمل لصالح المسلمين ، كما فعل ثمامة حينما حبسَ الطَّعام عن أهل مكَّة ، إلى أن جاءه الإذنُ النَّبويُّ بإطلاق الميرة والحبوب لهم .
- ٨ - إذا أراد الكافرُ الإسلام بادِّربه ، ولا يؤخره للاغتسال .
- ٩ - الإسلامُ يهدمُ ما كان قبله ، وقد تواترت الأحاديث الصَّحيحة بذلك .

## ثباته في وجوه المرتدين :

\* كان سيّدنا ثمامة بن أثال - رضي الله عنه - ممّن أخلص للإسلام إخلاصَ الموقنين ، فقد ظلّ وفياً للحبيب المصطفى ﷺ ، مقيماً على العهد الذي فارقه عليه ، ولمّا ظهر زَيْغُ مُسيلمة الكذاب في بني حنيفة ، وقوي أمرُهُ ، واشتدَّت شوكته ، أرسل رسولُ الله ﷺ فُراتَ بنَ حَيَّان العجليّ إلى ثمامة في قتالِ مسيلمة الكذاب وقتله (١) .

\* كان مسيلمة قد أعلن التّبوءَ في اليمامة ، وادّعى الشّركة مع النّبِيِّ محمّد ﷺ ، وفتنَ أهلَ اليمامة ، وانقسموا بين مُصدّق ومُكذّب ، وراضٍ وساخطٍ ، بل إنّه افتعلَ كتاباً يذكرُ فيه أنّ رسولَ الله ﷺ جعلَ له الأمرَ من بعده ، فصدّقه أكثرُ بني حنيفة (٢) .

\* وبلغ من تبرُّك بني حنيفة به أنّهم كانوا يسألونه أن يدعوَ لمريضهم ، وأن يباركَ لمولودهم ، وهم يعلمون علمَ اليقين أنّه كذابٌ مفترٍ لَعَاب ، فقد جاءهُ قومٌ بمولودٍ لهم فمسحَ رأسه فصار أقرعٌ قبيح الرّأس ، وجاءه رجلٌ يسأله أن يدعوَ لمولودٍ له بطولِ العمر ، فماتَ المولودُ من يومه ؛ وعلى الرّغم من هذا كلّهُ ظلَّ شطراً كبيراً من الحنفيين يصدّقونه في ترّهاته والأعيبه عصبيةً وجهلاً ، وغلب الشّقاء عليهم .

\* وتذكرُ المصادر المتنوّعة بأنّ سيّدنا ثمامة بن أثال - رضي الله عنه - كان من فضلاء الصّحابة ، وتوفي رسولُ الله ﷺ وثمامة متمسكٌ بالإسلام لا يحدُّ عن الحقِّ قيدَ أنملة ، ولمّا ارتدَّ أهلُ اليمامة لم يرتدَّ ثمامة ، وثبتَ على إسلامه ، هو ومن اتّبعه من قومه ، وكان مقيماً باليمامة ينهاهم عن اتّباع مسيلمة

= ١٠ - العمرة مستحبّة في كلّ وقتٍ .

(١) انظر : « أسد الغابة » ( ٤ / ٥٢ ) بشيء من التّصرّف .

(٢) « ثمار القلوب » ( ص : ١٤٩ ) بتصرّف .

الكذاب وتصديقه ؛ ويقول لهم : « إياكم وأمرًا مُظلمًا لا نور فيه ، وإِنَّه لشقاءٌ كتبه الله - عزَّ وجلَّ - على مَنْ أخذ به منكم ، وبلاءٌ على مَنْ لم يأخذ به منكم يا بني حنيفة » (١) .

\* قال أبو منصور الثعالبي رَحِمَهُ اللهُ وغيره : « وكان ثمامةُ بنُ أثال الحنفيّ يقشعُرُ جلدهُ من ذِكْرِ مسيلمة ، وقال يوماً لأصحابه يعظهم ويذكُرهم : إِنَّه لا يجتمعُ نَبِيَّانِ بأمرٍ واحد ، وإنَّ مُحَمَّدًا رسولُ الله لا نبيَّ بعده ، ولا نبيَّ يُشركُ معه ، كما أنَّ الله - عزَّ وجلَّ - لا شريك له في ألوهيته ، فلا شريك لمحمد في نبوته . ثمَّ قال : أين قول مسيلمة : [ يا ضفدع نقيّ نقيّ كم تنقيّن ، لا الماء تكدرين ، ولا الشُّرب تمنعين ] من قول الله تعالى الذي جاء به مُحَمَّدٌ ﷺ : ﴿ حَمَّ ۙ نَزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطُّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهَ الْمَصِيرِ ۝ ﴾ [ غافر : ١ - ٣ ] ، فقالوا : أَوْقِحْ بمنْ يقولُ مثل ذلك مع مثل هذا ! فلَمَّا قدم خالدُ بنُ الوليد - رضي الله عنه - اليمامةَ شكر ذلك لثمامة بن أثال ، وعرف به صحّة إسلامه » (٢) .

\* ومن الخير أن تُقالَ كلمةُ الخير في موضعها ، والخيرُ الذي ينبغي أن نقوله بأنَّ بني حنيفة لم يكونوا كلهم قد تابعوا مسيلمة الكذاب ، وساروا وراءه ضالِّين مضلِّين ، وللكنما ظهرت ثلّةٌ مباركةٌ أبدت سخريتها بمسيلمة ودعوته الخبيثة ، وهبَّت تقاومُ ترّهاته وتهاجمُهُ ، وتدعو إلى التبرؤ منه ، وكان في مقدمة هذه الثلّة السَيِّدُ المفضل ، ثمامةُ بنُ أثال ، فكما علمنا أَنه كان ممَّنْ ثبت على إسلامه ثبات الجبال ؛ لَمَّا اندلعت نيران فتنة الارتداد والمرتدين في الجزيرة بعامة ، وقومه خاصّة ، وكانت مقاومةُ ثمامةٍ ومَنْ معه من الثابتين على

(١) « أسد الغابة » ( ١ / ٢٩٥ ) .

(٢) « ثمار القلوب » ( ص : ١٤٩ ) ، و« طبقات ابن سعد » ( ٥ / ٥٥٠ - ٥٥١ ) ، و« الاستيعاب » ( ١ / ٢٠٧ - ٢٠٨ ) مع الجمع والتصرّف .

الإسلام مقاومة ذات أثر بسيط ، فقد استطاع من خلالها أن يشغل المرتدين حتى وصلت جيوش الخلافة الراشدة بقيادة سيف الله وسيف رسوله خالد بن الوليد - رضي الله عنه - ، فدمرت تجمعات مسيلمة الكذاب ، وبترتها ، وأعدت السلام والأمان إلى أرض اليمامة وما حولها ، وفاء الناس إلى دين الله وأمره .

\* ومن العجيب أن أناساً من بني حنيفة موقنة تمام اليقين أن مسيلمة أكذب الناس ، ومع معرفتهم بكذبه فإن عناصر منهم وقفوا إلى جانبه وقفة مصلحة ، فطمعت في السلطان ، وتعصبت للقبيلة ، وطمعت في الأموال والمغانم ، وكان في مقدمة هؤلاء المنكرين والمفتونين ، طلحة النمرى .

\* وتبسّط الروايات محاوراً بين طلحة ومسيلمة مفادها : « أن طلحة النمرى جاءه ، فقال : أين مسيلمة ؟

قالوا : مع رسول الله .

فقال : لا ؛ حتى أراه .

فلما جاءه قال له : أنت مسيلمة ؟

قال : نعم .

قال : من يأتيك ؟

قال : رحمن .

قال : أفي نور أو في ظلمة ؟

فقال : في ظلمة .

فقال طلحة النمرى : أشهد أنك كاذب ، وأن محمداً صادق ، ولكن

كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر .

فقتل طلحة النمرى مع مسيلمة يوم عقرباء كافراً<sup>(١)</sup> .

---

(١) « الكامل في التاريخ » ( ٢ / ٣٦٢ ) بتصرف .

\* لقد طغت أخبار ردة مُسيلمة الكذاب باليمامة على غيرها من أخبار ؛ ومنها : ثبات جماعات من المسلمين الصادقين في اليمامة بصفة عامة ، ولم يتعرّض بعضُ الكتاب المعاصرين للحديث عن المسلمين الذين ثبتوا على دينهم في فتنة مُسيلمة الخبيثة اللثيمة ، وكيف جابهوه ووقفوا ووقفه مشرفةً في وجهه ، ومن ثمّ ساندوا جيوش الخلافة الرّاشدة التي جاءت إلى اليمامة لتقضي على فتنة مسيلمة التي استشرّت وعظّم شررها ، فأطفأتها الجيوش الإسلاميّة في عهد سيّدنا أبي بكر الصّدّيق - رضي الله عنه - ببركة صدقه وصفاء نيّته - رضي الله عنه وأرضاه وحشرنا في زمرة - .

\* فقد أودعت التّواريخُ في ثناياها أنّ ثمامة بنَ أثال - رضي الله عنه - كان من مشاهير بني حنيفة وأعيانهم ، وكان واحداً من أكابرهم ، وعقلانهم ، ومن ذوي الفهم والرّأي السّديد فيهم ، وكان مخالفاً لمسيلمة على ما هو عليه من الرّدة ، وكان ممّا قاله لمن تابع مسيلمة الكذاب : « . . . ويحكم يا بني حنيفة ! اسمعوا قولي تهتدوا ، وأطيعوا أمري ترشدوا ، واعلموا أنّ محمّداً ﷺ كان نبياً مرسلًا ، لا شكّ في نبوّته ، ومسيلمة رجل كذاب ، لا تغتروا بكلامه ، وكذبه ، فإنّكم قد سمعتم القرآن الكريم كلام الله تعالى ، فأين هذا الكلام من كلام مسيلمة ؟ فانظروا في أموركم ، ولا يذهبَنَّ هذا عنكم ، ألا وإني خارجٌ إلى خالد بن الوليد في ليلتي هذه ، طالباً منه الأمان على نفسي ، ومالي ، وأهلي ، وولدي » .

\* ووقع كلامُ ثمامة موقِعاً حسناً عند بعض عقلاء بني حنيفة ، فكان جواب مَنْ ثبتَ على الإسلام من قومه أن قالوا له : « نحنُ معك يا أبا عامر ، فكُنْ من ذلك على علم » .

\* وتذكّرُ بعضُ الرّوايات أنّ ثمامة - رضي الله عنه - كان يرسلُ إلى مسيلمة ، وينصحُ له بأن يرجع عن إفكه ، وتروي هذه الرّوايات شعراً لثمامة منه قوله :

مُسَيْلِمَةٌ ارْجِعْ وَلَا تَمْحِكِ      فَإِنَّكَ فِي الْأَمْرِ لَمْ تُشْرِكِ  
كَذَبْتَ عَلَى اللَّهِ فِي وَحْيِهِ      فَكَانَ هَوَاكَ هَوَى الْأَنْوَكِ  
وَمَنَّاكَ قَوْمُكَ أَنْ يَمْنَعُوكَ      وَإِنْ يَا أَتْهَمُ خَالِدٌ تُشْرِكِ  
فَمَا لَكَ مِنْ مَّضْعِدٍ فِي السَّمَاءِ      وَلَا لَكَ فِي الْأَرْضِ مِنْ مَسْلِكِ

\* أورد ابن سيّد النَّاسَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في ترجمته الماتعة لسيدنا ثمامة من كتابه : « منح المدح » كلاماً نفيساً وشعراً سلساً لثمامة ، فقال : « كان ثمامة بن أثال - رضي الله عنه - ممن ثبت على إسلامه حين الردّة عن الإسلام ، وله مقام محمود في الردّ على مسيلمة وقومه ، وكلام حسن صدر عنه في ذلك نظماً ونشراً . ولما أغلظ لمسيلمة وبرئ منه ، قال : ما قضيتُ حقّ رسول الله ﷺ بعد ، فجمع بني حنيفة ، فخطبهم فقال : يا بني حنيفة ! إنّي أرى فيكم بغياً ولجاجةً ، والبغي هلاك واللجج نكد . . . . في كلام قال فيه : وإنكم والله لو قاتلتم أمثالكم ، لمّا خفتُ أن يغلبوكم ، ولكنكم تقاتلون الثبوة بالكهانة ، والقرآن بالشعر ، والأنصار بالكفار ، والمهاجرين بالأعراب ، وإنّما الندامة عند العيان ، والشكّ عند السيف ، فلو كان لنادم إقاله ، أو لشاكّ بقاء ، لم نكره أن تذوقوا عواقب ما أنتم فيه ، ولكنّه هلاك الأبد . فأعظمه القوم أن يجيبوه ، وثبتوا على أمرهم ، فرجع مغضباً وقال في ذلك :

أَهْمٌ بَتْرِكِ الْقَوْلِ ثُمَّ يَرُدُّنِي      إِلَى الْقَوْلِ إِنْعَامُ النَّبِيِّ مُحَمَّدِ  
شَكْوَتْ لَه فَكَّيْ مِنْ الْعُلِّ بَعْدَمَا      رَأَيْتُ خَيْالاً مِنْ حُسَامٍ مَهْتِدِ  
وَمَا كَانَ إِلَّا مَسْحَةً بِنْدَابِهِ      فَأَصْبَحَ صَبْحاً شَايِلَ الرَّجْلِ وَالْيَدِ « (١)

\* وذكر ابن عبد البر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في « الاستيعاب » : أنّ بني حنيفة الذين أشربت قلوبهم ممخرقات مسيلمة قد عصوا ثمامة بن أثال ، فلمّا خالفوه

(١) « منح المدح » (ص : ٥٩ - ٦٠) ، وانظر : « الإصابة » (١ / ٢٠٤) .



وأَصْرُوا عَلَى عَصِيَانِهِمْ ، وَرَأَى أَنَّهُمْ قَدْ أَصْفَقُوا عَلَى اتِّبَاعِ مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ وَمُنَاصَرَتِهِ عَلَى أَبَاطِيلِهِ وَإِفْكَهِ ، عَزَمَ عَلَى مَفَارِقَتِهِمْ إِلَى غَيْرِ رَجْعَةٍ ، أَوْ يَقْضِي اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا .

\* قال ابن عبد البر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « وَمَرَّ الْعَلَاءُ بِنُ الْحَضْرَمِيِّ وَمَنْ مَعَهُ عَلَى جَانِبِ الْيَمَامَةِ ، فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ - أَي : ثَمَامَةَ - قَالَ لِأَصْحَابِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ : إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَرَى أَنْ أَقِيمَ مَعَ هَؤُلَاءِ مَعَ مَا قَدْ أَحْدَثُوا ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ضَارِبُهُمْ بِلَيْلَةٍ لَا يَقُومُونَ بِهَا ، وَلَا يَقْعُدُونَ ، وَمَا نَرَى أَنْ نَتَخَلَّفَ عَنْ هَؤُلَاءِ وَهُمْ مُسْلِمُونَ ، وَقَدْ عَرَفْنَا الَّذِي يَرِيدُونَ ، وَقَدْ مَرَّوْا قَرِيبًا ، وَلَا أَرَى إِلَّا الْخُرُوجَ إِلَيْهِمْ ، فَمَنْ أَرَادَ الْخُرُوجَ مِنْكُمْ فَلْيَخْرُجْ ، فَخَرَجَ مِمْدًا لِلْعَلَاءِ بْنِ الْحَضْرَمِيِّ ، وَمَعَهُ أَصْحَابُهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَكَانَ ذَلِكَ قَدْ فَتَّ فِي أَعْضَادِ عَدُوِّهِمْ حِينَ بَلَغَهُمْ مَدَدُ بَنِي حَنِيفَةَ ، وَقَالَ ثَمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ فِي ذَلِكَ :

دَعَانَا إِلَى تَرْكِ الدِّيَانَةِ وَالْهُدَى      مَسَيْلِمَةُ الْكَذَّابِ إِذْ جَاءَ يَسْجَعُ  
فِيَا عَجَبًا مِنْ مَعْشَرٍ قَدْ تَتَابَعُوا      لَهُ فِي سَبِيلِ الْغَيِّ وَالْغَيِّ أَشْنَعُ  
فِي أَبِيَات كَثِيرَةٍ ذَكَرَهَا ابْنُ إِسْحَاقَ فِي الرَّدَّةِ ، وَآخَرَهَا :

وَفِي الْبَعْدِ عَنْ دَارٍ وَقَدْ ضَلَّ أَهْلُهَا      هَدَىٰ وَاجْتَمَعَ كُلُّ ذَلِكَ مَهِيغٌ <sup>(١)</sup>

### كَيْفَ نَالَ ثَمَامَةُ الشَّهَادَةَ ؟

\* لَمَّا تُوْفِيَ حَبِيبِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ارْتَدَّتْ قَبِيلَةُ رَبِيعَةَ بِالْبَحْرَيْنِ فَيَمَنْ ارْتَدَّ مِنَ الْعَرَبِ ، إِلَّا الْجَارُودُ بْنُ الْمَعْلِيِّ فَإِنَّهُ ثَبَتَ عَلَى الْإِسْلَامِ مَنْ مَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ .

(١) « الاستيعاب » ( ١ / ٢٠٨ ) ، وانظر : « أسد الغابة » ( ١ / ٢٩٥ ) .

وقال الإمام النَّوَوِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ سَيِّدِنَا ثَمَامَةَ بْنِ أُثَالٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : « ثَمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ الصَّحَابِيُّ . . . أَسْلَمَ وَحَسَّنَ إِسْلَامَهُ ، وَلَمْ يَرْتَدَّ مَعَ مَنْ ارْتَدَّ مِنْ أَهْلِ الْيَمَامَةِ ، وَلَا خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ قَطُّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - . » « تهذيب الأسماء واللغات » ( ١ / ١٤٠ ) .

\* وأصبحت في البحرين - الإحساء - جبهتان : إحداهما للإسلام بقيادة الجارود بن المعلّى ، والأخرى للكفرة والمرتدين بقيادة الحُطَم بن ضبيعة العبدي ، وكان الحُطَم مرتدّاً خبيثاً وقائداً ماكرآ ، استطاع أن يغوي عدداً من النَّاس ، ويوقعهم في فخ الرّدة ، حتّى استفحل أمره ، وكثر أنصاره ، ولم تبقَ مدينة أو قرية في البحرين وساحل الخليج إلا رجعت عن الإسلام ، فقد ارتدّت أهلُ مدينة هَجْر ، ومدينة القطيف ، ومدينة دارين ، وجميع القرى التّابعة لها ، وصار كلّ أهلها أنصاراً للحطم زعيم المرتدين في هاتيك الأصقاع .

\* وحينما سار العلاء بنُ الحضرمي لإخماد فتنة الرّدة في البحرين والخليج كلّه ، وحاذى الإمامة ، جاءه ثمامة بنُ أثال في حشد كبير من مسلمي بني حنيفة ، فرحّب بهم العلاء واحتفى بشمامة وأكرم مثواه ، وصار ومنّ معه جنداً من جنود العلاء بن الحضرمي .

\* قال الطّبري رحمه الله في « تاريخه » ، وابن كثير رحمه الله في « بدايته » : « فلمّا دنا العلاء بن الحضرمي من البحرين جاء إليه ثمامة بنُ أثال في محفل كبير ، وجاء كلّ أمراء تلك النّواحي ، فانضافوا إلى جيش العلاء بن الحضرمي ، فأكرمهم العلاء ، وترحّب بهم ، وأحسن إليهم » .

\* وشهد ثمامة مع جيش المسلمين قتال الحُطَم بن ضبيعة ، حتّى انهزم المشركون ، وقُتلوا ، وقُتل معهم زعيمهم الحُطَم ، وقسّم العلاء الغنائم ، ونفل رجّالاً ، فأعطى العلاء رجلاً من المسلمين خميصةً كانت للحطم بن ضبيعة وكان يباهي بها ، فاشتراها منه ثمامة ، فلمّا رجع ثمامة بعد هذا الفتح ، رأى قوم الحطم خميسته على ثمامة ، فاعتقدوا أنّه قتله ، فقتلوه غدراً على سبيل الأخذ بالتأّر ؛ ففضى بذلك نحه شهيداً بإذن الله .

\* جاء تفصيل ذلك وبيانه في المصادر المتنوّعة من أمّهات التّاريخ والتّراجم فقالت : « وأقفل العلاء بنُ الحضرمي بالنّاس إلا من أحبّ المقام ، بعد أن قسم الأنفال ، ونفل رجّالاً من أهل النّجدة والبأس والبلاء في المعركة

ثياباً على وجه الخصوص ، فأعطى ثمامة بن أثال الحنفي خميصة ذات أعلام ، كانت للحطم بن ضبيعة ، وكانت ثمينة بياهي بها ، فلما رجع ثمامة من المعركة ، وردَّ على ماء لبني قيس بن ثعلبة قوم الحطم ، فرأوه وعليه خميصة زعيمهم الحطم المقتول ، فعرفوها ، فمدسوا إليه رجلاً منهم ، وقالوا : سلّه ، كيف صارت إليه الخميصة ؟ واسأله عن الحطم ، أهو قتله ؟ فسأله الرجل عن الخميصة ، فقال ثمامة : نُفِلَتْهَا .

قال الرجل لثمامة : أأنت قتلت الحطم ؟

قال ثمامة : لا ، ولوددتُ أنّي كنتُ قتله - وكان الذي قتل الحطم قيس بن عاصم التميمي - .

قال الرجل : فما بال هذه الخميصة معك ؟

فقال : إنّي نُفِلْتُهَا - يعني : أعطانيها القائد العام بصفة خاصّة عند تقسيم الغنائم - ، فرجع الرجل إلى قوم الحطم ، فأخبرهم بما قال له ثمامة ، فأضمرّوا قتله ، ولمّا كان ثمامة شجاعاً ، لم يجرؤ أحدٌ على مواجهته منفرداً ، تسلّلوا نحوه منفردين ، حتّى ضربوا حوله نطقاً ، وما كان يعلم أنّهم باقون على جاهليّتهم وردّتهم الخبيثة ، فقال لهم مستفسراً : ما لكم ؟ قالوا : أنت قاتل سيّدنا الحطم ، هذه خميسته معك .

قال ثمامة : كذبتُم ، لوددتُ أنّي قتلتُهُ ؛ أمّا الخميصة فإنّي قد نُفِلْتُهَا ، ففليها العلاء بن الحضرمي .

قالوا : وهل ينفلُّ إلا القاتل ؟

قال : إنّها لم تكن عليه ، وإنّما وُجِدَتْ في رحله .

قالوا : كذبت .

ثمّ احتوشوه ، وهاجموه من كلّ جانب ، فدافع عن نفسه دفاع الأسد ، بيد أنّهم تكاثروا عليه ، حتّى استشهد - رضي الله عنه - ،

ولقي الله - عزَّ وجلَّ - وهو يذودُ عن حياض الإسلام « (١) .

\* كان استشهاد سيِّدنا ثمامة بن أثال في السَّنة الحادية عشرة من الهجرة النَّبويَّة المباركة ، استشهاد وهو خارجٌ لإعلاء كلمة الله ، ولقمع المرتدِّين ، فنال الشَّهادة ، وكُتِب من السُّعداء عند الله عزَّ وجلَّ .

\* رضي الله عن ثمامة بنِ أثال ، ورزقنا الذِّكر والتَّسبيح في الغدو والآصال ، وجعلنا من الذين لا تلهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذِكرِ الله وإقام الصَّلَاة وإيتاء الزَّكاة في جميع الأحوال ، والحمد لله الكبير المتعال .



---

(١) « الكامل في التَّاريخ » ( ٢ / ٣٧٠ - ٣٧١ ) ، و« خلافة الصِّدِّيق والفاروق » ( ص : ١١٦ - ١١٧ ) ، و« حروب الرِّدَّة » ( ص : ٢٢٧ - ٢٢٨ ) مع الجمع والتَّصريف .

# جريرُ بنُ عبدِ الله

رضي اللهُ عنه

- \* أتاهُ اللهُ بسُطرةٍ في العُلْمِ والجِسْمِ والجمالِ .
- \* دعا له النَّبِيُّ ﷺ فقال : « اللهمَّ ثبته واجعله هادياً مهدياً » .
- \* مجاهدٌ فاتحٌ لعدَّةِ مدن ؛ وروى مئةَ حديث ؛ وأخباره جميلةٌ .

رَفَعُ  
عبد الرحمن العجدي  
أسكنه الله الفردوس  
[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

## جريرُ بنُ عبدِ الله رضي اللهُ عنه

### بطاقةُ مشرِّفة :

\* سيِّدُ ساد في الجاهليَّة والإسلام ، زادهُ اللهُ - عزَّ وجلَّ - بسطةً في العِلْم والجسْم والجمال ، فكان من أجملِ رجالِ عصره ، كأنَّ وجهه شِقَّةُ قمر .

\* كان إسلامه عقبَ نزولِ سورة « المائدة » في السنَّة التي تُوفي فيها الصَّادِقُ المصدوقُ نبيُّنا محمَّدٌ ﷺ .

\* قال عن حفاوة النَّبِيِّ ﷺ به ، وإكرامه له : « ما حجبتني رسولُ اللهِ ﷺ منذ أسلمتُ ، ولا رأني إلا ابتسم » .

\* وقال عن نفسه : « بايعتُ رسولَ اللهِ ﷺ على السَّمع والطَّاعة ، وأنْ أنصحَ لكلِّ مسلمٍ » .

\* كان كريماً في قومه ، جاء إلى النَّبِيِّ ﷺ ، وهو في بيتٍ ، والبيتُ مملوءٌ بالنَّاس ، فلم يجدْ مجلساً ، فرمى إليه رسولُ اللهِ ﷺ بإزاره أو بردائه ، وقال له : « اجلسْ على هذا » فأخذهُ وقبَّله ، وضمَّه إليه ، وقال : « أكرمك اللهُ يا رسولَ اللهِ كما أكرمتني » فقال رسولُ اللهِ ﷺ : « إذا أتاكم كريمٌ قومٍ فأكرموه » .

\* هذا الرَّجُلُ الجميلُ الوسيمُ قال له الحبيبُ

الأعظم ﷺ : « ألا تريحني من ذي الخَلَصَةِ ؟ » (١) .

فقال له : « يا رسولَ الله ! إنِّي رجلٌ لا أثبتُ على الخيلِ » .

فضربَ الحبيبُ المصطفى ﷺ بيده الشريفة في صدرِ الرَّجُلِ ، ودعا له ، فقال : « اللهم تَبِّئْهُ ، واجعله هادياً مهدياً » . قال الرَّجُلُ : « فما سقطتُ عن فرسي بعد » .

\* كما أنَّ هذا الرَّجُلَ اجتذبَ إعجابَ العبقريِّ الفاروقِ الفدِّ سيِّدنا عمر بن الخطَّابِ - رضي الله عنه - ، حتَّى قال له يوماً في مجلسٍ عامرٍ بأصحابه : « يرحمك الله ! نِعَمَ السَّيِّدِ كُنْتَ في الجاهليَّةِ ، ونعمَ السَّيِّدِ أَنْتَ في الإسلامِ » .

\* ومن المعارفِ اللطيفةِ التي تطالعا بها سيرةُ هذا الرَّجُلِ أنَّه كان مع سيِّدنا أنسِ بنِ مالكٍ - رضي الله عنه - في سفَرٍ من الأسفارِ ، وكان أكبرَ من أنسٍ في السنِّ ، فكان مع ذلك يخدمُ أنساً بفخرٍ واعتزازٍ ويقول : « إنِّي رأيتُ الأنصارَ تصنعُ برسولِ الله ﷺ شيئاً ، فلا أرى أحداً منهم إلا خدمتهُ » .

\* وهذا الرَّجُلُ الخيِّرُ كان يقولُ عن الإكرامِ النَّبويِّ له ، وعن الوصفِ المحمَّديِّ لخصائله : ما رأيتُ رسولَ الله ﷺ إلا تبسَّمتُ في وجهي ، وقال ﷺ : « يطلعُ عليكم من هذا البابِ رجلٌ من خيرِ ذي يَمَنٍ ، على وجهه مسحةٌ ملكٍ » .

\* لهذا كان سيِّدنا عمر يصفهُ بأنَّه يوسفُ هذه الأُمَّة ؛ لجماله وحسنه واعتداله وملاحتِهِ ، وسيادتهِ لقومه ، فقد كان فاضلاً ذكياً ، واضحَ المحيَّا بهيئاً ، حسنَ الوجه مديدَ القامة ؛ ترفَ الجسمِ عليه وسامة .

---

(١) « ذوا الخَلَصَةِ » : بيتٌ لقبيلةٍ خثعم في الجاهليَّةِ ، كان يدعى الكعبة اليمانيَّةِ ، فيه صنمٌ يدعى الخَلَصَةَ لدوس ، وخثعم ، وبيجيلة ، وغيرهم ، فأمر رسولُ الله ﷺ بهدمه فهدم ، وأحرق ، حتَّى تركوه كالجمل الأجرَب ، فاستبشر ﷺ بذلك .



\* هذا الرَّجُلُ هو جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَابِرِ الْبَجَلِيِّ<sup>(١)</sup> ، نسبة إلى بَجِيلَةَ قبيلة من اليمن ، وهذه النسبة جاريةٌ على القياس ؛ لأنَّ قِياسَ النَّسْبَةِ إلى فَعِيلَةٍ فَعَلِيٌّ ، بفتح الياء والعين . وبجيلة بطونٌ عديدةٌ متفرقةٌ ، تفرقت في أحياء العرب منذ يوم حربها مع كَلْبِ بْنِ وَبَرَةَ بالفجار ، وقد أعاد شملها وجمعها جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَابِرِ الْبَجَلِيِّ<sup>(٢)</sup> .

« رَجُلٌ مِنْ خَيْرِ ذِي يَمَنٍ » :

\* أنفاسُ المدينة المنورة تسبيحٌ وتهليلٌ ممزوجٌ بالتَّحْمِيدِ ، وخفقاتُ فؤادها ابتهالاتُ اللهِ العزیزِ الحميد ، وليُّها ساجٌ يلفُّ بسواده الكون ، ولكنَّ قلوبَ أهلها قد استضاءت بأنوار اليقين ، وسكونها موحشٌ ، لكنَّ عبادَ الرَّحْمَنِ قد اطمأنت نفوسهم بالأنسِ بالله الودود ، واستأنست بآيناسِ رسوله الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ بالمؤمنين ، فقد شرح اللهُ - عزَّ وجلَّ - صدورهم للإسلام فهم على نورٍ من ربِّهم ، وويلٌ للقاسية قلوبهم من ذكرِ الله ، أولئك في الضَّلالِ البعيد ، والكُفْرِ المبین .

\* في هدوءِ الليلِ ودجاءِ البهيم ، علا سيِّدنا بلالُ بْنُ رِباحٍ - رضي اللهُ عنه - المسجدَ النَّبَوِيَّ ، وراحَ ينظرُ إلى الأفقِ الشَّرْقِيِّ ينتظرُ الصُّبْحَ ، حتَّى إذا

(١) « البداية والنهاية » ( ٨ / ٥٥ ) ، و« الاشتقاق » ( ص : ٢٣٩ ، ٣٠٢ ، ٣٠٦ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥٢٧ ) ، و« المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام » ( الفهارس : ١٠ / ٧٢ ) ، و« الشعور بالعمور » للصفدي ( ص : ١٢٥ - ١٢٨ ) ، و« البرصان والعرجان » ( ص : ٢٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٧٤ ، ٣٦٢ ) ، و« سير أعلام النبلاء » ( ٢ / ٥٣٧ - ٥٣٠ ) ، و« الاستيعاب » ( ١ / ٢٣٤ - ٢٣٧ ) ، و« الإصابة » ( ١ / ٢٣٣ - ٢٣٤ ) ، و« صفة الصفوة » ( ١ / ٧٤٠ - ٧٤٢ ) ، و« تهذيب الأسماء واللغات » ( ١ / ١٤٧ - ١٤٨ ) ، و« المعجم الكبير » للطبراني ( ٢ / ٢٩٠ - ٣٥٩ ) ، وغيرها من مصادر متنوِّعة يصعب حصرها في هذا المجال .

(٢) انظر : « المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام » لجواد علي ( ٤ / ٤٤٦ ) .

تَبَيَّنَ لَهُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ نَادَى : اللَّهُ أَكْبَرُ ؛  
 اللَّهُ أَكْبَرُ ، وَعَطَّرَ صَوْتَهُ الدُّنْيَا ، وَأَمْتَعَ بِنَادَاوَتِهِ الْأَسْمَاعَ وَالْأَرْوَاحَ ، فَهَبَّ  
 الْمُسْلِمُونَ يَمْشُونَ فِي الظُّلَمِ يَبْتَغُونَ فَضْلَ اللَّهِ وَرِضْوَانَهُ وَمَغْفِرَتَهُ ، كَانَتْ  
 أَجْسَادُهُمْ تَسِيرُ عَلَى الْأَرْضِ لَكِنَّ قُلُوبَهُمْ تَهْفُو إِلَى الْعَلِيِّ الْقَدِيرِ ، لِيَجْعَلَ  
 خَطَاهُمْ شَاهِدًا لَهُمْ ؛ وَيَدْخُلَهُمْ فِي رَحْمَتِهِ : ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا  
 مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَنْتَ أَعْلَمُ لَنَا نُورَنَا وَأَعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى  
 كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التحریم : ٨] .

\* كان هذا الأمان والأمان بعد أن افتتح الحبيب المصطفى ﷺ مكة  
 المكربة ، وفرغ من تبوك ، وأسلمت ثقيف وبايعت ، وضرب ﷺ أمد أربعة  
 أشهر لقبائل العرب المشركة ، كي تقرر مصيرها بأنفسها ، وعندها ضربت إليه  
 وفود العرب أباط الإبل من كل فج عميق معلنة إيمانها وولاءها  
 لدين الله - عز وجل - ، وسمي ذلك العام بعام الوفود ، وقد أشار محمود  
 سامي البارودي في قصيدته : « كشف الغمة في مدح سيّد الأمة » إلى هذا  
 الأمر المتألق في ثنايا السيرة النبوية فقال :

ثُمَّ اسْتَهَلَّتْ وَفُودُ النَّاسِ قَاطِبَةً      إِلَى حِمَاهُ فَلَاقَتْ وَافِرَ الْكَرَمِ  
 فَكَانَ عَامَ وَفُودٍ كُلَّمَا انْصَرَفَتْ      عَصَابَةٌ أَقْبَلَتْ أُخْرَى عَلَى قَدَمِ  
 وَأَرْسَلَ الرَّسُلَ تَتْرَى لِلْمُلُوكِ بِمَا      فِيهِ بِلَاغٌ لِأَهْلِ الذِّكْرِ وَالْفَهْمِ

\* كانت الوفود تشد الرحال إلى المدينة متدفقة ، والناس يدخلون في  
 دين الله أفواجا ، وكان الرجال يلقون أسماعهم إلى الصادق المصدوق ﷺ ،  
 فيأخذ بالبابهم جمال بيانه ، وحسن نظامه ، فهو ﷺ لا ينطق عن الهوى ، إن  
 هو إلا وحي يوحى . وأصبحت مكارم أخلاقه الشريفة تمس شغاف قلوبهم ،  
 وتداعب همس نفوسهم ، فهو ﷺ على خلق عظيم ، وهو أحسن الناس خلقا ،  
 وخلقاً ، ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٢٨] .

\* ومن الجدير ذكره ، والمفيد معرفته أن كتب الصحيح وغيرها قد  
 احتفت بأمر الوفود ، فقد ساق الإمامان : البخاري ومسلم رحمهما الله في

« صحيحهما »<sup>(١)</sup> معلومات ذات قيمة وفائدة عن وفود قبائل عديدة ، كوفد تميم ، وعبد القيس ، وبني حنيفة ، ونجران ، والأشعريين ، وأهل اليمن ، ودوس ؛ كما ساقَتْ بقية كتب الحديث معلومات غزيرة النَّفْع شملت قصص عددٍ من الوفود ، كما أنَّ ابن سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قد فَصَّل كثيراً في « طبقاته »<sup>(٢)</sup> عن الوفود ، وقَدَّم ترجمات وافية عن الرِّجال ممَّن كانت لهم صحبةٌ منهم .

\* ولَمَّا تحدَّث ابنُ سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن الوفودِ خصَّ وفدَ بجيلةَ بالحديث أيضاً ، وذكر وفادةَ رئيسها جرير - رضي الله عنه - ، فقال : « قدَّم جريرُ بنُ عبد الله البجليّ سنةَ عشرِ المدينةَ ، ومعه من قومه مئة وخمسون رجلاً ، فقال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يطلعُ عليكم من هذا الفجِّ من خيرِ ذي يَمَن ، على وجهه مسحةٌ ملك »<sup>(٣)</sup> فطلع جريرُ على راحلتهِ ومعه قومه فأسلموا وبايعوا . قال جريرُ : فسَطَّ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فبايعني ؛ وقال : « على أن تشهدَ أن لا إله إلا الله ، وأني رسولُ الله ، وتقيمَ الصَّلَاةَ ، وتؤتيَ الزَّكَاةَ ، وتصومَ رمضانَ ، وتنصحَ المسلمَ ، وتطيعَ الوالي ، وإن كان عبداً حبشياً » فقال : نعم ، فبايعه »<sup>(٤)</sup> .

\* وفي روايةٍ في مصادرٍ أخرى قال سيِّدنا جريرٌ - رضي الله عنه - : « لَمَّا دنوتُ من المدينةَ ، أنختُ راحلتي ، وحللتُ عييتي ، ولبستُ حُلَّتِي ، ثم دخلتُ المسجدَ ؛ فإذا برسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخطُبُ ، فرماني النَّاسُ بالحدق ، فقلتُ

(١) انظر مثلاً : « صحيح البخاري » برقم : (٤٣٦٥ ، ٤٣٦٨ ، ٤٣٧٢ ، ٤٣٩٢) .

(٢) انظر : « طبقات ابن سعد » (١ / ٢٩١ - ٣٥٩) .

(٣) قال ابن كثير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « فلَمَّا دخل جريرٌ نظرَ النَّاسُ إليه ، فكان كما وصف رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأخبروه بذلك فحمد الله تعالى » . « البداية والنهاية » (٨ / ٥٥ - ٥٦) . وانظر : « معرفة الصَّحابة » (١ / ٤٧٩) .

(٤) « طبقات ابن سعد » (١ / ٢٤٧) .

لجليسي : يا عبدَ الله ! هل ذكرَ رسولُ الله ﷺ من أمري شيئاً ؟

قال : نعم ، ذكرَكَ بأحسنِ الذِّكرِ ، بينما هو يخطبُ ؛ إذ عرضَ له في خطبته ، فقال : « إِنَّهُ سيدخلُ عليكم من هذا الفجِّ من خيرِ ذي يمن ، ألا وإنَّ عليَّ وجهه مسحَّةُ ملكٍ » .

قال : فحمدتُ الله<sup>(١)</sup> ، وفي رواية : فحمدتُ اللهَ عليَّ ما أبلاني .

\* إنَّ قصصَ الوفودِ وأخبارها وأحوالها ، وكيفية تعامل الصادق المصدوق ﷺ معها ذاتُ أهميةٍ كبيرةٍ في استقراء السِّيرة ، ومعرفة أخبار رجال عصر النبوَّة من سادة القومِ وكبرائهم وأمرائهم وأسيادهم ، فقد أوضحت أخبارُ الوفودِ وأفصحت عن ثروة هائلة من الأخلاقيَّاتِ والسُّلوكيَّاتِ والتَّربويَّاتِ النَّبويَّةِ المتألِّقة ؛ والهادفة الهادية في تعامله مع الوفودِ ، ولا تخلو هذه المعاملاتُ من تربيَّةٍ وتوجيهٍ وفقهٍ وأحكامٍ متنوِّعةٍ المجالاتِ والمحاوِرِ ، وخاصةً فيما يتعلَّقُ بالنَّواحي النَّفسيَّةِ ، والاجتماعيَّةِ ، والسِّياسيَّةِ ، والإداريَّةِ ، والعسكريَّةِ ، وحتَّى النَّواحي الاقتصادية .

\* وممَّا ينبغي أن نعرفه أنَّ رسولَ الله ﷺ والذين معه قد استعدَّوا استعداداً مناسباً لاستقبال الوفودِ في المدينة المنورة ؛ إذ عملوا مكاناً لإقامة الوفودِ ، وضيافتهم ، وكان المسجدُ النَّبويُّ مجمعَ الاستقبالِ . وقد اهتمَّ ﷺ بتلك الوفودِ ، وحرصَ عليَّ تربيتها التَّربيَّة الملائمة وتعليمها العلمَ المفيدَ ، وكانت تلك الوفودُ شديدةَ الحرصِ عليَّ فهمِ الإسلامِ ، وتعلُّمِ أحكامه وآدابه ، وتطبيقِ شرائعه ، وحفظِ آياتِ القرآن الحكيمِ .

(١) انظر : « سير أعلام النبلاء » ( ٢ / ٥٣١ ) وتخريج الحديث فيه ، وانظر : « صحيح ابن جِبَّان » برقم : ( ٧١٥٥ ) ، و« معرفة الصَّحابة » ( ١ / ٤٧٩ ) ، و« مختصر تاريخ دمشق » ( ٦ / ٣٠ - ٣١ ) وأخرجه البيهقيُّ في « دلائل النبوَّة » ( ١ / ٣٤٦ - ٣٤٧ ) .

\* كما كان الحبيب المصطفى ﷺ يُوصي رؤساءهم بالحقّ إذا رغبوا في الرّحيل ، ويحثّهم على الاعتصام بالحقّ والصّبر ، ثمّ يعطيهم ما تجودُ نفسه من الجوائزِ والعطيّاتِ المحبّبةِ إلى النّفوس ، فإذا عادوا إلى قبائلهم وذويهم كانوا مسلّحين بالهداية والرّشد ، عامرةً قلوبهم بأنوار الإيمان واليقين ، مشرقةً نفوسهم بالسّعادة ، فيفرغون هذه المكارم في قلوب أقوامهم ويسكبون الهداية في صدورهم ، فيصبحون في حالٍ طيّبةٍ يحبّون الإسلام ، ونبىّ الإسلام ﷺ ، ورجال الإسلام ، ويمسّون جسداً واحداً بفضل الله ورحمته وكرمه .

\* وهذا ما صنعه الصّادق المصدوق ﷺ مع جرير البجليّ ومنّ معه ؛ إذ أمر سيّدنا بلالاً أن يعطيهم الجوائز ، ففعل ذلك - رضي الله عنه وأرضاه - على أتمّ وجهٍ وأكمله .

« اللهمّ ثبته واجعله هادياً مهدياً » :

\* هذا دعاءً مباركاً خصّ به الصّادق المصدوق ﷺ سيّدنا جريراً - رضي الله عنه - ، فصار ميمون النّقية وله فضائلٌ جسيمة ؛ وشمائلٌ عظيمةٌ .

\* ولهذا الدّعاء النّبويّ الميمون لجرير قصّةٌ شائقةٌ جاءت في « الصّحيحين » وغيرهما ؛ ومفادها أنّ الحبيب المصطفى ﷺ كان يسأل جريراً البجليّ - رضي الله عنه - عمّا وراءه ، فقال : « يا رسول الله ! قد أظهر الله - عزّ وجلّ - الإسلام ، وأظهر الأذان في مساجدهم وساحاتهم ، وهدمت القبائلُ أصنامها التي كانت تُعبَد » .  
فقال ﷺ : « فما فعل ذو الخَلَصَة ؟ » .

\* قال جرير : « يا رسول الله ! هو على حاله ، قد بقي ، والله مريحٌ منه إنّ شاء الله » ، فبعثه رسولُ الله ﷺ إلى هدم ذي الخَلَصَة ، وعقد له لواء ، فخرج مصحوباً بدعاء النّبويّ ﷺ ، ولم يُطلِ الغيبة ، فهدم الصّنم ، وأخذ ما عليه وأحرقه بالنّار ، وجعله كهشيم المحتظر ، فدعا له ﷺ ولمن معه

مرّات (١) . وهذا ما سنقرأ تفاصيله في « الصّحيح » كما جاء عن سيّدنا جرير بن عبد الله البجليّ - رضي الله عنه وأرضاه - .

\* أخرج البخاريّ ومسلمٌ بسند رفعاه إلى قيس بن أبي حازم قال : « قال لي رسولُ الله ﷺ : « ألا تريحني من ذي الخَلْصَة ؟ » .

فقلت : بلى ؛ فانطلقتُ في خمسين ومئة فارس من أحمرّ ، وكانوا أصحاب خيل ، وكنْتُ لا أثبتُ على الخيل ، فذكرتُ ذلك للنبيّ ﷺ ، فضرب يده على صدري ، حتّى رأيتُ أثرَ يده في صدري ، وقال : « اللهمّ تَبِّئْهُ ، واجعله هادياً مهدياً » . فما وقعتُ عن فرس بعد .

قال : وكان ذو الخَلْصَة بيتاً في اليمن لخشع وبجيلة ، فيه نُصِبُ تُعْبُدُ ، يقال له : الكعبة ؛ فأتاها فحرّقتها بالنار وكسرها .

قال : ولمّا قدم جرير اليمن كان بها رجلٌ يستقسم بالأزلام ، فقبل له : إنّ رسولَ رسولِ الله ﷺ ههنا ، فإنّ قدَرَ عليك ضرب عنقك .

قال : فبينما هو يضربُ بها ؛ إذ وقف عليه جرير فقال : لتكسرَنَّها ، ولتشهدنَّ أن لا إله إلا الله أو لأضربنَّ عنقك ، فكسرها وشهد ، ثم بعث جرير رجلاً من أحمرّ يكنى أبا أرطاة إلى النبيّ ﷺ يبشّره بذلك ، فلمّا أتى النبيّ ﷺ قال : يا رسولَ الله ! والذي بعثك بالحقّ ما جئت حتّى تركتها كأنّها جملٌ أجرب .

قال : فَبَرَكَ النبيّ ﷺ على خيل أحمرّ ورجالها خمس مرّات « (٢) .

---

(١) انظر : « طبقات ابن سعد » ( ١ / ٣٤٩ - ٣٥٠ ) ، و « المعجم الكبير » ( ٢ / ٢٩٩ - ٣٠١ ) مع الجمع والتصرّف .

(٢) أخرجه الشَّيْخَان : البخاريّ في المغازي برقم : ( ٤٣٥٧ ) واللفظ له ، ومسلمٌ في فضائل الصّحابة برقم : ( ٢٤٧٦ / ١٣٧ ) ، وابن جِبَّان برقم : ( ٨١٥٧ ) ، و ( ٨١٥٨ ) ، وانظر : « زاد المعاد » ( ٢ / ٤٦ ) ، و « المفصل في تاريخ العرب قبل =

= الإسلام» ( ٦ / ٢٧٣ ، ٤٤٥ ) ، و« دلائل النبوة » للبيهقي ( ٥ / ٣٤٧ - ٣٤٨ ) ،  
وغيرها من مصادر متنوعة .

وقوله « ذي الخَلْصَة » : الخَلْصَة : نبات له حب أحمر كخرز العقيق ، وذو  
الخَلْصَة : اسم للبيت الذي كان فيه الصَّنم ، وقيل اسم البيت : الخَلْصَة ، واسم  
الصَّنم : ذو الخَلْصَة ، وحكى المبرد أنَّ موضع ذي الخَلْصَة صاراً مسجداً جامعاً لبلدة  
يُقال لها : العبلات من أرض خثعم . وكان ذو الخَلْصَة لعمر بن لحي بمكة ، وكانوا  
يلبسونه الفلاتد ، ويجعلون عليه بيض النعام ، ويذبحون عنده . وأمّا الذي لخثعم ،  
فكانوا قد بنوا بيتاً يضاهاون به الكعبة . و« الكعبة » : الكعبة اليمانيّة ، سموها بذلك  
مضاهاة للكعبة . و« ألا تريحني » : طلب يتضمّن الأمر ، وخصّ جريراً بذلك ؛  
لأنّها كانت في بلاد قومه ، وكان هو من أشرفهم ، والمراد بالرّاحة راحة القلب ،  
وما كان شيء أتعب لقلب النّبِيِّ ﷺ من بقاء ما يشرك به من دون الله تعالى . و« اجعله  
هادياً مهدياً » : قيل : فيه تقديم وتأخير ؛ لأنّه لا يكون هادياً حتّى يكون مهدياً ،  
وقيل : معناه كاملاً مكملًا . و« فكسرها وحرقتها » : هدم بناءها ، ورمى النّار فيما  
فيها من خشب . و« يستقسم » : أي : يستخرج غيب ما يريد فعله من خير أو شرّ ،  
وكانوا يستقسمون ذي الخَلْصَة ، وذكروا أنّ امرأ القيس لمّا خرج يطلب بثأر أبيه ،  
استقسم عنده ، فخرج له ما يكره ، فسبّ الصَّنم ، ورماه بالحجارة ، وأنشد :

لو كنتَ يا ذا الخَلْصِ الموثُورا      لم تَنهَ عن قَتْلِ العداة زورا

و« أبا أَرْطَاة » : اسمه : حصين بن ربيعة وهو صحابيٌّ ليس له ذِكرٌ إلا في هذا  
الحديث . و« كأنها جملٌ أجرب » : هو كناية عن نزع زيتتها ، وإذهاب بهجتها .  
والمراد : أنها صارت مثل الجمل المطلي بالقطران من جربه ، إشارة إلى أنها صارت  
سوداء لمّا وقع فيها من التّحريق . و« أحمس » : رهط جرير ، وهم الذين دعا  
لهم ﷺ بالبركة . وفي هذا الحديث الشّريف فوائد كثيرة منها :

☆ مشروعيّة إزالة ما يفتتن به النّاس من بناء وغيره سواء كان إنساناً ، أو حيواناً ، أو  
جماداً .

= ☆ استمالة نفوس القوم بتأثير من هو منهم .

وفي رواية : « فدعنا ولأحمس » .

### من فضائل جرير وسبائيه :

\* حظي سيدنا جرير بن عبد الله البجلي - رضي الله عنه - بمكانة لا تقيده عند حبيينا وشفيعنا محمد رسول الله ﷺ ، وهذه المكانة المتميزة جعلته من أعيان الصحابة ونبلائهم ؛ يدل على ذلك ما ورد في فضائله في الصحيحين ، وغيرهما من كتب السنن والمسانيد والتراجم ، وما ينطوي تحت هذه العلوم والمعارف ، بالإضافة إلى كتب الأدب والمسامرات والمسائرات والرفائق .

\* فمن فضائل<sup>(١)</sup> سيدنا جرير - رضي الله عنه - ، ما جاء عنه في « الصحيحين » قوله : « ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت ، ولا رأني إلا ضحك »<sup>(٢)</sup> . وفي رواية : « ولا رأني إلا تبسم في وجهي » . وفي

☆ الاستمالة بالدعاء والثناء والشارة في الفتوح ، واستحباب إرسال البشير بذلك .  
☆ فضل ركوب الخيل في الحرب ، وقبول خبر الواحد ، والمبالغة في نكايه العدو .  
☆ ذكر وسرد مناقب جرير وقومه ؛ وبركة يد النبي ﷺ ودعاؤه ، وأنه كان يدعو وترأ ، وقد تجاوز الثلاث . والله تعالى أعلم .

(١) قال عدد من علماء المسلمين رحمهم الله في فضائل الصحابة ما خلاصته : « اختلف الناس في تفضيل الصحابة على بعض ، والجمهور على أن أفضلهم الخلفاء الأربعة على الترتيب المعروف : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي - رضي الله عنهم أجمعين - ، ثم تمام العشرة من المبشرين بالجنة وهم : طلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وسعد بن أبي وقاص ، وسعيد بن زيد - رضي الله عنهم أجمعين - . ثم أهل بدر ، ثم أحد ، ثم بيعة الرضوان ، ومن له مزية : أهل العقبتين من الأنصار ، وكذلك السابقون الأولون ؛ وهم من صلى إلى القبلتين » ، والله أعلم .

(٢) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار برقم : ( ٣٨٢٢ ) ، ومسلم في فضائل الصحابة برقم : ( ٢٤٧٥ ) ، وابن جبان في « صحيحه » برقم : ( ٧١٥٦ ) . ومعنى الحديث : ما منعني ﷺ الدخول عليه في وقت من الأوقات . ومعنى =



رواية : « ولا رأني إلا تبسم » .

\* هذه الابتسامات النبوية ؛ والبشاشة المحمدية ؛ لجرير بن عبد الله البجلي - رضي الله عنه - تدلُّ على المكانة والرِّفعة التي كان يتبوأها جريرٌ في الجاهلية ؛ ثمَّ اتَّصل ذلك الشُّودد في الإسلام ، ومن ههنا ذكر بعض أهل العلم من سادوا في الجاهلية والإسلام فقالوا : « إنَّ أربعةً اتَّصل سؤددهم في الجاهلية والإسلام : عروةُ بنُ مسعود ، والجارودُ واسمه : بشرُ بنُ المعلى ، وجريرُ بنُ عبد الله ، وسراقةُ بن مالك بن جعشم المدلجي » (١) .

\* لذلك لمَّا كانت مفاخرة (٢) جرير البجلي مع خالد بن أرطاة الكلبي

= « ضحك » : تبسم ، وقد فعل ذلك إكراماً ، ولطفاً ، وبشاشة ، وفيه استحباب اللطف للقادم ، وفيه فضيلة ظاهرة لسيدنا جرير .

(١) « الاشتقاق » لابن دريد (ص : ٣٠٦) ، وانظر : « البرصان والعرجان » (ص : ٧٩) وفيه ثلاثة سادوا وأسقط عروة بن مسعود ، وانظر : « المفصل في تاريخ العرب » (٤ / ١٥٦) .

(٢) « مفاخرة » : المفاخرة : من التَّفَاخُر ، وهو التَّعَاظُم ، من أهم مظاهر الحياة الاجتماعية عند أهل الجاهلية ، وفي المصادر العربية والتراثية قصص وأحداث عن تفاخر الجاهليين بعضهم على بعض ، وتكون المفاخرة بالآباء والأجداد ، وبالسيادة والشرف ، وبالحسب والنسب ، وبالكثرة والعدد ، وكانوا أحياناً يتفاخرون بالأموال ويشيرون إلى القبور ويقولون : هل فيكم مثل فلان وفلان ؟ فأنزل الله - عزَّ وجلَّ - : ﴿ أَلَهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ [ التكاثر : ١ ] .

وتقع المفاخرات بحضور محكمين في الغالب ، أو طرف ثالث محترم ، وعلى الطرفين قبول الحكم وإطاعته ، وتكون المفاخرة بإظهار كل طرف ما عنده من المناقب والأجاد التي انفرد بها دون خصمه ، وتكون المفاخرة بكلام منثور ومنظوم ، منسق منسق ، وبعد أن ينتهي المتفاخرون من بيانهم وحُججهم ، يُبدي المحكمون حكمهم ، وينبغي أن يكون الحكم لبقاً عادلاً لما له من أثر في نفوس المتفاخرين .

إلى الأقرع بن حابس ، حكم الأقرع لجرير في قصّة جميلة نوجزها فيما يأتي :  
\* قال ابن الأعرابي في نوادره ما حصيلته : « كان جريرُ بنُ عبد الله  
البحليّ ، تنافرَ هو وخالدُ بنُ أرطاة الكلبيّ إلى الأقرع بن حابس ، وكان عالم  
العرب في زمانه . . . . . »

فقال الأقرع : ما عندك يا خالد ؟

فقال : نزلُ البراح ، ونطعنُ بالرّماح ، ونحنُ فتیان الصّباح .

فقال الأقرع : ما عندك يا جرير ؟

فقال : نحنُ أهلُ الذهب الأصفر ، والأحمر المعتصر ، نُخيفُ  
ولا نخاف ، ونطعمُ ولا نستطعم ، ونحنُ حيّ لَقاح ، نطعم ما هبّت الرّياح ،  
نضمن الدّهر ، ونصوم الشّهر ، ونحنُ الملوك القسر .

فقال الأقرع : واللّات والعزّى ، لو نافرت قيصر ملك الرّوم ، وكسرى  
عظيم الفرس ، والتّعمان ملك العرب ، لنفرت عليهم « (١) .

\* وظلّ هذا العزّ الممدود لسيدنا جرير ممدوداً في ظلال الإسلام ،

---

ويقال للمفاخرة : المنافرة . والمنافرة : المحاكمة في الحسب . والثّفار : أن  
يتنافروا إلى حاكم يحكم بينهم . والثّفورة : الحكومة . ويوم نفوره : يوم حكمه .  
والمساجلة في معنى المفاخرة . وتساجلوا بمعنى تفاخروا . وتُعرف المفاخرة  
بالمباهاة أيضاً ، فيقال : تباهاوا إذا تفاخروا .

وطالما كانت تؤدّي هذه المفاخرات والمساجلات إلى وقوع حروب وسفك  
دماء ، ولهذا أبطها الإسلام ، ونهى عنها ، وعدّها من شعار الجاهليّة . وللمزيد من  
هذا الموضوع الشّائق راجع : « بلوغ الأرب » ( ١ / ٢٧٨ - ٣٠٨ ) .

(١) « بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب » للألوسيّ ( ١ / ٣٠١ - ٣٠٤ ) ، عني بشرحه  
وتصحيحه وضبطه : محمّد بهجة الأثريّ - دار الكتب العلميّة - بيروت - لبنان - دون  
تاريخ .

فَلِمَكَانَتِهِ وَسُودَدِهِ كَلَّفَهُ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ ﷺ أَنْ يَسْتَنْصِتَ النَّاسَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ ؛  
إِذْ إِنَّ الْإِنْصَاتَ صِفَةً لَازِمَةً لِلْمَتَعَلِّمِينَ .

\* جاء خبرُ هذا العزِّ الكريمِ لسيدنا جريرٍ في « الصَّحِيحِ » وغيره ، بسند رفعوه إلى أبي زُرْعَةَ بْنِ عمرو بن جرير ، عن جدِّه جرير بن عبد الله البَجَلِيِّ - رضي الله عنه - قال : قال لي النَّبِيُّ ﷺ في حَجَّةِ الْوَدَاعِ : « يا جريرُ ! اسْتَنْصِتِ النَّاسَ » . ثمَّ قال : « لا ترجعوا بعدي كفَّاراً يضربُ بعضُكم رقابَ بعضٍ » (١) .

(١) أخرجه البخاري في العلم برقم : ( ١٢١ ) ، وفي مواضع أخرى برقم : ( ٤٤٠٥ ) ، ٦٨٦٩ ، و ٧٠٨٠ ) ، ومسلم في الإيمان برقم : ( ٦٥ ) ، وأحمد ( ٥٧ / ٧ ) برقم : ( ١٩١٨٨ ) ، وأخرجه كذلك ( ٧٤ - ٧٣ / ٧ ) برقم : ( ١٩٢٧٩ ) ، ١٩٢٨٠ ) ، وأخرجه النَّسَائِي ( ٧ / ١٢٧ - ١٢٨ ) ، والطَّبْرَانِيُّ في « الكبير » ( ٢ / ٣٣٦ - ٣٣٧ ) برقم : ( ٢٤٠٢ ) ، ومصادر أخرى متنوعة .

ومعنى قوله ﷺ : « ترجعوا بعدي كفَّاراً . . . . » قيل : « في معناه سبعة

أقوال :

الأوَّل : أنَّ ذلكَ كُفْرٌ في حقِّ المستحلِّ بغيرِ حقِّ .

الثَّانِي : المرادُ كُفْرُ النَّعْمَةِ ، وحقُّ الإسلامِ .

الثَّالِث : أنَّه يقربُ من الكُفْرِ ويؤدِّي إليه .

الرَّابِع : أنَّه فعلٌ كفعلُ الكُفَّارِ .

الخامس : المرادُ حقيقةُ الكُفْرِ ، ومعناه : لا تكفروا ، بل دووا مسلمين .

السَّادِس : المرادُ بالكُفَّارِ : المتكفِّرون بالسِّلاحِ ، يقال : تكفَّرَ الرَّجُلُ بِسِلَاحِهِ ، إذا

لبسه ، قال الأزهرِيُّ في كتابه : « تهذيب اللغة » : يُقالُ لِلْأَبْسِ السِّلاحِ :

كافر .

السَّابِع : لا يكفِّرُ بعضُكم بعضاً ، فتستحلُّوا قتالَ بعضِكم بعضاً » .

قال الإمام النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ ما مفاده : « وأظْهَرُ الأَقْوَالِ الرَّابِعُ ؛ وهو اختيار

القاضي عياض رَحِمَهُ اللهُ » . وقوله « لا ترجعوا بعدي كفَّاراً » : معناه بعد فراقِي من

موقفي هذا ، وكان هذا يوم النَّحْرِ بِمَعْنَى فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ . وقوله « استنصت =

## جريرٌ في الرَّحَابِ النَّبَوِيَّةِ :

\* حياةٌ سيّدنا جرير بن عبد الله البجليّ - رضي الله عنه وأرضاه - ، حياة علمٍ وأدبٍ وتربية ، تمدّنا بكثير من الإشراقات التّربويّة والتّفسّيّة التي استقاها من الرَّحَابِ النَّبَوِيَّةِ ، ومن المحضن المحمّديّ التّبيل الذي كان ينزلُ النَّاسَ منازلهم .

= النَّاسَ « : مُرَّهم بالإنصات ليسمعوا هذه الأمور المهمّة ، والقواعد التي سأقررها لكم ، وأحمّلكموها . وقوله « حَجَّةُ الْوَدَاعِ » : سَمِيَتْ بذلك ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَدَعَ النَّاسَ فِيهَا ، وَعَلَّمَهُمْ فِي خُطْبَتِهِ فِيهَا أَمْرَ دِينِهِمْ ، وَأَوْصَاهُمْ بِتَبْلِيغِ الشَّرْعِ فِيهَا ، إِلَى مَنْ غَابَ عَنْهَا . وَحَجَّةُ : يَجُوزُ فَتَحَ الْحَاءُ وَكسرها . فَالْفَتْحُ : بِالْقِيَاسِ ؛ وَالْكَسْرُ : بِالسَّمْعِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

قال ابن حجر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ معلقاً على الحديث بما فائدته : « معنى الحديث : لا تفعلوا فعل الكفار ، فتشبهوهم في حالة قتل بعضهم بعضاً » .

وفي الحديث فوائد منها : « أَنَّ الْإِنْصَاتَ لِلْعُلَمَاءِ لَازِمٌ لِلْمُتَعَلِّمِينَ ؛ لِأَنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ . وَكَانَ الْجَمْعُ كَثِيرًا يَوْمَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ ، وَلَمَّا خُطِبَ ﷺ لِيَعْلَمَهُمْ نَاسَبَ أَنْ يَأْمُرَهُمْ بِالْإِنْصَاتِ .

هناك فرق بين الإنصات والشكوت ؛ فالإنصات هو الشكوت ، وهو يحصل ممن يستمعُ وممن لا يستمعُ ، كأن يكون مفكراً في أمرٍ آخر .

والاستماع : قد يكون مع الشكوت ، وقد يكون مع التّطيق بكلامٍ آخر لا يشتغل التّاطق به عن فهم ما يقول الذي يستمع منه ؛ وقد قال سفيان الثوري وغيره : أول العلم : الاستماع ، ثمّ الإنصات ، ثمّ الحفظ ، ثمّ العمل ، ثمّ النّشر . وعن الأصمعيّ تقديم الإنصات على الاستماع . وعن مطرف قال : الإنصات من العينين ؛ فقال له سفيان بن عيينة : ما ندري كيف ذلك ؟

قال : إذا حدثت رجلاً فلم ينظر إليك ، لم يكن منصتاً . وهذا محمول على الغالب ؛ والله عزّ وجلّ أعلم . « فتح الباري » ( ١ / ٢٦٢ - ٢٦٣ ) بتصرّف .

\* من ذلك دعوته ﷺ جريراً - رضي الله عنه - إلى الشهادتين والإيمان ، وتعليمه الفرائض ؛ وهذا ما أخرجه البيهقي رحمه الله في « دلالة » بسنده عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد الله - رضي الله عنه - قال : « بعث إلي رسول الله ﷺ فأتيته ، فقال : « يا جرير ؛ لأي شيء جئت ؟ » .

قلت : جئت لأسلم على يدك يا رسول الله !

قال : فألقى إلي كساءً ، ثم أقبل على أصحابه ، ثم قال : « إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه » ، فقال لي رسول الله ﷺ : « يا جرير ؛ أدعوك إلى شهادة أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله ، وأن تؤمن بالله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره ، وتصلّي الصلاة المكتوبة ، وتؤدّي الزكاة المفروضة » .

قال : ففعلت ، فكان بعد ذلك ، لا يراني إلا تبسم في وجهي « (١) .

\* وفي الرحاب النبوية نلتقي سيّدنا جريراً - رضي الله عنه - مبايعاً على السمع والطاعة ، والنصح للمسلمين ، يقول جريرٌ - رضوان الله عليه - في هذا الأمر المحبّب النافع : « بايعت النبي ﷺ على السمع والطاعة ، والنصح للمسلمين » .

(١) « دلائل الثبوت » للبيهقي ( ٥ / ٣٤٧ ) ، ومعنى قوله : « بعث إلي » : أي : أرسل إليّ أحداً من أصحابه يدعوني فأتيته . وقوله « فأكرموه » : لهذا الكلام النبويّ الجميل معيان :

الأوّل : أنه إذا كان شخصٌ ذا كرامة في قومه بأن كان رئيساً وسيّداً فيهم فأكرموه ؛ فإنّه إذا لم يكرمه كان له ولقومه ضغن وحقد منه ، ويحصل له الأذى من جهتهم ، هذا إذا كان القوم جهلة ، ولكن ينبغي أن يحمل هذا الأمر بالإكرام على ما إذا لم يحصل له ضرر على دينه ، فإنّ تبجيل الكافر كفر . وفي الحديث : « مَنْ وقرّ صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام » .

الثاني : ما أخرجه مسلم في « صحيحه » عن أمنا الصديقة عائشة - رضي الله عنها - قالت : « أمرنا النبي ﷺ أن ننزل الناس منازلهم » .

\* وفي حديث آخر نستمع ونستمعُ بالبيعة الجريريّة المباركة ؛ إذ يقولُ سيّدنا جرير - رضي الله عنه - : « أتيتُ النَّبِيَّ ﷺ ، فقلتُ : أبايعك على السَّمع والطَّاعة ، فيما أحببتُ وفيما كرهتُ » .

فقال النَّبِيُّ ﷺ : « أتستطيعُ ذلك أو تطيقُ ذلك قل فيما استطعتَ » .

فقلتُ : فيما استطعتُ ، فَبَايَعَنِي والنَّصَحَ للمسلمين » .

وفي روايةٍ أخرى قال : « فبايعتُ رسولَ اللهِ ﷺ على السَّمع والطَّاعة ، وأنْ أنصحَ لكلِّ مسلم ، وكان إذا باع الشَّيء أو اشتري قال أما إنَّ الذي أخذنا منك أحبَّ إلينا ممَّا أعطيناك ، فاختر » (١) .

\* وروي عن سيّدنا جرير - رضي الله عنه - : « أنَّه كان إذا باع رجلاً قال له : إنَّ الذي أخذُ منك أحبُّ إليَّ من الذي أعطيتك ، فقال له بنوه : إذا فعلتَ لم ترتفعْ إلى بيع سلعة ، فقال : إنِّي بايعتُ رسولَ اللهِ ﷺ على الإسلام ؛ والنَّصَحَ لكلِّ مسلم » (٢) .

\* ومن مستطرفات سيّدنا جرير ومناقبه في هذا المضمار : « أنَّه اشتري له وكيله فرساً بثلاث مئة درهم ، فراها جرير - رضي الله عنه - فتخيَّل أنَّها تساوي أربع مئة ، فقال لصاحبها : أتبيعها بأربع مئة ؟ قال : نعم ؛ ثمَّ تخيَّل

---

(١) « شرح حياة الصَّحابة » ( ١ / ٤٢٤ - ٤٢٥ ) بتصرّف يسير . وقوله « فيما استطعت » : هذا تلقين لهم منه ﷺ ، وهو من كمال شفقتة ورأفته بأتمته ليقوموا بما يستطيعون .

وجاء عن سيّدنا جرير - رضي الله عنه - أيضاً قال : « بايعتُ رسولَ اللهِ ﷺ على ما بايعت عليه النَّساء ، لمن مات ممناً ، ولم يأت شيئاً ضمن له الجنة ؛ ومن مات ممناً وأتى شيئاً منهنَّ ، فأقيم عليه الحدُّ فهو كفَّارته ، ومن مات ممناً وأتى شيئاً منهنَّ فستر عليه ، فعلى الله - عزَّ وجلَّ - حسابه » . « مختصر تاريخ دمشق » ( ٦ / ٣٥ ) .

(٢) « مختصر تاريخ دمشق » ( ٦ / ٣٥ ) .

أَنَّهَا تَسَاوِي خَمْسَ مِئَةٍ ، فَقَالَ : أَتَبِيعُهَا بِخَمْسِ مِئَةٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، ثُمَّ تَخَيَّلَ أَنَّهَا تَسَاوِي سِتَّ مِئَةٍ ، ثُمَّ سَبْعَ مِئَةٍ ، ثُمَّ ثَمَانَ مِئَةٍ ، فَاشْتَرَاهَا بِثَمَانِ مِئَةٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - « (١) .

\* ومن الإشراقات السنّية المتألّقة التي نجدها في رصيد سيّدنا جرير - رضي الله عنه - : أَنَّ الْحَبِيبَ الْمُصْطَفَى ﷺ كَانَ يَعِدُّهُ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ ، وَنَاهِيكَ بِهَذَا الْأَمْرِ رَفْعَةً وَفَخْرًا وَإِكْرَامًا لَجَرِيرِ !

\* فعن عَيْلَمَ رِجَالِ الْبَيْتِ وَعَالِمِهِمْ سَيِّدُنَا عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ - قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « لَا تَسُبُّوا جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ، إِنَّ جَرِيرًا مَثًّا أَهْلَ الْبَيْتِ » (٢) .

\* وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ سَيِّدُنَا عَلِيِّ بْنِ رِضْوَانَ اللَّهِ عَلَيْهِ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « جَرِيرٌ مَثًّا أَهْلَ الْبَيْتِ ، ظَهْرًا لِبَطْنٍ ، ظَهْرًا لِبَطْنٍ ، ظَهْرًا لِبَطْنٍ » (٣) .

\* وَهَآكُم هَذِهِ الْمَكْرَمَةُ الْهَادِيَةُ النَّبِيلَةُ ؛ الَّتِي تَفْتَرُّ عَنْ جِمَانِ الْمَوَدَّةِ النَّبَوِيَّةِ لَجَرِيرٍ ، حَيْثُ رَوَى عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّكَ أَمْرٌ قَدْ حَسَّنَ اللَّهُ خَلْقَكَ ، فَحَسِّنْ خُلُقَكَ » (٤) .

---

(١) « تهذيب الأسماء واللغات » (١ / ١٤٨) . وهذه القصة أخرجها الطبراني في « الكبير » برقم : (٢٣٩٥) ، وسكت عنها الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » وما سكت عنه الحافظ في « الفتح » يكون عنده صحيحاً أو حسناً ، والله تعالى أعلم .

(٢) « مختصر تاريخ دمشق » (٦ / ٣٥) .

(٣) « المعجم الكبير » (٢ / ٢٩١ - ٢٩٢) برقم : (٢٢١١) . وقال الذهبي عن الحديث : « هذا منكر ، وصوابه من قول علي » .

(٤) « سير أعلام النبلاء » (٢ / ٥٣٤) ؛ نقلاً عن « مختصر تاريخ دمشق » (٦ / ٣٥) .

\* وعن عيسى بن يزيد : « كان النَّبِيُّ ﷺ يَعْجَبُ من عقل جرير وجماله » (١) .

\* وظلَّ سيِّدنا جريرٌ - رضي الله عنه - وفيأً للمودَّة النَّبَوِيَّة ، مخلصاً للإسلام والمسلمين ، وقد اعتزل الفتنة بين سيِّدنا عليٍّ وسيِّدنا معاوية - رضي الله عنهما - ، وقد حدَّثنا عن هذا الأمر فقال : « بعث عليٌّ إليَّ ابن عبَّاس ، والأشعث - وأنا بقرقيسياء - فقالا : أمير المؤمنين يقرئك السَّلَام ، ويقول : نِعَمَ ما رأيتَ من مفارقتك معاوية ، وإني أنزلك بمنزلة رسول الله ﷺ التي أنزلَكها .

فقلت : إنَّ رسولَ الله ﷺ بعثني إلى اليمن أقاتلهم حتَّى يقولوا : لا إله إلا الله ، فإذا قالوا ، حَرَمْتُ دماءهم وأموالهم ، فلا أقاتل من يقول : لا إله إلا الله » (٢) .

\* وكان جرير - رضي الله عنه - يأتسي بالنَّبِيِّ ﷺ في وضوئه وصلاته ، ففي الصَّحيح عن إبراهيم النَّخعيِّ ، عن همام بن الحارث قال : « رأيتُ جريرَ بنَ عبد الله بال ، ثمَّ توضَّأ ، ومسح على خُفَّيه ، ثمَّ قام فصلَّى ، فسُئِلَ فقال : رأيتُ النَّبِيَّ ﷺ يصنعُ مثل هذا . قال إبراهيم : فكان يعجبهم هذا ؛ لأنَّ جريراً كان من آخر من أسلم » (٣) .

---

(١) « سير أعلام النبلاء » ( ٢ / ٥٣٤ ) .

(٢) المصدر السابق ( ٢ / ٥٣٦ ) ، أقول : « إنَّ سيِّدنا جريراً - رضي الله عنه - يدلُّ على ورعه وعلى فقهه وعلمه ، ومعرفته أقدار الصَّحابة الذين سبقوه إلى دوحه الإيمان ، وإلى إتزامه الهدي النَّبويِّ ، فرضي الله عنه وعن الصَّحابة أجمعين ، وحشرنا في معيَّتهم » .

(٣) أخرجه البخاري في الصَّلَاة برقم : ( ٣٨٧ ) ، ومسلم في الطَّهارة برقم : ( ٢٧٢ ) ، وأبو داود برقم : ( ١٥٤ ) ، والنَّسائي ( ١ / ٨١ ) ، والترمذي برقم : ( ٩٣ ) ، وأخرج هذا الحديث ابن عساكر عن إبراهيم النَّخعيِّ قال : « توضَّأ جرير ، ثمَّ مسح =



## عُمَرِيَّاتٌ مَاتَعَةٌ فِي حَيَاةِ جَرِيرٍ :

\* في حياة سيِّدنا جرير - رضي الله عنه - صورٌ ثريَّةٌ مَاتَعَةٌ بالعطاء والخير والفائدة ، فقد رزق الله - عزَّ وجلَّ - سيِّدنا جريراً جمالاً وهيئةً حسنةً ، حتَّى وصفه عبدُ الملك بنُ عمير بقوله : « رأيتُ جريرَ بنَ عبدِ الله - رضي الله عنه - ، وكأنَّ وجهه فلقة قمر » (١) .

\* وسيِّدنا جرير - رضي الله عنه - من أعيان الصَّحابة الذين اشتهروا بجمال الوجه ، واعتدالِ الجسم ، وهم كُثُرٌ ومنهم : سيِّدنا الحسنُ والحسينُ وأبوهما عليُّ بن أبي طالب ، وسيِّدنا العبَّاسُ وأولاده ، وسيِّدنا جعفر بن أبي طالب ، وهؤلاء أجمعون من أعيانِ أهلِ البيتِ ورجالهم المرموقين ، ويُضاف إليهم سيِّدنا جرير البجليّ ، ودحية الكلبيّ ، ومصعب بن عمير ، وعثمان بن عثمان المخزوميّ (٢) ، وغيرهم - رضي الله عنهم أجمعين - .

\* وقد مرَّ معنا أنَّ الحبيبَ الأعظمَ حبيبنا رسولَ الله ﷺ قد شهد لسيِّدنا جرير بالخيريَّة ، وأشار إلى أنَّ عليَّ وجهه مسحة ملك ، وهذا يعني أنَّ جماله هادىٌ كجمالِ الملائكةِ الكرام ، وأنَّ جماله ربَّانيُّ الصَّنعة ، فتبارك اللهُ أحسن الخالقين .

= على خفيِّه ، فليل له : أتمسحُ على خفيِّك ؟

قال : ومالي لا أمسح ! وقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ يمسح !

قال إبراهيم : فكان حديث جرير أوثقَ حديثٍ في المسح ؛ لأنَّه أسلم في العام الذي قُبِض فيه رسولُ الله ﷺ بعد نزول سورة المائدة . « مختصر تاريخ دمشق » (٦ / ٣٤) .

(١) « مختصر تاريخ دمشق » (٦ / ٣٥) ، و« البداية والنهاية » (٨ / ٥٦) ، و« تهذيب التهذيب » (٢ / ٧٣ - ٧٤) .

(٢) كان عثمان بن عثمان المخزوميّ لقبه شماس ملاحظته . « سير أعلام النبلاء » (١ / ١٤٩) .

\* وهذا الجمالُ الجريئُ المتألِّقُ الخارقُ صارَ مادَّةَ دسمةٍ ونبوعاً ثراً يغترفُ منه مترجمو حياة سيِّدنا جرير ، ومنهم الإمامُ الذهبيُّ رَحِمَهُ اللهُ الذي قال : « كان بديعَ الحسنِ ، كاملَ الجمالِ » (١) . وقال : « وكان بديعَ الجمالِ ، مليحَ الصُّورةِ إلى الغايةِ ، طويلاً ، يصلُ إلى سنامِ البعيرِ » (٢) . وقال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ : « وكان حسن الصُّورةِ » (٣) .

\* وهذا الوصفُ الجميلُ لسيِّدنا جرير مشتقٌّ من قول سيِّدنا عمر بن الخطَّاب - رضي اللهُ عنه - : « جريرٌ يوسفُ هذه الأُمَّةِ » (٤) وذلك لحسنه وجماله .

\* وكان لجرير مقامٌ سامقٌ ومكانةٌ عليا عند فاروق الإسلام سيِّدنا عمر - رضي اللهُ عنه - ، ولمَّا سمع قول الشَّاعر في جرير :

لولا جريرٌ هلكتُ بَجِيلَةٍ نِعَمَ الفَتَى وبُشَّتِ القَبِيلَةَ

(١) « سير أعلام النبلاء » ( ٢ / ٥٣١ ) ، وقال الأصبهاني : « فاق النَّاسَ في الجمالِ والقامةِ ، طولُه سنَّةٌ أذرع ، وطولُ نَعْلِهِ ذراع ، وكان عمر بن الخطَّاب - رضي اللهُ عنه - يسمِّيهِ يوسفَ هذه الأُمَّةِ لجمالِهِ » . « معرفة الصَّحابة » ( ١ / ٤٧٨ - ٤٧٩ ) .

(٢) « تاريخ الإسلام » للذهبي ( عهد معاوية ، ص : ١٨٦ ) ، وانظر : « الشُّعور بالعمور » ( ص : ١٢٥ ) .

(٣) « أسد الغابة » ( ١ / ٣٣٣ ) ترجمة رقم : ( ٧٣٠ ) .

(٤) « أسد الغابة » ( ١ / ٣٣٣ ) ، و« الاستيعاب » ( ١ / ٢٣٥ ) ، و« الإصابة » ( ١ / ٢٣٤ ) ؛ وعن جمال سيِّدنا جرير ، ما جاء عن جرير نفسه قال : « رأني عمرُ بنُ الخطَّابِ متجرِّداً ، فنناداني : خذ رداءك ، خذ رداءك . فأخذت رداي ، ثم أقبلتُ إلى القوم ، فقلت : ماله ؟

قالوا : لمَّا رآك متجرِّداً ، قال : ما أرى أحداً من النَّاسِ صوِّرَ صورة هذا إلا ما ذكر من يوسفَ رَحِمَهُ اللهُ » . « سير أعلام النبلاء » ( ٢ / ٥٣٤ ) .

قال سيّدنا عمر - رضي الله عنه - : « ما مُدِحَ من هُجَيِّ قومه » (١) .

\* وكانت قبيلةً بجيلةً متفرّقةً ، فجمعهم عمر بنُ الخطّاب - رضوان الله عليه - ، وجعل عليهم جريراً ؛ إذ كان جرير سيّد قومه ورئيسهم ورأسهم (٢) .

\* وهذه الرّئاسةُ المتميّزة كانت تعجبُ سيّدنا عمر - رضي الله عنه - لذلك كان عمر - رضي الله عنه - يخاطبه بقوله : « ما زلتَ شريفاً في الجاهليّة والإسلام » .

\* والحقيقةُ ، فقد كان سيّدنا جريرٌ - رضي الله عنه - سيّداً لبقاً ، وشريفاً سيّداً ، وفصيحاً لسنّاً ، وشاعراً وخطيباً ، وهو أحدُ الصّحابة المشهورين بالبيان والتّبيين ، يحسنُ المقال ، ويثني على الرّجال ، بمقدرة عجيبة ، وبلاغة وجيزة ، وكان له مع الفاروقِ عمر إشراقاتٌ لطيفةٌ ، وجلساتٌ منيفةٌ ، وكلماتٌ خفيفةٌ ؛ ولكنّها مفيدةٌ طريفةٌ ، تدلُّ على علمه الدّافق ، ومحلّه البارق ، ومجده السّامق .

\* وضع ابنُ عبد البرِّ رحمته الله أمام أعيننا فقراتٍ بلاغيّةً ، وجمالاً بيانيّةً تدلُّ على بيان سيّدنا جرير وفصاحته وصدقه أمام سيّدنا عمر - رضي الله عنه - ، فقال : « قدم جريرٌ على عمر بن الخطّاب - رضي الله عنه - من عند سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - ، فقال له : كيف تركتَ سعداً في ولايته ؟

فقال : تركته أكرمَ النَّاسِ مقدرةً ، وأحسنهم معذرةً ، وهو لهم كالأمِّ البرّة ، تجمع لهم كما تجمع الدّرة ، مع أنّه ميمونُ الأثر ، مرزوقُ الظّفَر ، أشدّ النَّاسِ عند البأس ، وأحبّ قريش إلى النَّاسِ .

---

(١) « الاستيعاب » ( ١ / ٢٣٥ ) ، و « التذكرة الحمدونيّة » ( ٧ / ٤٤ ) ، و « الشعور بالعمور » للصفديّ ( ص : ١٢٨ ) .

(٢) « أسد الغابة » ( ١ / ٣٣٣ ) ، و « المفصل في تاريخ العرب » ( ٤ / ٤٤٦ ) مع الجمع والتّصريف .

قال عمر : فأخبرني عن حال النَّاس .

فقال جرير : هم كسهام الجعبة ، منها القائمُ الرَّائش ، ومنها العَضْلُ الطَّائش ، وابن أبي وقَّاص يغمزُ عَضْلَهَا ، ويقيمُ ميلها ، والله أعلم بالسَّرائر يا عمر !

قال : أخبرني عن إسلامهم .

قال جرير : يقيمون الصَّلَاة لأوقاتها ، ويؤتون الطَّاعة لُولاتها .

فقال عمر بن الخطَّاب : الحمدُ لله ، إذا كانت الصَّلَاة أقيمت ؛ والرَّكاة أوتيت ، وإذا كانت الطَّاعة كانت الجماعة « (١) .

\* تدلُّ أخبار سيِّدنا جرير مع سيِّدنا عمر على سيادته ، ومعرفته قَدْر نفسه ، ومعرفته الحليف للقبيلة من صميمها ، لذلك لم يقبل مرَّة واحدة أن يسودَ قبيلته مَنْ ليس من عُليها وصميمها ، وهذا ما ذكرته المصادرُ عنه قالت : « أراد عمرُ بنُ الخطَّاب - رضي الله عنه - أن يؤمَّ عرفجةَ بنَ هرثمة البارقيِّ على بجيلة ، ليسيرهم إلى العراق ، فغضب جريرٌ - رضي الله عنه - ؛ وقال لبجيلة : كلِّموا أميرَ المؤمنين .

فقالوا لعمر - رضي الله عنه - : استعملت علينا رجلاً ليس منَّا !

فأرسل إلى عرفجة ؛ وقال له : ما يقولُ هؤلاء ؟

قال : صدقوا يا أمير المؤمنين ، لستُ منهم ، ولكنِّي من الأزدي ، كنَّا أصبنا في الجاهليَّة دماً من قومنا ، فلحقنا ببجيلة ، فبلغنا فيهم من الشُّؤدد ما بلغك .

فقال عمر : فاثبت على منزلتك ، فدافعهم كما يدافعونك .

فقال : لستُ فاعلاً ، ولا سائراً معهم .

---

(١) « الاستيعاب » ( ١ / ٢٣٦ - ٢٣٧ ) .

فَأَمَرَ عَمْرُ جَرِيرًا عَلِيًّا بِجِيلَةٍ ، وَسَارَ مَعَهُمْ إِلَى الْعِرَاقِ . . . . » (١) .

\* كَانَ سَيِّدَنَا جَرِيرٌ فَطِنًا لَبِقًا عَاقِلًا ، وَلَهُ فِي مَجْلِسٍ مِنَ الْمَجَالِسِ الْعَمْرِيَّةِ وَقْفَةٌ لَطِيفَةٌ تَدُلُّ عَلَيَّ ذِكَايَهُ وَحَسَنِ تَدْبِيرِهِ ، وَلِنَسْتَمِعَ إِلَيْهِ يَرُوي لَنَا ذَلِكَ فَيَقُولُ : « تَنَفَّسَ رَجُلٌ - أَحَدُثٌ - وَنَحْنُ خَلْفَ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ نَصَلِّي ، فَلَمَّا انصَرَفَ قَالَ : أَعَزُّمُ عَلِيًّا صَاحِبَهَا إِلا قَامَ فَتَوَضَّأَ ، وَأَعَادَ الصَّلَاةَ ، فَلَمْ يَقُمْ أَحَدٌ ، فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! اعْزَمْ عَلَيْنَا جَمِيعًا ، فَتَكُونَ صَلَاتِنَا تَطَوُّعًا وَصَلَاتِهِ الْفَرِيضَةَ ، فَقَالَ : عَزَمْتُ عَلَيَّ وَعَلَيْكُمْ لَمَّا قَمْنَا ؛ فَتَوَضَّأْنَا ، ثُمَّ صَلَّيْنَا » !!!

\* وَفِي حَدِيثٍ بِمَعْنَاهُ أَنَّ سَيِّدَنَا عَمْرًا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ لَجَرِيرٍ : « يَرْحَمُكَ اللَّهُ ! نِعَمَ السَّيِّدِ كُنْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَنِعَمَ السَّيِّدِ أَنْتَ فِي الْإِسْلَامِ » . وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّهُ قَالَ : « رَحِمَكَ اللَّهُ ! إِنْ كُنْتُ لَسَيِّدًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَفِيهَا فِي الْإِسْلَامِ » (٢) .

\* وَلَجَرِيرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مَوْقِفٌ يَقَطُرُ بِصَفَاءِ الْإِيمَانِ ، وَصَدَقَ الْعَقِيدَةَ ، وَذَلِكَ فِي الْخِلَافَةِ الْعَمْرِيَّةِ ، فَقَدْ ذَكَرْتُ الْمَصَادِرُ أَنَّ عَمْرًا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ لَجَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ - وَالنَّاسُ يَتَحَامَوْنَ الْعِرَاقَ وَقِتَالَ الْأَعَاجِمِ - : « سِرَّ بِقَوْمِكَ ، فَمَا غَلَبَتْ فَلَكَ رِبْعُهُ ، فَلَمَّا جُمِعَتِ الْغَنَائِمُ ، غَنَائِمُ جُلُولَاءَ ، ادْعَى جَرِيرٌ أَنَّ لَهُ رِبْعَ ذَلِكَ كُلِّهِ ، فَكُتِبَ سَعْدٌ إِلَى عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ ، فَكُتِبَ عَمْرًا : صَدَقَ جَرِيرٌ ، قَدْ قَلْتُ لَهُ ذَلِكَ ، فَإِنْ شَاءَ أَنْ يَكُونَ قَاتِلَ هُوَ وَقَوْمُهُ عَلِيًّا جُعِلَ فَأَعْطُوهُ جُعَلَهُ ، وَأَنْ يَكُونَ إِثْمًا قَاتِلَ اللَّهِ وَلِدِينِهِ ،

(١) انظر : « أسد الغابة » ( ١ / ٣٣٣ ) بتصرف يسير .

(٢) انظر : « سير أعلام النبلاء » ( ٢ / ٥٣٥ ) ، و « مختصر تاريخ دمشق » ( ٦ / ٣٦ ) مع الجمع والتصرف . وانظر : « كتاب الأشراف » لابن أبي الدنيا ( ص : ١٤٠ ) ، و « التذكرة الحمدونية » ( ٣ / ٥٠٠ ) ، و « شرح حياة الصحابة » ( ٢ / ٦٤١ ) ، و « البداية والنهاية » ( ٨ / ٥٦ ) ، وغيرها .

وجاهد ، فهو رجلٌ من المسلمين له مالهم ، وعليه ما عليهم ، وكتبَ عمرٌ بذلك إلى سعد ، فلمَّا قدمَ الكتابُ على سعدٍ دعا جريراً ؛ فأخبره ما كتبَ به إليه عمر ، فقال جريراً : صدقَ أميرُ المؤمنين ، لا حاجة لي به ، بل أنا رجلٌ من المسلمين ، لي مالهم ، وعليَّ ما عليهم « (١) .

## المجاهدُ الفاتح :

\* سيرةُ سيِّدنا جريِّرِ الجهاديَّةِ سيرةٌ مانتعةٌ حافلةٌ بألوانِ المكارم ، فهو من المجاهدين الفاتحين ، وممَّن فتحَ عدَّةَ مدن وهي : « خانقين ، وحُلوان ، وقرميسين ، وهمذان » ، وهو ممن دَوَّخَ الفُرس ، وأذاقهم طعمَ الهزائم مرَّات ومرَّات ؛ وكذلك الرُّوم ، أذاقهم الويلات .

\* وإنا لنذكرُ أنَّ أوَّلَ أعماله الجهاديَّةِ كانت في عهدِ النَّبِيِّ ﷺ ؛ إذ أرسله لِهَدْمِ « ذي الخَلَصَةِ » ، فذهب وهدمها وأحرقها ، وعاد سالماً ، فزوَّده ﷺ بالدُّعاء ، ثمَّ أرسله ﷺ إلى اليمن يقاتلهم ، ويدعوهم إلى الإسلام ، فقد بعثه النَّبِيُّ ﷺ إلى « ذي الكُلاع » ، وإلى « ذي عمرو » يدعوهما إلى الإسلام ، فأسلما ، وأسلمت « ضُريبة بنت أبرهة » امرأةَ ذي الكُلاع ، وتوفي رسولُ الله ﷺ وجريراً عندهم ، فأخبره ذو عمرو بوفاته ﷺ ، فخرج جريراً متوجِّهاً إلى المدينة المنورة (٢) .

\* وصلَ جريراً المدينةَ المنورةَ ، والتقى خليفةَ رسولِ الله ﷺ أبا بكر - رضي الله عنه - ، وأعطاهُ تقريراً مفصَّلاً عن أهل اليمن ، وعمَّن ارتدَّ منهم عن دينه ، وعمَّن ثبتَ عليه ، فأمره سيِّدنا أبو بكر - عليه سحائب الرِّضوان - أن يعود إلى اليمن ليشدَّ أزرَ الثَّابتين على الإسلام من بجيلة ، ويثبت

(١) « صفة الصَّفوة » ( ١ / ٧٤١ - ٧٤٢ ) ، و« مختصر تاريخ دمشق » ( ٦ / ٣٦ ) .

(٢) انظر : « المفصَّل في تاريخ العرب » ( ٤ / ١٨٢ ) ، و« زاد المعاد » ( ١ / ١٢٣ ) مع الجمع والتصرُّف .

أمَامَ المرتدِّين الذين جرفهم بعضُ شياطين الإنس ؛ فخرج جريرٌ ونقَدَ أمر سيِّدنا أبي بكر - رضي اللهُ عنه - ، ثمَّ وصل المهاجِرُ بنُ أميةَ اليمن من عند سيِّدنا أبي بكر - رضي اللهُ عنه - ، فانضمَّ جريرٌ إليه ، وكان بنجران ، فقاتل جريرٌ ومَن معه أهل الرِّدَّة تحت لواء المهاجر بن أمية ؛ وسار من نَصْرٍ إلى نَصْرٍ حتَّى نزل صنعاء ؛ ونلاحظ أنَّ ثباته على دينه كان ذا أثرٍ كبيرٍ في رجوع قبيلته بجيلةَ إلى حياض الإسلام ، وقضى جميعهم على المرتدِّين من أهل اليمن .

\* ثمَّ إنَّ جريراً صحب سيِّدنا خالد بن الوليد في معاركه في الشَّام ، وبرز اسمُ سيِّدنا جرير في معركة اليرموك ؛ إذ كان من الأبطالِ الميامين الذين انتخبهم سيِّدنا خالد لكي يؤثِّروا على معنويات الرُّوم قبل معركة اليرموك الفاصلة .

\* وقاتل سيِّدنا جريرٌ وقومه أيضاً تحت راية المثنى بن حارثة الشَّيباني في بلاد العراق ، فقد قاوموا الفُرسَ في معركة البُويب ، وهزموهم بإذن الله ؛ ولمَّا انهزم الفُرسُ ، قام المثنى فقال : « مَنْ يتبع النَّاسَ ؟ » ، فقام سيِّدنا جريرٌ في قومه وقال : « يا معشرَ بجيلةَ ! إنَّكم وجميعُ مَنْ شهد هذا اليوم في السَّابقة والفضيلة والبلاء سواء ، وليس لأحدٍ منهم في هذا الخمس غداً من النُّقل مثل الذي لكم منه ، ولكم ربعُ خمسه نَفْلاً من أمير المؤمنين ، فلا يكوننَّ أحدٌ أسرعَ إلى هذا العدو ، ولا أشدَّ عليه منكم للذي لكم منه ونية إلى ما ترجعون ، فإنَّما تنتظرون إحدى الحسينين : الشَّهادة والجنَّة ؛ أو الغنيمة والجنَّة » ، فاستجابت بجيلةُ لأمر سيِّدها جرير لمطاردة الفرس ، فذهبوا وأغاروا حتَّى بلغوا « سباط » ؛ لا يخافون كيداً ، ولا يلقون مانعاً يمنعهم من التَّقَدُّم .

\* ومع الرّاية السَّعدية الوَقاصيةَ بالعراق ، قاتلت بجيلةُ تحت راية سعد بن أبي وقاص في القادسيَّة ، وكان لسيِّدنا جرير ولبجيلة أثرٌ واضح في انتصار المسلمين على الفرس في هذه المعركة الحاسمة ، تكفَّلت بذكرها مصادرُ التَّاريخ الإسلاميِّ المعتمدة كالطَّبْرِي ، وابن الأثير وغيرهما .

\* وشهد سيِّدنا جريرٌ فَتْحَ المدائن عاصمة كسرى ، كما شهد معركة

جلولاء ، وهاجم جريراً بقوّاته بلدة « خانقين » ؛ وكان فيها فلولٌ من الفرس ، فقتل بعضهم ، ولاذّ الباكون بالفرار .

\* في هذه الأثناء أمدّ سيّدنا سعدُ بنُ أبي وقّاص جريراً بثلاثة آلاف مقاتلٍ ، وأمره أن يسيرَ لفتح « حُلوان » ففعلَ وفتحها صلحاً ، ثمّ سار إلى « قرميسين » ففتحها صلحاً أيضاً ، وبقي جرير والياً على حُلوان ، حتّى جاءه الأمر بأن يلحقَ أبا موسى الأشعريّ في خوزستان ، فغادرها ، وتذكّر المصادِرُ أنّ قوماً من ولد سيّدنا جرير نزلوا حلوان ، وأعقابهم بها .

\* وتحت لواء الثُّعْمان بن مقرّن خاض سيّدنا جريرُ معركةَ نهاوند ، وأبلى فيها بلاءً حسناً ، وكان سيّدنا عمر - رضي الله عنه - قد كتب إلى الثُّعْمان بن مقرن : « إنَّ أُصِيبَتَ فالأميرُ حذيفةُ بنُ اليمان ، فإن أُصيبَ فجريرُ بنُ عبد الله البجليّ ، فإن أُصيبَ فالمغيرةُ بنُ شعبة ، ثمّ الأشعثُ بنُ قيس » . وهذا التّنبؤُ العمريُّ بجرير يدلُّ على المكانة الرّفيعة التي تبوّأها هذا الرَّجُلُ الجميلُ النَّبيلُ .

\* ولمّا كان المغيرةُ بنُ شعبة والياً على الكوفة ، أرسل جريراً لفتح « همدان » ، فقاتل أهلها ، وأُصِيبَتْ عينُه بسهم فقال : « احتسبتُها عند الله الذي زَيّنَ بها وجهي ، ونوّرَ لي ما شاء ، ثمّ سلّبتُها في سبيله » ، ثمّ فتح همدان صلحاً على مثل صلح نهاوند ، وغلبَ على أرضها قسراً .

\* وهكذا نجدُ أنّ جريراً - رضي الله عنه - مُجاهداً وفاتحاً لكثير من البلدان ، كما نستقرئ من سيرته اللطيفة بأنّه ورث السّيادة ، وكان يقطرُ بالسُّودد والقيادة ، لذلك انتدبه الحبيبُ المصطفى ﷺ لهدم صنم ذي الخَلَصَة واجتثاث الشُّرك من أصوله ، فقام بالمهمّة أحسنَ قيام ، كما قام الأبطالُ العظامُ بالمهمّة نفسها مثل سيّدنا : عليّ بن أبي طالب ، وخالد بن الوليد ، والطُّفيل بن عمرو وغيرهم .

\* وقد تميّز سيّدنا جريرُ بالإقدام وتحمُّل المسؤولية واتّخاذ القرار



الحاسم في الأزمات ، فكان النَّصْرُ معقوداً له مصاحباً لجنده لصدقه وصدقهم ، وممّا يزيدُ في رصيده الجهادي أنّه كان يقاتل لتكون كلمةُ الله هي العُليا ، ولم يقاتلْ لمغنمٍ أو لسمعةٍ أو لتحصيل نفعٍ ، كما كان يستخدم كلَّ جهوده في سبيل نُصرةِ الدِّينِ ، وإعلاء شأنِ المسلمين .

\* ترى ماذا بقي لدينا في جعبةِ هذا البطلِ الفاتحِ القائدِ الفصيحِ جرير بن عبد الله البجليّ ؟ هذا ما ستجלוهُ الفقرة الآتية .

### العالمُ الفقيهُ والمحدِّثُ البليغُ :

\* إنّ المتأمِّل في سيرة سيِّدنا جرير بن عبد الله - رضي الله عنه - يجد خلالها الخير كله ؛ إذ إنّ سيِّدنا جريراً لم تطلْ أيام صحبته مع النَّبيِّ ﷺ ، ومع ذلك فهو يُعدُّ من علماء الصَّحابة وأعيانهم ومحدِّثيهم .

\* روي لجريرٍ عن رسول الله ﷺ مئة حديث ، اتَّفَق له الشَّيخان البخاري ومسلم على ثمانية أحاديث ، وانفرد البخاريُّ بحديثين ، ومسلم بستة (١) ، كما روى عن عمرو بن معاوية - رضي الله عنهما - .

\* حدَّث عنه من علماء الصَّحابة سيِّدنا أنس بن مالك (٢) - رضي الله عنه - ، وروى عنه من أهل بيته أولاده الأربعة وهم : المنذر ، وعبيد الله ، وأيوب ، وإبراهيم ، وكذلك حفيده : أبو زرعة بن عمرو بن جرير ، وروى عنه جماعة من أعيان علماء التَّابعين ومنهم : الشَّعبيُّ ، وقيسُ بنُ أبي حازم ،

---

(١) « تهذيب الأسماء واللغات » ( ١ / ١٤٧ ) ، و« سير أعلام النبلاء » ( ٢ / ٥٣١ ) ، و« تهذيب التَّهذيب » ( ٢ / ٧٣ ) ، و« أسد الغابة » ( ١ / ٣٣٤ ) ، و« الاستيعاب » ( ١ / ٢٣٧ ) مع الجمع بينها .

(٢) اقرأ سيرة خادم رسول الله ﷺ أنس بن مالك - رضي الله عنه - في الباب الثَّاني من موسوعتنا : « علماء الصَّحابة - رضي الله عنهم - » ( ص : ٣٨١ - ٤٤٠ ) فسيرته إمتاع للأسماع .

وأبو إسحاق السَّبْعِيّ وغيرهم (١) .

\* وأحاديث سيّدنا جرير شملت معظم أبواب الفقه ، والعلم ، ففي البخاريّ وحده نجدُ صنوفَ المعرفة المتنوّعة لرواية جريرٍ ومن تلك الأبواب : التَّوْحِيدُ ، والدَّعَوَاتُ ، والعِلْمُ ، والذِّيَاتُ ، والإيمانُ ، ومواقيتُ الصَّلَاةِ ، والمغازي ، والجهادُ والسَّير ، والأدبُ ، والصَّلَاةُ ، والزَّكَاةُ ، والأحكامُ ، والشُّرُوطُ ، والبيوعُ ، والمناقبُ ، والتَّفْسِيرُ .

\* وقد أخرجَ له الإمامُ أحمدُ في « مسنده » ( ١٠٩ ) أحاديث ، شملت أيضاً معظمَ أبواب العلم ، وكذلك أخرجَ له الطَّبْرَانِيُّ في « الكبير » ( ٢٠٧ ) أحاديث بالمكثّر شملت غالب أبواب العِلْم .

\* ومن مروياته عند البخاريّ ما أخرجه عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لا يرحمُ اللهُ مَنْ لا يرحمُ النَّاسَ » (٢) .

\* ومن مروياته في « الصَّحيح » أيضاً ما أخرجه البخاريّ بسنده عن قيس بن أبي حازم ، عن جرير قال : « كُنَّا جُلُوساً عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ ؛ إِذْ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، قَالَ : « إِنَّكُمْ سَتْرُونَ رَبَّكُمْ ، كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ ، لَا تَضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَلَّا تَغْلِبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ، وَصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ ، فَافْعَلُوا » (٣) .

\* ولسيّدنا جرير - رضي اللهُ عنه - مروياتٌ تدلُّ على علمه وفقهه ، ومحَبَّته للإسلام ونبِيِّ الإسلام ﷺ ، كما تدلُّ على بلاغته وفصاحته وجوْدَةِ

---

(١) « سير أعلام النبلاء » ( ٢ / ٥٣١ ) ، و « تهذيب الأسماء واللغات » ( ١ / ١٤٧ ) وغيرها .

(٢) أخرجه البخاريّ برقم : ( ٧٣٧٦ ) .

(٣) أخرجه البخاريّ في التَّوْحِيدِ برقم : ( ٧٤٣٤ ) . وقوله « لا تضامون » : ترونه في جهاتكم كلها .

حفظه ، وتدلُّ كذلك على اتباعه السُّنَّة الغرَّاء ، ومن هذه المرويَّات العبقة بفرائد الفوائد ، ما أخرجهُ مسلمٌ وغيره عن جرير في الحثِّ على الصَّدقة ، والابتداء بالخيرات ، والتَّحذير من اختراع الأباطيل .

\* أخرج مسلمٌ والطَّبْراني بسندٍ رفعاه إلى المنذرِ بنِ جرير ، عن أبيه ، قال : « كُنَّا عند رسولِ اللَّهِ ﷺ في صدر النَّهار ، فجاءه قومٌ حُفَاءٌ ، عُرَاةٌ ، مُجْتَابِي النَّمَارِ ، أَو الْعَبَاءِ ، متقلِّدي السُّيوف ، عامتهم من مُضَرٍ ، بل كلُّهم من مضر ، فتمعَّرَ وجهُ رسولِ اللَّهِ ﷺ لِمَا رَأَى بِهِم مِنَ الْفَاقَةِ ، فدخلَ ثمَّ خَرَجَ ، فأمرَ بلالاً فأذَّنَ وأقام ، فصلَّى ثمَّ خطبَ ، فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ إلى آخر الآية : ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١] ، والآية التي في الحشر : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ [الحشر : ١٨] ، تصدَّق رجلٌ من دياره ، من درهمه ، من ثوبه ، من صاع بُرِّه ، من صاع تمره - حتَّى قال - ولو بشقِّ تمره . فجاء رجلٌ من الأنصارِ بصرةٍ كادت كفه تعجزُ عنها ، بل قد عجزت ، ثمَّ تتابع النَّاسُ ، حتَّى رأيتُ كوميئ من طعامٍ وثياب ، حتَّى رأيتُ وجهَ رسولِ اللَّهِ ﷺ يتهلُّ كأنه مُذهَّبٌ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً ، فَلَهُ أَجْرُهَا ، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً ، كَانَ عَلَيْهِ وَزْرُهَا وَوَزَرَ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ » (١) .

(١) أخرجه مسلم في الزَّكاة برقم : ( ١٠١٧ ) ، واللفظ له ، والطَّبْراني في « الكبير » برقم ( ٢٣٧٢ ، ٢٣٧٣ ، ٢٣٧٤ ، و ٢٣٧٥ ) ، وأحمد ( ٥٨ / ٥ - ٥٩ ) برقم : ( ٩١٩٥ ) ، ومواضع أخرى من « المسند » .

وقوله « صدر النَّهار » : أوَّلُه . و« عرَاة » : جمع عار ، مَنْ جَاءَ يَطْلُبُ الْمَعْرُوفَ . و« مُجْتَابِي النَّمَارِ » : مُجْتَابٍ : اسم مفعول من اجتَاب ، والمعنى : خرقوها وقوروا وسطها . و« النَّمَارِ » : جمع مفردة : نَمْرَةٌ ، وهي ثيابٌ =

\* ومرويات سيدنا جرير - رضي الله عنه - منثورة في كتب الحديث ، صحيحتها ، وسُننها ، ومسانيدها ، ومعاجمها ، ويمكن الرجوع إليها بسهولة لنستشف من خلالها أن سيدنا جريراً كان محدثاً عالماً فقيهاً أخبارياً مفسراً ، بل عدّه علماء الإسلام وفقهاؤهم من أهل الفتيا البارزين الذين تؤخذ عنهم الفتوى في أمور الدين والفقه .

صوف يلبسها الأعراب فيها تنمير . و « العباء » : جمع عباءة وعباية لغتان . و « تمعر » : تغير لون وجهه الشريف شفقة عليهم . و « الفاقة » : الفقر وشدة الحاجة ، وليس له فعل من لفظه ، بل يقال : افتاق الرجل : إذا افتقر فهو مفتاق ، ولا يقال : فاق . و « فصلى ثم خطب » : فيه استحباب جمع الناس للأمر المهمة ، ووعظهم وحثهم على مصالحهم ، وتحذيرهم من القبائح . و « يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ » الآية . . . . : سبب قراءتها ، أنها أبلغ في الحث على الصدقة عليهم ، ولما فيها من تأكيد الحق لكونهم إخوة . و « من ديناره ، من درهمه . . . » : أي : من دنانيه ، من دراهمه ؛ لأن المفرد المضاف إلى المعرفة يعم . و « الصرة » : شيء يجمع فيه الدراهم والدنانير . و « كومين » : الكوم : العظيم من كل شيء ؛ والمكان المرتفع كالرابية ؛ والمقصود ههنا الكثرة ، والتشبيه بالرابية . و « يتهلل » : يستنير فرحاً وسروراً ؛ لأن أصحابه بادروا إلى مساعدة هؤلاء المحتاجين من مضر . و « مذهبة » : كأنه فضة مموهة بالذهب ؛ إذ علت بياض وجهه الشريف ﷺ حمرة المسرة . و « السنة » : السيرة والطريقة حسنة كانت أو قبيحة ، والسنة في الاصطلاح الشرعي : ما أثر عن النبي ﷺ من قول ، أو فعل ، أو تقرير . و « فله أجرها » : فيه الحث على الابتداء بالخيرات ، وسن السنن الحسنات ، والتحذير من اختراع الأباطيل والمستقبحات ، وسبب هذا الكلام في هذا الحديث : أنه قال في أوله : فجاء رجل بصرة كادت كفه تعجز عنها ، فتتابع الناس ، وكان الفضل للبادي في هذا الخير ، والفتاح لباب هذا الإحسان . وفي هذا الحديث تخصيص قوله ﷺ : « كلُّ محدثة بدعة ، وكلُّ بدعة ضلالة » وأن المراد به : المحدثات الباطلة ، والبدع المذمومة . والبدع خمسة أقسام : واجبة ، ومندوبة ، ومحرمة ، ومكروهة ، ومباحة . والله تعالى أعلم .

\* يضاف إلى ذلك أنه كان لسيدنا جريرٌ كلماتٌ خلاّبةٌ جذّابةٌ تجري مجرى الحكمة ومنها قوله : « الخرسُ خيرٌ من الخلاّبة ، والبكمُ خيرٌ من البذاء » (١) .

\* وتذكرُ سيرة سيّدنا جريرٍ أنّه كان معتزلاً الفتنة بين سيّدنا علي ومعاوية - رضي الله عنهما - ، وكان رسولُ عليٍّ إلى معاويةَ في قصّةٍ طويلةٍ أوردها ابن عساکر (٢) ، ولكنّه ظلّ معتزلاً بالجزيرة ونواحيها ، حتّى توفي بالسّراة سنة ( ٥١ هـ ) وقيل : ( ٥٤ هـ ) (٣) ، ويعدُّ جرير من سكّان الكوفة ، وله بها دارٌ مشهورة ، فرضي الله عن الصّحابي الجليل ، والرّجل النّبيل ، والفارس الفاتح الجميل ؛ جرير بن عبد الله ، وغفر لنا وإياه .



---

(١) « الاستيعاب » ( ١ / ٢٣٧ ) .

(٢) انظر : « مختصر تاريخ دمشق » ( ٦ / ٢٧ - ٣٠ ) . وانظر : « البداية والنهاية » ( ٧ / ٢٥٣ وما بعدها ) .

(٣) « سير أعلام النّبلاء » ( ٢ / ٥٣٦ ) ، و« مختصر تاريخ دمشق » ( ٦ / ٣٧ ) ، و« تهذيب التهذيب » ( ٢ / ٧٤ ) ، و« البداية والنهاية » ( ٨ / ٥٦ ) .

رفع  
عبد الرحمن البخاري  
أسكنم الله الفردوس  
[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

# خَبَابُ بِنِ الْأَرْتِ

رضي الله عنه

- \* من نُجَبَاءِ السَّابِقِينَ ؛ كَانَ يُقَالُ لَهُ : سُدَسُ الْإِسْلَامِ .
- \* تَعَدَّبَ فَصْبَرَ ، وَكَانَ لَهُ مَكَانَةٌ جَلِيلَةٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ .
- \* مَعْلَمٌ نَبِيلٌ ، وَمَجَاهِدٌ جَلِيلٌ ، مَاتَ بِالْكُوفَةِ عَامَ ( ٣٧ هـ ) .

رَفْعُ  
عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس  
[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)



## خَبَابُ بِنِ الْأَرْتِّ رضي الله عنه

### سُدُسُ الْإِسْلَامِ :

\* من نجباء السَّابِقِينَ ، ومَمَّنْ كانوا بِالْحَقِّ مُسْتَمْسِكِينَ ، عرفَ الْإِسْلَامَ ، مَذْهَبَ طَيْبِ عَرْفِهِ أَوَّلُ مَا هَبَّ فِي الْبَلَدِ الْأَمِينِ ، وانتظم في سَلِكِ الْأَوَّلِينَ ، وكان أحدَ سِتَّةِ أَظْهَرُوا إِسْلَامَهُمْ ، حَتَّى كَان يُقَالُ لَهُ : سُدُسُ الْإِسْلَامِ .

\* قال مجاهد : « أَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلَامَهُ : رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وأبو بكر ، وخَبَابٌ ، وبلالٌ ، وصُهَيْبٌ ، وعمَّارٌ » (١) .

\* وسُدُسُ الْإِسْلَامِ هَذَا هُوَ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ خَبَابُ بِنِ الْأَرْتِّ بنِ جندلة التَّمِيمِيِّ أَوْ الْخَزَاعِيِّ ، أَبُو يَحْيَى ، وَيُقَالُ : أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (٢) ؛ وَهُوَ عَرَبِيٌّ لِحَقِّهِ

---

(١) « تهذيب الأسماء واللغات » ( ١ / ١٧٤ ) ، و« سير أعلام النبلاء » ( ٢ / ٣٢٤ ) ، و« تفسير القرطبي » ( ١٠ / ١٨١ ) ، و« معرفة الصحابة » ( ٢ / ١٦٩ ) .

(٢) « مسند أبي يعلى » ( ص : ١٣١٢ ) طبعة دار المعرفة الأولى ببيروت عام ٢٠٠٥ م ، و« المستدرک » ( ٣ / ٤٢٩ - ٤٣٢ ) ، و« المعجم الكبير » ( ٤ / ٥٤ - ٨١ ) ، و« سير أعلام النبلاء » ( ٢ / ٣٢٣ - ٣٢٥ ) ، و« طبقات ابن سعد » ( ٣ / ١٦٤ - ١٦٧ ) ، و« أسد الغابة » ( ١ / ٥٩١ - ٥٩٤ ) ترجمة رقم : ( ١٤٠٧ ) ، و« تاريخ الإسلام » للذهبي ( عهد الخلفاء الراشدين ، ص : ٥٦٠ - ٥٦٤ ) ، و« البداية والنهاية » ( ٧ / ٣١٠ - ٣١١ ) ، و« درر السحابة » ( ص : ٣٦٨ ) وغيرها كثير .

سبأ في الجاهلية ، فبيع بمكة ، فهو تميمي النسب ، خزاعي الولاء ، زهري الحلف .

\* كان خبّاب - رضي الله عنه - من المهاجرين الأولين ، وممن تعذب في الله - عز وجل - ، وكان سادس سنة في الإسلام ، وأسلم قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي <sup>(١)</sup> ، وقبل أن يدعو فيها .

\* ذكر ابن سعد بسند عن عروة بن الزبير قال : « كان خبّاب بن الأرت من المستضعفين الذين يُعذبون بمكة ليرجع عن دينه » <sup>(٢)</sup> .

\* وذكروا أنّ خبّاباً - رضوان الله عليه - كان من أعلام الصحابة الصّابرين ؛ الذين ثبتوا أمام عذاب المشركين ، وصبروا على ظلمهم وقسوة قلوبهم التي لا تلين ، ولم يعطهم ما سألوه ، فجعلوا يلزقون ظهره بالحجارة المحمّاة ، وبأسياخ الحديد الملتهبة ؛ حتّى ذهب لحم ظهره ، وتركوا على جسده أثاراً تشهد على غلظتهم ووحشيتهم .

\* وأوردت المصادر أنّ سيّدنا خبّاباً دخل ذات مرّة على سيّدنا عمر بن الخطّاب - رضي الله عنه - ، فجعل يُريه أثاراً في ظهره ممّا عدّبه المشركون .

\* وروى الإمام الشّعبيّ التّابعيّ الجليل رَحِمَهُ اللهُ قِصَّةَ تَزِيدٍ مِنْ رَصِيدِ سَيِّدِنَا خَبَّابِ بْنِ الْأَرْثِ - رضي الله عنه - ، ومفاد هذه القِصَّة ومحصّلها : « أنّ سيّدنا خبّاباً - رضوان الله عليه - دخل على سيّدنا عمر بن الخطّاب - رضي الله عنه - وعنده جماعة من أصحابه ، فأدنى منه خبّاباً ، وأجلسه على متّكئه وأكرم

---

(١) اقرأ سيرة الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي في الباب الأوّل من موسوعتنا : « فرسان من عصر النبوّة » ( ص : ٣١٦ - ٣٢٧ ) ، ففي سيرته فوائد تُستجلى ؛ ومحاسن تُستحلى ؛ بإذن الله تعالى .

(٢) « طبقات ابن سعد » ( ٣ / ١٦٥ ) ، وقال الأصبهاني : « خباب بن الأرت بدرّي مهاجري أوّلّي ، سادس الإسلام ، من السّابقين الأوّلين ، يكنى : أبا عبد الله ، وكان من المعدّبين في الله » . « معرفة الصحابة » ( ٢ / ١٦٩ ) .

مثواه ، وقال : ما على وجه الأرض أحدٌ أحقُّ بهذا المجلس إلا رجلٌ واحدٌ من أصحاب رسول الله ﷺ ، من أهل السَّبْق والإيمان فقال له خَبَاباً متعجباً : مَنْ هو يا أمير المؤمنين ؟

قال سيِّدنا عمر : بلالُ بنُ رِبَاح .

فقال له خَبَابُ : يا أمير المؤمنين ! ما هو بأحقَّ مِنِّي ، إنَّ بلالاً كان له في المشركين مَنْ يَمْنَعُهُ اللهُ به ، ولم يكن لي أحدٌ يَمْنَعُنِي ، فلقد رأيتني يوماً أخذوني ، وأوقدوا لي ناراً ثمَّ سلقوني فيها ، ثم إنَّ رجلاً من المشركين وضع رِجْلَهُ على صدري ، فما اتَّقَيْتُ الأَرْضَ إلا بظهري .

ثم إنَّ خَبَاباً كَشَفَ عن ظهره ، فإذا هو قد برص « (١) » .

\* وهذه القِصَّةُ تتوافقُ مع ما ذكره أئمةُ السَّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ وكتابو التَّراجم ، بأنَّ أبا بكر الصِّدِّيقِ - رضي اللهُ عنه - ، قد منعه قومه ، وأمَّا خَبَابُ وصحبه من المستضعفين ، فكان المشركون يعدُّونهم .

### شَدْرَاتٌ مِنْ حَيَاةِ خَبَابٍ :

\* كان خَبَابُ في بداية حياته يعملُ بصناعة السيوف في الجاهليَّة ، وهي حرفةٌ تحتاجُ إلى كثير من المهارة ، وتدُرُّ على صاحبها مالاً كثيراً . ولكنَّ خَبَاباً لم يمكثُ في قومه بني تميم حتَّى يشتدَّ عودُهُ ، ويتذوَّقَ جمالَ الشَّبابِ وينعم بالحرية ، وإنَّما ذاقَ مرارة العبوديَّة والرَّق والدُّلَّ ؛ إذ وقع في السَّبْيِ وبيعَ ببيع العبيد في مكَّة المكرَّمة ، واشترته أمُّ أنمار الخزاعيَّة ، فقضى شطراً من حياته يعيشُ حياة الرِّقِّيق ، وهو مسلوبُ الحرية الجسديَّة ، ولكنَّهم لم يستطيعوا أن يسلبوا عقله وفطنته وصفاءه وحرَّيته الفكرية .

---

(١) « طبقات ابن سعد » ( ٣ / ١٦٥ ) بشيء من التَّصَرُّفِ اليسير ؛ وانظر : « البداية والنهاية » ( ٧ / ٣٧ ) ، وقال الإمام الشَّعْبِيُّ أيضاً : « إنَّ خَبَاباً صبر ، ولم يُعْطِ الكفَّارَ ما سألوا فجعلوا يلزقون ظهْرَهُ بالرَّصْفِ ، حتَّى ذهبَ لحمُ منته - ظهره - . »  
« تهذيب الأسماء واللغات » ( ١ / ١٧٤ ) ، و« أسد الغابة » ( ١ / ٥٩١ ) .

\* كان سيّدنا خَبَابُ بْنُ الْأَرْتِّ - رضي الله عنه - ممّن اختصّه الله - عزّ وجلّ - برحمته ، فوهبه عقلاً متفتّحاً ، وقلباً واعياً ، وحصافةً متميزةً ، ولمّا بزغت شمسُ الرّسالة المحمّديّة تضيء الدّنيا كلّها ، أسرع خَبَابٌ ليخرج من ظلام الجاهليّة ، ويعيش في نور الإسلام ، ويغدو ممّن يعبدُ ربّ الأنام ، ويترك عبادة الأوثان والأصنام .

\* اشتهر خَبَابٌ بمكّة بحُسنِ صناعةِ السيّوف ، فكان يعملُ في دكّانٍ من دكاكين مكّة ، ولم يلبثُ مدّةً من الزّمن حتّى عرفه الغادي والرّائح ، والكبراء والعامّة ، وأحبه كلّ من كان يشتري منه السيّوف ، لمّا كان عليه من الإتقان في عمله ؛ والصّدق في معاملته ، والوضوح والصّراحة في قوله وفعله .

\* ولهذا لمّا بدأ الخيْطُ الأبيضُ من نور الإسلام يظهر واضحاً ، وتلاشى من أمامه أكداس الظّلام ، تمسّك بهذا الخيْطِ العظيم حتّى وصل إلى منبع النّور ومطلعه ، والتقى الهادي البشير ﷺ ، وسرعان ما نفذ النّور إلى قلبه ، فمدّ يده وباع الصّادق المصدوق ﷺ بيعة النّجاة ونطق بها من أعماق روحه ، وحنياه تردّد معه وجوارحه تقول : « أشهد أنّ لا إله إلاّ الله ، وأنّ محمّداً رسول الله » .

\* وسرعان ما أضاءت هذه الشّهادةُ روحه ونفسه وكيانه ، فاصطبغ بصبغة الإسلام ، وصارت حركاته وسكناته تعملُ بمضمون : « لا إله إلاّ الله محمّداً رسول الله » .

\* لم تخف هذه الظّاهرة اللطيفة المنيعة على أحدٍ ممّن كان حول خَبَابٍ ، وخصوصاً مولاته أم أنمار التي ارتابت من الإشراقات التي لاحظتها على خَبَابٍ ، وكان قد بلغها أنّه ودّع أصنامها وأوثان قريش وداعاً أبدياً غير مأسوف عليه ، ولمّا سألت خَبَاباً عن حقيقة ما بلغها لم يكتّم أمره ، وإنّما قال لها بلسان عربي مبين : « يا سيّدته ! لقد آمنتُ بالله ربّاً ، وبمحمّدٍ رسولاً ، ورضيتُ الإسلام ديناً » .

\* شَرَقَتْ سَيِّدَتَهُ بِكَلِمَاتِهِ ؛ كَادَ يَغْشَى عَلَيْهَا مِمَّا سَمِعَتْهُ مِنَ الْفَافِظِ التَّوْحِيدِ ، وَطَارَتْ نَفْسُهَا شِعَاعاً ، وَانْهَالَتْ عَلَيْهِ تَلَكُمُهُ وَتَضْرِبُهُ وَتَشْتُمُهُ شَتْمًا قَبِيحًا ؛ ثُمَّ إِنَّهَا أَعْلَمَتْ أَخَاهَا سَبَاعَ بْنَ عَبْدِ الْعَزْزِيِّ ، وَكَانَ سَيِّئًا شَرَسَ الْخُلُقِ ، فَكَانَ يَتَفَنَّزُ فِي تَعْذِيبِ خَبَّابٍ ، وَيَرْهَقُهُ ، وَيَسْبُئُهُ ، وَيَعْمَدُ إِلَى الْحِجَارَةِ الْمَحْمَمَةِ فَيَلصِقُ ظَهْرَهُ بِهَا ، وَيَتْرُكُ الْحَدِيدَ الْمَحْمَمِيَّ عَلَى جِسْمِهِ دُونَ أَنْ يَسْتَطِيعَ أَنْ يَقُومَ ، وَكَانُوا يَأْخُذُونَ بِشَعْرِ رَأْسِهِ فَيَجْذِبُونَهُ جَذْبًا شَدِيدًا ، وَيَلْوُونَ عُنُقَهُ تَلْوِيَةً عَنِيفَةً تَكَادُ رُوحَهُ تَزْهُقُ مِنْهَا .

\* كَانَتْ أُمُّ أَنْمَارٍ تَبْدَعُ فِي تَعْذِيبِ فَتَاهَا خَبَّابِ بْنِ الْأَرْتِّ ، وَكَانَتْ شَدِيدَةً الْحَقْدِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي أَخْرَجَ فَتَاهَا خَبَّابًا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ، فَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْلَفُ خَبَّابًا وَيَأْتِيهِ فِي دِكَاانِهِ ، وَزَادَ مِنْ غِيْظِ هَذِهِ الْمَرْأَةِ الْحَاقِدَةِ أَنَّهَا رَأَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَمُرُّ بِدِكَاانِ خَبَّابٍ ، وَيَحَادِثُهُ ، وَخَبَّابٌ يُكَلِّمُهُ بِاحْتِرَامٍ وَتَوْقِيرٍ ، وَيَعِي الْكَلِمَاتِ الْمَحْمَدِيَّةَ ، فَطَارَ صَوَابُهَا ، وَثَارَتْ نَائِرَتُهَا ، وَأَقْسَمَتْ بِاللَّاتِ وَالْعَزْزِيِّ ، وَمِنَاةِ الثَّلَاثَةِ الْأُخْرَى ، لِتَذِيقَنَّ خَبَّابًا مَرَارَةَ الْعَذَابِ وَقَسْوَتِهِ ، فَكَانَتْ تَأْتِي بِالْحَدِيدَةِ الْمَحْمَمِيَّةِ مِنَ الْمَوْقِدِ ، وَتَضَعُهَا عَلَى رَأْسِهِ حَتَّى يَدْخُنَ ، وَيَغْمِي عَلَيْهِ ، وَيَفْقَدُ صَوَابَهُ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ تَلِنْ لَهُ قَنَاةً ، وَلَمْ يُوَاتِهَا عَلَى مَا تَشْتَهِيهِ مِنْ رَدِّهِ إِلَى غِيَاهِبِ الشَّرْكِ وَظُلُمَاتِهِ ، بَلْ كَانَ يَدْعُو عَلَيْهَا ، فَاسْتَجَابَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - دَعَاءَهُ ، فَأَصَابَتْ بِصُدَاعٍ أَرْقَاهَا وَأَزْعَجَ مَنْ حَوْلَهَا ، حَتَّى نَصَحَ لَهُمُ الْأَطْبَاءُ وَأَهْلُ الْخَبْرَةِ أَنَّهُ لَا شِفَاءَ لَهَا مِنْ آلامِهَا وَمَرْضَاهَا ، إِلَّا إِذَا كُوِيَتْ بِالْحَدِيدِ الْمَحْمَمِيِّ فِي النَّارِ ، فَكَانَ عَذَابُهَا مُضَاعَفًا ؛ إِذْ كَانَتْ تَتَلَقَّى آلَامَ الصُّدَاعِ ، وَحَرَارَةَ الْكَيِّْ وَشِدَّتَهُ ، وَبِهَذَا اسْتُجِيبَتْ دَعْوَةُ خَبَّابٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي مَوْلَاتِهِ الظُّلُومِ ، وَذَاقَتْ حَرَّ الْعَذَابِ الَّذِي كَانَتْ تَذِيقُهُ لِفَتَاهَا الْمُؤْمِنِ الْمُسْتَسْلِمِ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ <sup>(١)</sup> .

(١) لَخَّصَ ابْنُ الْأَثِيرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هَذِهِ الْحَادِثَةَ فَقَالَ : « كَانَ خَبَّابٌ قِينًا يَطْبَعُ - يَصْنَعُ - الشُّيُوفَ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْلَفُهُ وَيَأْتِيهِ ، فَأَخْبَرَتْ مَوْلَاتُهُ بِذَلِكَ ، فَكَانَتْ تَأْخُذُ =

\* أخذ المشركون يعدّون خَبَاباً وَمَنْ آمَنَ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ ؛ حَتَّى عِيل صَبْرَ الْكُفْرَةِ مِنْ ثَبَاتِ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ الَّذِينَ هَانَتْ عَلَيْهِمْ نَفْسُهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَفِي سَبِيلِ نُصْرَةِ رَسُولِهِ الْمَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ .

\* وذات يوم اشتدّ عذابُ المشركين لخَبَابِ وصحبه من الفتية الذين آمنوا برّبهم وزادهم هدى ، فذهبَ خَبَابُ إلى النَّبِيِّ ﷺ وطلب منه الدُّعاءَ على الكفار الذين اعتدوا عليهم ظلماً وعدواناً ، فوجّهه ﷺ توجيهاً لطيفاً إلى الصّبر ؛ إذ إنّ عاقبة ذلك النَّصر ، وجزيل الأجر .

\* نقل سيّدنا خَبَابُ صورةً من صور التّوجيهات النَّبَوِيَّةِ للمستضعفين بأن يصبروا ويثبتوا ولا يستعجلوا . فقد أخرج البخاريّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بسنده عن قيس بن أبي حازم ، عن خَبَابِ بن الأرتِّ قال : « شكونا إلى رسولِ الله ﷺ وهو متوسّدٌ بردةً له في ظلِّ الكعبة ، فقلنا : ألا تستنصرُ لنا ، ألا تدعونا ؟

فقال : « قد كان من قبلكم يُؤخَذُ الرَّجُلُ ، فيخفرُ له في الأرض ، فيجعلُ فيها ، فيجاءُ بالمنشار ، فيوضع على رأسه ، فيجعلُ نصفين ، ويمشط بأمشاط الحديد من دون لحمه وعظمه ، فما يصدّه ذلك عن دينه ، والله ليتمنّى هذا الأمرَ حتّى يسيرَ الرَّاكِبُ من صنعاء إلى حضرموت ، لا يخاف إلا الله ، والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون » (١) .

= الحديدَةَ المحمّاة ، فتضعُها على رأسه ، فشكّا ذلك إلى رسولِ الله ﷺ ، فقال : « اللهم انصرْ خَبَاباً » ، فاشتكتْ مولأته أم أنمار رأسها ، فكانت تعوي مثل الكلاب ، فقيل لها : اكتوي ؛ فكان خَبَابُ يأخذ الحديدَةَ المحمّاة ، فيكوي بها رأسها . « أسد الغابة » ( ١ / ٥٩٢ ) .

(١) أخرجه البخاريّ في الإكراه برقم : ( ٦٩٤٣ ) ، وأخرجه الطبرانيّ كذلك في « الكبير » ( ٤ / ٦٥ ) برقم : ( ٣٦٤٦ ) ، وأبو يعلى في « مسنده » ( ص : ١٣١٢ ) برقم ( ٧٢٠٩ ) .

وروى ما يشبه هذا التابعيُّ الجليلُ سعيدُ بنُ جبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : « قلتُ =

\* وهاكم صورة للحدّث ذاته ، ولكن بنفْسِ خَبَابِي آخر ، ساقه الحاكمُ في « مستدركه » بسنده عن قيس بن أبي حازم أيضاً ، عن سيّدنا خَبَاب بن الأرتِّ - رضي الله عنه - قال : « أتيتُ رسولَ الله ﷺ وهو مضطجعٌ تحت شجرة ، واضعٌ يده تحت رأسه ، فقلتُ : يا رسولَ الله ! ألا تدعو الله على هؤلاء القوم الذين قد خشينا أن يردّونا عن ديننا ؟ ! فصرفَ عني وجهه ثلاث مرّات ، كلّ ذلك أقولُ له ، فيصرف وجهه عني ، فجلس في الثالثة ، فقال : « أيّها النَّاس ! اتّقوا الله ، واصبروا ، فوالله إن كان الرَّجل من المؤمنين قبلكم ليوضع المنشأُ على رأسه ، فيشقّ باثنتيّن ، وما يرتدُّ عن دينه ، اتّقوا الله ؛ فإنَّ الله فاتحٌ لكم وصانعٌ » (١) .

\* ساق ابنُ كثيرٍ رَضِيَ اللهُ فِي « البداية والنهاية » روايةً ذات فائدة كبرى عن صَبْرِ خَبَاب وجماعة المستضعفين ، وكشَفَ عن بعض الأمور المهمّة ببراعة العالم وثقافة الفقيه ، حيث أورد حديثَ خَبَاب الذي جاء في الصّحيح وغيره ، فقال : « شكونا إلى رسولِ الله ﷺ حرّاً الرّمضاء فلم يشكنا » . قال ابنُ الأثير رَضِيَ اللهُ موضحاً مدلول قول خَبَاب ومقصده : « والذي يقع لي والله أعلم أنّ هذا الحديث مختصرٌ من الأوّل ، وهو أنّهم شكوا إليه ﷺ ما يلقون من المشركين من التعذيب بحرّ الرّمضاء ، وأنّهم يسحبونهم على

---

= لعبدِ الله بنِ عبّاس - رضي الله عنهما - : أكانَ المشركون يبلغون من أصحابِ رسولِ الله ﷺ من العذاب ما يعذرون به في تركِ دينهم ؟

قال : نعم والله ! إن كانوا يضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه ، حتّى ما يقدرُ أن يستوي جالساً من شدّة الضّرّ الذي به ، حتّى يعطيهم ما سألوه من الفتنة ، حتّى يقولوا له : اللات والعزرى إلهان من دون الله ، فيقول : نعم ، افتدأء منهم بما يبلغون من جهدهم . « البداية والنهاية » ( ٣ / ٥٩ ) .

(١) « المستدرک » ( ٣ / ٤٣١ - ٤٣٢ ) برقم : ( ٥٦٤٣ ) ، وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وقال الذهبي في « التلخيص » : « صحيح » .

وجوههم ، فيتقون بأقْفهم ، وغير ذلك من أنواع العذاب ، وسألوا منه ﷺ أن يدعو الله لهم على المشركين ، أو يستنصر عليهم ؛ فوعدهم ذلك ، ولم ينجزه لهم في الحالة الرَّاهنة ، وأخبرهم عمَّن كان قبلهم أنَّهم كانوا يلقون من العذاب ما هو أشدَّ مما أصابهم ، ولا يصرفهم ذلك عن دينهم ، ويبشِّرهم أنَّ الله سيتمُّ هذا الأمر ، ويظهره ، ويعلِّنه ، وينشره ، وينصره في الأقاليم والآفاق حتَّى يسير الرَّاكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلاَّ الله - عزَّ وجلَّ - ، والذئب على غنمه ، ولكتكتم تستعجلون ، ولهذا قال : شكونا إلى رسول الله ﷺ في وجوهنا وأقْفنا فلم يشكنا ؛ أي : لم يدع لنا في السَّاعة الرَّاهنة « (١) .

\* ولعلَّ حبيينا رسول الله ﷺ أراد من خبَّاب بن الأرتِّ والمستضعفين أن يظلُّوا رجالاً أبطالاً ، وأجْبلاً ثقالاً ، لا يسأمون ، ولا يتعجَّلون ، حتَّى يكونوا في المستقبل القريب أهلاً للنَّصر الأكبر ، والفتح المؤرَّر ، والله - عزَّ وجلَّ - غالبٌ على أمره ، ومتمَّ نوره ، ولكنَّ أكثر النَّاس لا يعلمون .

\* لقد ثبت سيِّدنا خبَّاب وصبر ، فحفظ الله - عزَّ وجلَّ - جهاده في صدور الصَّحابة والأمة من بعدهم ، كما حفظ سبحانه ذكْرَ عددٍ من المُستضعفين ، من مثل سيِّدنا بلال بن رباح مؤدِّن الإسلام ، وصاحب الصَّوت النَّدي الأسر المؤرَّر ، فما أن يُذكر هذا الصَّابر المُصابر بين المسلمين إلاَّ يتذكَّرون جهاده وثباته ، ويعرفون أنَّه مؤدِّن الحبيب المصطفى ﷺ ، وصاحب الهداء الخالد : أَحَدٌ أَحَدٌ ؛ ويذكرون كذلك خبَّاب بن الأرتِّ ، وعمَّار بن ياسر ، وصُهيبي بن سنان ، وغيرهم من السَّابقين الصَّادقين - رضي الله عنهم أجمعين - .

### خبَّابٌ ونفحاتٌ من القرآن :

\* مواقف خبَّاب بن الأرتِّ - رضي الله عنه - باهرة المعاني ، مندَّاة

(١) « البداية والنهاية » ( ٣ / ٦٠ ) ، وانظر الحديث في « المعجم الكبير » ( ٤ / ٧٩ - ٨٠ ) بعدة روايات ، وأخرجه مسلم برقم : ( ٦١٩ ) .



بالخير ، أيدها القرآن العظيم ، بما أنزله الله - عز وجل - على رسوله الكريم ﷺ ، ومن الخير أن نسوق بعض هذه التفحات العطرات التي شملت خباباً وأمثاله من المؤمنين الضعفاء الذين رفعهم الإسلام عالياً ، فكانوا سادة الدنيا في دنيا السادة والسيادة .

\* ومن العجيب في دنيا الصحابة وحياتهم الزاخرة بالعطاء والمعرفة والتربية ، أن سادة الناس من المشركين في عصرهم كانوا يأنفون من مجالستهم ، ويتأففون من وجودهم في المجالس النبوية ، لذلك جاء المشركون إلى الحبيب الأعظم سيدنا رسول الله ﷺ يزعمون أنهم لا يرضون أن يجالسوا خباباً وبلالاً وصهيباً وسلمان ومن في طبقتهم من فقراء المسلمين وضعفتهم ، وطلبوا من الصادق المصدوق ﷺ أن يكتب لهم بذلك ، فهمم ﷺ بذلك ، ودعا سيدنا علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ليكتب ، فقام الفقراء ، وجلسوا ناحية ، وكان النبي ﷺ قد مال إلى ذلك الأمر طمعاً في إسلامهم ، وإسلام قومهم ، ورأى أن ذلك لا يفوت أصحابه شيئاً ، ولا ينقص لهم قدراً ، فمال إليه ، فأنزل الله - عز وجل - : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدُوفِ وَالْمَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ... ﴾ [ الأنعام : ٥٢ ] (١) . والمراد في قوله : ﴿ الَّذِينَ ﴾ ضعفة المؤمنين في ذلك الوقت في أمور الدنيا : بلال ، وعمار ، وعبد الله بن مسعود ، ومرثد الغنوي ، وخباب ، وصهيب ، وصبيح ، وذو الشمالين ، والمقداد ، ونحوهم .

\* وأورد المفسرون أن سبب نزول هذه الآية أن الكفار قال بعضهم للنبي ﷺ : « نحن لشرفنا وأقدارنا لا يمكننا أن نختلط بهؤلاء ، فلو طردتهم لاتبعناك وجالسناك » (٢) .

(١) « تفسير القرطبي » ( ٦ / ٤٣١ ) بشيء من التصريف ، وانظر : « حلية الأولياء » ( ١ / ١٤٦ - ١٤٧ ) .

(٢) « تفسير ابن عطية » ( ص : ٦٢٣ ) .

\* وقيل : إنما قال هذه المقالة أبو طالب عم النَّبِيِّ ﷺ على جهة التصح لابن أخيه رسول الله ﷺ ، قال له : « لو أزلت هؤلاء لا تبعك أشراف قومك » (١) .

\* وروي أنَّ ملاً قريش اجتمعوا إلى أبي طالب بن عبد المطلب في ذلك الأمر ، أرادوا بذلك الخديعة ، فصوب هذا الرأي من أبي طالب سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ، وغيره من المؤمنين ، فنزلت الآية .

\* وجاءت هذه الرواية جلية عند (الواحي) في « أسباب النزول » ، فقال ﷺ : « قال عكرمة : جاء عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، ومطعم بن عدي ، والحارث بن نوفل ، في أشراف بني عبد مناف من أهل الكفر إلى أبي طالب ، فقالوا : لو أن ابن أخيك محمداً يطردُ عنه موالينا وعبيدنا وعسفاننا ، كان أعظم في صدورنا ، وأطوع له عندنا ، وأدنى لأتباعنا إياه ، وتصديقنا له . فأتى أبو طالب النَّبِيَّ ﷺ فحدثه بالذي كلموه ، فقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : لو فعلت ذلك حتى نُنظر ما الذي يريدون ، وإلام يصيرون من قولهم . فأنزل الله تعالى هذه الآية ، فلما نزلت أقبل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يعتذر من مقالته » (٢) .

\* وتذكر المصادر الموثوقة موقفاً عظيماً لسيدنا خباب بن الأرت - رضي الله عنه - مع أحد كبار المستهزئين (٣) برسول الله ﷺ من أشراف

(١) المصدر السابق ذاته .

(٢) انظر : « أسباب النزول » للواحي (ص : ١٨٤) .

(٣) « المستهزون » : جماعة من أشراف قريش وكبرائهم كانوا يؤذون رسول الله ﷺ ، منهم : أبو جهل عمرو بن هشام المخزومي ، وأميمة وأبي ابن خلف ، وأبو لهب ، وعقبة بن أبي معيط ، والنضر بن الحارث ، والعاص بن وائل ، والوليد بن المغيرة ، وغيرهم ، وقد استوفينا سيرتهم في كتابنا : « المبشرون بالنار » طبعة دار ابن كثير بدمشق .

قريش ، وهو العاصم بن وائل السهمي فقد كان يقول في استهزاء وانتقاص : « غرَّ محمدٌ نفسه وأصحابه أن وعدهم بأنهم يحيون بعد الموت ! والله ! ما يهلكنا إلا الدهرُ ، ومرورُ الأيام والأحداث » .

\* وكان يهزأ بخباب ويسخرُ منه سخريةً لاذعةً ، ويعبث به ، ويؤذيه ، ولا يفيهِ حقّه ، ويطلب منه أن يكفرَ بمحمد رسول الله ﷺ ، فأنزل الله - عزَّ وجلَّ - آياتٍ تُتلى في المحارِب ترسم ذلك .

\* قال جمهورُ المفسرين ، وطائفةٌ من أهل الحديث وأهل العلم

= ومن المؤكِّد والمتعلِّم بين النَّاس أنَّ الاستهزاء نوعٌ من الحنق والغیظ ، والمقاومة السلبيَّة العنيفة ، يمارسها في الغالب المتكبرون للنكايه بخصومهم ، وقد يكون من أفتك الأسلحة في المقاتل الأدبيَّة ، وهو أشد ما كان يكافح به قريش رسول الله ﷺ في بدء الدَّعوة إلى الله - عزَّ وجلَّ - . وكان رسولُ الله ﷺ يحزنُ كثيراً لما يصيبه من استهزاء المستهزئين ، وكان من أشدهم عليه : العاصم بن وائل ، والحرث بن عطية ، والأسود بن عبد يغوث ، وعمه الأسود بن المطلب ، والوليد بن المغيرة وغيرهم ، وفي هؤلاء نزل قوله - عزَّ وجلَّ - : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ [ الحجر : ٩٥ ] ، وقد أشار البوصيري رحمه الله في همزته اللطيفة إلى هؤلاء المستهزئين بقوله :

ء نبياً من قومه استهزاء	وكفاهُ المُستهزئين وكم سا
يت فيها للظالمين فناء	ورماهم بدعوة من فناء الب
والردي من جنوده الأدواء	خمساً كلهم أصيبوا بداء
عمى ميّت به الأحياء	فدهى الأسود بن مطلب أي
أن سقاه كأس الردى استسقاء	ودهى الأسود بن عبد يغوث
قصرت عنها الحيّة الرقطاء	وأصاب الوليد خدشة سهم
صي فلله التّعة الشوكاء	وقضت شوكة على مهجة العا
ل بها رأسه وسال الوعاء	وعلا الحرث القيوح وقد سا

« ديوان البوصيري » ( ص : ٥٥ ) .

ما مفاده : « كان خَبَّابُ بْنُ الْأَرْتِّ - رضي الله عنه - قيناً - حداداً - في الجاهليَّة ، فعمل للعاص بن وائل عملاً فاجتمع له عنده دين ، فجاهه خَبَّاب - رضي الله عنه - يتقاضاه ، فقال له العاص بن وائل : لا أنصفك حتَّى تكفرَ بمحمَّد .

فقال خَبَّاب - رضي الله عنه وأرضاه - : والله ! لا أكفر بمحمَّد ﷺ ، حتَّى يميتك الله - عزَّ وجلَّ - ، ثمَّ يبعثك .

قال العاص : أو مبعوثٌ أنا بعد الموت ؟ !

قال خَبَّاب - رضي الله عنه - : نعم .

قال : فإذا كان ذلك ، فسيكون لي مالٌ وولد ، وعند ذلك أقضيك

دينك ؛ فنزلت الآيات : ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ آتَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنُرْسِلُهُمَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ ﴾ [ مريم : ٧٧ - ٨٠ ] (١) .

\* وفي سبب نزول قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ ﴾ [ الشورى : ٢٧ ] ، يقول سيِّدنا خَبَّاب - رضي الله عنه - : « فينا

نزلت ، نظرنا إلى أموال بني النَّضِير وقريظة وبني قينقاع ، فتمنيناها ، فنزلت » (٢) .

(١) « تفسيرُ ابن عطية » (ص : ١٢٤٠) ، و« تفسيرُ القرطبي » (١١ / ١٤٥ - ١٤٦) ، و« زاد المسير » (ص : ٨٩٥) ، و« أسباب النزول » للواحدي (ص : ٢٥٤) ، و« التفسير الكبير » للرازي (٢١ / ٢١٣) ، و« تفسير الماوردي » (٢ / ٥٣٥) مع الجمع والتصرف بينها .

وللحديث أصل في « الصحيحين » ، فقد أخرجه البخاري في مواضع من « صحيحه » برقم : ( ٢٠٩١ ، و ٢٢٧٥ ، و ٢٤٢٥ ، و ٤٧٣٢ ، و ٤٧٣٣ ، و ٤٧٣٤ ، و ٤٧٣٥ ) ، ومسلم برقم : ( ٢٧٩٥ ) ، والترمذي برقم : ( ٥١٧٢ ) وغيرها .

(٢) « زاد المسير » ( ١٢٦٩ ) ، و« تفسير القرطبي » ( ١٦ / ٢٧ ) ، و« تفسير =

## دُلِّنِي يَا خَبَّابُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ :

\* يُعَدُّ سَيِّدَنَا خَبَّابُ بْنُ الْأَرْتِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مِنَ الصَّحَابَةِ الْمَقْرئين لِكِتَابِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - ، وَمِنَ الْآخِذِينَ لِبَعْضِ سُورِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ مِنْ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَقَدْ شَهِدَ لَهُ بِهَذَا الْفَضْلِ الْعَمِيمِ أَحَدُ عُلَمَاءِ الصَّحَابَةِ الْعَالَمِينَ سَيِّدَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودِ الْهُذَلِيِّ <sup>(١)</sup> - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَحَسْبُكَ بِشَهَادَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ فَضْلاً - فَقَدْ جَاءَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ يَسْأَلُونَهُ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ ، فَأَرْشَدَهُمْ إِلَى خَبَّابِ بْنِ الْأَرْتِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - .

\* ذَكَرَ هَذِهِ الشَّهَادَةَ الْمُبَارَكَةَ لِسَيِّدِنَا خَبَّابِ أَبُو نُعَيْمٍ فِي « الْحِلْيَةِ » بِسَنَدِهِ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ مَعْدِي كَرِبٍ قَالَ : « أَتَيْنَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ، نَسْأَلُهُ عَنْ طَسَمِ الشُّعْرَاءِ . قَالَ : لَيْسَتْ مَعِيَ ، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمَنْ

---

= ابن عطية « (ص : ١٦٦٨) وغيرها كثير .

وفي سبب نزول هذه الآية العظيمة يقول عمرو بن حُرَيْثٍ وغيره : « إِنَّمَا نَزَلَتْ ؛ لِأَنَّ قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الضَّمَّةِ طَلَبُوا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَيَبْسُطَ لَهُمُ الْأَرْزَاقَ وَالْأَمْوَالَ ، فَأَعْلَمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ لَوْ جَاءَ الرَّزْقُ عَلَى اخْتِيَارِ الْبَشَرِ وَاقْتِرَاحِهِمْ لَكَانَ سَبَبَ بَغْيِهِمْ وَإِفْسَادِهِمْ ، وَلَكِنَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - أَعْلَمَ بِالْمَصْلَحَةِ فِي كُلِّ أَحَدٍ ، وَلَهُ بَعْبِيدِهِ خَبْرَةٌ وَبَصَرٌ بِأَخْلَاقِهِمْ وَمَصَالِحِهِمْ ، فَهُوَ يَنْزِلُ لَهُمْ مِنَ الرَّزْقِ الْقَدْرَ الَّذِي بِهِ صَلَاحُهُمْ ، فَرَبَّ إِنْسَانٍ لَا يَصْلِحُ وَلَا تَكْتَفِ عَادِيَتَهُ إِلَّا بِالْفَقْرِ ، وَآخِرَ بِالْغِنَى ، وَرَوَى أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي هَذَا الْمَعْنَى وَالتَّقْسِيمِ حَدِيثًا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ ، ثُمَّ قَالَ أَنَسُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : اللَّهُمَّ إِنِّي مِنْ عِبَادِكَ الَّذِينَ لَا يَصْلِحُهُمْ إِلَّا الْغِنَى ، فَلَا تَفْقِرْنِي ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ . « تَفْسِيرُ ابْنِ عَطِيَّةٍ » (ص : ١٦٦٨) .

(١) اقرأ سيرة العالم العليم سيِّدنا عبد الله بن مسعود في الباب الأوَّل من موسوعتنا : « علماء الصحابة - رضي الله عنهم - » (ص : ٢٢١ - ٢٨١) ، ففي سيرته ينابيع من المعارف والخيرات بإذن الله .

أَخَذَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، عَلَيْكُمْ بِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ خَبَّابِ بْنِ الْأَرْتِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - « (١) .

\* عرف سيدنا خَبَّابُ نعمة القرآن الكريم ، ومكانة القُرَّاء عند ربِّ الأرض والسَّماء ، فطفقَ يُعَلِّمُ النَّاسَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَبِفَقْهُهُمْ فِي الدِّينِ ، فَقَدْ كَانَ يُعَلِّمُ سَعِيدَ بْنَ زَيْدٍ وَامْرَأَتَهُ فَاطِمَةَ بِنْتَ الْخَطَّابِ الْقُرَّانَ الْكَرِيمَ ، وَهُوَ الَّذِي دَلَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ لِحِظَّةِ أُسْلَمَ عَلَى دَارِ الْأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ لِيَذْهَبَ عُمَرُ وَيَسْلَمَ أَمَامَ الْحَبِيبِ الْمُصْطَفَى ﷺ ؛ لِأَنَّ خَبَّابًا كَانَ قَدْ سَمِعَ دُعَاءَ النَّبِيِّ ﷺ لِعُمَرَ وَهُوَ يَقُولُ : « اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ » ، أَوْ : « اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ خَاصَّةً » (٢) ، أَوْ : « اللَّهُمَّ اشْدُدِ الدِّينَ بِعُمَرَ ، اللَّهُمَّ اشْدُدِ الدِّينَ بِعُمَرَ ، اللَّهُمَّ اشْدُدِ الدِّينَ بِعُمَرَ » (٣) .

(١) « حلية الأولياء » (١ / ١٤٣) .

(٢) أخرجهُ ابْنُ مَاجَهٍ فِي الْمَقْدِمَةِ بِرَقْمٍ : ( ١٠٥ ) ، وَانظُرْ : « عِيُونَ الْأَثَرِ » ( ١ / ٢١٦ ) إِذْ أوردَ هَذَا الْحَدِيثَ . وَكَانَ حَبِيبُنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَنَاجِي اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - فِي ضِرَاعَةِ الْإِسْفَاقِ وَالرَّحْمَةِ لِأَصْحَابِهِ وَهُوَ يَرَاهُمْ يُؤَدُّونَ وَهُمْ صَابِرُونَ صَبْرًا جَمِيلًا ، لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَدْفَعُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَيَقُولُ : اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ خَاصَّةً ، وَلَعَلَّهُ ﷺ شَعَرَ بِمَا يَهْجَسُ فِي قُلُوبِ بَعْضِ أَصْحَابِهِ مِنَ الْأَمَانِيِّ وَالرَّغْبَاتِ فِي أَنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - يَهْدِي لَهُمْ رَجُلًا مَمَّنْ عَرَفْتَهُمْ قَرِيشَ بِالشَّدَّةِ وَالْبَاسِ ، وَلَا سِيْمَا أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يَشْتَدُّونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، فَأَرَادَ الْحَبِيبُ الْمُصْطَفَى ﷺ تَقْوِيَةَ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَأَعْلَنَ هَذَا الدُّعَاءَ الْمُبَارَكَ ، وَفِيهِ بَمَنْ أَعْلَمَهُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - بِهِ مِنْ خِلَالِ الْوَحْيِ ، وَأَنَّهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ خَاصَّةً ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ . « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ » ( ١ / ٦٢٧ ) بِتَصَرُّفٍ .

(٣) أشار إلى هذا الشيخ يوسف النبهاني في همزته الجميلة : « طيبة الغراء في مدح سيد الأنبياء » حيث تحدت عن استجابة دعاء النبي ﷺ لعمر - رضي الله عنه - فقال :

والإمامُ الفاروقُ بعدُ من المُخَدِّتِ فِي حَقِّهِ اسْتِجَابَ الدُّعَاءِ =

\* كان سيّدنا عمرٌ - رضي الله عنه - يومَ أن دعا له النَّبِيُّ ﷺ رجلاً قد بلغ أشدّه واستوى ، فهو في مرحلة الشَّبَابِ وعنفوانه ، وكان في الصَّفِّ المُعَادِي للإسلام ، يَمْخُزُ في بحرِ الشُّرْكِ ، ويسري في صحراء الضَّلَالِ ، ويؤذي مَنْ اهتدى واستضاء بنور الإسلام ولو كانوا من ذوي رحمِهِ ، ومنهم : صهرُهُ الصَّحَابِيُّ الجليلُ والمخلصُ النَّبيلُ سعيدُ بنُ زيد ، وأختُهُ الصَّافِيَةُ الصَّادِقَةُ فاطمةُ بنت الخطَّابِ ، ويروي لنا صهرُهُ سعيدُ بنُ زيد كيف كان عمر يربطه إهانةً له ؛ لأنّه أسلمَ ، فيقولُ فيما أخرجه البخاريُّ عنه : « والله لقد رأيتني وإنَّ عمرَ لموثقي على الإسلام قبل أن يسلم عمر » <sup>(١)</sup> ، وفي روايةٍ أخرى : « لو رأيتني موثقي عمر على الإسلام أنا وأختُهُ ، وما أسلم » <sup>(٢)</sup> .

\* ومع هذه الشَّدَّةِ العمريَّةِ والغلظةِ العارمةِ كان حبيبنا رسول الله ﷺ يطمعُ في إسلام عمرَ ، ويدعو الله - عزَّ وجلَّ - له ليتنظَّم في صفِّ المؤمنين ، واستجيبَتِ الدَّعوةُ المحمَّديَّةُ ، وساقَتِ الأقدارُ الإلهيَّةُ عمرَ إلى سَنَةِ الحَقِّ

= كان إسلامُهُ على الشُّرْكِ خَفْضاً      بِهِ صَارَ لِلهُدَى اسْتِعْلَاءً  
عَمْرُ القَرْمِ ذُو الفُتُوحِ الَّذِي عَزَّ      بِهِ الدِّينُ حِينَ عَزَّ العَزَاءُ  
« المجموعة النَّبَهائيَّة » ( ١ / ١٩٣ - ١٩٤ ) .

وهناك روايةٌ شهيرةٌ جاءت في « المسندِ » و« سننِ التُّرمذِيِّ » ، و« طبقاتِ ابنِ سعد » وغيرها من مصادر عن خَبَابِ - رضي الله عنه - : « اللهم أعزِّ الإسلامَ بأحبِّ هذين الرَّجُلَيْنِ إليك : بعمر بن الخطَّابِ ، وأبوي جهل بن هشام » .

ولعلَّ النَّبِيَّ ﷺ قد دعا بإيمان أبي جهل ، وعمر بن الخطَّابِ أوَّلاً ، ولمَّا علمَ ﷺ أنَّ كُفْرَ أبي جهل مُقَدَّرٌ في تقديرِ النَّهْيِ ، أيس من إيمانه ، ودعا لعمر بن الخطَّابِ خاصَّةً . وهناك رواية تقولُ عن سيّدنا عمر : فعدا على النَّبِيِّ ﷺ فأسلم ، ثمَّ صلَّى في المسجدِ ظاهراً . والله تعالى أعلم .

(١) أخرجه البخاريُّ في مناقب الأنصار برقم : ( ٣٨٦٢ ) .

(٢) أخرجه البخاريُّ في مناقب الأنصار برقم : ( ٣٨٦٧ ) .

والخير ، وبدأت الأنوارُ تتسلَّلُ إلى قلبه في مواقف متعدِّدةٍ كان آخرها يوم أن اهتزَّ قلبُه هِزَّةُ الخاشعين في بيت أخته فاطمة بنتِ الخطَّاب ، وصهره سعيد بن زيد ، وكانا يتعلَّمان ويحفظان القرآن الكريم على يد سيِّدنا خبَّاب - رضي الله عنهم أجمعين ، وحشرنا في معيَّتهم ، ونفعنا بسيرهم - .

\* كان ذلك اليوم ، يوم أن خرجَ عمرٌ من داره متوشِّحاً سيفه ، تداعبه الجائزةُ المغريةُ التي يقابلها القضاء على محمَّدٍ ﷺ . خرج عمرٌ يمشي في دروب مكةَ يبحث عن رسول الله ﷺ يريدُ أن يقتله ، ولكنه يلتقي نعيمَ بن عبد الله النَّحَّامِ العَدَوِيِّ<sup>(١)</sup> - وكان مسلماً يخفي إسلامه ويكتمه عن قريش - فقال لعمرَ وقد رآه متسربلاً بالغضب ، متوشِّحاً بالسَّيف : « أين تريدُ أن تذهبَ يا عمر فإني أراك مضطرباً ؟ » .

فقال عمر والشَّرُّ يتطايرُ من عينيه : « أريدُ محمَّداً هذا الصَّابئ الذي فرَّقَ أمرَ قريش ، وسقَّه أحلامها ، وعابَ دينها ، وسبَّ آلهتها ، فأقتله » .

\* صمتَ نعيمَ هنيهةً ريثما التقطَ عمرُ أنفاسه ، ثمَّ أحبَّ أن ينبِّهَ عمرَ إلى خطورة الأمر الذي يقدمُ عليه فقال له : « والله لقد غرَّتكَ نفسك من نفسك يا عمر ! أتظنُّ أن بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض ، وقد قتلتَ محمَّداً ؟ » .

\* كانت هذه الكلماتُ تقرعُ وجدان عمر الذي أحسَّ من خلالها بأنَّ نعيمًا ليس على دينِ قريش ، لذلك قال لِنعيم متوعداً ومستفهماً : « يا نعيم ! ما أراك إلا قد صبوت ، وفارقتَ دينك الذي أنت عليه ، واتبعتَ محمَّداً ! » .

\* لم يردَّ نعيمٌ على عمر ، وإلَّا صرفه عن مقصده بطريقة ذكيَّة ، تظهرُ إخلاصه لله ولرسوله ولدينه ، فقال له : « يا عمر ! أفلا ترجعُ إلى أهل بيتك فتقيمُ أمرهم ؟ » .

---

(١) اقرأ سيرة نعيم بن عبد الله النَّحَّام في الباب الأوَّل من هذه الموسوعة المباركة .



قال عمرُ في دهسٍ : « وأيُّ أهل بيتي تقصدُ يا نُعيم ؟ » .

فقال نُعيمٌ : « خَتْنُكَ وابنُ عمِّكَ سعيدُ بنُ زيد بن عمرو ، وأختُكَ فاطمةُ بنتُ الخطَّابِ ، فقد واللهِ أسلما ، وتابعا محمَّداً على دينه ، فعليك بهما ! » .

\* وبردَ ما كان من عمرَ من حرارة الانتقام من رسولِ الله ﷺ ، ونسي وجهته التي خرجَ من أجلها ، وكاد صوابُهُ أن يطيرَ عندما علم أن أخته وصهرَهُ قد تركا دينَ الآباء والأجداد ، وصَبَّوا ، وأتبعوا محمَّداً ﷺ ؛ ورجع عمرَ عامداً إلى أخته وختنه ، وعندهما المقرئُ خبَّابُ بنُ الأرتِّ ، معه صحيفةٌ فيها سورة طه ، يُقرئُهما إيَّاهما ، فلمَّا سمعوا حسَّ عمرَ ، تغيبَ خبَّابُ في مخدعٍ لهم ، وأخذتْ فاطمةُ بنتُ الخطَّابِ الصَّحيفةَ ، فجعلتها تحت فخذها ، وكان عمرُ قد سمعَ حين دنا من البيت قراءةَ خبَّابِ عليهما ، فلمَّا دخل قال : « ما هذه الهَيْئمةُ التي سمعتُ ؟ » .

قالا له : « ما سمعتَ شيئاً » .

قال : « بلى واللهِ ! لقد أُخْبِرْتُ أنَّكما تابعتما محمَّداً على دينه » .

\* وبطشَ بختنه سعيدِ بنِ زيد ، فقامت إليه أخته فاطمةُ بنتُ الخطَّابِ لتكفَّهُ عن زوجها ، فضربها فشحَّها ، فلمَّا فعلَ ذلك ، قالت له أخته وختنه : « نعم قد أسلمنا وأمنَّا بالله ورسوله ، فاصنع ما بدا لك » .

\* ولمَّا رأى عمرَ ما بأخته من الدم ، ندمَ على ما صنعَ ، وارعوى ، وقال لأخته ضارِعاً : « أعطيني هذه الصَّحيفة التي سمعتكم تقرأون أنفأ ؛ أنظرُ ما هذا الذي جاء به محمَّد » - وكان عمرَ قارئاً كاتباً - .

فقالت له أخته : « إنَّا نخشاك عليها » .

قال : « لا تخافي يا أُخَيَّة » ، وحلفَ لها باللهته ليرُدَّنها إذا قرأها إليها ؛ فلمَّا قال ذلك طمعتُ بإسلامه ، فقالت له : « يا أخي إنَّك نجِسٌ على

شركك ، وإنه لا يمستها إلا الطاهر » .

فقام عمرٌ فاغتسل ، فأعطته الصّحيفة ، وقرأ : ﴿ طه ﴾ ﴿ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ [طه : ١-١٤] ، ولمّا أن انتهى من هذه الآية الكريمة هتف قائلاً : « ما أحسن هذا الكلام وأكرمه ، دلّوني على محمّد » .

\* تساقطت هذه الكلمات الناعمة المتناغمة الممزوجة بالرقّة على سمع خبّاب تساقط الرّحمة على القلوب ، فخرج إليه وقال له : « يا عمرُ ! والله إنّي لأرجو أن يكون الله قد خصّك بدعوة نبيّه ، فإنّي سمعته أمس يدعو الله - عزّ وجلّ - أن يؤيّد الإسلام بك ، فالله الله يا عمرُ » .

\* نزلت الكلمات الخبّابية الموقظة على كيان عمرَ نزولاً لطيفاً ، فغسلت قلبه ، وأزالت عنه ما علّق عليه من غشاوة الجاهليّة ، وقسوتها ، وأدرانها ، وفي لحظات مباركة استنارت بصيرة عمر بما سمع من الذّكر والقرآن الحكيم ، وما سمع من مبشّرات النّبوة ، فقال لخبّاب في رفقٍ ورقّةٍ ووَجَلٍ من الله - عزّ وجلّ - : « دلّني يا خبّاب على محمّد حتّى آتية فأسلم وأشهد شهادة الحقّ » .

فقال خبّابٌ وعلامات الاستبشار ترسمُ على وجهه : « هو في بيتٍ عند الصّفا ، معه نفرٌ من أصحابه وفيهم عمّه حمزة » .

\* لم يتوقف عمرٌ لحظةً واحدةً بعد أن عرف مكان رسول الله ﷺ ، فأخذ سيفه ؛ فتوشّحه ، وجعل يغدّ السير ليلتقي رسول الله ﷺ وأصحابه في دار الأرقم المباركة التي تشعّ منها الأنوار الهادية إلى سبل النّجاة والنّعيم .

\* وأمام بيت الأرقم ، وقف عمرٌ وضرب الباب ، فلمّا سمعوا صوته وجلّ بعضهم ، وقام رجلٌ ، فنظر من خلل الباب ، فألفى عمرَ متوشّحاً سيفه ، فرجع إلى رسول الله ﷺ وهو فرغٌ وجِلٌّ فقال : « يا رسول الله ! هذا عمرٌ بنُ الخطّاب متوشّحاً سيفه » .

فقال سيّدنا حمزة في أدبٍ ممزوج بالشجاعة : « فأذن له ، فإن كان جاء يريدُ خيراً بذلناه له ، وإن كان جاء يريدُ شراً قتلناه بسيفه » . فقال رسولُ الله ﷺ : « ائذن له » .

\* فأذن له الرَّجُلُ ، فدخل عمرُ دخولَ الصّادقين ، فنهضَ إليه الصّادقُ المصدوقُ ﷺ ، حتّى لقيه في الحُجرة ، فأخذَ بمجمَعِ ردائه بإحكام ، ثمَّ جَبَذَهُ جبذةً شديدةً ، وقال له : « ما جاء بك يا بنَ الخطّابِ ؟ فوالله ما أرى أن تنتهي حتّى ينزلَ اللهُ بك قارعةً ! ! » ، فقال عمرُ في استسلام الأصفياء وعلامات الهدوء ترتسمُ على وجهه : « يا رسولَ اللهِ ! جئتُك لأومنَ بالله وبرسوله ، وبما جاء من عند الله » . فكبّرَ رسولُ اللهِ ﷺ تكبيرةً عرفَ أهلُ البيت من أصحابه أنّ عمرَ بنَ الخطّابِ قد أسلم وشهد شهادة الحقِّ والنّجاة <sup>(١)</sup> .

\* وما أجمل أن نقرأ الآن هذه القبسة الشوقية التي ندت بها قريحة (أحمد شوقي) من كتابه : « دُولُ العربِ وعظماء الإسلام » حيث أفرَدَ منظومةً أنيقةً عن سيّدنا عمرَ بنِ الخطّابِ ومراحل حياته ، ومنها هذه الهينمة المعبرة :

ثَارَ إِلَىٰ حَيْثُ النَّبِيِّ مُوعِدَا	وَمُبْرِقًا بِسَيْفِهِ وَمُرْعِدَا
فجاءه موحّدٌ من الرُّمَرِ	وقال جيءَ أهلك فانظر يا عمر
وحَدَّتِ اللهُ ابْنَةُ الخطّابِ	وَأَمِنَ السَّعِيدُ فِي الأخطابِ
فجاءها معتزِمُ الشُّراسِ	وكان صلباً خَشِنَ المِرَاسِ
فَرَاعَهُ مِنَ الخِبَاءِ هَيْئَمِهِ	وصوتٌ مستخفِيَةٌ مُرَنَّمِهِ
فقال ما أسمعُ قالت طه	فلم يصوَّبُها ولا خطَّاهَا
قال وعرفانُ الصّوابِ مَكْرُمِهِ	فَاطِمُ هَذَا مَنْطِقُ مَا أكرمِهِ
وَأَنسَتْ سَكِينَةَ الحَوَارِي	من رجلٍ في صُخُوهِ سَوَارِ

(١) انظر : « طبقات ابن سعد » ( ٣ / ٢٦٧ - ٢٧١ ) بشيء من التصرّف .

كَحَمَلٍ مُدْلَلٍ صَارَ الْأَسَدُ      وَالصَّارِمُ الْمَسْلُوكُ عَادَ كَالْمَسَدِ  
فَجَاءَ نَادِي النَّبِيِّ فَاهْتَدَى      وَكَبَّرَ الْهَادِي وَهَلَّ الْمُتَدَى  
إِسْلَامُهُ لِلدِّينِ كَانَ عِزًّا      رَنَحَ عِطْفَ الْمُصْطَفَى وَهَرًّا  
فَلَمْ يَزَلْ دَعَاةَ الْإِسْلَامِ      وَهَامَةَ الصَّحَابَةِ الْأَعْلَامِ (١)

\* لقد أسلم سيّدنا عمر ، وزاد من رسوخ يقينه ما نقله إليه خَبَابُ بْنُ الْأَرْتِ من دعاء رسولِ الله ﷺ له ، أَنْ يُؤَيِّدَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - به الدِّينَ ، ولا شك في أَنَّ إِسْلَامَ سَيِّدِنَا عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قد دفع خَبَابًا ليدعوَ إِلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - علانيةً ، وَأَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ لِمَنْ يَحِبُّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ دُونَ وَجَلِّ أَوْ خَوْفٍ مِنْ أَحَدٍ مَهْمَا كَانَ شَأْنُهُ وَكَانَتْ مَرْتَبَتُهُ مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ وَكِبْرَائِهِمْ .

### المهَاجِرُ الْمُجَاهِدُ :

\* لَمَّا سَاقَ أَبُو نُعَيْمٍ الْأَصْبَهَانِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَرْجَمَةَ سَيِّدِنَا خَبَابٍ فِي « حَلِيَّتِهِ » نَقَرَأُ عِنْدَهُ مَا تَحَلَّى بِهِ الْأَفْوَاهُ وَالْأَسْمَاعُ مِنْ رِقَائِقِ الْكَلَامِ وَرَفِيقِ الْمَعَانِي ، فَقَالَ : « السَّابِقُ الْمُفْتَنُّ ، الْمُعَذَّبُ الْمُمْتَحَنُّ ، خَبَابُ بْنُ الْأَرْتِ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ . أَسْلَمَ رَاغِبًا ، وَهَاجَرَ طَائِعًا ، وَعَاشَرَ مُجَاهِدًا ، وَثَبَتَ فِي إِسْلَامِهِ شَاكِرًا ، كَانَ مِنَ النَّوَاحِينِ الْبِكَائِينِ ، وَكَانَتْ نِيَّاحَتُهُ عَلَى اِكْتَوَائِهِ لَمَّا ابْتَلَى فِي جِسْمِهِ ، وَبِكَاؤِهِ لِافْتِتَانِهِ لَمَّا اجْتَمَعَ لَهُ مِنْ سَهْمِهِ . كَانَ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ وَالسَّابِقِينَ ، وَكَانَ أَحَدَ الْجُلَّاسِ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَالْأَنْسَاءِ ، كَانَ بِذِكْرِ اللَّهِ مُسْتَأْنَسًا ، وَلِلنَّبِيِّ ﷺ مَلَاذِمًا وَمَجَالِسًا » (٢) .

\* وَلَمَّا أَخَذَ الْمُهَاجِرُونَ طَرِيقَهُمْ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ ، سَارَ خَبَابُ

(١) « دول العرب وعظماء الإسلام » (ص : ٣٩ - ٤١) بانتقاء وتصريف ، مطبعة مصر - ١٩٣٣ م .

(٢) « حلية الأولياء » ( ١ / ١٤٣ ) .

والمقداد بن عمرو - رضي الله عنهما - مهاجرين ، ونزلا في المدينة على كُثُوم بن الهذم ، فلم يبرحاً منزله حتى توفي قبل أن يخرج رسول الله ﷺ إلى بدرٍ بيسير ، فتحوّلاً فنزلا على سعد بن عبادة ، فلم يزالا عنده حتى فُتِحَتْ بني قُريظة .

\* آخى رسول الله ﷺ بين خَبَّابٍ ، وبين تميم مولى خراش بن الصِّمَّة ، وقيل : آخى بينه وبين جُبْرِ بن عتيك ، وشهد خَبَّابٌ بدرًا وأُحُدًا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ .

\* كان رسول الله ﷺ يكرمُ خَبَّابًا ، ويقدرُ قدرَهُ ، فإذا ما خرج في سرِّيَّة من السَّرايا ، كان ﷺ يتفقَدُ أهله وأولاده ويكرمهم ، ويرعى مصالحهم ، وينظرُ في شؤونهم ، وهذا ما وافقنا به ابنه خَبَّاب حيث قالت : « خرج خَبَّابٌ في سرِّيَّة ، فكان رسول الله ﷺ ، يتعاهدنا حتى يحلب لنا في جفنة لنا ، وكان يحلبها حتى تطفح وتفيض ، فلما رجع خَبَّاب حلبها فرجع حلابها - نَقَصَ - ، فقلنا له : كان رسول الله ﷺ يحلبها حتى تفيض ، فلما حلبتها رجع حلابها » (١) .

\* ونقرأ هذه الحادثة المباركة الطريفة بشكلٍ أوسع وأكثر تفصيلاً عند ابن سعد وغيره فيما أخرجه عن بنتِ خَبَّاب بن الأرت - رضي الله عنها - وكانت قد أسلمت وأدركت رسول الله ﷺ ، وروث عنه قالت : خرج أبي في غزوة (٢) ، ولم يترك لنا إلا شاةً ، وقال : إذا أردتم أن تحلبوها فأتوا بها أهل

---

(١) انظر : « طبقات ابن سعد » ( ٨ / ٢٩٠ - ٢٩١ ) ، و« المسند » ( ١٠ / ٣١٢ ) برقم : ( ٢٧١٦٥ ) .

(٢) يظهر - والله أعلم - أنَّ سيِّدنا خباباً - رضي الله عنه - قد خرج في سرِّيَّة وليس في غزوة بدليل أنَّ رسول الله ﷺ كان لا يزال في المدينة ، وقد حلب لأهل خَبَّاب شاتهم ، وكان الحبيب الأعظم ﷺ يرسلُ خباباً في السَّرايا ، وقد أخرج الطبراني بسنده عن مجاهد ، عن خَبَّاب قال : « بعثنا رسول الله ﷺ في سرِّيَّة ، فأصابنا العطشُ ، وليس =

الصُّفَّة . قالت : فانطلقنا بها ، فإذا رسولُ اللهِ ﷺ جالسٌ ، فأخذَهَا فاعتقلَهَا ، فحلبَ ، ثمَّ قال : « اتتوني بأعظم إناء عندكم » . فذهبتُ فلم أجدُ إلا الجفنة التي نعجنُ فيها ، فأتيتهُ بها ، فحلبَ حتَّى ملأها ، قال : « اذهبوا فاشربوا وأميهوا جيرانكم ، فإذا أردتم أن تحلبوا فأتوني بها » .

فكئناً نختلفُ بها إليه ، فأخصبنا ، حتَّى قدمَ أبي ، فأخذها فاعتقلها ، فصارت إلى لَبِنِهَا ؛ فقالت أمِّي : أفسدتَ علينا شاتنا .

قال : وما ذاك ؟

قالت : إن كانت لتحلب ملء هذه الجفنة .

قال : ومن كان يحلبها ؟

قالت : رسولُ اللهِ ﷺ .

قال : وقد عدلتني به ! هو والله ! أعظمُ بركةَ يدِ منِّي « (١) » .

\* وذات مرّة أرسل الحبيبُ المصطفى ﷺ خَبَاباً في بَعْثٍ ، وعَلَّمَهُ ما ينفَعُهُ في الدَّارَيْنِ ، فَلَنُصِّغَ سوياً إلى سيِّدنا خَبَابٍ وهو يعلمنا ما تعلّمه من حبيبنا رسولِ اللهِ ﷺ وهو في طريقه لينفِذَ الأوامرَ النَّبَوِيَّةَ في مكان بعيد .

\* أخرج الطَّبْرَانِيُّ بسنده عن عُبَادَةَ بنِ نُسَيِّ الكِنْدِيِّ - أبو عمر الشَّامِيِّ وهو ثقةٌ فاضلٌ كان قاضي طبرية توفي سنة ١١٨ هـ - عن خَبَابِ بنِ الأَرْتِّ - رضي اللهُ عنه وأرضاه - قال : « بعثني رسولُ اللهِ ﷺ مبعثاً ، فقلتُ : يا رسولَ اللهِ ! إنك تبعثني بعيداً وأنا أشفقُ عليك .

قال : « وما بلغ من شفقتك عليّ ؟ » .

= معنا ماء ، فتنوّخت - بركتُ - ناقةٌ لبعضنا ، وإذا بين رجلِها مثل السَّقَاءِ ، فشرّبنا من لبنها . « المعجم الكبير » ( ٤ / ٧٨ ) برقم : ( ٣٦٩٧ ) .

(١) « طبقات ابن سعد » ( ٨ / ٢٩١ ) ، و « المسند » ( ١٠ / ٣١٢ ) برقم : ( ٢٧١٦٥ ، ٢٧١٦٦ ) .

قلت : أصبح فلا أظنك تمسي ، وأمسي فلا أظنك تصبح .

قال : « يا خَبَّاب ! خمسُ إن فعلتَ بهنَّ رأيتني ، وإن لم تفعلْ بهنَّ لم تُرني » .

فقلت : يا رسولَ الله ! وما هُنَّ ؟

قال : « تعبدُ اللهَ لا تشركُ به شيئاً وإن قُطعتَ وحُرِّقتَ ، وتؤمن بالقدَر » .

قلتُ : يا رسولَ الله ! وما الإيمانُ بالقدَر ؟

قال : « تعلم أنَّ ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وأنَّ ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، ولا تشرب الخمرَ ، فإنَّ خطيئتها تفرغُ الخطايا كما أنَّ شجرتهاا تعلقُ الشَّجر ، وبرِّ والدِّيك وإن أراك أن تخرجَ من الدُّنيا ، وتعتصمَ بحبل الجماعة ، فإنَّ يدَ اللهِ على الجماعة ، يا خَبَّابُ ! إنَّك إن رأيتني يوم القيامة لم تفارقني » <sup>(١)</sup> .

\* وهكذا نرى سيِّدنا خَبَّابَ بنَ الأَرث - رضي اللهُ عنه - من نبهاء المجاهدين الذين نذروا حياتهم للإسلام ، ولإعلاء كلمة الله ، وقد بايع رسولَ الله ﷺ بيعةَ الصَّادقين ، وأخلصَ في بيعته ، وثبتَ وصبرَ ، وامْتَحِنَ فشكَّرَ ، ولم يتأخَّرَ عن مشهيدٍ واحدٍ من المشاهد النبويَّة .

\* قال عنه أبو عمر بن عبد البرِّ رَضِيَ اللهُ فِي « الاستيعاب » : « كان فاضلاً من المهاجرين الأوَّلِين ، شهدَ بدرًا وما بعدها من المشاهد مع النَّبِيِّ ﷺ ، وكان قديم الإسلام ممَّنْ عُدِّبَ فِي اللهُ ، وصبرَ على دينه - رضي اللهُ عنه - » <sup>(٢)</sup> .

(١) أخرجه الطَّبْرانِي (٤ / ٨١) برقم : (٣٧٠٩) .

(٢) « الاستيعاب » (١ / ٤٢٣) .

## مروياته وختام حياته :

\* هذا الصَّاحِبُ النَّبِيلُ الصَّابِرُ خَبَابُ بْنُ الْأَرْتِّ - رضي الله عنه - من الصَّحابة الأعلام أصحاب العشرات وشيء ، قال عنه النَّوَوِيُّ والدَّهَبِيُّ : « له عدَّةٌ أحاديثٌ » وقالوا : « لخبَّابِ اثنان وثلاثون حديثاً ، ومنها ثلاثة في « الصَّحِيحَيْنِ » ، وانفرد له البخاريُّ بحديثين ومسلمٌ بحديثٍ » (١) .

\* وقال ابنُ حجرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن مروياتِ سيِّدنا خَبَّابِ : « روى عن النَّبِيِّ ﷺ ، وروى عنه أبو أمامة الباهليُّ ، وابنه عبدُ الله بنُ خَبَّابِ ، وأبو معمر عبدُ الله بنُ سخبرة ، وقيسُ بنُ أبي حازم ، ومسروقُ بنُ الأجدع ، وعلقمةُ بنُ قيس ، وأبو وائل ، وحرثةُ بنُ مضرب ، وأبو الكنود الأزديُّ ، وأبو ليلى الكنديُّ . وأرسل عنه مجاهدٌ ، والشَّعْبِيُّ ، وسليمانُ بنُ أبي هندیَّة » (٢) .

\* وتشملُ مروياتِ سيِّدنا خَبَّابِ بنِ الأرتِّ - رضي الله عنه - عدداً من أبواب العلم من مثل : المناقب ، والتفسير ، والبيع ، وصفة الصَّلَاة ، والدَّعوات ، والمغازي ، والطَّبِّ ، وغيرها كثير موزَّعة في كتب الصَّحيح والسُّنن والمسانيد والمصنَّفات الحديثية .

---

(١) « سير أعلام النبلاء » ( ٢ / ٣٢٤ - ٣٢٥ ) ، و« تهذيب الأسماء واللغات » ( ١ / ١٧٤ - ١٧٥ ) ولعلَّ سبب قلة رواية سيِّدنا خَبَّابِ وبعض الصَّحابة الكرام ، هو خوفهم وورعهم الشَّدِيد ، وانصرافهم إلى العمل في مرضاة الله - عزَّ وجلَّ - ، فقد أورد ابن الأثير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ خبراً عن أحد الذين كانوا يجالسون خباباً فقال : « بينما نحن في المسجد ؛ إذ جاء خَبَّابُ بنِ الأرتِّ - رضي الله عنه - ، فجلس فسكت ، فقال له القوم : إنَّ أصحابك قد اجتمعوا إليك لتحدِّثهم أو لتأمرهم .

قال : بمَ أمرهم ؟ ولعلِّي أمرهم بما لستُ فاعلاً . » « أسد الغابة » ( ١ / ٥٩٣ ) .

(٢) « تهذيب التَّهذيب » ( ٣ / ١٣٣ ) ، وانظر كذلك : « تهذيب الأسماء واللغات » ( ١ / ١٧٤ - ١٧٥ ) .



\* فمن مرويات سيّدنا خبّاب في صفة صلاتي الظّهر والعصر ، ما جاء عند البخاريّ وغيره بسندٍ عن أبي معمر عبد الله بن سخبرة الأزدي قال : « سألتنا خبّاباً أكان النّبِيّ ﷺ يقرأ في الظّهر والعصر ؟

قال : نعم .

قلنا : بأي شيء كنتم تعرفون ؟ وفي رواية : تعلمون قراءته ؟

قال : باضطراب لحيته « (١) » .

\* وفي فضل الدّعاء أخرج الطّبرانيُّ بسنده عن خبّاب قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « اللهم استرْ عورتِي ، وآمنْ روعتي ، واقضْ عنيّ ديني » (٢) .

\* وأخرج أبو يعلى في الرّهد بالدُّنيا أنّ خبّاباً - رضي الله عنه - قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إنّما يكفي أحدكم من الدُّنيا كزاد الرّكاب » (٣) .

\* ومرويات سيّدنا خبّاب كثيرةٌ ومتنوعةٌ ، وقد مرَّ بعضها في ثنايا هذه الترجمة ، ومَنْ أراد المزيد ، فليرجعْ إلى مصادر الحديث .

\* امتدّت الحياةُ بسيّدنا خبّاب إلى خلافة سيّدنا عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - ، وكان جليل المكانة عند الخلفاء الرّاشدين .

\* زارت الأمراضُ جسدَ سيّدنا خبّاب ، وطال مرضُه ، وصبرَ واكتوى ،

---

(١) أخرجه البخاريّ برقم : ( ٧٦٠ ، ٧٦١ ، ٧٧٧ ) ، والطّبرانيّ برقم : ( ٣٦٨٣ ، ٣٦٨٤ ، ٣٦٨٥ ، ٣٦٨٧ ، ٣٦٨٨ ، ٣٦٨٩ ) ، وقوله « باضطراب لحيته » : فيه الحكم بالدّليل ؛ لأنّهم حكموا باضطراب لحيته على قراءته . واستدلّ به المصنّف على مُحافَظتِهِ ﷺ القراءة في الظّهر والعصر .

(٢) « المعجم الكبير » ( ٤ / ٨١ - ٨٢ ) برقم : ( ٣٧١٠ ) .

(٣) « مسند أبي يعلى » ( ص : ١٣١٢ ) حديث رقم : ( ٧٢١٠ ) .

ذكر قيسُ بنُ أبي حازم قال : « دخلنا على خَبَّابِ بنِ الأَرثِّ - رضي اللهُ عنه - وقد اکتوی سَبْعَ كَيَّات ، فقال : لولا أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ نهانا أن ندعو بالموت لدعوتُ به » (١) .

\* وجاء أنَّ نفرًا من أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ قد زاروا خَبَّابًا في مرضه فقالوا له : « أبشِرْ أبا عبدِ اللهِ تَرِدُ على إخوانك الحوض .

فقال : إنَّكم ذكرتم لي إخواناً مضوا ، ولم ينالوا من أجورهم شيئاً ، وإنا بقينا بعدهم حتَّى نلنا من الدُّنيا ما نخاف أن يكونَ ثواباً لتلك الأعمال » (٢) .

\* ومرض سيِّدنا خَبَّابٌ مرضاً شديداً طويلاً توفي منه بالكوفة سنة ٣٧ هـ) . قال ابنُ الأثير : « ونزل الكوفة ومات بها ، وهو أوَّل مَنْ دُفِنَ بظهر الكوفة من الصَّحابة ، وكان موته سنة سبع وثلاثين » (٣) .

\* وقد أكَّد عبدُ اللهِ بنُ خَبَّابِ هذا الأمر عندما سُئِلَ : « متى مات أبوك ؟ » .

قال : « سنة سبع وثلاثين ، وهو يومئذٍ ابنُ ثلاثٍ وسبعين سنة » (٤) .

\* وروى ابنُ خَبَّابِ أيضاً اللحظاتِ الأخيرةَ من حياةِ خَبَّابِ فقال : « لَمَّا ثَقُلَ خَبَّابٌ قال لي : أيُّ بني ، إذا أنا ميتٌ فادفني بهذا الظَّهرِ ، فإنَّك لو قد دفنتني بالظَّهرِ ، قيل : دُفِنَ بالظَّهرِ رجلٌ من أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ ، فدَفَنَ النَّاسُ موتاهم ، فلمَّا ماتَ خَبَّابٌ - رضي اللهُ عنه - دُفِنَ بالظَّهرِ ، فكان أوَّل

---

(١) « طبقات ابن سعد » ( ٣ / ١٦٦ ) ، و « أسد الغابة » ( ١ / ٥٩٣ ) ، و « الحلية » ( ١ / ١٤٤ ) .

(٢) « أسد الغابة » ( ١ / ٥٩٣ ) ، و « حلية الأولياء » ( ١ / ١٤٦ ) .

(٣) « أسد الغابة » ( ١ / ٥٩٣ ) . ومعنى « ظهر الكوفة » : خارجها .

(٤) « طبقات ابن سعد » ( ٣ / ١٦٧ ) .

مدفونٍ بظهر الكوفة خَبَّاب - رضي الله عنه - « (١) .

\* وزعمت بعض المصادر بروايتها عن زيد بن وهب قال : « سرنا مع عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - ، حين رجع من صفّين ، حتّى إذا كان عند باب الكوفة ، إذا نحنُ بقبور سبعة عن أيّماننا ، فقال : ما هذه القبور ؟

فقالوا : يا أمير المؤمنين ! إنّ خَبَّابَ بنَ الأرتّ - رضي الله عنه - توفي بعد مخرجك إلى صفّين ، فأوصى أن يُدفنَ في ظاهر الكوفة .

فقال عليّ - رضي الله عنه - : رحم الله خَبَّاباً ؛ أسلم راغباً ، وهاجر طائعاً ، وعاش مجاهداً ؛ وابتلي في جسمه أحوالاً ، ولن يضيع الله أجرَ مَنْ أحس عملاً . . . طوبى لمن ذكرَ المعاد ، وعمل للحساب ، وقنع بالكفاف ، ورضي عن الله عزَّ وجلَّ « (٢) .

\* وبعد : فهذه شذراتٌ من سيرة صحابي صابر من أعلام الصّابرين ، قضى نحبه وهو يرجو رحمةَ الله - عزَّ وجلَّ - ، فرضي الله عن سيّدنا خَبَّاب ، وحشرنا معه يوم الحساب ، وغفرَ لنا إنّه الكريم الوهّاب .



---

(١) « المستدرک » ( ٤٣١ / ٣ ) بتصرّف يسير جداً . وانظر : « طبقات ابن سعد » ( ١٦٧ / ٣ ) ، و« معرفة الصّحابة » ( ١٧٠ / ٢ ) .

(٢) « حلية الأولياء » ( ١٤٧ / ١ ) ، و« تهذيب الأسماء واللغات » ( ١٧٥ / ١ ) ، و« الإصابة » ( ٤١٦ / ١ ) مع الجمع والتصرّف . وانظر : « أسد الغابة » ( ١ / ٥٩٣ ) ، و« المعجم الكبير » ( ٤ / ٥٦ ) ، وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد » ( ٩ / ٢٩٩ ) : « وفيه معلّى بن عبد الرّحمن الواسطيّ ، وهو كذاب » .

رَفَعُ  
عبد الرحمن البخاري  
أسكنه الفردوس  
[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

# دحية بن خليفة

رضي الله عنه

- \* حاز جمال الخصال ؛ ولطف الخلال ؛ وكان من أجمل الرجال .
- \* كان يُشبهه بجبريل ، وحمل رسالة نبوية إلى عظيم بصرى .
- \* له أخبارٌ وقصصٌ وضيئةٌ كهيته ، ومات بالشَّام سنة ( ٥٠ هـ ) .

رَفَعُ  
عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الفردوس  
[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

## دحية بن خليفة رضي الله عنه

شخصية متميزة :

\* شخصية هذا الصحابي شخصية متميزة من بين شخصيات هذا الكتاب ؛ الذين تربوا في مدرسة الصادق المصدوق عليه السلام ، فهذا الصحابي الجليل حاز جمال الخصال ، وملاحة الخلال ، فكان من أجمل الرجال ؛ وقد صحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاستقى منه صفاء القلب ونقاء الحال .

\* هذا الرجل الجميل الأليف هو : دحية بن خليفة الكلبى القضاعي <sup>(١)</sup> ، صاحب الحبيب المحبب ، الصادق الأمين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ورسوله بكتابه إلى عظيم بصرى ليوصله إلى هرقل صاحب الروم ورئيسهم .  
\* إن سيرة دحية الكلبى <sup>(٢)</sup> سيرة ثرية في كثير من المواقف ، بيد أننا

(١) « طبقات ابن سعد » ( ٤ / ٢٤٩ - ٢٥١ ) ، و« معرفة الصحابة » ( ٢ / ٢٣٧ - ٢٣٩ ) ترجمة رقم : ( ٨٧٨ ) ، و« الاشتقاق » لابن دريد ( ص : ٥٤١ ) ، و« تاريخ الإسلام » للذهبي ( عهد معاوية بن أبي سفيان ، ص : ٤٨ - ٤٩ ) ، و« المعجم الكبير » للطبراني ( ٤ / ٢٢٤ - ٢٢٦ ) ، و« الاستيعاب » ( ١ / ٤٦٣ - ٤٦٥ ) ، و« الإصابة » ( ١ / ٤٦٣ - ٤٦٤ ) ، و« أسد الغابة » ( ٢ / ٦ ) ترجمة رقم : ( ١٥٠٧ ) ، و« البداية والنهاية » ( ٨ / ٤٧ ) وغيرها كثير جداً .

(٢) « الكلبى » : بفتح الكاف وسكون اللام ، هذه النسبة إلى قبائل ، منها كلب من =

لا نمتلك معلوماتٍ وافيةً تفصحُ عن حياته قبل الإسلام ، مع العلم أن ابن سعد قد وافانا في « طبقاته » بقولٍ جميل : « أسلم دحيةُ بنُ خليفة قديماً ، ولم يشهدُ بدرأ ، وكان يُشَبَّه بجبرائيل » (١) .

= اليمن ، منها : زيدٌ وجبلةُ ابنا شراحيل بن كعب من كلب اليمن ، وأسامةُ بنُ زيد بن شراحيل صاحب رسول الله ﷺ ، ودحيةُ بنُ خليفة الكلبي من كلب اليمن ، له صحبة . « اللباب في تهذيب الأنساب » ( ٣ / ١٠٤ ) .

ودحية : بكسر الدال وفتحها لغتان مشهورتان . « تهذيب الأسماء واللغات » ( ١ / ١٨٥ ) ، وكان دحية الكلبي تاجراً يجوبُ الآفاق ، وكثيراً ما كان يذهب بتجارته إلى بصرى الشام وبيت المقدس ، ولذلك بعثه النبي ﷺ ليحمل رسالةً إلى هرقل ملك الروم .

(١) « طبقات ابن سعد » ( ٤ / ٢٤٩ - ٢٥٠ ) . أوردَ الثعالبيُّ رَدِّ اللَّهِ ﷺ معلوماتٍ طريفةً وممتعةً عن رجال عصرِ النبوة كان بينهم وبين الملائكة سببٌ ، فقال ما مفادُهُ ومحصلُهُ وملخصُهُ :

« غسيل الملائكة » : هو حظلةُ بنُ أبي عامر الأنصاري ، غسلته الملائكة ، وذلك أنه خرج يوم أحد فأصيب ، فقال رسولُ الله ﷺ : « هذا صاحبكم قد غسلته الملائكة » . فسئلت امرأته عن ذلك فقالت : « إنَّه كان معي على ما يكون عليه الرجل من امرأته ، فأعجلته حطمةُ بالمسلمين منعه عن الاغتسال ، فخرج فأصيب ، وفيه يقولُ الأحوص - وكان حظلة خال أبيه - :

غسلت خالي الملائكة الأبرا رُ ميئاً أكرم به من صريع  
ومنهم : « سعدُ بنُ معاذ الأنصاري » ، هبطَ لموته سبعون ألف ملك ؛ لم يهبطوا إلى الأرض قبلها ، واهترَّ لموته عرشُ الله ، وفي ذلك يقول حسانُ بنُ ثابت - رضي الله عنه - :

وما اهترَّ عرشُ الله من موت هالك سمعنا به إلا لموت أبي عمرو  
ومنهم : « حسانُ بنُ ثابت الأنصاري » ، قال له رسول الله ﷺ : « اهجم وروحُ القدس معك » ؛ وقال في حديث آخر : « إنَّ الله مؤيِّدُ حسانَ بروح القدس =



\* وفي المجال ذاته ، أخرج ابنُ سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بسنده عن عامر بن شراحيل الشَّعْبِيِّ قال : شَبَّهَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ثلاثةَ نَفَرٍ من أُمَّتِهِ فقال : « دحيةُ الكلبيُّ يُشَبَّهُ جبرائيلَ ، وعروةُ بنُ مسعودِ الثَّقَفِيِّ يشبه عيسى بنَ مريمَ ، وعبد العزَّى بن قطن يشبه الدَّجَالَ » .

\* وفي روايةٍ أُخرى : « كان دحيةُ يشبَّهُه بجبرائيلَ ، وكان عروةُ بنُ مسعودٍ مَثَلُهُ كَمَثَلِ صاحبِ يَسَ ، وكان عبد العزَّى بن قطن يشبَّهُه بالدَّجَالَ » (١) .

\* وعن حِيثِيَةِ الصُّحْبَةِ النَّبَوِيَّةِ وَقَدِمَهَا عِنْدَ دَحِيَّةَ نَقَرَأَ عِنْدَ ابْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

= ما نافع عن نبيِّه « ؛ وكان يوضع لحسان منبرٌ في مؤخر المسجد يقومُ عليه فينافح عن رسولِ اللَّهِ ﷺ .

ومنهم : « عمرانُ بنُ حُصَيْنٍ » : كان تصافحهُ الملائكةُ وتعودُهُ ، ثمَّ افتقدَها ، فأتى رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ! إنَّ رجالاً كانوا يأتونني لم أرَ أحسنَ وجوهاً ، ولا أطيبَ أرواحاً منهم ، ثمَّ انقطعوا عني .  
فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أصابك جرحٌ فكنتَ تكتمه ؟ » .  
قال : أجل - وكان جرحُ أصابه في سبيلِ اللَّهِ - .  
قال : « ثمَّ أظهرته ؟ » .  
قال : قد كان ذلك .

قال : « أما لو واللهِ أقيمتَ عليّ كتمانهُ لزارتُكَ الملائكةُ إلى أنْ تموتَ » .

ومنهم : « جريزُ بنُ عبدِ اللَّهِ البجليِّ » ، قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يطلعُ عليكم من هذا الفجِّ خيرُ ذي يمنَ ، فإنَّ عليهِ مسحةٌ مَلَكٌ » .

ومنهم : « دحيةُ بنُ خليفةِ الكلبيِّ » ، وكان جبريلُ يهبطُ في صورته « . « ثمار القلوب » (ص : ٦٤ - ٦٦) بتصرفٍ .

(١) « الطَّبَقَاتُ الكَبْرِىُّ » لابنِ سَعْدٍ (٤ / ٢٥٠) ، وانظر : « السَّيْرُ والمَغَازِي » لابنِ إسحاق (ص : ٢٩٧) .

قوله : « شهد دحيةً مع رسولِ الله ﷺ المشاهد بعد بدر ، وبقي إلى خلافة معاويةَ بنِ أبي سفيان - رضي الله عنهما - » (١) .

\* بينما صاغ ابنُ عبد البرِّ رَحِمَهُ اللهُ المعلومات السابقة فقال عن سيّدنا دحية (٢) : « كان من كبار الصّحابة ، لم يشهد بدرًا ؛ وشهد أحداً وما بعدها من المشاهد ، وبقي إلى خلافة معاوية ، وهو الذي بعثه رسولُ الله ﷺ إلى قيصر في الهدنة ، وذلك في سنة ستّ من الهجرة . . . . » (٣) .

« ذاك جبريل » :

\* لم يغب سيّدنا دحيةً عن مشهدٍ من المشاهد النبويّة بعد غزاة بدر ، وكان له حضورٌ متميِّزٌ في بعض المغازي ، لذلك كان جبريلُ ﷺ ينزلُ في

(١) المصدر السابق (٤ / ٢٥١) ، وانظر : « مختصر تاريخ دمشق » (٨ / ١٦٠) .

وأخرج ابنُ عساكر رَحِمَهُ اللهُ بسنده عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - ، عن رسولِ الله ﷺ قال : « عرض عليّ الأنبياء ، فإذا موسى ﷺ رجلٌ ضرب من الرّجال كأنه من رجال شنوءة ، ورأيت عيسى بن مريم ﷺ ، فإذا أقرب من رأيتُ به شهباً عروة بن مسعود ، ورأيتُ إبراهيم ﷺ فإذا أقرب من رأيتُ به شهباً صاحبكم - يعني : نفسه - ، ورأيتُ جبريل ﷺ ، فإذا أقرب من رأيتُ به شهباً دحية » . « مختصر تاريخ دمشق » (٣ / ١٥٠) .

(٢) « دحية » : قال ابن دريد رَحِمَهُ اللهُ في « الاشتقاق » : « دحية : فعلة ، من قولهم : دحيث ، ودحوت ، ودحا المكان ، إذا اتسع فهو داح . وأدحيّ النّعام : الموضع الذي تصلحه لتبيض فيه » . « الاشتقاق » (ص : ٥٤١) . وقال الفيروزآبادي : « الدّحية : بالكسر : رئيس الجند » . « القاموس المحيط » (ص : ١٦٥٤) . وقال ابن الأثير : « الدّحية : رئيس الجند ومُقدّمهم ، وكأنه من دحاه يدحوه ، إذا بسطه ومهّده ؛ لأنّ الرّئيس له البسط والتمهيد ، وقلب الواو فيه ياء نظير قلبها في صبيّة وفتية » . « النّهاية في غريب الحديث والأثر » (ص : ٣٠٠) .

(٣) « الاستيعاب » (١ / ٤٦٣ - ٤٦٤) .

صورته ، وكان يراه عددٌ من جَلَّةِ الصَّحابةِ وأعيانهم .

\* كان هذا في غزوة بني قريظة بعد غزوة الخندق ؛ إذ إنَّ القرظيين ألبوا قريشاً على رسول الله ﷺ والذين معه ، وتكتلوا معهم في الأحزاب ، وقطعوا المؤمن عن المسلمين ، حتَّى مسَّهم الصَّرُّ ، ولولا أنَّ الله - عزَّ وجلَّ - أرسل جنوده ، وهزَمَ الأحزاب ، لخذل المسلمون ، ولم تقم لهم قائمة بعد .

\* لهذا لما اتَّجه رسولُ الله ﷺ إلى المدينة المنورة ، بعد أن رأى الأحزاب بجموعها ترتدُّ راجعةً نحو مكة ، تحمل معها النَّدامةَ ، والحسرةَ ، والغيطَ ، والهلعَ ، أتى جبريلُ ﷺ مُعْتَمِماً بعمامةٍ من استبرق ، على بغلةٍ عليها سرجٌ ، عليها قطيفةٌ من ديباج ، فقال لرسولِ الله ﷺ : « أَوْقَدْ وضعتُ السَّلاحَ يا رسولَ الله ؟ » .

قال ﷺ : « نعم » .

قال جبريلُ ﷺ : « فما وضعتُ الملائكةُ السَّلاحَ بعد ، وما رجعتُ الآن إلا من طلب القوم ، إنَّ الله - عزَّ وجلَّ - يأمرُك يا محمَّدُ بالسيرِ إلى بني قريظة ، فإنِّي عامدٌ إليهم فمززلُ بهم » .

\* وكان جبريلُ ﷺ قد نزل في صورة دحية الكلبي - رضي الله عنه - . ولهذا الأمر وردَّ في المصادر المتنوعة ، ومنها ما أخرجه البيهقي رحمه الله في « الدلائل » عن أمنا عائشة - رضي الله عنها - : « أنَّ رسولَ الله ﷺ كان عندها ، فسلمَ علينا رجلٌ ونحنُ في البيت ، فقام رسولُ الله ﷺ فزعاً ، فقمت في أثره ، فإذا بدحية الكلبي ، فقال : هذا جبريلُ يأمرني أن أذهبَ إلى بني قريظة ... » . وتتابعُ أمنا عائشةُ حديثها : « ... وخرجَ النَّبيُّ ﷺ فمرَّ بمجالسِ بينه وبين بني قريظة ، فقال : « هل مرَّ بكم من أحد ؟ » .

قالوا : مرَّ علينا دحية الكلبي على بغلة شهباء ، تحته قطيفة ديباج .

فقال النَّبيُّ ﷺ : « ليس ذلك بدحية ، ولكِنَّه جبريلُ ﷺ ، أرسل

إلى بني قريظة ليزلزلهم ، ويقذف في قلوبهم الرُّعب . . . » (١) .

\* وفي رواية أخرى عن أمنا عائشة قالت : « . . . ثم خرجت ، فذهبتُ أنظرُ ، فإذا هو دحية الكلبي .

قال ﷺ : « أَوْرَأَيْتَهُ ؟ » .

قلت : نعم .

قال : « ذاك جبريل ، أمرني أن أخرج إلى بني قريظة » (٢) .

\* وتقول أمنا أيضاً : « فكأنني أنظرُ إلى رسولِ الله ﷺ يمسحُ الغبار عن وجهِ جبريل .

فقلت : هذا دحيةُ يا رسولَ الله .

فقال : « هذا جبريل » (٣) .

\* وقد رأى جبريل ﷺ نفرًا من الصحابة الكرام في صورة سيدنا دحية الكلبي ؛ إذ مرَّ بهم النبي ﷺ فقال : « هل مرَّ عليكم أحد ؟ » .

---

(١) « دلائل النبوة » ( ٤ / ٨ - ٩ ) باختصار ، وانظر : « تفسير القرطبي » ( ١٤ / ١٣٨ ) ، وقال الأصبهاني : « كان جبريل ﷺ يأتي في الأحيان النبي ﷺ متصوِّراً في صورته » . « معرفة الصحابة » ( ٢ / ٢٣٧ ) .

(٢) « دلائل النبوة » ( ٤ / ١٠ ) ، وانظر : « مختصر تاريخ دمشق » ( ٨ / ١٦٢ ) وفي رواية أخرى قال : « أَوْرَأَيْتَهُ ؟ » .  
قلت : نعم .

قال : « ذاك جبريل ، وهو يقرئك السلام » .  
قلت : وعليه السلام ورحمةُ الله وبركاته ، جزاه الله من صاحبٍ ودخيلٍ - ضيف - خيراً ، فنعَم الصَّاحب ونعم الدَّخيل » . « مختصر تاريخ دمشق » ( ٨ / ١٦٢ ) .

(٣) « دلائل النبوة » لليبهي ( ٤ / ١١ ) .

فقالوا : نعم مرَّ علينا دحيةُ بنُ خليفة الكلبِيِّ على بغلةٍ بيضاء ، عليها رحالة ، عليها قطيفة ديباج .

فقال رسولُ الله ﷺ : « ذاك جبريل ، بعثه الله - عزَّ وجلَّ - إلى بني قريظة يزلزلُ بهم حصونهم ، ويقذفُ الرِّعبَ في قلوبهم » (١) . وكان رسولُ الله ﷺ يشبُّه دحية الكلبِيِّ بجبريل (٢) ﷺ .

\* ومن المؤكَّد أنَّ جبريلَ ﷺ ، هو صاحبُ الوحي إلى الأنبياء والرُّسل ﷺ ، وهو المقدمُ على سائر الملائكة (٣) ، وكان ينزلُ في بعض

---

(١) « دلائل الثبوت » للبيهقي ( ٤ / ١١ ) ، بتصرف يسير . وانظر : « تاريخ الإسلام » للذهبي ( المغازي ، ص : ٣٠٩ - ٣١٠ ) .

(٢) « دلائل الثبوت » للبيهقي ( ٤ / ١٢ ) ، وانظر : « شرح حياة الصحابة » ( ٤ / ٣٣٨ - ٣٣٩ ) .

ومن الجدير بالذكر ههنا أنَّ العارف بالله الشيخ عمر بن الفارض رَحِمَهُ اللهُ قد أشار في تائيته الكبرى إلى أنَّ جبريلَ ﷺ كان يأتي سيِّدنا وحبينا رسولَ الله ﷺ على صورة دحية الكلبِيِّ فقال :

وهَا دَحِيَّةٌ وافئى الأَمِينِ نَبِيًّا      بصورته في بدء وحي الثبوت  
أَجْبَرِيْلُ قَلُّ لِي كان دَحِيَّةٌ إِذْ بَدَا      لِمُهْدِي الهُدَى في هيئة بشرية  
« العقد التقيس » ( ص : ١٨٧ ) .

(٣) « الملائكة » : الملائكة مخلوقاتٌ غيبيةٌ عتًا ، ذواتُ أجسام نورانيةٍ لطيفةٍ ، لا نراهم في الحالات العادية ، قادرون على التشكُّل بالأشكال الجسمانية المختلفة المرئية لنا ، ذوو قدرات خارقة ، لا حضرَ لهم ، مقربون إلى الله - عزَّ وجلَّ - ، طائعون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، لا يتناحون ولا يتناسلون ، ولا يأكلون ولا يشربون ، إنَّما هم عبادٌ مكرمون ، يحملون رسالاتِ الله في العالمين ، ويؤدِّون وظائفهم في الأكوان بحسب مجرى الأقدار ، على مراد العزيز الجبار .

الأحايين على صورة دحية الكلبي - رضي الله عنه - .

## دحية في غزوة خيبر :

\* كان سيدنا دحية الكلبي - رضي الله عنه - من أعيان المجاهدين المخلصين الذين يؤثرون الحياة الباقية على الحياة الفانية ، فقد خرج بالمعينة النبوية نحو خيبر تلك الواحة الخضراء على طريق الشام ، وكانت غنيّة بالزّرع والشجر والتّخيل ، ولعلّ خيبر هذه كانت من أغنى بلاد الحجاز ، وكان يسكنها جماعة من اليهود في حصون وقلاع قامت فوق الصّخور والجبال ، وكانوا من أقوى طوائفهم بأساً ، وأكثرهم مالا ، وأوفرها سلاحاً ، ولكنّ حصونهم تهاوت حصناً إثر حصنٍ تحت وطأة رجال صدقوا ما عاهدوا الله

ومن أركان العقيدة الإسلامية الإيمان بالملائكة ، وقد جاء الحديث عنهم في القرآن العظيم بمناسبةٍ مختلفةٍ في نحو خمس وسبعين آية من نحو ثلاث وثلاثين سورة ، كما جاء في السنة الشريفة ، والأحاديث النبوية المنيفة التّنصيص على أنّ الإيمان بالملائكة جزءٌ من أركان العقيدة الإسلامية . وقد بيّن رسول الله ﷺ أنّ غير الأنبياء ، من المؤمنين الأصفياء يمكن أن يقابلوا الملائكة في أحوالٍ خاصّة ، وقد حدثت لهذا مع عددٍ من رجال عصر النبوة من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم .

وقد ثبت أنّ الملائكة قادرون على التّمثّل بأمثال الأشياء ، والتشكّل بالأشكال الجسمانيّة ، فقد كان جبريل عليه السلام يأتي إلى مجلس رسول الله ﷺ على النحو الآتي :

أ - على صورة إنسان مجهول ، كما في قصّة نزول جبريل على مريم .  
ب - على صورة إنسان معلوم ، فكثيراً ما كان يأتي المجلس النبويّ على صورة دحية الكلبي .

والملائكة لا يُحصون عدداً في علم المخلوقات لكثرتهم الكاثرة ، ولأنّهم من جنود الله - عزّ وجلّ - ، ولهم أصنافٌ ووظائفٌ تكفّلت بذكرها الكتب والمصنّفات المتخصصة ، والله أعلم .

عليه ، على الرغم من دفاع اليهود المستميت عنها ، وكان من بين المجاهدين الشُّجْعان سيِّدنا دحية الكلبيّ - رضي الله عنه وأرضاه - ، الذي كانت صفية بنت حُيي<sup>(١)</sup> من نصيبه في هذه الغزوة المباركة على الرِّجال المخلصين لله ورسوله .

\* فقد جاء في الآثار الصَّحاح ؛ والسِّيرة ؛ وكتب الطُّبقات ؛ وغيرها أنّ أمَّ المؤمنين صفية بنت حُيي كانت من بين أسرى الخيبريين ، وكانت حديثة عهد بعُرس ، وكانت تحت كنانة بن الرِّبيع ملك خيبر ، وكانت قد رأَتْ في المنام وهي عروسٌ أنّ قمرًا وقع في حجرها ، فذكرت رؤياها لزوجها ، فقال : « ما هذا إلا أنّك تمنين ملك الحجاز<sup>(٢)</sup> - يعني النَّبيّ ﷺ - » وغضب غضباً شديداً ، ثمَّ لطمها على وجهها لطمَةً خَصَرَ عيناها .

\* ولَمَّا وقعتِ السَّيِّدَةُ الصَّافِيَةُ صفية في سهم سيِّدنا دحية الكلبيّ ، قال بعضُ رجال الصَّحابة للحبيبِ المصطفى ﷺ : « يا نبيَّ الله ! أعطيت دحية الكلبيّ صفية بنت حبيبي سيِّدة قريظة والنَّضير ، وهي ما تصلح إلا لك » .

فقال ﷺ لدحية : « خذ جاريةً من السَّبي غيرها » ، فأعتقها رسولُ الله ﷺ ، ثمَّ تزوّجها ، تخفيفاً من مصابها ، وحفظاً لكرامتها ، وجعل عتقها صدقاً لها ، وعندما سألها ﷺ عن سبب اخضرار عيناها ، قصّت عليه القَصَص ، وأخبرته برؤياها .

---

(١) اقرأ سيرة أم المؤمنين صفية بنت حبيبي في موسوعتنا اللطيفة : « نساء أهل البيت في ضوء القرآن والحديث » ( ص : ٣٥٥ - ٣٨٠ ) دار اليمامة - دمشق - ط : ٢٠٠٥ م .

(٢) جاء في بعض مصادر السِّيرة النَّبَوِيَّة أنّ كنانة بن أبي الحقيق لطم صفية لطمَةً شديدة وقال لها : « أتمنين ملك يثرب أن يصير بعلك ؟ » . « المغازي » ( ٢ / ٧٦٤ ) ، و« البداية والنهاية » ( ٤ / ١٩٧ ) ، نقلاً عن « السِّيرة النَّبَوِيَّة » لابن هشام ( ٢ / ٣٣٦ ) .

\* أوجز هذه الأحداث الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ فِي « صحيحه » بسنده عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - ، فكان ممًا قال : « . . . وكان في السَّبي صفيّة ، فصارت إلى دحية الكلبي ، ثمَّ صارت إلى النَّبيِّ ﷺ ، فجعل عتقها صداقها . . . » (١) .

\* ثمَّ جاء ابنُ حجر رَحِمَهُ اللهُ فأفرغَ براعته وبلاغته في شرح هذا الحديث ، وجمع آراء العلماء وأقوالهم في قصَّة دحية و صفيّة - رضي الله عنهما - ، فقال ما بيانه وإيجازه : « جاء دحية - رضي الله عنه - عقب غزوة خيبر ، وقال للصادق المصدوق ﷺ : يا رسولَ الله ! أعطني جاريةً من السَّبي .

فقال الحبيب المصطفى ﷺ له : « اذهب فخذْ جاريةً » .

فذهب فأخذَ صفيّة ؛ فجاء رجلٌ إلى رسولِ الله ﷺ وقال : يا نبيَّ الله ! أعطيتَ دحيةَ صفيّةَ سيِّدة قريظة والنَّضير ، ولا تصلحُ إلا لك . قال ﷺ : « ادعوه بها » .

فلمَّا نظرَ إليها النَّبيُّ ﷺ قال لدحيةَ : « خذْ جاريةً من السَّبي غيرها » .

ولمَّا استرجع النَّبيُّ ﷺ صفيّةَ من دحيةَ أعطاهُ بنتَ عمها ؛ لأنَّه لمَّا قيل للنَّبيِّ ﷺ إنَّها بنتُ ملكٍ من ملوكهم ، ظهرَ له أنَّها ليست ممَّن تُوهبُ لدحيةَ لكثرةِ مَنْ كان في الصَّحابة مثل دحية وفوقه ، وقلةِ مَنْ كان في السَّبي مثل صفيّة في نفاسِها ، فلو خصَّه بها لأمكن تغييرَ خاطر بعضهم ، فكان من المصلحةِ العامَّةِ ارتجاعها منه واختصاص النَّبيِّ ﷺ بها ، فإنَّ في ذلك رضا الجميع ، وليس ذلك من الرُّجوع في الهبةِ من شيء ؛ ولعلَّه عوَّضه عنها بنتَ عمِّها ، أو بنتَ عمِّ زوجها ، فلم تطبُّ نفسه ، فأعطاه من جملةِ السَّبي زيادةً على ذلك » (٢) .

(١) أخرجه البخاري في المغازي برقم : ( ٤٢٠٠ ) .

(٢) « فتح الباري » ( ٧ / ٥٣٧ ) المكتبة السلفيّة - القاهرة - ط : ٤ - ١٤٠٨ هـ . =



\* وفي هذا الزّواج الاختياري أصبحت صفيّة بنت حُبي بن أخطب إحدى أمّهات المؤمنين الطّاهرات ، وإحدى نساء أهل البيت العبادات العالمات . . « وممّا ذكرنا يتبيّن لنا أنّ النّبِيَّ ﷺ أراد بزواجه من صفيّة إعزازها وتكريمها وصيانتها من أن تُفترش لرجل لا يعرف لها شرفها ونسبها في قومها . . . وقد ضربَ النّبِيُّ ﷺ بزواجه منها في باب التّسامح والعفو المثل الأعلى ، فطالما نال النّبِيَّ ﷺ والمسلمين من قومها الشّرُّ الكثير ، ولا سيما أبوها الذي كان دائم التّأليب على النّبِيَّ ﷺ » (١) .

= ولأستاذنا الدكتور محمّد فوزي فيض الله تعليقاً نفيساً على هذه القصّة فيقول : « إنّ زواج النّبِيَّ ﷺ من صفيّة ، كان من أمر الله ، وقد أشارت إليه رؤياها ، وهي عروسٌ زوجها الأوّل ، أنّ قمرأ وقع في حجرها ، ففسّر لها زوجها برغبتها في محمّد ، ولطمها لطمه أثرت في عينها . . . وقد استكثرها الصّحابة أن تكون لواحد منهم في قسمة السّبي ، ورأوا أنّها لا تصلح إلا لرسول الله ﷺ ؛ إنّها سيّدة بني قريظة وبني التّضير ، واستجاب رسول الله ﷺ لرغبة أصحابه ، ورأى في ذلك تكريماً لهذه العزيرة الشّريفة في قومها ، فتزوّجها تخفيفاً لمصابها ، في قتل زوجها وبعض قومها في تلك الغزوة . رأيت إلى الإيثار ، وتكريم الرّسول - عليه الصّلاة والسّلام - ، وتقديم الصّحابة مرضاته ومسراته على أنفسهم ، لقد صدّقوا كلمات الله ، وطبقوا فيه شرعه وحكمه : ﴿ أَلَيْسَ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ [الأحزاب : ٦] ، وارتقوا إلى الذّروة في درجات كمال الإيمان ، التي وُصِفَ ذووها بقوله ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتّى يكون الله ورسوله أحبّ إليه ممّا سواهما » . « صور وعبر من الجهاد النّبويّ في المدينة » (ص : ٣١٧) .

(١) « السّيرة النّبويّة في ضوء القرآن والسّنة » لمحمّد أبو شهبه (٢ / ٣٨٥) باختصار وتصرف . إنّ قصّة صفيّة بنت حبي ، واسترجاعها من دحية الكلبيّ ، واصطفائها ﷺ لنفسه زوجة ؛ قد جعل بعض أعداء الإسلام يتهمون الحبيب المصطفى ﷺ بأنّه ما استرجع صفيّة وتزوّجها إلا بدافع رغبة شخصيّة . بينما الحقائق الكثيرة الواضحة تؤكّد بأنّ صفيّة ابنة ملك ، وزوجة ملك ، ومثلها لا يُوهب كما تُوهب السّبايا الأخريات .

ولهذا استرجعها سيّدنا محمّد رسول الله ﷺ من دحية لمّا علم بمكانتها وشرفها ، وأكرمها بزواجه منها ، ومواساتها في قومها وإعزازها وتكريمها ، فأعتقها ، وخيّرها أن تسلّم أو تعود إلى أهلها ، فاختارت دين الهدى والحق ، وأسلمت ، ودخلت صرح أمّهات المؤمنين لتغدو من نساء أهل البيت الطّاهرات ، ومن خيرة نساء الدّنيا وأشرفهنّ وأعظهنّ ، ولو أراد رسول الله ﷺ أن يأخذها لنفسه جاريةً يتسرّى بها لفعّل ، ولا يقدرُ أحد أن يطعن في ذلك ؛ لأنّ قوانين الحرب آنذاك تبيحُ له ﷺ أن يعاملَ صفيّةَ معاملة الرّقيق ، فيتخذها لنفسه جاريةً ؛ لأنّها أسيرةُ حرب .

وكان الحبيبُ المصطفى ﷺ يبالي في إكرامها ، ويراعي مشاعرها ، تعليماً منه وتفهماً لأمته في إكرام العزيز الذي ذلّ . لذلك لمّا سببت بنات كسرى في العهد العمريّ استشار الفاروقُ أميرَ علماء الصّحابة وسيّدهم عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - كيف تكون معاملتهنّ ؟ فأشار سيّدنا عليّ على الفاروق بأن يُقوّمن ، ومهما بلغ ثمنهنّ قام به من يختارهنّ ، فاستصوب سيّدنا عمر رأي عليّ - رضي الله عنهما - ، فقوّمن ، فاشتراهنّ سيّدنا عليّ ثمّ أعتقهنّ ، فزوّج إحداهنّ ابنه الحسين - رضي الله عنه - ، وزوج الثّانية محمّد بن أبي بكر الصّدّيق - رضي الله عنهما - ، وزوّج الثّالثة عبد الله بن عمر بن الخطّاب - رضي الله عنهما - ، وذلك تكريماً لهنّ ، وجبراً لخواطرهنّ ؛ لأنّهنّ عزيزات ذلّلن بعد عزّة الملك .

وقد سعدنَ بهذا الرّواج من الأكفَاء سعادةً غامرةً نسينَ من خلالها الماضي ؛ وقد أنجبت زوجةُ الحسين بن عليّ ابنه عليّ المعروف بلقب زين العابدين ، وناهيك بهذا الابن من مكانة امتدّت منه أغصان الدّوحة الهاشميّة الطّاهرة .

وهكذا يتّضح شرف القصد ونبله في كلّ عملٍ يعملهُ رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام ، فهل يدرك المغرضون هذه الحقائق المشرقة ، والمقاصد الثّبيلة التي تبعثُ الإعجاب في النفوس ؟ ! لا شكّ في أنّ الصُّبح لا يمكن تغطيته بقطعة قماش ومن ثمّ نقول : إنّ الظلام يلفُّ الكون ! والله درّ أحمد المتنبّي إذ يقول :

وهبني قلْتُ لهذا الصُّبح ليلٌ أيعمى العالمون عن الضّياء ؟ !!

## من حَمَلَةِ رَسَائِلِ النَّبِيِّ ﷺ :

\* من المُتَعَالِم فِي مَجْرِيَاتِ السَّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ وَأَحْدَاثِهَا أَنَّهُ عَقِبَ صُلْحِ الْحَدِيبِيَّةِ قَدْ تَوَسَّعَتْ دَعْوَةُ الْإِسْلَامِ دَاخِلَ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَخَارِجِهَا . فَقَدْ أُرْسِلَ الْحَبِيبُ الْمُصْطَفَى ﷺ سَيِّدَنَا دَحِيَّةَ بَنَ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيِّ إِلَى قَيْصَرَ ، وَعَبْدَ اللَّهِ بَنَ حَذَافَةَ السَّهْمِيِّ إِلَى كَسْرَى ، وَعَمْرُو بَنَ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ إِلَى نَجَاشِي الْحَبَشَةِ ، وَحَاطَبَ بَنَ أَبِي بَلْتَعَةَ اللَّخْمِيِّ إِلَى الْمُقَوْقِسِ حَاكِمِ مِصْرَ ، وَسَلِيطَ بَنَ عَمْرُو الْعَامِرِيِّ إِلَى هُوذَةَ بَنِ عَلِيِّ الْحَنْفِيِّ فِي الْيَمَامَةِ .

\* قَالَ سَيِّدُنَا أُنْسُ بْنُ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : « كَتَبَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى كُلِّ جَبَّارٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ » . وَسَمَّى مِنْهُمْ كَسْرَى وَقَيْصَرَ وَالنَّجَاشِي ، قَالَ : وَلَيْسَ بِالنَّجَاشِي الَّذِي أَسْلَمَ .

\* وَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي « صَحِيحِهِ » نَصَّ كِتَابِ الْحَبِيبِ الْأَعْظَمِ ﷺ الَّذِي بَعَثَ بِهِ سَيِّدَنَا دَحِيَّةَ بَنَ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيِّ إِلَى عَظِيمِ بَصْرَى ، فَدَفَعَهُ إِلَى هِرْقَلِ ، « وَهُوَ النَّصْرُ الْوَحِيدُ الَّذِي ثَبَتَتْ صِحَّتُهُ وَفَقِيَ شُرُوطَ الْمُحَدَّثِينَ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ نصوصِ الْكُتُبِ الَّتِي وَجَّهَتْ إِلَى الْمُلُوكِ وَالْأُمَرَاءِ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ تَنْقَدَ مِنْ جِهَةِ الْمُثَنِّ وَالسَّنَدِ مَعًا بَلْ اعْتِمَادِهَا تَارِيخِيًّا ، فَضْلًا عَنْ الْإِسْتِدْلَالِ بِهَا فِي مَجَالِ التَّشْرِيحِ » (١) .

\* أَمَّا نَصْرُ كِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِي بَعَثَ بِهِ دَحِيَّةَ إِلَى عَظِيمِ بَصْرَى ، فَدَفَعَهُ إِلَى هِرْقَلِ ، فَهُوَ كَمَا جَاءَ فِي « صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ » :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، إِلَى هِرْقَلِ عَظِيمِ الرُّومِ ،  
سَلَامٌ عَلَيَّ مِنْ أَتْبَعِ الْهُدَى .

(١) « السَّيْرَةُ النَّبَوِيَّةُ الصَّحِيحَةُ » لِلدَّكْتُورِ أكرمِ الْعَمْرِيِّ ( ٢ / ٤٥٦ ) .

أَمَّا بَعْدُ : فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ ، أَسْلَمْتُ تَسْلِمًا ،  
 أَسْلَمْتُ يُؤْتِكُ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ  
 الْأَرِيسِيِّينَ ، ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا  
 وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا  
 بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا  
 مُسْلِمُونَ ﴾ [ آل عمران : ٦٤ ] « (١) .

(١) أخرجه البخاري في بدء الوحي برقم : (٧) ، وهو من حديث طويل مشهور ،  
 وأخرجه أيضاً في مواضع أخرى متعدّدة من صحيحه . ومعنى قوله « من  
 محمّد » : فيه أنّ السّنة أن يبدأ الكتاب بنفسه ، وهو قول الجمهور أو فيه إجماع  
 الصّحابة - رضي الله عنهم - . و« عظيم الرّوم » : فيه عدولٌ عن ذكره بالملك أو  
 الإمرة ؛ لأنّه معزول بحكم الإسلام ، لكنّه لم يخله من إكرام لمصلحة التّألف .  
 و« سلامٌ على من أتبع الهدى » : ليس المراد من هذه التّحية ، وإنّما معناه سلّم من  
 عذاب الله مَنْ أسلم . و« بدعاية الإسلام » : وهي : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأنّ  
 محمّداً رسول الله . و« توليت » : أعرضت عن الإجابة إلى الدّخول في الإسلام .  
 و« الأريسيين » : جمع أريسيّ وهو الفلاح ، وقيل : الأمير ، وقيل : التّابع ،  
 وقيل : الحرّاث .

قال ابن الأثير رحمته الله : « اختلف في هذه اللفظة صيغة ومعنى ، فقيل : هم  
 الخدم والخول لصدّه إياهم عن الدّين . وقيل : فرقة من قوم هرقل قتلت نبيّها .  
 وقيل : الملوك . وقيل : العشارون . »

قال الإمام الخطابي رحمته الله : « أراد أنّ عليك إثم الضّعفاء والأتباع إذا لم يسلموا  
 تقليدآله ؛ لأنّ الأصاغر أتباع الأكابر . »

وقال ابن حجر رحمته الله : « إنّ عليك مع إثمك إثم الأريسيين » .

وقد اشتملت هذه الجمل القليلة التي تضمّنتها هذا الكتاب على الأمر  
 بقوله : « أسلم » ، وعلى التّرجيب بقوله : « تسلّم ويؤتكَ » ، وعلى الرّجز  
 بقوله : « فإنّ توليت » ، وعلى التّرهيب بقوله : « فإنّ عليك » ، وعلى الدّلالة =

\* كان الكتاب النبوي الذي حمله سيدنا دحية إلى هرقل كتاباً أنيقاً بكل ما تحمله الكلمة من معنى ، « ويلاحظ أنّ الكتاب الموجّه لهرقل يتسم بالمحافظة على الصبغة الإسلامية حيث يبدأ بالبسملة ، كما يتسم بالصراحة في الدعوة إلى الإيمان بالإسلام ، ونبوة محمد - عليه الصلاة والسلام - ، لكنّه بنفس الوقت يصطبغ بالحكمة والموعظة الحسنة واحترام المخاطب ( عظيم الرّوم ) لمكانته بين قومه ، وترغيباً له في الإسلام ، ومع التّريغيب بالأجر ذكر التّرهيب من الإثم الذي يلحقه إذا حجب قومه عن الإسلام » ( ١ ) .

\* وقد ثبت أنّ النبي ﷺ اتخذ الخاتم لَمَّا أراد أن يكتب إلى الرّوم ، جاء

بقوله : « يا أهل الكتاب » ، وفي ذلك من البلاغة ما لا تخفى ، وكيف لا ؟ وهو كلامٌ من أوتي جوامع الكلم ﷺ .

وذكر الشّهيلي : « أنّه بلغه أنّ هرقل وضع الكتاب في قسبة من ذهب تعظيماً له ، وأنهم لم يزالوا يتوارثونه حتّى كان عند ملك الفرنج الذي تغلب على طليطلة ، ثمّ كان عند سبطه ، فحدثني بعض أصحابنا أنّ عبد الملك بن سعيد أحد قواد المسلمين اجتمع بذلك الملك ، فأخرج له الكتاب ، فلمّا رآه استعبر ، وسأل أن يمكّنه من تقبيله ، فامتنع » .

وحَدَّث سيف الدّين فليح المنصوري قال : « أرسلني الملك المنصور قلاوون إلى ملك الغرب بهدية ، فأرسلني ملك الغرب إلى ملك الفرنج في شفاعة قبلتها ، وعرض عليّ الإقامة عنده فامتنعت . فقال لي : « لأتحفك بتحفة سنّية ؛ فأخرج لي صندوقاً مصفّحاً بذهب ، فأخرج منه مقلّمة ذهب ، فأخرج منها كتاباً قد زالت أكثر حروفه ، وقد التصقت عليه خرقة حرير ، فقال : « هذا كتاب نبيكم إلى جدّي قيصر ، ما زلنا نتوارثه إلى الآن ، وأوصانا أبائنا أنّه ما دام هذا الكتاب عندنا لا يزال الملك فينا ، فنحن نحفظه غاية الحفظ ، ونعظّمه ، ونكتمه عن النّصارى ليدوم الملك فينا » . « فتح الباري » ( ١ / ٥٨ ) ، و« السّيرة الحليّة » ( ٣ / ٢٨٩ ) مع الجمع بينها والتّصرّف .

( ١ ) « السّيرة النبويّة الصّحيحة » ( ٢ / ٤٦٠ ) .

في « الصحيح » عن سيّدنا أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : « لما أراد النبي ﷺ أن يكتب إلى الرّوم ، قيل له : إنهم لن يقرؤوا كتابك إذا لم يكن مختوماً . فاتخذ خاتماً من فضة ونقشه : محمّد رسول الله . فكأنما أنظر إلى بياضه في يده » (١) .

\* وساق ابن عساكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وغيره قصّة بعث النبي ﷺ دحية بن خليفة الكلبيّ إلى قيصر ، وذكر الأحداث التي جرت لسيّدنا دحية في هذه الرحلة .

\* وهانحن أولاء نرهف الأسماع ، ونصغي إلى حديث سيّدنا دحية الذي يسرد لنا قصّة رحلته الشائقة فيقول : « بعث النبي ﷺ معي بكتاب إلى قيصر ، فقمّت بالباب فقلت : أنا رسولُ رسولِ الله ﷺ ، ففزعوا لذلك ، فدخل عليه الأذن فقال : هذا رجلٌ بالباب يزعمُ أنه رسولُ رسولِ الله ﷺ ؛

---

(١) أخرجه البخاريّ في اللباس برقم : ( ٥٨٧٥ ) . إنّ اتّخاذ الخاتم يدلُّ على مرونة السّياسة الشّرعية .

قال الدّكتور العمريّ بعد أن أوردَ هذا الحديث : « ممّا يدلُّ على مرونة السّياسة الإسلاميّة في الإفادة من الوسائل والرّسوم المعاصرة ، ما دامت لا تتعارض مع أحكام الشّرعية وروحها العامة » . « السّيرة النّبويّة الصّحيحة » ( ٤٥٩ / ٢ ) .

وكان نقش خاتمه ﷺ ثلاثة أسطر : محمّد سطر ، ورسول سطر ، والله سطر ، والأسطر الثلاثة تقرأ من أسفل إلى فوق : فمحمّد آخر الأسطر ، ورسول في الوسط ، والله فوق ؛ على النحو الآتي :

الله  
رسول  
محمّد

وختم رسول الله ﷺ بذلك الخاتم الكتب ، وكان في يده الشّريفة ، ثمّ في يد سيّدنا أبي بكر ، ثمّ في يد سيّدنا عمر ، ثمّ في يد سيّدنا عثمان - رضي الله عنهم - حتّى وقع في بئر أريس في السنّة التي تُوفي سيّدنا عثمان - رضي الله عنه - ، فالتسموه ثلاثة أيّام ، فلم يجدوه . والله تعالى أعلم .

فأذن لي ، فدخلتُ عليه ، فأعطيتُهُ الكتاب ، فقرأُ عليه : بسم الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، من محمَّدٍ رسول الله ، إلى قيصر صاحب الرُّوم ، فإذا ابنُ أخ له أحمر أزرق سَبَطُ الشَّعْر ، قد نَخَرَ ، ثمَّ قال : لِمَ لَمْ يَكْتُب : إلى ملك الرُّوم ولم يبدأ بك ؟ ! لا تقرأ كتابه اليوم . فقال لهم : اخرجوا ؛ فدعا الأسقف ، وكانوا يصعدون عن رأيه ويقبلون قوله ، فلمَّا قُرئ عليه الكتاب ، قال : هو والله رسول الله الذي بشرنا به موسى وعيسى ، هو والله رسول الله الذي بشرنا به موسى وعيسى .

قال : فأبي : شيء ترى ؟

قال : أرى أن أتبعه .

قال قيصر : وأنا أعلم ما تقول ، ولكن لا أستطيع أن أتبعه ، يذهب ملكي ، ويقتلني الرُّوم « (١) .

(١) « مختصر تاريخ دمشق » ( ٨ / ١٦١ - ١٦٢ ) ، وأخرجه الطبراني في « الكبير » ( ٤ / ٢٢٥ ) برقم ( ٤١٩٨ ) ، وانظر : « مجمع الزوائد » ( ٥ / ٣٠٦ ) ، و« معرفة الصحابة » ( ٢ / ٢٣٨ ) ، وهذا الحديث فيه نظر ؛ لأنَّ في رجاله ضعفاء ومتروكين .

وقوله « أحمر أزرق » : أي : أحمر الوجه ، وأزرق العينين . و« سبط الرأس » : أي : شعره مسترسلاً غير جعِد . و« نخر » : التَّخَر : مدَّ الصَّوْت والنَّفْس في الخياشيم . و« الأسقف » : هو عالم رئيس من علماء النَّصارى ، ورؤسائهم ، وهو سرياني ، ولعلَّه سَمِّي به لخضوعه وانحنائه في عبادته ، وجمع أسقف : أساقف . و« يصعدون عن رأيه » : أي : صاحب مشورتهم وأمرهم .

وفي حديث آخر عن سيِّدنا دحية قال : « وجَّهني النَّبِيُّ ﷺ إلى ملك الرُّوم بكتابه وهو بدمشق ، فناولته كتاب النَّبِيِّ ﷺ ، فقبَّلَ خاتمه ، ووضعَه تحت شيء كان عليه قاعداً ، ثمَّ نادى ؛ فاجتمع البطارقة وقومه ، فقام عليّ وسائدُ بُنيْت له - وكذلك كانت =

\* وأخرج هذا الخبر ابن حبان في « صحيحه » بسنده عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ ينطلق بصحيفتي هذه إلى قيصر ، وله الجنة ؟ » .

فقال رجلٌ من القوم : وإن لم أُقتل ؟  
قال : « وإن لم تُقتل » .

= فارس والرُّوم لم يكن لها منابر - ، ثمَّ خطب أصحابه فقال : هذا كتاب النَّبِيِّ الذي بشرنا به المسيحُ من ولدِ إسماعيل بن إبراهيم ، قال : فنخروا نخرةً ، فأومى بيده أن اسكتوا ، ثمَّ قال : إنَّما جرَّبتكم كيف نصرتكم للتَّصرائية .

قال : فبعث إليَّ من الغد سرّاً ، فأدخلني بيتاً عظيماً فيه ثلاث مئة وثلاث عشرة صورة ، فإذا هي صورُ الأنبياء والمرسلين . قال : انظر أين صاحبك من هؤلاء ؟  
قال : فرأيت النَّبِيَّ ﷺ كأنه ينطق .  
قلت : هذا .

قال : صدقت .  
فقال : صورةٌ من هذا عن يمينه ؟  
قلت : رجلٌ من قومه يُقال له أبو بكر الصَّدِّيق .  
قال : فمن ذا عن يساره ؟  
قلت : رجلٌ من قومه يُقال له عمر بن الخطَّاب .

قال : أمَّا إنَّه نجدُ في الكتاب أنَّ بصاحبيه هذين يتمم الله هذا الدين . فلمَّا قدمتُ على النَّبِيِّ ﷺ أخبرتهُ فقال : « صدَّق ، بأبي بكر وعمر يتممُ الله هذا الدين بعدي ، ويفتح » . « مختصر تاريخ دمشق » ( ١٦٢ / ٨ ) .

وكان إرسال الكتاب لقيصر سنة ست من الهجرة النَّبَوِيَّة الشَّرِيفَة ، وذلك بعد رجوع الحبيبِ الأعظم ﷺ من الحُدَيْبِيَّة ، وكان وصوله إليه في المحرم سنة سبع من الهجرة ، وكان إرساله مع سيِّدنا دحية الكلبي - رضي الله عنه - . وقيل : إنَّ النَّبِيَّ ﷺ كتب لقيصر من تبوك في السَّنة التَّاسعة ، وجمع بينهما بأنَّه كتب لقيصر مرَّتَيْن ؛ والله تعالى أعلم .



فانطلق الرَّجُلُ به ، فوافقَ قيصر وهو يأتي بيت المقدس ، قد جُعِلَ له بساط لا يمشي عليه غيره ، فرمى بالكتاب على البساط ، وتنحى ؛ فلَمَّا انتهى قيصر إلى الكتاب ، أخذه ، ثم دعا رأس الجائليق ، فأقرأه ، فقال : ما علمي في هذا الكتاب إلا كعلمك ، فنادى قيصر : من صاحب الكتاب فهو آمن ، فجاء الرَّجُل ، فقال : إذا أنا قدمت فائتني ، فلَمَّا قدم أتاه ، فأمر قيصر بأبواب قصره فغلقت ، ثم أمر منادياً ينادي : ألا إنَّ قيصر قد أتبع محمداً ، وترك النَّصرانية ، فأقبل جنده وقد تسلَّحوا حتَّى أطافوا بقصره ، فقال لرسولِ رسولِ الله ﷺ : قد ترى أنَّي خائف على مملكتي .

ثمَّ أمر منادياً فنادى : ألا إنَّ قيصر قد رضي عنكم ، وإنَّما خبركم لينظر كيف صبركم على دينكم ، فارجعوا فانصرفوا .

وكتب قيصرُ إلى رسولِ الله ﷺ : إنِّي مسلم ، وبعث إليه بدنانير .

فقال رسولُ الله ﷺ حين قرأ الكتاب : « كذب عدوُّ الله ، ليس بمسلم ، وهو على النَّصرانيَّة » وقسم الدنانير « (١) » .

(١) أخرجه ابنُ جَبَّان في « صحيحه » برقم : ( ٤٤٨٧ ) في باب : « ذكر الإباحة للإمام قبول الهدايا من المشركين إذا طمع في إسلامهم » . وسند الحديث صحيح .

وقال ابنُ قَيِّم الجوزيَّة رَحِمَهُ اللهُ عن هذا الأمر : « وبعث ﷺ دحية بن خليفة الكلبيِّ إلى قيصر ملك الرُّوم ، واسمه هرقل ، وهمَّ بالإسلام وكاد ، ولم يفعل ، وقيل : بل أسلم ، وليس بشيء » . « زاد المعاد » ( ١ / ١٢٠ - ١٢١ ) .

وأورد ابنُ قَيِّم الجوزيَّة رَحِمَهُ اللهُ في « الزَّاد » أسماء رسله ﷺ إلى الملوك فقال ما ملخصه : « فأولهم عمرو بنُ أميَّة الضَّمري ، بعثه إلى النَّجاشي ؛ وبعث دحية بن خليفة الكلبيِّ إلى قيصر ملك الرُّوم ، وبعث عبد الله بن حذافة السَّهميِّ إلى كسرى ، وبعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس ، وبعث شجاع بن وهب الأسديِّ إلى الحارث بن أبي شمير الغسانيِّ ملك البلقاء ، وبعث سَليط بن عمرو إلى هودَّة بن علي الحنفيِّ باليمامة ، فهؤلاء السِّتة قيل : هم الذين بعثهم رسول الله ﷺ في يوم واحد . =

\* وقبل أن نغادر هذه الفقرة ، دعونا نسرّح النظر في رياضِ هذه  
الأنفاس الأدبية التي تحكي ما فصلناه في الشطور السابقة :

قد أرسلَ الهادي لِقَيْصَرَ عاهل الرُّومِ الفَطين  
مع دحيةَ بنِ خليفةٍ هو من خيارِ المسلمين  
فيها يقولُ له الرَّسولُ مقالةَ النَّصحِ الأمينِ  
يا صَاحِ بِسْمِ اللَّهِ أبداً كلُّ قولي عن يقين  
مَنِّي إليك رسالةٌ وتحيّةٌ للمهتدين  
أُسلِمَ فعند اللهِ تلقى ضعُفَ أجرِ الآخرين  
وإذا أبيتَ فسوفَ تحمِلُ كُلاًّ إثمِ التَّابعين  
إنِّي لربِّ واحدٍ أدعوكَ ربَّ العالمين  
لا تعبدنَّ سوى الإلهِ مُخالفين المُشركين  
قرأ الرِّسالةَ ثمَّ نادى شُعبه كي يستين  
قال المنادي إنَّ قيصَرَ قد غدا في المسلمين

وبعث عمرو بن العاص إلى جيفر وعبد الله ابني الجندى الأزديين بعمان ،  
وبعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين ، وبعث المهاجر بن  
أبي أمية المخزومي إلى الحارث بن عبد كلال الحميري باليمن ، وبعث أبا موسى  
الأشعري ، ومعاذ بن جبل إلى اليمن ، ثم بعث بعد ذلك علي بن أبي طالب إليهم ،  
ووافاه بمكة في حجة الوداع ، وبعث جرير بن عبد الله البجلي إلى ذي الكلاع  
الحميري وذي عمرو ، وبعث عمرو بن أمية الضمري إلى مسيلمة الكذاب بكتاب ،  
وكتب إليه بكتاب آخر مع السائب بن العوام أخي الزبير فلم يُسلم ، وبعث إلى فروة بن  
عمرو الجذامي يدعوه إلى الإسلام ، فأسلم ، وبعث إليه ﷺ هدية مع مسعود بن  
سعد ، وهي بغلة شهباء يقال لها : فضة ، وفرس يقال له : الظرب ، وحمار يُقال  
له : يعفور ، وبعث أثواباً وقباء من سندس مُخَوَّص بالذهب فقبل ﷺ هديته ، وبعث  
عياش بن أبي ربيعة المخزومي بكتاب إلى الحارث ومسروح ونعيم بني عبد كلال من  
حمير ، والله أعلم . « زاد المعاد » ( ١ / ١٢٠ - ١٢٤ ) باختصار وتصرف .

الجنْدُ ثاروا بالسَّلاحِ لِيَبْطِشُوا كالمجرمين  
 فوراً تراجعَ ثمَّ قالَ فلا تَكُونُوا خائفين  
 قد شاءَ قيصرُ أن يراكم للمسيحِ مُتابعين  
 أبدى تأسُّفه لِدِحيةَ صارَ في خجلٍ مُبين  
 بل قالَ إنِّي مسلمٌ لكنَّ لملكي مُستكين  
 قال الرَّسولُ فإنَّ قيصرَ في عدادِ الكاذبين

\* عادَ سيِّدنا دحيةٌ من مهمَّته موقِّفاً بعد أن أداها بصدقٍ ونجاح  
 كبيرين<sup>(١)</sup> ، وبينما كان مقبلاً من عند قيصر - وكان قد أجازَه بمالٍ وكسوة -  
 لقيه ناسٌ من قبيلة جذام بأرض يُقال لها حِسمي ، فقطعوا عليه الطَّريق ،  
 وأصابوا كلَّ شيء كان معه ، ولم يتركوا عليه إلا ثوباً قديماً ، فجاء دحيةٌ

(١) تذكر مصادُرُ السِّيرة وأحداثها : « أنَّ رسولَ الله ﷺ قد كتبَ كتاباً لقيصر يدعوه إلى  
 الإسلام ، وبعثَ به دحية الكلبِي - رضي اللهُ عنه - ، وأمره أن يدفعه إلى قيصرَ ففعل  
 ذلك ؛ أي : بعد أن قالَ ﷺ : « مَنْ ينطلقُ بكتابي هذا ، فيسيرُ إلى هرقل وله  
 الجَنَّة ؟ » .

وقيل : أمرَ ﷺ دحية أن يدفعه إلى عظيم بصرى ، وهو الحارثُ ملك غسان  
 ليدفعه إلى قيصر . ولَمَّا انتهَى دحية - رضي اللهُ عنه - إلى الحارث أرسل معه عدي بن  
 حاتم - رضي اللهُ عنه - ليوصله إلى قيصر ، فذهب به إليه ؛ فقال قومه  
 لدحية - رضي اللهُ عنه - : « إذا رأيتَ الملكَ فاسجد له ، ثمَّ لا ترفع رأسك أبداً حتَّى  
 يأذن لك . فقال دحية - رضي اللهُ عنه - : لا أفعل هذا أبداً ، ولا أسجدُ لغير الله .  
 قالوا : إذن لا يؤخذ كتابك . فقال له رجل منهم : أنا أدلك على أمرٍ يؤخذ فيه كتابك  
 ولا تسجد له . فقال دحية - رضي اللهُ عنه - : وما هو ؟ قال : إنَّ له على كلِّ عتبة  
 منبراً يجلس عليه ، فضع صحيفتك تجاه المنبر فإنَّ أحداً لا يحركها حتَّى يأخذها ، ثمَّ  
 يدعو صاحبها ، ففعل دحية ذلك ، فلمَّا أخذ قيصر الكتاب وجدَّ عليه عنوان كتاب  
 العرب ، فدعا التُّرجمان الذي يقرأ العربيَّة ، وعلم ما هية الكتاب . « السِّيرة  
 الحليَّة » ( ٣ / ٢٨٣ - ٣٨٣ ) بشيء من التَّصرُّف .

رسول الله ﷺ قبل أن يدخل بيته ، فأخبره بما صنع معه الجذاميون في أرض حسمى ، فبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة إلى حسمى في خمس مئة رجل ، وردّ معه دحية ، حتّى نفّذوا المهمة بنجاح ، واستطاعوا أن يؤدّبوا هؤلاء ، ويرجعوهم إلى جادّة الصّواب (١) .

### أزاهير من مكارمه :

\* كان سيّدنا دحية بن خليفة الكلبيّ - رضوان الله عليه - ممّن يهدي إلى النبيّ ﷺ ، وممّن تصله الهدية النبويّة ، فقد ذكر ابن الأثير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ سَيِّدَنَا دَحِيَّةَ أَهْدَى لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَقَيْنِ فَلْبَسَهُمَا (٢) . وهذا الأثر مقتبس من سيّدنا دحية نفسه ؛ إذ قال : « أهديتُ لرسولِ الله ﷺ جبّةَ صوفٍ وحَقَيْنِ ، فلبسهما حتّى تخرّقا ، ولم يسألْ عنهما ذكيتا أم لا » (٣) .

\* وثبت في سير الصحابة وثنايا السيرة العطرة أنّ سيّدنا دحية - رضي الله عنه - قد أهدى إلى النبيّ ﷺ بغلة بيضاء ، ويوم فتح مكّة حمل النبيّ ﷺ عمّه العباس - رضي الله عنه - على هذه البغلة البيضاء التي كان أهداها إليه دحية الكلبيّ - رضي الله عنه - .

\* كما أورد ابن عساكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي « تَارِيخِهِ » عَنْ سَيِّدَنَا دَحِيَّةَ قَالَ : « قَدِمْتُ مِنَ الشَّامِ ، فَأَهْدَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَكَاهَةً يَابِسَةً مِنْ فَسْتَقٍ وَلَوْزٍ وَكَعَكٍ ، فَوَضَعْتَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ : « اللَّهُمَّ ائْتِنِي بِأَحَبِّ أَهْلِي إِلَيْكَ - أَوْ قَالَ : إِلَيَّ - يَأْكُلُ مَعِي مِنْ هَذَا » ، فَطَلَعَ الْعَبَّاسُ فَقَالَ : « ادْنِ يَا عَمَّ ، فَإِنِّي

(١) انظر : « السيرة الحلبية » ( ٣ / ١٧٩ ) ، و « زاد المعاد » ( ٣ / ٢٨٤ ) مع الجمع والتصرّف .

(٢) « أسد الغابة » ( ٢ / ٦ ) ترجمة رقم : ( ١٥٠٧ ) .

(٣) « مختصر تاريخ دمشق » ( ٨ / ١٦١ ) ، والحديث أخرجه الطبراني في « الكبير » ( ٤ / ٢٢٦ ) برقم ( ٤٢٠٠ ) ، وانظر : « سير أعلام النبلاء » ( ٢ / ٥٥٢ ) .

سألت الله أن يأتيني بأحب أهلي إليّ - أو إليه - يأكلُ معي من هذا ، فأتيت .  
فجلسَ فأكل .

\* وقال ابنُ عساكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أيضاً : « إِنَّ دحيةَ الكلبيِّ أهدى رسولَ الله ﷺ بغلته الشَّهباء . »

\* وجاء عن دحية - رضي الله عنه - أنه أخذ الهديةَ النبويةَ فقال : « أتني رسولُ الله ﷺ بقباطي ، فأعطاني منها قبطيةً ، فقال : اصدعها صدعَيْن ، فاقطعْ أحدهما قميصاً ، وأعطِ الآخر امرأتك لتختمر به . » فلَمَّا أدبرتُ قال : « وأمرِ امرأتك تجعل تحته ثوباً لا يصفُها » (١) .

\* كان سيِّدنا دحية - رضي الله عنه - جميلَ الصُّورة مليحاً ، وكان جبريل ﷺ ينزلُ في صورته ، وقد رآه عددٌ من الصَّحابةِ وأمَّهات المؤمنين على هذه الصُّورة ، وممن رآه أمنا عائشة ، وأمنا أم سلمة - رضي الله عنهما - .

\* قالت أمُّ سلمة (٢) - رضوان الله عليها - : « كان النَّبِيُّ ﷺ يحدثُ رجلاً ، فلَمَّا قام ، قال : « يا أمَّ سلمة ، مَنْ هذا ؟ » .

فقلتُ : دحية الكلبيِّ ، فلم أعلمْ أنَّه جبريل حتَّى سمعتُ رسولَ الله ﷺ

---

(١) « مختصر تاريخ دمشق » ( ٨ / ١٦٠ ) ، و« أسد الغابة » ( ٢ / ٦ ) ترجمة رقم : ( ١٥٠٧ ) ، والحديث أخرجه الطبراني في « الكبير » ( ٤ / ٢٢٥ ) ولفظه : أخذ رسولُ الله ﷺ قباطي ، فأعطاني قبطيةً ، فقال : « اصدعها صدعَيْن ، فاقطعْ أحدهما قميصاً ، وأعطِ الآخر امرأتك لتختمر بها » فلَمَّا أدبرتُ قال : « مُرِ امرأتك أن تجعلَ تحت صدعتها ثوباً لا تصفُها » . وقوله : « قبطية » : هي ثياب كتَّان بيض رفاق ، تُصنع في مصرَ ، وهي منسوبةٌ إلى القبط ، وجمعها : قباطي .

(٢) اقرأ سيرة أمنا أم المؤمنين أم سلمة - رضي الله عنها - في كتابنا : « نساء أهل البيت في ضوء القرآن والحديث » ( ص : ٢٤٣ - ٢٩٠ ) ، ط : ٦ ، فسيرتها إمتاع للأسماع ؛ ونزهة علمية مفيدة .

يحدّث أصحابه ما كان بيننا « (١) .

\* وعن سيّدنا أنس - رضي الله عنه - : « أنّ النَّبِيَّ ﷺ كان يقول : « يأتيني جبريل في صورة دحية » (٢) ، وكان دحيةً جميلاً بحيث إذا قدم ، لم تبقْ مُعَصِرٌ إلا خرجت تنظرُ إليه لجماله » (٣) .

\* قال الإمامُ الدَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ : « ولا ريب أنّ دحيةً كان أجمل الصّحابة الموجودين بالمدينة ، وهو معروفٌ ، فلذا كان جبريل ربّما نزلَ في صورته » (٤) .

\* وقال رجل لعوانة بن الحكم : « أجملُ النَّاسِ جرير بن عبد الله » فقال له عوانة : « أجملُ النَّاسِ مَنْ نزلَ جبريلُ على صورته - يعني : دحية الكلبِي - » (٥) .

\* إنّ نعمة الجمال (٦) والملاحة من أتم النعم وأجلّها على الإنسان ،

---

(١) انظر : « سير أعلام النبلاء » للدَّهَبِيِّ ( ٢ / ٥٥٣ ) .

(٢) المصدر السابق نفسه .

(٣) « تهذيب الأسماء واللغات » ( ١ / ١٨٥ ) ، و« مختصر تاريخ دمشق » ( ٨ / ١٦٣ ) ، و« المعصر » : الفتاة التي دنا حيضها ، وبلغت شبابها وأدركت ، وهذه يُقال لها معصر ، كما قيل للغلام : مراهق ؛ أي : راهق الاحتلام .

قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ في « النهاية » : « وإنّما خصَّ المُعَصِرَ بالذكر للمبالغة في خروج غيرها من النساء » .

(٤) « سير أعلام النبلاء » ( ٢ / ٥٥٤ ) .

(٥) « مختصر تاريخ دمشق » ( ٨ / ١٦٣ ) ، و« سير أعلام النبلاء » ( ٢ / ٥٥٤ ) ، وقرأ سيرة سيّدنا جرير بن عبد الله البجليّ في هذا الباب ؛ من هذا الكتاب .

(٦) أقول : « من الموصوفين بالجمال والحسن من رجال عصر النبوّة : سيّدنا جعفر بن أبي طالب - رضي الله عنه - ، وسيّدنا الحسن بن عليّ وأخوه الحسين - رضي الله عنهم - ، وقد استوفيت سيرة هؤلاء الأطهار في كتابي : « رجال أهل البيت في ضوء =

وخاصّة إذا اجتمع جمال الصّورة مع حسن الفعّال مع طيب المنبت والأصل والحسب الرّازكي .

\* وسيّدنا دحية - رضوان الله عليه - ممّن روى الحديث الشّريف عن الحبيب المصطفى ﷺ ، قال الدّهبيّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وغيره : « روى أحاديث ، ولدحية في مسند بقي بن مخلد ثلاثة أحاديث غرائب ، وحدث عنه : منصور بن سعيد الكلبيّ ، ومحمّد بن كعب القرظيّ ، وعبد الله بن شدّاد بن الهاد ، وعامر الشّعبيّ ، وخالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان » (١) .

\* قال ابن حجر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في « الإصابة » عن رواية سيّدنا دحية الكلبيّ ما محصّله ونتيجته وخلاصته : « يجتمع لنا عنه نحو السّنة . . . وقد روى التّرمذيّ من حديث المغيرة أنّ دحية أهدى إلى النّبيّ خُفَيْن فلبسهما ؛ وعند أبي داود من طريق خالد بن يزيد بن معاوية عن دحية قال : أهديتُ إلى النّبيّ ﷺ قباطي فأعطاني منها قبطيّة ، وروى أحمد من طريق الشّعبيّ عن دحية الكلبيّ قال : قلتُ : يا رسولَ الله ! ألا أحملُ لك حماراً على فرس ، فينتجُ

---

= القرآن والحديث . ومن الموصوفين بالجمال والحسن أيضاً : « الفضل بن العباس بن عبد المطلب ، وكان الفضل رجلاً وضيئاً ، قدم المدينة المنوّرة بعد الفتح .

وقد كان حبيّنا وشفيّعنا وسيّدنا رسول الله ﷺ أحسن النّاس ، وأجمل قريش ، وأكمل الخلق وأفضلهم ، وفي كتب السّمائل كثير من الوصف لشخصه الطّاهر ، وجماله الباهر ﷺ ، نرجو الله أن يحشرنا تحت لوائه ، وأن يسقينا من حوضه ، وأن يعفو عنّا بكرمه ورحمته إنّه غفّار توّاب » .

(١) « سير أعلام النّبلاء » ( ٢ / ٥٥١ - ٥٥٦ ) ، و« تهذيب التّهذيب » ( ٣ / ٢٠٦ - ٢٠٧ ) ، و« تهذيب الأسماء واللغات » ( ١ / ١٨٥ ) ، و« أسد الغابة » ( ٢ / ٦ ) ، و« تاريخ الإسلام » للدّهبيّ ( عهد معاوية بن أبي سفيان ، ص : ٤٩ ) وغيرها كثير .

لك بغلاً فتركبها؟ قال : « إنَّما يفعلُ ذلك الذين لا يعملون » (١) .

\* ومن المكارمِ الجليَّةِ والفضائلِ النَّبيلةِ التي تُضاف إلى سيِّدنا دحية - رضي الله عنه - ما رواه ابنُ سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بسنده عن مجاهد قال : « بعث رسولُ اللهِ ﷺ دحيةَ الكلبيِّ سريةً وحده » (٢) .

\* كما أنَّ سيِّدنا دحية من رجال عصر النَّبوةِ الفاتحينِ المجاهدين فقد شهد معركة اليرموك بالشَّام ، وكان أميراً على كردوس وقد نزلَ مدينةَ دمشق ، وسكنَ قريةَ المِرزة ، وعاش إلى خلافة سيِّدنا معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهم أجمعين - « (٣) .

\* وذكر ابنُ عساكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وغيره : أنَّ سيِّدنا دحية كان من الفاتحين ، ومن أمراء السَّرايا ، فقال : « وبعث يزيدُ بنُ أبي سفيان دحيةَ بن خليفة الكلبيِّ في خيلٍ بعد فتح دمشق إلى تدمر » .

\* وكان سيِّدنا دحية - رضي الله عنه - شديدَ التَّمسُّكِ بالسُّنةِ النَّبويَّةِ والهديِ المحمَّديِّ ، فقد أخرج أصحابُ كُتُب الحديث عن منصور الكلبيِّ : « أنَّ سيِّدنا دحية - رضي الله عنه - قد خرج من قريته بدمشق المِرزة إلى قَدْر قريةِ عقبة من الفسطاط ، وذلك ثلاثة أميال في رمضان ، ثمَّ إنَّه أفطر ، وأفطرَ معه ناسٌ ، وكره آخرون أن يفطروا ، فلمَّا رجَعَ إلى قريته ، قال : والله لقد رأيتُ اليوم أمراً ما كنتُ أظنُّ أنَّي أراه : إنَّ قوماً رغبوا عن هدي رسولِ اللهِ ﷺ وأصحابه - يقول ذلك للذين صاموا - ، ثمَّ قال عند

(١) « الإصابة في تمييز الصحابة » لابن حجر العسقلاني (١ / ٤٦٤) .

(٢) « الطَّبقات الكبرى » لابن سعد (٤ / ٢٥١) .

(٣) « مختصر تاريخ دمشق » (٨ / ١٥٩ - ١٦٠) وقوله « كردوس » : القطعة من الخيل العظيمة . و« المِرزة » : قرية كبيرة غناء في وسط بساتين دمشق من جهة الغرب ، وأضحت اليوم من أحياء دمشق المشهورة .



ذلك : اللهم اقبضني إليك « (١) .

\* ومن الأخبار المفيدة التي تخصُّ سيِّدنا دحية الكلبيّ - رضي الله عنه - ما ذكرته المصادر من أنّه نزلت فيه آية سورة الجمعة : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا ... ﴾ [ الجمعة : ١١ ] (٢) ، فكيف كان ذلك ؟

\* قال المفسِّرون : « نزلت هذه الآية بسبب أنّ رسول الله ﷺ كان قائماً على المنبر يخطبُ يوم الجمعة ، فأقبلت عيرٌ من الشَّام تحملُ ميرةً - وكان قد أصاب أهل المدينة الحاجة والجوع والغلاء - وصاحب أمرها دحية بن خليفة الكلبيّ ، قال مجاهد : وكان من عرفهم أن تدخل العيرُ المدينة بالطَّبلِ والمعازفِ والصِّياح من ورائها ؛ لكي تؤذَن النَّاسُ بقدوم التَّجَّارة والميرة ، فدخلت العير بمثل ذلك ، فانفضَّ أهلُ المسجد إلى رؤية ذلك وسماعه ، وتركوا رسولَ الله ﷺ قائماً على المنبر ، ولم يبقَ معه غير اثني عشر رجلاً ، قال جابرُ بن عبد الله - رضي الله عنهما - أنا أحدهم ، فنزلت هذه الآية ، فقال النَّبِيُّ ﷺ : « والذي نفسُ محمَّدَ بيده ، لو تتابعتم حتَّى لم يبقَ أحدٌ منكم لسال بكم الوادي ناراً » (٣) .

(١) أخرجه الطَّبْرانيّ ( ٢٢٤ / ٤ ) برقم : ( ٤١٩٧ ) وسنده حسن ، وأخرجه أبو داود برقم : ( ٢٤١٣ ) ، وانظر : « سير أعلام الثَّبلاء » ( ٢ / ٥٥٥ ) ، و« مختصر تاريخ دمشق » ( ٨ / ١٦٠ ) ، و« معرفة الصَّحابة » ( ٢ / ٢٣٧ ) ، وغيرها كثير .

(٢) انظر : « مختصر تاريخ دمشق » ( ٨ / ١٦٠ ) .

(٣) « تفسير ابن عطية » ( ص : ١٨٥٨ ) ، و« أسباب التُّزول » للواحديّ ( ص : ٣٥٢ ) ، و« تفسير القرطبيّ » ( ١٨ / ١٠٩ - ١١١ ) مع الجمع والتَّصَرِّف ، وانظر : « زاد المسير » ( ص : ١٤٣٧ ) ، و« روح المعاني » ( ٢٨ / ١٥٤ ) ، وغيرها كثير .

وقوله ﴿ أَنْفَضُوا ﴾ : تفرَّقوا عنك ، فذهبوا إليها ، والصَّمِيرُ للتَّجَّارة ، وإِنَّمَا =

\* قال ابنُ الجوزيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في « زاد المسير » : « قال المفسِّرون : كان الذي قدم بالتَّجارةِ دحية بن خليفة الكلبيِّ ، قال مقاتل : وذلك قبل أن يسلم . قالوا : قدم بها من الشَّام ، وضرب لها طبلٌ يُؤذَن النَّاسُ بقدمومها ، وكانت هذه عادتهم إذا قدمت عير . وكانت التَّجارةُ طعاماً ، وقيل : زيتاً . والمراد باللُّهُو : ضرب الطَّبلِ » (١) .

\* وقال أبو بكر ابن العربيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن سبب نزول الآية ( ١١ ) من سورة

= خَصَّتْ بردَ الضمير إليها ؛ لأنَّها كانت أهمُّ إليهم . وللمزيد من هذا انظر كتاب : « المستفاد من مبهمات المتن والإسناد » لأبي زرعة العراقيِّ ( ٣ / ١٥٣٩ - ١٥٤٢ ) برقم : ( ٦١٥ ) .  
(١) « زاد المسير في علم التفسير » ( ١٤٣٧ ) ، وانظر : « روح المعاني » للالوسيِّ ( ٢٨ / ١٥٤ ) .

قال الالوسيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في تعليقه على هذه الآية الكريمة : « وطعن الشَّيعةُ لهذه الآية الصَّحابة - رضي الله تعالى عنهم - ، بأنَّهم آثروا دنياهم على آخرتهم حيث انفضَّوا إلى اللُّهُو والتَّجارة ، ورغبوا عن الصَّلَاة التي هي عمادُ الدِّين ، وأفضل من كثيرٍ من العباداتِ ، لا سيما مع رسولِ الله ﷺ ، وروي أنَّ ذلك قد وقع مراراً منهم ، وفيه أنَّ كبارَ الصَّحابة كأيبي بكر ، وعمر ، وسائر العشرة المبشَّرين لم ينفَضُوا ، والقصة كانت في أوائل زمن الهجرة ، ولم يكن أكثر القوم تامَّ التحلِّي بحلية آداب الشريعة بعد ، وكان قد أصاب أهل المدينة جوعٌ وغلاءٌ سعر ، فخاف أولئك المنفضُّون اشتداد الأمر عليهم بشراء غيرهم ما يقتاتُ به لو لم ينفَضُوا ، ولذا لم يتوعَّدهم الله تعالى على ذلك بالنَّار أو نحوها ، بل قصارى ما فعل سبحانه أنه عاتبهم ووعظهم ونصحهم ، ورواية أنَّ ذلك وقع منهم مراراً إن أريد بها رواية البيهقيِّ في « شعب الإيمان » عن مقاتل بن حيان أنَّه قال : بلغني والله تعالى أعلم أنَّهم فعلوا ذلك ثلاث مرَّات ، فمثل ذلك لا يلتفت إليه ، ولا يعول عند المحدثين عليه ، وإن أريد بها غيرها فليُبيِّن ولتثبت صحَّته ، وأنى بذلك ؟ ! والجملة الطَّعن بجميع الصَّحابة لهذه القصة التي كانت من بعضهم في أوائل أمرهم ، وقد عقبها منهم عبارات لا تُحصى سَفَهٌ ظاهر وجهل وافر » . « روح المعاني » ( ٢٨ / ١٥٧ ) .

الجمعة : « نزلت مع دحية الكلبي تجارةً بأحجار الزيت <sup>(١)</sup> فضربوا طبلهم ، يعرفون بإقبالهم ، فخرج إليهم الناس بمثله ، فعاتبهم الله ونزلت الآية ، وقال النبي ﷺ : « لو تفرَّق جمعهم لسال الوادي عليهم ناراً » <sup>(٢)</sup> .

\* ولسيدنا دحية بن خليفة الكلبي أخبارٌ وضيفةٌ كهيئته وشكله ، وهي مثورةٌ في ثنايا المصادر المتنوعة التي ترجمت لأصحاب النبي ﷺ ؛ وقد أوردنا منها شذرات تبلُّ الصدى ، وتوضح صورة هذا الصحابي الجليل الجميل الذي لم ينل ترجمةً وافيةً من الكتاب المعاصرين في حدود علمي وإطلاعي .

\* عاش سيدنا دحية الخلافة الراشدة كاملةً ، وشطراً من خلافة سيدنا معاوية - رضي الله عنه - ، ووافته المنية سنة ( ٥٠ هـ ) في دمشق بقرية المزرة غربي دمشق <sup>(٣)</sup> ، وقد شهد عددٌ جماً من الأعيان وفاته ، وودَّعوا واحداً من

---

(١) « أحجار الزيت » : موضعٌ في المدينة المنورة قريب من الزوراء ، كان يبرزُ إليه النبي ﷺ إذا استسقى ، وتقع غرب المسجد النبوي ، حيث كان يقع سوق المدينة في صدر الإسلام .

(٢) « أحكام القرآن » لابن العربي ( ٤ / ١٨٠٩ ) . وقال القرطبي معللاً أسباب نزول هذه الآية الكريمة : « إنَّ الذي قدم بها - أي : بالتجارة - دحية بن خليفة الكلبي من الشام عند مجاعةٍ وغلاءٍ سعر ، وكان معه جميع ما يحتاج الناس من برٍّ ودقيقٍ وغيره ، فنزل عند أحجار الزيت ، وضرب بالطبل ليؤذن الناس بقدومه ، فخرج الناس إلا اثني عشر رجلاً كانوا في خطبة الجمعة ، فانفضوا إليها » . « تفسير القرطبي » ( ١٨ / ١٠٩ ) . وذكر بعض العلماء أنه بقي مع النبي ﷺ العشرة المبشرون بالجنة ؛ وبلال ، وعبد الله بن مسعود ، وأعمار بن ياسر ، والله أعلم .

(٣) « الإشارات إلى أماكن الزيارات ، المسمَّى زيارات الشام » لابن الحوراني ( ص : ١٢٤ ) ، و« مختصر تاريخ دمشق » ( ٨ / ١٦٠ ) ، و« سير أعلام النبلاء » ( ٢ / ٥٥١ ) ، و« الاستيعاب » ( ١ / ٤٦٤ ) ، وغيرها كثير .

ومن الجدير بالذكر أنَّ الشيخ عبد الغني النَّابلسي قد أكَّد في مصنَّفه « الحقيقة =

فضلاء الصَّحابة الأخيار الذين توفي رسولُ الله ﷺ وهو راضٍ عنهم .

\* رضي الله عن سيِّدنا دحيةَ بن خليفة الكلبِيِّ الصَّحابي الجميل  
الجليل ، ورضي الله عن الصَّحابة أجمعين وحشرنا في معيَّتهم وجعلنا بأحسن  
مقيل .



= والمجاز في رحلة بلاد الشَّام ومصر والحجاز « على أن قبر سيِّدنا دحية الكلبِيِّ بقرية  
المِرَّة في دمشق فقال : « وُزِّنا قبرَ دحية الكلبِيِّ الصَّحابيِّ الجليل ، على حسب ما هو  
بين أهل تلك القرية مشهور ، والرَّاجح أنه مدفون في بلادنا دمشق الشَّام في قرية  
المِرَّة . . . . . وليس في الصَّحابة من اسمه دحية سواه . . . . . والظَّاهر من العلماء أنه دُفِنَ  
في هذه القرية « المِرَّة » ؛ لأنَّه كان يسكنها .

وقال الحافظ ابن حجر العسقلانيّ رَحِمَهُ اللهُ في ترجمة دحية : وقد نزلَ دمشق ،  
وسكن المِرَّة ، وعاش إلى خلافة معاوية - رضي الله عنه - . « الحقيقة والمجاز »  
( ١١٠ / ١ ) بشيء من التَّصوُّف والاختصار .

ومن الجدير بالذكر أيضاً أن الشَّيخ عبد الغني النَّابلسيَّ أوردَ في زيارته للبلاد  
المصريَّة بأنَّه التقى عند قبة الإمام الشَّافعيِّ بالشَّيخ محمَّد الكلبِيِّ من ذرية دحية الكلبِيِّ  
الصَّحابي المشهور ، وهو رجلٌ من الصَّالحين ، له النَّظَر والخدمة في مزارِ الإمام  
الشَّافعي !!

أقول : « إنَّ سيِّدنا دحية لم يُعقب ، وكان بعضُ النَّاسِ ينتسبون إليه ، ولذلك  
قال ابن عُنين يعرفُ بذلك ويعرِّضُ بابن دحية المكنى « أبو الخطَّاب ابن دحية » :

دحيةٌ لم يُعقبَ فلمَ تعترِني إليه بالبهتانِ والإفكِ  
ما صحَّ عند النَّاسِ شيءٌ سوى أنَّك من كلبٍ بلا شكٍ  
« نفع الطَّيب » ( ٣ / ١٣٦ - ١٣٧ ) بتصوُّف .

وللمزيد من أخبار ابن دحية هذا اقرأ ما كتبَ عنه الدَّهبيُّ في « سير أعلام  
النبلاء » ( ٢٢ / ٣٨٩ - ٣٩٥ ) ففي ذلك فوائد جلييلة إن شاء الله تعالى .

# سُرَاقَةُ بِنُ مَالِك

رضي الله عنه

- \* لحق النَّبِيُّ ﷺ أَيَّامَ الْهَجْرَةِ لِيَقْتُلَهُ أَوْ يَأْسِرَهُ ؛ فَأَسْلَمَ .
- \* وَعَدَّهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَلْبَسَ سَوَارِي كَسْرِي .
- \* رَوَى ( ١٩ حَدِيثًا ) ؛ وَلَقِيَ اللَّهَ فِي أَوَّلِ خِلَافَةِ عَثْمَانَ سَنَةَ ( ٢٤ هـ ) .

رقع  
عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس  
[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

## سُرَاقَةُ بِنُ مَالِك رضي الله عنه

### نُورُ الإِسْلَامِ :

\* أخذ الإسلامُ ينتشرُ في القبائلِ المحيطةِ بمكَّةَ بفضلِ مبادئهِ القويمةِ السَّمحةِ ، وكان الصَّادِقُ المصدوقُ ﷺ الذي اصطفاه اللهُ - عزَّ وجلَّ - لتبليغِ رسالتهِ في مكَّةَ يحتملُ في صبرٍ ومصابرةِ السُّخريَّةِ والاستهزاءِ والتَّكذيبِ ، يشاطرُهُ في هذا الأمرِ الذين اتَّبَعُوهُ ، ومع هذا كلُّه كان الإسلامُ نوراً يتسلَّلُ إلى أفئدةِ الذين أراد اللهُ بهم خيراً ، وكان الكافرونِ يحاولونِ جاهدين أن يطفؤوا نورَ اللهِ بأفواههم ؛ ويأبى اللهُ إلا أن يتمَّ نوره ولو كرهَ المشركونِ .

\* كان الحبيبُ المصطفى ﷺ يسعى دائماً ليلقيَ أضواءَ الاستنارةِ الرُّوحيةِ على كلِّ عملٍ من أعمالِ أتباعه ، وأن يغرسَ في نفوسهم ووجدانهم كلَّ ما يقربهم إلى اللهِ - عزَّ وجلَّ - ، مهما كان الموقفُ ، وبالتالي ينتظمُ في سلكِ الإسلامِ مَنْ تَصَلُّهُ الدَّعوةُ بشكلٍ مباشرٍ من الحبيبِ المصطفى ﷺ ، وهذا ما حدثَ في واحدٍ من المواقفِ الحرجةِ الصَّعبةِ ، ولكنَّ الرَّجَلَ أصغى إلى الحقِّ والسَّنةِ ، وكُتِبَ من السُّعداءِ .

\* هذا الرَّجَلَ الذي عرفَ الحقَّ في ساعةِ نورانيةِ صافيةِ هو سُراقَةُ بنُ مالكِ بنِ جعشمِ أبوسفيانِ المدلجيِّ الحجازيِّ الصَّحابيِّ<sup>(١)</sup> ، وهو من

(١) «الرَّوَضُ الْأَنْفُ» (٢ / ٢٣٣) ، و«ثَمَارُ الْقُلُوبِ» (ص : ٦٦ - ١٢٠) ، =

مشهوري الصحابة ، كان ينزلُ قُديداً بين مكة والمدينة ، وقيل : سكن مكة ، ويُعدُّ في أهل المدينة .

\* كان سراقه بن مالك من قبيلة عرفت بالقيافة ، والقيافة علمٌ اختصت به العرب من بين سائر الأمم ، وهو إصابة الفراسة في معرفة الأشياء في الأولاد ، والقربات ، ومعرفة الآثار ، وهي في كنانة أكثر منها في غيرها ؛ وبنو مدلج القافة منهم ، وما ظنك بقوم يُلحقون الأسود بالأبيض ، والأبيض بالأسود ، والوضيء بالدميم ، والدميم بالوضيء ، والطويل بالقصير ، والقصير بالطويل ! فمنهم : سراقه بن مالك المدلجي ، أخرجه أبو سفيان ليقْتاف أثر رسول الله ﷺ حين خرج إلى الغار مع أبي بكر - رضي الله عنه - ، فلما رأى أثر قدمه ، قال : « أمّا محمّد فإني لم أراه ، ولكن إن شئتم أن ألحق هذا الأثر » .

قالوا : « فالحقّه » .

قال : « هو أشبه شيء بالأثر الذي في مقام إبراهيم » .

فضرب أبو سفيان بكُمه على الأرض ليعفوَ الأثر ، وقال : « قد خرف الشيخ » (١) .

= و« تهذيب الأسماء واللغات » ( ١ / ٢٠٩ - ٢١٠ ) ، و« أسد الغابة » ( ١ / ١٧٩ - ١٨١ ) ترجمه رقم : ( ١٩٥٥ ) ، و« الاستيعاب » ( ٢ / ١١٨ - ١٢٠ ) ، و« الإصابة » ( ٢ / ١٨ - ١٩ ) ، و« تاريخ الإسلام » ( عهد الخلفاء الراشدين ، ص : ٣٠٨ - ٣٠٩ ) ، و« دلائل النبوة » للأصبهاني ( ٢ / ٤٢٨ - ٤٣٥ ) ، و« البرصان والعرجان » ( ص : ٧٧ - ٧٨ ) ، و« شرح حياة الصحابة » ( الفهارس : ٤ / ٧٧١ ) وغيرها كثير .

(١) « ثمار القلوب » ( ص : ١٢٠ - ١٢١ ) بتصرف يسير . وممن اشتهر بالقيافة في عصر النبوة : مجز بن الأعور بن جعدة المدلجي ، الصحابي ، دخل على رسول الله ﷺ ، فرأى زيد بن حارثة ، وأسامة بن زيد قد ناما في قطيفة ، وغطيا =



\* كانت هذه الأحوال جميعها أيام الهجرة النبوية إلى المدينة المنورة ؛ إذ حدّد الوحي غار ثور منطلقاً للهجرة ، وتمّ ضرب الموعد مع الدليل إلى المدينة في ذلك المكان ، وكان خروج رسول الله ﷺ وصاحبه أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - للغار ليلاً ، وقد حمل سيّدنا أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - ثروته كلّها حتّى تظّلّ تحت تصرّف الصادق المصدوق ﷺ . روى هذا الخبر الحاكم رحمه الله بإسناد حسن إلى أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنها - قالت : « لما توجه رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة ومعه أبو بكر ، حمل أبو بكر معه جميع ماله خمسة آلاف ، أو ستة آلاف درهم . . . . » (١) .

« أخف عتاً يا سراقاً » :

\* إنّ قصة سيّدنا سراق بن مالك المدلجيّ من قصص السيرة النبوية الشهيرة الجميلة ، ولا تكاد تُذكر أحداث الهجرة إلا تُقرنُ بها قصة سراق بن مالك ؛ ولحاقه بالحبیب الأعظم ﷺ ؛ ابتغاء الجائزة القرشية الثمينة المغربية آنذاك ، وفي الحقيقة كسب سراق جائزة مضاعفة أعظم بكثير من الجائزة التي جعلتها قريش لمن يدلّ على محمّد ﷺ ، فقد انتظم سراق في سلك دُرر الصحابة ، وهذا من أعظم الكسب والثروة والجواهر والدرر ؛ إذ فيه النجاة

= رؤوسهما ، وبدت أقدامهما ، فقال : « إنّ هذه أقدام بعضها من بعض » ، فسرّ بذلك رسول الله ﷺ .

ومن جميل الشعر ومليحه في القيافة قول أبي محمّد بن مطران الشاشي في أخوين متفاوتين :

بين أخلاقك التي هي أخلاق وأخلاقه العتاق مسافه  
ولعمري لفي ادعائك إيّاهُ كمن رام إبطال علم القيافة

(١) أخرجه الحاكم (٣ / ٦) برقم : (٤٢٦٧) وقال : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه » .

والفوزُ بجَنَاتٍ ونَهْرٍ ، والأمر الآخر أَنَّ الحبيبَ الأعظم ﷺ بَشَّرَهُ بِأَنَّهُ سَيَلْبِسُ سِوَارِي كَسْرِي عَظِيمِ الْفَرَسِ ؛ وقد تحقَّقَ ذلك الأمرُ في العهدِ الرَّاشِدي إِبَّانَ الخِلافةِ العُمريَّةِ المباركة ، كما سنعرِّفُ من خلالِ سيرة سيِّدنا سِراقة - رضي اللهُ عنه وعن الصَّحابةِ أجمعين وحشرنا في زميرتهم - .

\* إِنَّ سيرة سِراقةَ مفعمةٌ بالدروسِ العظيمة ، وفيها كثيرٌ من الدلائلِ القويمة ، وعجائبِ الإعجازِ التي أكرم اللهُ - عزَّ وجلَّ - بها نبيَّه محمَّداً ﷺ ، كما فيها من الآياتِ الباهرة ، والعجائبِ الكونيَّةِ الظَّاهرة ؛ ما يشيرُ إلى حفاوةِ اللهِ - عزَّ وجلَّ - بنبيِّه ﷺ ، وحمايته ونصرته بما لا قيل لأحدٍ من الخلق أن يصنعه ، أو أن يقومَ به أو يختاره .

\* استوتُ قصَّةُ سِراقةَ على سُوقها يومَ الهجرة ، حينما خرجَ رسولُ اللهِ ﷺ من مكَّةِ المكرمةِ يشقُّ طريقَه مع صاحبه أبي بكرِ الصِّديقِ - رضي اللهُ عنه - عبر الصَّحراءِ والهضابِ والجبالِ ، ليقيمَ دولةَ الإسلامِ في أرضِ طَيِّبَةِ الطَّيِّبَةِ التي هيأها اللهُ - عزَّ وجلَّ - له ، وهيأَ فيها رجالاً كراماً صدقوا ما عاهدوا اللهُ عليه ، فكانوا حُرَّاسَ الوحي ، وأمناءَ الحبيبِ الأعظمِ ﷺ ، وسادةً من خيارِ السَّاداتِ ؛ فأكرمَ بهم !

\* علمت قريشٌ بالهجرةِ النَّبويَّةِ ، فأخذها ما قرَّبَ وبُعَدَ ، وكاد يقضي عليها الأسيُّ ، وامتلأ قلبها بالحسرة ؛ إذ فاتتها دقائق هذه الهجرة ؛ ومن ثمَّ أعلنت عن مكافأةٍ عظيمةٍ لمن يتمكَّنُ من قتلِ رسولِ اللهِ ﷺ وصاحبه ، أو مَنْ يستطيعُ أن يأسرهما ، أو يصدِّهما عن الهجرةِ إلى بلدِ النَّصرة .

\* لم تفلحَ قريشٌ في هذا الأمرِ ، وأخفقت في محاولتها في أن تعثرَ على رسولِ اللهِ ﷺ وصاحبه ، وأخزأها اللهُ - عزَّ وجلَّ - وأعمى بصرَ فرسانها وبصيرتهم ، وقد وصلوا إلى الغارِ الذي احتوى في داخلهِ الحبيبِ المصطفى ﷺ ، مع أحبِّ النَّاسِ إليه أبي بكرٍ - رضي اللهُ عنه - ، فقد كانت السَّكينةُ تنزلُ عليهما ، فيمحو اللهُ بها آثارَ القلقِ والخوفِ ، وهذا ما أكَّده الصِّديقُ الأكبرُ - رضي اللهُ عنه - ؛ إذ قال فيما رواه البخاريُّ رَحِمَهُ اللهُ بسنده

عنه : « كنتُ مع النَّبِيِّ ﷺ في الغار ، فرفعتُ رأسي ، فإذا أنا بأقدام القوم ، فقلتُ : يا نبيَّ الله ! لو أنَّ بعضَهم طأطأَ بصره رأنا . »

قال : « اسكتْ يا أبا بكر ! اثنان اللهُ ثالثهما » (١) .

\* ولم يأخذ أحدُ الجائزة القرشيَّة ، أمَّا سراقَةُ بنُ مالك فقد روى بعد إسلامه قصَّة تلك المغامرة العجيبة ، وركوبه الأهوال ؛ بغية أن يحظى بالجائزة وهي مئة ناقة ، ويدلَّ على مُحَمَّدٍ ﷺ أو يتتبع أثره ، وقد فعل ؛ لكنَّه بعد أن عرف الحقَّ ولمسهُ وأبصرهُ ؛ صار يردُّ النَّاسَ عن طريقِ رسولِ الله ﷺ ويضللُّهم ، وعزفَ عن المكافأة المُغرية التي يسيلُ لها لعاب الطَّامعين ، وتدابِعُ أحلامِ الكثيرين ، وتهفو إليها قلوب الفارغين .

\* ولا بأسَ أن نجلوَّ العيون بحديث سيِّدنا سراقَةَ بن مالك - رضي الله عنه - ، ونجلوَّ القلوب أيضاً ونحن نمتعُّ الأسماع بالقصَّة الشائقة التي أخرجها البخاريُّ رَحِمَهُ اللهُ في « صحيحه » بسنده إلى سراقَةَ بن مالك بن جعشم المدلجيِّ - رضي الله عنه - ؛ إذ يقول : « جاءنا رسلُ كُفَّار قريش ، يجعلون في رسولِ الله ﷺ ، وأبي بكر دية كلِّ واحد منهما لمن قتلَه أو أسره . فبينما أنا جالسٌ في مجلسٍ من مجالس قومي بني مُدَلج ؛ إذ أقبل رجلٌ منهم حتَّى قام علينا ونحن جلوسٌ ، فقال : يا سراقَةُ ! إنِّي رأيتُ أنفاً أسودَةً بالسَّاحل أراها محمَّداً وأصحابه . »

قال سراقَةُ : فعرفتُ أنَّهم هم ، فقلتُ له : إنَّهم ليسوا بهم ، ولكنَّك رأيتَ فلاناً وفلاناً انطلقوا بأعيننا .

---

(١) أخرجهُ البخاريُّ في مناقب الأنصار برقم : ( ٣٩٢٢ ) ، وما أجمل قول القائل في هذا المقام النَّفيس في أبي بكر - رضي الله عنه - :

وفي الغار ثاني اثنين والله ثالثٌ  
بنصِّ كلامِ الله في محكم الذِّكْرِ  
بصحبته ربُّ البرية شاهدٌ  
وذلك عند الله من أعظم القدر !

ثم لبثت في المجلس ساعة ، ثم قمّت فدخلت ، فأمرت جاريتي أن تخرُجَ بفرسي - وهي من وراء أكمة - فتحبسها عليّ ، وأخذت رمحي ، فخرجتُ به من ظهر البيت ، فخططتُ بزُجّه الأرض ، وخفضتُ عاليه ، حتّى أتيتُ فرسي فركبتُها ، فرفعتها تقربُ بي ، حتّى دنوتُ منهم ، فعثرتُ بي فرسي ، فخررتُ عنها ، فقمّتُ فأهويتُ يدي إلى كنانتي ، فاستخرجتُ منها الأزلامَ ، فاستقسمتُ بها : أضربهم أم لا ؟ فخرجَ الذي أكرهُ ، فركبتُ فرسي - وعصيتُ الأزلامَ - تقربُ بي ، حتّى إذا سمعتُ قراءةَ رسولِ الله ﷺ وهو لا يلتفتُ ، وأبو بكرٍ يكثرُ الالتفاتَ ، ساحتُ يدا فرسي في الأرض حتّى بلغنا الرُّكبتين ، فخررتُ عنها ، ثم زجرتها ، فنهضتُ فلم تكذُ تخرُجُ يديها ، إذا لأثر يديها عُثانٌ ساطعٌ في السماء مثلُ الدُّخان ، فاستقسمتُ بالأزلامَ ؛ فخرجَ الذي أكرهُ ، فناديتهم بالأمان ، فوقفوا ، فركبتُ فرسي حتّى جئتُهم ، ووقع في نفسي حين لقيتُ ما لقيتُ من الحبس عنهم أن سيظهرُ أمر رسولِ الله ﷺ ، فقلت له : إنَّ قومك قد جعلوا فيك الدِّيةَ ، وأخبرتُهم أخبار ما يريدُ النَّاسُ بهم ، وعرضتُ عليهم الرِّادَ والمتاعَ ، فلم يرزاني ، ولم يسألاني ، إلا أن قالَ : « أخفِ عَنَّا » .

فسألته أن يكتبَ لي كتابَ أمِنَ ، فأمرَ عامرَ بنَ فُهيرةَ ، فكتبَ في رقعةٍ من آدم ، ثم مضى رسولُ الله ﷺ « (١) » .

(١) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار برقم : ( ٣٩٠٦ ) ، ومسلم برقم : ( ٢٠٠٩ ) ، والطبراني في « الكبير » ( ٧ / ١٣٢ - ١٣٣ ) برقم : ( ٦٦٠١ ) ، وانظر : « صحيح السيرة النبوية » ( ص : ١٧٦ - ١٧٧ ) ، و« سبل الهدى والرِّشاد » ( ٣ / ٣٥١ - ٣٥٣ ) ، و« الاستفادة من مبهمات المتن والإسناد » لأبي زرعة العراقي ( ١ / ١٢٠٣ - ١٢٠٥ ) برقم : ( ٤٦١ ) ، وغيرها ممَّا لا يحصى .

ومعنى قوله « دية كل واحد » : أي : مئة من الإبل . و« رأيت أنفأ » : في هذه الساعة . و« أسودة » : جمع سواد ، وهو الشَّخص . و« انطلقوا =

بأعيننا» : في نظرنا معاينة يبتغون ضالة لهم . و«أراهما» : أظنهما .  
و«أكمة» : رابية . و«فخططت» : أمسكت بأعلاه وجعلت أسفله في الأرض .  
و«زجه» : الرُّج : بضم الزَّاي : الحديدة التي في أسفل الرِّمح . و«خفضتُ  
عاليه» : أي : أمسكه بيده وجرَّ زجه على الأرض فخطها به لثلا يظهر بريقه لمن بُعد  
منه ؛ لأنَّه كره أن يتبعه منهم أحد فيشركه في الجعالة . و«فرفعتها» : أسرعت بها  
السَّير . و«تقرب بي» : التقريب : السَّير دون العدو وفوق العادة ، وقبل أن ترفع  
الفرس يدها معاً وتضعهما معاً . و«فأهويتُ يدي» : بسطتها للأخذ .  
و«كنانتي» : الكنانة : وعاء من جلد يُجعل فيه السَّهام . و«الأزلام» : الأقداح  
وهي السَّهام التي لا ريش لها ولا نصل . ومفرد الأزلام : زلم . و«فخرج الذي  
أكره» : أي : لاتضرهم . و«ساخت» : غاصت . و«عثان» : دُخان ، أو شبه  
الدَّخان . وقال أبو عمرو بن العلاء : «العثان الدَّخان من غير نار» .  
و«يرزاني» : لم ينقصاني مما معي شيئاً . و«أخفِ عنا» : استر الخبر لمن سألك  
عنا . و«كتاب أمن» : يعني : كتاباً يكون علامةً بيني وبينك . و«أدم» : خرقة .  
وسنقرأ الآن التَّغريدة التي تتحدَّث عن سراقَةَ بنِ مالك وهو يلحقُ برسول الله ﷺ  
يوم الهجرة المباركة :

فَقَدْتُ قَرِيشٌ رَشْدَهَا إِذْ فَاتَهَا الصَّيْدُ الثَّمِينُ  
فَلَقَدْ تَفَجَّرَ غِيظُهُمْ مِنْ وَاقِعِ الْحَقْدِ الدَّفِينِ  
قَدْ أَعْلَنُوا جُمَلًا سَخِيبًا مَغْرِبًا لِلرَّاعِبِينَ  
مِنَّةٌ مِنَ الثُّوقِ الْعَطَاءِ لِمَنْ أَتَاهُمْ بِالْأَمِينِ  
الْجُعْلُ قَدْ أَغْرَى سَرَاقَةَ مِثْلَ كُلِّ الطَّامِعِينَ  
وَعَلَى جِوَادِ سَابِقٍ قَدْ طَارَ يَدْفَعُهُ الْحَنِينِ  
لَمَّا رَأَى رُكْبَ الرَّسُولِ أَتَاهُ ظَنُّ الْغَانِمِينَ  
وَالنُّفْسُ صَارَتْ بِالْأَمَانِيِّ فِي حِسَابِ الْحَاسِبِينَ  
وَإِذَا الْجِوَادُ بِهِ كَبَا طَارَتْ أَمَانِي الْحَالِمِينَ  
سَاخَتْ قِوَامُهُ لِيَعْجِزَ عَنِ لِحَاقِ الرَّاحِلِينَ

\* وفي موضعٍ آخرَ بلفظٍ آخر ، أخرج البخاريُّ رَحِمَهُ اللهُ مِنْ حَدِيثِ سَيِّدِنَا أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ : « أَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ وَهُوَ مُرَدَّفٌ أَبُو بَكْرٍ ، وَأَبُو بَكْرٍ شَيْخٌ يُعْرَفُ ، وَنَبِيُّ اللهِ ﷺ شَابٌّ لَا يُعْرَفُ ، فِيلْقَى الرَّجُلَ أَبُو بَكْرٍ فَيَقُولُ : يَا أَبُو بَكْرٍ ! مَنْ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْكَ ؟

فَيَقُولُ : هَذَا الرَّجُلُ يَهْدِينِي السَّبِيلَ ؟ فَيَحْسَبُ الْحَاسِبُ أَنَّهُ إِنَّمَا يَعْنِي الطَّرِيقَ ، وَإِنَّمَا يَعْنِي سَبِيلَ الْخَيْرِ .

فَالْتَفَتَ أَبُو بَكْرٍ فَإِذَا هُوَ بِفَارِسٍ قَدْ لَحَقَهُمْ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ! هَذَا فَارِسٌ قَدْ لَحَقَ بِنَا ، فَالْتَفَتَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ فَقَالَ : « اللَّهُمَّ اصْرَعْهُ » فَصْرَعَهُ الْفَرَسُ ، ثُمَّ قَامَتْ تُحَمِّحُهُمْ ، فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللهِ ! مُرْنِي بِمَا شِئْتَ .

قال : « فِقِفْ مَكَانَكَ ، لَا تَتْرُكَنَّ أَحَدًا يَلْحَقُ بِنَا » .

قال : فَكَانَ أَوَّلُ النَّهَارِ جَاهِدًا عَلَى نَبِيِّ اللهِ ﷺ ، وَكَانَ آخِرُ النَّهَارِ مَسْلُحَةً لَهُ . . . . . (١) .

نادى على ركب الرسول وقال كونوا آمنين  
لكن أناشدكم كتاباً فيه أمن الخائفين  
ولقد أرد القوم عنكم إن أتوكم للاحقين  
حصل المغير على الكتاب وظل يخفيه السنين  
من يومها أمسى سراقاً في عداد المسلمين  
والركب وأصل سيره كانوا ليثرب ذاهبين

(١) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار برقم : ( ٣٩١١ ) . وقوله « مردف أبو بكر » : راكبٌ خلفه على راحلته . و« أبو بكر شيخ يُعرف » : يريد أنه قد شاب . و« يهديني السبيل » : يريد الهداية في الدين . و« هذا فارس » : هو سراق بن مالك . و« تحمحم » : الحمحمه : صوت الفرس دون صهيله . و« المسلحة » : القوة المدافعة .

أقول : « يحسن بنا أن نشير ههنا إلى ذكاء أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - ، =

\* وقد ترجم محمود سامي البارودي قصّة سُراقَة شِعْراً في قصيدته الميمية البديعة : « كَشَفَ الْعُمَّةَ فِي مَدْحِ سَيِّدِ الْأُمَّةِ » (١) التي افتتحها بقوله :

يا رائدَ البرقِ يَمُمُ دارةَ العَلَمِ      وأحُدَ الغَمَامِ إلى حَيِّ بذي سَلَمِ  
ثمَّ تعرَّضَ إلى قصَّةِ سُراقَة فتألَّقَ وأجَادَ لَمَّا قال :

فبينما هُوَ يَطْوِي البِيدَ أدركه      ركضاً سُراقَة مثلَ القَشَعِمِ الضَّرَمِ  
حَتَّى إذا ما دَنَا سَاخَ الجِوَادِ به      في بُرْقَةِ فِهْوَى للسَّاقِ والقَدَمِ  
فصَاحَ مُبتهلاً يَرجو الأمانَ ولو      مضى على عزمِهِ لأنْهَارَ في رَجَمِ

= وإلى حصافته عندما يُسأل : مَنْ هذا الرَّجُلُ الذي بين يديك ؟

فيقول - رضي الله عنه - : هذا الرَّجُلُ يَهْدِينِي السَّبِيلَ . وهذا من لطيف المعارض التي يخرج بها المتكلم عن مضائق السؤال دون أن يُشعر سائله بإعراض عن إجابته ، أو يطلع على سرٍّ من أسرار نفسه ، وهو مذهبٌ من أدقِّ مذاهب الأسلوب العربيِّ والطفه .

(١) وللشيخ يوسف التَّبَهَانِي رحمته الله همزيةُ أَلْفِيَّةٍ عنوانها : « طيبة الغرَاء في مدح سيِّد الأنبياء » عليه السلام ، وزانٌ بها همزيةُ البوصيريِّ المسمّاة : « أم القرى في مدح خير الورى » ، ومطلَعُها :

نورُك الكُلُّ والسورى أجزاء      يا نبيّاً مِنْ جُنْدِهِ الأنبياءِ  
وتحدّث من خلال هذه القصيدة الطويلة عن الهجرة إلى المدينة ، وساق قصّة سراقَة بن مالك ، فقال :

واقْتَفَاهَا سُراقَة لاسْتِراقِ الثُّو      رٍ مِنْهَا كَأَنَّهُ الجِرْبَاءِ  
وَعَدَّ النَّفْسَ بالثَّراءِ ولكِنْ      رَبٌّ فَقَرٍ أَشْرُ مِنْهُ الثَّراءِ  
صَيَّرَ العَخْسُفُ تحتَه الأرضَ بحراً      غرقت فيه سابعُ جرداءِ  
فقدى نفسه ببذلِ خضوع      حين منها لم يبقَ إلا الذمّاءِ  
وحبّاه وعداً بإسوارِ كسرى      فأتاه من بعد حينٍ وفاءِ

« المجموعة التبّهانيّة في المدائح النبويّة » ( ١ / ٢٠٥ ) .

وكيف يبلغُ أمراً دونَه وزرُّ من العناية لم يبلغه ذو نَسَم  
فكفَّ عنه رسولُ الله وهو به أدري وكم نَقَمٍ تَقْتَرُّ عن نِعَم

\* كما شاركَ أحمدَ محرَّم في صياغةِ قصَّةِ سُرَاقَة في هذا الموقفِ الحرجِ  
الخطير ، فأنشأ هذه الأبيات العذبة السَّهْلَة :

اتقِ الله يا سراقَةً وانظرْ هل ترى الأمرَ هيناً ميسورا  
أم تظنُّ الجواد تُمسكهُ الأُر ضُ وتلوي عنانَه مسحورا  
أم هو الله ذو الجلالِ رمَاه يُمسك الشَّرَّ راكضاً مُستطيرا  
غرَّكَ القومُ فانطلقتَ ترجيِّه خسيساً من الجزاءِ حقيرا  
وضحَ الحقُّ فاعتذرتَ وأولا ك الرَسُولُ الأمينُ فضلاً كبيراً  
فزتَ بالعهدِ فاغتنيمه وأبشُر بسواري كسرى فُديتَ البشيرا  
قلْ لأهلِ النَّياقِ أوتيتُ أجري جَلاماً فابتغوا سِوايَ أجيرا  
ليس مَنْ رامَ رفعةً أو سناءً مثلَ مَنْ رامَ ناقةً أو بعيرا<sup>(١)</sup>

« لا تحزن » :

\* « لا تحزن » همسةٌ حانيةٌ شافيةٌ من الحبيبِ المصطفى ﷺ  
لأبي بكرٍ - رضي الله عنه - ، عندما رأى سراقَةَ بنَ مالكٍ يتبعهم يومَ الهجرة ،  
فقد كان سراقَةَ من فرسانِ العرب المشهورين ، وخاف الصَّدِيقُ الأكبرُ من سراقَةَ  
على حبيبه وهاديه السَّبيلِ رسولَ الله ﷺ ، وخصوصاً لما غدا سراقَةَ قريباً منهما  
قَدْرُ رُمَحَيْنِ أو أكثر قليلاً ، وهلهنا هتفَ الحبيبُ الأعظمُ ﷺ قائلاً لِصَدِيقِهِ  
وصدِّيقِهِ : « لا تحزن إن الله معنا » .

\* ويكشفُ سيِّدنا أبو بكرٍ - رضي الله عنه - اللثامَ عن هذا الموقفِ  
المثير ، واقتربَ سُرَاقَةَ من الرِّكْبِ المهاجرِ فيقول : « وتبعنا سراقَةَ بنُ مالكٍ  
ونحنُ في جَلْدٍ ، فقلْتُ : يا رسولَ الله ! هذا الطَّلَبُ قد لحقنا .

(١) « ديوان مجد الإسلام » لأحمد محرَّم (ص : ٥٥ - ٥٦) .



قال : « لا تحزن إنَّ الله معنا » .

فلَمَّا دَنَا منا ، وكان بيننا وبينه قَدَرٌ رَمَحٍ ، أو رَمَحَيْنِ ، أو ثلاثة ،  
قلتُ : هَذَا الطَّلَبُ قد لحقنا ، وبكى .

قال ﷺ : « ما يبكيك ؟ » .

قلتُ : أما والله ما على نفسي أبكي ، ولكنني أبكي عليك » .

فدعا عليه رسولُ الله ﷺ فقال : « اللهم اكفناهُ بما شئتُ » .

فساخَتْ به فرسُه في الأرض إلى بطنها ، فوثبَ عنها ، ثمَّ  
قال : يا محمَّدُ ! قد علمتُ أنَّ هذا عمَلُكَ ، فادعُ الله أن ينجيني ممَّا أنا فيه ،  
فوالله لأعمينَّ على مَنْ ورائي من الطَّلَبِ ، وهذه كنانتي فخذُ منها سهمًا ،  
فإنَّكَ ستمرُّ على إبلي وغنمي بمكانٍ كذا وكذا ، فخذُ منها حاجتَكَ .

فقال رسولُ الله ﷺ : « لا حاجةَ لنا في إبلك وغنمك » .

ودعا له رسولُ الله ﷺ ، فانطلقَ راجعاً إلى أصحابه لا يلقى أحداً  
إلا قال : قد كُفيتُم ما ههنا ، ولا يلقى أحداً إلا ردَّه ، ووفى لنا <sup>(١)</sup> .

---

(١) « سُبُلُ الْهَدْيِ وَالرَّشَادِ » ( ٣ / ٣٥٤ ) ، وللحديث أصل في « الصَّحِيحِينَ » ،  
ومصادر أخرى كثيرة .

أقول : « أورد عدد من المصنِّفين قصيدة طويلة قوامها عشرون بيتاً زعموا أنَّ  
أبا بكر - رضي الله عنه - صاغها ، وهي تتحدَّثُ عن دخوله الغار مع رسول الله ﷺ ،  
وعن طلب سراقه لهم ، ومن هؤلاء المصنِّفين : أبو نعيم في « الدلائل »  
( ٢ / ٤٣٢ - ٤٣٣ ) ، والشَّهيد في « الرُّوضُ الْأَنْفُ » ( ٢ / ٢٣٤ ) ، والصَّالِحِي  
في « سُبُلُ الْهَدْيِ وَالرَّشَادِ » ( ٣ / ٣٥٤ - ٣٥٥ ) ، والصَّفَدِيّ في « مِئَةِ الْمِدْحِ »  
( ص : ١٤٥ - ١٤٨ ) ، وأوَّل هذه القصيدة :

قال النَّبِيُّ ولم أجزعُ يوقرنِي ونحنُ في شدَّةٍ من ظلمة الغار  
وهي قصيدة يظهرُ عليها التَّكَلُّفُ والنَّظْمُ والوَضْعُ ، ولم يثبت أنَّ =

\* وذكر ابن سعد رضي الله عنه عن زيد بن أسلم وغيره : « أن سراقَةَ بنَ مالك - رضي الله عنه - ركب في طلب النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، بعدما استقسم بالأزلام ؛ أيخرجُ أم لا يخرج ، فكان يخرجُ له أن لا يخرج - ثلاث مرَّات - فركبَ فَلَحقَهُم ، فدعا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أن ترسخَ قوائم فرسه ، فرسخت ، فقال : يا محمَّد ! ادعُ الله أن يطلقُ فرسي ، فأردَّ عنك .

فقال النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : « اللهمَّ إن كان صادقاً ، فأطلقْ له فرسه » .

فخرجت قوائمُ فرسه « (١) .

أبا بكر - رضي الله عنه - قال الشُّعر في الجاهليَّة ولا في الإسلام ، وقد أحببتُ أن أنوِّه إلى هذا الأمر طلباً للفائدة وإحفاقاً للحقِّ ، وحبّاً للعلم .

ومن الجدير بالذكر أن أبا نعيم قد أوردَ قصيدةً أخرى زعم أن أبا بكر أنشدها ، وموضوعها نفس موضوع القصيدة السَّابقة ، ومطلعها :

ألم ترني صاحبُ أيمَنَ صاحبٍ      على واضح من سنَّة الحق منهجٍ  
ومنها يذكر قصَّة سراقَةَ :

فقد زادَ نفسي واطمأنتُ وآمنتُ      به اليوم ما لاقى جوادُ ابن مدلجٍ  
سراقَةُ إذ يبغني علينا وليدهُ      على أعوجي كالهراوة مدلجٍ  
فَسَاخَتْ بهنَّ الأرضُ حتَّى تغيَّبتُ      حوافره في بطن وادٍ مُعججٍ  
فأغناه ربُّ العرش عَنَّا وردَّه      ولولا دفاعُ الله لم يتفرجِ

« دلائل النبوة » ( ٢ / ٤٣٤ ) . ويلاحظُ القارئُ الكريم أثر التَّكَلُّف والتَّنطُّع في

هذه الأبيات التي اقتطفناها من قصيدة تعدُّ ( ١٢ بيتاً ) ، والله تعالى أعلم .

(١) « طبقاتُ ابنِ سعد » ( ١ / ١٨٨ ) ، ومعنى قولهِ « استقسم

بالأزلام » : استقسم : هو طلب ما قسم له ، والأزلام : هي السَّهام ، واحداها

زَلَمٌ ، وكانت ثلاثة ، وقد كتب على أحدها : « افعل » ، وعلى

الآخر : « لا تفعل » ، والثالث مهمل ، فإذا أراد الإنسانُ أن يعملَ أمراً جعلها في

خريطة - وعاء من جلد - وأدخل يده ، وأخرج أحدها ، فإن خرجَ له الذي =

\* وساق ابنُ سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أيضاً من حديثٍ طويلٍ في الهجرة ، عن أبي معبد الخزاعي ، قال : « ... فلمَّا راحوا عرضَ لهم سراقه بن مالك بن جعشم وهو على فرسٍ له ، فدعا عليه رسولُ الله ﷺ ، فرسخت قوائم فرسه ، فقال : « يا محمَّدُ ! ادعُ الله أن يطلقَ فرسي وأرجع عنك ، وأردَّ من ورائي ، ففعل ، فأطلق ، ورجع ، فوجد النَّاسَ يلتمسون رسولَ الله ﷺ ، فقال : ارجعوا قد استبرأتُ لكم ما ههنا ، وقد عرفتم بصري بالأثر ، فرجعوا عنه » (١) .

\* وعند ابنِ سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أيضاً بسنده عن عُمير بن إسحاق قال : « خرج رسولُ الله ﷺ ، ومعه أبو بكر ، فعرضَ لهما سراقه بنُ جعشم ، فساخت فرسه ، فقال : يا هذان ادعوا لي الله ؛ ولكما ألا أعود ، فدعوا الله ، فعاد ، فساخت فقال : ادعوا لي الله ، ولكما ألا أعود .

قال : وعرض عليهما الزَّاد والحُمْلان ، فقالا : اكفنا نفسك .  
فقال : قد كفيْتُكماها » (٢) .

= فيه : « افعلْ » فعل ما أراد ، وإن خرجَ له الذي فيه : « لا تفعل » تركه ، وإن خرجَ المهمل أعاد الضرب ، وقد حرّم الله - عزَّ وجلَّ - الاستقسام بالأزلام ، وجعله فسقاً ؛ لأنَّه دخولٌ في عالم الغيب الذي انفردَ الله - عزَّ وجلَّ - به ، والله تعالى أعلم .

(١) « طبقات ابن سعد » ( ١ / ٢٣٢ ) ، ومعنى قوله « استبرأت لكم » : استبرأ الخبر : تقصّيتُ بحثه ليقطع الشبهة عنه .

(٢) « طبقات ابن سعد » ( ١ / ٢٣٢ ) ، وقوله « ساخت » : غابت ، أو غاصت في الرَّمْل . و« الحُمْلان » : ما يحمل عليه من الدَّواب .

أقول : « من المؤكَّد أنَّ الهجرة ذات معانٍ عظيمة ، منها : التَّضحية بالنَّفس ، والمال ، والأهل ، والأولاد ، والوطن ، وقد هاجر سيِّدنا أبو بكر - رضي الله عنه - بأعلى أنواع التَّضحية في سبيل الله ، ورافق الحبيب المصطفى ﷺ في رحلة عظيمة =

## وَاللّٰهُ لَوْ كُنْتَ شَاهِدًا :

\* صدق سراقه ما عاهد الله ورسوله عليه ، وطفق يرد من يلقاه عن رسول الله ﷺ وعن أبي بكر - رضي الله عنه - ، لقد تبدل سراقه من رجل يريد أن يلقى القبض على رسول الله ﷺ ، وأن يسلمه إلى كبراء المشركين وزعيمهم أبي جهل بن هشام ، فأصبح رجلاً يذب عن رسول الله ﷺ ، وجعل لا يلقى أحداً ممن يطلب طلبه إلا رده قائلاً بصدق وصفاء : « ارجعوا ، فقد كُفيتُم هذا الوجه . . . وقد عرفتم بصري بالأثر » فيرجع الطلب عن رسول الله ﷺ نزولاً عند بصيرة سراقه بفقو الأثر ، ولمكانته عند العرب ؛ إذ كان سراقه أحد أربعة نفر مشهورين اتصل سؤدهم في الجاهلية والإسلام ، وهم : عروة بن مسعود ، وبشر بن المعلّى ، وجريز بن عبد الله (١) ، وسراقه بن مالك المدلجي (٢) .

\* ولما تيقن سراقه - رضي الله عنه - أن الحبيب الأعظم ﷺ قد وصل المدينة المنورة واستقرّ فيها مع الأنصار ، شرع سيّدنا سراقه يروي للناس ما حصل معه ، ويقصّ عليهم قصّته وقصّة فرسه ، وكيف عفا عنه رسول الله ﷺ وتركه ووعده سوازي كسرى ، وفشأ هذا الأمر عنه ، وعرفه الخاص والعام ، وتناقلته الألسنة في المجالس والأندية ، حتّى وصلت هذه

= القدر ، ابتدأت بالغار ، وثنت بالمقام مع الأنصار ، وقدم كل ما يرضي الله ورسوله من أجل إعلاء كلمة الله ، وإنّ أمة أنجبت مثل أبي بكر الصّدّيق أمة لا تموت ، ولهذا حظي الصّدّيق بالمعّيّة النبويّة ، وإنزال السكينة عليه ، فهو أفضل الصحابة وشيخهم ، والله درّ من قال في حقّه :

لا تفضّل على العتيق صديقاً فهو صدّيقُ أحمد المختار  
وإن ارتبّت في الأحاديث فاقراً ﴿ثَانِيكُ اثْنَيْنِ إِذْهُمَا فِي الْفَكَارِ﴾

(١) اقرأ سيرة سيّدنا جريز بن عبد الله البجلي في هذا الباب من هذه الموسوعة المباركة .

(٢) انظر : « الاشتقاق » لابن دريد (ص : ٣٠٦) .

القصة أسماع المشركين في مكة ، فتوجَّسَ أبو جهل خيفةً من الأمر ، واقشعرَ جلدهُ ، واضطرب فؤادهُ ، وخشي أن يسلمَ بعضُ أهل مكة ، وخاف من ذلك خوفاً شديداً أفصَّ مضجعه ، وزلزلَ كيانه ، وأخذ يفكرُ في هذا السيِّد المُدلجيِّ رئيس قومه وأميرهم ، فما كان منه إلا أن صاغَ قصيدةً ينبئه من خلالها بني مُدلج ألا يستمعوا إلى سِراقة الذي أصبح من السُّفهاء ، وإذا ما استمعوا له فسوف يفرِّقُ جمعهم ، لذلك كتَبَ إليهم محذراً وواعظاً لهم ؛ ومبيناً تخاذل سِراقة وجُبْنه وغوايته :

سِراقة مُسْتَعْوٍ لِنَصْرِ مُحَمَّدٍ	بني مُدلج إنِّي أخافُ سفيهكم
فتصبحَ شتَّى بعد عزِّ وسؤددٍ	عليكم بهِ ألا يفرِّقَ جمعكم
على واضحٍ من سنَّة الحقِّ مهتدٍ	يظنُّ سفيهُ الحيِّ أن جاءَ شبهة
ولم يأتِ بالحقِّ المبين المسدِّد	فأنَّى يكون الحقُّ ما قال إذ غدا
إلى يثرب مِنَّا فيأ بُعد مَولِدِ	ولكنَّه ولَّى غريباً بسخطية
لأشجاءه وقعَ المُشرفي المهنِّدِ	ولو أنه لم يأتِ يثربَ هارباً

\* وكان سِراقة من فصحة بني مُدلج وشعرائهم الكبار ، فعندما سمع شعر أبي جهل أخزاهُ اللهُ ، شرع يجيبه ويردُّ عليه فيما زعمَ وكذبَ وقال باطلاً من القول وزوراً فكان مما قال :

لأمرِ جوادي إذ تسيخُ قوائمه	أبا حَكَمِ والله لو كُنْتَ شاهداً
نبيُّ يُّرهانٍ فَمَنْ ذا يقاومه	عجبتَ ولم تشكُّك بأنَّ محمداً
أرى أمره يوماً ستبدو معالمه	عليك بكفِّ القوم عنه بأنني
بأنَّ جميعَ النَّاسِ طراً مُسألُمه <sup>(١)</sup>	بأمرِ توذِّ النَّاسِ فيه بأسرهم

(١) انظر : « دلائل النبوة » للأصبهاني ( ٢ / ٤٣٤ - ٤٣٥ ) بتصرف يسير ، وانظر : « فتح الباري » ( ٧ / ٢٨٦ ) ، و« البداية والنهاية » ( ٣ / ١٨٦ ) ، و« أسد الغابة » ( ٢ / ١٨٠ ) ، و« الاستيعاب » ( ٢ / ١١٩ ) وغيرها .

« هذا يومٌ وفاءٍ وبرٍّ » :

\* عَرَفَ سِرَاقَةَ بَنِي مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - الْإِسْلَامَ مِنْذُ أَنْ اتَّقَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَلَعَلَّهُ أَسْلَمَ مِنْ يَوْمِهَا ، لَكِنَّهُ لَمْ يَعلُنْ إِسْلَامَهُ إِلَّا بَعْدَ غَزْوَةِ الطَّائِفِ .

\* قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ إِسْلَامِ سَيِّدِنَا سِرَاقَةَ : « أَسْلَمَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ بِالْجِعْرَانَةِ حِينَ انصَرَفَ مِنْ حُنَيْنٍ وَالطَّائِفِ » (١) .

\* وَرَوَى سَيِّدُنَا سِرَاقَةَ قِصَّةَ إِسْلَامِهِ بَعْدَ أَنْ احْتَفَظَ بِالْكِتَابِ النَّبَوِيِّ يَوْمَ الْهَجْرَةِ فَيَقُولُ : « . . . حَتَّى إِذَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيَّ رَسُولَهُ مَكَّةَ ، وَفَرَّغَ مِنْ حُنَيْنٍ وَالطَّائِفِ ، خَرَجْتُ ، وَمَعِيَ الْكِتَابُ لِأَلْقَائِهِ ، فَلَقِيْتُهُ بِالْجِعْرَانَةِ ، فَدَخَلْتُ فِي كَتِيبَةٍ مِنْ خَيْلِ الْأَنْصَارِ ، فَجَعَلُوا يَقْرَعُونَنِي بِالرِّمَاحِ وَيَقُولُونَ : إِلَيْكَ إِلَيْكَ ، مَاذَا تَرِيدُ ؟ حَتَّى دَنَوْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَهُوَ عَلَيَّ نَاقَتِهِ ، وَاللَّهِ لَكَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَى سَاقِهِ فِي غَزْوِهِ كَأَنَّهَا جِمَارَةٌ ، فَرَفَعْتُ يَدِي بِالْكِتَابِ ، ثُمَّ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! هَذَا كِتَابُكَ لِي ، وَأَنَا سِرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جَعْشَمٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « هَذَا يَوْمٌ وَفَاءٍ وَبِرٍّ ، اذْنُهُ » ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ ، فَأَسْلَمْتُ » (٢)

(١) « تهذيب الأسماء واللغات » ( ١ / ٢١٠ ) .

(٢) « أسد الغابة » ( ٢ / ١٨٠ ) . وَقَالَ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : « ثُمَّ أَسْلَمَ وَحَسَنَ إِسْلَامَهُ » .  
« تاريخ الإسلام » ( عهد معاوية ، ص : ٣٠٨ ) .

أقول : « صاغ الشاعرُ أحمدُ محرمُ هذه الحادثة بقصيدةٍ لطيفةٍ خفيفةٍ تنفتقُ عن أدبٍ أنيقٍ ، يداعبُ الوجدانَ ، ويملأُ القلبَ بالحنانِ » . والقصيدة هي :

ارفعُ كتابك يا سُرًا	قَدُ إِنَّهُ عَلِمُ النَّجَاةَ
هو جنةٌ لك من سُو	فِ الضَّارِيَيْنِ طُلَى الْكَمَاةَ
عَهْدُ النَّبِيِّ فَأَيُّ ذَخ	رٍ مِثْلِهِ لِلْحَادِثَاتِ
أسدى الجميلَ وَمَنْ يَأ	خُدُ نَفْسَهُ بِالْمَكْرُمَاتِ

وفي رواية : « فأسلمتُ ، وسقتُ له صدقةَ أموالِي » (١) .

\* وفي العهد العُمريِّ تحقَّقتْ نبوءةُ الحبيبِ المصطفى ﷺ حينما قال لسِراقَةَ : « كيف بك إذا لبستِ سوارِي كسرىَ ومنطقته وتاجه ؟ » فلمَّا أتِي عمرُ بسِوارِي كسرىَ ومنطقتهِ وتاجه دعا سِراقَةَ وألبسه إِيَّاهما ، وكان سِراقَةُ رجلاً كثيرَ الشَّعرِ ، كثيرَ شَعرِ السَّاعدين ، فقال له سيِّدنا عمر : « ارفع يديك ، وقل : اللهُ أكبر ، الحمدُ لله الذي سَلَبَهُما كسرىَ بنَ هُرْمُز ، الذي كان يقولُ : أنا ربُّ النَّاسِ ، وألبسَهُما سِراقَةَ رجلاً أعرابياً من بني مُدَلِج » ورفع عمرُ صوتَه (٢) .

ويقيمُ أعلامَ الهُدَى  
لو شاءَ قنلكَ يا سُرا  
إذْ جئتَ تطلبُ قنابَهُ  
أرأيتَ حلُمَ محمَّدٍ  
أذركَ بـيدينِ اللهُ نَف  
دينِ المفَاخرِ والمآ  
دينِ الغَطارِفَةِ الأما  
دينِ الرِّشَادِ بأسره  
اللهُ ربُّ العَمالمِ  
إنْ كنتَ ذا عَقْلٍ فَحَسْبُ  
تلكَ المعالمُ واضحا  
دَع ما مضى لك يا سُرا  
أيَّامَ تضربُ في الغِوا  
أنتَ اتقيتَ اللهُ ربَّ

للِّتَّابعين من الهُدَاة  
قَةَ لم تذقْ طعمَ الحِياة  
وئطِيعُ فيه هوى الغِواة  
وعرفته جَمَّ الأناة  
سَلَك واستقم قبل الفِواة  
نرِ والخِلال الصَّالِحَات  
جِدِ والجهابذة الثَّقَات  
والخير من ماضٍ وآت  
نَ فما أتباع الثُّرهَات  
بُسْكَ نظرةً في الكائنَات  
تِ والشَّواهدُ بيِّنَات  
قَةَ من جنابات العِصَاة  
يَةَ بالعِشِيِّ وبالغِداة  
كَ فاغتنم عقبى التَّقَاة

« ديوان مجد الإسلام » ( ص : ٤٠٦ - ٤٠٧ ) .

(١) « المعجم الكبير » للطبراني ( ٧ / ١٣٥ ) .

(٢) « الاستيعاب » ( ٢ / ١١٩ ) ، و« أسد الغابة » ( ٢ / ١٨٠ ) .

\* روى هذه القصة الشائقة الحسنُ البصريُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وذكر : « أنَّ عمرَ بن الخطَّاب - رضي اللهُ عنه - أتى بفروة كسرى بن هرمز ، فوضعت بين يديه ، وفي القوم سراقَةُ بنُ مالك بن جعشم - رضي اللهُ عنه - ، فألقى إليه سواري كسرى بن هرمز فجعلهما في يديه ، فبلغا منكبيَّه ، فلمَّا رآهما في يدي سراقَةَ قال : الحمدُ لله ، سواري كسرى بن هرمز في يدِ سراقَةَ بن مالك بن جعشم أعرابي من بني مدلج ! ثمَّ قال : اللهمَّ إنِّي قد علمتُ أنَّ رسولَكَ ﷺ كان يحبُّ أن يصيبَ مالاَ فينفقه في سبيلك وعلى عبادك ، وزويتَ ذلك عنه نظراً منك له وخياراً ، ثمَّ قال : اللهمَّ إنِّي علمتُ أنَّ أبا بكر - رضي اللهُ عنه - كان يحبُّ أن يصيبَ مالاَ فينفقه في سبيلك وعلى عبادك ، فزويتَ ذلك عنه نظراً منك له وخياراً ، اللهمَّ إنِّي أعودُ بك أن يكونَ هذا مكرراً منك بعمر ! ثمَّ تلا : ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنَ يَدَيْهِ ﴿٥٥﴾ سُرْعُ لُهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [ المؤمنون : ٥٥ - ٥٦ ] « (١) .

(١) « البداية والنهاية » ( ٦٢ / ٧ ) نقلاً عن « دلائل النبوة » للبيهقي . ومعنى قوله « فروة » : هي بمعنى ثروة . و« السوار » : الحلية التي تلبسه المرأة في زندها . و« زويت » : صرفت . و« نظراً منك له » : نظر له : ترحم . و« خياراً » : الخيار : الاسم من الاختيار : وهو طلب خير الأمرين . و« مكرراً منك بعمر » : إمهالاً .

قال بعض الصالحين : « من مكر الله إمهال العبد وتمكينه من أعراض الدنيا » ؛ ولذلك قال سيّدنا عليُّ بنُ أبي طالب - رضي اللهُ عنه - : « مَنْ وَسَّعَ عَلَيْهِ دُنْيَاهُ ، وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ مَكْرٌ بِهِ فَهُوَ مَخْدُوعٌ عَنْ عَقْلِهِ » . ومعنى قوله تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُونَ ﴾ : أيظنُّ هؤلاء الكفَّار أنَّ الذي نُعْطِيهِمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ . و﴿ سُرْعُ ﴾ : هو تعجيل ومسارة لهم في الإحسان ، كلا ليس الأمر كما يظنون ، بل هو استدراج لهم واستجرار إلى زيادة الإثم ، ولهذا قال : ﴿ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ؛ أي : بل هم أشباه البهائم ، لا فطنة لهم ، ولا شعور حتَّى يتفكروا في الأمر ، أهوا استدراج ، أم مسارة في الخير ، والآية ردّ على المشركين في زعمهم أنَّ أموالهم وأولادهم دليل =



\* وفي رواية أخرى عن القاسم بن محمد بن أبي بكر قال : « بعث سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - أيام القادسيّة إلى عمر - رضي الله عنه - بقباء كسرى ، وسيفه ، ومنطقته ، وسواريه ، وسراويله ، وقميصه ، وتاجه ، وحُفّيه ؛ فنظر عمر في وجوه القوم ، وكان أجسامهم وأبدنهم قامّة سراقَة بن مالك بن جعشم ، فقال : يا سراق ! قم فالبس .

قال سراقَة : فطمعتُ فيه ، فقمّت ، فلبستُ .

فقال : أدبر ، فأدبرت ، ثمّ قال : أقبل ، فأقبلت .

ثمّ قال : بخ بخ ! أعيرانيّ من بني مُدلج ، عليه قباء كسرى ، وسراويله ، وسيفه ، ومنطقته ، وتاجه ، وحُفّاه ، رُبّ يوم يا سراق بن مالك ، لو كان عليك فيه هذا من متاع كسرى وآل كسرى ، كان شرفاً لك ولقومك ، انزع ، فنزعت ، فقال : اللهم ! إنك منعت هذا رسولك ونبيك ، وكان أحبّ إليك منّي ، وأكرم عليك منّي ، ومنعته أبا بكر وكان أحبّ إليك منّي ، وأكرم عليك منّي ، وأعطيتني فأعوذُ بك أن تكون أعطيتني لتَمكّر بي ؛ ثمّ بكى حتّى رحمه من كان عنده ، ثمّ قال لعبد الرّحمن بن عوف : أقسمتُ عليك لما بعته ، ثمّ قَسَمته قبل أن نمسي « (١) .

= رضی اللہ - عزّ وجلّ - عنهم كما حکى اللہ عنهم - أي : بعد هذا - ، واللہ أعلم .

(١) « البداية والنهاية » ( ٧ / ٦٢ ) . وجاء في رواية أخرى مفادها : « غنم المسلمون غنائم لا تُحصى في معركة القادسيّة ، وحملت الغنائم إلى سيّدنا عمر - رضي الله عنه - ، وحمل تاج كسرى وجواهره إلى عمر - رضي الله عنه - ، ولم يلبث أن دعا سراقَة بن مالك - رضي الله عنه - ، وألبسه سوارى كسرى ومنطقته ، وتاجه ، وقال له عمر - رضي الله عنه - : ارفع يديك وقل : اللّهُ أكبر ، الحمد لله الذي سلّب السّوارين كسرى بن هرمز الذي كان يقول : أنا ربّ النَّاس ، وألبسهما سراقَة رجلاً أعرايياً من مدلج . ورفع عمر صوته ينادي النَّاس ، ثمّ أركب سراقَة ، وطيف به في المدينة ، والنّاس من حوله يحتفلون بهزيمة كسرى ، ويصدقون رسول اللّهِ ﷺ ، إظهاراً للدلائل =

## مِنْ نَقْلَةِ الْحَدِيثِ :

\* ممَّا يشرُحُ الصُّدُورَ ، ويثُلُجُ القلوبَ بأنداءِ الخيرِ أنَّ سيِّدنا سراقَةَ قد وعىَ الحديثَ النَّبَوِيَّ ورواهُ على الرِّغمِ من قِصْرِ صحبته ، ولكِنَّهُ بُورِكُ له فيها ؛ إذ حفظَ عدداً من الأحاديثِ النَّبَوِيَّةِ المباركة .

\* روي لسَيِّدنا سراقَةَ بنِ مالك ( ١٩ حديثاً )<sup>(١)</sup> عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وهي مَبثُوثَةٌ في كتبِ الصَّحِيحِ والسُّنَنِ والمسَانيدِ والمعاجمِ ومصنَّفاتِ الحديثِ ، وكتبِ التَّراجمِ والطَّبقاتِ .

\* وممَّا يُحْتَسَبُ في رصيدِ هذا الصَّحابيِّ الكَرِيمِ أن روى عنه عددٌ من كبارِ علماءِ الصَّحابةِ وأعيانِهِم ، فقد روى عنه اثنانِ من علماءِ العبادةِ<sup>(٢)</sup> وهما : عبدُ اللَّهِ بنُ عَبَّاسٍ<sup>(٣)</sup> ، وعبدُ اللَّهِ بنُ عمرو<sup>(٤)</sup> - رضي اللهُ عنهم أجمعين - ، كما روى عنه عالمُ آخرٍ من علماءِ الصَّحابةِ المكثريينِ لروايةِ

---

= نبوته يوم أن بشر سراقَةَ بأنه سيلبسُ سوارِي كسرى ، بشره بذلك وهو مهاجرٌ من مَكَّة إلى المدينة ، والمشركون يلاحقونه من كلِّ حذبٍ وصوب . . . . إنها حقاً معجزةٌ من معجزاته العظيمة ﷺ ، وسرٌّ من أسرارِ الرِّسالةِ المحمَّديَّةِ حققتَه الأيامُ بزمنٍ قصيرٍ . وما أكثرَ معجزاتِ سيِّدنا وحبينا رسولِ اللَّهِ ﷺ !! « .

(١) « تهذيب الأسماء واللغات » ( ١ / ٢١٠ ) .

(٢) اقرأ سيرة العبادة في الباب الأوَّل من موسوعتنا : « علماء الصَّحابة - رضي اللهُ عنهم - » ( ص : ١٩ - ٢٨١ ) .

(٣) اقرأ سيرة العالم العيلم الحبر البحر عبدُ اللَّهِ بنِ عَبَّاسٍ - رضي اللهُ عنهما - في كتابنا : « علماء الصَّحابة - رضي اللهُ عنهم - » الباب الأوَّل ( ص : ٢١ - ٧٨ ) حيث نستمدُّ من سيرته الفائدة والإمتاع والمؤانسة .

(٤) اقرأ سيرته في الباب الأوَّل من موسوعتنا : « علماء الصَّحابة - رضي اللهُ عنهم - » ( ص : ١٢٧ - ١٦٦ ) فسيرته بهاءٌ في بهاءٍ في بهاءٍ .

الحديث وهو جابرُ بنُ عبدِ الله الأنصاريّ (١) - رضي اللهُ عنهما - .

\* وروى عنه عددٌ من أقربائه وأهل بيته ، ومنهم : ابنه محمدُ بنُ سُرَاقَةَ بنِ مالك ، وأخوه : مالكُ بنُ مالك بنِ جعشم ، وابنُ أخيه : عبد الرَّحْمَنِ بنِ مالك وغيرهم .

\* أمَّا مَنْ روى عنه من علماء التَّابعين وأسيادهم فكثير ، ومنهم : سعيدُ بنُ المسيَّب ، والحسنُ البصريّ ، وطاووس ، وعطاء ، وعُليُّ بنِ رباح ، ومجاهد ، وجماعة (٢) .

\* وقد مرَّتْ معنا آنفاً روايةُ البخاريّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لسُرَاقَةَ - رضي اللهُ عنه - في المناقب ، وله روايةٌ في بعض أبواب الفقه ، ومنها ما رواه الإمام أحمد بسنده عن عبد الرَّحْمَنِ بنِ مالك بنِ جعشم ، عن أبيه ، عن عمِّه سُرَاقَةَ بنِ مالك بنِ جعشم قال : « سألتُ رسولَ اللهِ ﷺ عن الضَّالَّةِ مِنَ الْإِبِلِ تَغْشَى حِيَاضِي ، هل لي من أجر أسقيها ؟

قال : « نعم ، في كلِّ ذات كبد حرّاء أجرٌ » (٣) .

\* وممَّا أخرجه أحمد والطَّبْرانيّ بسندهما عن سُرَاقَةَ بنِ مالك - رضي اللهُ عنه - أنّ رسولَ اللهِ ﷺ قال : « يا سُرَاقَةُ ! ألا أخبرك بأهل الجنَّة ، وأهل النَّار ؟ » .

---

(١) اقرأ سيرته في الباب الثاني من موسوعتنا « علماء الصَّحابة - رضي اللهُ عنهم - » (ص : ٤٤١ - ٥٠٠) سيرته إمتاع للأسماع .

(٢) انظر : « أسد الغابة » ( ١٧٩ / ٢ ) ، و« تهذيب الأسماء واللغات » ( ٢١٠ / ١ ) ، و« الاستيعاب » ( ١١٨ - ١١٩ ) ، و« الإصابة » ( ١٩ / ١ ) ، و« تهذيب التَّهذيب » ( ٤٥٦ / ٣ ) ، و« تاريخ الإسلام » للدَّهبيّ ( عهد الخلفاء الرَّاشدين ، ص : ٣٠٨ - ٣٠٩ ) مع الجمع بينهما والتَّصَرُّف اليسير .

(٣) « المسند » ( ١٨٢ - ١٨٣ ) برقم : ( ١٨٥٩٢ ) ، وانظر : « المسند » ( رقم : ( ١٧٥٩٥ ، ١٧٥٩٨ ، ١٧٥٩٩ ) .

فقال : بلى يا رسولَ الله !

قال : « أمّا أهل النار فكلُّ جَعْظَرِيٍّ جَوّاذٍ مستكبر ، وأمّا أهل الجنة فالضّعفاء المغلوبون » (١) .

\* وفي حقِّ الزَّوجِ عليّ زوجته أخرج الطَّبْرانِيُّ رَضِيَ اللهُ بِسِنْدِهِ عن سِراقَةَ بنِ مالك قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « لو كنتَ أمراً أحداً أن يسجدَ لأحدٍ ، لأمرتُ المرأةَ أن تسجدَ لزوجها » (٢) .

\* ومرويات سيّدنا سِراقَةَ موجودةٌ في المصادر الحديثية ، وهي سهلةٌ لمن أراد أن يستقصيها .

\* عاش سيّدنا سِراقَةَ شطراً من الخلافة الرّاشدة ، وفي أوّل خلافة سيّدنا عثمان - رضي الله عنه - في سنة ( ٢٤ هـ ) (٣) توفي سيّدنا سِراقَةَ بن مالك ، وهو ينعَمُ بظلال الإسلام بعد غزوة الطّائف ، وكان من الذين رضي الله عنهم ، وممّن مات رسولُ اللهِ ﷺ وهو راض عنهم ، فرضي اللهُ عن سِراقَةَ بن مالك ، وجمعنا معه في الجنّة هنالك .



- 
- (١) « المسند » ( ٦ / ١٨٣ ) برقم : ( ١٧٥٩٦ ) ، و« المعجم الكبير » ( ٧ / ١٢٩ ) برقم : ( ٦٥٨٩ ) ، و« الجعظريّ » : المتكبر . و« جَوّاذٍ » : متكبر جافي .
- (٢) « المعجم الكبير » ( ٧ / ١٢٩ ) برقم : ( ٦٥٩٠ ) .
- (٣) « أسد الغابة » ( ٢ / ١٨١ ) وغيره .

# الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو

رضي اللهُ عنه

- \* كان رجلاً شريفاً شاعراً ؛ مليئاً لبيياً ؛ يلقَّبُ ذا النُّور .
- \* أسلمَ مبكراً ؛ وقصَّةُ إسلامِهِ ماتهةٌ نافعةٌ ؛ تدلُّ علىٰ حصافته .
- \* من خيار المجاهدين ، قُتِلَ شهيداً باليمامةِ دفاعاً عن الإسلام .

رَفَع  
عبد الرحمن العجدي  
أسكنه الفردوس  
www.moswarat.com

## الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو رضي اللهُ عنه

### الشَّريفُ المُطاعُ :

\* مُعْظَمُ مَنْ تَحَدَّثَ عَنْ هَذَا الرَّجُلِ أَشَارَ إِلَى سِيادَتِهِ وَرَفَعَتِهِ وَتَصَدَّرَهُ فِي قَوْمِهِ ، وَشَرَفِهِ وَمَكَانَتِهِ بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ وَصَفُوهُ بِأَنَّهُ شَاعِرٌ شَرِيفٌ لَبِيبٌ فَطِنٌ لَبِيقٌ . . . . ، لَهُ آدَابٌ مُوصُوفَةٌ ، وَكِمَالَاتٌ مَعْرُوفَةٌ .

\* هَذَا الرَّجُلُ الْهُمَامُ هُوَ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو الدَّوْسِيُّ <sup>(١)</sup> أَحَدُ نَبَلَاءِ الْعَرَبِ وَأَذْكَيائِهِمُ الَّذِينَ عَرَفُوا الْإِسْلَامَ فِي الْمَرْحَلَةِ الْمَكِّيَّةِ ، وَأَسْلَمُوا قِيَادَهُمْ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ، وَنَطَقُوا بِالشَّهَادَةِ أَمَامَ النَّبِيِّ الْمَخْتَارِ ﷺ ، فَبَشَّرَهُمْ بِجَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ .

\* وَقَبْلَ أَنْ نَبْحَرَ مَعَ سَيِّدِنَا الطُّفَيْلِ بْنِ عَمْرٍو وَمَعَ أَخْبَارِهِ الْعِذَابِ ، وَشِمَائِلِهِ الَّتِي تَشْبهُ الرِّضَابِ ، دَعَوْنَا نَتَعَرَّفَ مَعْنَى اسْمِهِ وَاشْتِقَاقِهِ ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ

---

(١) « سير أعلام النبلاء » ( ١ / ٣٤٤ - ٣٤٧ ) ، و« مختصر تاريخ دمشق » ( ١١ / ١٧٧ - ١٨٢ ) ، و« معرفة الصحابة » ( ٣ / ٨٢ - ٨٤ ) ترجمة رقم : ( ١٥٤١ ) ، و« البداية والنهاية » ( ٦ / ٣٣٧ ) ، و« المغازي » ( الفهارس : ٣ / ١١٨٨ ) ، و« طبقات ابن سعد » ( ٤ / ٢٣٧ - ٢٤٠ ) ، و« أسد الغابة » ( ٢ / ٤٦٠ - ٤٦٣ ) ترجمة رقم : ( ٢٦١١ ) ، و« الاستيعاب » ( ٢ / ٢٢١ - ٢٢٦ ) ، و« الإصابة » ( ٢ / ٢١٦ - ٢١٨ ) وغيرها كثير من المصادر المتنوعة .

فائدة لا تخفى على القراء ، وعلى محبي العلم والمعرفة .

\* قال ابن دريد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « الطُّفِيلُ : تصغير طفل . والطُّفُلُ : الوليد ، طفلٌ من الطُّفُولَةِ . قال الأصمعيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : لا أدري ما حدُّ الطُّفُولَةِ والطفل . . . . والطفل : اختلاط ظلمة الليل بباقي ضوء النهار . . . . طفل الليل تطفياً : إذ أقبل . والطفيل : اسمُ فرسٍ من خيل العرب مشهور » (١) .

\* بعد أن عرفنا اشتقاق كلمة الطُّفِيل ، سنتعرَّفُ شخصيَّةَ سيِّدنا الطُّفِيل بن عمرو من خلال ما رسمته ريشةُ المصنِّفين القدامى لهذا الرَّجُل الكريم .

\* ولنبدأُ بابن سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فنسعدُ معه في بداية رحلته مع الصَّحابيِّ الجليل الطُّفِيل بن عمرو حيث يقول : « كان الطُّفِيلُ بنُ عمرو الدَّوسيِّ رجلاً ، شريفاً ، شاعراً ، مليئاً ، كثير الضيافة . . . . » (٢) .

\* أمَّا ابنُ الأثير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فصاغ مجمل الشَّخصيَّة بهذه الكلمات فقال : « طفيلُ بنُ عمرو الأزديِّ الدَّوسيِّ ، يلقَّبُ ذا النور ، وكان الطُّفِيل شريفاً شاعراً لبيباً » (٣) .

\* وفي « تاريخه » اللطيف الجامع الواسع ، يوجزُ الذهبيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ معالمَ شخصيَّةِ الطُّفِيل فيقول : « الطُّفِيلُ بنُ عمرو الدَّوسيِّ الأزديِّ ، كان يسمَّى ذا القُطنَيْن . . . . وكان شريفاً شاعراً لبيباً . . . . » (٤) .

(١) « الاشتقاق » لابن دريد (ص : ٨٣ - ٨٤) بتصرُّف واختصار .

(٢) « طبقاتُ ابنِ سعد » ( ٤ / ٢٣٧ ) .

(٣) « أسد الغابة » ( ٢ / ٤٦٠ - ٤٦١ ) بتصرُّف .

(٤) « تاريخ الإسلام » للذهبيِّ (عهد الخلفاء الرَّاشدين ، ص : ٦٢) . وذكر ابن كثير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فقال : « كان سيِّداً مطاعاً شريفاً في دوس » . « البداية والنهاية » ( ٣ / ٩٩ ) .



\* واكتفى ابنُ عساكر رَحِمَهُ اللهُ في ترجمته للطُفيل بقوله : « الطُفيلُ بنُ عمرو الدَّوسِيّ ؛ له صحبةٌ ، وكان سيِّداً في قومه . . . . أسلم الطُفيلُ بمكَّةَ ، وكان يسمَّى ذا القطنَيْنِ ؛ قيل : كان يجعلُ في أذنيه قطنَيْنِ لئلا يسمع كلام النَّبِيِّ ﷺ . . . . » (١) .

\* وزاد ابنُ حجر رَحِمَهُ اللهُ على مَنْ تقدم ، بأنَّ الطُفيلَ ممَّن أسلم مبكِّراً ، وأورد له أربعة أبيات يخاطبُ خلالها قريشاً ، وكانوا هدَّوه لمَّا أسلم (٢) .

\* بينما أوردَ قبله ابن سيِّد النَّاس رَحِمَهُ اللهُ في « منح المدح » أنَّ للطُفيل شعراً ، وقد أنشدَ له المرزبانيّ :

ألا أبلغُ لديدك بني لؤي	على الشَّنَانِ والغَضَبِ المرديّ
بأنَّ اللهَ ربَّ العرشِ فردُّ	تعالى جُدُّه عن كلِّ ندِّ
وأنَّ محمَّداً عبداً رسولٌ	دليلُ هدىً وموضحُ كلِّ رشِدِ
رأيتُ دلائلاً قد أنبأتني	بأنَّ سيِّله يهدي لقصدِ
وأنَّ اللهَ جلَّله بهاءً	وأعلى جُدَّه في كلِّ جدِّ (٣)

(١) « مختصر تاريخ دمشق » ( ١١ / ١٧٧ - ١٧٨ ) .

وقال الأصبهاني : « الطُفيل بن عمرو الدَّوسِيّ ؛ كان سيِّد دوس ، مُطاعاً فيهم ، شاعراً لبيباً ، قدم مكَّةَ أوَّل الدَّعوة ، فحدَّثته قريش عن الاستماع من النَّبِيِّ ﷺ ، والإصغاء إلى كلامه ، فسدَّ أذنه بالكُرسف خوفاً من أن يقع كلامه في مسامعه ، فأبى اللهُ تعالى إلا أن يهديه ، فهده فأسلم بمكَّةَ ، وبإيعه على الإسلام ، ورجع إلى قومه فدعاهم إلى الإسلام ، وأسلم أبوهُ وزوجُّه ، ثمَّ عاد إلى مكَّةَ ، فشكى دوساً إلى النَّبِيِّ ﷺ ، فدعا لهم بالهدى ، فاهتدوا ، وقدموا معه المدينة بعد الخندق عام خيبر . . . . » . « معرفة الصَّحابة » ( ٣ / ٨٢ ) .

(٢) انظر : « الإصابة » ( ٢ / ٢١٧ ) ، أقول : « البيت الرَّابع غير موجود عند ابن حجر ، وهناك بعض الاختلافات البسيطة في الألفاظ بين ابن حجر ، وابن سيِّد النَّاس » .

(٣) « منح المدح » لابن سيِّد النَّاس ( ص : ١٣٨ - ١٣٩ ) ، تحقيق : عَفَّت وصال =

## قَصَّةُ الطُّفِيلِ فِي رِحْلَةِ إِسْلَامِهِ :

\* قَصَّةُ إِسْلَامِ سَيِّدِنَا الطُّفِيلِ بْنِ عَمْرِو الدَّوْسِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مِنْ أَحْسَنِ الْقَصَصِ وَأَبْهَاطِهَا ، وَمِنْ أَلْفِهَا أَثْرًا فِي النُّفُوسِ وَأَمْضَاهَا ؛ فَالْقُلُوبِ الصَّافِيَةِ تَحِبُّ الْحَقَّ وَأَهْلَ الْحَقِّ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ ، وَخَاصَّةً فِي عَصْرِ الثُّبُوءِ الْمَزْهَرِ الزَّاهِرِ الْفِينَانِ .

\* أَسْلَمَ سَيِّدِنَا الطُّفِيلُ بِمَكَّةَ فِي وَقْتِ مَبْكَرٍ ، وَالْإِسْلَامُ لَا يَزَالُ بَرَعَمًا لَمَّا يَنْتَفِخُ بَعْدَ ، لِيَصْبِحَ وَزِدًا يَعْطُرُ الدُّنْيَا كُلَّهَا ، بَلْ كَانَتْ الْعَوَاصِفُ الْوَثِيئَةُ الْهُوجَاءُ تَعِيبُ الدِّينَ ، وَتَعِيبُ مُحَمَّدًا ﷺ ، وَتَسْفَهُ كُلَّ مَا يَأْتِي بِهِ ، وَتَحْذِرُ كُلَّ قَادِمٍ إِلَى مَكَّةَ مِنْ سِحْرِ كَلَامِهِ ، وَنِصَاعَةِ بَيَانِهِ .

\* لَقَدْ غَابَ عَنْ ذَهْنِ قَرِيشٍ أَنَّ اللَّهَ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ ، نَاصِرٌ دِينَهُ وَنَبِيَّهُ ، وَقَاهِرٌ الشُّرْكَ وَأَهْلَهُ ، وَجَاعِلٌ كَلِمَتَهُ هِيَ الْعُلْيَا ، فَهُوَ يَمْحُو الْبَاطِلَ ، وَيَحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ، وَيَجْعَلُ لِكُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا .

\* وَلَا رَيْبَ فِي أَنَّ لِلنَّاسِ عُقُولًا تَزِنُ مَا تَسْمَعُ وَمَا تَرَى ، وَكَانَ كَثِيرٌ مِنَ الْعُقَلَاءِ لَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى صِيحَاتِ الْحَاقِدِينَ مِنْ سُفْهَاءِ قَرِيشٍ ، وَلَا يَجْنَحُونَ إِلَى الْإِشَاعَاتِ الَّتِي يَعِيبُونَ بِهَا مُحَمَّدًا ﷺ ، وَيَشُوهُونَ بِهَا دَعْوَتَهُ الصَّافِيَةَ النَّقِيَّةَ ، وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ هُدًى وَهَدَايَةٍ ، وَصَلَاحٍ وَإِصْلَاحٍ ، وَهَذَا مَا جَعَلَ الدَّعْوَةَ الْمَحْمَدِيَّةَ إِلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - تَسْرِي إِلَى خَارِجِ مَكَّةَ ، وَتَجِدُ لَهَا أَنْصَارًا مِنْ ذَوِي الْعُقُولِ وَالْأَحْلَامِ وَالْأَفْهَامِ ، وَكَانَ مِنْ هُنُوْلَاءِ الْعُقَلَاءِ الثُّبُهَاءِ سَيِّدِنَا الطُّفِيلُ بْنُ عَمْرِو الَّذِي كَانَ إِسْلَامُهُ إِسْلَامَ الْأَنْبِيَاءِ ، وَأَعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ حِينَمَا تَحَقَّقَ لَهُ الْحَقُّ فِيمَا يَدْعُو إِلَيْهِ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ .

\* وَسَنَعِيشُ أَحْدَاثَ الْقِصَّةِ الْأَنْيَقَةِ لِإِسْلَامِ الطُّفِيلِ ، مَعَ شَيْخِ كَاتِبِي السِّيْرَةِ

= حمزة - دار الفكر - دمشق - ط : ١ - ١٩٨٧ م . وقوله « الشَّنَان » : البغض ، و« جَدُّهُ » : عظَّمته . و« جِدَّهُ » : حظه : جِد : الجِدُّ هُنَا ضِدُّ الْهَزْلِ .

النَّبَوِيَّة مُحَمَّدَ بْنَ إِسْحَاقَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، الذي خَصَّصَ مَسَاحَةً كَبِيرَةً لِقِصَّةِ إِسْلَامِ هَذَا الرَّجُلِ الْبَلِيغِ الشَّاعِرِ اللَّيِّبِ ، رَفَّشَ بِهَا صَحَائِفَ السَّيْرِ الْعَطْرَةِ .

\* ساق الإمام مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ فِي سِيرَتِهِ الْكَرِيمَةِ أَحْدَاثًا مِنْ تَحْذِيرِ قَرِيشٍ لِلطُّفَيْلِ مِنَ الْإِسْتِمَاعِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ عَدُولِهِ عَنْ ثَرْتَرْتِهِمْ وَحَقْدِهِمْ ، وَسَمَاعِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ مَا حَصِيلَتُهُ وَصِفَوْتُهُ : « وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيَّ مَا يَرَى مِنْ قَوْمِهِ ، يَبْذُلُ لَهُمُ النَّصِيحَةَ ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى النَّجَاةِ مِمَّا هُمْ فِيهِ ، وَجَعَلْتُ قَرِيشَ - حِينَ مَنَعَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُمْ - يَحْذَرُونَهُ النَّاسَ ، وَمَنْ قَدَّمَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعَرَبِ . وَكَانَ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو الدَّوْسِيُّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَحْدُثُ : أَنَّهُ قَدَّمَ مَكَّةَ الْمَكْرَمَةَ ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِهَا ، فَمَشَى إِلَيْهِ رَجَالٌ مِنْ قَرِيشَ - وَكَانَ الطُّفَيْلُ رَجُلًا شَرِيفًا شَاعِرًا لَبِيبًا - فَقَالُوا لَهُ : يَا طُفَيْلُ ! إِنَّكَ قَدِمْتَ بِلَادِنَا ، وَهَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بَيْنَ أَظْهُرِنَا قَدْ أَعْضَلَ بِنَا - اشْتَدَّ أَمْرُهُ - ، وَقَدْ فَرَّقَ جَمَاعَتَنَا ، وَشَتَّتْ أَمْرَنَا ، وَإِنَّمَا قَوْلُهُ كَالسَّحَرِ ، يَفَرِّقُ بَنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ أَبِيهِ ، وَبَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ أَخِيهِ ، وَبَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ زَوْجَتِهِ ، وَإِنَّا نَخْشَى عَلَيْكَ ، وَعَلَى قَوْمِكَ مَا قَدْ دَخَلَ عَلَيْنَا ، فَلَا تَكَلِّمْتَهُ ، وَلَا تَسْمَعَنَّ مِنْهُ شَيْئًا ، وَمَكُرُوا وَمَكَّرَ اللَّهُ ، وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ، وَذَهَبَ سَعْيُهُمْ هَبَاءً مَنْثُورًا تَذَرُوهُ رِيَاخُ الْعَقْلِ عِنْدَ الطُّفَيْلِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - .

قال الطُّفَيْلُ : فَوَاللَّهِ مَا زَالُوا بِي يَذْهَبُونَ بِأَقْوَالِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ ، وَيَصْعَدُونَ وَيَنْزِلُونَ ، حَتَّى أَجْمَعْتُ أَنْ لَا أَسْمَعَ مِنْهُ شَيْئًا وَلَا أَكَلِمَةَ ؛ حَتَّى إِنِّي حَشَوْتُ فِي أذُنِي كُرْسُفًا - قَطْنًا - حِينَ غَدَوْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَرَقًا - خَوْفًا - مِنْ أَنْ يَبْلُغَنِي شَيْءٌ مِنْ قَوْلِهِ ، وَأَنَا لَا أُرِيدُ أَنْ أَسْمَعَهُ .

فغَدَوْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يَصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ ، فَقَمْتُ قَرِيبًا مِنْهُ وَأَنَا مَتَوَجِّسٌ خِيفَةً مِنْهُ ، فَأَبَى اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - إِلَّا أَنْ يُسْمِعَنِي بَعْضَ قَوْلِهِ ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ كَلَامًا حَسَنًا جَمِيلًا وَلَطِيفًا ، فَقَلْتُ فِي نَفْسِي : وَائْكَلْ أُمِّي ؟ وَائْكَلْ أَبِي ؟ وَاللَّهِ إِنِّي لِرَجُلٍ لَبِيبٍ شَاعِرٍ ، وَمَا يَخْفَى عَلَيَّ الْحَسَنُ مِنَ الْقَبِيحِ ، فَمَا يَمْنَعُنِي أَنْ أَسْمَعَ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ مَا يَقُولُ ؟ ! فَإِنْ

كان الذي يأتي به حسناً قبلته ، وإن كان قبيحاً تركته .

قال الطُّفَيْلُ : فمكثتُ حتَّى انصرفَ رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى بيته فأتبعته ، حتَّى إذا دخل بيته دخلتُ عليه ، فقلتُ : يا محمَّد ! إنَّ قومك قد قالوا لي كذا ، وكذا - للذي قالوا - ، فوالله ما برحوا يخوفونني أمرك حتَّى سددتُ أذنيَّ بكرسفٍ لثلا أسمع قولك ، ثمَّ أبى الله - عزَّ وجلَّ - إلا أن يسمعني قولك ، فسمعته قولاً حسناً ، فاعرض عليَّ أمرك .

قال : فعرض عليَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ الإسلام ، وتلا عليَّ القرآن ، فلا والله ما سمعتُ قولاً قطُّ أحسنَ منه ، ولا أمراً أعدلَ منه ، ولا خطاباً أرقَّ منه ، فأسلمتُ وشهدتُ شهادةَ الحقِّ ، وآمنتُ بخالق الخلق ، وبرسوله محمَّد كامل الخلق ﷺ « (١) » .

(١) « السِّيرة النَّبَوِيَّة » ( ١ / ٣٨٢ - ٣٨٣ ) بتصريف يسير . وقصة إسلام الطُّفَيْلِ رواها ابن سعد ( ٤ / ٢٣٧ - ٢٣٩ ) ، والبيهقي في « دلائل النَّبُوَّة » ( ٥ / ٣٦٠ - ٣٦٣ ) ، والأصبهاني في « معرفة الصَّحابة » ( ٣ / ٨٢ - ٨٣ ) ، وغيرهم كثير .

أقول : « إنَّ القرآن الكريم قد أسر بروعة بيانه ، ولطافة روعته ، وحسن اتِّساقه ، وكمال إعجازه كثيراً من الشَّخصيَّات البارزة من رجال عصر النَّبُوَّة ، وقد اجتذب هدي القرآن الكريم وجمال وقعه سيِّدنا عمر بن الخطَّاب - رضي الله عنه - ، ومعظم النَّاس يعرفون قصَّة إسلامه التي تعتبر مشهورة يحفظها الصَّغير والكبير ، وفي الحقيقة هناك رجال أسرتهم معانيه ، واجتذبتهم مغانيه ، ومنهم : سيِّدنا الطُّفَيْل بن عمرو الدَّوسي ، وأبو ذرَّ الغفاري ، وأسيد بن الحضير ، وسعد بن معاذ ، وكذلك الأنصار الذين بايعوا الصَّادق المصدوق ﷺ بيعة العقبة الأولى قد سمعوا القرآن وأسلموا ، ولكن قصة إسلام سيِّدنا عمر - رضوان الله عليه - قد طغت على قصص إسلام هؤلاء ، ولها جرس خاص عند قراء السِّيرة ، نرجو الله - عزَّ وجلَّ - أن يحشرنا في معية سيِّدنا عمر ، وفي معية هؤلاء الذين تذكَّروا حلاوة معاني القرآن الكريم ، وعملوا بمضمونه إنَّه سميع مجيب » .

\* وهكذا استجاب سيّدنا الطّفيّل - رضي الله عنه - إلى نداء عقله المثّرّن ، وإلى أعماقه التي تناديه إلى النّجاة ، ورفض النّصح المزعوم من رجال قريش الذين حدّروه تحذيراً شديداً من السّماع والاستماع إلى محمّد ﷺ ، ولا غرو فنداء الضّمير هو صوت الحقّ ، وهو يشبه وميض البرق حينما يمزّق حجب الظّلام وأستار السّواد ، كان ذلك النّداء يهمسُ قائلاً : « أين عقلك يا طّفيّل ؟ اذهب واستمع إلى هذا الرّجل ، فهو ليس ساحراً كما يزعمون ويفترون » .

\* استجاب الطّفيّل واهتدى ، وفي بيت رسول الله ﷺ أعلن إسلامه راضياً مختاراً ، وزهداً في الوثنيّة وفي دين الآباء والأجداد ، وعبد الواحد الجواد ؛ الذي يقبل التّوبة من العباد .

\* ومن المستجاد الآن أن نجني ثمر هذه الشّجيرة المباركة ؛ التي تتدلّى قطوفها ؛ لترويّ التّقاء الطّفيّل رسول الله ﷺ في مكّة ، وقبوله الدّعوة ثمّ إسلامه في البيت النّبويّ المبارك :

هَذَا الطّفيّلُ أتى لمكّة زائرَ البيت الحرام  
 قد كان ذا عقلٍ وفهْمٍ شاعراً فيه احتشام  
 لاقاه بعضُ المشركين جوارَ زمزمَ والمقام  
 فتحادثوا وتساءلوا فيما يثيرُ الاهتمام  
 قالوا فلا تلقَ الأمينَ فسخره مثلُ السّهام  
 إيّاك أن تلقاه أو أن تسمعنَ منه الكلام  
 سمعَ الطّفيّلُ لقولهم بالحرصِ ثمّ الاحترام  
 وضع الطّفيّلُ القطنَ في أذنيه خوفاً من ملام  
 ناداهُ من أعماقه صوتٌ كبرقٍ في الظّلام  
 مَنْ قد سمعتَ لِنُصيحهم هم أهلُ شرٍّ واختصام  
 لا تستمعْ للنّصحِ منهم إنهم قومٌ لئام  
 اذهبْ إلى هذا النّبويّ فإنّه خيرُ الأنعام

أذهب إليه فإنه قد جاء يدعو للسلام  
سمع الطفيل إلى نداء ضميره ثم استقام  
قد أعلن الإسلام في بيت النبي بلا خصام<sup>(١)</sup>

### آية إعجاز للطفيل مع قومه :

\* لا نزال الآن مع سيدنا الطفيل - رضي الله عنه - وهو يقصُّ علينا نبأً  
إسلامه ، والنور الذي سطع في سوطه كرامةً له ، فيقول : « فأسلمتُ ،  
وشهدتُ شهادة الحقِّ ، وقلتُ : يا نبيَّ الله ! إنِّي امرؤُ مطاع في قومي ، وأنا  
راجعٌ إليهم ، وداعيهم إلى الإسلام ، فادعُ الله - عزَّ وجلَّ - أن يجعلَ لي آيةً  
تكونُ لي عوناً عليهم فيما أدعوهم إليه ، فقال ﷺ : « اللهم اجعلْ له آيةً » .

قال الطفيلُ : فخرجتُ إلى قومي ، حتَّى إذا كنتُ بشيئةٍ تطلعني على  
الحاضر ، وقع نورٌ بين عيني مثلُ المصباح ، فقلت : اللهم في غير وجهي ،  
إنِّي أخشى أن يظنُّوا أنَّها مثلةٌ وقعت في وجهي لفراقي دينهم ، فتحولَ فوق في  
رأس سوطي<sup>(٢)</sup> ، فجعلَ الحاضرُ يترأءون ذلك النور في سوطي كالقنديل

---

(١) « تغريدة السيرة النبوية » ( ١ / ٢٣٦ ) ، وقوله « جوارزمزم والمقام » : عند الكعبة  
المشرفة . و« سحره مثل السهام » : يصيب سامعيه فلا يخطئهم . و« كبرق في  
الظلام » : صوت العقل ونداء الضمير .

(٢) وفي هذه الحادثة الميمونة يسردُ محمود سامي البارودي في قصيدته  
الماتعة : « كشف الغمة في مدح سيّد الأمة » معجزات النبي ﷺ فيقول :

كفى الطفيل بن عمرو لمعةً ظهرت في سوطه فأنارت سُذفة القتم  
هدى بها الله دوساً من ضلالتها فتابعث أمر داعيها ولم تهم  
وأشار إلى آية الإعجاز للطفيل ابن جزيّ الأندلسي فقال ﷺ :

وحسبك من سوط الطفيل إضاءة كمصباح زيت في قناديل ذبال  
« نفع الطيب » ( ٥ / ٥١٩ ) .

المُعَلَّقُ ، وأنا أهبطُ إليهم من الثَّيِّةِ ، حتَّى جئتهم فأصبحْتُ فيهم . فلمَّا نزلتُ  
أتاني أبي - وكان شيخاً كبيراً قد اشتعلَ رأسُه شيباً - فقلتُ : إليك عنِّي  
يا أبتِ ، فلستُ منك ولستُ منِّي . قال أبي متعجباً : ولمَ ذاك يا بني ؟ !

قلتُ : يا أبي ! إنِّي أسلمتُ ، وتابعتُ دينَ محمدٍ ﷺ .

فقال أبي دون تردُّدٍ : أي بُنيَّ ! فدِيني دينُكَ .

فقلتُ له : يا أبتِ ! اذهبِ فاغتسلِ وطهِّرْ ثيابك ، ثمَّ تعالَ حتَّى أعلمَكَ  
ما علَّمتُ .

فذهبَ أبي غيرَ بعيدٍ ، فاغتسلَ ، ومن ثمَّ طهَّرَ ثيابه ، ثمَّ جاء ، فعرضتُ  
عليه الإسلامَ ، فأسلمَ ، وشهدَ شهادةَ الحقِّ .

قال الطُّفيلُ : ثمَّ أتتني صاحبتِي - زوجتي - فقلتُ لها : إليك عنِّي ،  
فلستُ منك ، ولستُ منِّي .

قالت : لِمَ ؟ بأبي أنتَ وأمِّي ؛ وماذا حدث ؟

قلتُ : يا هلذه ! قد فرَّقَ الإسلامُ بيني وبينك ، وإنِّي قد أسلمتُ ،  
وتابعتُ دينَ النَّبيِّ محمدٍ ﷺ .

قالت : فدِيني دينُكَ والله .

فقلتُ لها : اذهبي إليَّ حمىَ ذي الشرى - صنمَ لدوس - فتطهِّري منه .

فقالت : بأبي أنتَ وأمِّي ، أتخشى على الصَّبِيَّةِ من ذي الشرى شيئاً ؟

قلتُ : لا ، أنا ضامنٌ لذلك .

---

كما أشار الإمامُ السُّبكيُّ رَحِمَهُ اللهُ إلى هذا الأمرِ في تائيته الجامعة الماتعة فقال :

وفي جبهةِ الدوسيِّ ثمَّ بسوطِهِ جَعَلتْ ضياءً مثلَ شمسٍ منيرةٍ

« المجموعة النَّبَهائية » ( ١ / ٤٢٢ ) .

فذهبت فاغتسلت ، ثمّ جاءت فعرضت عليها الإسلام فأسلمت ،  
وانتظمت في ركب المؤمنين « (١) .

\* هلمّوا نطالع هذه الرّوضة التي تفتّحت كرائمها عن زهر المعاني  
الرّائقة التي تحكي ما أسلفنا من إسلام أسرة الطّفيل ، ورؤية قومه الثّور في  
سوطه :

عاد الطّفيل لقومه في سوطه ضوءً ينير  
يبدو على بُعدٍ مضيئاً في المقام وفي المسير  
قد كان ذاك لدعوةٍ من صاحبِ القلب الكبير  
لَمَّا أتاهُ بيتهِ مستسلماً كي يستنير  
قالَ الطّفيلُ فأَنني في القومِ ذو فضلٍ كبير  
مُزني لأدعوَ قومَ دوسِ إنني فيهم أمير  
فأجابه الهادي فقال له فأنتَ لهم نذير

---

(١) « السّيرة النّبويّة » ( ١ / ٣٨٣ - ٣٨٤ ) بشيءٍ من التّصرّف . وانظر : « معرفة  
الصّحابة » ( ٣ / ٨٣ ) .

وللشيخ محمّد عرجون رَضِيَ اللهُ عَنْهُ تعليقٌ نفيسٌ على هذه الفقرة يحسُن بنا أن نسوقه  
ههنا لفائدته ، فيقول : « وباءت قريشٌ بالخبيبة والخسران المبين ، ووقع ما كانت  
تخافه وتحذرُه ، وانفلت من عقاب خداعها الرّجل اللبيب الشّاعرُ الذي تخشى لبابته  
وشاعريته ، وأسلم الطّفيلُ الدّوسي الذي لم يكتف بأَن يسلم وحده ، ولكنّه أراد  
الخيرَ والهدى لأهله وقومه ، وهو زعيمهم المطاعُ فيهم ، وأخبر رسولَ الله ﷺ أنّه  
راجع إلى قومه ، وداعبهم إلى الإسلام ، وسألَ رسولَ الله ﷺ أن يجعلَ له آيةَ تعينه  
على قومه فيما يدعوهم إليه من الإيمان بالله ورسوله ، ودعا له رسولَ الله ﷺ ،  
فقال : « اللهم اجعل له آية » فاستجاب اللهُ - عزَّ وجلَّ - دعاءَ نبيِّه محمّد ﷺ ،  
وجعلَ للطّفيل آيةَ نورانيّة ، وبدأ الطّفيل ؛ إذ حلَّ بين قومه بدعوة أبيه وصاحبه إلى  
الإسلام ، فأسلما وعلمهما شرائع الدّين التي علّمها » . « محمّد رسول الله »  
( ٢ / ٢٧٢ ) .



عاد الطّفيّل ومعه إذنٌ من لدى الهادي البشير  
أهل الطّفيّل جميعهم قد أسلموا حتّى الصّغير (١)

\* ويتابع الطّفيّل - رضي الله عنه - في سرّ قِصّة إسلامه وإسلام قومه  
فيقول : « ثمّ دعوتُ دوساً إلى الإسلام ، فأبطؤوا عليّ ، فحثتُ رسولَ الله ﷺ  
بمكّة فقلتُ : يا رسولَ الله ! غلبتني دوس ، فادعُ الله عليهم ،  
فقال ﷺ : « اللهمّ اهدِ دوساً » . وفي رواية : « فقلتُ : يا رسولَ الله ! إنّ  
دوساً عصتْ وأبت ، فادعُ الله . فرفعَ يديه ، فقلتُ : هلكتُ دوس ،  
فقال : « اللهمّ ! اهدِ دوساً ، وائتِ بهم » . فقال لي رسولُ الله ﷺ : « اخرجْ  
إلى قومك ، فادعهم ، وارفقْ بهم » . فخرجتُ إليهم ، فلم أزلُ بأرضِ دوس  
أدعوها حتّى هاجرَ رسولُ الله ﷺ إلى المدينة ، ومضى بدر ، وأحد ،  
والخندق ، ثم قدمتُ على رسولِ الله ﷺ بمن أسلم من قومي ،  
ورسولُ الله ﷺ بخبير ، حتّى نزلتُ المدينة بسبعين أو ثمانين بيتاً من دوس ،  
ثمّ لحقنا رسولَ الله ﷺ بخبير ، فأسهمَ لنا مع المسلمين » (٢) .

\* ومع الوصيّة النبويّة للطّفيّل بأن يدعو قومه إلى الإسلام ، ثمّ قدومه بهم  
في خيبر ، نقرأ التّغريدة المعبرة الآتية :

المصطفى أوصى الطّفيّل بأن يواصلَ في الدّعاء  
قال ادعُ دوساً بالتّرفق إنهم أهل الدّهاء  
اصبرْ عليهم ولنكنّ منهم على باب الرّجاء

(١) « تغريدة السّيرة النبويّة » ( ١ / ٢٣٨ ) ، وقوله « في سوطه ضوء ينير » : ضوء في  
طرف سوطه كرامة له . و « صاحب القلب الكبير » : دعا النّبِيَّ ﷺ ربّه أن يجعل  
للطّفيّل كرامة . و « أمير » : رئيس مطاع .

(٢) « مختصر تاريخ دمشق » ( ١١ / ١٨٠ ) بشيء من التّصرّف ، وانظر : « طبقات  
ابن سعد » ( ٤ / ٢٣٩ ) ، و « السيرة الحليّة » ( ٢ / ٦٩ - ٧٠ ) ، و « معرفة  
الصّحابة » ( ٣ / ٨٣ - ٨٤ ) .

حَتَّىٰ يَجِيئُوا مُسْلِمِينَ وَيَسْتَجِيبُوا لِلنَّدَاءِ  
 ظِلَّ الطُّفَيْلِ بِهِمْ رَفِيقًا لَا يِيَالِي مِنْ جَفَاءِ  
 قَدْ كَانَ مِنْ خَيْرِ الرَّجَالِ بِهِ الْكَفَاءُ وَالْمُضَاءُ  
 مَضَتْ السَّنُونَ وَهَكَذَا ظِلَّ الطُّفَيْلِ عَلَى الْوَفَاءِ  
 وَمَحَمَّدٌ مَرَّتْ بِهِ كُلُّ الْحَوَادِثِ فِي بَطَاءِ  
 بَدَأَ بِبَدْرِ ثُمَّ كَانَتْ خَيْرٌ دُونَ انْتِهَاءِ  
 جَاءَ الطُّفَيْلُ وَقَوْمُهُ فِي فَتْحِ خَيْرٍ بِالْوَلَاءِ  
 جَاؤُوا جَمِيعًا مُسْلِمِينَ بِغَيْرِ خَبْثٍ وَالتَّوَاءِ  
 النَّصْرُ تَمَّ بِخَيْرٍ قَدْ كَانَ مِنْ رَبِّ السَّمَاءِ  
 قَسَمَ النَّبِيُّ لِقَوْمِ دُوسٍ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْعَطَاءِ  
 فَرِحَ النَّبِيُّ بِخَيْرٍ وَبِقَوْمِ دُوسٍ بِالسَّوَاءِ (١)

\* وهكذا نجد أن الحبيب المصطفى ﷺ يدعو لدوس بالهداية ، ولم يدع عليهم بهلاك يدمرهم لإبطائهم في إجابة الداعي إلى الله ، ثم أوصى الطفيل بأن يتخلق بالآداب والصبر في تبليغ الرسالة قائلاً له : « ارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم » ورجع الطفيل - رضي الله عنه - إلى قومه مزوداً بالرَّفَقِ وبالوصية النبوية ، فدعاهم إلى الله - عزَّ وجلَّ - وإلى دينه ، وكان بهم رفيقاً رفيقاً حفيماً ، فأجابوه قَضَهُم بِقَضِيضِهِمْ ، رجالهم الكبار ، وكذلك نساؤهم والصغار ، وأسلموا بالله الواحد القهار ، ثم هاجروا ، وأدركوا رسولَ الله ﷺ ، وقد فرغ من فتح خيبر ، قائماً على غنائمها يقسمها بين جند الله ، وعرف ﷺ للطفيل وقومه مكانتهم في الإسلام بين صفوف المجاهدين لإعلاء كلمة الله - عزَّ وجلَّ - ، فأكرمهم ، وأسهم لهم من الغنائم الخيبرية كإخوانهم المقاتلين في سبيل الله - عزَّ وجلَّ - ، فكانت قبيلة دوس وزعيمها الطفيل بن عمرو كتيبة صادقة من كتائب الإسلام التي أسهمت في

(١) « تغريدة السيرة النبوية » ( ١ / ٢٤٢ ) .

تقويض الوثنية ، ونشرت راية التوحيد ، وعملت ما بوسعها لتكون كلمة الله هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، فنالوا التَّجَاحَ وحظوا بالسَّعادة في الدَّارَيْنِ بإذن الله وفضله ومنه وهدايته .

### صوْرٌ من جهَّاده :

\* أَحَبَّ سَيِّدَنَا الطُّفَيْلُ - رضي الله عنه - الله ورسوله ، وعملَ الإيمانُ بقلبه عمله الصَّحيح ، ووضع لسانه وسنانه وقومه في سبيل الله - عزَّ وجلَّ - ، فتقدَّم من الحبيب الأعظم ﷺ مع ثلثة من أكابر دوس وقالوا : « يا رسولَ الله ! اجعلنا ميمتك ، واجعلْ شعارنا : مبرور » ففعلَ ﷺ ، فأضحى شعارُ الأزد كلَّها إلى اليوم كلمة « مبرور » (١) .

\* لزم سَيِّدَنَا الطُّفَيْلُ سَيِّدَنَا الحبيب الأعظم الشَّافع المشفَّع رسولَ الله ﷺ ، ولم يزلْ معه حتَّى فتحَ اللهُ - عزَّ وجلَّ - عليه مكَّة المكرمة ، ودخل النَّاسُ في دين الله أفواجا ، وسبَّحوا بحمد ربِّهم واستغفروه ، إنَّه كان تَوَّابًا ، وبالمؤمنين رحيماً .

\* ولمَّا أخذ الصَّادقُ المصدوقُ رسولَ الله ﷺ في إزالة الأصنام من على أرض الجزيرة العربيَّة ، تقدَّم منه سَيِّدَنَا الطُّفَيْلُ - رضي الله عنه - ، وقال له : « يا رسولَ الله ! ابعثني إلى ذي الكفَّين - صنم عمرو بن حَمَمَة - حتَّى أحرقه » ، فبعثه ﷺ إليه ، فأحرقه الطُّفَيْلُ ، وجعل يقول وهو يوقدُ النَّارَ عليه ، وكان من خَشَب :

يا ذا الكفَّين لَسْتُ منْ عبَادِكَ      ميلادنا أكبرُ من ميلادك  
أنا حششتُ النَّارَ في فؤادك

\* ويروي سَيِّدَنَا الطُّفَيْلُ قصة نهاية هذه الحادثة فيقول : « لمَّا أحرقتُ ذا

---

(١) انظر : « مختصر تاريخ دمشق » ( ١ / ١٨١ ) بشيء من التَّصَرُّف ، وانظر : « المستدرك » ( ٣ / ٢٩١ ) .

الكفّين ، بانّ لمن بقي ممّن تمسّك به أنّه ليس على شيء ، فأسلموا جميعاً» (١) .

\* وفي رواية أخرى عن إحراق صنم ذي الكفّين نسمع من ابن عساكر رحمته الله قوله : « لَمَّا افْتَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حُنَيْنًا ، وَأَرَادَ الْمَسِيرَ إِلَى الطَّائِفِ ، بَعَثَ الطُّفَيْلَ بْنَ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - إِلَى ذِي الْكَفَّيْنِ - صَنَمِ عَمْرٍو بْنِ حَمَمَةَ - يَهْدِمُهُ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَسْتَمِدَّ قَوْمَهُ ، وَيُؤَافِيَهُ بِالطَّائِفِ .

فَقَالَ الطُّفَيْلُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَوْصِنِي .

قال ﷺ : « أَفْشِ السَّلَامَ ، وَابْذُلِ الطَّعَامَ ، وَاسْتَحْيِ مِنَ اللَّهِ كَمَا يَسْتَحْيِ الرَّجُلُ ذُو الْهَيْئَةِ مِنْ أَهْلِهِ ، إِذَا أَسَأَتْ فَأَحْسِنْ ، فَ : ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّكْرَيْنِ ﴾ [ هود : ١١٤ ] .

فخرج مسرعاً إلى قومه ، فهدمَ ذا الكفّين ، وأسرعَ معه قومه ، انحدرَ معه أربع مئة من قومه ، فوافوا النَّبِيَّ ﷺ بالطائف بعد مقدمه بأربعة أيّام بدبابة ومنجنيق ، وقال : « يا معشر الأزد ! مَنْ يَحْمِلُ رَايَتَكُمْ ؟ » .

قال الطُّفَيْلُ : مَنْ كَانَ يَحْمِلُهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ .

قال : « أصبتم » وهو الثُّعْمَانُ بْنُ الزَّرَافَةِ اللَّهَبِيُّ » (٢) .

\* ظلَّ الطُّفَيْلُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ ، وَكَانَ يَذْهَبُ إِلَى سَيِّدِنَا أَبِي بِنِ كَعْبٍ (٣) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَيَقْرُؤُهُ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ ، وَيَعْلَمُهُ بَعْضَ

(١) « طبقات ابن سعد » ( ٤ / ٢٣٩ - ٢٤٠ ) ، و « أسد الغابة » ( ٢ / ٤٦٢ ) ،

و « الاستيعاب » ( ٢ / ٢٢٥ ) مع الجمع بينها .

(٢) « مختصر تاريخ دمشق » ( ١١ / ١٨٢ ) .

(٣) اقرأ سيرة سيّدنا أبيّ بن كعب الأنصاريّ - رضي الله عنه - في الباب الثالث من موسوعتنا : « علماء الصحابة - رضي الله عنهم - » ( ص : ٥٥٣ - ٥٨٦ ) ، ففي سيرته فوائدٌ تنفع العالم والمتعلّم بإذن الله .

أحكامه ، وقد روى لنا سيّدنا الطُّفَيْلُ خبَرَ هذه الواقعة فقال : « أقرّاني أبيُّ بنُ كعب القرآن ، فأهديتُ له قوساً ، فعدنا إلى النَّبِيِّ ﷺ متقلّداً ، فقال له النَّبِيُّ ﷺ : « مَنْ سَلَحَكَ هذه القوس يا أبيُّ ؟ » .

قال : الطُّفَيْلُ بنُ عمرو الدَّوسِيّ ، أقرّأته القرآن .

فقال له رسولُ الله ﷺ : « تقلّدها شلوةً من جهنّم » .

فقال : يا رسولَ الله ! إنّنا نأكلُ من طعامهم .

فقال : « أمّا طعامٌ صنِيعٌ لغيرك ، فَحَضَرْتَهُ فلا بأس أن تأكله ، وأمّا ما صنِيعٌ لك ، فإنّك إن أكلته ، فإنّما تأكلُ بخلافك » (١) .

\* أقام سيّدنا الطُّفَيْلُ بالمدينة المنورة مع سيّدنا رسول الله ﷺ ، حتّى توفي ﷺ وهو راضٍ عن الطُّفَيْلِ ؛ ولمّا ارتدت العربُ ، ونجمَ في بعض أحيائهم عددٌ من المتنبّئين ، خرج الطُّفَيْلُ مع المجاهدين من رجالِ عَصْرِ النَّبُوَّةِ الأخيار ، فجاهد حتّى فرغوا من طليحة الأسدِيّ ، وأهل نجد كلّها ، ثمّ سار مع المسلمين إلى اليمامةِ ومعه ابنتُه عمرو بنُ الطُّفَيْلِ ، فقال لأصحابه : « إنّني قد رأيتُ رؤيا ، فاعبروها لي إنّ كنتم للرؤيا تعبرون : رأيتُ أنّ رأسي قد حُلِقَ ، وأنّه قد خرجَ من فمي طائرٌ ، وأنّ امرأةً لقيتني فأدخلتني في فرجها ، ورأيتُ أنّ ابني يطلبني طلباً حثيثاً ، ثمّ رأيتُه حُيسَ عني » .

قالوا : « خيراً رأيتَ يا أبا عمرو » .

فقال : « أما والله إنّني قد أولّتها » .

قالوا : « وما ذاك ؟ » .

قال : « أمّا حَلِقُ رأسي فوضعه ، وأمّا الطَّائِرُ الذي خرجَ من فمي

(١) « مختصر تاريخ دمشق » ( ١١ / ١٧٨ ) .

فروحي ، وأمّا المرأة التي أدخلتني في فرجها ، فالأرض تُخْفَرُ لي ، فأُعَيَّبُ فيها ، وأمّا طلب ابني إياي ، ثمَّ حبسه عني ، فإنِّي أراه سيجهدُ لأنَّ يصيبه من الشَّهادة ما أصابني ولا أراه يلحقُ في سفره هذا .

فَقُتِلَ الطُّفَيْلُ شهيداً باليمامة ، وجُرِحَ ابنه جراحاً شديدة ، ثمَّ قُتِلَ عام اليرموك شهيداً في زمنِ أميرِ المؤمنين عمر بن الخطَّاب - رضي الله عنهم أجمعين (١) - .

\* وتذكُرُ بعضُ المصادر بأنَّ عمرو بنَ الطُّفَيْلِ - رضي الله عنهما - قد أصابته الجراحةُ يومَ اليمامة ، وَقُطِعَتْ يَدُهُ وهو يجاهدُ المرتدِّين في سبيلِ الله ، ثمَّ برأ وصحَّ ، وصَحَّتْ يَدُهُ ، فبينما هو عند سيِّدنا عمر بن الخطَّاب - رضي الله عنه - ؛ إذ أتى بطعام فتَنَحَّى عنه عمرو بن الطُّفَيْلِ ، وقام غير بعيد ، فشاهده سيِّدنا عمر ، فقال له : « مالك ! لعلَّك تنَحَّيتَ لمكان يدك ؟ » .

قال عمرو : « أجل ! يا أمير المؤمنين » .

قال سيِّدنا عمر : « والله لا أذوقُهُ حتَّى تسوِّطه - تحرُّكه - بيدك ، فوالله ! ما في القوم أحدٌ بعضُه في الجَنَّةِ غيرُك » (٢) .

(١) « مختصر تاريخ دمشق » ( ١١ / ١٨٢ ) ، و« سير أعلام النبلاء » ( ١ / ٣٤٦ ) ، و« طبقات ابن سعد » ( ٤ / ٢٤٠ ) مع الجمع والتَّصْرُفِ بينها .

قال الإمامُ الدَّهَبِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « قلتُ : وقد عُدَّ ولده عمرو في الصَّحابة ، وكذا أبوه ينبغي أن يُعدَّ في الصَّحابة ، فقد أسلم فيما ذكرنا ، لكنَّ ما بلغنا أنَّه هاجر ، ولا رأى النَّبِيَّ ﷺ » . « سير أعلام النبلاء » ( ١ / ٣٤٧ ) .

(٢) « طبقات ابن سعد » ( ٤ / ٢٤٠ ) ، و« المستدرک » ( ٣ / ٢٩١ ) مع الجمع بينهما والتَّصْرُفِ اليسير .

\* ثمَّ خرجَ عمرو عام اليرموك في الخلافةِ العُمريَّةِ الميمونة مع رجالِ المسلمين وفرسانهم ، فلقِيَ اللهُ شهيداً - رضي اللهُ عنه - .

\* رضي اللهُ عن الشَّهيدَيْنِ السَّعيدَيْنِ الطَّفيلِ وابنه عمرو ، ورضي اللهُ عن الصَّحابةِ أجمعين ، وحشَرنا معهم ، وعفاَ عَنَّا بفضله وكرمه ، وجعلَ آخرَ كلامنا : « لا إلهَ إلا اللهُ ، محمَّدٌ رسولُ اللهُ » .



رَفَعُ  
عبد الرحمن العجّري  
أسكنه الله الفردوس  
[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)



# عُمَيْرُ بْنُ وَهَبٍ

رضي الله عنه

- \* فَصَّةُ إِسْلَامِهِ تَهَرُّ الْكِيَانَ هَرَّةً إِعْجَابٍ ؛ وَتَنْبِيُّ عَنْ الصَّفَاءِ .
- \* خَرَجَ لِيَطْفِي نَوْرَ اللَّهِ ، فَاسْتَضَاءَ بِنُورِ اللَّهِ وَأَسْلَمَ .
- \* شَهِدَ أَحَدًا وَمَا بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْمَشَاهِدِ ؛ وَشَارَكَ فِي الْفَتْوحِ .

رَفَعُ  
عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الفردوس  
[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

## عَمِيرُ بِنُ وَهَبِ رضي الله عنه

كلمةٌ حقّ :

\* قصّةُ هذا الرَّجُلِ من أعذبِ قصصِ رجالِ عصرِ النُّبُوَّةِ ؛ إذ نجتلي من خلالها رحمةَ الله - عزَّ وجلَّ - به ، ونقله من أفجرِ فجورِ الغدرِ إلى أبرِّ أعمالِ الإيمانِ .

\* وكلّما قرأتُ قصّةَ هذا الصَّحَابِيِّ الجريءِ الذَّكِيِّ ازدادتُ محبّةً له ؛ لأنّه عرفَ الحقَّ فلزمه ، بعد أن أدارَ مؤامرةً خطيرةً لاغتيالِ النَّبِيِّ ﷺ ، ومن العجيبِ أنّه أخذَ الأمانَ من النَّبِيِّ ﷺ لمن دفعه إلى غدرِ الحبيبِ المصطفى ﷺ واغتياله في وضحِ الضُّحَى ! !

\* إنّ قصّةَ عميرِ بنِ وهبِ الجمحيّ<sup>(١)</sup> - رضي الله عنه - ذاتِ وقعٍ متميّزٍ ، يهزُّ الكيانَ هزةً إعجابٍ ، وتحملُ القارئَ إلى عمقِ الحكمةِ فيها ، وتسلمه إلى عينها الصّافيةِ الجاريةِ ، وتضعه أمامَ رحمةِ الإسلامِ بمن ضلَّ بهم

---

(١) « البداية والنهاية » ( ٣ / ٣١٣ ) ، و« تاريخ الإسلام » للذهبي ( المغازي ، ص : ٥٥ ، و٧١ - ٧٢ ، و٩٩ - ١٠٠ ، و٥٣٤ ، و٥٥٩ ) ، و« شرح حياة الصّحابة » ( الفهارس : ٤ / ٨١٦ ) ، و« طبقات ابن سعد » ( ٤ / ١٩٩ - ٢٠١ ) ، و« معرفة الصّحابة » ( ٣ / ٤٦٨ - ٤٧٠ ) ترجمة رقم : ( ٢١٨٩ ) ، و« أسد الغابة » ( ٣ / ٧٩٧ - ٧٩٨ ) ترجمة رقم : ( ٤٠٩٠ ) ، و« الإصابة » ( ٣ / ٣٦ - ٣٧ ) وغيرها .

السَّبِيلَ وِضَلُّوا هُم السَّبِيلَ ، فَإِذَا هُم بِلِحْظَةٍ يَتَحَسَّسُونَ الْحَقَّ ، وَيَلْمَسُونَ سَنَاهَ ، وَيَصْبِحُونَ رِجَالًا لَهُمْ شَأْنٌ فِي التَّارِيخِ النَّاصِعِ ، بِبَرَكَةِ سَيِّدِنَا وَحَبِيبِنَا مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

\* كَانَ عَمِيرُ بْنُ وَهَبِ بْنِ خَلْفِ الْجَمْحِيِّ الْقُرَشِيِّ مِنْ مَشَاهِيرِ رِجَالِ قُرَيْشٍ وَأَعْيَانِهِمْ ، وَكَانَ يَكْنَى أَبَا أُمَيَّةَ ، وَلَهُ مِنَ الْوَلَدِ وَهْبُ بْنُ عَمِيرٍ - وَكَانَ سَيِّدَ بَنِي جُمَحٍ - وَأُمَيَّةُ وَأُبَيُّ (١) .

\* نَشَأَ عَمِيرُ بْنُ وَهَبٍ فِي مَكَّةَ كغیره من سرارة أهلها ، وَلَمْ يَسْتَجِبْ إِلَى دَاعِيِ الْإِسْلَامِ عِنْدَمَا سَطَعَ بِنُورِهِ عَلَى مَكَّةَ ، وَسَمِعَ بَدِينِ اللَّهِ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ يُعْزِهِ أَيَّ اهْتِمَامٍ ، وَانصرف إلى تعلُّمِ الفُروسيَّةِ حَتَّى غَدَا أَحَدَ فِرْسَانَ قُرَيْشٍ وَأَبْطَالِهَا وَشَيَاطِينِهَا (٢) .

\* ذَكَرَهُ ابْنُ الْأَثِيرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي «أَسَدِ غَابَتِهِ» فَكَانَ مِمَّا قَالَ عَنْهُ : «كَانَ لَهُ قَدْرٌ وَشَرَفٌ فِي قُرَيْشٍ ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ . . . . وَكَانَ مِنْ أَبْطَالِ قُرَيْشٍ وَشَيَاطِينِهِمْ . . . » (٣) .

\* وَقَالَ عَرُوةُ بْنُ الرُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «كَانَ عَمِيرُ بْنُ وَهَبٍ شَيْطَانًا مِنْ شَيَاطِينِ قُرَيْشٍ ، وَمِمَّنْ كَانَ يُوْذِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ ، وَيَلْقَوْنَ مِنْهُ عِنَاءً وَهُوَ بِمَكَّةَ» (٤) .

### البلايا تحمل المنايا :

\* البلايا تحمل المنايا ؛ كلمة تحمل معناها ، نطق بها عمير بن وهب قبل بدء معركة بدر بسويعة . فقد خرج عمير بن وهب ومعه ابنه وهب بن عمير

(١) «طبقات ابن سعد» (٤ / ١٩٩) .

(٢) «التبيين في أنساب القرشيين» (ص : ٤٠) .

(٣) «أسد الغابة» (٣ / ٧٩٧) .

(٤) «السيرة النبوية» (١ / ٦٦١) .

مع المشركين في حشودهم الفوّارة بالحقّد على المجتمع المسلم ، وكان الغيظُ يأكلُ قلوبهم ، والحسدُ ينهشُ لحومهم ويدغدغُ أضغانهم على المسلمين الذين تعرّضوا لتجارتهم .

\* أقبلت قريشٌ بالذُّروع السَّائرة ، والجموع الوافرة ، والأسلحة الشَّاكية الكاثرة ، فلمَّا رآها الصَّادق المصدوق ﷺ توجَّهَ إلى البارئ العليم عزَّ شأنه وقال : « اللهمَّ هذه قريشٌ قد أقبلتْ بخيلائها ، وعجبيها ، وفخرها تحادّك ، وتخالفُ أمرَك ، وتكذِّبُ رسولك ، فنصركَ الذي وعدتني . اللهمَّ إنَّك أنزلتَ الكتابَ ، وأمرتني بالثَّبات ، ووعدتني إحدى الطَّائفتين ، وإنَّك لا تخلفُ الميعاد . اللهمَّ أحنِّهم - أهلكهم - الغداة » .

\* اطمأنت قريشٌ إلى عدتها وعديدها ، فأوعزت إلى عمير أن يعرف عددَ المسلمين ويحزّرهم ، وكان عميرٌ ممَّن عصمت بهم أعيانُ قريش وكبرأؤها سياسةً تدبيرها في حربِ رسولِ الله ﷺ وأصحابه في موقعة بدر ، فوكلت إليه أن يحزّر لهم أعداد جندي الله ، وأن يعرف قوّة شوكتهم ، وما يحملون من سلاح وعدة ليجابها قريشاً .

\* امتطى عميرٌ بنُ وهب صهوة جواده كالنمر الجائع ، وجال به قرب معسكر المسلمين وحولهم ، يذهبُ ويجيءُ ، ويعيدُ الكرّة بعد الكرّة ، حتّى ضبط لهم عددَ جنود المسلمين ضبطاً أتى على واقعهم العددي ، فهو رجلٌ استخبارات ممتاز من رجال الدَّرَجَة الأولى في هذا الميدان الخطير ، وهو رجلٌ شديد جسور ذو دهاء ورأى ومكيده .

\* رأى عميرٌ في وجوه الأنصار العجب العُجاب ، رأى وجوهاً كأنها الحيّات تلتئمُ ولا تتكلّم ، ورأى في سيوفهم الموت النَّاقع تحمله رؤوسها مع أسنّة رماحهم .

\* رجع عميرٌ مسرعاً وأخبر سادة الفجّار بقوله : « يا معشر قريش ! هم ثلاث مئة يزيدون قليلاً ، أو ينقصونه ، ولكن أمهلوني حتّى أنظرَ للقوم كميناً أو مدداً » .

\* فذهب في الوادي حتى أبعده وضرب في جوانبه ذات اليمين وذات الشمال ، فلم ير شيئاً ، فرجع إليهم وقال لهم مقالة خبير عسكري ، يحمل النصح للقادة ، ويحذّرهم من عاقبة الأمر ، ويصف لهم رجال الجيش المسلم : « ما رأيتُ شيئاً ، ولكن قد رأيتُ - يا معشر قريش ! - البلياء تحمل المنيا ، نواضح يثرب تحمل الموت النَّاقِع ، قومٌ ليس لهم منعةٌ ولا ملجأٌ إلا سيوفهم ، والله ! ما أرى أن يُقتلَ رجلٌ منهم حتى يُقتلَ رجلاً منكم ، فإذا أصابوا منكم أعدادهم ، فما خير العيش بعد ذلك ؟ فرؤوا رأيكم » (١) .

\* ولما علمت قريش بالنبا الذي يحمله عمير - إذ كان عنده الخبر اليقين - لم يأبهوا له على الرغم من أن استكشافه صحيح مئة بالمئة ، وأصرّ أغلبهم على القتال ، واغترّوا بما عندهم من السلاح والعدّة ، والقضّ والقضيض ، بل إنهم استهتروا بقوله الذي وصف لهم أنصار الله - عزّ وجلّ - ، وقالوا له : « دغّ عنك هذا يا عمير ! واذهب فأوقد نار الحرب ، وأشعل فتيلها ، وحرّض بين القوم » .

\* وهلها نفخ الشيطان في خياشيم عمير ، وأخذته العزة بالإثم ، ورمى بنفسه عن صهوة جواده ، وألقاها بين رجال المسلمين ، وكان أوّل من أنشب الحرب وأشعل فتيلها ، وأوقد ضرامها ، على الرغم من أنه كان يرغب في عدم نشوب الحرب . قال ابن سعد رحمته الله : « وقد كان حريصاً على ردّ قريش عن

(١) « تاريخ الإسلام » للذهبي (المغازي ، ص : ٥٥) ، وفي رواية أنّ عميراً قال : « رأيتُ يا معشر قريش البلياء تحمل المنيا ، ألا ترونهم خرساً لا يتكلمون ، يتلمظون تلمظ الأفاعي ، لا يريدون أن ينقلبوا إلى أهلهم . . . » . وقوله « البلياء تحمل المنيا » : التوق تبرك على قبر صاحبها فلا تعلق ولا تسقى حتى تموت ، ويقصد الإبل تحمل الموت . و« نواضح » : جمع ناضح : البعير ، أو غيره الذي يُسْتَقَى عليه الماء .

لُقِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِبَدْرٍ « (١) .

\* دارت رحى الحرب تطحنُ حشود الكُفْر طحناً أتى على صناديدهم قتلاً ، وأشرفهم أسراً ، وعلى غوغائهم هرباً ، وكان وهبُ بنُ عمير فيمن أسِر يوم بدر مع السَّبعين ، أسرُهُ رفاعَةُ بنُ رافع بن مالك الزَّرقي . أمَّا عميرُ بنُ وهب فكان ممَّن أسلم ساقِيه للرَّيح فارًّا نحو مكَّة هرباً من المنايا التي تطلُّ برؤوسها من سيوف المسلمين . وقيل : « إنَّ عميرَ بنَ وهبٍ جُرِحَ يوم بدر ، فوقع في القتلى ، فأخذَ الذي جرحه السَّيف فوضعه في بطنه حتَّى سمع صريرَ السَّيف في الحصى ، حتَّى ظنَّ أنَّه قد قتله ، فلمَّا وجدَ عميرٌ بَرْدَ الليل ، أفاقَ إفاقةً فجعل يحبو حتَّى خرجَ من بين القتلى ، فرجع إلى مكَّة ، فبرأ منه » (٢) .

\* وللشَّيخ محمَّد عرجون رَحِمَهُ اللهُ تَعْلِيْقُ نَفِيْسٍ ، وكلامٌ مفيدٌ على بَعَثِ عمير بن وهب ليحزَرَ لهم عددَ المسلمين ، فيقول ما محصَّله : « كانت حالة أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ في قلَّةِ عددهم ، وضعفِ عدَّتهم ، موضعَ عَجَبٍ و غرابةٍ عند أعدائهم ، فتشككوا في أن يكون وراء هذا العدد القليل أكمنة متخفية وراء هذه القلَّة الظَّاهرة ، فأرسلوا داهيتهم عميرَ بنَ وهب ليحزَرَ لهم أصحابِ محمَّد ﷺ ، ويتعرَّفَ حالهم ، وهل لهم كمينٌ وراء عددهم الظَّاهر القليل ؟ هذا العددُ الذي استهتر به الفاسقُ أبو جهل ، فقال مستخفاً بهم : إنَّهم أكلةٌ جزور . ولكنَّ أبا جهل في حمقه لا يعرفُ إلا ما تبصره عينه الحولاء من الأشباح التي تمشي على الأرض وهو أجهلُ من الجهل في معرفته بالقوى المعنويَّة من العزائم الإيمانيَّة التي تكمنُ في صدور الرِّجال ، فلا تظهرها إلاَّ مقابلة المِحنِ الممحصَّة لمعادن البطولة ، فتحدَّثَ عمَّا رأى يبصره ؛ ولكنَّ داهيتهم عميراً جاءهم بما خلعَ قلوبهم من بين جوانحهم فقال لهم : ( قد رأيتُ يا معشرَ قريشِ البلايا تحملُ المنايا ، نواضحُ يثرب تحملُ

(١) « طبقات ابن سعد » (٤ / ١٩٩) .

(٢) « طبقات ابن سعد » (٤ / ٢٠٠) .

إليكم الموت التّاقع ) وعميرٌ بهذا القول ينفضُ لقريش وقائدها أبي جهل ما في كنانته ، وهو إذ ذاك كان لا يزالُ يتمرّغُ في حَمَاةِ الشُّركِ ، وأوْحالِ الوثنيّةِ ، فوصفَ لقومِهِ ما أملاه عليه دهاؤُه وحذره عليهم أن تفتك بهم سيوفُ نواضح يثرب ، وأن يذهبَ أشرافُهُم طعمَةً لنيرانِ هؤلاء الأبطال الذين لا منعةَ لهم إلا سيوفُهُم ، والذين لن يُقتلَ منهم رجلٌ حتّى يكونَ جندلَ إلى جانبه رجلاً من أشرافِهِم . ولو كان عميرٌ بنُ وهب يومئذ يعرفُ عن الإيمان وعزائمِه شيئاً لقال لقومه : لقد رأيتُ أصحابَ محمّدٍ ﷺ لا منعةَ لهم إلا إيمانهم ، وعزائمهم ، وصدق إخلاصهم في لقائكم ، ولن يُقتلَ منهم رجلٌ حتّى يكونَ قد قتلَ عشرةً منكم ، فإذا أصابوكم إفناءً وهواناً وإذلالاً فما بقاء من بقي من أشباحكم بعد هذا ؟ « (١) .

\* كانت هذه الحقيقةُ هي التي ملأت قلوبَ ذي التّعقلِ واحتساب العواقبِ من أمثال : عتبة بنِ ربيعة ، وحكيم بنِ حزام (٢) ، وكانت هي الحقيقةُ الواقعيّةُ التي تكشّفت عنها الغيبُ ، فقد استأصلت هذه القلّةُ المؤمنةُ سادةَ قريش ، وأسرتْ آخرين ، فدفعوا الفداء وهم صاغرون .

### تأمّرٌ وبيءٌ :

\* وصل عميرٌ بنُ وهب مكّة المكرّمة كاسفَ البال ، مهموماً ، قد لفّه الحزنُ على ابنه الذي وقع أسيراً بأيدي رجالِ الصّحابة وأبطالهم ، وكان خبرُ الهزيمة المنكرة التي حاقت بالكفّار قد سبقه على لسان عددٍ ممّن شهد المعركة ، ووجد النَّاس يتحدّثون ، ويذكرون أسماء من لقي حتفه مقتولاً من صناديد قريش ، ومن أُسرَ من أشرافِهِم وسراتهم وذوي التّباهة فيهم ؛ وكان من بين القتلى : أميّة بنُ خلف الجمحيّ ، وابنه عليّ بن أميّة ، وعتبة بنُ ربيعة

(١) « محمّد رسول الله » ( ٢ / ٢٩٩ - ٣٠٠ ) بتصرّف واختصار يسيرين .

(٢) اقرأ سيرة حكيم بن حزام في الباب الثالث من هذه الموسوعة ، فالسيرة الحكيميّة تحكم فينا محبة الصّحابة أجمعين .



وأخوه شيبه وغيرهم من أعمدة الكفر ومسانده في قريش .

\* كان صفوان بن أمية جالساً في الحجر يسمع ما يدور من أحاديث وأعاجيب فلا يكاد يصدّق ، ويأخذه الدهش ممّا يقولون ، وإذا بعُمير بن وهب يأتي مجلسه ، فيقعدُ إليه ، وهو غارق في همومه وأسفه وحزنه على مَنْ قُتِلَ في بدر ، فسمعه عميرٌ يقول : « فَبَحَّ اللهُ العيشَ بعد قتلِي بدر » .

فقال له عميرٌ : « أجل ، والله لولا دَيْنُ عليّ لا أجدُ قضاءه ، وعيالٌ لا أدعُ لهم شيئاً ، أخشى عليهم الضيعة بعدي ، لخرجتُ إلى محمّدٍ فقتلته إن ملأتُ عيني منه ، إن لي عنده علةٌ أعتلُّ بها ، أقول : قدمتُ على ابني هذا الأسير » .

\* التقط صفوان بن أمية الكلمات العُميريّة الحماسيّة التي كانت تسيلُ مع لعبه تشوقاً للانتقام ، فاهتبلها فرصة سانحة لا تُعوّض ، وفرح بهذا العرض السهل ، فقال لابن عمّه عمير يغريه ويحرّضه : « عليّ دَيْنُك يا عميرُ أقضيه عنك وافيأ ، لا يتبعك بشيء منه أحدٌ قط ، وعيالُك مع عيالي ، أواسيهم ما بقوا ، وأنفقُ عليهم كما أنفقُ على عيالي » .

فقال عمير وقد اتسع صدره : « فاکتمْ شأني وشأنك يا بنَ عمّ » .

قال صفوان : « أفعلُ ذلك فامضِ لشأنك » .

\* تكفّل صفوان بتجهيز عمير بن وهب ، وأمر له بسيفٍ بالغ في صقله ، وشحذه ، وأشبعه سمّاً زعافاً . نهضَ عميرٌ من مكانه وغادر المسجدَ ونيرانُ الحقدِ تتأججُ في فؤاده تكاد تكظمُ أنفاسه ، وأخذ يودّع ابن عمّه صفوان وهو يعدّه ويمنيه ، وما يعدّه إلا الغرور ، وما يمنيه إلا خواء الكلام وهرائه .

\* تعاهد عميرٌ وصفوان على الكتمان ، لكنّ الوحيَ الأمينَ أخبرَ الرسولَ الأمينَ ﷺ بذلك الاتّفاق ، وتلك المؤامرة الوبيئة النذلة .

\* وتعالوا الآن نستمتعُ بروضِ الأدب ، ونستروخُ عبيرَ زهره من خلال

هذه الهمسة التي تتحدث عن المؤامرة الصفوانية العميرية لاغتيال رسول الله ﷺ :

وهناك عند البيت كان اثنان في همسٍ يُبصر  
صفوانٌ يجلسُ مع عميرٍ إنَّه أمرٌ عسير  
فتحدثا في شأن بدرٍ ذاكُم الأمرُ المثير  
الاتفاق يتمُّ بينهما على أمرٍ خطير  
هَذَا سيذهبُ نحو يثربَ يقتلُ الهادي البشير  
ويقومُ صفوانٌ بحمْلِ الدَّينِ عنه كذا الصَّغير  
قالا لَنكتُمُ أمرنا عن كلِّ ذي عَيْنٍ بصير  
قد خابَ ظَنُّهما لقد عرفَ الرَّسولُ من القدير

\* لقد ظنَّ صفوانٌ وعميرٌ أنَّهما بهذا التَّدبيرِ الوبيءِ من اغتيالِ النَّبِيِّ ﷺ يتخلَّصان منه ، وكانت هذه المؤامرةُ أوَّلَ مؤامرةٍ تُدبَّرُ في مَكَّةَ لاغتياله ﷺ بعد معركة بدر الكبرى ؛ وكان من السَّهلِ تنفيذُ هذه المؤامرة ، لولا العنايةُ الرَّبَّانيَّةُ واللطفُ الإلهيُّ الذي حفَّ الحبيب المصطفى ﷺ . ترى كيف كان ذلك ؟

« أدخله عليَّ » :

\* سار عميرٌ يقطعُ الفيافي والقفار حتَّى وصلَ المدينة المنورة ونزل بباب المسجد النَّبويِّ ، واعتقل بعيره ، وتوشَّح سيفه ، وهم بالدُّخولِ على رسولِ الله ﷺ متظاهراً بأنَّه جاء لدفعِ الفداء عن ابنه وهب ، وإطلاقِ سراحه .

\* في هذه الأثناء رآه الألمعيُّ العبقرِيُّ فاروقُ رجالِ عصرِ التُّبوةِ وقوَّيهم الأمينُ عمرُ بنُ الخطَّابِ - رضي اللهُ عنه وأرضاه - ، وكان عمرُ يجلسُ إلى نفرٍ من الأنصار ، يتحدثون عن وقعة بدر ، ويذكرون أنعمَ اللهُ عليهم فيها ، وما أراهم اللهُ في عدوهم ، ففزَعَ عمرُ - رضي اللهُ عنه - ، وارتاب في أمره ؛ إذ رأى شيطانَ قريشِ عميرِ بنِ وهبٍ يهَمُّ بدخولِ المسجدِ ، وسيفُهُ في رقبتهِ ،

فصاح : « هذا عدوُّ الله عُمر بنُ وهب الذي حَزَرَنَا للقوم ، الذي أشعلَ نار الحرب » .

\* نهض سيّدنا عمر - رضي الله عنه - ، ثمَّ أسرَعَ فدخَلَ على رسولِ الله ﷺ ، فقال : « يا رسولَ الله ! هذا عميرُ بنُ وهب قد دخل المسجد متقلِّداً سيفه ، وهو الغادرُ الفاجرُ ، يا رسولَ الله ! لا تأمنه على شيء » .

فقال الصّادقُ المصدوقُ ﷺ لعمر : « أدخله عليّ » فخرج عمر - رضي الله عنه - فأمرَ أصحابه : « أن ادخلوه على رسولِ الله ﷺ ، واحترسوا من عمير » .

\* أقبل سيّدنا عمرُ - رضي الله عنه - على عميرِ بنِ وهب ، وأخذ بحمالة سيفه ، ولبّيه ، ودخل به على رسولِ الله ﷺ وسيفه في رقبته ، فقال عمير : « أنعموا صباحاً » .

فقال رسولُ الله ﷺ : « قد أكرمنا اللهُ بتحيّة خير من تحيتك ، بالسّلام ، تحيّة أهل الجنّة ، فما أقدمك يا عمير ؟ » .

قال : « قدمتُ في أسيري ، ففادونا في أسيركم ، فأنتم العشيرة والأهل » .

\* توهم عميرُ أنّه قد استطاع أن يملك الحيلة ، ويمتلك الحجّة ، وأنّه أقنع ووصل ، وانطلت أذوبتةُ البلهاء على محمّد رسولِ الله ﷺ ، وعلى الذين آمنوا معه ؛ وتحلّقوا حوله ، ولكنّ رسولَ الله ﷺ صدع فؤاده فقال له : « فما بال السيف في رقبك ؟ » .

فقال عميرُ وقد انخلع قلبه ، واستطار لُبّه : « قبّحها الله من سيوف ، وهل أغنت عتاً من شيء ، إنّما نسيته حين نزلت » .

\* نفرّسَ الحبيبُ المصطفى ﷺ في وجهِ عمير فألفى شيطنةَ عمير تتلاشى فقال : « اصدقني ما أقدمك ؟ » .

قال عميرٌ مردّداً أكذوبة أسرِ ابنه : « قدمتُ في أسيري ، وما جئتُ إلاً لذلك » .

\* ظنَّ عميرٌ أنَّ دهاءه ينطلي على الثبوة ، وأنَّ الأمورَ تستقيمُ له كما يشاء ، غير أنَّ الصادقَ المصدوقَ ﷺ قطعَ عليه طريقَ الكذب والدَّهاء ، وأنبأه بما أخبره به العليمُ الخبيرُ ممَّا كان بينه وبين صفوان بن أمية من مناجاةٍ بالإثم والعُدوان والغدرِ وهما في الحجرِ بمكةَ المكرَّمة بجوار البيتِ العتيق ، ثمَّ قال ﷺ لعمير : « فما الذي شرطتَ لصفوان بن أمية في الحجر ؟ » وفزعَ عميرٌ فزعَ الخائنين الخائفين ؛ إذ رأى ولمس أنَّ أوَّلَ خيطِ الفضيحة ، وعقدِ المؤامرة الصَّفوانية العميريَّة قد أخذ يعرِّي كذبه ودهاءه ، فتماسكَ وهو يتلَع ريقه ، وظنَّ أنَّ هذه الكلمة من قبيل المصادفات ، فقال : « ما شرطتُ لصفوان بن أمية شيئاً » .

فقال رسولُ الله ﷺ لعمير كاشفاً أسرار مؤامرتِه الخبيثة مع ابن عمِّه صفوان : « تحمَّلتَ له بقتلي على أن يعولَ بنيك ، ويقضي لك دينك ، واللهُ حائلٌ بيني وبينك » .

\* وفي رواية قال له : « بل قعدتَ أنتَ وصفوان بن أمية في الحجر ، فذكرتما أصحاب القليب من قريش ، ثمَّ قلتَ : لولا دَيْنٌ عليَّ وعيالٌ عندي ، لخرجتُ حتَّى أقتلَ محمّداً ، فتحمَّلتَ لك صفوانُ بنُ أميةَ بدينك وعيالك على أن تقتلني له ، واللهُ حائلٌ بينك وبين ذلك » .

\* ولنتحول الآن في رحاب هذه القبسة الجميلة التي تصور موقفَ الحوار بين رسولِ الله ﷺ وبين عمير ، ثم نتابع الرحلة :

هَذَا رَسُولُ اللَّهِ يَسْأَلُ وَابْنٌ وَهَبٌ إِذْ يَجِيبُ  
مَاذَا أَتَى بِكَ يَا عُمَيْرُ أَجِبْ بِصَدَقٍ لَا يَرِيبُ  
فَأَجَابَهُ إِنَّي أَتَيْتُ لَكِي أَرَى وَلَدِي الْحَبِيبُ  
هُوَ عِنْدَكُمْ فِي الْأَسْرِ طَالَ بِقَاؤُهُ هَذَا مَرِيبُ

قال النَّبِيُّ فما تريدُ بذلك السَّيفِ العَضِيبِ  
فأجاب في خبيثٍ خبيثٍ إِنَّه رجلٌ لبيبٌ  
لم تغنِ عَنَّا يومَ بَدْرٍ بئسَ أسيافاً تعيبُ  
قال النَّبِيُّ له بلى قد جئتَ في أمرٍ رهيبِ  
فجلستَ عند البيتِ مع صفوانَ سرّاً عن قريبِ  
فذكرتُما يومَ الهزيمة يومَ بَدْرٍ والقليبِ  
لا شكَّ ذاكَ اليومَ يكْمُنُ في الثُّقُوسِ فلا يغيبُ  
الاتِّفاقَ يتَمُّ بينكما على أمرٍ غريبِ  
صفوانُ يحملُ عنكَ دَيْنَكَ والعيالَ لكي تطيبِ  
من ثمَّ جئتَ تريدُ قَتْلِي قد فشلتَ ولن تصيبِ  
اللهُ يحفظني فَنِعْمَ الحافظُ المولى الرَّقِيبِ (١)

\* لم يمتلك عميرُ بنُ وهبٍ أمامَ كُشفِ هذه الحقائق وجلوتها على صورتها الحقيقية إلا أن يستسلم للحقِّ ، فانقلبَ من شيطانٍ مريدٍ ، إلى مؤمنٍ رشيدٍ ، وانسكبتُ قطراتُ غيثِ الإيمانِ على قلبه ، وقال بلسانِ اليقين والصِّدقِ : « أشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ ، وأشهدُ أنَّ محمَّداً رسولُ اللهُ ، يا رسولَ اللهُ ! كُتِّبَ نكذبُك بالوحي ، وبما يأتيك من السَّماءِ ، وأنَّ هذا الحديثَ بيني وبين صفوانِ في الحجرِ ، لم يطلعَ عليه أحدٌ إلا اللهُ تعالى ، والحمدُ لله الذي ساقني هذا المساقَ ، وقد آمَنتُ بالله ورسوله » (٢) .

« فَهَؤُا أَخَاكَم » :

\* بعد أن غدا عميرُ بنُ وهبٍ أحدَ رجالِ الإسلامِ ، وانتظم في سبيلِ  
﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [ الحجرات : ١٠ ] ، التفتَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى أصحابه ،

(١) « تغريدة السَّيرة النَّبَوِيَّة » ( ٢ / ٢٩٠ ) .

(٢) « صحيح السَّيرة النَّبَوِيَّة » ( ص : ٢٥٩ ) بتصرفٍ يسيرٍ ، وانظر : « المغازي » ( ١ / ١٢٧ ) .

وقال لهم بلطفٍ ومودّةٍ وإيناسٍ : « فقَّهوا أحاكم في دينه ، وعَلِّموا القرآن ، وأطلقوا أسيره » .

\* وفي روايةٍ أنّ الحبيب المصطفى ﷺ قال لعمير متلطفاً به ، مسروراً بإيمانه وانتقاله من بحار الظلمات إلى آفاق النور ، وإلى صراطِ العزيز الحميد : « اجلسْ يا عمير نؤانسك » وفي رواية : « نواسيك » ، ثمَّ أمرَ الحبيب المصطفى ﷺ أن يطلقوا ابنه وهباً دون فداء .

\* دُهِسَ عميرٌ لهذه الرَّأفةِ النَّبَوِيَّةِ به ، فقد قدم من مكَّةَ يحملُ بين جنبيه وجوانحه قلباً مملوءاً حقداً وعداءً للإسلام ونبيِّ الإسلام ، فلمَّا عرفَ الحقيقة ، وذاق حلاوة الإيمان ، تبدَّلت عداوته حبّاً مستفيضاً للإسلام ونبيِّ الإسلام ، واستقرَّت مشاعره الدَّاخِليَّة ، وهدأت نفسه ، ونظرَ إلى ماضيه في ميزان حاضره ، فرأى أن يكفِّرَ عمَّا سلفَ بأن يدعوَ إلى الله ، فقال للهادي البشير ﷺ : « يا رسولَ الله ! إنِّي كنتُ جاهداً على إطفاء نور الله ، شديد الأذى لمن كان على دين الله ، وأنا أحبُّ أن تأذنَ لي ، فأقدم مكَّةَ ، فأدعوهم إلى الله ، وإلى رسوله ، وإلى الإسلام ، لعلَّ الله يهديهم ، وإلا آذيتهم في دينهم كما كنتُ أؤذي أصحابك في دينهم » .

\* فأذن له الحبيب المصطفى ﷺ ، فلاحق بمكَّةَ المكرمة ، وكان ابنُ عمِّه صفوان بن أميَّة لا يزالُ يلعبُ به شيطان الغرور ويظنُّ كلَّ الظنِّ أنّ مؤامرتَه ستتوجُّ بالنَّجاح ، وسيطفئُ عميرٌ حرقه نفسه ونيرانَ قلبه ، وكان يقولُ لقريش : « أبشروا بوقعةٍ تأتيكم الآن في أيَّام ، تنسيكم وقعةَ بدر » .

\* وكان صفوانُ بنُ أميَّة يسألُ عنه الرِّكبان القادمين عليه من المدينة ، هل كان بها حدتٌ ؟ حتَّى قدم عليه رجلٌ فأخبره أنّ عميراً أسلم ، وأصبحَ من رجالِ محمَّدٍ ﷺ الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فكاد الأسى يقضي على صفوان لولا تأسَّيه ، وحلفَ ألا يكلمه أبداً ما بلَّ بحرٌ صوفه ، ولا ينفعه بنفع أبداً<sup>(١)</sup> .

(١) « صحيح السيرة النَّبَوِيَّة » (ص : ٢٥٩ - ٢٦٠) بتصرُّف يسير ، وانظر : « أسد =

\* أمّا مشركوا مكّة وفجّارها الذين أصروا على الكفر ومحبة الأصنام ، فقد كرهوا عميراً كراهيةً شديدةً ، وقالوا : صبأ ، بينما لعنه آخرون ونسبوه إلى الخطأ والخطل ، وأنه قد أصابه سحرٌ فترك ما ألفى عليه الآباء والأجداد .

\* لم يأبه سيّدنا عميرٌ لهذا كله ، ولم يُعزّ سمعهُ أيّة كلمة تنبعث من أفواه المشركين ، فقد عمّر الإيمان قلبه ، واستحوذ الإسلام عليه ، فطفق يدعو قريشاً إلى الإسلام والسّلام ، ويؤذي من خالفه ، فأسلم على يده بشرٌ كثير نعموا بدين الله كما نعم هو .

\* لم يتوقّف سيّدنا عميرٌ عند هذا الحدّ فحسب ، وإنّما مرّ ذات يوم بصفوان بن أميّة وهو في الحجر ، فدعاه إلى الإسلام دعوةً رقيقةً رفيقةً فأعرض عنه صفوان ، ولم يكلمه مطلقاً (١) .

---

= الغابة « ( ٣ / ٧٩٨ ) ، و « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٦٦١ - ٦٦٣ ) ، و « المغازي » ( ١ / ١٢٧ ) ، و « معرفة الصحابة » ( ٣ / ٤٦٩ ) ، وغيرها كثير .

(١) من الكرامات الجليلة لسيّدنا عمير أنّه استأمن لصفوان يوم الفتح ، فقد استأمن النبي ﷺ لصفوان بن أميّة يوم فتح مكّة المكرمة ، فأمنه رسول الله ﷺ ، وبعث إليه يردائه ، أو برده أماناً له ، فأسلم صفوان بعد لأي ، وحسن إسلامه بعد أن ظلّ مدّة من المؤلّفة قلوبهم على الإيمان بالعطاء الكثير الغامر حتّى قال : « أشهد أنّه لا يعطي هذا إلا نبيّ » .

وذكر ابن قدامة رحمه الله قصّة هذا العفو فقال : « لما كان يوم الفتح هرب صفوان بن أميّة فقال عميرٌ : يا رسول الله ! صفوان بن أميّة سيّد قومي ، وقد خرج ليقذف بنفسه في البحر ، فأمنه صلّى الله عليك ، قال : « قد أمّنته » قال : يا نبيّ الله ! أعطني شيئاً يعرفُ به أمانك ؛ فأعطاه النبيّ ﷺ بُرْدَةً الذي دخل وهو معتجر به ، فخرج عميرٌ في طلبه ، فأدركه بجدة ، وهو يريد أن يركب البحر ، فقال : يا صفوان فذاك أبي وأمي خيرُ النَّاس ، وأبرُّ النَّاس ، وأحلّم النَّاس ، وأوصل النَّاس ، مجدهُ مجدك ، وعزّه عزك ، وشرفه شرفك ، وملكه ملكك ، يا صفوان ! اتق الله في نفسك . قال : وملك إنّي أخشاه على نفسي ، إنّه إن رآني قتلني . =

\* وروي أنه لما قدم عميرُ بنُ وهبٍ مَكَّةَ بعد أن أسلم ، نزلَ بأهله ، ولم يقفْ بصفوانَ بنِ أميَّة ، وأظهرَ الإسلام ، ودعا إليه ، فبلغَ ذلك صفوان فقال : « قد عرفتُ حين لم يبدأ بي قبل منزله أنه ارتكسَ وصباً ، فلا أكلّمه أبداً ، ولا أنفعه ولا عياله بنافعة » . فوقفَ عليه عميرٌ وهو في الحجر ، فناداه فأعرضَ عنه ، فقال له عمير : « أنت سيِّدٌ من ساداتنا ، رأيتَ ما كُنَّا عليه من عبادة حجر ، والدَّبْحِ له ، أهذا دين ؟ أشهدُ أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً عبده ورسوله » فلم يجبه صفوان بكلمة <sup>(١)</sup> .

\* أمّا المسلمون فقد فرحوا فرحاً شديداً حين هدى الله عميراً إلى الإسلام والدِّين الحنيف ، بحيث إنَّ سيِّدنا عمرَ بنَ الخطَّاب - رضي الله عنه - كان يحبُّ عميراً أكثر من بعض أولاده ، وقد عبَّرَ عمرُ عن هذا الأمر فقال : « والذي نفسي بيده ، لخنزيرٌ كان أحبَّ إليَّ من عمير حين طلع ، ولهُوَ اليوم أحبُّ إليَّ من بعض ولدي » <sup>(٢)</sup> . وفي رواية أنَّ عمر قال : « لقد جاء عميرٌ وإنَّه لأضلُّ

= قال : هو أحلمُ من ذلك وأكرمُ ، وهذا أمانه معي قد بعثَ به إليك فرجعَ معه إلى النَّبِيِّ ﷺ ، فقال : إنَّ هذا قال : إنَّك قد أمتني . قال : « إنَّه قد صدق » . « التَّبيين » ( ص : ٤٠٤ ) .

(١) « التَّبيين في أنساب القرشيين » ( ص : ٤٠٣ - ٤٠٤ ) .

(٢) « أسد الغابة » ( ٣ / ٧٩٨ ) . وأوردَ الواقديُّ في « مغازيه » حواراً لطيفاً بين سيِّدنا عمر بن الخطَّاب ، وسيِّدنا عمير بن وهب فقال : « قالوا : وقال عمرُ بنُ الخطَّاب في مجلس ولايته : يا عميرُ بنُ وهب ، أنتَ حازرُنَا للمشركين يوم بدر ، تُصعَّد في الوادي وتصبِّب ، كأنِّي أنظرُ إلى فرسك تحتك ، تخبرُ المشركين أنه لا كمين لنا ولا مدد !

قال : إي والله يا أمير المؤمنين ! وأخرى ؛ أنا والله الذي حرَّشتُ بين النَّاس يومئذٍ ؛ ولكنَّ الله جاء بالإسلام وهدانا له ، فما كان فينا من الشُّرك أعظم من ذلك .

= قال عمر : صدقتُ » . « المغازي » ( ١ / ٦٥ ) .



من خنزير ، ثمَّ رجع وهو أحبُّ إليَّ من ولدي » .

\* ومع نهاية هذه الفقرة من السيرة العميرية الثربوية الهادفة ، ما رأيكم

= وفي قصة عمير بن وهب العميرية الأنيقة فوائدٌ وعظاتٌ ، ودروسٌ وعبرٌ ،  
منها :

١ - حرصُ المشركين من المترفين على استغلال الفقراء للوصول إلى مآربهم الدنيئة  
ومنها إرسال النَّاس إلى هلاكهم بحجَّة كفالة أهلهم مادياً ومعنوياً ، كما فعل  
صفوانُ بنُ أمية مع عمير بن وهب .

٢ - فِراسةُ رجال عصر الثبوة ، وتوفر الحسِّ الأمني عندهم ، ومنهم سيِّدنا عمر الذي  
راقب حركات عمير وتحركاته ، فحذَّر منه ، وأمرَ بحراسة النَّبي ﷺ ، وأحبطَ  
محاولة الغدر العميرية الصفوانية ، وجعلها نسيأً منسياً ، وعادت على صفوان  
وعمير بالخير .

٣ - السَّلامُ شعار تحية المسلمين وديارهم ، والسَّلام تحية أهل الجنة ، فلا مجال  
لأي تحية مهما كان مصدرها ، وينبغي أن نحذَرَ الآن من التفرنج والميوعة في  
هذا المجال الذي يعدُّه بعضُ النَّاس من الحضارة والتَّقَدُّم .

٤ - الإسلامُ دين الإحسان ، فقد أحسن النَّبي ﷺ إلى عمير وابنه فأسلما .

٥ - ثبات عمير بن وهب وقوة إسلامه ، وحبُّه لدين الله - عزَّ وجلَّ - ، فقد صمَّ  
سيِّدنا عميرٌ أن يقفَ ثابتاً بوجهِ المشركين في مكَّة المكرمة ، وأن يدعوهم إلى  
الإسلام دون وِجَلٍ أو خوف ، وقد أخذَ بذلك الإذن النَّبويَّ ، فواجه ،  
وتحدَّى ، وأسلم على يده ناس كثير ، وعاد أدراجه إلى المدينة المنورة ليتابع  
الرحلة الإيمانية المباركة العطرة الخيرة .

٦ - رجالُ عصر الثبوة رجالٌ متميِّزون بقدراتهم المتنوعة ، وكان حين تُعدُّ الرِّجال  
يُجَعَلُ سيِّدنا عمرُ بنُ الخطَّاب - رضي الله عنه - سيِّدنا عميراً ممَّن يزنُّ عنده ألف  
رجل ، وكان عميرٌ - رضوان الله عليه - أحد الرِّجال الأربعة الذين أمَدَّ بهم سيِّدنا  
عمرُ عمرو بن العاص ، الذين كان كلُّ واحدٍ منهم يُوزَنُّ بألف ، فبارك الله بهم ،  
وأكرمهم بهؤلاء الرِّجال !

أَنْ نَتَذَوَّقَ رَحِيقَ هَذِهِ الْأَزْهَارِ الْأَدَبِيَّةِ الَّتِي تَهْفُو إِلَيْهَا النَّفْسُ ؟

قال ابن وهبٍ للثَّبِيِّ بلهجة المتندِّمين  
يا خَيْرَ خَلْقِ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ شَرَّ الْكَافِرِينَ  
قَدْ كُنْتُ خَضَمًا عَاتِيًا لِلَّهِ ثُمَّ الْمُسْلِمِينَ  
بَلْ كُنْتُ أَعْمَلُ جَاهِدًا كِي أَطْفِيَ النَّوْرَ الْمُبِينِ  
مُرْنِي لِأَدْعُو أَهْلَ مَكَّةَ مِنْ كِبَارِ الْمُشْرِكِينَ  
فَلَعَلَّهُمْ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ  
أَوْ سَوْفَ أَوْذِيهِمْ كَمَا أَذَيْتُ قَبْلُ الْمُؤْمِنِينَ  
قال الرَّسُولُ لَهُ لَتَذَهَبَ فَاذُعُ كُلَّ الْغَافِلِينَ  
قَدْ ظَلَّ صَفْوَانٌ بِمَكَّةَ حَالِمًا فِي الْأَمَلِينَ  
قَدْ كَانَ يَنْتَظِرُ ابْنَ وَهْبٍ يَقْتُلُ الْهَادِيَ الْأَمِينَ  
ويَقُولُ لِلْكُفَّارِ سَوْفَ يَجِيئُكُمْ خَيْرٌ يَقِينِ  
قَدْ ظَلَّ يَسْأَلُ عَنْ عُمَيْرٍ كُلَّ رَكْبٍ قَادِمِينَ  
وَإِذَا عَمِيرٌ جَاءَ لَكِنْ دَاعِيًا فِي الْمُصْلِحِينَ  
يَدْعُو لِدِينِ اللَّهِ بِالْحَسَنِ وَيُؤْذِي الْمَعْرُضِينَ  
قَدْ أَسْلَمَ الْعَدُوُّ الْكَثِيرُ فَأَصْبَحُوا فِي الْمَهْتَدِينَ

### الْمَجَاهِدُ الْمُخْلِصُ :

\* كان لسيدنا عمير - رضي الله عنه - مكانة لا تفتقر بين صفوف الصحابة ،  
وغدا علماً مهماً يُشار إليه بالبَنان ، وخصوصاً بعد غزوة بدرٍ ، فقد أسلم من  
الأسرة العُميريَّة ابنه وهبُ بن عمير ، فقد أُسِرَ وهبُ يوم بدرٍ فيمن أُسِرَ من  
قريش ، وقدم أبوه في فدائه ، فأسلم ، وأطلقه له رسولُ الله ﷺ ، فأسلم  
وهبُ أيضاً ، وكان له قدرٌ وشرفٌ ، وروي أنَّ رسولَ الله ﷺ بسطَ له رداءه ،  
ومات بالشَّام مجاهداً - رضي الله عنه وعن أبيه (١) - .

(١) « الثَّبِين » (ص : ٤٠٤) ، و« الاستيعاب » (٢ / ٤٧٩) .

\* وأما سيّدنا عميرٌ فقد فتح صحيفةً جديدةً مونقة ؛ من صحائف الجهاد المشرقة ، فقد قيل : « إنّه شهد أُحداً مسلماً ، وعاشَ إلى صدرٍ من خلافةِ عثمان - رضي الله عنه - » (١) .

\* قال ابنُ سعدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « ثمَّ هاجرَ إلى المدينة ، فشهدَ أُحداً مع النَّبِيِّ ﷺ ، وما بعد ذلك من المشاهد » (٢) .

\* وبعد غزاتي حُنين والطائف ، أعطى رسولُ الله ﷺ ناساً من المؤلّفة قلوبهم بعضَ المالِ والأُنعام ، وأعطى عميراً مع مَنْ أعطاه من القرشيين . وشهد عميرٌ كذلك غزاةَ تبوك بالمعيّة النَّبَوِيَّة ، وهي - كما نعلم - آخرُ غزوةٍ من المغازي النَّبَوِيَّة التي قادها رسولُ الله ﷺ بنفسه ، وكتبَ عميرٌ من المجاهدين في سَجَلِ الصَّحابة الكرام الذين ما فارقوا النَّبِيَّ ﷺ في غزواته بعد إسلامهم . وبهذا يظهرُ حُسْنُ إسلامِ سيّدنا عمير الذي أخذَ يبذلُ جهده كلّهُ لينشرَ الإسلامَ بالدَّعوة ، ويجاهدَ هنا وهناك لإعلاء كلمة الله عزَّ وجلَّ .

\* وكما عرفنا فإنَّ سيّدنا عميراً قد افتتحَ سَجَلَ جهاده في أُحدٍ ، ثمَّ ما بعدها من المشاهد تحت قيادة رسولِ الله ﷺ ، ولمّا انتقلَ رسولُ الله ﷺ إلى الرِّفِيقِ الأعلى ، تابعَ سيّدنا عميرٌ - رضي الله عنه - مسيرةَ الجهاد ، فسارَ لجهاد المرتدين حتّى هدأت فورتهم ، وقُطِعَ دابرهم ، وعادت نعمةُ الإسلامِ تعمُّ الجزيرةَ العربيَّة ، عندها كانت الفتوحاتُ الإسلاميَّة قد بدأت تدقُّ أبوابَ المدنِ وأسوارها ، وينتشرُ الإسلامُ في كلّ مكانٍ شرقاً وغرباً ؛ وشمالاً وجنوباً .

\* ولمّا بدأت الفتوحاتُ تتجه نحو أرضِ الكنانة أرضِ مصرِ الطَّيِّبةِ الخيريَّة المعطاء ؛ الموصى بها من خاتم الأنبياء ﷺ ، كان الذي فتحها سيّدنا عمرو بنُ العاص - رضوان الله عليه - ، ولمّا قصدَها سيّدنا عمرو ليفتحها ، أمده سيّدنا

(١) « التَّيْبِين » (ص : ٤٠٤) .

(٢) « طبقات ابن سعد » (٤ / ٢٠٠) .

عمر - رضي الله عنه - بثلة من أبطال الإسلام ورجالهم وشجعانهم وقادتهم ، وكان سيّدنا عميرٌ أحد هؤلاء المشاهير الأبرار ؛ الذين أثروا جيشَ عمرو ببسالتهم ، وانتصروا على الرّوم في معركة حُصن بابلون .

\* قال ابنُ عبد البرِّ رَحِمَهُ اللهُ عَنْ سَيِّدِنَا عُمَيْرٍ وَبِعْثِهِ إِلَى مِصْرَ : « وَهُوَ أَحَدُ الْأَرْبَعَةِ الَّذِينَ أَمَدَّ بِهِمْ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - بِمِصْرَ ، وَهُمْ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ ، وَعُمَيْرُ بْنُ وَهْبِ الْجَمْحِيِّ ، وَخَارِجَةُ بْنُ حِذَافَةَ ، وَبِسْرُ بْنُ أَرْطَاةَ ، وَقِيلَ : الْمَقْدَادُ مَوْضِعَ بَسْرٍ » (١) .

\* أثبت سيّدنا عمير كفاءته الحربيّة والقياديّة في فتح مصر ، فأحلّه سيّدنا عمرو مكاناً لائقاً عنده ، فبعد أن فتح سيّدنا عمرو الفسّطاط ، وجّه سيّدنا عميراً إلى ثمانية بلاد ، وهي : « تَيْسَ ، تُونَةَ ، دَمِيَاطَ ، دَمِيرَةَ ، شَطَا ، دَقَهْلَةَ ، بِنَامَ ، وَبُوصِيرَ » (٢) ، فغلب عميرٌ على أرضها ؛ وصالح أهلَ قراها على مثل

---

(١) « الاستيعاب » ( ٢ / ٤٧٨ ) ، أقول : « أمّنا البلاذريّ بمعلومات مهمّة عندما تحدّث عن فتوح مصر والمغرب إبّان الخلافة العمريّة الفاروقيّة الميمونة سنة ( ١٩ هـ ) ، فقال : « قالوا : ولم يلبث عمرو بن العاص - رضي الله عنه - ، وهو محاصرٌ أهلَ الفسّطاط أن ورَدَ عليه الزُّبير بن العوّام بن خويلد - رضي الله عنه - في عشرة آلاف ، ويقال : في اثني عشر ألفاً ، فيهم : خارِجة بن حذافة العدويّ ، وعمير بن وهب الجمحيّ ؛ وكان الزُّبير قد همّ بالغزو ، وأراد إتيان أنطالية ، فقال له عمر - رضي الله عنه - : « يا أبا عبد الله هل لك في ولاية مصر ؟

فقال : لا حاجة لي فيها ، ولكني أخرجُ مجاهداً ، وللمسلمين معاوناً ، فإن وجدتُ عمراً قد فتحها لم أعرضُ لعمله ، وقصدتُ إلى بعض السّواحل فربطتُ به ، وإن وجدته في جهادٍ كنت معه ، فسار على ذلك » . « فتوح البلدان » ( ص : ٢٤٩ - ٢٥٠ ) .

(٢) راجع موقع هذه المدن وأخبارها وتفاصيل فتوحها في « معجم البلدان » لياقوت الحمويّ .

صلح الفسطاط . قال البلاذري ما ملخصه : « لَمَّا فَتَحَ عَمْرُو بْنُ العاصِ - رضي الله عنه - الفسطاطَ . . . . وَجَّهَ عَمِيرُ بْنُ وَهَبِ الجُمَحِيِّ إِلَى تَنِيسَ ، وَدِمَياطَ ، وَتُونَةَ ، وَدَمِيرَةَ ، وَشَطَا ، وَدِقْهَلَةَ ، وَبِنَا ، وَبوصيرَ ، فغلب على أرضها ، وصالح أهلَ قراها على مثل حكمِ الفسطاط . . . » (١) .

\* وشهد سيدنا عميرُ بنُ وهب - رضي الله عنه - بعد ذلك كله معركة فتح الإسكندرية تحت لواء القائد الفاتح سيدنا عمرو بن العاص - رضي الله عنه وأرضاه - ؛ إذ أكمل فرسان المسلمين وأبطالهم فتح مصرَ جميعها .

\* وظلَّ سيدنا عميرُ - رضي الله عنه - يتابع رحلة العمل والجهاد والفتوح مع رجالِ الإسلامِ خلالَ الخلافةِ الرَّاشدةِ ، قال ابنُ سعدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « وبقي عميرُ بنُ وهبٍ بعدَ عمرَ بنِ الخطَّابِ - رضي الله عنه - » (٢) .

\* وما أجمل أن نختمَ سيرةَ هذا الرَّجلِ الفذِّ بهذه الفقراتِ الماتعةِ الجامعةِ ( لمحمود شيت خطَّاب ) حيثُ ختمَ سيرةَ سيدنا عميرٍ بكلماتٍ مفادها ومحصلها : « كان عميرُ بنُ وهبٍ - رضي الله عنه - سيِّدَ قومه في الجاهليَّةِ على الرَّغمِ من فقْرِهِ ، ممَّا يدلُّ على أنَّه تَبَوَّأَ هذا المركزَ المرموقَ بين قومه بمزاياه الإنسانية : شجاعتهُ ، وكرمهُ ، ونخوتهُ ، وشهامتهُ . . . . وكان مخلصاً لعقيدته غاية الإخلاص : أخلصَ لعقيدته ، واندفعَ للدِّفاعِ عنها يوم أن كان مشركاً ؛ فلَمَّا أسلمَ ، وَحَسَنَ إسلامه اندفعَ للدِّفاعِ عن عقيدته الجديدة الصَّحيحةِ السَّليمةِ بإخلاصٍ وحماسٍ شديديْن ؛ وقد عاش عميرُ - رضي الله عنه - حياته كُلَّها فقيراً ، وكان بإمكانه أن يصبحَ غنياً بعدَ الفتحِ ، ولكنَّ كرمهُ ، وبذلهُ ما يملكُ في سبيلِ عقيدته ، لم يُبقِ له شيئاً من المالِ . . . . لقد بقي سيدنا عمير - رضي الله عنه - بعدَ سيدنا عمر بن الخطَّابِ - رضي الله عنه - ، وعاش إلى صَدْرِ خِلافةِ سيدنا عثمان بن عفَّان - رضي الله عنه - ، وتوفي

(١) « فتوح البلدان » (ص : ٢٥٤) .

(٢) « طبقات ابن سعد » (٤ / ٢٠١) .

حوالي سنة ( ٢٤ هـ ) . ومن خلالِ دراسة حياة عُمير العسكريَّة ، يتَّضح لنا أنَّه كان يحسُنُ الاستطلاع . . . . ويحسُنُ تقديرَ الموقف ، فقد نَصَحَ لقريش ألا تقاتل المسلمين على الرِّغم من تفوقها العسكريِّ بالعدَدِ والعدَّة ، وهذا يدلُّ على بُعْدِ نظره وذكائه الخارقِ ، وخبرته الصَّحيحة . . . . وكان كذلك من أبطالِ قريش المعدودين ، فقد ذهب وحده لاستطلاع عدد المسلمين وعدَّتهم في بَدْرِ على الرِّغم من خطورة هذا الواجب الحَرَج . . . ثمَّ إنَّه جازفَ بالإقدام على اغتيالِ رسولِ الله ﷺ ، وهو في المدينةِ حِصْنه الحصين ، وبين أصحابه المخلصين الأوفياء الذين يَفْدُونه بأرواحهم وأبنائهم وأموالهم ، وأقدم وحده على الدَّهَابِ إلى مَكَّة معقل المشركين يومذاك ، ليدعو أهلها إلى الإسلام . . . . وكان أوَّل مَنْ رمى بنفسه عن فرسه بين أصحابِ رسولِ الله ﷺ ، وأنشَبَ الحربَ يوم بدر . . . . ولا ريب في أنَّ شجاعته الخارقة ، ومكانته وقدره بين قريش من أجلِّ الدلائل وأكبرها على تمثُّعه بشخصيَّة نافذة ، وإرادة قويَّة ، لذلك كان موضع ثقة رجاله وحبِّهم ، ورفع معنوياتهم واطمئنانهم إلى النَّصر . . . . ولهذا كله يذكر التَّاريخُ لسَيِّدنا عمير جهوده المخلصة لنشرِ الإسلام في مَكَّة وغيرها ، ويذكرُ شجاعته وبطولته وجهاده لأعلاء كلمة الله ، كما يذكرُ له فَتْحَه منطقةً واسعةً من أرضِ الكنانة ، ونشره الإسلام ولغة القرآن في ربوعها النَّصرة <sup>(١)</sup> .

\* رضي الله عن الصَّحابي عمير ، وختم لنا بخير ، وأبعد عنا كل ضير ، وجعلنا من أهل الخير .



(١) « قادة فتح الشَّام ومصر » ( ص : ٢٤٧ - ٢٤٨ ) بشيء من النَّصْرَف .

# نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودٍ

رضي الله عنه

- \* من الرِّجَالِ الْأَفْذَاذِ النَّابِهِيْنَ ؛ مَمَّنْ خَدَمَ سَيِّدَ الْمُرْسَلِيْنَ .
- \* اسْتَطَاعَ بِذَكَائِهِ أَنْ يَبْذَرَ الشَّكَّ بِنَفُوسِ جِيُوشِ الْأَحْزَابِ .
- \* سَكَنَ الْمَدِينَةَ الْمُنَوَّرَةَ يَنْعَمُ بِالْإِسْلَامِ ؛ وَلَهُ أَخْبَارٌ جَمِيلَةٌ .

رَفَعُ  
عبد الرحمن العجوي  
أسكنه الله الفردوس  
[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)



## نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه

### ذكريات جاهليّة :

\* برزت شخصيات كثيرة في غزوة الأحزاب ، وتألفت في سماء العظام تُناسي متن السحاب ، ولمعت في سجلّ الخالدين ، وبقيت في ذاكرة المحبّين ؛ تشعّ بما قدّمته من جلائل الأعمال ، ولطائف الأقوال ، وفضائل الخصال .

\* ومن الرجال البارزين ، والأذكياء التّأبيين ، الذين تداركتهم العناية الإلهيّة ، ولاحظتهم عيون السّعادة الأبدية ، وجعلتهم خدماً لأفضل البريّة ، وصار لهم العزّ الممدود ، والخير المعقود : نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودٍ<sup>(١)</sup> ؛ أبو سلّمة الغطفانيّ الأشجعيّ ، الذي هداه الباري - جلّ شأنه - للإسلام زمن الخندق ، وهو الذي خدّل بين الأحزاب ، وبين بني قريظة ، حتّى صرف الله - عزّ وجلّ -

---

(١) «الإصابة» (٣ / ٥٣٩) ، و«الاستيعاب» (٣ / ٥٢٨ - ٥٢٩) ، و«المغازي» للواقديّ (الفهارس : ٣ / ١٢٤٥) ، و«طبقات ابن سعد» (٤ / ٢٧٧ - ٢٧٩) ، و«أنساب الأشراف» (١ / ٣٤٠ ، و٣٤٥ ، و٥٣٠) ، و«تهذيب الأسماء واللغات» (٢ / ١٣١) ، و«أسد الغابة» (٤ / ٥٧٢) ترجمة رقم : (٥٢٧٤) ، و«تهذيب التّهذيب» (١٠ / ٤٦٦) ، و«البداية والنّهاية» (٧ / ٢٢١ - ٢٢٢) ، و«تفسير القرطبي» (١٤ / ١٣٥ - ١٣٧) ، و«تاريخ الإسلام» للذهبيّ (عهد الخلفاء الراشدين ، ص : ٣٥٨) وغيرها كثير جداً .

المشركين ، بعد أن أرسلَ عليهم ريحاً وجنوداً لم يروها ، ورحلوا عن المدينة المنورة خائبين خاسرين لم ينالوا خيراً ، وكفى الله المؤمنين القتال .

\* إنَّ سيرةَ هذا الصَّحابيِّ سيرةً شائقةً ؛ فيها ألوانٌ جميلةٌ ورائقةٌ ، فقد كانت حياتهُ وذكرياتهُ الجاهليَّةُ واضحةً المعالم ، وإن كانت قاتمةً لبعدها عن نورِ الله الذي يدعو إلى المكارم ، وكان قد مضى على ظهور الإسلام قرابة عشرين سنة ، ولكنَّ نعيمًا لم يجذبه هذا الثُّور ؛ على الرِّغم من أنَّه كان يتردَّدُ على مكَّةَ والمدينةِ ، يلتقي البارزين في هاتين المدينتين العظيمتين .

\* كان لِنعيمِ صلواتٍ مع زعماء قُرَيْظةَ وأعيانهم ، وكان يؤاكلهم ويشربُ من شرابهم ، ويهدونه ما يستطرفون من تمر المدينة ، وقد أوضح نعيم ببساطة هذا الأمر فقال متحدثاً عن ذكرياته الجاهليَّة : « كنتُ أقدمُ على كعبِ بنِ أسدِ بنِي قُرَيْظةَ ، فأقيمُ عندهم الأيامَ ، أشربُ من شرابهم ، وأكلُ من طعامهم ، ثمَّ يحملونني تمراً على ركابي ما كانت ، فأرجعُ به إلى أهلي . . . . » (١) .

(١) « طبقات ابن سعد » ( ٤ / ٢٧٧ - ٢٧٨ ) . ومن الجدير بالذكر أنَّ المصادرَ وبعضَ كتب السِّيرة أفادت بأنَّ نعيماً بنَ مسعود كان صديقاً ليهود بني النَّضير ، فكان يشربُ الخمر معهم قبل أن يسلمَ ، وقد أوردَ هذا الخبر الواقدي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في « مغازيه » فقال في معرضِ حديثه عن سرِّيَّة القردة فقال : « وقدم المدينة نعيم بنُ مسعود الأشجعيِّ ، وهو على دِينِ قومه ، فنزل على كِنانة بن أبي الحُقَيْق في بني النَّضير ، فشرِب معهم . . . . » . « المغازي » ( ١ / ١٩٨ ) .

ولمَّا كانت غزوةُ بني النَّضير وإجلاؤهم عن المدينة المنورة بعد أن حاصروهم رسولُ الله ﷺ خمسةَ عشر يوماً ، قال نعيم بنُ مسعود يومها : « فِدَى لِهذه الوجوه التي كأنَّها المصابيحُ ظاعنين من يثرب ؛ من لِمُجتدي الملهوف ؟ ومَنْ للطَّارق السَّغبان ؟ ومَنْ يسقي العُقار ؟ ومَنْ يُطعم الشَّحم فوق اللحم ؟ مالنا بيثرب بعدكم مقام » .

فيقول أبو عبس بن جبر وهو يسمُّع كلامه : « نعم ، فالحقُّهم حتَّى تدخل معهم الثَّار » .

\* وَعُرِفَ هَذَا الرَّجُلُ بِأَنَّهُ دَاهِيَةٌ بَاقِعَةٌ ، تَظْهَرُ عَلَى قِسْمَاتِهِ عِلَامَاتُ الذِّكَاءِ ، وَكَانَ كَثِيرَ الْمَدَاخِلِ وَالْمَخَارِجِ ، عَرَفَهُ أَهْلُ الْمَدِينَةِ بِهَذِهِ الصِّفَةِ ، كَمَا عَرَفُوهُ بِأَنَّهُ ذَكِيٌّ فِي نَشْرِ الْإِشَاعَاتِ ، وَالْأَخْذِ وَالرَّدِّ بَيْنَ النَّاسِ ، وَقَدْ رَسَمَتْ أُمَّنَا الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - بَعْضَ مَعَالِمِ شَخْصِيَّةِ نُعَيْمٍ بِأَنَّهُ كَانَ رَجُلًا نَمُوْمًا - أَي : يَنْمُو الْحَدِيثَ وَيَنْقُلُهُ - ، فِي حِينِ أَنَّ ابْنَ دَرِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَفَانَا بِقَبْسَةٍ جَمِيلَةٍ عَنِ نُعَيْمِ بْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَقَالَ : « وَمَنْ أَشْجَعُ : بَنُو دُهُمَانَ ، مِنْهُمْ : نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودٍ ، وَكَانَ مِنْ أُنَمِّ النَّاسِ ، فَأَلْقَى النَّبِيَّ ﷺ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَرِيدُ أَنْ يَشْخَصَ لِلْقِتَالِ ، فَأَفْشَى السِّرَّ » (١) .

\* وَمِنْ مَكْنُونِ السِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ وَمِغَازِيهَا نَسْتَخْرِجُ هَذِهِ الصُّورَةَ الَّتِي نَلْمَحُ مِنْ خِلَالِ خَطُوطِهَا سَمَةَ الْإِرْجَافِ عِنْدَ نُعَيْمِ بْنِ مَسْعُودٍ ، وَذَلِكَ فِي غَزْوَةِ بَدْرِ الْآخِرَةِ الَّتِي كَانَتْ فِي شَعْبَانَ مِنَ السَّنَةِ الرَّابِعَةِ لِلْهَجْرَةِ ؛ إِذْ نَجَدْنَا أَنَّ أَبَا سَفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ قَدْ أُرْسِلَ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ مَنْ يَشِيعُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ قَرِيشًا قَدْ خَرَجَتْ إِلَى بَدْرِ بِجَيْشٍ عَظِيمٍ لَمْ تَشْهَدْ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ مِثْلَهُ فِي الْعَدَدِ وَالْعِدَّةِ وَالنَّظْمِ ، وَذَلِكَ لِتَشْبِيهِ هِمَمِ الْمُسْلِمِينَ ، وَبِثِّ الرَّعْبِ فِي ظَهْرَانِيهِمْ ، بِحَرْبِ نَفْسِيَّةٍ تَعْتَمِدُ عَلَى رُوحِ الدَّعَايَةِ الْمَزْوُوقَةِ بِزَخْرِفِ الْقَوْلِ ، وَتَنْمِيقِ الْمَقَالِ ، وَالتَّلَاعِبِ بِالْأَلْفَاظِ ، وَدَغْدَغَةِ الْعَوَاطِفِ بِالْوَهْمِ وَالْإِيهَامِ ، وَمَا شَابَهُ ذَلِكَ .

= فقال نُعَيْمُ : « مَا هَذَا جَزَاؤُهُمْ مِنْكُمْ ، لَقَدْ اسْتَنْصَرْتُمُوهُمْ عَلَى الْخَزْرَجِ فَنَصَرُوكُمْ ، وَلَقَدْ اسْتَنْصَرْتُمْ سَائِرَ الْعَرَبِ فَأَبَوْا ذَلِكَ عَلَيْكُمْ » .

قال أبو عبيس - رضي الله عنه - معلماً ومصححاً لنُعَيْمٍ ما فاتته : « قَطَعَ الْإِسْلَامُ الْعُهُودَ » . « الْمِغَازِي » ( ١ / ٣٧٥ ) بِتَصْرُفٍ يَسِيرٍ .

أقول : « وَعِنْدَمَا أَسْلَمَ سَيِّدُنَا نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَرَفَ صِحَّةَ مَا قَالَهُ أَبُو عَبْسِ بْنِ جَبْرِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ، وَأَدْرَكَ أَنَّ الْيَهُودَ لَا يُوفُونَ بِشَيْءٍ وَأَنَّهُمْ غَادِرُونَ كَذَّابُونَ » .

(١) « الْإِشْتِقَاقُ » ( ص : ٢٧٦ ) .

\* وقد استأجر زعيمُ مَكَّةَ ؛ وقائدها الحربيُّ الأوَّل أبو سفيان رجل المواقف هذه ، ورجل الشائعات نُعيم بن مسعود ليقوم بأداء هذه المهمة الإعلامية<sup>(١)</sup> التي تحتاجُ إلى مهاراتٍ خاصَّة ، ولوَّح أبو سفيان مُغرياً نعيماً بأنَّه سيقدِّم له مكافأةً مغريةً نفيسةً إنَّ هو نجحَ في مسعاها بهذه المهمة الخطيرة الحاسمة .

\* ترى ما المكافأة التي أعدَّها أبو سفيان لِئُعيم ؟ وكيف استدرجه ليذهبَ إلى المدينة المنوَّرة ليفتِّ في عضد المسلمين ويخيفهم ؟ هذا ما ستشفيُّ عنه السُّطور الآتية ؛ فلنرهِفِ الأسماعَ لنعرفَ قصَّة ذلك .

### جائزةُ سُفيانيَّةٍ لِئُعيم :

\* على الرِّغم من شحِّ أبي سفيان وبخله ؛ إلا أنَّه وعدَ نعيماً أن يدفَع له جائزةً قيِّمةً إنَّ هو أرجفَ بين المسلمين .

\* كان هذا الأمر في شعبان من السنَّة الرَّابِعة للهجرة ، بُعيد غزوة أُحد ، وقُبيل غزوة الخندق ؛ وذلك أنَّ أبا سفيان بنَ حربٍ أشرف يومَ أُحدٍ على جَبَل ، ونادى بأعلى صوتِهِ متحدِّياً المسلمين : « موعِدُ بيننا وبينكم بدر الصِّفراء رأس الحول ، نلتقي فيه فنقتل » .

---

(١) إنَّ من الأسباب التي تجعلُ أمَّةً من الأمم تنهار ، وتضعف في أتونِ الحرب النَّفسية ، هو خوفُها من الموت ، أو الفقر ، أو الهيمنة ، ولذلك كان من أعظم ما توأصى به المسلمون القدرة الدائمة على التَّصدي ومواجهة الحرب النَّفسية التي تحاول انتزاع الإسلام من نفوسهم ، وإخراجهم من مبادئهم وقيمهم .

لذلك دعا الإسلام أتباعه إلى اليقظة إزاء الحرب النَّفسية التي تعمل على إثارة الشُّبهات ، وإدخال مفاهيم وتفسيرات غريبة تختلف عن التفسيرات الأصيلة . ومن المؤكَّد أنَّ الإنسان لا يسمع من عدوِّه إلا ما يؤذيه ويهزُّ إيمانه ، ويفقده الثقة ، لذا فعلى المسلم أن يكون واعياً عارفاً بكيد الأعداء .

فقال رسولُ الله ﷺ لعمر بن الخطَّاب - رضي الله عنه - : « قل : نعم إن شاء الله » .

\* افترق النَّاسُ على هذا الأمر ، وأخذ الفريقان يستعدَّان لخوض معركة ثانية في بدر ، غير أنَّ أبا سفيان قائد عام جيش مَكَّة تخاذلَ وجَبَنَ عن اللقاء ، وكره الخروج إلى رسولِ الله ﷺ ، ورغب في أن يقيمَ رسولُ الله ﷺ وأصحابه بالمدينة ولا يوافقون الموعد ، فكان كلُّ مَنْ وردَ عليه مَكَّة يُريد المدينة أظهر له بأنَّه يريدُ أن يغزوَ محمَّداً في جمعٍ كثيف ، فيقدم القادِمُ على أصحاب رسولِ الله ﷺ ، فيراهم على تجهُّزٍ فيقول : « تركتُ أبا سفيان قد جمعَ الجموع ، وسار في العرب ليسيِّرَ إليكم لموعدكم » . فيكره ذلك المسلمون ويهيِّبُهُم ذلك .

\* وتذكُرُ مصادر السِّيرة العطرة على اختلاف مشاربها فتقولُ ما مفاده : « وقدم نُعيمُ بنُ مسعود الأشجعيّ مَكَّة المكرَّمة ، فجاء أبو سفيان بنُ حرب في رجالٍ من قريش ، فقال : يا نُعيم ! إنِّي وعدتُ محمَّداً وأصحابه يومَ أُحُدٍ أن نلتقي نحنُ وهو بيدر الصِّفراء على رأس الحول ، وقد جاء ذلك .

فقال نُعيمٌ : ما أقدمني إلَّا ما رأيتُ محمَّداً وأصحابه يصنعون من إعداد السِّلاح والكراع ، وقد تجلَّب إليه حلفاء الأوس من بليِّ وجُهَيْنَةَ وغيرهم ، فتركتُ المدينة أمس وهي كالرُّمانة .

فقال أبو سفيان : أحقاً ما تقول ؟ !

قال نُعيمٌ مؤكِّداً مقالته : إي والله يا بن حرب .

فَجَزَوْا نُعيماً خيراً ووصلوه وأعانوه ، ثمَّ قال أبو سفيان لُنُعيم : أسمعك تذكرُ ما تذكر ، ما قد أعدوا ؟ وهذا عامٌ جدب ! والأرض مثل ظهر الثُّرس ، ليس فيها لبعير شيء ، وإنَّما يصلحنا عام خِصْب واسع ترعى فيه الأنعام والخيلُ ونشربُ اللبن ، وأنا أكرهُ أن يخرجَ محمَّدٌ وأصحابه ولا أخرجَ فيجتريئون

علينا ، ويكون الخلفُ من قبلهم أحب إليّ ، ونجعل لك عشرين ناقة ،  
وتوضع لك على يدي سهيل بن عمرو ، ويضمنها لك .

قال نعيم - وقد سرّره ما قال أبو سفيان - : رضيتُ .

وكان سهيلُ بنُ عمرو صديقاً لنعيم ، فجاء سهيلاً فقال : يا أبا يزيد !  
تضمنُ لي عشرين ناقةً على أن أقدم المدينة ، فأخذل أصحاب محمد ؟

قال سهيلُ في سرور بالغ : نعم يا أبا سلمة .

فقال نعيم : فإني خارجٌ إذاً يا أبا يزيد .

فخرج نعيمُ على بعير حملوه عليه ، وأسرع السير ، فقدم وقد حلق رأسه  
معتماً ؛ فوجد أصحاب رسول الله ﷺ يتجهّزون .

فقال أصحاب رسول الله ﷺ : من أين يا نعيم ؟

قال : خرجتُ معتمراً إلى مكة .

فقالوا : لك علمٌ بأبي سفيان ؟

قال نعيمٌ : أجل ، تركتُ أبا سفيان قد جمعَ الجموع ، وأجلب معه  
العرب ، فهو جاء فيما لا قبيل لكم به ، فأقيموا ولا تخرجوا ، فإنهم قد أتوكم  
في داركم وقراركم ، فلن يُفلتَ منكم إلا الشريد ، وقُتلت سراتكم ، وأصاب  
محمدًا في نفسه ما أصابه من الجراح ، فتريدون أن تخرجوا إليهم فتلقوهم في  
موضع من الأرض ؟ بس الرأي رأيتم لأنفسكم ، والله ما أرى أن يُفلتَ منكم  
أحدٌ .

وجعل نعيمٌ يطوفُ بهذا القول في أصحاب رسول الله ﷺ حتى رعبهم ،  
وكرّه إليهم الخروج ، حتى نطقوا بتصديق قول نعيم ، أو من نطق منهم .

واستبشَرَ بذلك المنافقون واليهود وقالوا : محمدٌ لا يُفلتُ من هذا  
الجمع ! واحتمل الشيطان أولياءه من الناس لخوف المسلمين ، حتى بلغ  
رسول الله ﷺ ذلك ، وتظاهرت به الأخبارُ عنده ، حتى خاف رسول الله ﷺ

ألا يخرجَ معه أحدٌ . فجاءه أبو بكر وعمر - رضي الله عنهما - ، وقد سمعاً ما سمعاً ، فقالا : يا رسول الله ! إِنَّ اللهَ مُظَهِّرُ دِينِهِ وَمَعْرِزُ نَبِيِّهِ ، وقد وعدنا القومَ موعداً ونحنُ لا نحبُّ أن نتخلفَ عن القومِ ، فيرون أنَّ هذا جُبْنٌ ممَّا عندهم ، فسِرُّ لموعدهم ، فوالله إنَّ في ذلك لَخَيْرَةٌ !

فَسُرَّ رسولُ الله ﷺ بذلك ثمَّ قال : « والذي نفسي بيده ، لأخرجنَّ وإن لم يخرجْ معي أحدٌ » .

فلمَّا تكلمَ رسولُ الله ﷺ ، تكلمَ بما بصَّرَ الله - عزَّ وجلَّ - المسلمون ، وأذهبَ ما كان رعبهم الشَّيطان ، وخرج المسلمون بتجارَات لهم إلى بدر ، وكانوا حوالي ألف وخمسة مئة مقاتل ، تحرك بهم الحبيبُ المصطفى ﷺ نحو بدر ، يحملُ لواءَ الجيش سيِّدنا عليُّ بنُ أبي طالب - رضوان الله عليه - ، وأقام المسلمون في بدرٍ ثمانية أيامٍ حتَّى تفرَّقَ أهلُ الموسم من ذلك المكان - وكان بدر الصَّفراء مجتمعاً يجتمع فيه العرب ، وسوقاً تُقام لمدَّة ثمانية أيام ، ثم تفرَّق النَّاسُ إلى بلادهم - ولكنَّ أبا سفيان ومَن التَّفَّ حوله خافوا ملاقاتَ الجيش النَّبويِّ ، وجبُّوا عن الاصطدام بهم على الرَّغم من أنَّ قوايتهم كانت أكثر من قوَّات المسلمين في العدد والعدَّة ، وكان أبو سفيان قد خرجَ بِمَن معه وسار بضعة أميال ، ثم وقف خطيباً في جيشه معلِّلاً عدم ملاقاتِ المسلمين وشارحاً الأسباب المباشرة للعودة فقال : يا معشرَ قريش ! ارجعوا ، إنَّه لا يصلحنا إلا عام خِضْب غيDAQ ، نرعى فيه الشَّجر ، ونشرب فيه اللبن ، وإنَّ عامكم هذا عام جَدْب ، وإنِّي راجعٌ فارجعوا .

وأطاع الجيشُ الأوامر السُّفْيانيَّة المفتعلة ، وعاد أدراجه إلى مكَّة مفضلاً عار العودة على عار الهزيمة السَّاحقة التي يتوقَّع نزولها به لو أنَّه أقدم على مناجزة الجيش المسلم في بدر ، كما أنَّه تحمَّل سخريَّة أهل مكَّة الذين سمَّوا ذلك الجيش : جيش السُّويق ، وقالوا : خرجوا يشربون السُّويق . وأتى صفوانُ بنُ أميَّة الجمحيِّ أبا سفيان وقال له بشيء من التَّعنيف والعتاب : يا أبا سفيان ! قد والله نهيتك يومئذ أن تعد القوم ، وقد اجترؤوا

علينا ورأوا أن قد خلفناهم ، وإنما خلفنا الضعف عنهم .

وأَنْزَلَ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - قوله : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ ﴾ [ آل عمران : ١٧٣ ] ، وقال كعبُ بنُ مالك الأنصاري - رضي اللهُ عنه - قصيدةٌ يذكرُ فيها ذلك ومطلعُها :

وَعَدْنَا أبا سفيانَ بدرًا فَلَمْ نَجِدْ      لموعدهِ صدقاً وما كان وافيًا  
فَأَقْسَمُ لَوْ وَاْفَيْتَنَا فَلَقَيْتَنَا      رجعتَ ذميماً وافتقدتَ المواليا « (١)

\* وفي هذا المقام الجميل صاغ « أحمد محرم » قصيدةً رسمَ بها خطوط أحداثِ هذه الواقعة ، ودور نعيم بن مسعود وإرجافه بالمسلمين ، فكان ممَّا قال :

إِلَيْكَ أبا سفيانَ لا الوعدُ صادقُ      ولا أنتَ ذو جدِّ ولا القومُ أبطالُ  
أناكَ ابنُ مسعودٍ بأنباءٍ يثربِ      فما تنقضي منكم همومٌ وأوجالُ  
لكم عندَ بدرٍ في لواءِ محمَّدٍ      خطوبٌ تراميُ بالثُّفوسِ وأهوالُ  
دع المرءَ يذهبُ بالأباطيلِ مُرجفًا      وَعِدُّهُ جزاءُ الإفكِ لا حَبَّذا المألُ  
مضى يصفُ الكُفَّارَ وُصفَ مهوِّلٍ      يقولُ جموعٌ ما تُعدُّ وأرْسالُ  
فما وجفتَ تلكَ القلوبُ ولم تكنُ      كأخرى لها من هدَّةِ الرِّعبِ زلزالُ  
تداعوا فقالوا حسبنا اللهُ إنَّه      لِمَا شاءَ من نَصْرِ الهُدَاةِ لِفَعَّالُ  
وأرسلها الصِّديقُ ديمةَ حكمةٍ      لها من فمِ الفاروقِ سحٌّ ونَهْطالُ  
محمَّدُ إنَّ اللهُ ناصِرُ دينه      ومظهره والحقُّ أقطعُ فصَّالُ

(١) انظر : « سبل الهدى والرَّشاد » ( ٤ / ٤٧٨ - ٤٨١ ) ، و « السيرة الحليَّة » ( ٢ / ٥٧٩ - ٥٨١ ) ، و « طبقات ابن سعد » ( ٢ / ٥٩ - ٦٠ ) مع الجمع والتصريف ، وانظر : « المغازي » ( ١ / ٣٨٥ - ٣٨٩ ) ، و « تفسير القرطبي » ( ٤ / ٧٤ ) ، و « أنساب الأشراف » ( ١ / ٣٤٠ ) وغيرها كثير . والمراد بقوله - عَزَّ وَجَلَّ - : ﴿ النَّاسُ ﴾ الأول واحد ، وهو نعيم بن مسعود ، ومن ﴿ النَّاسِ ﴾ الثاني أهل مكة . والله تعالى أعلم .



لهم موعدٌ لا بدّ منه وموردٌ  
 وخفّ أبو سفيان يكذبُ نفسه  
 أيا قومنا إنّنا نرى العام مُجدباً  
 تقدّم جيشُ الله وارتدّ جيشهم  
 هو الثورُ نورُ الله يملأُ أرضه  
 من الحنطِ تغشاه نفوسٌ وآجالُ  
 ويشهدُها من خيفةٍ كيف يحتالُ  
 وشرّ عتادِ الحربِ جدبٌ وإمحالُ  
 وما كان فيه أكفأءُ تُهابُ وأمثالُ  
 فتلقَى الهدى فيه عصورٌ وأجيالُ<sup>(١)</sup>

### سُبْحان مُقَلِّبِ القُلُوبِ :

\* في أَيّامِ غزوةِ الأحزابِ أراد اللهُ - عزَّ وجلَّ - الخَيْرَ لِنُعِيمِ الذي أمضى  
 شطراً من عمره ، وهو بعيدٌ عن منبعِ الثور ، ويَنبوعِ الصِّفاءِ والسَّناءِ ، فقلِّبَ  
 العزيزُ الغفَّارُ قلبه ، وجعلَه من السُّعداءِ ؛ إذ انضوى تحتِ لواءِ سيِّدِ الأنبياءِ .

\* كان فجرًا باسمًا لِنُعِيمِ يوم أن أسلم ؛ وغدا من رجالِ عصرِ النُّبوةِ  
 الأخيار ، كان يوماً جميلاً شعرَ فيه نُعِيمٌ بأنّه رجلٌ آخر عندما دخل الإسلامُ  
 قلبه ، ونورٌ لُبّه ، ومنذ أن أسلمَ سَخَّرَ مواهبَهُ والمعيتَهُ وذكاءَهُ ودهاءَهُ لخدمةِ  
 دينِ الله - عزَّ وجلَّ - ، وخدمةِ رسولِ الله ﷺ ، وخدمةِ المسلمين ، واستطاع  
 بدهائه أن يشتتَ قلوبَ الأحزابِ ، ويفرِّقَ كلمتهم ؛ إذ بذرَ بمهارةٍ عجيبةٍ  
 وكلامٍ متماسكٍ بذورَ الشكِّ والرَّيبِ في نفوسِ قادةِ الأحزابِ ، واليهودِ  
 الأخابثِ بعضهم ضدَّ بعض ، حتّى تلاشتِ الثِّقةُ بين هؤلاء الرُّعماءِ والقادةِ ،  
 فتصدَّعتْ جبهاتُهم ، وتفتَّتتْ وحدتهم ، ثم أرسل اللهُ - عزَّ وجلَّ - عليهم  
 جنوده فتفرَّقوا ورجعوا من حيث أتوا ، لم ينالوا خيراً وكفى اللهُ المؤمنين  
 القتال .

\* إنّنا نعرفُ الخطوطَ العريضةَ العامةَ لغزوةِ الأحزابِ ، ونعرفُ أيضاً أنّ  
 سيِّدنا نُعِيمَ بنَ مسعودِ الغطفانيّ ، من قبيلةِ غطفانِ النَّجديةِ التي يمثُلُ رجالُها  
 أكبرَ الأجنحةِ في جيشِ الأحزابِ الذي جاء وحاصرَ المدينةَ المنورةَ .

(١) « ديوان مجد الإسلام » لأحمد محرّم (ص : ١٧٤ - ١٧٧) بانتقاء . والقصيدة تعدّ  
 (٣١ بيتاً) .

\* ولقد عرفنا في السُّطور والفِقرات السَّابقة أنّ نعيمًا هذا هو واحدٌ من وجوه القوم ، وأعيان الشَّخصيَّات البارزة المشهورة في المحيط العربيِّ واليهوديِّ ، وكان كذلك من كبار المستشارين في جيش الأحزاب الذي جمعهم الباطلُ على الرِّغم من اختلافِ قلوبهم وأديانهم وبلدانهم .

\* وفي الليلة الأخيرة من ليالي الأحزاب الباردة التي كانت تزمجرُ فيها الرِّياحُ ، فتحَّ اللهُ - عزَّ وجلَّ - قلبَ نعيم للإسلام ؛ إذ تفكَّر في أمره وماله ، وعابنَ حُبثَ اليهود ، فمالَت نفسه إلى الهدىِّ ودين الحقِّ ، فأسلمَ وهو في معسكر الأحزاب لم يعلمْ به أحدٌ إلا العليم الخبير .

\* ولمَّا أن أشرق قلبُه بنور الله تعالى ، وعانقت روحُه نسمات الإيمان ، انسلَّ من معسكر الأحزاب أمام الخندق ، واتَّجه تحت جناح الظلام وغيبه الغسق نحو جيش النَّبيِّ ﷺ ؛ حيث كان مع رجاله وأصحابه وراء الخندق ؛ يجاهدون جموعَ الأحزاب والمشركين الذين جاؤوا من كلِّ حدب ينسلون .

\* التقى نعيمٌ رسولَ الله ﷺ فألفاه يُصلِّي ، فلمَّا رآه ﷺ ، جلس ، ثمَّ قال : « ما جاء بك يا نعيم ؟ » ونزلت كلمة « يا نعيم » على قلب نعيم برداً وسلاماً ، وأحسَّ بالطمأنينةِ تسري في كيانه ، وتدغدغُ قلبه ، وتلمسُ روحه بحنان ، فقال والأملُ يملأُ عينيه : « إنِّي جنُّتُ أصدِّقك ، وأشهدُ أنّ ما جنَّتَ به حقٌّ ، فمُرني بما شئتَ يا رسولَ الله » .

قال : « ما استطعتَ أن تخذُلَ عنَّا النَّاسَ فخذُلْ » ، وفي رواية : « أنتَ رجلٌ واحدٌ ، فخذُلْ عنَّا إن استطعتَ ، فإنَّ الحربَ خدعةٌ » .

فقال نعيمٌ : « ولكنَّ يا رسولَ الله ! أتني أقول ؟ » - أي : ما يقتضيه الحال وإن كان خلافَ الواقع - .

قال رسولُ الله ﷺ : « قُلْ ما بدا لك فأنتَ في حلِّ » (١) .

(١) عندما جاء نعيم رسول الله ﷺ مسلماً يكتُمُ إيمانه ، كانت الأمورُ قد بلغتْ بالمسلمين =

\* وبعد أن أعطى الحبيب المصطفى ﷺ نُعيماً - رضي الله عنه - حرية القول والتلاعب بالكلمات والألفاظ ، ليعملَ قَدْرَ طاقته أي أمر من شأنه أن يحدث الفرقة والانقسام والتخذيل والتشويش داخل صفوف الأحزاب وكتائبهم ، قام مسرعاً لتنفيذ الأوامر النبوية ، ونجح بمهمته نجاحاً باهراً ، ولكن قبل أن نعيشَ مع خطة نُعيم الباهرة ، سنعيش مع هذه التغريدة الآسرة ، التي تسفر عن معانٍ ساحرة ، وترسمُ قصةَ إسلام نُعيم بين يدي خير المرسلين ﷺ :

هَذَا ابْنُ مَسْعُودٍ نُعَيْمٌ مِنْ صَفْوِ الْمَشْرِكِينَ  
هُوَ مِنْ بَنِي غُظْفَانَ أَكْبَرَ قُوَّةٍ فِي الْمُتَمَتِدِينَ  
قَدْ شَاءَ رِيُّكَ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْجُنُودِ الْمُخْلِصِينَ  
وَعَلَى يَدَيْهِ يَتَمُّ نَصْرٌ لِلرِّجَالِ الْمُسْلِمِينَ

المدى من الشدائد والمحن والتأزمات ، وكان رسولُ الله ﷺ يترقبُ الفرجَ ويستشرفه من آفاق العزة الإلهية ، فأسرعَ إلى توجيهِ نُعيم مثيراً في نفسه مشاعرَ الصّدق والإخلاص في أن يعملَ عملاً يسجله له تاريخ الجهاد الإسلامي ، ويرفعُ به عن المجتمع المسلم آصار الحصار والشدائد ، ويدخل على قلب رسول الله ﷺ في توجيهه : « إنّما أنت رجلٌ واحدٌ فينا » ؛ أي : فماذا تستطيع أن تفعل وحدك في تراكم المعضلات والبلايا التي أحاطت بكتائب الجهاد .

وهذا في الحقيقة إغراءٌ يحركُ الحميّة في نفس نُعيم ، وقد أشار إليه رسولُ الله ﷺ إلى ما يستطيع أن يعملَه من عملٍ قد يكون انفراده به مساعداً على نجاحه فيه ، فقال له : « خذْ عَنَّا مَا اسْتَطَعْتَ » . وحمل نُعيم هذا التوجيه القيادي من القائد الأعظم رسولِ الله ﷺ ، ومضى به إلى الأحزاب يكيدهم ، ويمكّر بهم ، ويخادعهم حتّى أنجزَ فيهم ما أَرَادَهُ رسولُ الله ﷺ ، فألقى بينهم بذورَ الشكِّ ، وجعل بأسهم بينهم ، مع ما أنزل الله تعالى من آيات غيبية معجزة لنبيّه ﷺ ، من الرّيح التي أكفأت قدرهم ، وهدمت بنيانهم ، مع شدة البرد التي أهرأت أجسامهم بصقيعها ، فترحلوا مدحورين . « محمد رسول الله » ( ٤ / ١٨٨ - ١٨٩ ) بتصرف .

قد جاء للهادي بليلى في خطى المُسَلِّين  
ناداهُ يا خيرَ الورى يا خاتماً للمرسلين  
إنى أتيتك مسلماً أبغى طريقَ المهتدين  
أسلمتُ للمولى وجئتُك عن عيونِ الناظرين  
إنى من القومِ الذين أتوا إليكم هاجمين  
لم يعلموا قومي بإسلامي فهم في الغافلين  
مُرّني بأمر ما تجدني في عدادِ الطائعين  
قال الرّسولُ له فإنا لا نريدُ مقاتلين  
لكنْ نُريدُك أن تُخذلَ هؤلاءِ الظّالمين  
فإن استطعتْ خديعةً للقوم كن في الخادعين  
إنّ الخديعةَ خيرُ أسلحةِ الحروب عن يقين

### كيف خادعَ نعيمُ القرظيين ؟

\* كان سيّدنا نعيم بن مسعود - رضي الله عنه - من رجال العرب المعروفين والمألوفين لدى يهود بني قريظة ، فقد كان ينادمهم في الجاهلية ، ويصادقُ بعضَ شخصياتهم المرموقة ؛ لذلك لمّا وصل نعيمُ إلى حصونهم تلقّوه بالترحيب دون أن يعلموا بإسلامه ، وأوسعوا له صدور مجالسهم ظناً منهم أنّهم يبالغون في إكرامه ، وما علموا أنّهم كانوا يغزلون حبال الخيانة التي سيطوّقون بها ، والتي سيقرنون بها ، وهم يقادون إلى مصارعهم جزاء غدرهم بالله ورسوله .

\* أخذ نعيمٌ مقعده عند كبرائهم ، ولمّا استقرّ بهم المقام بدأ في ترتيب كلامه ، ونسج نظامه ؛ ليخدع هؤلاء الأخابث الغادرين ، فقال لهم في أسلوب وديّ مُحبّب ؛ وبهمسات متموجة الثّبرات : « يا بني قريظة ! قد عرفتم وديّ إياكم ، وخاصة ما بيني وبينكم » . ولم ينكر القرظيون مقالة نعيم ، بل إنهم أيدوه قائلين : « صدقت أبا سلمة ، لست عندنا بمتهم » .

قال : « فهل أنتم تكتمون عني ما أقول لكم ؟ » .

قالوا بصوت واحد : « نفعل ، قل ما تحبُّ ، فأنت ذو مودّة قديمة » .

\* وهلهنا عرف نعيم من أين تُؤكَلُ الكتفُ ، فجميع بني قريظة يعرفونه ويثقون به ثقةً كبيرة ، وقد رآهم نعيم يُلقون أسماءهم إليه ، ويرهفون حواسهم نحوه ، ليسمعوا ما يريد أن يقوله لهم ، وعندها اطمأنَّ نعيمٌ إلى أنَّه ملكٌ قلوبهم ، فقال لهم بلسان النَّاصحين كأنَّه واحدٌ منهم يحرضُ على مصالحتهم : « إنَّ قريشاً ، وغطفان ليسوا كأنتم ، البلدُ بلدُكم ، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم ، لا تقدرّون على أن تتحوّلوا منه إلى غيره ، وإنَّ قريشاً وغطفان قد جاؤوا لحرب محمّد وأصحابه ، وقد ظاهرتموهم عليه ، وبلدكم ونساؤهم وأموالهم بغيره ، فليسوا كأنتم ، فإن رأوا نهزةً - فرصةً - أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم ، وخلّوا بينكم وبين الرّجل ببلدكم » .

\* وأخذ سيّدنا نعيم يفتلُ في الدّروة والغارب لهؤلاء الذين تحلّقوا حوله ، ثمّ استمرَّ يحشو نفوسهم بالخوف والشكّ ويقول لهم مُلفتاً نظرهم إلى أمر مهمّ غاب عنهم : « . . . وأنتم لا طاقة لكم بمحمّد إن خلا بكم ، وصرتم وحدكم في الميدان » .

\* ثمّ إنَّ نعيماً لمّا رأى الرّعب قد استولى على القرظيين ؛ ودوّخهم وجعلهم مضطربين ، ضرب الضّربة القاضية فقال : « يا ههؤلاء ! أرى ألا تقاتلوا مع القوم - الأحزاب - حتّى تأخذوا منهم رهناً من أشرافهم - سبعين رجلاً - يكونون بأيديكم ثقةً لكم على أن تقاتلوا معهم محمّداً حتّى يناجزوه » .

\* كان القرظيون مشدودين بحواسهم جميعها إلى ما يقوله صديقهم ونديمهم نعيم بن مسعود ، لذلك وقع قوله من نفوسهم موقع القبول ، وتزعزعت ثقتهم بمن حولهم ، وانتابتهم موجاتٌ من الخوف والفرع ، ورأوا الضّمان في كلام نعيم ، وصدّقوه ، ومن ثمّ شكروا له مسعاهُ ، وعرفوا نصحه لهم وقالوا له : « أشرت بالرّأي علينا ، والنّصح لنا ، فأنت صديقٌ ودود » .

\* وقبل أن تنتقل مع نعيم بن مسعود إلى قريش ليتمّ خطته معهم ، وزلزلة

عقولهم ونفوسهم ، تعالوا نستجمّ في روض هذه التّغريدة المنعشة الفينانة التي تُجملُ ما فصلناه أنفاً من قصّة نُعيم مع القرظيين :

جاء ابنُ مسعود يهودَ بني قُريظةَ يَسْتَبِين  
قد جاءهم سِراً بعيداً عن عيونِ الآخرين  
مِن قولهِ قد جئتكم بالسّرِّ والخبر اليقين  
لكنّ عليكم أن تكونوا للمقالةِ كاتمين  
قد تعلمون صداقتي قالوا فلننا منكرين  
أنت الذي صدقَ المودّةَ من خيار المُخلصين  
قال ابنُ مسعودٍ لهم أنتم على خطأ مُبين  
فَقُرَيْشٌ مَعْ غُفَّانَ جاؤوا من بعيدِ هاجمين  
جاؤوا لِقَتْلِ مُحَمَّدٍ ولِقَتْلِ كَلِّ المسلمين  
عاهدتموهم أن تكونوا في الصُّفوفِ مُقاتلين  
هَذَا هو الخطأ الذي لستم له مُتَبَيِّنِينَ  
أنتم هنا في أرضكم لَسْتُمْ كمثلِ القادِمين  
هُم إن أصابوا غِرَّةً فازوا وعادوا غانمين  
أو كانتِ الأخرى تَوَلَّوْا في البراري هارين  
من ثمّ تلقون المصيرَ لنقضكم كمعاهدين  
فمحمّدٌ ورجاله لن يتركوكم سالمين

\* انطلقي دهاء نُعيم وحيثه على القرظيين ، ولما تيقنَ من نجاحه الباهر بين ظهرانِيهم ، وفوزه عليهم ، سارع لإتمام مهمته من قبل أن يسحب الليلُ أذيالَه ، ومن قبل أن ترشِفَ شمسُ الضُّحى ريقَ الغوادي من ثغور الأفاحي .  
ترى إلى أين ذهب نُعيم ؟ وماذا فعل ؟ تعالوا نصاحبه في مهمته . . . . .

مع قائدِ الأحزاب :

\* ترك سيّدنا نُعيمُ جموعَ القرظيين وهم مضطربون لا يدرون

ما يفعلون ، ثم توجه نحو معسكر الأحزاب والليل معتكز قد احلوك ظلامه ، وغارت نجومه ، وزمجرث رياحه ، واشتدت برودته ؛ ولما أن وصل إلى خيمة أبي سفيان ؛ طلب أن يجتمع به مع فريق من كبراء القوم وقادتهم ، وذكر أنه جاء لأمر جللي متعلق بسيادتهم !! .

\* عقد أبو سفيان مجلساً جمع فيه عدداً ممن لهم الحل والعقد في هذه الحرب ، وهنا انبرى سيدنا نعيم ليخبرهم بأنه ما جاء في هذا الوقت الحرج إلا لمصلحتهم ، ولما يتعلق بسلامتهم وسلامة جيوشهم ، وأن محبته لهم ، وحرصه على سلامتهم ؛ تجعله مخبراً إياهم بأمر في غاية الأهمية والخطر ، وقد عرفه وأطلع عليه من قبل يهود بني قريظة الذين يبغونهم الغوائل .

\* اشتد وجيب القلوب القرشيّة ؛ وفي مقدمتها قلب أبي سفيان الذي جذبته حديث نعيم عندما خاطبه ومن معه قائلاً : « يا معشر قريش ! قد عرفتم ودي لكم وإخلاصي لحربكم وعداوتي لمحمد » .

\* أجاب القوم أجمعون بأنهم مصدقوه فيما يقول ، لم ينكروا عليه شيئاً ، كانوا يظنون كل الظن أنه لا يزال على دينهم القديم ، بل إنه كان من أعيان الأحزاب ووجهائهم الذين شاركوا في الحصار الأليم ، ومناوشة من يدعون إلى الصراط المستقيم .

\* ولما استوثق نعيم من أنه قبض على أزمة قلوب القرشيين ، وأن عقولهم قد أصبحت مهتأة لسماع عباراته وآرائه قال لهم : « إنه قد بلغني أمر أفض مضجعي ، وأزق مسمعي ، وقد رأيت علي حقاً أن أبلغكموه ؛ إذ إنني لكم ناصح أمين ، ولكن أرجو أن تكتموا عني » .  
قالوا : « نفعل يا أبا سلمة ، فقل » .

فقال لهم : « تعلمون أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد - أي : ما قاموا به من نقض العهد - وقد أرسلوا إليه فقالوا : إننا قد ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين : من قريش

وغطفان رجلاً من أشرافهم ، فنعطيكهم ، فتضرب أعناقهم ، ثم تكون معك على مَنْ بقي منهم حتى تستأصلهم ، فأرسل إليهم محمّد : أن نعم .

\* تأكد نعيم أنه قد استحوذ على عقول قريش ؛ وانصاعوا لما سمعوا منه ، فرأى أنّ موعد وضع الثّقاط على الحروف قد حان ، قال لهم بلسان التّصح : « فإنّ بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهناً من رجالكم ، فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً ، واحذروهم ؛ لأنّهم قوم غدّري وخيانة ، ولا أمان لهم » .

\* ونتوقف الآن مع أنداء هذه الهمسات الأدبيّة التي تزيّن رقائق السّطور ، وتزيد من نشاطنا ونحن نتابع هذه الرّحلة بغاية الشّور ، مع نعيم بن مسعود - رضي الله عنه - ، وهو يحذّر قريشاً من اليهود أصحاب الشّور والغرور :

جاء ابن مسعود قريشاً في ثياب النّاصحين  
أوحى إليهم هامساً كونوا لقولي كاتمين  
إنّي على ودي لكم وفراق دين الصّابئين  
ولقد أتيت محذّراً غدر اليهود الخائنين  
قد أرسلوا لمحمّد قالوا أتينا نادمين  
ولسوف نأتي بالرجال من الخصوم مقيدين  
هم من قريش عشرة ومثيلهم من آخرين  
لا تسلّموا لرجالكم لا تأمنوا للفاسقين

نعيمٌ يخدع غطفان :

\* لله درّ من قال :

يا نافيّ السّحر من فيه بمعجزة عقّدت ألسن أهل البدو والحضر

\* خرج سيّدنا نعيم - رضي الله عنه - من عند قريش ، وقد ترك نفوسهم أسيرة سحر كلامه الذي عقّد من خلاله على عقولهم ، وتركهم نهبا لنوازغ شتى



من شكَّ وريبةٍ وحقْدٍ على حلفائهم القرظيين ، تركهم وهم يحسبون أنَّ نعيمًا قد محضهم الودَّ ، وأسدئى إليهم نُصَحَه المغلَّف بالذكاء والفتنة والدَّهاء ، ومن العجيب أنَّهم - على الرِّغم من عدائهم للحقِّ - قبلوا نُصَحَ نعيم من دون أن يساورهم شكٌّ في كلمةٍ واحدة ممَّا قاله لهم ؛ ذلك لأنَّهم كانوا يعتبرونه أوفى الأصدقاء ، وأخلص الأوفياء ، وكذلك اعتبره القرظيون من قَبْلُ صديقهم الذي أصفاهم الودَّ والحنان ، وقبلوا ما نُصَحَ لهم وهم مطمئنون له كلَّ الاطمئنان .

\* ودَّع سيِّدنا نعيمُ القرشيين ليواصلَ مسيرته الخالدة التي وعثها أذن السَّيرة النَّبويَّة ، ودوَّنَتْها له بأحرفٍ من سناء ونور ، وذكرت بأنَّه بذكائه خدعَ العربَ واليهودَ معاً .

\* سار نعيمٌ تحت أستار الظَّلام الذي يلفُّ الكون ، توجَّه إلى مضارب قومه الغطفانيين ، وكانوا مركزَ القوَّة والثَّقَل في جيش الأحزاب الغازي الغاشم ، وكانت غطفانُ ثالثة الضَّلال في حلفِ الشَّيطان ؛ المؤلَّف من مشركي قريش ويهود بني قريظة وغطفان .

\* وفي وسط معسكر الغطفانيين ، رغب أن يجتمعَ بعدد من زعمائهم وقادتهم من مثل : عيينة بن حصن الفزاريِّ ، وطليحة بن خويلد الأسديِّ ، والحارث بن عوف المريِّ ؛ ولمَّا اجتمع بهم والتَّقاَهُم ، خاطبَهُم في ألفاظ رواقص تداعبُ مخيلتهم فتجعلهم مشدوهين ينتظرون ما يحدثهم به فقال : « يا معشرَ غطفان ! إنكم أهلي وأصلي وعشيرتي ، وأحبَّ النَّاس إليَّ ، ولا أراكم تتهموني ، أو تشكَّون في صدقي وإخلاصي ، وإني لا أدخر جهداً في جَلْب أي خير لقبيلتي غطفان ، ودفع كلِّ ضرٍّ وشرٍّ عنها بما أوتيتُ من قوَّة وحيلة » .

قالوا له : « صدقتَ يا أبا سلَّمة ، ما أنتَ عندنا بمتهم ، ولم نجرب عليك خيانةً لقومك مطلقاً » .

\* وحينما اختبر نعيم أن قومه قد وثقوا به ، أبلغهم أن لديه أخباراً في

غاية الخطورة تتعلّق بسلامتهم ومستقبلهم في هذه الحرب ، وقال : « هل تكتُمون عني ما أقوله لكم ؛ لأنّ الكتمان في هذا الأمر المهمّ ، هو سبيل النّجاح والنّجاة ؟ » .

قالوا : « نفعل يا أبا سلّمة ، فما الأمر ؟ » .

\* أخذ نعيمٌ يسرّد لهم خيانة اليهودٍ لمحمّد ﷺ ، نقضهم العهد الذي بينه وبينهم ، ليكونوا مع قريش وغطفان عليه ، ثمّ ندمهم على هذا النّقض ، واتّفاقهم مع محمّد ﷺ على أخذ رهائن من خيرة رجال قريش وغطفان ، ليقدموهم إلى محمّد ﷺ استرضاء له ، وذلك كي يتجاوز ويصفح عن نقضهم العهد .

\* كان نعيمٌ يُحكّمُ كلامه وأفكاره بألمعيّة رقيقة ، وذكاء وقادٍ ، استقطب به عقول القوم وأحلامهم ، ثمّ قال لهم : « يا قوم ! لا تأمنوا لليهود ، فهم أهلُ غدرٍ وخيانةٍ ، ولا ترسلوا رجالكم إليهم ، وإلا فسوف تندمون ويطولُ ندمكم » .

\* شكروا لنعيم فكرته الأمنيّة الأمانة ، وأكّدوا له أنّهم لن يسلموا لقرينة رهينة ، وبهذا استطاع نعيم أن يخدع ثلوث الضلال بقصّة اخترعها ، ونجح بذلك نجاحاً كاملاً ؛ إذ تمّ تنفيذ القصّة كما رسّمها لهم ، وكما تخيلها لفضّ جموعهم .

\* وهذه طاقةٌ مزهرةٌ من الكلام المنظوم ، نحلّي به هذه الفقرة التي عشنا من خلالها مع نعيم وقومه ونجاح خطته :

قبلت قريشٌ للنّصيحة من نعيمٍ عن يقين  
من قبلهم كان اليهود لنصحه مُستحسنين  
وأتى إلى غطفان ثلثة الضلال المعتدين  
وبقوله المعسول خاطبهم فبئس مخاطبين  
أنتم أحبُّ النَّاسِ عندي بل وأهلي الأقربين

قد تعلمون الودّ منّي للقبيلة أجمعين  
وأظنّكم لا تنكرون بأنني في الصّادقين  
قالوا فحاشا لست أنت من الرّجال الكاذبين  
فأجابهم لا تذكروا ما قد أقول لآخرين  
ولتكنتموا تلك التّصيحة عن جميع العالمين  
قالوا سنكتمها فقال وقد بدا كالنّاصحين  
أفضى لهم بالسّرّ عن غدر اليهود الخائنين  
ختم المقالة فائلاً لا تأمنوا للغادرين  
لا ترسلوا برجالكم كي لا تظّلوا نادمين  
عجبوا كما عجبت قريش واستجابوا موقنين<sup>(١)</sup>

### نجاح مهمّة نعيم رضي الله عنه :

\* اهتمّ القرشيون والغطفانيون بالأنباء والأحداث التي نقلها نعيم بن مسعود لهم ، وأحلّوها المكان الأوّل من أعمالهم ، وكادت قلوبهم تنفجر من الغيظ والحقد على القرظيين ، وباتوا بشرّ ليلة من القلق والحق والاضطراب ، وعظّم في نفوسهم غش يهود بني قريظة الذين بالغوا في الغدر والارتياب .

\* لم يمض وقتٌ كبيرٌ حتّى علمت قريش وغطفان بالأمر وبأنّ بني قريظة يريدون رهناً من خيرة رجالهم ، وبالتالي قال قادة الأحزاب بعضهم لبعض : « والله إنّ الذي حدّثكم به نعيم بن مسعود لحقٌّ » .

\* وبهذه الحنكة التّعميميّة الحصيّة دبّ الخلاف بأمر ربّ التّاس بين المعتدين ، وأصبح من المستحيل التّوفيق فيما بينهم ، ونجحت خطّة نعيم في تفریق شمل الأحزاب ، وكان نعيم - رضي الله عنه - يقول : « أنا خذلت بين

(١) « تغريدة السيرة النبويّة » ( ٣ / ١٧٨ ) .

الأحزاب حتى تفرقوا في كل وجه ، وأنا أمينُ رسولِ الله ﷺ على سرِّه » (١) .

\* وممَّا لا ريب فيه أنَّ الشُّكَّ سلاحٌ فعَّالٌ ، له أثره الواضح في نقض الهمم ، وفسخ العزائم (٢) ، ولا سيما إذا كان هذا الأمرُ بين قوم تحالفوا على الشرِّ ، وتعاقدوا على السُّوء .

\* ومن المُتعلَّم بين مصنِّفي السِّيرة أنَّ جيوشَ قريش وغطفان كانوا نازلين في العراء ، على ربيِّ الصَّحراء المكشوفة ، وكان الجو شتاءً ، والبردُ شديداً ، فهبَّت في تلك الليلة رياحٌ عاصفةٌ ، أرسلها الله - عزَّ وجلَّ - على الأحزاب ، فقلَّبت موازينهم ، وأكفأت قلوبهم ، وهدمت خيامهم ، وأطفأت نيرانهم ، فاحلوك الظلامُ ، وحجبت الرُّؤية ؛ إذ لم يَبْدُ في الأفق نجمٌ واحدٌ يرنو ليبيدَ جيوش الظلام ، وساعد في ذلك أنَّ السماء كانت مشحونة بسُحب كثيرة ، فدبَّ الدُّعر والخوفُ في قلوب الأحزاب ، وولوا الأدبار وهم يقولون : « إنَّ هذا من سحر محمد !! » (٣) .

(١) « طبقات ابن سعد » ( ٤ / ٢٧٩ ) .

(٢) إنَّ إحدَث الشُّكِّ والشُّقاق والفرقة في صفوف الأعداء ، هو سلاحٌ عظيمٌ من أكبر الأسلحة التي تؤتي ثمارها لصالح خصوم هؤلاء الأعداء . وقد تفعلُ الفرقة بالعدو ما تفعله جيوش كثيفة ، مزودة بالأسلحة الثَّقيلة والخفيفة ، ولهذا فإنَّ رسولَ الله ﷺ طلب من نُعيم بن مسعود الدَّاهية الذَّكي أن يستخدم سلاح الشُّقاق ضد الأعداء المتحالفين المتحلِّقين حول الخندق ؛ إذ قال له : « يا نُعيم ! إنَّما أنت فينا رجلٌ واحدٌ ، فخذلْ عَنَّا ما استطعتَ فإنَّ الحربَ خدعةٌ » . وقد وُقِّع نُعيمٌ ونجحَ في استخدام سلاح الفرقة والشُّقاق ضدَّ الأعداء ؛ إذ استطاع أن يحطم بهذا السُّلاح الخفيف النِّظيف وحدة الأحزاب ، وأن ينسف اتِّحادهم مع اليهود من أساسه ، ممَّا جعل زعيم الأحزاب أبا سفيان يأمرُ بالانسحاب ، ويعنى غدر بني قريظة ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً .

(٣) انظر تفصيل هذا الأمر ، وقصة سيِّدنا نُعيم بن مسعود في كتب السِّيرة النَّبويَّة =

\* وقد ساق ابنُ سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قصَّةَ نُعَيْمٍ - رضي اللهُ عنه - موجزةً خاليةً من التفصيل السَّابقة ، وهي مع وجازتها تفي بالغرض المطلوب ، وها نحنُ أولاءُ نوردُ روايةَ ابنِ سعد ؛ إذ يقول : « كان نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودِ الْأَشْجَعِيِّ - رضي اللهُ عنه - ، قد أسلمَ فحسُنَ إسلامه ، فمضى بين قريش وقريظةَ وغطفان ، وأبلغ هؤُلاءِ عن هؤُلاءِ كلاماً ، يُرِي كلَّ حِزْبٍ مِنْهُمْ أَنَّهُ يَنْصَحُ لَهُ فقبلوا قوله ، وخذلهم عن رسولِ اللهِ ﷺ ، واستوحش كلُّ حِزْبٍ مِنْ صَاحِبِهِ ، وطلبتُ قريظةً من قريش الرِّهْنِ حَتَّى يَخْرُجُوا قِيَقَاتِلُوا مَعَهُمْ ، فأبَتْ ذلك قريش ، واتهموهم ، واعتلتُ قريظةً عليهم بالسَّبِّ وقالوا : لا نقاتل فيه ؛ لأنَّ قومًا مِنَّا عَدَا فِي السَّبِّ ، فمُسِخُوا قَرْدَةً وَخَنَازِيرَ ، فقال أبو سفيانُ بنُ حرب : ألا أراني أستعينُ بإخوةِ القردةِ والخنازير ، وبعثَ اللهُ الرِّيحَ ليلةَ السَّبِّ فَفَعَلَتْ بِالْمُشْرِكِينَ ، وتركتُ لأتقُرُّ لَهُمْ بِنَاءٍ وَلَا قَدْرًا » (١) .

\* وما دمننا في نهاية هذه الفقرة الماتعة ، تعالوا نقتطف هذه الأزاهر الطَّريفة من « الإلياذة الإسلامية » لأحمد محرّم ، وهو يجمعُ طاقات قصَّة نُعَيْمِ بْنِ مَسْعُودٍ وَيَنْسِقُّهَا بِشَعْرِهِ السَّلْسِ الْجَمِيلِ ، فيقول :

أقبلُ نُعَيْمٌ هَدَاكَ رَبِّكَ سَارِيَا	وكفىُ برَبِّكَ ذِي الْجَلَالَةِ هَادِيَا
جئتَ النَّبِيَّ فَقُلْتَ إِنِّي مُسَلِّمٌ	مَنْ أَشْجَعٌ لَمْ يَدْرِ قَوْمِي مَا بِيَا
مُرْنِي بِمَا أَحْبَبْتَ فِي الْقَوْمِ الْأَلْيُ	كَرِهُوا الرَّشَادَ أَكُنْ لِأَمْرِكَ وَاعْيَا
قال ارمهم بالرَّأْيِ يَصْدَعُ بِأَسْهَمِ	عَنَا وَيَتْرَكُهُ ضَعِيفًا وَاهِيَا
عُدْ يَا بَنَ مَسْعُودٍ إِلَيْهِمْ رَاشِدًا	وَاصْنَعْ صَنِيعَكَ أَمْرًا أَوْ نَاهِيَا
ومضىُ فهزَّ بنِي قريظةَ هِزَّةً	يَغْتَال رَاجِفَهَا الْأَشْمَ الرَّاسِيَا
قال اتبعوا يا قوم رأي نديمكم	إِنِّي مُحَضَّتْكُمْ الْوُدَادَ الصَّافِيَا

= والمغازي ، وانظر كذلك كتب التفسير لسورة الأحزاب فإن فيها تفاصيل مهمّة ومفيدة .

(١) « طبقات ابن سعد » ( ٢ / ٦٩ ) .

من أمركم أمماً ولا متدانيا  
 رهنأ يكن حزماً ورأياً شافيا  
 يبدي الهوى ويذيع سرّاً خافيا  
 أمراً طفقت له أعضّ بنانيا  
 سمعتُ قريشُ أو يزيدُ محابيا  
 نبّهتُ أخشى أن يجلّ مُصابيا  
 ومضت بها هُوجُ الظنون سوافيا  
 ودهائه غير الهواجسِ ساقيا  
 صدق ابن مسعودٍ وخاب رجائيا  
 يا قوم ما للغاديرين وما ليا  
 أنّ الأجبّة يصبحون أعاديا<sup>(١)</sup>

فَدَعُوا قريشاً لا تظنّوا أمرها  
 إن تأخذوا سبعين من أبطالهم  
 وأتى قريشاً في مخيلة ناصح  
 يا قوم إنّ بني قريظة أحدثوا  
 ومشى إلى غطفان يُنبئهم بما  
 أهلي منحتُ نصيحتي وعشيرتي  
 هفتِ المخاوف بالثُّقوس فزلزلت  
 لم يُيقِ منها الأشجعيُّ بمكره  
 غضبَ ابنُ حربٍ ثمّ قال لقومه  
 غدرَ اليهود وتلك من عاداتهم  
 ما كنتُ أحسبُ والخطوبُ كثيرة

### نُعيم وسجايا نبيلة :

\* أثبت نُعيمُ بنُ مسعود - رضي الله عنه - أنّه رجلٌ صادقُ الإيمان ،  
 إذ قام بدوره المتألق منذ اللحظات الأولى لإسلامه أيام معركة الخندق ، قال  
 ابنُ سعد رضي الله عنه : « وكان صحيح الإسلام بعد ذلك »<sup>(٢)</sup> .

\* وتضيفُ إلينا مصادر ترجمة سيّدنا نُعيم بأنّه هاجرَ بعد إسلامه ،  
 وسكن المدينة المنورة ، وأولاده موجودون بها ، وكان نُعيمٌ يغزو مع  
 رسول الله صلى الله عليه وآله إذا غزا ، وبعثه الحبيبُ المصطفى صلى الله عليه وآله لما أراد أن يخرجَ إلى  
 تبوك إلى قومه غطفان ، ليستنفرهم إلى غزو عدوهم<sup>(٣)</sup> .

\* وفي فتح مكة كان لنُعيم دورٌ مهم ، ذكره ابن سعد رضي الله عنه بسنده عن

(١) « ديوان مجد الإسلام » ( ص : ٢٢٤ - ٢٢٦ ) بانتقاء واختيار .

(٢) « طبقات ابن سعد » ( ٤ / ٢٧٩ ) .

(٣) « طبقات ابن سعد » ( ٤ / ٢٧٩ ) بتصرّف .

سعيد بن عطاء بن أبي مروان ، عن أبيه ، عن جدّه قال : « بعث رسولُ الله ﷺ نعيم بن مسعود ، ومَعْقِلَ بنِ سِنان إلى أشجع يأمرانهم بحضور المدينة لغزو مكة » (١) .

\* ولَمَّا كان يوم فتح مكة المكرمة ، كان سيّدنا نعيمُ بنُ مسعود - رضي الله عنه - يحملُ رايةَ قومه غطفانَ ، ورأى أبو سفيان رجلاً يحملُ رايةَ غطفان ، فقال لمن معه : « مَنْ هذا الرَّجُلُ ؟ » .

قالوا : « نعيمُ بنُ مسعود » .

فتذكّر أبو سفيان أيام الخندق ، وما فعله نعيمٌ به وبالأحزاب فقال : « بئس ما صنع بنا يوم الخندق ، والله لقد كان من أشدّ النَّاسِ عداوةً لمحمّد ، وها هو ذا اليوم يحملُ رايةَ قومه بين يديه ، ويمضي لحربنا تحت لوائه ؟ » .

\* ولم يكن لنعيم هذه الخصوصية فحسب ، وإِنَّمَا ولأه رسولُ الله ﷺ على صدقاتِ أشجع بن ريث قومه (٢) .

\* ولسيّدنا نعيم أيضاً روايةٌ عن النَّبِيِّ ﷺ ، فقد روى عنه ولده : سلمة ، وابنته زينب (٣) .

\* أخرج الإمامُ أحمد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بسنده عن سلمة بن نعيم بن مسعود الأشجعيّ عن أبيه نعيم قال : « سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ حين قرأ كتاب مسيلمة الكذاب قال للرسولين : « فما تقولان أنتما ؟ » .

قالا : نقولُ كما قال .

(١) « طبقات ابن سعد » ( ٤ / ٢٧٩ ) .

(٢) « أنساب الأشراف » ( ١ / ٥٣٠ ) .

(٣) « تهذيب التهذيب » ( ١٠ / ٤٤٦ ) ، و « الاستيعاب » ( ٣ / ٥٢٩ ) ، و « الإصابة » ( ٣ / ٥٣٩ ) ، و « أسد الغابة » ( ٤ / ٥٧٢ ) .

فقال رسول الله ﷺ : « والله لولا أن الرّسل لا تُقتل لضربتُ أعناقكم » (١) .

\* وعاش سيّدنا نُعيم شطراً من الخلافة الرّاشدة ينعمُ في أفيائها ، وكان يسكنُ المدينة المنورة ، وولده من بعده ، وبقي إلى زمن سيّدنا عثمان بن عفّان - رضي الله عنه - ، وذكر الإمام النّووي رَحِمَهُ اللهُ بأنّ نُعيماً توفي في آخر خلافة عثمان ، وقيل أوّل خلافة عليّ - رضي الله عنهم أجمعين (٢) - .

\* بينما ذكر ابنُ حجر رَحِمَهُ اللهُ بأنّ نعيماً قُتل في أوّل خلافة عليّ قبل قدومه البصرة في وقعة الجمل ، وقيل : مات في خلافة عثمان ، والله أعلم (٣) .

\* رضي الله عن نُعيم بن مسعود ، ورحمنا يوم الخلود ، وعفا عنّا بفضل المعهود ، وحشرنا تحت لواء النّبِيِّ المحمود .

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [ البقرة : ٢٨٦ ]



---

(١) « المسند » ( ٦ / ٣١٣ - ٤١٤ ) حديث رقم : ( ١٥٩٨٩ ) ، وذكره ابن حجر في « الإصابة » ( ٣ / ٥٢٩ ) . والأصبهاني في « معرفة الصّحابة » ( ٤ / ٣٢٦ ) ، وغيرها .

(٢) « تهذيب الأسماء واللغات » ( ٢ / ١٣١ ) .

(٣) « الإصابة » ( ٣ / ٥٢٩ ) ، و« تهذيب التّهذيب » ( ١٠ / ٤٦٦ ) .



## الخاتمة

\* بحمد الله وفضله ومثته ، كانت رحلتنا مائة مع سير أصحاب النبي ﷺ ، أولئك الرجال الذين كانوا يمتطون المصاعب والشدائد ، ويصبرون الصبر الجميل ، حتى نشروا دين الله - عز وجل - في طول البلاد وعرضها ، وتركوا من الآثار الحسان ما زينتوا به جيد الزمان ، وكانوا يلهجون بحمد الله وذكره آناء الليل وأطراف النهار ، فرضي الله عنهم وأرضاهم :

أولئك آبائي فجتني بمثلهم إذا جمعنا يا جريئ المجمع

\* وقد تبين معنا في هذا السفر المبارك أثر هؤلاء الرجال الأبطال الأخيار ، في نصره رسول الله ﷺ ؛ إذ افتدوه بأنفسهم ، وما ملكت أيديهم ، وصدقوا ما عاهدوا الله عليه ، ووفوا لرسوله ﷺ ، فبنوا صروح الحياة بالعلم والجهاد ، فنشروا العلم في كل مكان حلوا فيه ، وقدموا الشهداء في كل بلد فتحوه ، وفتحوا بإخلاصهم القلوب ، وأحبهم من سمع أخبارهم ، وحازوا قبل هذا كله محبة النبي ﷺ ، فأوصى بهم في أحاديث كثيرة ملأت ركب الصالحين ، وغيرهما من أوردان كتب الحديث الأخرى .

\* ومن خلال الكتاب خلصت إلى نتائج رشيدة ، ونقاط مفيدة ، وفوائد نفيسة ، تتلخص في نقاط رئيسية :

الأولى : مرّت بنا أخبار وقصص تفصح عن صبر هؤلاء الرجال ، وما لاقوه من شدائد في سبيل إعلاء كلمة الكبير المتعال ، ونشر العلم في كل مجال ؛ ولم يكن لهم هدف من جاءه أو مال ، وإنما مرضاة الله ورسوله في

جميع الأحوال ، ومنهم : مصعبُ بنُ عُمير ، وخبَّابُ بنُ الأرتِّ ، والطَّفيلُ بنُ عمرو ، وعثمانُ بنُ مظعون - رضي اللهُ عنهم - . وعلى الرّغم من كثرة هذه الأخبار الوضيئة ، فإنّها قسٌّ يسيرٌ من سناء حياتهم المضيئة ؛ التي أغنوها بالمفيد ؛ وهم يرجون مرضاة العزيز الحميد .

الثانية : شهدنا في قراءتنا لِسِيرِ هؤُلاءِ الثُّبلاءِ ؛ الذين ملأَ طيبُ ذكْرهم الأرض والسَّماءَ ، أنَّهُم كانوا ذوي فضائلَ نادرة ، وأعمال باهرة ، فهم علماء ، مجاهدون ، فاتحون ، حافظون ، راعون ، ساجدون ، لا يركنون إلى الدَّعة والرَّاحة والرِّخاء ؛ بل حياتهم طاعةٌ في عمَلٍ في عطاء ، أوقفوا أعمالهم في نُصرة الإسلام ونشره ، ولم يلتفتوا إلى منصبٍ أو مكانة ، وأدركوا أنّ ما هم عليه من شَظف العيش ، والتَّقشُّف في أمور الحياة ، شَطْرٌ من النِّعيم العاجل ، وقسْطٌ من رضا الله - عزَّ وجلَّ - ، فطابت نفوسهم ، وزكَّتْ مقاصدُهم ، فأكرمَ بقصدهم ونهجهم ومنهجهم ! ومن هؤُلاءِ الرِّجال على سبيلِ المثال : عتبةُ بنُ غزوان ؛ وجريز بن عبد الله ؛ وأسيد بن الحضير ؛ رضي اللهُ عنهم أجمعين .

الثالثةُ : عرفنا من خلال سيرة حياتهم شيئاً من بطولاتهم وتضحياتهم ، وعزائمهم القويّة ، وهمّتهم العالية ، فكانوا مهاجرين وأنصاراً وحلفاءً يداً واحدةً في ارتقاء معالي الأمور ، وسَخَّروا مواهبهم لخدمة هذا الدِّين الذي ارتضاهُ اللهُ - عزَّ وجلَّ - للنَّاسِ ، وفي سيرة كلِّ صحابيٍّ من هذا الكتاب نموذجٌ جميلٌ تؤكِّدُ صحَّةَ ما قلناه .

الرابعةُ : خَدَمَ هؤُلاءِ الميامينُ الإسلامَ خدمةَ الأوفياءِ المُخلصين ، فما وهنتْ عزائمهم ، ولا استكانت هممهم ، ولم يتأثروا بالشَّدائد التي اعترضتْ حياتهم ، وإنَّما تجاوزوا المفاوِزَ ليفوزوا ، ويحققوا النَّجاحَ في كلِّ شيء يدعو لمرضاة الله ورسوله ، فسهروا الليالي عابدين ، وقاموا في النَّهار صابرين وثبتوا في ملاقة الأخطار ، ومكابدة الأهوال والأسفار ، وهذه الأمورُ جميعها لم

تؤثّر في قوّة شكيמתهم ، وحرصهم على متابعة طريق الفلاح المُوصل إلى طريق نجاتهم .

الخامسةُ : من خلال الاستقراء عرفنا أنّ مكارم المعالي ، ومعالي المكارم ، منوطةٌ بالمصاعب ، ومحفوظةٌ بالمكاره ، لا يوصل إليها إلا على جسرٍ من التعب ، فمن طمحتُ نفسه إلى مراقي الفلاح ، فعليه أن يسيرَ على الطّريقة القويمة التي سلكها الصّحابةُ أهل الفلاح ، فقد أكرهوا أنفسهم على الجدِّ والنّصب ، وساقوها إلى المعالي سوقاً حميداً ، فوصلوا إلى رياضٍ مونقة ، ومقاماتٍ موفّقة ، ومواقفٍ مشرقة ، ومقعدٍ كريم ، ونعيمٍ مقيم ، ورضا العزيز الرّحيم .

السادسةُ : تحمّل هؤلاء السّادةُ الآسادُ الأسيادُ جميع المشاقّ ، وغالبوا العقباتِ والصّعابِ وأعدوا العدةَ ليوم التّلاق ؛ فأكرمهم الله - عزّ وجلّ - ، ولم يخيب مسعاهم ، وهذا ما عرفناه في السّيرة الخبائية المباركة ؛ إذ أخبر رسولُ الله ﷺ صاحبه خبابَ بن الأرتّ - رضي الله عنه - لما جاءه يشكو عذابَ المشركين وقسوتهم ، فبشّره ﷺ وقال له : « ... والله ليتمنّ هذا الأمر حتّى يسير الرّاكبُ من صنعاء إلى حضرموت ، لا يخافُ إلا الله ، والدّئب على غنمه » . وما أجمل أن نتذكّر دائماً أنّ : « من كانت بدايته محرقةً ، كانت نهايته مشرقةً ! »

السّابعةُ : كان رجالُ عَصْرِ البُوءة من طبقات شتى ، فكان منهم : الأشرافُ ، والكبراءُ ، والأغنياءُ ، وأصحابُ اللسن والفصاحة وفُضْلِ الخطاب ، وأصحابُ الثّبيل والكمالِ ، والسّيادة والرّيادة والجمال ، والأمراء ، والفقراء ، والمستضعفين والأقوياء ، فصقلهم الإسلامُ وجعلهم أشقاءً أخلاءً ، فسادوا على السّادات ، وبلغوا أعلى الدّرجات ، وأخلصوا لله فآتاهم في ذلك العجائب المُدهشات ، ولم يزلوا بذلك أحياء في ضمائر المحبّين ، وإن ماتوا منذ مئات السّنين :

جَمالُ ذي الأرضِ كانوا في الحياةِ وهم بَعْدَ المماتِ جمالُ الكتبِ والسّيَرِ

الثامنة : أيقننا أنّ الصحابة هم سادة الناس وخيرهم ، فهم أبز الأمة قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفاً ، ومن المؤكّد أنّ من جاء بعدهم هو أقلّ منهم علماً ، وأكثر تكلفاً ، فكيف نطمئنّ إلى من ينتقص خير أمة أخرجت للناس ؟ ! أو من ينتقد أكابر الصحابة ويغضّ من شأنهم ؟ ! :

وبقيّة الصّحب الكرام ليكلّهم فخرٌ له فوق المجرّة يسحب  
 قاموا لدينهم القويم فلم يزل يُشجى بيأسهم العدو ويشجب  
 أفنى نهارهم دواً جهادهم طوعاً وليلهم الطويل ترهب  
 حكم الإله لهم وليس لحكمه لهم بكلتا الحسنيين معقب

التاسعة : لا شكّ في أنّ أهل العلم الذين عرفوا حدودهم ، يعترفون بفضل من سبقهم ، وأنّهم عاجزون - مهما فعلوا ومهما تعلّموا - عن بلوغ مراتبهم ، أو مقاربة مكانتهم ، ولقد أجاد الإمام أبو حنيفة رحمته الله ، حينما سئل عن الأسود بن يزيد بن قيس النخعيّ وعلقمة بن قيس النخعيّ - وكلاهما من أفاضل التابعين ومن أهل بيت اشتهر بالعلم والعمل - فقال مقالة عالم فقيه مؤدّب : « والله ما نحن بأهل أن نذكرهم ، فكيف نفضّل بينهم ؟ ! » . وكان عبد الله بن المبارك عالم زمانه ؛ وأمير الأتقياء في أوانه ، إذا ذكر أخلاق من سلف وتذكّر أعمالهم ينشد :

لا تعرضنّ لذكرنا مع ذكرهم ليس الصّحيح إذا مشى كالمقعد

العاشرة : إذا اطّلع المحبّ المنصف على أقوال علماء التابعين في أسيادنا الصحابة ، علم أيّ محلّ ارتقوا ، وأية طرق الخير سلكوا ، ومن عجيب البلاء والوباء أن كثر في أيامنا هذه نقد السلف الصّالح ؛ ونقد العلماء المعاصرين ، وأصبح هذا الأمر سهلاً عند بعضهم ، فلا يتورّع عن انتقاص أحد كبراء الصحابة ، أو أحد علمائهم ، أو ساداتهم ، أو فرسانهم ، أو أحد العلماء السابقين الذين أفنوا أعمارهم في خدمة العلم ، أو ينتقص عالماً جليلاً مشهوراً في وقتنا الحاضر ممن طبقت شهرته الآفاق ، ويقول هو كذا وكذا ،

وأخطأ في كذا ، وصنع كذا ، و . . . . . وهذا الذي ينتقد الأكارب لا يحسن قراءة آيتين ؛ ولا يستطيع أن يقيم حرفين متجاورين ، ولا يعرف من البخاري ومن مسلم ، بل لا يعرف أحداً من أئمة العلم الذين ملؤوا الدنيا بعلمهم ، وشغلوا الناس بمفيد كتبهم - ومع هذا الجهل المطبق - ينتقد ، ويتقص ، ويفتي ، ويطبب ، ويوجه ، و . . . . . ونسأل الله السلامة والسداد ، وأن يعلمنا أصول الأدب والوداد ، وأن يجعلنا ممن يسلكون سبيل الرشاد ؛ في طاعة رب العباد .

الحادية عشرة : سيرة هؤلاء السادة القادة الأخيار الأبرار ؛ الأصفياء الثجباء ؛ الأصحاب الأحباب ؛ تثير الإعجاب ؛ فقد فارقوا الأهل والوطن ، وساروا مهاجرين في أرض الله الواسعة ، وأفنوا أعمارهم في سبيل مرضاة الله - عز وجل - ابتغاء رحمته الواسعة ، وقد استقر كثير منهم في البلد الذي فتحه ، أو مات شهيداً فوق أرضه ؛ بعد أن عمل على إصلاح الأرض ، وبنى الأسواق ؛ ونظر في مصالح الناس ، وأرشدهم إلى ما ينفعهم في دينهم ودنياهم .

الثانية عشرة : تبين لنا من خلال قراءة أبواب الكتاب أن في الصحيحين ، وسائر الكتب كمصنفات الحديث الأخرى أبواباً متخصصة في فضائل رجال عصر النبوة الكرام ، الذين سعدوا بصحبة النبي ﷺ وشرفوا بها ، فقد عقد الإمام البخاري رحمه الله في « صحيحه » المبارك باباً عنوانه : « باب فضائل الصحابة ؛ وكتاب مناقب الأنصار » ، ذكر من خلالهما أسماء ثلثة من رجال عصر النبوة ، ومنهم في هذا الكتاب : مصعب بن عمير ، وجريز بن عبد الله البجلي ، كما ذكر في كتاب « المغازي » قصة دوس والطفيل بن عمرو وغيره . وكذلك صنع الإمام مسلم رحمه الله في « صحيحه » ؛ إذ عقد باباً كبيراً نافعاً عنوانه : « كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم » ، وأورد طاقات مزهرة من مناقبهم ، ومنهم في هذا الكتاب : جريز بن عبد الله البجلي وغيره . كما أن البخاري ومولماً قد عقدوا أبواباً عدة بفضائل أهل بدر ،

وفضائل أهل بيعة الرضوان ، وفضائل المهاجرين والأنصار ، وقس على ذلك سائر كتب الحديث الأخرى .

\* وفي الختام : ينبغي الاستفادة والاستنارة بما ذكره علماء الأمة السابقين عن احترام الصحابة - رضي الله عنهم - والكف عمّا شجر بينهم ؛ ومن هؤلاء العلماء الأفاض أبو بكر محمد بن الحسين الآجري البغدادي ( ٢٨٠ هـ - ٣٦٠ هـ ) الذي قال في كتابه : « الشريعة » ( ص : ٧٠٨ - ٧٠٩ ) ما خلاصته : « ينبغي لمن تدبر ما رسمناه من فضائل أصحاب رسول الله ﷺ ، وفضائل أهل بيته - رضي الله عنهم أجمعين - ، أن يحبهم ، ويترحم عليهم ، ويستغفر لهم ، ويتوسل إلى الله الكريم بهم ، ويشكر الله العظيم ؛ إذ وقفه لهذا ، ولا يذكر ما شجر بينهم ؛ لأنهم أهل الجنة ، عليهم نزل القرآن ، وشاهدوا رسول الله ﷺ ، وجاهدوا معه ، وشهد لهم الله - عز وجل - بالرضوان ، والمغفرة ، والأجر العظيم ، وشهد لهم الرسول ﷺ أنهم خير قرن ، فكانوا بالله - عز وجل - أعرف ، وبرسوله ﷺ ، وبالقرآن وبالسنّة ، ومنهم يؤخذ العلم ، وفي قولهم نعيش ، وبأحكامهم وبأدبهم نتأدّب ، ولهم نتبع ، وبهذا أمرنا . . . . . قد صحبوا الرسول ﷺ وصاهرهم وصاهروه ، فالصّحبة يغفر الله الكريم لهم . . . . . وقد ذكر لنا الله تعالى في كتابه أنه وصفهم في التّوراة والإنجيل ، فوصفهم بأجمل الوصف ، ونعتهم بأحسن النّعت ، وأخبرنا مولانا الكريم أنّه قد تاب عليهم ، وإذا تاب عليهم لم يعذب واحداً منهم أبداً : ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [ المجادلة : ٢٢ ] . »

\* وما أجمل قول من قال في الصحابة - رضي الله عنهم - :

كُلُّ الصّحابةِ عندي قدوةٌ علّمُ      فهل عليّ بهذا القولِ من عارٍ  
إن كنت تعلمُ أنّي لم أحبهم      إلا لوجهك أعتقني من النارِ

\* اللهم ! وقفنا لصالح الأقوال والأعمال ، واغفر لنا ما جرّحنا بالليل وما بدرنا متّاً بالنّهار ، يا كريم يا غفار .

\* اللهم ! اجعلنا من الذين قُلْتَ فيهم : ﴿ يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ  
الَّذِي فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ [إبراهيم : ٢٧] .

\* اللهم ! احشُرنا مع الذين رضيت عنهم ورضوا عنك ، وأدخلنا  
برحمتك في عبادك الصالحين .

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [البقرة : ٢٨٦]

وكتب

مُحِبِّ الصَّحَابَةِ وَخَادِمِهِمْ

أحمد بن خليل جُمعة

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين أجمعين



رَفَع  
عبد الرحمن البخاري  
أسكنها الفردوس  
[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)



## فهرسُ المصادر والمراجع (١)

- ١ - القرآنُ الكريم .
- ٢ - الصَّحِيحان : البخاريُّ ومُسلم وشروحهما .
- ٣ - الشُّننُ الأربعةُ وشروحها .
- ٤ - المسانيدُ والمستدركاتُ والمصنَّفاتُ والمعاجمُ ، وكتبُ الحديث .
- ٥ - أحكامُ القرآن : لابن عربي ، تحقيق : علي محمَّد البجَّاوي ، دار المعرفة - بيروت ، دون تاريخ أو ذكر رقم الطَّبعة .
- ٦ - أخبارُ القضاة : لوكيع ، عالم الكتب - بيروت ، دون تاريخ .
- ٧ - أخبارُ مَكَّة : للأزرقي ، تحقيق : رشدي ملحس ، دار الأندلس - بيروت ، ط : ٤ ، ١٩٨٣ م .
- ٨ - الأخبارُ الموفَّقيَّات : للرُّبير بن بَكار ، تحقيق : د . سامي مكِّي العاني ، بغداد ، ١٩٧٢ م .
- ٩ - أسبابُ التُّزول : للواحدي ، تحقيق : د . مصطفى البغا ، دار ابن كثير - دمشق ، ط : ١ ، ١٩٩٢ م .

(١) تعددت المصادر والمراجع التي اعتمدتُ عليها في إنشاء هذا الكتاب وصياغته ، وكانت متنوِّعة كثيرة ، وخصوصاً فيما يتعلَّق بعلوم القرآن ، والتفسير ، وعلوم الحديث النَّبويِّ ، والتواريخ ، وكتب الفقه ، واللغة ، والأدب ، وبعض دواوين الشُّعراء القديمة والحديثة ، وأوردتُ نماذج منها في هذا الفهرس ، في حين أنَّ معظمها منشور في تضايف الكتاب .

- ١٠ - الاستبصارُ في نَسَبِ الصَّحابةِ من الأنصار : لابن قدامة المقدسي ، تحقيق : علي نُويهض ، دار الفكر - بيروت ، دون تاريخ .
- ١١ - الاستيعابُ بهامشِ الإصابة : لابن عبد البرّ ، دارُ الكتاب العربي - بيروت ، دون تاريخ .
- ١٢ - أسدُ الغابةِ في معرفةِ الصَّحابةِ : لابن الأثير ، طبعة مصوّرة عن طبعة دار الشعب المحقّقة بمصر - بيروت ، ١٩٨٩ م .
- ١٣ - الإشاراتُ إلى أَمَاكنِ الزِّياراتِ المسمّى زياراتِ الشَّام : لابن الحورانيّ ، تحقيق : بسّام الجابي ، مكتبة الغزالي - دمشق ، ط : ١ ، ١٩٨١ م .
- ١٤ - الاشتقاقُ : لابن دريد ، تحقيق : عبد السّلام هارون ، القاهرة ، ١٩٥٨ م .
- ١٥ - الأشرافُ : لابن أبي الدُّنيا ، تحقيق : د . وليد قصاب ، دار الثقافة - الدّوحة ، ط : ١ ، ١٩٩٣ م .
- ١٦ - الإصابةُ في تمييزِ الصَّحابةِ : لابن حجر ، دار الكتاب العربي - بيروت ، دون تاريخ .
- ١٧ - إعجازُ القرآن : للباقلانيّ ، تحقيق : السيّد أحمد صقر ، دار المعارف - مصر ، ط : ٤ ، دون تاريخ .
- ١٨ - الأعلامُ : لخير الدّين الزُّركليّ ، دار العلم للملايين - بيروت ، ط : ٨ ، ١٨٨٤ م .
- ١٩ - الأغاني : للأصفهانيّ ، مصوّرة دار الفكر - بيروت ، دون تاريخ .
- ٢٠ - أنسابُ الأشراف : للبلاذريّ ، تحقيق : محمّد حميد الله ، دار المعارف - مصر ، دون تاريخ ، وكذلك عدّة أجزاء متفرّقة بتحقيق عدّة أساتذة .

- ٢١ - الأوائِلُ : لأبي هلال العسكري ، دار الكتب العلميّة - بيروت ، ط : ١ ، ١٩٨٧ م .
- ٢٢ - البدايةُ والنّهائيةُ : لابن كثير ، دار الفكر - بيروت ، ١٩٨٧ م .
- ٢٣ - البدرُ التّمَامُ شرح بلوغ المرام : لحسين محمّد المغربي ، تحقيق : د . محمّد شحود خرفان ، دار الوفاء - المنصورة ، ط : ١ ، ٢٠٠٤ م .
- ٢٤ - البرصانُ والعرجانُ والعميانُ والحولان : لأبي عثمان الجاحظ ، تحقيق : د . محمّد مرسي الخولي ، مؤسّسة الرّسالة ، ط : ٤ ، ١٩٨٧ م .
- ٢٥ - البصائرُ والدّخائر : لأبي حيّان التّوحيدي ، تحقيق : د . وداد القاضي ، دار صادر - بيروت ، ط : ١ ، ١٩٨٨ م .
- ٢٦ - بلوغُ الأرب : للآلوسي ، تحقيق : محمّد بهجة الأثري ، دار الكتب العلميّة - بيروت ، طبعة مصوّرة دون تاريخ .
- ٢٧ - بناتُ الصّحابة : د . أحمد خليل جُمعة ، دار اليمامة - دمشق ، ط : ٢ ، ٢٠٠٥ م .
- ٢٨ - بهجةُ المجالس : لابن عبد البرّ ، تحقيق : محمّد مرسي الخولي ، دار الكتب العلميّة - بيروت ، دون تاريخ .
- ٢٩ - البيانُ والتّبيين : للجاحظ ، تحقيق : عبد السّلام هارون ، لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر - القاهرة ، ١٩٤٨ م .
- ٣٠ - بيعةُ النّساء في القرآن والسّيرة : د . أحمد خليل جُمعة ، دار اليمامة - دمشق ، ط : ١ ، ١٤٢٥ هـ .
- ٣١ - تاريخُ الإسلام : للدّهبيّ ، تحقيق : د . عمر تدمري ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ط : ١ ، ١٩٨٧ م .
- ٣٢ - تاريخُ الأمم والملوك : للطّبريّ ، دار الكُتب العلميّة - بيروت ، ط : ٢ ، ١٩٨٨ م .

- ٣٣ - تاريخ بغداد : للخطيب البغدادي ، دار الكتاب العربي - بيروت ، دون تاريخ أو ذكر رقم الطبعة .
- ٣٤ - تاريخ المدينة المنورة : لابن شبة ، حققه : فهم شلتوت ، دار التراث - بيروت ، ط : ١ ، ١٩٩٠ م .
- ٣٥ - تأويل مختلف الحديث : لابن قتيبة ، تحقيق : محمد الأصفر ، المكتب الإسلامي - بيروت ، ط : ١ ، ١٩٨٩ م .
- ٣٦ - التبيين في أنساب القرشيين : لابن قدامة المقدسي ، حققه : محمد نايف الديلمي ، المجمع العلمي العراقي - بغداد ، ١٨٨٢ م .
- ٣٧ - التذكرة الحمدونية : لابن حمدون ، تحقيق : د . إحسان عباس وبكر عباس ، دار صادر - بيروت ، ط : ١ ، ١٩٩٦ م .
- ٣٨ - التراتيب الإدارية : للكثاني ، علّق عليه : علي دندل ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : ١ ، ٢٠٠١ م .
- ٣٩ - تغريدة السيرة النبوية : لمحمد عايش عبيد ، دار التراث - القاهرة ، دون تاريخ أو ذكر رقم الطبعة .
- ٤٠ - تفسير ابن عطية : لابن عطية الأندلسي ، دار ابن حزم - بيروت ، ط : ١ ، ٢٠٠٢ م .
- ٤١ - تفسير البحر المحيط : لأبي حيان الأندلسي ، حققه جماعة من العلماء في الأزهر ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : ١ ، ١٩٩٣ م .
- ٤٢ - تفسير روح المعاني : للآلوسي ، دار الفكر - بيروت ، ١٩٩٤ م .
- ٤٣ - تفسير الطبري : للطبري ، دار الفكر - بيروت ، ١٩٨٤ م .
- ٤٤ - تفسير القرطبي : للقرطبي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، دون تاريخ أو ذكر رقم الطبعة .
- ٤٥ - التفسير الكبير : للرازي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : ١ ، ١٩٩٠ م .

- ٤٦ - تفسيرُ الماورديّ : للماورديّ ، تحقيق : خضر محمّد خضر ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة - الكويت ، ط : ١ ، ١٩٨٢ م .
- ٤٧ - التفسيرُ المنيرُ : د . وهبة الرّحيلي ، دار الفكر - دمشق ، ط : ١ ، ١٩٩١ م .
- ٤٨ - تقريبُ التّهذيب : لابن حجر ، تحقيق : عبد الوهّاب عبد اللطيف ، دار المعرفة - بيروت ، ط : ٢ ، ١٩٧٥ م .
- ٤٩ - تلقّيحُ فهوم أهل الأثر في عُيون التّاريخ والسّير : لابن الجوزيّ ، مكتبة الآداب - القاهرة ، دون تاريخ أو ذكرٍ لرقم الطّبعة .
- ٥٠ - تهذيبُ الأسماء واللغات : للتّوي ، دار الكُتب العلميّة - بيروت ، دون تاريخ أو ذكرٍ لرقم الطّبعة .
- ٥١ - تهذيبُ التّهذيب : لابن حجر ، دار الكتاب الإسلامي - القاهرة ، دون تاريخ أو ذكرٍ لرقم الطّبعة .
- ٥٢ - تيسيرُ الكريم الرّحمن « تفسير السّعديّ » : للسّعديّ ، مؤسسة الرّسالة - بيروت ، ط : ١ ، ١٩٩٦ م .
- ٥٣ - ثمارُ القلوب في المضاف والمنسوب : للتّعالبيّ ، تحقيق : محمّد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف - القاهرة ، ١٩٦٥ م .
- ٥٤ - جامعُ بيانِ العِلْمِ وفضله : لابن عبد البرّ القرطبيّ ، قدّم له : عبد الكريم الخطيب ، دار الكُتب الإسلاميّة - القاهرة ، ط : ٢ ، ١٩٨٢ م .
- ٥٥ - جمهرةُ أنسابِ العرب : لابن حزم الأندلسيّ ، دار الكُتب العلميّة - بيروت ، ط : ١ ، ١٩٨٣ م .
- ٥٦ - حجّةُ اللهِ على العالمين : ليوسف النّبّهانيّ ، تحقيق : محمّد مصطفى أبو العلا ، مكتبة الجندي - القاهرة ، ١٩٧١ م .

- ٥٧ - حروب الرّدة : لمحمّد أحمد باشميل ، دار الفكر - بيروت ، ط : ١ ، ١٩٧٩ م .
- ٥٨ - الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز : لعبد الغني النَّبلسي ، تحقيق : رياض مراد ، دار المعرفة - دمشق ، ط : ١ ، ١٩٩٨ م .
- ٥٩ - حلية الأولياء : لأبي نُعيم الأصفهاني ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ط : ٢ ، ١٩٦٧ م .
- ٦٠ - حياة الحيوان : للدّميري ، مطبعة البابي الحلبي - القاهرة ، ط : ٤ ، ١٩٦٩ م .
- ٦١ - حياة رجالات الإسلام : لمحمّد الصّادق عرجون ، دار القلم - دمشق ، ط : ١ ، ٢٠٠٠ م .
- ٦٢ - حياة الصّحابة : للكاندهلوي ، بعناية : نايف العبّاس ومحمّد علي دولة ، دار القلم - دمشق ، ط : ٤ ، ١٩٨٦ م .
- ٦٣ - خلافة الصّدّيق والفاروق : لعبد العزيز الثّعالبّي ، تحقيق : د . صالح الخرفي ، دار ابن كثير - دمشق ، ط : ١ ، ١٩٩٨ م .
- ٦٤ - درّ السّحابة في مناقب القرابة والصّحابة : للشّوكاني ، تحقيق : د . حسين العمري ، دار الفكر - دمشق ، ط : ١ ، ١٩٨٤ م .
- ٦٥ - الدّرر في اختصار المغازي والسّير : لابن عبد البرّ ، تحقيق : د . مصطفى البغا ، مؤسّسة علوم القرآن - دمشق ، ط : ٤ ، ١٩٨٤ م .
- ٦٦ - الدّرر المنثور في التّفسير المأثور : للسيوطي ، دار الفكر - بيروت ، ط : ١ ، ١٩٨٣ م .
- ٦٧ - دلائل النّبوة : للأصبهاني ، تحقيق : محمّد رواس قلعجي ورفيقه ، دار الثّراث - حلب ، ط : ١ ، ١٩٧٠ م .

- ٦٨ - دلائل الثبوت : للبيهقي ، تحقيق : د . عبد المعطي قلعجي ، دار  
الكتب العلمية - بيروت ، ط : ١ ، ١٩٨٥ م .
- ٦٩ - دول العرب وعظماء الإسلام : لأحمد شوقي ، مطبعة مصر ،  
١٩٣٣ م .
- ٧٠ - ديوان أمية بن أبي الصلت : لأمية ، جمع وتحقيق : د . عبد الحفيظ  
السطلي ، المطبعة التعاونية - دمشق ، ١٩٧٤ م .
- ٧١ - ديوان البوصيري : للبوصيري ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، مطبعة  
البابي الحلبي - القاهرة ، ط : ٢ ، ١٩٧٣ م .
- ٧٢ - ديوان حافظ إبراهيم : لحافظ إبراهيم ، تحقيق : أحمد أمين ورفيقه ،  
دار الكتب المصرية - القاهرة ، ١٩٧٣ م .
- ٧٣ - ديوان حسّان بن ثابت : لحسان ، تحقيق : د . سيد حنفي حسين ،  
دار المعارف - مصر ، ١٩٧٤ م . وطبعة بتحقيق : د . وليد  
عرفات ، دار صادر - بيروت ، ١٩٧٤ م .
- ٧٤ - ديوان المتنبي : للمتنبي ، طبعاثُ محقّقةٌ مختلفةٌ بالقاهرة وبيروت .
- ٧٥ - ديوانُ مجد الإسلام : لأحمد محرم ، حقّقه : محمود أحمد محرم ،  
مكتبة الفلاح - الكويت ، ط : ١ ، ١٤٢١ هـ .
- ٧٦ - ربيع الأبرار : للزّمخشري ، تحقيق : د . سليم التّعيمي ، دار الدّخائر  
للمطبوعات - إيران ، دون تاريخ أو ذكر رقم الطّبعة .
- ٧٧ - رجالُ أهل البيت في ضوء القرآن والحديث : د . أحمد خليل جُمعة ،  
دار الإمامة - دمشق ، ط : ١ ، ٢٠٠٧ م .
- ٧٨ - رجالُ مبشّرون بالجنّة : د . أحمد خليل جُمعة ، دار  
ابن كثير - دمشق ، ط : ٥ ، ٢٠٠٣ م .
- ٧٩ - الرّحيق المختوم : للمباركفوري ، دار الوفاء - المنصورة ، ط : ٥ ،  
١٩٨٥ م .

- ٨٠ - الرِّسَالَةُ المَحْمَدِيَّةُ : لعبد العزيز الثَّعالبي ، تحقيق : د . صالح الخرقى ، دار ابن كثير - دمشق ، ط : ١ ، ١٩٩٦ م .
- ٨١ - الرِّوَضُ الأَنْفُ بهامش السِّيرة النَّبَوِيَّة : للسَّهيليِّ ، تحقيق : طه عبد الرِّؤوف سعد ، مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة ، ١٩٧١ م .
- ٨٢ - الرِّوَضُ المَعْطَارُ في خبر الأقطار : للحميريِّ الصَّنْهَاجِيِّ ، تحقيق : د . إحسان عَبَّاس ، مكتبة لبنان ، ١٩٧٥ م .
- ٨٣ - زاد المسير في علم التَّفْسير : لابن الجوزيِّ ، المكتب الإسلاميِّ ، ودار ابن حزم - بيروت ، ط : ١ ، ٢٠٠٢ م .
- ٨٤ - زاد المعاد : لابن قيِّم الجوزيَّة ، تحقيق : شُعب الأرنؤوط ورفيقه ، مؤسَّسة الرِّسالة - بيروت ، ط : ٢٥ ، ١٩٩١ م .
- ٨٥ - زهرُ الآداب وثمرُ الألباب : للحصريِّ القيروانيِّ ، تحقيق : علي محمَّد البجاوي ، دار إحياء الكُتب العربيَّة - القاهرة ، ط : ٢ ، ١٩٧٠ م .
- ٨٦ - سُبل الهدى والرِّشاد في سيرة خير العباد : للصَّالحيِّ ، تحقيق : د . مصطفى عبد الواحد وآخرين ، دار إحياء الثُّراث الإسلاميِّ - القاهرة ، ١٩٩٣ م .
- ٨٧ - سيرُ أعلام النُّبلاء : للدَّهبيِّ ، تحقيق : عدد من العلماء ، مؤسَّسة الرِّسالة - بيروت ، ط : ٣ ، ١٩٨٥ م .
- ٨٨ - السِّيرة الحليَّةُ : للحليِّ ، مطبعة البابي الحلبيِّ - القاهرة ، ط : ١ ، ١٩٦٤ م .
- ٨٩ - السِّيرُ والمغازي : لابن إسحاق ، تحقيق : د . سهيل زكَّار ، دار الفكر - بيروت ، ط : ١ ، ١٩٧٨ م .
- ٩٠ - السِّيرة النَّبَوِيَّةُ : لابن هشام ، تحقيق : السَّقَّا ورفاقه ، مطبعة البابي الحلبيِّ - القاهرة ، ط : ٢ ، ١٩٥٥ م .



- ٩١ - السيرة النبوية الصحيحة : د . أكرم العمري ، مكتبة المعارف والحكم - المدينة المنورة ، ط : ١ ، ١٤١٢ هـ .
- ٩٢ - السيرة النبوية على منهج الوحيين : د . مأمون حموش ، ط : ٢ ، دون تاريخ ، أو ذكر اسم لمطبعة ، أو ذكر اسم لدار .
- ٩٣ - السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة : لمحمد أبو شهبه ، دار القلم - دمشق ، ط : ١ ، ١٩٨٨ م .
- ٩٤ - شذرات الذهب : لابن العماد الحنبلي ، تحقيق : محمود الأرنؤوط ، دار ابن كثير - دمشق ، ط : ١ ، ١٩٨٦ م .
- ٩٥ - شرح حياة الصحابة للكاندهلوي : لمحمد إلياس البارة بنكوي ، دار ابن كثير - دمشق ، ط : ١ ، ٢٠٠٠ م .
- ٩٦ - شرح شواهد المغني : للسيوطي ، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت ، دون تاريخ .
- ٩٧ - الشعر والشعراء : لابن قتيبة ، تحقيق : أحمد شاكر ، دار المعارف - مصر ، دون تاريخ .
- ٩٨ - الشعور بالعمور : لصلاح الدين الصفدي ، حققه واستدرك عليه : د . عبد الرزاق حسين ، دار عمّار - عمان ، ط : ١ ، ١٩٨٨ م .
- ٩٩ - شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام : للفاسي ، تحقيق : د . عمر تدمري ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ط : ١ ، ١٩٨٥ م .
- ١٠٠ - السّمائل المحمّديّة : للترمذي ، تحقيق : عبده علي كوشك ، دار اليمامة - دمشق ، ط : ١ ، ٢٠٠٢ م .
- ١٠١ - صحابة رسول الله ﷺ في الكتاب والسنة : لعيادة الكبيسي ، دار القلم - دمشق ، ط : ١ ، ١٩٨٦ م .
- ١٠٢ - صحيح ابن حبان : لابن حبان ، اعتنى به : جاد الله الخدّاش ، بيت الأفكار الدوليّة - الأردن ، دون تاريخ .

- ١٠٣ - صحیح الجامع الصّغير وزيادته : للألباني ، المكتب الإسلامي - بيروت ، ط : ٢ ، ١٩٨٦ م .
- ١٠٤ - صحیح السّيرة النّبويّة : لإبراهيم العلي ، دار النّقائس - بيروت ، ط : ٣ ، ١٩٩٨ م .
- ١٠٥ - الصّدّيق أبو بكر : لمحمّد حسين هيكل ، دار المعارف - مصر ، ط : ٨ ، دون تاريخ .
- ١٠٦ - صفة الصّفوة : لابن الجوزي ، تحقيق : محمود فاخوري ورفيقه ، دار المعرفة - بيروت ، ط : ٢ ، ١٩٧٩ م .
- ١٠٧ - صورٌ وعبرٌ من الجهاد النّبويّ في المدينة : د . محمّد فوزي فيض الله ، دار القلم - دمشق ، ط : ١ ، ١٩٩٦ م .
- ١٠٨ - الطّبقات الكبرى : لابن سعد ، تحقيق : إحسان عبّاس ، دار صادر - بيروت ، دون تاريخ .
- ١٠٩ - الطّبقات الكبرى : للشّعراي ، دار الفكر - بيروت ، طبعة مصورة .
- ١١٠ - الطّبقات الكبرى والصّغرى « طبقات الصّوفيّة » : للمناوي ، تحقيق : محمّد أديب الجادر ، دار صادر - بيروت ، ط : ١ ، ١٩٩٩ م .
- ١١١ - العقْدُ الفريدُ : لابن عبد ربّه ، تحقيق : أحمد أمين ورفاقه ، لجنة التّأليف والترجمة والنّشر - القاهرة ، ط : ٢ ، ١٩٦٢ م .
- ١١٢ - العقْدُ النّقيسُ : لمحمّد فرغلي الأنصاري ، تحقيق : محمد نعيم منصور ، دار التّقدم - دمشق ، ط : ١ ، ١٩٩٧ م .
- ١١٣ - علماء الصّحابة - رضي الله عنهم - : د . أحمد خليل جُمعة ، دار اليمامة - دمشق ، ط : ١ ، ٢٠٠٦ م .
- ١١٤ - العمدة في صناعة الشّعْر ونقده : لابن رشيّق القيرواني ، تحقيق : د . النّبوي شعلان ، مكتبة الخانجي - القاهرة ، ط : ١ ، ٢٠٠٠ م .

- ١١٥ - عيون الأثر في فنون المغازي والسّير : لابن سيّد النَّاس ، تحقيق : د . محمّد العيد الخطراوي و د . محيي الدّين مستو ، دار ابن كثير - دمشق ، ط : ١ ، ١٩٩٢ م .
- ١١٦ - عيون الأخبار : لابن قُتيبة ، مصوِّرة عن طبعة دار الكُتب - القاهرة ، ١٩٦٣ م .
- ١١٧ - غررُ التّبيان في مَنْ لم يُسمَّ في القرآن : لابن جماعة الحمويّ ، تحقيق : د . عبد الجواد خلف ، دار قتيبة - دمشق ، ط : ١ ، ١٩٩٠ م .
- ١١٨ - فتحُ القدير : للشّوكانيّ ، دار ابن كثير - دمشق ، ط : ١ ، ١٩٩٤ م .
- ١١٩ - الفتنةُ ووقعةُ الجمل : لسيف بن عمر الضّبّيّ ، جمع وتصنيف أحمد راتب عرموش ، دار النَّفائس - بيروت ، ط : ٥ ، ١٩٨٤ م .
- ١٢٠ - فتوحُ البلدان : للبلاذريّ ، نشره : د . صلاح الدّين المنجد ، مكتبة النهضة المصريّة - القاهرة ، دون تاريخ أو ذكر رقم الطّبعة .
- ١٢١ - فدائيّون في تاريخ الإسلام : د . أحمد الشّرباصيّ ، دار الرّائد العربي - بيروت ، ط : ٢ : ١٩٨٢ م .
- ١٢٢ - فُرسانٌ من عَصْرِ الثّبوّة : د . أحمد خليل جُمعة ، دار اليمامة - دمشق ، ط : ٢ ، ٢٠٠٣ م .
- ١٢٣ - فضائلُ الصّحابة : للإمام أحمد ، تحقيق : وصيّ الله عبّاس ، مؤسّسة الرّسالة - بيروت ، ط : ١ ، ١٩٨٣ م .
- ١٢٤ - الفقهُ الإسلاميّ وأدلّته : د . وهبة الرّحيليّ ، دار الفكر - دمشق ، ط : ٣ ، ١٩٨٩ م .
- ١٢٥ - القاموسُ المحيط : للفيروزآبادي ، مؤسّسة الرّسالة - بيروت ، ط : ٢ ، ١٩٨٧ م .

- ١٢٦ - قادةُ فتح الشّام ومصر : محمود شيت خطّاب ، دار الفكر - بيروت ،  
دون تاريخ أو ذكر رقم الطّبعة .
- ١٢٧ - القيادة العسكريّة في عهد الرّسول ﷺ : د . عبد الله الرّشيد ، دار  
القلم - دمشق ، ط : ١ ، ١٩٩٠ م .
- ١٢٨ - الكاملُ في التّاريخ : لابن الأثير ، دار صادر - بيروت ، دون تاريخ  
أو ذكر رقم الطّبعة .
- ١٢٩ - الكاملُ في اللّغة والأدب : للمبرّد ، تحقيق : محمّد أبو الفضل  
إبراهيم ، دار الفكر العربي - القاهرة ، دون تاريخ .
- ١٣٠ - كتابُ الغريبين في القرآن والحديث : لأبي عبيد الهرويّ ،  
تحقيق : أحمد فريد المزيدي ، المكتبة العصريّة - صيدا ، ط : ١ ،  
١٩٩٩ م .
- ١٣١ - كُتّاب الوحي : د . أحمد عيسى ، دار اللّواء - الرّياض ، ط : ١ ،  
١٩٨٠ م .
- ١٣٢ - لسانُ العرب : لابن منظور ، دار صادر - بيروت ، ط : ١ ،  
١٩٩٠ م .
- ١٣٣ - لطائفُ الأخبار وتذكرة أولي الأبصار : لأبي القاسم التّنوخيّ ،  
تحقيق : د . علي حسين البوّاب ، دار عالم الكتب - الرّياض ،  
١٩٩٣ م .
- ١٣٤ - المبشّرون بالنّار : د . أحمد خليل جُمعة ، دار ابن كثير - دمشق ،  
ط : ٢ ، ٢٠٠١ م .
- ١٣٥ - مجمعُ الأمثال : للميدانيّ ، تحقيق : محمّد أبو الفضل إبراهيم ،  
مطبعة عيسى البابي الحلبي - القاهرة ، ١٩٨٧ م .
- ١٣٦ - مجمعُ الرّوائد : للهيتميّ ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ١٩٧٠ م .

- ١٣٧ - المجموعة التَّبَهَانِيَّة في المدائح النَّبَوِيَّة : ليوسف التَّبَهَانِي ، دار الكتب العلميَّة - بيروت ، ط : ١ ، ١٩٩٦ م .
- ١٣٨ - محاسنُ الوسائل في معرفة الأوائل : لمحمَّد الشُّلبيِّ الدَّمشقيِّ ، تحقيق : د . محمَّد التَّونجي ، دار النَّفائس - بيروت ، ط : ١ ، ١٩٩٤ م .
- ١٣٩ - محاضراتُ الأدباء : للرَّاغب الأصفهانيِّ ، دار مكتبة الحياة - بيروت ، دون تاريخ ، وطبعة دار صادر المحقَّقة .
- ١٤٠ - محمَّد رسولُ الله : لمحمَّد الصَّادق عرجون ، دار القلم - دمشق ، ط : ٢ ، ١٩٩٥ م .
- ١٤١ - مختصرُ تاريخ دمشق لابن عساكر : لابن منظور ، تحقيق : عدد من الأساتذة ، دار الفكر - دمشق ، ط : ١ ، ١٩٩٠ م .
- ١٤٢ - المدينة النَّبَوِيَّة في فجر الإسلام والعصر الرَّاشديِّ : لمحمَّد شرَّاب ، دار القلم - دمشق ، ط : ١ ، ١٩٩٤ م .
- ١٤٣ - مرآة الجنان وعبرة اليقظان : لليافعيِّ ، دار الكتاب الإسلامي - القاهرة ، ط : ٢ ، ١٩٩٣ م .
- ١٤٤ - المستطرفُ : للأبشيهيِّ ، تحقيق : إبراهيم صالح ، دار صادر - بيروت ، ط : ١ ، ١٩٩٩ م .
- ١٤٥ - المستفادُ من مبهمات المَثْن والإسناد : لأبي زُرعة العراقيِّ ، تحقيق : د . عبد الرَّحمن البرِّ ، دار الوفاء - مصر ، ط : ١ ، ١٩٩٤ م .
- ١٤٦ - مشاهيرُ علماء الأمصار : لابن حَبَّان ، تحقيق مرزوق إبراهيم ، دار الوفاء - المنصورة ، ط : ١ ، ١٩٩١ م .
- ١٤٧ - المعارفُ : لابن قتيبة ، تحقيق : د . ثروت عكاشة ، دار المعارف - القاهرة ، ط : ٢ ، ١٩٧٧ م .

- ١٤٨ - المَعَالِمُ الأَثِيرَةُ فِي السُّنَّةِ وَالسَّيِّرة : لمحمَّد شرَّاب ، دار القلم - دمشق ، ط : ١ ، ١٩٩١ م .
- ١٤٩ - معجمُ البلدان : لياقوت الحمويّ ، دار إحياء الثُّراث العربي - بيروت ، دون تاريخ أو ذكر رقم الطَّبعة .
- ١٥٠ - معرفةُ القراء الكبار على الطَّبقات والأعصار : للدَّهبيّ ، تحقيق : بشَّار عوَّاد ورفيقه ، مؤسَّسة الرِّسالة - بيروت ، ط : ١ ، ١٩٨٤ م .
- ١٥١ - المغازي : للواقديّ ، تحقيق : مارسدن جونس ، عالم الكتب - بيروت ، ط : ١ ، ١٩٩٦ م .
- ١٥٢ - مفرداتُ ألفاظ القرآن : للرَّغب الأصفهانيّ ، تحقيق : صفوان الدَّاوودي ، دار القلم - دمشق ، ط : ١ ، ١٩٩٢ م .
- ١٥٣ - المُفَصَّلُ فِي تاريخ العرب قبل الإسلام : د . جواد علي ، القاهرة ، ط : ٣ ، ١٤١٣ هـ .
- ١٥٤ - منحُ المدح « أو شعراء الصَّحابة » : لابن سيِّد النَّاس ، تحقيق : عَفَّت حمزة ، دار الفكر - دمشق ، ط : ١ ، ١٩٨٧ م .
- ١٥٥ - المنمَّقُ فِي أخبار قريش : لابن حبيب ، تحقيق : خورشيد فاروق ، عالم الكتب - بيروت ، ط : ١ ، ١٩٨٥ م .
- ١٥٦ - المواهبُ اللدنيَّةُ بالمنح المحمَّديَّة : للقسطلانيّ ، تحقيق : صالح أحمد الشَّامي ، المكتب الإسلامي - بيروت ، ط : ١ ، ١٩٩١ م .
- ١٥٧ - نساءُ أهل البيت في ضوء القرآن والحديث : د . أحمد خليل جُمعة ، دار اليمامة - دمشق ، ط : ٦٠ ، ٢٠٠٥ م .
- ١٥٨ - نساءُ مبشَّرات بالجنَّة : د . أحمد خليل جُمعة ، دار ابن كثير - دمشق ، ط : ٥ ، ٢٠٠٣ م .
- ١٥٩ - نساءُ من عصر التَّابعين : د . أحمد خليل جُمعة ، دار ابن كثير - دمشق ، ط : ٤ ، ٢٠٠٤ م .

- ١٦٠ - نَسَبُ قريش : لمصعب الزُّبيريّ ، تحقيق : ليفي بروفنسال ، دار المعارف - القاهرة ، ط : ٣ ، دون تاريخ .
- ١٦١ - نَفْحُ الطَّيِّب : لِلْمَقْرِيّ ، تحقيق : إحسان عبّاس ، دار صادر - بيروت ، ١٩٦٨ م .
- ١٦٢ - نَكْتُ الهَمِيان في نَكْتِ العُمَيان : لصلاح الدّين الصّفديّ ، تحقيق : أحمد زكي ، القاهرة ، ١٩١١ م .
- ١٦٣ - النّهائَةُ في غريب الحديث والأثر : لابن الأثير ، بعناية رائد أبي علفة ، بيت الأفكار الدّوليّة - الأردن ، دون تاريخ .
- ١٦٤ - نوادرُ المخطوطات : لعددٍ من المصنّفين ، تحقيق : عبد السّلام هارون ، مطبعة البابي الحلبي - القاهرة ، ط : ٢ ، ١٩٧٢ م .
- ١٦٥ - وفاء الوفا : للسّمهوديّ ، تحقيق : محيي الدّين عبد الحميد ، دار إحياء الثّراث - بيروت ، ط : ٤ ، ١٩٨٤ م .
- ١٦٦ - وفيات الأعيان : لابن خَلْكان ، تحقيق : د . إحسان عبّاس ، دار صادر - بيروت ، بدون تاريخ .
- ١٦٧ - وقعةُ صقّين : لنصر بن مزاحم المنقريّ ، تحقيق : عبد السّلام هارون ، دار الجيل - بيروت ، ١٩٩٠ م .
- ١٦٨ - ولاةُ مصر : لمحمّد بن يوسف الكنديّ ، تحقيق : د . حسين نصار ، دار صادر - بيروت ، دون تاريخ .
- مع مصادر ومراجع ومقالات كثيرة جاءت في ثنايا الكتاب .

عنوان المؤلّف

سوريا - دمشق

هـ : ( ٥٣١٨١١١ - ٥٣١٣٠٦٤ )



رَفَعُ  
عبد الرحمن البخاري  
أسكنه الله الفردوس  
[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)



## فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
الإهداء	٥
المقدمة وعرض الكتاب	٧
<b>الباب الأول</b>	
<b>رجال سابقون من المهاجرين</b>	
أولاً : أبو حذيفة بن عتبة رضي الله عنه	٢٩
مع أنداء السابقين	٣١
مكانة أبي حذيفة	٣٣
أبو حذيفة بين رجال الإسلام	٣٦
كلمة وكفارتها	٤٢
ثانياً : زيد بن الخطاب رضي الله عنه	٤٧
من أعيان السابقين	٤٩
حضوره المغازي النبوية	٥١
حظُّه من رواية الحديث	٥٢
كيف حظي زيد بالشهادة ؟	٥٦
ريحُ زيد	٦١
ثالثاً : عتبة بنُ غزوان رضي الله عنه	٦٧
مَنْ هَذَا الْعَلَمُ ؟	٦٩
عتبةُ ورحلةُ الجهاد	٧٢

٧٣	.....	الغازي الفاتح
٨١	.....	من رواية الحديث النبوي
٨٥	.....	رابعاً : عثمانُ بنُ مظعون رضي اللهُ عنه
٨٧	.....	من أولياء الله
٨٨	.....	صبره وتحمله الشدائد
٩٤	.....	أرضي بجوار الله
٩٨	.....	عثمان في ديار الهجرة
١٠٠	.....	حيأؤه وعبادته
١٠٥	.....	ذاك عمله
١١١	.....	خامساً : مصعبُ بنُ عمير رضي اللهُ عنه
١١٣	.....	مصعب الخير
١١٥	.....	مصعب وأمه
١٢١	.....	الفقيه المقرئ
١٢٥	.....	نجاح المهمة المصعبية
١٢٧	.....	هجرة وجهاد
١٣٣	.....	من المؤمنين رجال
١٤١	.....	سادساً : نعيمُ بنُ عبد الله رضي اللهُ عنه
١٤٣	.....	هدية عظيمة للإسلام
١٤٥	.....	برّه بالأرامل والأيتام
١٤٧	.....	نعيم وعمر رضي اللهُ عنهما
١٥١	.....	أنا صهره
١٥٣	.....	بل أحياء عند ربهم

### الباب الثاني

### رجال سابقون من الأنصار

١٥٧	.....	أولاً : أسعدُ بنُ زُرارة رضي اللهُ عنه
-----	-------	--

١٥٩	أملٌ باسمٍ .....
١٦١	من نفحات الإسلام .....
١٦٦	اشترطُ لربِّك .....
١٧٠	أسعد يبائع بيعة النساء .....
١٧١	مصعب الخير في رحاب أسعد الخير .....
١٧٥	أصدقُ اللهُ فيه .....
١٧٨	أسعد في بيعة العقبة الكبرى .....
١٨٣	حفاوتهُ بالنَّبِيِّ ﷺ .....
١٨٧	رحلةُ الخلود .....
١٩١	ثانياً : أسيدُ بنُ الحضير رضي اللهُ عنه .....
١٩٣	السَّيِّدُ الشَّرِيف .....
١٩٦	قصةُ إسلامه .....
٢٠١	في رحاب البيعة الخالدة .....
٢٠٣	مواقفُ متألِّقة .....
٢١١	أسيدٌ وأقباسُ نبوية .....
٢١٥	أسيدٌ ونفحاتُ أنسية .....
٢٢٠	وفاتهُ ووصيته .....
٢٢٣	ثالثاً : خُبيبُ بنُ عدي رضي اللهُ عنه .....
٢٢٥	الرَّجُلُ المحبُّ .....
٢٢٧	خبيب في بعثة نبوية .....
٢٢٨	كيف غدر المشركون بخبيب ؟ .....
٢٣١	أتحبُّ محمّداً ؟ .....
٢٣٤	ولست أبالي حين أقتل مسلماً .....
٢٤١	من فوائد السيرة الخبيبية .....
٢٤٣	خبيبٌ في ضمائر المؤمنين .....

## الباب الثالث

## رجال أسلموا عام الفتح

- أولاً : أبو العاص بن الربيع رضي الله عنه ..... ٢٥١
- الصَّهْرَ الأَمِين ..... ٢٥٣
- أبو العاص ومطلع الثور ..... ٢٥٧
- الأسيرُ المسالِمُ ..... ٢٦٠
- الفِدَاءُ العَجِيبُ ..... ٢٦٤
- الوفِيُّ الكَرِيمُ ..... ٢٦٩
- أجرتُ أبا العاص ..... ٢٧٤
- إسلامُهُ وجمع شمله ..... ٢٧٧
- شذراتٌ من أخباره ..... ٢٨٠
- ثانياً : جُبَيْرُ بنُ مُطْعَمٍ رضي الله عنه ..... ٢٨٣
- من أبناء الأشراف ..... ٢٨٥
- لو كان حياً ..... ٢٨٦
- جُبَيْرِيَّاتٌ رَقِيقَةٌ ..... ٢٩١
- موقفهُ من الإسلام ..... ٢٩٩
- رحلته مع الإيمان ..... ٣٠٤
- صحبةٌ وروايةٌ ..... ٣٠٨
- ثالثاً : حَكِيمُ بنُ حِزَامٍ رضي الله عنه ..... ٣١٣
- المولِدُ والنَّشأة ..... ٣١٥
- كيف وقف حَكِيمٌ من الإسلام ؟ ..... ٣١٩
- دوره في غزوة بدر ..... ٣٢٤
- نجاته يوم بدر ..... ٣٣٣
- متى أسلمَ حَكِيمٌ ..... ٣٣٦

٣٤٠	..... من كلمات حكيم وأخباره
٣٤٩	..... العالمُ ناقلُ الحديث
٣٥٢	..... أنا اليوم أرجوك
٣٥٥	..... رابعاً : سهيلُ بنُ عمرو رضي اللهُ عنه
٣٥٧	..... الخطيبُ ذو السيادة
٣٦٠	..... مكانةُ الخطابة والخطباء
٣٦٢	..... سهيلٌ وإسلامُ أولاده
٣٦٤	..... من مواقف الكيد والعناد
٣٦٥	..... مع أسارى بدر
٣٧٣	..... مواقف سهيلية في صلح الحديبية
٣٨١	..... سهيلٌ وابنه
٣٨٧	..... حلولُ الهداية في قلب سهيل
٣٩٧	..... خامساً : صفوانُ بنُ أمية رضي اللهُ عنه
٣٩٩	..... مشيئةُ الله
٤٠١	..... صفوانُ والمجد المؤتّل
٤٠٣	..... نظرتُهُ إلى الإسلام
٤٠٥	..... صفوانُ وأحداثُ غزوة أحد
٤٠٩	..... لا يزالُ الحقدُ مستمرّاً
٤١٣	..... أشهدُ أن لا إله إلا اللهُ
٤١٨	..... روايتهُ للحديث
٤٢١	..... آثارُ جليلةٍ ومحامدٌ نبيلةٌ

### الباب الرابع

### رجالٌ من قبائل شتى

٤٢٧	..... أولاً : ثمامةُ بنُ أثال رضي اللهُ عنه
-----	---

- ٤٢٩ ..... محاسنُ العفو وآثارُهُ
- ٤٣١ ..... السيّدُ الأسير
- ٤٣٣ ..... تربيةُ نفسيّةٍ مثمرة
- ٤٣٥ ..... لماذا اعتقلت قريش ثمامة ؟
- ٤٣٩ ..... قصّةُ ثمامة في الصّحّاحين
- ٤٤٢ ..... ثباته في وجوه المرتدّين
- ٤٤٧ ..... كيف نال ثمامة الشّهادة ؟
- ٤٥١ ..... ثانياً : جريرُ بنُ عبد الله رضي الله عنه
- ٤٥٣ ..... بطاقةٌ مشرّفة
- ٤٥٥ ..... رجلٌ من خير ذي يمن
- ٤٥٩ ..... اللهمّ ثبته واجعله هادياً مهدياً
- ٤٦٢ ..... من فضائل جرير وسجّايه
- ٤٦٦ ..... جريرٌ في الرّحاب النّبويّة
- ٤٧١ ..... عمريّاتٌ ماعةٌ في حياة جرير
- ٤٧٦ ..... المجاهدُ الفاتح
- ٤٧٩ ..... العالمُ الفقيه والمحدّثُ البليغ
- ٤٨٥ ..... ثالثاً : خبّابُ بن الأرتّ رضي الله عنه
- ٤٨٧ ..... سُدسُ الإسلام
- ٤٨٩ ..... شذراتٌ من حياة خبّاب
- ٤٩٤ ..... خبّابٌ ونفحاتٌ من القرآن
- ٤٩٩ ..... دلني يا خبّاب على محمدٍ ﷺ
- ٥٠٦ ..... المهاجرُ المجاهد
- ٥١٠ ..... مروياته وختام حياته
- ٥١٥ ..... رابعاً : دحية بن خليفة رضي الله عنه
- ٥١٧ ..... شخصيّةٌ متميّزة

- ٥٢٠ ..... ذاك جبريل
- ٥٢٤ ..... دحية في غزوة خيبر
- ٥٢٩ ..... من حملة رسائل النبي ﷺ
- ٥٣٨ ..... أزهير من مكارمه
- ٥٤٧ ..... خامساً : سراقه بن مالك رضي الله عنه
- ٥٤٩ ..... نور الإسلام
- ٥٥١ ..... أخف عتاً يا سراقه
- ٥٥٨ ..... لا تحزن
- ٥٦٢ ..... و الله لو كنت شاهداً
- ٥٦٤ ..... لهذا يوم وفاء وبر
- ٥٦٨ ..... من نقله الحديث
- ٥٧١ ..... سادساً : الطفيل بن عمرو رضي الله عنه
- ٥٧٣ ..... الشريف المطاع
- ٥٧٦ ..... قصة الطفيل في رحلة إسلامه
- ٥٨٠ ..... آية إعجاز للطفيل مع قومه
- ٥٨٥ ..... صور من جهاده
- ٥٩١ ..... سابعاً : عمير بن وهب رضي الله عنه
- ٥٩٣ ..... كلمة حق
- ٥٩٤ ..... البلايا تحمل المنايا
- ٥٩٨ ..... تأمر وبيء
- ٦٠٠ ..... أدخله علي
- ٦٠٣ ..... فقهاوا أحاكم
- ٦٠٨ ..... المجاهد المخلص
- ٦١٣ ..... ثامناً : نعيم بن مسعود رضي الله عنه
- ٦١٥ ..... ذكريات جاهلية

الموضوع	رقم الصفحة
جائزة سُفْيَانِيَّةٌ لِنُعَيْمٍ	٦١٨
سبحان مقلِّبِ القلوب	٦٢٣
كيف خادع نعيم القرظيين ؟	٦٢٦
مع قائد الأحزاب	٦٢٨
نُعَيْمٌ يَخْدَعُ غَطْفَانَ	٦٣٠
نجاح مهمّة نُعَيْمٍ رضي الله عنه	٦٣٣
نعيم وسجايا نبيلة	٦٣٦
الخاتمة	٦٣٩
فهرس المصادر والمراجع	٦٤٧
فهرس الموضوعات	٦٦٣





سيصدر قريباً  
بعون الله

كتاب

نساء  
في حياة المشاهير

تأليف الدكتور  
أحمد خليل جمعة

صدر للمؤلف عن دار ابن كثير

رجال مبشرون بالجنة  
نساء مبشرات بالجنة  
نساء من عصر النبوة  
نساء من عصر التابعين  
نساء الأنبياء  
المبشرون بالنار  
أبناء الصحابة

وسيصدر قريباً بإذن الله

علماء التابعين  
رجال من عصر التابعين

تأليف الدكتور  
أحمد خليل جمعة

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس

[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الفردوس

[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)